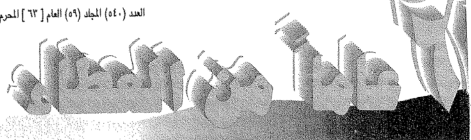




العدد (٥٤٠) المجلد (٥٩) العام [٦٣] المحرم ١٤١٨ هـ / مايو ١٩٩٧ م



لتوازن البيئي ؟!

صدام لحضارات

قضية مؤامرة الصمت

الاستشراق وبواعثه

الاسلام والثقافة العربية في عالمنا الجديد



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض. ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

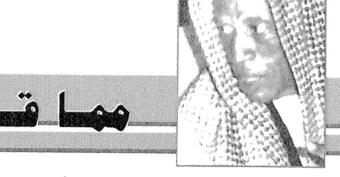
السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال





عشرون ربيعا

عشرون ربيعا مضت على صدور أول عدد من مجلة «المنهل»..

وحينما صدر العدد الأول كان إصداره إحدى «المغامرات» التي يقوم بها الشباب.. فان أخفقت فلا عليه، وإن قدر لها النجاح فذلك هو الأمل المنشود.

وإذا قارنا بين أول عدد صدر من المنهل في عام ١٣٥٥هـ، مع هذا العدد الذى نصدره منه الآن بعام ١٣٧٥هـ من جهة.. وقارنا بين أمد صدور ذلك العدد الأول، مع أمد صدور هذا العدد، فاننا نجد البون شاسعا بين العددين.. كما نجده شاسعا بين الأمدين.

ذلك أن التطور كما شمل المنهل فيما بين عامي ١٣٥٥ و١٣٧٥هـ كذلك قد تغلغل التطور في حياتنا ومرافقنا فى هذه الحقبة من الزمان.

وإذا كان لنا أن نشير - فى هذا المقام - الى شيء من الوان التطور الذى نلمع اليه حتى لا يقول القارىء إننا ممن يزجي الكلام على عواهنه فاننا سنقسم تطور المنهل إلى لونين: أحدهما تطور موضوعاته وتعددها وتمددها ومساهمة رجالات العلم والادب والادارة في تحبير مواده.. وثانى التطورين يتعلق باخراجه وطباعته، فقد كانت طباعته وإخراجه أقل مما صارا إليه الآن كما يدرك من المقارنة الفعلية بين ماضي أعداده وحاضرها فها هو الآن يطبع بأحدث مطابع العصر بمطابع «اللينوتيب».

ويحسب «المنهل» فخارا وشرفا أن يؤدى رسالته على نمط متزن معتدل فهو يجرى رقراقا صافيا بين التلال والوهاد والمنعرجات ولا يتأثر بالاعاصير ولا تستهويه الترهات ولا المهاترات الشخصية.. وذلك ليبقى سلسبيلا رائقا يرتاده قراؤه بحيث يرويهم ولا يؤذيهم.

وناهيك بمن حظى المنهل بمؤازرتهم الكريمة، فخلدوا على صفحاته بنات أفكارهم وتوجيهاتهم وقيم ملاحظاتهم واقتراحاتهم ومعارفهم، من عظماء وأمراء ووزراء وعلماء وأدباء شاعرين وناثرين.

وقد سار صيت المنهل في الآفاق فنقلت عنه بعض موضوعاته ومقالاته وافتتاحياته صحف عربية راقية في مصر وغير مصر من ديار العروبة، وفي باكستان وغيرها من بلاد الاسلام وفي الشرق والغرب، وبادلته صحف راقية عربية واسلامية وغربية.. وإدارته مكتظة بما يَردُ اليه من الكتب المطبوعة والنشرات والصحف المختلفة من شتى اقطار الدنيا.. تباعا ..

ولا أعدو الحق والصواب إذا أنا زعمت أن بعض أعلام المؤلفين قد اتخذ من مجلدات المنهل بعض مصادر بحوثه فيما ألَّفه من كتب تاريخ واجتماع وأدب وثقافة عن هذه المملكة.

إذن فاننا نتوجه إلى الله العلي القدير بالحمد والشكران على ما انعم به وتفضل ، من هذا النجاح المعنوي المطرد للمنهل.

«عبدالقدوس الأنصاري»

المحرم وصفر ١٣٧٥هـ/ اغسطس وسبتمبر ١٩٥٥م



لقطة الشهر



براءة محملة بكل غال وثمين، تنظر الى المستقبل المكتوب؛ ولم تنس الماضي العريق.. مستقبل مشرق، وأمل واعد، وحياة رغدة.. حُلم كل فتاة.

الإشارة

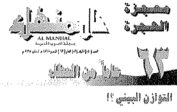
● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦



عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.





غلاف العدد

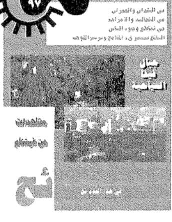
المنهل
Almanhal
مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٤٠)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)

منهليات

«ثلاث وستون»







ما يصل المنهل من رسائل يصعب حصره..
قراء وكُتّابٌ أحبوا منهلهم، فدام الوصل بينهم.. إنه رباط لفكر والمعرفة والعلم..
وأعظم به..
اثنان وستون عاماً .. ما كنّا نحسب أنّا ببالغيها..
«اثنان وستون عاماً» سلفت، قضتها المنهل في تواصل حميم.. مع محبيها .. من قارئين وكاتبين.
عطاءات بعمق الفكر الواعي هي حلقة الوصل في دائرة تظل متسعة الأرجاء والأنحاء، حتى غدت المنهل بشهادة العدول الثقاة واحدة من المراجع الثبته ليس فقط فيما احتضنت صفحاتها من علم ومعرفة، وثقافة وأدب وفن، بل لها مرجعيتها في تدوين وتسجيل حركة التاريخ في حياتنا العربية والاسلامية الممتدة في رحم العقود الستة الماضية..
إن كلَّ ابداع وتفوق ونجاح يبقى القارىء والكاتب شريكان حقيقيان فيه..
وللجميع نسوق الشكر بين أيدينا تقديرا ووفاءاً ..
إنّا بقدر اعتزازنا وسعادتنا بهذه التواصلية الحميمة، بقدر ما يكون ثقل التحمل..
أليست الكلمة أمانة..؟!!
«وما توفيقي إلا بالله».

«نبيه الانصاري»

وكلاء التوزيع

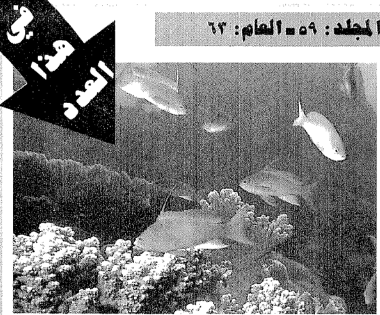
الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

فهرس العدد - ٥٤٠ - المجلد: ٥٩ - العام: ٦٣

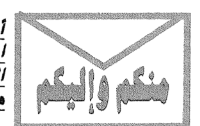
الفهرس

في هذا العدد



أقلام:

الشيخ محمد الغزالي
الشيخ محمد بن ناصر العبودي
د. ماجدة محمد حمود
محمد العربي الخطابي
د. محمد سعيد البارودي
د. يوسف عز الدين
د. أمين ساعاتي
د. عمر بن قينة
أنور الجندي



رسالة ناقدة، وأخرى شاكرة، مراجعات وتعليقات، نادرة وطرفة، أخبار ومتابعات، كلها وغيرها تمثل نسيج هذه الصفحات. قارىء المنهل ـ فيما بدا لنا من رسائله ـ قوي الملاحظة، دقيق الرأي، حسن النية. أحب منهله، وأحببنا نحن ما يصدر منه في إطار ـ حسن النية هذا ـ ويجدنا القارىء اكثر حرصاً وأسعد بالرأي الناصح.

المنهل

جوائز :
جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني

جائزة المكتبة

المكتبات العامة المؤسسة على أحدث النظم العلمية، الغنية بالمصادر والمراجع والمطبوعات الخادمة للاغراض العلمية المتنوعة، لا شك لها دورها الفاعل في المحيط العلمي والمعرفي والفكري والثقافي.. وعلى مستوى العالم نجد الكثير من المكتبات العامة التى تخرج من دفتي مجلداتها أجيال واجيال من العلماء والدارسين والباحثين.

وفي إطار هذا الأداء المعرفي تأتي (مكتبة الشيخ على بن عبد الله آل ثاني).. وقد أوقفها للافادة منها.. وتشرف عليها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة قطر.

تعتبر هذه المكتبة من اكبر المكتبات في دولة قطر.. وتحتوي على آلاف العناوين في مختلف العلوم الشرعية والعربية والمعرفة الإنسانية.

ومن أهداف هذه المكتبة:

- المساهمة في معالجة القضايا المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة.
- التشجيع على البحث والتحقيق العلمي .. وتقديم الخدمات العلمية للدارسين والباحثين.
- إقامة الندوات والمحاضرات والحوارات العلمية والثقافية والدعوية.

الجائزة:

إسهاما من المكتبة في تشجيع البحث العلمي وطرح القضايا المهمة لدراستها ومعالجتها من قبل المفكرين والباحثين، وحتى يكون ذلك سبيلا للمساهمة في تكوين جيل من العلماء المسلمين في مختلف ميادين العلوم الشرعية، وتحقيقا لهدف الواقف وتقديراً له، رأى مجلس إدارة المكتبة تخصيص جائزة سنوية في العلوم الشرعية، والفكر الإسلامي، باسم «جائزة مكتبة الشيخ على بن عبد الله آل ثاني» تمنح للبحث أو البحوث المتميزة في فرع من العلوم الشرعية والفكر الإسلامي، وتبلغ قيمة الجائزة خمسين ألف ريال قطري.

يحدد موضوع الجائزة في كل عام من قبل لجنة تشكل لهذا الغرض. ويعتمد من مجلس الإدارة ويتم الإعلان عنه في وسائل الإعلام المختلفة، ويكون ذلك في شهر فبراير (شباط) من كل عام على أن تكون نهاية سبتمبر (أيلول) آخر موعد لتسلم البحوث المقدمة للجائزة ويتم الإعلان عن النتيجة في أول شهر فبراير (شباط) وتوزع

الجائزة في شهر مارس (آذار) من العام التالي.

شروط الجائزة :

- يشترط في البحوث المقدمة أن تكون قد أعدت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءا من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوفر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق وسلامة الأسلوب، والجدة والابتكار.

- يقدم البحث من ثلاث نسخ مكتوباً على الآلة الكاتبة ويفضل أن يكون مكتوباً على الحاسوب على ألا يقل عدد صفحاته عن مائتي صفحة، ولا يزيد على ثلاثمائة صفحة فلوسكاب.

- يرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه وثبتا بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة الى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

علما بأن الأبحاث التي ترسل إلى المكتبة لا ترد سواء فازت بالجائزة أو لم تفز.

- الشيخ على بن عبد الله آل ثاني - عليه رحمة الله - تولى الحكم في قطر في الفترة (١٣٦٨هـ - ١٣٨٠هـ) وتوفي في ١٣٩٤هـ.

كتب واصدارات:

* «**النحو الموضح**» .. للشيخ هاشم/ محمد سعيد دفتردار المدني ، كتاب جديد جمع قواعد النحو بطريقة جديدة ميسرة لطلاب العلم بعيدا عن التعقيد ، وجاءت في عرض سهل بصور وايضاحات بينة.

واتخذ المؤلف طريقة سرد القصص الشيقة لتوضيح أصعب القواعد النحوية بالاضافة إلى الجداول والصور البيانية والتوضيحية.

واعتمد المؤلف على اعراب جميع الأمثلة التى يوردها لتدريب الطلاب على كيفية الاعراب واكتساب القاعدة النحوية في يسر وسهولة.

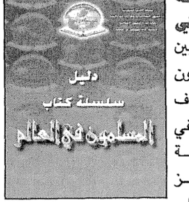
والكتاب من الحجم الكبير إذ اشتمل على أكثر من ٢٧٥ صفحة، طبعة دار البلاد للطباعة والنشر بجدّة الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

وهذا الكتاب يعد مرجعاً ميسراً لراغبي تعلم قواعد اللغة العربية في زمن يسير وبجهد أقل ومعرفة أوفر.

* «**شعراء حول الرسول**» {صلى الله عليه وسلم} للدكتور عبد الله بن محمد أبي داهش.

استهل الكاتب كتابه بموقف الاسلام من الشعر وكيف أن الاسلام هذّب الشعر وأبعد منه اللفظ الفاحش وأدخل فيه كلمات جديدة لم تكن معروفة من ذي قبل بل وجعله يحث على الأخلاق الكريمة والعادات الحسنة، وكان الشعر أداة صارمة في الحروب والغزوات، ثم انتقل المؤلف الى ذكر عدد كبير من الشعراء الذين عاصروا الرسول {صلى الله عليه وسلم} ودافعوا عن الدعوة الاسلامية بأشعارهم ومن هؤلاء شاعر الرسول {صلى الله عليه وسلم} «حسان بن ثابت» رضى الله عنه وكذا عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وعامر بن الأكوع، وخبيب بن عدي .. وغيرهم.

والكتاب من الحجم الكبير يحتوي على ١٧٦ صفحة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م وهو من اصدارات نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام.

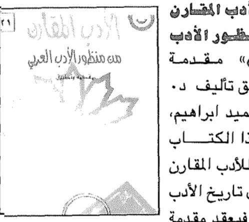


* **دليل سلسلة كتاب «المسلمون في العالم»** بالتعاون بين وكالة وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ومركز البحوث والدراسات الاسلامية بالوزارة صدر دليل سلسلة كتاب «المسلمون في العالم» وهي سلسلة ستصدر شهريا.

وقد اشتمل الدليل على بيانات عامة عن السلسلة وأهدافها ممثلة في التعريف بالبلدان الاسلامية جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا، وبالبلدان التي توجد فيها أقليات وجاليات مسلمة وأحوال هذه الأقليات والجاليات دينيا واقتصاديا وعلميا، وأبرز المناشط والمؤسسات والمنشآت الاسلامية، وأهم المشكلات التي يعاني منها المجتمع الاسلامي على أن تتناول الدراسة تصنيفا لتلك المشكلات تيسيرا للبحث في معالجتها.

كما يعرض الدليل ضوابط الكتابة في سلسلة «المسلمون في العالم» وشروط تقديم النص الى الوزارة، واستبانة التحكيم.. كما ألحقت به استبانة جمع معلومات عن الدول الاسلامية والمؤسسات والمراكز المهتمة بالبحوث الاسلامية فيها، والباحثين المتميزين الذين يمكن استكتابهم في أعداد السلسلة وقد وجهت لجنة الاشراف والمتابعة دعوة للعلماء والباحثين للاسهام بما لديهم من بحوث ودراسات ومقترحات في هذا المجال، وارسالها على العنوان التالي:

المملكة العربية السعودية - الرياض . وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد - وكالة الوزارة للشؤون الاسلامية الرمز البريدي (١١٢٣٢).



* **«الأدب المقارن من منظور الأدب العربي»** مقدمة وتطبيق تأليف د. عبد الحميد ابراهيم، يأتي هذا الكتاب ليؤصل للأدب المقارن خلال تاريخ الأدب العربي، فيعقد مقدمة تحاول أن تؤسس لعلم أدب مقارن من منظور عربي اسلامي، ثم يورد تطبيقا يتابع فيه تأثير شكل المقامات على الأدب الأوروبي، سواء في القديم أو الحديث، ولأول مرة يشير الى تأثير شكل المقامات كجنس أدبي له مواصفاته الفنية على الآداب الأوربية المعاصرة وخاصة كافكا في روايته الشهيرة «أمريكا».

وتأتي خاتمة الكتاب لتؤكد أن هذا المنهج يغني من الأدب العربي، ويظهره في موضع الذي يعطي ويؤثر، وليس في موضع الذي يأخذ ويتأثر.

والكتاب من الحجم الكبير ويحتوي على ١٦٨ صفحة وهو من اصدارات نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام.

صدر العدد الثالث والثلاثون من مجلة **«البحوث الفقهية المعاصرة»** للأشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة ١٤١٧هـ وهي مجلة فصليّة علمية محكّمة متخصصة تعنى بدراسات الفقه الاسلامي التي تعالج عددا من القضايا المعاصرة



التى تهم كل مسلم في حياته اليومية. وصاحب هذه المجلة العلمية القيمة ورئيس تحريرها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسه.

واشتمل العدد على موضوعات عدّة متنوعة تتعلق بالحج والأضحية وغيرهما من مسائل في الفقه الاسلامي ومن هذه الموضوعات.

افضل أنساك الحج/ د. عبود بن علي بن درع، المبيت بمنى/ د. عبد الله نذير أحمد.

ذبح الأضحية أيام النحر/ الشيخ منصور بن يونس البهوتي.

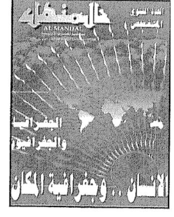
عبد الله بن عباس. د/ محمد بن سعد الشويعر.

تحديد الربح في المعاوضات المالية في الفقه الاسلامي للدكتور/ العياشي الصادق فداد.

الارادة المتفردة في الفقة الاسلامى للدكتور عبد الحفيظ رواس قلعة جي.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه المجلة تحتوي على جزء كبير باللغة الانجليزية خدمة للدراسات الفقهية.

أصداء :



سعادة الأستاذ الكبير الاخ نبيه الانصاري - سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد.

وصلني عدد (الجغرافيا والجغرافيون) وقد سررت به سرورا كبيرا ودعوت الله أن يزيدك قوة على قوة وابداعاً على ابداع انه عدد لا يقدر عليه الا المؤسسات الكبيرة والغنية في الاخراج وكثرة مواده وتنوع المواضيع واختيار الاعلام الذين كتبوا في هذا العدد. إنها لبنة علمية من لبنات الحاضر والمستقبل ولا اشك في أن المجلة ستكون مرجعاً من مراجع البحث ومورداً من موارد المعرفة فجزاك الله خيرا على جهودك وامد الله فى عمرك لزيادة مجهودك، واسلم لاخيك، المعجب بصبرك ومواصلة العمل العلمي الجاد واسلم لاخيك ثانية داعياً لك بالصحة والتوفيق.

«يوسف عزالدين»

المنهل:

أستاذنا الاستاذ الدكتور يوسف عز الدين .. الموقر

لكم من منهلكم خالص الشكر..

الأعداد (المتخصصة والممتازة) مشروع اختطه ورسم ملامحه وسار عليه مؤسس المنهل الاستاذ عبد القدوس الأنصاري - عليه رحمة الله - وأقول مشروعا لأن العمل في انجاز العدد (المتخصص الواحد) يأخذ من الجهد والتركيز والصبر ما يعدل جهد أعداد عدّه.

وبفضل الله سبحانه، ثم بتواصل العلماء والمفكرين والأدباء من أحباء المنهل استطعنا تطوير الفكرة حتى غدت على ما هي عليه الآن.

ولا نذيع سراً إن قلنا إن المنهل يعاني كثيرا في ملاحقة بعض الكتاب ومراجعتهم وتذكيرهم مرة وثانية وثالثة.. ثم إعادة تذكيرهم سابعة حتى يصلنا استكتابهم.

ولهم منا العذر في هذه الملاحقة.. وتبقى أقلامهم مكان تقديرنا، ومشاركاتهم مكان احترامنا.. ولا نفاخر ولا نباهي إن قلنا إن العدد (المتخصص) من مجلة المنهل يعدل مجلداً

يشارك فيه الجمهرة من صفوة الكتاب في تخصصاتهم.. وهذا بشهادة الرسائل الوافرة من الأساتذة الاكارم.

وفاء :

الاستاذ نبيه الانصاري .. لا عدمته.

ايها الابن الأديب، يا ابن صديقنا الاديب «عليه رحمة الله تعالى» .

احيى في الانصار تآزرهم وحفاظهم على هذا التراث العزيز، واتمنى لهم استمرار العون من الله تعالى والتوفيق.

ان سعيكم في مواكبة العصر ومستجداته، دفع بكم الى التجديد، في كل باب وموضوع، ونهج ومشروع. فها هو ذا منهلنا، بحق يحمل كل ممتع ومفيد من تالد ووليد. ان لى امنية، في ان يعيد اصحاب «المنهل» النظر في إرجاع العنوان «الاكليشه» الخالد، بالخط الثلث الرائع، والذي رسم بريشة الخطاط المبدع - محمد طاهر كردي - عليه رحمة الله تعالى، بدلا من العنوان «الاكليشه» الجديدة بالخط الكوفي. والذي يبدو - لي - وكأنه جرادة بطش بها خف بعير (فضغصها) حيث لا يعرف لها ذيل، من رأس، من «شخانيب» واسمحوا لي ان اسأل: «اين اختفت تلك العبارة الحلوة الخالدة، التي اختارها والدكم عليه رحمة الله تعالى، حيث كانت تزين قاعدة العنوان «الاكليشه» وهي: والمنهل العذب كثير الزحام ؟ اعيدوها.. عافاكم الله تعالى، فان العذوبة لم تنقطع من، ولا عن، هذا المنهل.

واسلموا للمحب

عميد/ هاشم احمد حكيم - جدة

المنهل:

يزيد اعزازنا بمحبي المنهل .. وجميل أن نجد أنفسنا في حدقات عيونهم.

وجميل هذا التواصل المحب الآتي من أعماقهم.. فإليك أستاذنا الـ (حكيم) نسوق التحية والحب موصولين.. وملحظك مكان تقديرنا، وللأيام جديدها ومستحدثها، ويظل المنهل، باذن الله تعالى وتوفيقه، ثم بتواصل أقلام محبيه يحافظ على قوة دفعه في المضمون والمحتوى.. نكرر الشكر والتقدير.. ونسعد حقا بدوام تواصلكم.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية:

السادة الأفاضل: دار المنهل للصحافة والنشر صندوق بريد ٢٩٢٥ - جدة الشرفية ٢١٤٦١ - المملكة العربية السعودية.

بيروت في ٢١ شباط ١٩٩٧م.

تحية طيبة وبعد ..

نكون جد شاكرين لو تفضلتم بتزويدنا بنسخة من الدراسة التالية التي صدرت في مجلة «المنهل» الغراء، وهي:

«المدارس والكليات والمكتبات في مدينة القدس» المنهل، مج ٥٥، عدد ٥٠٨ (أيلول ١٩٩٣)، ص ١٥٢ - ١٥٩.

راجين أن تتكرموا بإرسال صورة عن هذه الدراسة، بواسطة البريد الجوي، على عنواننا التالي:

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

المكتبة

صندوق بريد ٧١٦٤ - ١١

بيروت - لبنان

أملين أن تلقى رسالتنا اهتمامكم المعهود.

وتفضلوا بقبول فائق الشكر والتقدير

منى نصولي - أمينة المكتبة

المنهل:

يسعدنا أن نرسل لكم ما طلبتم، وزيادة، ونشير الى ان مجلة المنهل كانت تضم في داخلها مجلة شهرية باسم (فلسطيننا) شارك بالكتابة فيها عدد كبير من مشاهير الكتاب والشعراء والأدباء الفلسطينيين والعرب.. ونظنها يمكن أن تسد ثغرة في الدراسات الفلسطينية وهذه المجلة كانت تمثل جهداً علميا وثقافيا وادبيا في خدمة القضية الفلسطينية.

هموم:
الطفولة .. والأمومة

علامات استفهام لا تنقضي.. أي نوع من الطفولة يكون غدا .. وأي نوع من الأمومة يكون غدا.

طفل الأنابيب.. كان البداية .. حلٌ مشكلة معقدة .. وأعاد حلماً جميلا لنساء طالما حلمن بالطفولة والانجاب..

ولكن..

كانت الدهشة عند ظهور أول مشكلة في جنوب افريقيا، لُقِّحت (الجدة) بالجنين لتحمل عن بنتها.. وثار الجدل (الاخلاقي) هل هذه (الجدة) التى حملت الجنين تسعة أشهر، هل هي الأم لهذا الجنين بحكم الحمل فقط؟ وبالتالى تكون (أماً) لبنتها ، ولجنين بنتها..؟

وبعد أن وضعت الجدة الوليد حسن في عينيها، وثارت فطرة الأمومة فيها واعتبرته وليدها شرعاً وقانونا، ولم تعطه لأمه الحقيقية التي هي أيضا بنتها..

وتتوالى الدهشات في العقدين الأخيرين من هذا القرن.

بنوك الأجنة ، الأمومة البديلة ، الارحام الاصطناعية، الأرحام المستأجرة ، البويضات المجمدة، ثم يأتي موضوع الاستنساخ ليكون العاصفة.. والبقية تأتي.. كما يقولون.. المورثات والأجنة، بقدر ما هي علم يساعد البشر على تخطي الكثير لمشكلاته الصحية والمرضية والعلاجية، فإنها قد أصبحت من الجانب الآخر واحدة من هموم البشر الكبرى وما ذلك إلا لأن هذا العلم قد انفلت زمامه، وأصبح مقاداً للأهواء، والرغبات الشخصية..

أرحام تُستأجر، وبويضات تُشترى، وأجنة مجمدة لا يُعلم مرجعها..

ولادات تستخدم في معامل البحث، وأجنة تفكك أعضاؤها لتباع (قطع غيار) لمن يدفع اكثر.

مؤسسات وشركات و(مافيات) و(بلطجية) تظهر في عالم (الأجنة) تبيع، وتشتري ، وتستبدل، بل توصل خدماتها للراغبين إلى عناوينهم حسب الطلب.

إنه عالم انفلت قياده..

محمد السمان ـ السودان

إلى رحمة الله..
فضيلة الشيخ محمد بن اسماعيل الأنصاري

واحد من العلماء المعدودين في المملكة العربية السعودية حفظ القرآن الكريم في الصغر، وتلقى العلم وهو لم يجاوز الخامسة عشرة من عمره.. برع في العلوم الدينية والشرعية والفقهية، دراسة وكتابة وبُعد نظر.

جلس إلى مجموعة من المشائخ والعلماء في علوم الفقه والعقيدة وعلوم العربية.

* ومن مشائخه الذين تلقى عنهم العلم:

محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، محمد بن تاني الأنصاري، محمد بن هارون الادريسي، محمد الامين بن تاني الانصاري، احمد بن محمد الصالح (مقا) .. وغيرهم كثير.

* عمل في مجالات عدة، حيث عمل مدرساً بالمدرسة الصولتية ١٣٧٠هـ. ومدرساً بالمعهد العلمي السعودي في ١٣٧٤هـ وفي ١٣٨٢هـ عيّن عضواً في دار الافتاء والدعوة.. كما عمل قبل ذلك مدرساً في معهد إمام الدعوة في الرياض وعمل دارساً وباحثا ومنقبا في كتب الأصول والمخطوطات.

خلال حياته العلمية والعملية ألَّف مجموعة من الكتب والدراسات منها:

- الامام بشرح عمدة الاحكام في مجلدين.
- التحفة الربانية بشرح الاربعين النووية وتكملتها للحافظ ابن رجب.
- الارشاد في القطع بقبول حديث الآحاد.
- سند قصيدة بانت سعاد.
- تعقيبات على أسئلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني.

* وحقق مجموعة من المخطوطات منها:

- الفقيه والمتفقه للحافظ البغدادي.
- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال.
- النهاية للحافظ ابن كثير.

* هكذا قضى الشيخ الأنصاري حياة حافلة بالعلم والعطاء العلمي الموثق الدقيق، حتى وافاه أجله في الخامس والعشرين من ذي القعدة ١٤١٧هـ في مدينة الرياض .. رحمه الله رحمة الابرار.

استطلاع مصور:



ـ صاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود.

الصيد الجائر، الرعى الجائر، والاحتطاب الجائر، ردم البرك، تجفيف المستنقعات ـ إنحسار مساحات المراعى والغابات ـ الإزدياد البشرى المضطرد على هذا الكوكب، والذى حدا بالانسان إلى استحداث تطوير سريع في مجالات الصناعة والزراعة، استخدام المواد الكيميائية المتنوعة، كل ذلك أدى إلى ارتفاع معدلات التلوث على الأرض وفي الجو وفي الماء.

لقد غيّر الإنسان فيزيائية البيئة الطبيعية التى عاشت فيها الحيوانات والطيور والأسماك ٠٠ مما أدى إلى انخفاض حاد في أعداد الأحياء الفطرية بل وانقراض بعضها.

المملكة العربية السعودية ـ وهى جزء من هذا العالم ـ ذات بيئة تميزها من غيرها خصائص طبيعية متفردة ـ فوديانها وشعابها وسهولها وشطئانها وحتى جبالها زاخرة بالحيوات الحيوانية والنباتية فضلا عن الطيور المتعددة الأنواع التى تملأ سماءها.

حماية الحياة الفطرية

انقراض الانقراض

إعداد:

يعقوب السيد حسنين

ـ جدة ـ

ومن منطلق تقدير المملكة للأهمية البالغة لهذه الثروات الطبيعية كان من الضروري المسارعة إلى تأسيس هيئة متكاملة للاضطلاع بمهام المحافظة على هذه الثروات والعمل على إنمائها.

والشيء من معدنه لا يستغرب ٠٠ أليس من على هذه الأرض شع نور الحق ـ وانتشر منها الإسلام لينير جنبات الدنيا ٠٠؟

الاسلام الحنيف دعانا إلى احترام حق تعايش كل الكائنات

على الأرض، وفي آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ما يحض ويحث ويحرض على هذا التعايش، فقد قال تعالى في سورة هود (آية/٦١){هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها}، وقوله تعالى: {وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم.. الآية} (الأنعام/١٠٥)، وقوله تعالى: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها}، وقوله تعالى: {ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما تفعلون} (النور/ ٤١)، ثم سخر لنا كل شيء ، فقال سبحانه وتعالى: {وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر (النحل/١٢) ، {وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا} (النحل/١٤)، {ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك } (الحج/٦٥).

وقال عز من قائل: {والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة... الآية} (النحل/٨) والآيات الكريمة كثيرة.

ومن أحاديث الرسول {صلى الله عليه وسلم} «دخلت امرأة النار في قطة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض.

والاسلام - ولله الحمد والمنة - سباق في كل أمور الدين والدنيا فهذا الذى أوصانا به من أربعة عشر قرنا .. لم يتنبه إليه العالم إلا في عام ١٨٧٢م حيث أنشئت محمية يلوستون (Yellowston) كأول محمية وطنية في العالم.. والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

- صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل .



- الدكتور عبد العزيز أبو زنادة أمين عام الهيئة.

الوليد العملاق:

باهتمام وحرص بالغين من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - يحفظهما الله - صدر نظام الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها بموجب المرسوم الملكي الكريم رقم م/٢٢ وتاريخ ١٤٠٦/٩/١٢هـ - لرعاية النظم البيئية الطبيعية في المملكة وتأكيد حماية التنوع الاحيائى على المستويين الوطنى والدولي وقد روعي فى تشكيل الهيئة إشراك الوزراء والمسئولين فى الأجهزة الحكومية ذات العلاقة بحماية الموارد الطبيعية لضمان منع الازدواج في مجهوداتها من خلال التنسيق بين هذه الجهات:

- غزلان الريم والأدمى - تحت الأسر - في المسيج الرئيسي.

«والهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها» هيئة حكومية ذات شخصية اعتبارية ترتبط مباشرة برئيس مجلس الوزراء، ويتألف مجلس إدارتها من:

* صاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام - رئيسا للمجلس.

* صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية - عضوا منتدبا.

* صاحب السمو الملكى وزير الداخلية - عضوا.

* صاحب السمو الملكى أمير منطقة الرياض - عضوا.

* صاحب السمو الملكى أمير منطقة عسير - عضوا.

* صاحب المعالى وزير الزراعة والمياه - عضوا.

* صاحب المعالى وزير البترول والثروة المعدنية - عضوا.

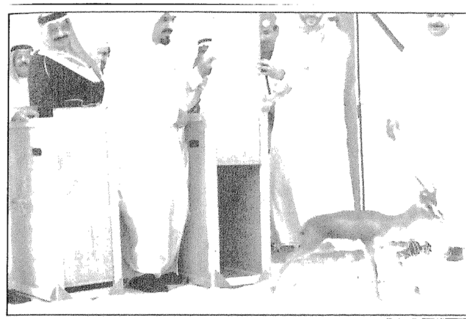
* صاحب المعالى رئيس مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية - عضوا.

* صاحب السعادة رئيس مصلحة الإرصاد وحماية البيئة - عضوا.

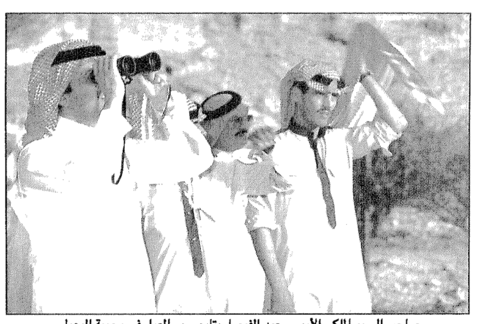
* صاحب السعادة أمين عام الهيئة.

وقد أنيط بالهيئة الموقرة العناية بالحياة الفطرية البرية والبحرية فى المملكة وحمايتها وأنمائها للوصول الى المستوى الأمثل وتحقيق مبدأ الاستغلال المرشد لها.

وتمشيا مع مواد الوثيقة التى اعتمدها أصحاب الجلالة والسمو ملوك وأمراء دول مجلس التعاون الخليجي الموقعة في الثانى والعشرين من صفر عام ١٤٠٦هـ المصادف لليوم السادس من نوفمبر ١٩٨٥م. فقد اختطت الهيئة لنفسها استراتيجية عمل ترتكز على محورين أساسيين:



الامير سلطان يطلق الريم والمها في المحميات.



- صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل يتابع سير العمل في محمية الوعول.

١ ـ إقامة المناطق المحمية في المواقع ذات الأهمية البيولوجية.

٢ ـ إنماء وإعادة تأهيل الأنواع المهددة بالانقراض والنادرة من خلال برنامج الإكثار ـ تحت الأسر ـ وإعادة التوطين في البيئات الطبيعية.

نظام المناطق المحمية:

وعن نظام المناطق المحمية صدر مرسوم ملكى كريم بتاريخ ١٤١٥/١٠/٢٦هـ من ثماني عشرة مادة نصت المادة الثالثة عشرة منها على الآتى:

«مع عدم الاخلال بما تقضى به الأنظمة الأخرى، يعتبر مخالفة لاحكام هذا النظام القيام في المناطق المحمية بأى عمل من الأعمال الآتية:

١ ـ الصيد في جميع أشكاله ووسائله ما لم يتم وفقا للقواعد التى يصدرها مجلس الادراة.

٢ ـ التعرض لسيجات المناطق المحمية.

٣ ـ الاحتطاب أو الرعى أو الزراعة أو التبعيل داخل المناطق المحمية ما لم يتم وفقا للقواعد التى يصدرها مجلس الادارة.

٤ ـ حصاد المواد النباتية أو جمعها أو تحطيم فصائلها أو قطعها أو تشويهها أو استئصالها أو قطعها أو أخذها من المناطق المحمية بأية طريقة كانت أو اتلاف الاشجار الحية.

٥ ـ رمي النفايات والمخلفات بجميع أشكالها.

٦ ـ إحداث أي عمل له أثر سلبي على الأحياء الفطرية داخل المناطق المحمية.. لم يُنصّ عليه آنفا.

حقائق وأرقام:

ولكي يكون حجم الجهود والطاقات والأموال التى بذلت وتبذل في هذا المجال على درجة من الوضوح نشير الى بعض الحقائق:

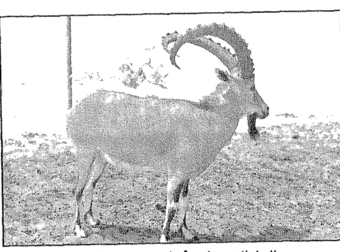
أولا: تشكيل الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها على هذا المستوى الرفيع جدا من رجالات الدولة.

ثانيا: تهيئة الكوادر البشرية المعاونة من المتخصصين وأصحاب الكفاية فى المجالات ذات العلاقة بحماية البيئة والموارد الطبيعية.

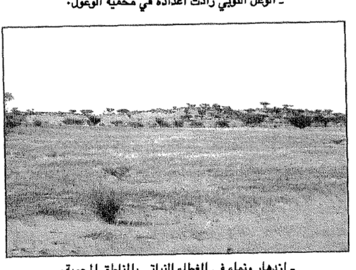
ثالثا: تنظيم دورات تدريبية داخل المملكة وخارج المملكة وابتعاث العاملين والمعاونين بالهيئة لتنمية مهاراتهم وإطلاعهم على كل جديد فى مجالات الحياة الفطرية.

رابعا: الاتصالات الدولية بالهيئات ذات العلاقة لتبادل المعلومات والخبرات.

خامسا: إنشاء مراكز للأبحاث، ومركز للمعلومات، وأقسام للمراقبة الجوية والمراقبة الأرضية والاتصالات اللاسلكية ومراقبة بالأقمار الصناعية وغيرها.. إضافة الى متحف وطنى للتاريخ الطبيعى لتوفير نماذج ايضاحية عن جميع أنواع الحياة الفطرية في المملكة.



ـ الوعل النوبي زادت أعداده في محمية الوعول.



ـ ازدهار ونماء في الغطاء النباتى بالمناطق المحمية.



ـ استزراع شجر الأثاب في محمية الدعول.

سادسا: تخصيص ١٠٪ من المساحة الكلية للمملكة للمحميات.. وهى مساحة ليست بالقليلة.. ولكى نقربها الى الأذهان نقوم بهذه الحسبة:

المساحة الكلية للمملكة العربية السعودية هي ٢ر٢٤٠٠٠٠ (مليونان ومئتان وأربعون الف كم٢)، وبحسبة بسيطة نجد أن الـ ١٠٪ المخصصة للمحميات بالمملكة تساوى ٢٢٤٠٠٠ (مائتين وأربعة وعشرين ألف كيلومترا مربعا)، وهذه المساحة تُعدّ اكبر من المساحة الكلية لأربع دول أوربية هي:

***البرتغال* : ٩٢٠٧٢ كم٢.**
***الدانمرك* : ٤٣٠٩٣ كم٢.**
***هولندا* : ٤١٨٦٤ كم٢.**
***سويسرا* : ٤١٢٩٣ كم٢.**

ومجموعها يساوى ٢١٨٣٢٢ كم٢ ـ أي أن المساحة التى خصصتها المملكة العربية السعودية للمحميات أكبر من المساحة الكلية لكل هذه الدول مجتمعة.

وللعلم فعدد المحميات الوطنية في العالم ٢٦٠٠ محمية تقوم على أربعة ملايين كيلومترا مربعا ـ أى أن المحمية الواحدة فى المتوسط تشغل ١٥٣٨ كم٢ ـ ولو علمنا أن المحميات والملاذات بالمملكة ١٤ محمية (اربع عشرة محمية) فإن متوسط مساحة المحمية الواحدة فى المملكة يصل الى ١٦٠٠٠ (ستة عشر الف كم٢ (٢٢٤٠٠٠ تقسيم ١٤) = ١٦٠٠٠ كم٢ (ستة عشر الف كيلو مترا مربعا).

ما شاء الله .. تبارك الله.

انجازات:

وقد استطاعت الهيئة ـ بعمرها الفتي ـ أن تحقق انجازات كبيرة فى العديد من المجالات نذكر منها:

إكثار الأنواع الفطرية:

قامت الهيئة بانشاء ثلاثة مراكز بحثية متخصصة هي:

١ ـ مركز الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية بالرياض (الثمامة).
٢ ـ المركز الوطنى لابحاث الحياة الفطرية بالطائف.
٣ ـ مركز الأمير محمد السديري لابحاث الغزال بالقصيم.

حماية الحياة الفطرية:

تم إعلان مناطق التيسية والجندلية وسجا وأم الرمث ونفود العريق ملاذات لإعادة توطين طائر الحباري.. ومن خلالها تم التوصل الى أفضل الوسائل العلمية لإطلاق الحباري وفقا للأعمار المختلفة.. واستمر العمل في مراقبة طيور نسر الأذون حيث سجلت زيادة مضطردة في اعدادها.. وتم تركيب أجهزة متابعة لاسلكية على عدد من أفراخها لمعرفة تحركاتها وسلوكها وانتشارها.

انماء الأحياء الفطرية:

تحقق مزيد من النجاحات وزادت أعداد المها الى ٢٣٠ مئتين وثلاثين رأسا، ويلغت نسبة الزيادة في الجيل الثالث ٢٠٪.. هذا وفي إطار التنوع الوراثى في المها اضيف أحد ذكور المها من (أبو ظبى) إلى الجيل الأول بالمركز الوطنى لابحاث الحياة الفطرية. كما تم اضافة ذكر من المها من أصول بحرينية الى المجموعة الموجودة بمركز الملك خالد لابحاث الحياة الفطرية بالثمامة، وقد استمر المركز الوطنى لابحاث

الحياة الفطرية بالطائف فى اكثار الحمار البري الآسيوي.

إنماء الأنواع النباتية:

أجريت سلسلة من الاختبارات الدورية لتقدير حيوية البذور وأضيفت كميات أخرى من بذور الطلح والعوسج والقضيم - وتمثل البذور المحفوظة فى المركز نحو خمسة وستين نوعا، واستمر العمل فى انشاء عدد من المشاتل الخاصة باشجار الشورة في فرسان والخليج العربي، وتم استزراع نحو ثلاثة آلاف شتلة في خور فرسان وألف شتلة على جزيرة السقيد، ونحو عشرة آلاف شتلة وألف وستمئة بذرة على الساحل الجنوبي لمدينة جدة - وفى الخليج العربي تم استزراع نحو الفين واربعمئة بذرة على ساحل الخفجى ورأس مشعاب وساحل تناجيب وشاطيء الغروب.

الدراسات والبحوث:

تمخضت الأنشطة العلمية للهيئة عن نشر نحو عشرين بحثا في مجالات علمية وطنية ودولية - ونحو خمسين بحثا وتقريرا متوفرا بمركز معلومات الهيئة.

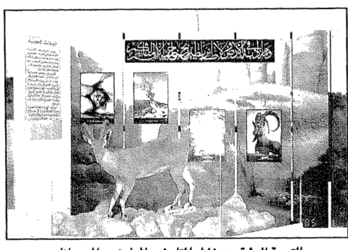
فمنها دراسة السلاحف البحرية فى الخليج العربي التى تشير إلى أن نسبة الفقس فى جزيرة كاران قد بلغت نحو ٨٥٪ للسلاحف الخضراء وازدياد في نسبة الفقس فى أعشاش السلاحف ذات منقار الصقر.

وهناك دراسة بيئية عن الضب بالتعاون مع جامعة الملك سعود للتوصل الى أفضل الوسائل الكفيلة بحمايته من خطر الانقراض بسبب استمرار هواية الصيد لدى محبيه.

ودراسة الطيور المتوالدة فى الجزيرة العربية، ومازال العمل مستمرا فى دراسة الطيور الجارحة باستخدام الأقمار الصناعية.



- الضب .



- التوعية البيئية من خلال المتاحف والمعارض والمهرجانات.

الأنظمة الوطنية لحماية الحياة الفطرية:

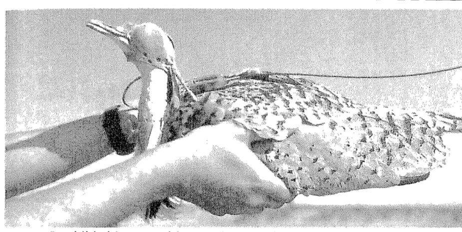
تضمن بيان موسم تنظيم الصيد حظر الصيد بكافة أشكاله فى منطقة الربع الخالي - مما يدعم جهود الحماية ويساعد على القيام بمشاريع اعادة التوطين فى محمية عروق بنى معارض.

كما طرحت عدة مشروعات من ابرزها نظام المناطق المحمية ونظام الاستثمار التجاري في الحياة الفطرية المهددة بالانقراض.

الاعلام والتوعية البيئية:

يستمر مركز الزوار فى استقبال مجموعات الطلاب والمواطنين وأعضاء الجاليات الأجنبية والسفارات كما تم انتاج حوالى سبعمئة وخمسين دقيقة بث تلفزيوني .. اضافة الى عدد كبير من

الاصـــدارات من ابرزها صـدور مـجلة الحـيـاة الفطرية العـربيـة (باللغـة الانجليـزية) وفـى سـبـيل اصدار شقيقتها باللغة العـربيــة إن شــاء الله، واقـيــمت مــعــسكرات استزراع اشجار الشوره والقندل في فــرســـان وأشـــجـــار الأثاب فى محمية الوعول، اضافة الى الاشتراك فى عدد من المعارض كالمعرض الأول للسياحة الوطنية ومعرض مشروع التوعية البيئية السعودى، والمهرجان الوطنى للتراث والثقافة بالجنادرية. كما تم ولأول مرة تكوين مجموعات الاتصال المباشر مع المواطنين والتى بدأت تجربتها فى المناطق المحيطة بمحمية عروق بني معارض فى اطار الاستعدادات لاعادة توطين المها العربي وغزال الريم.



ـ طائر الحبارى مزود بجهاز ارسال ليمكن متابعته بعد اطلاقه في مواطنها الطبيعية.



ـ انثى حبارى اسيوية وصغيرها في البرية.

المعلومات والتوثيق:

لدعم وتعزيز خدمات المعلومات بالهيئة ـ تم إدخال جزء كبير من البيانات فى قواعد المعلومات المتعلقة بالحفاظ على الحياة الفطرية وبيئاتها الطبيعية. كما تم تعزيز مقتنيات المكتبة التخصصية بزيادة قدرها ٢٠٪ ويبلغ عدد الوثائق فى مركز المعلومات ١٣٨٣ وثيقة، ويبلغ اجمالي مقتنيات المعشبة اكثر من ١٥٠٠ نوع نباتي ـ والى جانب إصدار العددين الأول والثاني من مجلة الحياة الفطرية العالمية صدرت عدة كتيبات أخرى منها كتاب طيور الحبارى وكتيب السياحة البيئية وكتاب الوعول ودليل الاتجار في الحياة الفطرية وكتاب طيور الرياض.

تطوير الموارد البشرية:

فى هذا المجال تم تنظيم عدة دورات تدريبية وابتعاث عدد من منسوبي الهيئة داخل وخارج المملكة لتنمية مهاراتهم وقدراتهم الوظيفية.

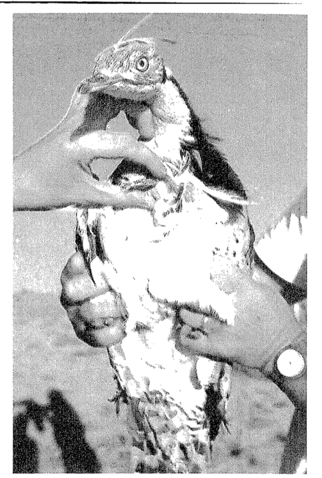
التعاون الدولي:

تقديرا لجهود المملكة المتميزة فى هذا المجال عقد بمقر الأمانة العامة للهيئة الاجتماع الأول للمجلس الاستشارى الاقليمى للاتحاد الدولى لصون الطبيعة لاقليم شمال أفريقيا ووسط وغرب آسيا ـ واختير أمين عام الهيئة الأستاذ الدكتور عبد العزيز أبو زنادة رئيسا للمجلس ـ وقد شاركت الهيئة بممثلين في عدة لقاءات دولية متخصصة.

وحدة إكثار طيور الحباري:

عن هذه الوحدة قال صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل ـ وزير الخارجية ـ العضو المنتدب للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها:

«انطلاقا من اهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين ـ أيده الله ـ بحماية الحياة الفطرية والمواطن الطبيعية فى المملكة عن طريق الدعم



- الفحص الطبي لطائر الحباري.

المتواصل لجهود الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، قامت الهيئة بانشاء وحدة إكثار طيور الحباري فى المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف عام ١٩٨٦م لتعمل من خلال برنامج زمني محدد على تحقيق هدف إعادة طيور الحبارى إلى سابق عهدها في المواطن الطبيعية التي كانت تعيش فيها بالملكة.

ويعتمد التخطيط لتحقيق هذا الهدف الهام على أمرين:

الأول: اكثار طائر الحبارى - تحت الأسر - وتعهده حتى يتمكن من انتاج أسراب يمكنها التكاثر ذاتيا تحت الظروف الطبيعية فى البرية بالملكة.

الثاني: اعادة إطلاق هذه الأسراب وتوطينها فى مواطنها الطبيعية السابقة داخل منظومة من المناطق المحمية لتتكاثر طبيعيا وتزدهر.

ويعتبر برنامج إعادة طيور الحبارى الى سابق عهدها فى مواطنها الطبيعية بالملكة العربية السعودية، الذى تقوم به وحدة إكثار الحبارى بمركز الطائف أكبر برنامج لاكثار الحبارى طموحاً واكثرها نجاحا فى العالم كله على جميع المستويات الاقليمية والعالمية وكان لجهود المملكة المبذولة فى هذا المضمار أثرها العميق فى تأكيد ما ألزمت به نفسها تجاه المحافظة على الحياة الفطرية وحماية التنوع الأحيائي في المواطن الطبيعية فيها عن طريق إنماء الأنواع النادرة والمهددة بالانقراض واعادة تأهيلها في مواطنها الطبيعية.

وقد أدى ذلك إلى أن تشغل المملكة العربية السعودية مركزا رائدا فى هذا المجال يضعها فى مقدمة دول العالم، فضلا عن إكساب المملكة خبرة نادرة في مجال إكثار الحبارى تحت الأسر لا تتوفر في معظم دول العالم.

وأضاف سموه:

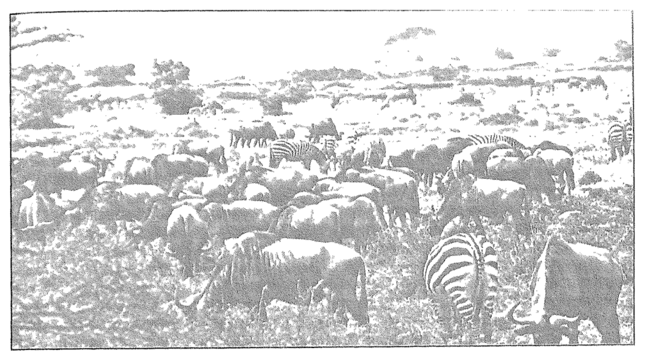
وتقوم الهيئة حاليا باعداد المعلومات الهامة المتجمعة لديها من نتائج الدراسات العلمية والفنية للمشروع لنشرها فى كتاب مرجعى هام يستفيد منه العاملون في جميع أنحاء العالم وفي برامج اكثار الطيور الفطرية واعادة تأهيلها وتوطنيها فى مواطنها الطبيعية مما يعتبر إضافة ممتازة لكل من المكتبات المحلية والدولية.

واستطرد سموه:

ولا شك فى أن دعم المقام السامى الكريم ومتابعة سمو ولي العهد الأمين وتوجيهات سمو النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء - رئيس مجلس إدارة الهيئة ستدفع الهيئة قدما فى سبيل تحقيق الآمال المعقودة عليها والأهداف المنوطة بها لإعادة المواطن الطبيعية فى المملكة نابضة بالحياة زاخرة بأنواع الأحياء الفطرية الجميلة التى تميز بيئتنا الفريدة الرائعة.

اتفاقية سايتس CITES :

إتفاقية التجارة الدولية في الأنواع المهددة بالانقراض من مجموعات الحيوان والنبات البرية..



ـ الطعام للجميع ـ الحمار الوحشي والبقر الوحشي في مكان واحد من الغابة.



ـ النعامة الافريقية ذات الرقم الحمراء والشبيهه بالنعامة العربية التى انقرضت منذ خمسين عاما.

وهذه الاتفاقية انضمت إليها المملكة العربية السعودية ـ بصفة مراقب فى العام ١٤١٠هـ ـ ثم أصبحت عضوا كاملا بالاتفاقية بموجب المرسوم الملكى الكريم رقم م/٩ وتاريخ ١٤١٦/٥/٨هـ.

وتتضمن هذه الاتفاقية خمسة وعشرين مادة، وترمى في مضمونها الى هدفين أساسيين:

١ ـ العمل على المحافظة على مجموعات الحيوان والنبات البرية بكل اشكالها بوصفها جزء من النظم الطبيعية في الأرض ويجب أن تتوفر لها الحماية من أجل الجيل الحاضر والأجيال المقبلة.

٢ ـ عدم الإستغلال المفرط عن طريق التجارة الدولية واتخاذ الاجراءات الكفيلة بالوصول لهذا الغرض.

***اتفاقية بون* BOON :**

اتفاقية حفظ الأنواع المتنقلة من الحيوانات المتوحشة .. وهذه الاتفاقية انضمت إليها المملكة العربية السعودية بموجب المرسوم الملكى رقم م/٢٧

وتاريخ ١٤١٠/١١/٢٦هـ.

وتتضمن هذه الاتفاقية عشرين مادة تدور حول:

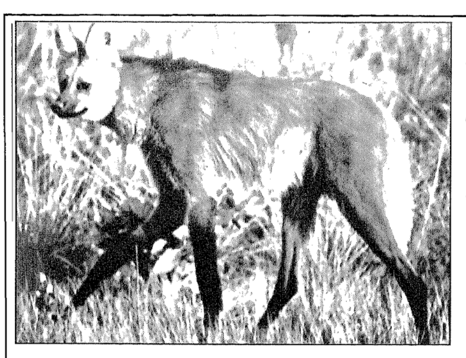
* وجوب المحافظة على الحيوانات المتوحشة بأشكالها المتعددة لكونها تُكوِّن جزءا لا يعوض من النظام الطبيعي لعالمنا.

* اعتبار أن هذه الكائنات ثروة وأمانة يجب المحافظة عليها وصيانتها لتسليمها للأجيال المقبلة في أفضل صورة.

* الاستفادة من القيمة المتزايدة لهذه الحيوانات من الناحية البيئية والوراثية والعلمية والجمالية والترويحية والثقافية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية.

* التزام الدول - أطراف الاتفاقية - بحماية أنواع الحيوانات المتنقلة التى تعيش فى نطاق سيادتها الوطنية أو تجتازها.

* التنبيه الى وجوب العمل الجماعي من قبل جميع الأطراف - حيث تقضى هذه الأنواع طورا من أطوار حياتها داخل حدود السيادة لتلك الدول.



- الذئب ذو اللبدة - من الحيوانات المتوحشة.



- كلاب الدنجو البرية المفترسة.

وألحق بالاتفاقية عدد من الملاحق - تشمل الأنواع المتنقلة المهددة، والأنواع المتنقلة التي ينبغي أن تكون موضع اتفاقيات.

ويجدر الإشارة هنا أنه قد تم تعيين كل من صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل العضو المنتدب للهيئة وسعادة الدكتور عبد العزيز حامد أبو زنادة أمين عام الهيئة - عضوين دائمين فى المجلس العلمى للاتفاقية - كما تبوأت المملكة العربية السعودية مقعد آسيا فى عضوية اللجنة الدائمة للاتفاقية.

التوازن البيئى:

وقد يسأل سائل .. هل تستحق الحيوانات

والزواحف والطيور كل هذه المجهودات الجبارة - وكل هذه الأموال التى تصرف على حمايتها من الانقراض؟ وهل تفيدنا هذه الكائنات بالقدر الذى يتساوى مع جهودنا وأموالنا المبذولة من أجلها؟

والاجابة على هذه التساؤلات ستكون (ضمنية) أي أنها إجابة تُستقى من عبر تؤكد أن التوازن البيئي والتعايش بين كل الكائنات على الأرض - مطلوب كما قدر الله له أن يكون:

ولنطالع معا هذه المؤكدات:

(١) حوار بين الذبابة والزهرة.

يقول الأستاذ الدكتور/ حسين أمين - الطبيب العالم والكاتب المعروف «إن التنسيق بين الكائنات هو المدخل الذى نحادث به الانسان ونقنعه بأن العلم الحديث لا يتناقض مع الايمان بل يؤازره ويسانده ويعضده» وأورد مثالا: بزهرة برية جميلة الشكل تنمو بالقرب من سطح الأرض، وهى كبيرة الحجم فمتوسط قطرها متر واحد.

وهذه الزهرة لا يتم تلقيحها إلا بواسطة الذباب، ولكي تجتذب الزهرة الذبابَ فإنها تُخْرِجُ رائحة تشبه تماما رائحة اللحم المتعفن وهى رائحة شديدة الجاذبية بالنسبة للذباب.

وأنا أسأل : هل اتفقت الزهرة والذبابة على التنسيق بينهما وتبادل المنفعة، فتتمتع الذبابة بالرائحة والغذاء الذى تحبه، وتستفيد الزهرة باللقاح الذى يضمن لها الديمومة والاستمرارية؟

وهل تفهم الزهرة وهى نبات لغة الذباب وهى حشرة؟.

إنه التنسيق الإلهي الذى أودعه الله فى خلقه - لا خلل ولا صدوع، والحمد والمنة للعزيز القائل: {وفي خلقكم وما يبثّ من دابة آيات لقوم يوقنون} (سورة الجاثية/٤).

(٢) طيور الصين:

فى الصين وجدوا أن الطيور أكلت جزءا ليس بالقليل من محاصيل الحبوب التى نشروها للتهوية والتجفيف في موسم الحصاد.. وتساءل المسئولون .. أما من وسيلة لحماية هذه المحاصيل من الطيور.. وتوفير كمية الحبوب التي تلتهمها الطيور؟ وكلف المسئولون وسائط الإعلام والاعلان بشحذ همم مواطنيها المزارعين للتصدى لهذه الطيور.. وبالفعل كان المزارعون يصرفون وقتا غير قليل في مطاردة الطيور بالتلويح فى الهواء بأقمشة ملونة بعد أن فشلت كل (خيالات المآتة) والشواخص الخشبية التي وضعوها على رؤوس الحقول فى إبعادها عن الأراضى الزراعية - حيث ألفتها الطيور ولم تعد تخشاها.

وأخيرا وجدوا الحل على يد عبقري جهبذ .. قدم للمسئولين فكرة تقضي على كل الطيور فى زمن لا يزيد عن ساعتين .. وأعجب المسئولون بالفكرة ووجدوا فيها ضالتهم.. بل كانت تحقق لهم أكثر مما أملوا .. فهذه الفكرة لن تكلفهم شيئا على الإطلاق.

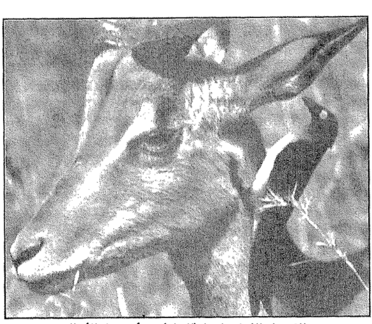
وتعتمد الفكرة على دعوة كل المواطنين فى طول البلاد وعرضها بالقيام في وقت واحد - فى ساعة حددها المسئولون وسط النهار لحمل جسمين من المعدن أو الخشب وطرقهما ببعضهما.

وفي ساعة الصفر التى حددت بدأ المواطنون بالطرق وأحدث ذلك جلبة وضوضاء شديدتين أزعجت الطيور وروعتها - ما كان طائرا منها وما كان فى الأعشاش، واستمر الطرق والضوضاء، واستمرت الطيور فى طيرانها منزعجة هلعة، وكانت أينما تتجه تجد الضوضاء، ولم تجد مكانا هادئا تحط فيه الى أن انهكت وانهارت وسقطت على الأرض بالآلاف..

وانتهت وخلت سماء الصين من كل أنواع الطيور.

وفي الموسم الزراعى التالي حرثت الأرض وبذرت البذور - ورويت الحقول، وتم كل ذلك بعناية شديدة - وفي انتظار النبتة الجديدة، وبزغت زروع تفتقت عنها البذور، لكنها عجفاء صفراء عديمة اليخضور.

وعكف العلماء والمختصون على دراسة الأسباب التى أدت إلى هذه الكارثة الزراعية وتوصلوا إلى أن الآفات والديدان كانت السبب المباشر والتى كانت



ـ طائر نقار الثيران يلتقط (القراد) من أذن وعل الأمبالا.

تقوم الطيور بتخليصهم منها أولا بأول.

ولنا أن نتصور حال الصين الواسعة السهول، الكثيرة الأنهار التى تزيد مساحتها عن تسعة ملايين ونصف المليون كيلومترا مربعا ـ والتي انتاجها الزراعى من الوفرة بحيث يواجه أفواه سكانها الذين يزيدون عن ألف مليون من البشر ـ لنا أن نتصور وضعها الاقتصادي عندما يتوقف انتاجها من زراعاتها التى توفرها لشعبها كل عام من القمح والذرة والأرز وقصب السكر والجاوراس والجوت والقطن والفول السوداني والسوجا والشاي.

وبالتبعية تتوقف المصانع التى تقوم بتصنيع ناتج هذه الزراعات.. وأفاق من دارت رؤوسهم بنشوى نصر زائف على الطيور.

فسبحان الله القائل .. {وما خلقنا السماء والأرض



- ولادات المها العربي في محازة الصيد.

وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا} (الجاثية/٢٧).

وعلينا أن نعي قول الحق سبحانه وتعالى: {إنَّا كلَّ شيء خلقناه بقدر} (القمر/٤٩).

(٣) الأمبالا ونقار الثيران:

الأمبالا وعل من جنس ايبيروس يعيش في المناطق الشرقية والغربية من قارة إفريقيا - جميل الشكل رشيق، لونه ضارب الى الحمرة فى الأجزاء العلوية منه، متدرج الى الأبيض في الأجزاء السفليه، للذكر قرون طويلة مقوسة تشبه القيثارة، يدافع بها عن نفسه وعن إناثه، وليس للإناث قرون وهي أقل حجما ووزنا من الذكور ويبلغ ارتفاعها حوالى المتر عند الكتف.

هذا الحيوان الجميل أصيب فجأة بمرض أدى الى نفوق أعداد كبيرة من قطعانه - وهرع المهتمون بالبيئة لمتابعة الحالة، فتبينوا أن حشرة القراد التى تتطفل على الحيوانات وتتغذى بامتصاص دمائها هى سبب هذا المرض والهزال.

وحاولوا مقاومة هذه الحشرة بالمبيدات بكل أنواعها، ولكن لم تفلح المحاولات في القضاء عليها. ولم يكن أمامهم سوى العودة الى العلاج الطبيعي الفطري - فاستحضروا الطائر الذي كان يملأ هذه المنطقة قبل استخدام المبيدات - وهذا الطائر واسمه «نقار الثيران» يعيش على التقاط الحشرات التى تعاني منها الوعول والظباء والثيران - وبعد فترة وجيزة عادت الحيوية وعادت الصحة لوعل الأمبالا الجميل، الذى كاد ينقرض بفعل اختلال الحياة الفطرية، وتغيير نظام البيئة، حيث كل شيء مسخر بأمر الخلاق العظيم، وجل من قائل {ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله} (النحل/٧٩).

المناطق المسموح بزيارتها:

من أهم المناطق التابعة للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها والمسموح بزيارتها - بعد



ـ غزال الأدمى في محمية الوعول بعد إعادة توطينه.

التنسيق مع الهيئة هي:

١ ـ *مركز الزوار للتوعية البيئية بمقر الهيئة بالرياض.*

٢ ـ *مركز الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية بالثمامة.*

٣ ـ *المركز الوطنى لابحاث الحياة الفطرية بالطائف.*

٤ ـ *مركز الأمير محمد السديري لأبحاث الغزال بالقصيم.*

٥ ـ *محمية محازة الصيد بمنطقة الطائف.*

٦ ـ *محمية الوعول بحوطة بنى تميم.*

٧ ـ *محمية الخنفة بالمنطقة الشمالية.*

٨ ـ *محمية حرة الحرة بالمنطقة الشمالية.*

٩ ـ *محمية الطبيق بالمنطقة الشمالية.*

١٠ ـ *محمية جزر فرسان بالبحر الأحمر.*

١١ ـ *محمية جزر أم القماري بالبحر الأحمر.*

١٢ ـ *محمية ريدة بمنطقة أبها.*

١٣ ـ *محمية عروض بنى معارض جنوب مدينة السليل.*

١٤ ـ *محمية مجامع الهضب شرق مدينة رنية.*

وتوفر الهيئة في الوقت الحالى فرصا للمجموعات الزائرة للمناطق المذكورة كما توفر المرشدين من باحثيها وجوالي المناطق المحمية وتجدر الاشارة الى أن الهيئة لا تسمح ـ في الوقت الحالي ـ بإقامة معسكرات التنزه والتخييم داخل حدود المناطق المحمية ـ كما أنها تمنع صيد الحيوانات ـ والطيور وأشكال الحياة الفطرية الأخرى على مدار العام. وتهيب الهيئة بزوارها بعدم رمي النفايات في تلك المناطق.

ولعلنا لا ننسى ما يقوله مسئولو السياحة لزوارهم دائما «لا تأخذوا إلا الصور ولا تتركوا إلا آثار أقدامكم».

وقد تأتي الفرصة التى نتحدث فيها عن السياحة البيئية في المملكة العربية السعودية.

نماذج من الجهالة في ك

أفكار مثيرة للجدل (٥ـ٨)

بقلم المفكر الاسلامي:
أ٠د٠ محمد عمارة

الدكتور نصر أبو زيد، يُدَرِّس «الإسلاميات» بقسم اللغة العربية ـ جامعة القاهرة ـ ومشروعه الفكري متخصص في الإسلاميات٠٠ فدراسته للماجستير كانت عن المعتزلة ـ الاتجاه العقلي في التفسير ـ ودراسته للدكتوراة كانت في التصوف ـ فلسفة التأويل عند ابن عربي ـ وأكبر كتبه حجما هو في علوم القرآن (مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن)٠٠ وله كتاب عن الشافعي ـ أحد أئمة الفقه وأصوله ـ وحتى القضايا البلاغية التي هي تخصصه الدقيق فإن مادة دراسته فيها وتدريسه لها هي الإسلاميات٠٠ وهو ككثير من الذين يستلهمون الماركسية والمنهج المادي في النظر والتفسير والتحليل ـ وكمعظم الشيوعيين العرب ـ بعد سقوط المشروع السياسي والاجتماعي للماركسية قد كرسوا جهدهم للكتابة في الإسلاميات أو عن الإسلاميين، كجزء من الجبهة العريضة التي تتصدى لنمو الظاهرة الاسلامية المعاصرة٠

وهذا الموقع الفكري للدكتور نصر، يجعل قارئه «يدهش» وأحيانا «يصدم» لقلة علمه بأمور لا يصح أن تغيب عن أستاذ متخصص في الإسلاميات وتيارات الفكر الاسلامي وتاريخ الإسلام٠٠ ويزيد من مخاطر قلة العلم هذه ـ في حال الدكتور نصر ـ الكثير من «النرجسية ـ والغرور» ، وأيضا «الاجتراء» الذي يوظف قلة العلم في قلب الحقائق وتضليل القراء!٠



ولما كان الإنسان منا ـ وكل إنسان ـ يكتشف اتساع مساحات جهله بقدر ما تزداد حصيلته من العلم!٠٠ فيذكر أبعاد قول العليم الخبير {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}[١] ، {وفوق كل ذي علم عليم}٠ فإن هذا الإنسان ـ أو هكذا يجب أن يكون ـ الذي يعرف تبعات الكلمة التي يخطها القلم ـ الذي يُضلّ كثيرا ويهدي كثيرا؟! لا يجادل بغير علم٠٠ **ففارق بين الخطأ الذي يردُ عرضا، لنقص في المعرفة وقلة في العلم، وبين مواطن الجدل والتدافع الفكري، وهي التي يجب أن يتثبت فيها المرء عندما يسوق «المعلومات»**

...ـــتابات نصر أبو زيد

لأنها براهينه وبيناته فى معارك الجدل وميادين التدافع التى تؤدى إلى اخطر النتائج، فضلا عن أن العيون والعقول تكون مفتوحة تدقق وتفحص هذه «المعلومات» .

لكن المدهش، أن الدكتور نصر يفاجيء قارئه بقلة العلم وكثرة الاجتراء، عندما يسوق «الأخطاء» فى معرض البرهنة والحجاج على آرائه التى يصارع بها خصوم هذه الآراء!.

وإذا كان استقصاء هذه السمة، فى مؤلفات وكتابات الدكتور نصر، هو مما يخرج هذه الصفحات عن آفاقها.. فإننا نكتفى بنماذج لقلة العلم، لا تليق بأستاذ متخصص فى دراسة وتدريس الإسلاميات.

١ ـ فى كتابه (مفهوم النص: دراسة فى علوم القرآن) وهو الذى ملأه ـ حتى تضخم ـ بنصوص العلماء الذين كتبوا فى أسباب النزول، يدهش المرء لقلة العلم والاجتراء على الحقيقة ـ وتوظيف ذلك فى «المغالبة الفكرية» وذلك عندما يقرأ قول الدكتور نصر: «إن الحقائق الأمبريقية المعطاة عن النص ـ (أى القرآن) ـ ***تؤكد أنه نزل منجما على بضع وعشرين سنة، وتؤكد أيضا أن كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص استوجب إنزالها، وأن الآيات التى نزلت ابتداء ـ أى دون علة خارجية ـ قليلة جدا»[٣].***

فهو يوهم قارئه أنه يصدر عن «حقائق إمبريقية» مستخلصة من دراسات واقعية وميدانية وتطبيقية وأن هذه الحقائق الامبريقية «تؤكد» أن كل آيات القرآن ـ إلا القليل جدا ـ قد روى لها سبب نزول.

فإذا رجعنا إلى تراث المسلمين فى أحاديث وروايات ومأثورات أسباب النزول، فسنجد أن الذين دققوا فى هذه الروايات، قد ثبت لديهم أن ما روى له أسباب نزول من آيات القران ـ البالغ عددها ٦٢٣٦ آية ـ لا يعدو ٤٧٢ آية ـ أى ٥ر٧٪ من آيات القرآن الكريم؟!.. أما الذين جمعوا كل روايات أسباب النزول، دون تدقيق، فلقد بلغت عندهم هذه الآيات ٨٨٨ آية ـ أى ١٤٪ من آيات القرآن ؟! ومعنى ذلك أن الحقائق الأمبريقية تؤكد على أن أكثر من ٩٠٪ من آيات القرآن قد نزلت ابتداء، ودون سبب نزول[٤]. فمن أين جاء الدكتور نصر بهذه «الحقائد الأمبريقية» التى جعلته يقلب الحقيقة كل هذا الانقلاب؟!.

٢ ـ يعرف كل قاريء لأي كتاب فى السيرة النبوية، وغزوات رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، أنه ـ فى غزوة بدر ـ قد أنزل جيشه فى موقع، فسأله الحباب بن المنذر ـ رضي الله عنه: يارسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلٌ أنْزَلكهُ الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟.

ـ فقال ، عليه السلام: «بل هو الرأى والحرب والمكيدة».

ـ فقال الحباب: يارسول الله إن هذا ليس لك بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ونغوِّر ما وراءه من القُلُب [الآبار] ثم نبنى عليه حوضا، فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون.

فاستحسن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذلك من رأى الحباب بن المنذر، وفعله[٥].

فالحوار والمشورة كانت حول مكانين عند ماء بدر - بين مكة والمدينة.. ولم تكن مفاضلة بين هذا المكان عند ماء بدر وبين حفر الخندق؟!.. ناهيك عن أن بدراً موقعة - حدثت سنة ٢هـ والخندق موقعة أخرى - حدثت سنة ٣هـ.

لكن علم الدكتور نصر أبو زيد يخلط مالا يختلط على عامة قراء السيرة والمغازي، عندما يتحدث عن «منزل الحرب الذى اقترحه الرسول بدلا من حفر الخندق»[٦]؟!

٣ - والدكتور نصر يخلط بين «الصحابة» وهم كل من ثبتت صحبته لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبين «ملأ قريش» - وهم رؤساء قريش وأشرافها - الذين لم يدخلوا الاسلام - فى معظمهم - إلا بعد فتح مكة - فيتحدث عن «سياسة الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذى حظر على الصحابة مغادرة المدينة أو الإقامة فى الأمصار خوفا عليهم أن تفتنهم الدنيا أو تشغلهم عن أمور الدين»[٧].

ولو رجع الدكتور نصر إلى الطبرى - وهو من مصادره - أو إلى (شرح نهج البلاغة) - الذى ينقل عن الطبرى - لوجد الحديث عن أن «عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج فى البلدان إلا بإذن وأجل»[٨].

فالصحابة على عهد عمر، كانت تتكون منهم الجيوش التى فتحت البلاد والأمصار.. بل إنهم هم الذين مصّروا الأمصار الإسلامية على عهد عمر، وأقاموا فيها.. والحجر لم يكن على الصحابة، وإنما كان على قلة من ملأ قريش - سادتها وأشرافها ورؤسائها - أولئك الذين خاف عليهم عمر أن تفتنهم الدنيا - وفى تعميم ذلك على الصحابة تعميم للغمز واللمز على هذا الجيل المؤسس للإسلام ودولته وحضارته.. فضلا الخطأ العلمى.. وقلة التدقيق!.

٤ - وتصل أخطاء الدكتور نصر - النابعة من قلة العلم - إلى حد قلب الحقائق من النقيض إلى النقيض.

فمعروف أن الدولة العباسية قامت كانقلاب على التيار العلوى فى الثورة ضد الأمويين.. فبعد أن كان الثائرون على بنى أمية - بمن فيهم العباسيون - قد بايعوا لإمام علوى هو النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن (٩٣ - ١٤٥هـ/ ٧١٢ - ٧٦٢م) بالخلافة - فى مكة - انقلب الفرع العباسى على الفرع العلوى، واغتال أبو مسلم الخراسانى (١٣٧هـ ٧٥٤م) الذى كان يلقب فى أثناء تلك الثورة بـ «أمين آل محمد» ممثل الفرع العلوى أبو سلمة حفص بن سليمان الهمدانى الخلال (١٣٢هـ/ ٧٥٠م) والذى كان يلقب بـ «وزير آل محمد».

وإذا كان أبو جعفر المنصور (٩٥ - ١٥٨هـ/ ٧١٤ - ٧٧٥م] هو المؤسس الحقيقى للدولة العباسية، فلقد أسسها فى صراع مسلح ضد ثورات العلويين، التى قادها النفس الزكية - فى المدينة (١٤٥هـ ٧٦٢م) وأخوه ابراهيم بن الحسن (٩٧ - ١٤٥هـ ٧١٦ - ٧٦٣م) فى البصرة وما حولها.. فى ذات التاريخ[٩]. وهى الثورات التى استمر العلويون يقودونها - بقيادات زيدية - ضد بنى العباس[١٠].

يقلب الدكتور نصر هذه الحقائق رأسا على عقب، وذلك عندما يقول: «ومن المعروف - [تأمل الثقة والجراءة)؟! ***أن الدولة العباسية تقاربت مع العلويين فى مرحلة نشأتها وتثبيت أركانها، وذلك على أساس الانتساب المشترك إلى***

«البيت النبوى»[١١].

٥ ـ وتصل أحقاد الدكتور نصر على الإمام الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ/ ٧٦٧ ـ ٧٢٠م) كراهة فى الوسطية الاسلامية إلى الحد الذى أوقعته فى أخطاء لا يقع فيها حتى عوام القراء!.

فالشافعى، الذى ولد بعد سقوط الدولة الأموية [سنة ١٣٢هـ] بما يقرب من عشرين عاما، يذهب الدكتور نصر حتى يدفعه بتهمة العصبية العرقية العربية والقرشية ـ إلى أنه «الفقيه الوحيد من فقهاء عصره الذى تعاون مع الأمويين مختارا راضيا.. على عكس موقف أستاذه مالك بن أنس (١٧٩هـ) الذى كان له من الأمويين موقف مشهور بسبب فتواه بفساد بيعة المكره وطلاقه. وموقف الإمام أبى حنيفة (١٥٠هـ) الرافض لأدنى صور التعاون معهم ـ رغم سجنه وتعذيبه ـ فلقد سعى الشافعى، على عكس سلفه أبى حنيفة وأستاذه مالك إلى العمل مع الأمويين[١٢].

ويدهش المرء ـ بل ويصدم لكمِّ الأخطاء فى هذا النص المعدود الكلمات؟!.

أ ـ فالشافعى (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ) ولد فى العصر العباسى.. وبعد ما يقرب من عشرين عاما على سقوط الأمويين (١٣٢هـ).

ب ـ وفتوى الإمام مالك (٩٣ ـ ١٧٩هـ ٧١٢ ـ ٧٩٥م) فى يمين المكره وبيعته، كانت هى الأخرى فى العصر العباسي، لا الأموى ـ كانت على عهد المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٣ ـ ٧٧٤م) وتحديدا إبّان ثورة النفس الزكية على المنصور (١٤٥هـ).

جـ ـ وكذلك اضطهاد أبى حنيفة (٨٠ ـ ١٥٠هـ/ ٦٩٩ ـ ٧٦٧م) وسجنه، كان هو الآخر فى العصر العباسى، وإبان ثورة النفس الزكية[١٣].

ويزيد الطين بلة، أن الدكتور نصر، عندما كشف بعض منتقديه عن بعض هذه الأخطاء، أخذته العزة بالإثم، فبدلا من الاعتراف بالخطأ و«كل بنى آدم خطاء، وخير الخطّائين التوابون» كما جاء فى الحديث الشريف[١٤] كتب يقول: إنه مجرد خطأ مطبعى «تحولت به كلمة (العلويين) إلى كلمة (الأمويين) فى صفحة كاملة.. وأن هذا الخطأ الطباعى مصحح فى ثبت التصويبات فى آخر الكتاب» فلا مبرر لهذه «الضجة الاعلامية الزائفة»[١٥].

وهذا الموقف، غير اللائق بأمانة العلم وعدالة العلماء، قد أضاف إلى أخطاء الدكتور نصر، فى هذا المقام، المزيد من الأخطاء:

د ـ فلو وضعت كلمة «العلويين» مكان كلمة «الأمويين» لما صح الكلام، بل لزاد الطين بلة.. فلم تكن هناك دولة «للعلويين» سعى الشافعى للعمل لديها فى ذلك التاريخ!

هـ ـ ثم إن الكتاب ليس فى آخره أى ثبت لتصويب الأخطاء؟!.. فعلى من يكذب الدكتور نصر.. وهل الكذب هو الحل، والطريق لتصويب الأخطاء؟!.

٦ ـ وحتى «يبرهن» الدكتور نصر على اتهامه للإمام الشافعى بالعصبية والتعصب للأيديولوجية العربية، والقرشية تحديدا.. ذهب فادّعى أن الشافعي قد أسرع بالهجرة من بغداد إلى مصر عندما انتصر المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م) على الأمين (١٧٠ ـ ١٩٨هـ/ ٧٨٧ ـ ٨١٣م) فانتصرت بذلك وسيطرت الشعوبية على بغداد.. فكانت هجرة الشافعى ـ المتعصب للقرشية العرقية ـ إلى

مـصـر، لأن واليـهـا، يومـئـذ كـان «قـرشـيـا هـاشميا»٠

يدّعى الدكتور نصر هذه الدعوى، فيقول: «ومما له دلالة فى هذا الصدد أن رحيل الشافعي الى مصر تلى استيلاء المأمون على السلطة بعد صراعه الدامى مع أخيه الأمين، وهو الصراع الذى وجدت فيه الشعوبية الثقافية والفكرية تعبيرها العسكرى٠ تولى المأمون السلطة سنة ١٩٨هـ ورحل الشافعى إلى مصر سنة ١٩٩هـ، وكان اختيار مصر بالذات لأن واليها فى ذلك الوقت كان قرشيا هاشميا»[١٦]٠

ويدهش المرء هنا أكثر وأكثر للكم الهائل من الأخطاء فى هذه العبارات المعدودة الكلمات!:

أ ـ فالشعوبية العسكرية كان قد سبق وقمعها المنصور العباسى، بقتل أبو مسلم الخراسانى (١٣٧هـ ٧٥٥م) أى قبل أكثر من ستين عاما من انتصار المأمون؟!٠

ب ـ والشعوبية الثقافية كان قد سبق وقمعها المهدى العباسى (١٥٨ ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٤ ـ ٧٨٦م) فى موجة قتله للزنادقة، الذين كانوا يريدون احياء مذاهب الفرس وثقافتهم!٠

جـ ـ والشعوبية السياسية كان قد سبق وقمعها الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٧ ـ ٨٠٩م) فيما عرف «بنكبة البرامكة» (١٨٧هـ ٨٠٣م) أي قبل انتصار المأمون بأكثر من عقد من الزمان!٠

د ـ والثقافة التى علت، ببغداد، عندما انتصر المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م)، كانت هى ثقافة الاعتزال٠٠ وهى ثقافة معادية للشعوبية٠٠ والمعبر عن موقفها من الشعوبية، فى ذلك التاريخ، هو الجاحظ (١٦٣ ـ ٢٥٥هـ/ ٧٨٠ ـ ٨٦٩م)، الذى يقول: «واعلم أنك لم تر قوما أشقى من هؤلاء الشعوبية، ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعرضه، ولا أطول نصبا، ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة ـ ولو عرفوا أخلاق كل ملة، وزى كل لغة، وعللهم فى اختلاف إشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهيئاتهم، وما علة كل شيء من ذلك؟ ولم اختلقوه؟ لأراحوا أنفسهم، ولحقت مؤونتهم على من خالطهم»[١٧]٠

هـ ـ ولو كانت للشافعي ميول علوية تدفعه لهجران بغداد العباسية، فليس انتصار المأمون ولا عهده هو المبرر لهذا الهجران، فالمأمون هو الخليفة العباسى الذى خالف أهل العصبية العباسية عندما تعاطف مع العلويين، حتى لقد بايع الإمام الرضا على بن موسى الكاظم (١٥٣ ـ ٢٠٣هـ/ ٧٧٠ ـ ٨١٨م) بولاية العهد، وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغير الزي من «سواد العباسيين، إلى «أخضر آل البيت»؟!٠

و ـ ثم ٠٠ إن كون والى مصر ـ الذى هاجر إليه الشافعى «قرشى هاشمى»، لا يميزه عن المأمون والعباسيين٠٠ فهم أيضا وجميعا «قرشيون هاشميون»؟!٠

ز ـ ورحيل الشافعى إلى مصر لم يكن فى سنة ١٩٨هـ كما يقول الدكتور نصر ـ وإنما كان فى نفس العام الذى تولى فيه المأمون الخلافة ـ فلقد تولى المأمون الخلافة فى المحرم سنة ١٩٨هـ٠٠ ووصل الشافعى إلى مصر فى ٢٨ شوال سنة ١٩٨هـ٠٠ وقبل أن تحدث ببغداد أية تغييرات ثقافية تستدعى نفور الشافعى منها وهجرته عنها!٠

ح ـ بل إن علو سلطان المعتزلة وإغضابهم خصومهم فى «محنة القول بخلق القرآن»، لم يحدث إلا فى العام الذى توفى فيه المأمون

(سنة ٢١٨هـ).. أي بعد رحيل الشافعي عن بغداد بأكثر من عشرين عاما!.

ط ـ وفوق كل ذلك، فالوالي الذي كان على مصر، إبان رحيل الشافعي إليها كان عباسيا ـ كالمأمون!.. فهو العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس!.. ولقد أناب عنه في حكم مصر ابنه عبد الله.

ى ـ ويضاعف من ركام الجهالة في هذه الدعوى كلها.. أن قدوم الشافعي الى مصر لم يكن هجرة ولا هجرانا، بل ولا مبادرة ذاتية منه.. لأن الوالي العباسي على مصر ـ عبد الله بن العباس بن موسى ـ هو الذي طلب من الشافعي أن يصحبه في الذهاب إلى مصر .. وبعبارة «أبو عمر محمد بن يوسف الكندي ـ المصري» وهو أبرز من أرخ للولاة والقضاة، فلقد «استصحب عبد الله بن العباس في مسيره الى مصر محمد بن إدريس الشافعي الفقيه.. فذلك سبب قدوم الشافعي إلى مصر»[١٨].

فأين هي أيديولوجية العصبية القرشية التي جعلت الشافعي يهجر بغداد العباسية إلى مصر الهاشمية القرشية؟!.. إنها عشرة أخطاء قاتلة جمعتها كراهية الدكتور نصر للإمام الشافعي، في عبارات معدودة الكلمات!.

تلك نماذج ـ مجرد نماذج ـ على قلة العلم .. مع الجراءة على الحقيقة.. وتوظيفهما في الغلبة للباطل، في صلب المعارف والعلوم التي يدرسها الدكتور نصر لطلابه، ويزيّف بها وعي القراء!.. ***وصدق الله العظيم [وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا. فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم، إن ربّك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى][١٩]***.

الهوامش:

(١) الإسراء/ ٨٥.

(٢) يوسف/ ٧٦.

(٣) (مفهوم النص) ص ١٠٩.

(٤) انظر: السيوطي (أسباب النزول) طبعة القاهرة ١٣٨٢هـ. والواحدي (أسباب النزول) تحقيق: السيد أحمد صقر. طبعة القاهرة ١٩٦٩م، وانظر الجدول الذي أحصينا فيه الآيات التي لها سبب نزول، بكتابنا (سقوط الغلو العلماني) ص ٢٥٦ ـ ٢٦١. طبعة القاهرة ١٩٩٥م.

(٥) ابن عبد البر (الدرر في اختصار المغازي والسير) ص ١١٣، تحقيق: د. شوقي ضيف. طبعة القاهرة ١٩٦٦م.

(٦) التفكير في زمن التكفير ص ١٤٣، طبعة القاهرة ١٩٩٥م.

(٧) (الاتجاه العقلي في التفسير) ص١٢، طبعة بيروت ١٩٩٣م.

(٨) ابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة) جـ ١١ ص ١٢، ١٣. طبعة الحلبي . القاهرة.

(٩) (تاريخ الطبري) جـ ٧ أحداث ١٤٥هـ. طبعة دار المعارف، القاهرة.

(١٠) د. محمد عمارة (تيارات الفكر الإسلامي) ص ١١٦، ١١٧ طبعة القاهرة ١٩٩١م.

(١١) (التفكير في زمن التكفير) ص ١٧٢.

(١٢) (الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) ص ١٦ ، ١٧، طبعة القاهرة ١٩٩٢م.

(١٣) انظر (تاريخ الطبري) جـ ٧ ص ٥٦٠ طبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م، و(دائرة المعارف الاسلامية) مادة «أبو حنيفة» طبعة القاهرة ـ العربية .. الثانية.

(١٤) رواه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد.

(١٥) (التفكير في زمن التكفير) ص ١٧١.

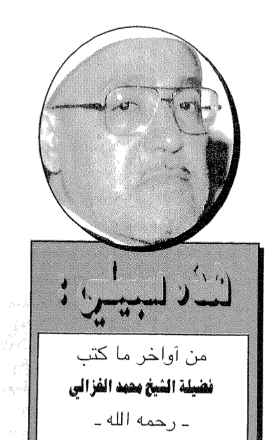
(١٦) (الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) ص ١٦ ، ١٧.

(١٧) (البيان والتبيين) جـ ٣ ص ٤٠٥، ٤٠٦ طبعة بيروت ١٩٦٨م.

(١٨) الكندي ـ المصري (كتاب الولاة والقضاة) ص ١٥٣، ١٥٤، تحقيق: رفن كست. طبعة بيروت سنة ١٩٠٨م. وأمين سامي باشا [تقويم النيل] الجزء الأول. ص ٣٨، ٣٩. طبعة القاهرة ١٩١٦م.

(١٩) النجم / ٢٨ ـ ٣٠.

الاسلام والثقـ



لعل الفتوح الإسلامية كانت أسرع الفتوح في تاريخ العالم وأبعدها أثراً. ففي خلال عشرين سنة بعد وفاة صاحب الرسالة الخاتمة ـ عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم ـ كانت أركان الدول الكبرى تنهار. وكان الاستعمار العالمي يتقلص كما تتقلص الظلمات أمام مطالع النهار.. فقد الرومان أملاكهم في إفريقية وآسيا، وتحررت شعوب احتبست قروناً داخل مصيدة محكمة من البطش.

نعم. تحرر في الشمال الأفريقي ما يسمى الآن مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب، وتحرر من آسيا فلسطين وسوريا والأناضول، وحاول الفاتحون تحرير القسطنطينية فعجزوا، ولكنهم حرروا جزر البحر المتوسط تقريباً. وكان جناحهم الشرقي في آسيا قد محا دولة الأكاسرة ووصل شمالا إلى جنوب روسيا، وأوغل في الشرق حتى أخذ أقطاراً من الهند والصين.

إن الدولة الإسلامية الأولى تكونت في زمن خارق للعادات في قصره، وأقامت عقيدة لا تزيدها الأيام إلا قدرة على البقاء ومقاومة الأحداث. ويرجع ذلك فيما أرى إلى أمرين:

الأول:

حاجة العالم إلى تعاليم الإسلام، واقتناعه بها، ورضاه عنها عندما بلغته، حتى إن أبناء البلاد المفتوحة سابقوا العرب إلى فقه الإسلام ونشره، وصاروا أئمة للأمصار الكبرى تثق الجماهير بهم وتصدر عنهم.

الثاني:

أن أصحاب محمد {صلى الله عليه وسلم} قدموا الرسالة للناس علماً ذكياً وثقافة أصيلة.

والإسلام من ينبوعه الأول علم ينير العقول ويمحو الأهواء. لذلك قال الله لنبيه {ولئن

...ـافة العربية في عالمنا الجديد

** القرآن الكريم، كون مسطور يضارع الكون المنظور في تفتيق العقول وتجلية الفطرة.

اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير}.ويكرر هذا المعنى، فيقول في سورة أخرى {ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق}.

إن الإسلام علم واسع الدوائر، وقرآنه الكريم كون مسطور يضارع الكون المنظور في تفتيق العقول وتجلية الفطرة. ولولا ما في آيات القرآن من هدى ونور ما قامت أزهى حضارة في التاريخ!

** الفتوح الإسلامية كانت أسرع الفتوح في تاريخ العالم وأبعدها أثراً.

إنني أرمق الأوج الذي ينقل القرآن الناس إليه في كل مجال فاردد قوله تعالى {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة}.

ثم أشعر بالأسى للأمية الثقافية التي لفت جماهيرنا في أكفانها. وجعلتهم في هذا العصر آخر الأمم وأنزلها رتبة.

نعم هناك أشرطة حية تحفظ القرآن حرفاً حرفاً ولا تعي منه ما يرفع رأسا. وهناك عشرات الدول تنتمي إلى الإسلام تذكرنا بتغلب وحمير وطسم وجديس.

ماذا حدث؟ إن الإسلام الذي سُمّي في وحي الله علما أمسى أهله سواد الأميين في العالم..!! تذكرت الأيام الأولى من عمري عندما كنت أحفظ القرآن الكريم - من سبعين سنة مضت.

كنا نتعلم «الحساب» في كتاب تضمن القواعد الأربع مترجم عن الإنجليزية ألّفه مستر «تويدى»..
قواعد الجمع والطرح والضرب والقسمة نأخذها عن خواجة؟ إن آباءنا وضعوا طائفة من النظريات الهندسية، وبرعوا في حساب المثلثات والمربعات فما الذي عرانا؟

إن هذا القرآن يبني الإيمان بالله على التأمل في الكون ويقول {حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون}.

عناصر الكون ومظاهره هي مصادر الإيمان واليقين، فما يصنع مكفوف لا يرى آية؟ وما

تكون معرفته لله؟ وهل المعرفة المزعزعة تضبط شهوة أو تحكم سلوكا؟ أو تقتحم عقبة؟ أو تدفع إلى مكرمة؟.

لقد بدأت بذكر المعرفة الكونية لأنها من شئون الدنيا التي نستوى فيها مع غيرنا والتى قيل لنا فيها أنتم أعلم بشئون دنياكم! ابتدع ما شئت! واكتشف ما استطعت! لا قيد ولا حظر.

إن غيرنا سبق سبقاً بعيداً وبرز في كل ميدان، وساند عقائده بما استطاع، فانطلق الباطل في ساحات الحياة مدرعاً بالحديد. والتقينا به، ونحن نحمل مواريث الوحي، وأيدينا عزلاء وأجسادنا عارية. فلما عدنا كانت هزائمنا مضاعفة لفراغ اليد والعقل والفؤاد!!

والألوف المؤلفة من مسلمي العالم يعيشون أتباعاً مغموصين لأنهم يشترون أجهزتهم المدنية والعسكرية من خصوم العقيدة وكارهي الوحي!! وينتظرون من الباعة أن يعلموهم ماذا يصنعون بهذه الأجهزه وكيف يستخدمونها؟

أما ثقافتنا الإسلامية التى استبحرت في القرون الأولى فقد رأيت تأليف كتاب فيها سميته تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل. والكتاب على وجازته يلقي ضوءاً على موضوعه قد يحتاج إلى زيادة.

ان عندنا مدرسة الفقه والتشريع، ومدرسة التربية والأخلاق، ومدرسة العقائد والمتكلمين، ومدرسة التفسير والحديث، وفنون الآداب من شعر ونثر.

وقد تعرضت هذه المدارس للمد والجزر، والغزارة والضحالة، ووضعها الآن يثير الدهشة، فالأدب مثلا كان في الجاهلية والإسلام شيئا له وزن وقيمة. وقد ظل ينحدر حتى فقد وزنه، ثم فقد قيمته، ونحن الآن نقرأ شيئا اسمه الشعر المنثور يمثل مرحلة من القول أدنى إلى المجون منها الى الرشد، وفي تسميته أدباً تجوز كبير..!!

مع طول العمر وكثرة التجارب يستحكم العقل ونهتدى إلى الصواب وإذا كان ذلك مأنوساً في الأفراد فيجب أن يكون مألوفاً بين الجماعات والأمم!

ونحن المسلمين نحمل رسالتنا من زمن طويل، إننا الآن في القرن الخامس عشر من تاريخ الإسلام. ذقنا مع ديننا الحلو والمر، والهزيمة والنصر، والامتداد والانكماش. فهل تعلمنا شيئا مما أصابنا؟ وهل استفدنا من التجارب حكمة تصقل أحكامنا وتضبط خطانا؟ المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وربما قلَّتْ استفادة المنافق من الأحداث كما قال تعالى {أو لا يرون أنهم يُفْتَنُون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يَذَّكرون}.

في عالمنا اليوم عشرات الدول تنتمي للإسلام ظاهراً ، تذكرنا بتغلب وعبس وذبيان وجديس.

ولست أتساءل الآن عن مدى اعتبارنا من سقوط الخلافة العباسية في بغداد أو سقوط الخلافة العثمانية في الآستانه، أو ضياع الإسلام كله في الأندلس ثم بدء الانسحاب من أقطار أوروبا الأخرى!! مع أن هذا التساؤل مطلوب وتجاهله جريمة، إنما أتساءل عن المدارس العلمية المختلفة في الفكر الإسلامي، ماذا حدث لها؟ وأين حطت عصا الترحال؟

ولأبدأ بمدرسة التربية والأخلاق التى

** النطق الباطل في ساحات الحياة مدوناً بالعدين..
ونحن أهل الوحي ارواحنا وأجسادنا عارية.

اشتبكت في تاريخنا العلمي بنزعة التصوف وفلسفته. يجب فض الاشتباك السيء في هذا المجال، وتنشئة أجيال أزكى نفوساً من المسلمين المعاصرين، لا تفصل بين الإيمان والخلق، ولا بين العبادة والخلق. إن الذي شاق الخوارج قديماً وحديثاً ضعف أخلاقهم وهم يعاملون الناس، واستباحتهم المجنونة للدماء والأموال من أجل فكرة غلبت عليهم أو وجهة ساروا إليها. إنهم لا يتواضعون لله، ولا يهضمون أنفسهم لأمر ذى بال.

أعجبني ابن القيم وهو يحاور كبير الصوفية في عصره فيقول متواضعاً:

«إذا كنت قد عرفت شيئاً لم يعرفه الشيخ الكبير فأنا كالهدهد الذي قال لسليمان «أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين» والهدهد هو الهدهد، وسليمان هو سليمان!.

ومضى الرجل في كتابه يعارض حيناً ويؤيد حيناً، وكأنه الشافعي الذي قال: ما جادلت أحداً إلا تمنيت أن يكون الحق إلى جانبه!.

أين هذا الخلق من أشخاص مسعورين همهم الأول تحقير الخصوم والنيل منهم. فإذا جادلوا عن رأي لهم تقمصهم حب الإنتصار، وإثبات الشخصية، والزهو بين الناس!.

إن محنة التربية هائلة في العالم الإسلامي سواء في الأخلاق الربانية أو الأخلاق الإنسانية. الإخلاص لله قليل والصدق مع الناس قليل، والمفروض أن نكون وراء نبينا نتمم مكارم الأخلاق.

لا قيمة لأشكال العبادات إذا لم يكن وراءها مهاد من تقوى القلوب، والدين قبل كل شيء زكاة في النفس، وصفاء في الروح، وميل إلى العطاء لا الأخذ، وإلى السلام لا الخصام.

ولأمر ما علّمنا نبينا أن أول ثلاثة تسعر بهم النار هم المراءون بالعلم والجهاد والصدقة. إن المرائي يرى نفسه ولا يرى ربه، إنه مشغول بجاهه ومكانته قبل كل شيء!! وإذا عجز الدين عن كبت الغرائز السوء ومحوها فإن تطبيقه في الحياة لن يكون إلا تنفيساً عن هذه الغرائز ولو أخذ صورة العبادة!.

** فناصر السكون ومظاهره مصادر الإيمان واليقين.

وقد راقبت حركة إسلامية فشلت في بلوغ غاياتها، كانت تضم صالحين كثيرين. ولكن بينهم عصابة ترى أن تحكم هي بما أنزل الله، وترفض أن يحكم غيرها.. إن حب الرياسة خالطها وهيمن على خططها وبواعثها فنشأت عن ذلك فتن هائلة.. والله وعد بالتمكين من هدفهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قبل أن يكون هدفهم تولي منصب ما.

إن الأخلاق بقسميها الربانى والإنساني هي

الإسلام الحق. يقول على بن أبى طالب: «أيها الناس إني سمعت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقول: يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن، ليست قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

والأجهزة الإدارية في العالم الإسلامي مصابة بمن يعبدون مناصبهم ويستغلونها لمصالحهم ولا يعرفون أنها أمانات يسألون عنها يوم الحساب.

وعلم القلوب الذى يسمى الآن علم التصوف لا يدرى شيئاً عن علل الأمة، بل هو تائه وسط أفكار وفلسفات سقيمة. ثم هو بين العوام رقص تهتز به الأبدان، وتموت فيه العقول والأفئدة. وأذكر أني في صباي قرأت كتاباً يتتبع الأمانة في مسالك الناس. وأظن المؤلف أمريكياً. فاستغربت أنه قرب الفضيلة من الأذهان، وكان عملياً واضحاً في إثبات السلوك الشريف ومحو السلوك الخائن.

قلت ما أحوجنا إلى مثل هذا التأليف في ميدان التربية، حتى يكثر الأمناء بيننا!.

إن نبينا عليه الصلاة والسلام خلّف لنا ميراثاً ضخماً يدفع الناس دفعاً في طريق الكمال، ويصحبهم في مراحل الطريق بالتوعية والتذكير حتى لا تزل قدم أو تعرض ريبة.

ما أحوجنا إلى هذا الميراث ونحن نواجه حضارة ذكية شريرة مغرورة.

أظن كتب الفقه الإسلامي تبلغ نصف المكتبة الإسلامية. فإن اشتغال المسلمين بالفقه غلب على ثقافتهم وتغلغل بين عامتهم وخاصتهم. وإن لاحظنا بحزن أن الاهتمام بالفروع الصغيرة غلب على العبادة والمعاملات.

أما الفقه الإداري والإقتصادي والسياسي فإن البحوث فيه قليلة، ولعل بعضها كان مقلقا!! وقد كتب تلميذا أبى حنيفة في هذه الشؤون - أبو يوسف ومحمد بن الحسن - ألّف الأول في الخراج أو الضرائب، وألّف الثاني في الشئون الدولية. والميدان فسيح ليقول الفقه الإسلامي كلمته في نظم الحكم، وقضايا المال، وأطوار أخرى جدت في أنواع المعاملات.. والطريقة التي درسنا بها الفقه في صبانا الباكر ونحن في المرحلة الابتدائية بالأزهر جديرة بالتنويه. فقد كنت حنفي المذهب كما أراد أبي، وكان زملائي بين شافعية ومالكية، أما الحنابلة فقليلون. وكنا نتبادل الخلاف الفقهي ونحن نتضاحك! يقول المالكي: الشك ينقض الوضوء.

** تضاعفت هزائمنا لفراغ البيت والعقل والفؤاد.

وأقول: لا ينقضه.

أو يقول: المفطر ناسيا يقضي يومه، وأقول: لا يقضيه!.

ويقول الشافعي: لمس المرأة ينقض الوضوء. وأقول: لا ينقضه.

أو يقول: ينبغي رفع اليدين قبل الركوع وبعده، وأقول: لا يرفع إلا عند تكبيرة الإحرام! ومع هذا الاختلاف المتبادل كنا زملاء متحابين نؤلف المظاهرات ضد الاحتلال الانكليزي ونتعاون في مصالح شتى. وما فكرنا قط أن يكون هذا الاختلاف مثار خصام أو عدوان.

ويظهر أن بعض البيئات في العالم الإسلامي درست فقه الفروع على أسلوب آخر زرع الجفاء والفرقة بين المسلمين.

وأذكر أنى مكثت في الجزائر بضع سنين أصلي وراء أئمتها وهم مالكية دون حرج. وفي يوم ما جاءنا حنبلى زائراً، وصلى معنا وكان يجاورني في الصف فرأيته مضطربا غضبان يوشك أن يعيد صلاته، وأن يأمرنا بإعادة الصلاة.

قلت له: ما بك؟

قال: أرأيت هذا الإمام يكبر ثم يقول مباشرة: الحمد لله رب العالمين؟

قلت له: الإمام مالك لم يثبت عنده حديث الاستفتاح، ولم يثبت عنده أن يستعيذ المصلي.. وليست البسملة جزءا من الفاتحة، وله رأيه ولك مذهبك.

ألم تقرأ كتاب ابن تيمية «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»؟ هذا تنوع وليس اختلاف تضاد. والمرويات الواردة تُنْسب إلى الرسول {صلى الله عليه وسلم} هذا وذاك من الأقوال. فاسكت ولا تحدث بين الناس فتنة. والواقع أنى أكرهت الرجل على الصمت. وأحسبه لم يصل معنا بعد هذا اليوم..

لقائل أن يقول: ما هؤلاء الأئمة الذين ذكرت أسماءهم وربطتنا بهم؟ إننا نمضى بعيداً عنهم وما نحب أن نعرج عليهم. وأجيب. لك ذلك إذا شئت، والمهم أن تكون ماهراً في القرآن، خبيراً بالسنن، ضليعاً في اللغة، ألمعيا في الذكاء، مستغنياً عن تجارب الآخرين.

إن هؤلاء الأئمة سبقوا في دراسة الكتاب والسنة. ولم يجيء أحد منهم بشيء من عند نفسه. وقد عُرفوا بالعلم والتقوى وخدموا الإسلام جهدهم ولم يجمعوا الناس حولهم بالعصيّ أو بالأعطية. إنهم مدارس مجتهدة، تخطيء وتصيب، وهم جميعاً مع مالك في قولته المشهورة: كل امرىء يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا المقام. يعني رسول الله {صلى الله عليه وسلم}. وأشهد أنهم قمم شوامخ في فقه الإسلام. وفي التجرد لله وازدراء العاجلة. وما رأيت أهل علم زهدوا في تراثهم، أو زعم لأحدهم العصمة. وعلى أي حال فقانون الاجتهاد أن من أصاب له أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد.

«ما جادلت أحداً إلا تمنيت أن يكون الحق إلى جانبه» الإمام الشافعي.

ورأيي أن باب الاجتهاد مفتوح، ولكن يستحيل أن نأذن لكل إنسان بولوجه. لابد من رسوخ في العلم، ورسوخ في التقوى «وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم»، وميدان الفقه تعمل فيه شعبتان: أصحاب الرأي، وأصحاب الأثر. وليس معنى

الرأي الهوى، وليس معنى أصحاب الأثر أن من المسلمين من يترك نصاً وارداً. وإن الطبائع العقلية للبشر مختلفة، فقد يفهم واحد من النص مالا يفهمه غيره. وتدبره حال الصحابة في تنفيذ قول الرسول «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة».

وتدبر حال داود وسليمان حين اختلفا في عقوبة من ترك قطيعه يفسد الحرث.. «ففهمناها سليمان، وكلا آتينا حُكْما وعلما».

إن الخلاف واسع بين أهل الرأي وأهل الأثر في قضايا كثيرة، بعضها في العبادات وبعضها في المعاملات، لكن ما قيمة هذا الخلاف؟.

إنه في بعض الفروع والتفاصيل، وما يجوز أبداً أن يفسد وداً، أو يوقع خصاماً، الأساس الذي نحرص عليه هو العقائد والاخلاق، إنني أميل إلى مدرسة الرأي مع احترامي لأحمد بن حنبل وتقديرى لصلابته وتقواه.. وأشعر أحياناً بأن الخلاف - في الفروع والتفاصيل - جزء من المجتمع الواحد ففي الولايات المتحدة حزب للديمقراطيين وآخر للجمهوريين، إنهما متفقان في الولاء لدولتهم والانتصار لها عالميا، ومع ذلك فالجدال بينهما مستمر في شئون شتى.

فلماذا يتطير البعض من الخلاف الفقهى عندنا وينادي بالويل والثبور وعظائم الأمور؟ أفدت من تجارب كثيرة أن درساً في الطب أو الفلك أجدى على الإيمان من حوار فلسفي طويل. وذلك نهج القرآن الكريم. فإنه يكشف عن الحق برؤية آيات الله في الأنفس والآفاق.

{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد}؟.

بعد ساعة من تناولي الطعام أقول لنفسي بدأ العمل في إخراج الحي من الميت والميت من الحيّ.

كيف؟ إن الطعام - وكان من مادة جامدة - أخذ يتحول داخل جسمي إلى دماء فيها الكرات البيضاء والحمراء، وإلى اشعار وأظافر، وإلى عظام ولحوم شتى.

*** المرائي يرى نفسه ولا يرى ربه.**

فلحم الكبد غير لحم الرئتين غير لحم المخ! وللخلايا خصائص وراثية وطارئة ، وللغدد وظائف تقوم بها، ونحن لا ندري. والروح الذي يتخلل هذه المادة ويجعلها خلقاً آخر، ينبعث من الحيّ القيوم. ليس لدي وحدي، بل في ألوف مؤلفة من الأحياء.

ثم يطرد هذا البدن ما لا يستفيد منه ليتحول في بطن الأرض شيئا آخر. قد يصير سنابل حافلة بالحبوب، أو نخيلا مرصعة الصدر بالطلع النضيد، أو كروماً يتدلى منها العنب عناقيد كثريّات الذهب!!

أ أنا أو أنت وراء هذا التحول؟ أم رب الأرباب؟

لو كان لأوامر الله - وراء كل خلق - صوت يسمع، لصمّت الآذان من كثرة الأوامر

**** الجدل اليوم تقمصه حب الانتصار واثبات الشخصية.**

بالإنشاء والتكوين.

ما أجمل الله، وأحلى صنعه! أحيانا أردد هذا الغناء:

يا غائباً لا يغيب

أنت البعيد القريب!

مهما تغب من عيوني

فأنت أنت الحبيب!

إن الإسلام فطرة سليمة، وعقل سوي، وصراط مستقيم، وهو طبيعة العلاقة بين مادة الكون وبارئها الأعلى.

ولذلك اتجه الوحي إلى محمد [صلى الله عليه وسلم] بهذه الآية { قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء} وقوله {أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون}.

ليس في العالم إله آخر! أين هو؟ وماذا يصنع؟

إن الشرك وهمٌ لمغفل كبير، أو حلم لنائم منفوخ البطن مُسهد المضجع! ومع ذلك فالجاهلون بالله كثيرون. ويخيل إلي أن جريرتهم بقدر ما تعود إلى غبائهم تعود إلى تفريط المسلمين في خدمة الحق وفتنة الناس عنه والعجز المستغرب عن اقتياد التائهين إليه.. ليس بين المسلمين خلاف في العقائد، فهم مجمعون على أن الله واحد، حقيق بكل كمال وأن لقاءه حق {ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى}.

وقد تسللت إلى العقائد المقررة أفهام وأوهام من صنع الناس لا يعرفها القرآن الكريم ولا يقرها. وحسبنا كلام الله..

خذ مثلا:

مبحث الصفات الإلهية: أهي عين الذات أم غير الذات أم لا عين ولا غير؟ وهذا تساؤل سمج يجب دفنه ومنع اللغط فيه.

خذ مثلا:

أعمال الناس أهي من خلقهم أم من كسبهم وهل هم مخيرون أم مجبورون؟ وهذه أسئله بالغة السخف والمشتغلون بها هاربون من مستشفيات المجانين، ومن قال لا عقل لي ولا إرادة فعلاجه العصا!

**** حضارة الغرب، ذكية شريرة مغرورة.**

وفي مباحث العقائد هل البعث للأجساد الأولى أم لأجساد مماثلة؟

وهذا كلام ولدته البطالة ولا قيمة له!

لعل أفضل ما يغرس الإيمان الحق هو منهج القرآن نفسه، وقد قرأت في مؤلفات العصر الحاضر كتاب «العلم يدعو الى الإيمان» وكتاب «الله يتجلى في عصر العلم» ولو طُعِّم هذان الكتابان ببعض الآيات القرآنية لكانا أفضل من كتب كثيرة عندنا ألفت في العقائد.

وقد سألنى أحد الناس هل في القرآن مجاز؟

فقلت له كيف تفسر قوله تعالى {إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم

** القوميات جعلت الإيمان ضيفاً ثقيلا ينتظَر منه الرحيل.

مـقـمـحـون وجعلنا من بين أيديهم سـداً ومن خلفهم سدا فـأغشيناهم فـهم لا يبصـرون} هل السدود هنا سد أسوان وسد الفرات؟!

إن المجاز موجود في لغـة العرب وفي لغات الناس الأخـرى، ومـع ذلك فـمـا دخل هـذا فى العقائد؟

قـال: هناك من ينكر بعض آيات الصـفـات ويتكلف تأويلها.

قلت: هناك مرويات تتصل بذات الله تعالى لا يليق بالعقل البشرى أن يحاول معرفة كنهها، إن البـحث وراء المادة ليس من وظيفة العقل البشري.

وهناك مرويات يستحيل تركها على ظاهرها ولابد من تأويلها مثل «مرضت فلم تعدني» و«كنت سمعه الذي يسمع به ورجله التي يمشي بها».

ومع ذلك فـمـا معنى اشـتـغـال الدهـمـاء بهـذه المرويات وعكوفـهـم على ترديدها؟

هذه بطالة مقنعة وتسكع في طريق الحياة لا مساغ له.. إن سلفنا الأول كان سليم الفطرة، خالص النية، لزم الجد في الأمور، فحكم الدنيا بدينه. ولو اهتم بهـوامش العـقـيـدة التي افتريناها ما أحرز نصراً ولا فتح بلدا.

عندمـا شـرَّف الله العـرب بحمل الرسـالة الخاتمة، حذرهم الفرقة وأوصاهم بالجماعة، وقال لهم كما قال لمن قبلهم {أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه}.

وقد ظلت الثقافة الإسلامية طوال ألف عام أو يزيد توفر للأمة عناصر الوحدة وتجعلها أمام عدوها جبهة واحده.

لا الفقه المذهبي، ولا هوامش العقيدة، ولا الأخطاء السياسية الفاحشة، أفلحت في تقطيع الأمة الإسلامية وتمكين أعدائها منها حتى ظهرت بدعة القوميات في العصور الحديثة، وانتقلت جرثومتها إلى أرضنا. فإذا هى بلاء يهدد الحاضر والمستقبل. وكان ظهور «القومية الطورانية» فى تركيا أول الغدر بأمتنا الكبيرة، وأول زلزال يصدع بناء الخلافه المعتلة!

** الخلاف النبيل لا يولد جفاء ولا فرقة.

واليهود نقلوا هذه الجرثومة إلى تركيا انتقاماً من السلطان عبد الحميد الذي رفض باسم الإسلام أن يستوطنوا فلسطين. ومع أنهم أغروه بالمال - وكان إليه محتاجاً - فقد أبى، ومع أن أوروبا كانت تظاهرهم فقد شعر الرجل المؤمن بأن تسلل اليهود إلى فلسطين تمهيد لضرب الإسلام نفسه في أوطانه كلها.. فماذا يفعل اليهود؟

لجأوا إلى الغزو الثقافى، واستعانوا بقوى خفية وأخرى جلية على إنشاء «جمعية الاتحاد والترقي» ونشروا مبادئها القومية بين ضباط الجيش. فقامت ثورة أودت بالخليفة، وكان رد الفعل نشوء القومية العربية التى ظاهرت

الحلفاء في الحرب العالمية الأولى حتى انتصروا وتمخضت هذه الفتن الهائلة عن سقوط الخلافة الإسلامية في العالم.

وتتابع الانهيار حتى قامت ثورات مشابهة للثورة الكمالية استغنت بالقومية عن العقيدة، وجعلت الإيمان - إلى حين - ضيفاً ثقيلا ينتظر منه الرحيل!

إن جماهير المسلمين لا تتنازل عن دينها، ولا تعدل بجامعته شيئاً. والذي حدث أن الاستعمار العالمي أول ما نزل ببلادنا ألغى الشريعة واستبدل أحكامه الوضعية بأحكامها السماوية! ثم وضع خططا بعيدة المدى للإجهاز على بقايا الإسلام من أخلاق وعبادات وتقاليد. واستعان على بلوغ أغراضه بنفر من الطامعين والمنحلين. وهو يتربص بنا الدوائر وينتظر مع مرور الزمن أن يمحو الإسلام كله من على ظهر الأرض!

والحرب بيننا وبينه سجال وهي حرب رحبة الميادين، وأسلحتها لا حصر لها.. لقد استطاع أبو بكر أن يهزم أعداء الله فى أول قتال مع المرتدين، فهل يستطيع رجالات الإسلام فى القرن الخامس عشر للهجرة أن يستعيدوا شرائع الإسلام التي عطلت؟ وأن يمحوا العبادات المهددة بالزوال، وأن يستبقوا المعروف معروفاً والمنكر منكرا؟ إذا انهزمنا في هذه المعركة فلن يبقى على ظهر الأرض مؤمن.

شبكات التنوير فى تعاليم الإسلام ترسل أشعتها على جبهات عريضة ومسافات بعيدة لأن الوحي النازل على محمد {صلى الله عليه وسلم} جامع مانع كما قال تعالى {وَنَزَّلْنَا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء}. وعندما يكون الدواء مركباً من سبعين عنصراً، فإنه لا يحصل الشفاء الكامل إذا نقصت منه بضعة عناصر، بل قد يوصف الدواء - والحالة هذه - بأنه مغشوش، ولعل ذلك ما بينه الرسول الكريم في قوله: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

إن هذه الشُعب تتناول شئون الحياة جميعا، فالإسلام ينظم شئون البيت والشارع والمدرسة والديوان، وعلاقات المرء مع نفسه والآخرين، وواجباته في الحرب والسلم وضوابط المعاملات الاقتصادية الرحبة. وهو يعتبر الإنسانية رحماً عامة توصل بالتعارف والخلق، كما توصل الرحم الخاصة بالتزاور والعطاء.

**** البحث وراء المادة ليس وظيفة العقل البشري.**

وفي الكتاب المبين والسنن الشارحة ما يوضح جوهر هذه الرسالة العالمية الخاتمة والمفروض أن يعرف المسلمون رسالتهم كما نزلت إليهم وأن يبينوا للناس كافة، وأن يكونوا في حياتهم الداخلية صورة حسنة لها، وإذا وقع قصور في الفهم أو التقصير في البلاغ فهم مسئولون عن ذلك في الدنيا والآخرة. ولست هنا أسائل نفسي وقومي عما كان وما نزل بنا فى هذه الأيام النحسات، فإن أيام المدّ ذهبت وأعقبها جزر مزعج. وعلى قدر السعة في ثقافتنا الإسلامية كان الغزو العلمي والمدني الذي تعرضنا له!

كان اقتحام اخلاقنا يتم في وقت واحد مع اقتحام حدودنا، وإنني لأدرس المسرحيات التي تعرض من خلال وسائل الإعلام المختلفة، فأشعر أنها تبدّل ثيابنا الداخلية والخارجية كما تبدل في الوقت نفسه أحكامنا على الأمور وتصورنا للحاضر والمستقبل!

إن سقوط بغداد وقرطبة أقل في نظري من سقوط أحكام العبادات والمعاملات! ورضا العامة والخاصة بتعطيل النصوص، وتحقير المثل الإسلامية أبشع في نظري من نهب خيراتنا وتحقير أوضاعنا.. ومن هنا فإن إحياء الثقافة الإسلامية الصحيحة، وتكوين جيش شجاع للمحافظة عليها في الداخل والحديث عنها في الخارج أهم ألف مرة من تحقيق الاستقلال السياسى لبلد ما فى إحدى القارات.

ما قيمة هذا الاستقلال إذا فقدنا علاقتنا بكتاب ربنا وسنة نبينا؟

مسالك أهل الكتاب من قبلنا

كانت السبب الأول في المعركة بين العلم والدين. وقيام عصر الإحياء في أوروبا بعيداً عن الوحي كله!! ويبدو أن القوم لم يتغيروا فقد وقعت أخيراً معركة في الكنيست الإسرائيلى بين وزير الخارجية وبعض الحاخامات. سببها أن الوزير قال: «ليس كل ما فعله الملك داود جدير بالإعجاب» يشير إلى ما نُسب إلى داود في العهد القديم من اقتراف جريمتي الزنا والقتل.

قالوا: زنى بزوجة «أوريا» الحثي، ثم أوصى بقتله فى الميدان حتى لا يعود ويسترد المرأة من عشيقها الملك!!

لقد غضب الحاخامات من هذا التعريض. وقالت إذاعة لندن إنهم سيحرجون الحكومة كلها في أول اجتماع.

ونترك بنى إسرائيل لنرمق تاريخ الكنيسة القريب والمعاصر. لقد جاءت من أوروبا إلى إفريقية لتبشر بصبح حامل الآلام عن هذا الورى - كما يقول شوقى - فماذا فعلت هي؟ تركت في وسط افريقية عشرة ملايين إصابة بالأيدز، وهى تنشر دينها!. لقد حكمت بالموت على من قال: إن الأرض كرة تدور حول الشمس أما اقتراف الخنا فحسب من فعله أن يعترف ويحيا آمناً!

**** الانسانية في التصور الاسلامي رغم عامة توصل بالتعارف والخلق.**

إن تزوير الدين على هذا النحو ازرى به، وزهد فيه وأعطى الحكم العلماني ألف سبب ليحل محل الدين، ويبتعد عن الوحي كله.. ونحن دعاة المسلمين نلقى العنت حين نقدم القرآن للناس لأن سيرة المسلمين مع دينهم لا تشرف ولأن المعجبين بالحضارة الحديثة يرونها أقرب إلى الفطرة والرشد.. ولا بأس أن أحكي ما وقع لي أخيرا.

جاءتنى رسالة من الأمين العام لمؤسسة كبرى تعمل على دعم الفضائل والقيم بين الناس، عقدت مؤتمرها الأول في شيكاغو، وتستعد لعقد مؤتمرها الثاني بمناسبة مرور ٥٠ عاما على تأسيس هيئة الأمم المتحدة. وقيل لي بعد اختياري عضواً: إن مؤسستنا

عـالميـة تضم رجـالا من كل دين سـمـاوي أو أرضي، بل تضم أعضـاء لا يؤمنون بأي دين. المهم أنهم يدعمون الأخلاق الفاضلة، ويحترمون المثل العليا التي يجب أن تحكم العـالم.. وأنا رجل شرفي الأول والأخير أني أقول وراء محمد «إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له». أنا أشعر حين آكل بأن الله هو الذي وضع اللقمة في فمي وحين أفكر بأن الله هو الذي أسرج مصباح عقلي، إنه يستحيل أن أكفر أو أسوي بين مؤمن وكافر أو اشترك مع عابد عجل أو عابد نفسه وحدها في عمل لا يرقى لرفع مستوى البشر. شعرت بأن أهل الاديان تلاحقهم تبعة خطيرة، إنهم لا يهتمون بتزكية الروح وإنهم قد يدفعون المظالم عن أنفسهم لكنهم لا يدفعونها عن غيرهم! وإن طقوس العبادات أرجح لديهم من حقوق الإنسان. فكتبت رسالة مطولة أشرح فيها ديني. جاء فيها ما يلي:

شعرت بالرضا وأنا أقرأ عن إنشاء جهاز عالمي لدعم الأخلاق والتسامي بالبشر.

وقلت: إن الفطرة الإنسانية لا تزال طيبة تعشق الكمال وتسعى إليه، وتقاوم السعار المادي الذي يربط المرء بنفسه ومآربه وشهواته، ومعروف أن العالم تقاربت أقطاره واختصرت أبعاده، ونشأت فيه - لأول مره من تاريخه المديد - هيئة لأممه كلها، أي أن أبناء آدم أمسوا أسرة تستطيع التقارب والتحاور ودراسة ما يثور من مشكلات، والتعاون على حلها. لكنها ستعجز عن بلوغ أهدافها إلا في ظل الاكتمال الخلقي وكبت غرائز الأثرة والكبرياء. فهل نقصر في توفير الوسائل المنشوده لتحقيق ما نصبو إليه؟

إن نبي الإسلام يقول: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ويقول لعلي بن أبي طالب: «ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة؟ أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

ويقول لأصحابه: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟

قالوا: بلي! قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقه، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»!!

إننا نحن المسلمين يسعدنا تأليف هيئة أخلاقية تساند هيئة الأمم، وتسدد خطاها، وتحصنها من المحاباة والهوى..

لكنني - ولأكن صريحاً - شعرت بحرج شديد عندما علمت أن «البرلمان» الأخلاقي فتح الباب للمؤمن والكافر، للموحد والمشرك، لمن يعتقد خلود الروح ولمن يرى انتهاء الوجود بالموت! قد تقول: هذه هي الدنيا وهؤلاء أبناؤها. وقد تكونت الأمم المتحدة من ملل متناقضة، وتجاورت في مقاعدها لتدرس قضاياها المختلفه. وما تستطيع هيئة أخلاقية إلا أن تفعل ذلك! ولي على هذه الإجابة تعليق!

إن النظر إلى الإيمان بالله على أنه قضية ثانوية أو قضية لا صلة لها بالأخلاق أمر مستنكر عندنا نحن المسلمين، أو هو أمر يثير الاشمئزاز، لماذا يخلق الله ويُعبد غيره؟ ولماذا يُعْطي ويُشكر غيره؟ هل العقوق رذيلة إلا في

إننى لو أجزلت العطاء لأحد ثم رأيته يجحدني لاشتد سخطي عليه واحتقاري له! فكيف أرضى وجود أفراد أو جماعات تطعم من خير الله صباحاً ومساء ثم تتجرأ عليه وتنكر وجوده وحقوقه؟ أعتقد أن منكري الألوهية لا ينبغي أن نعترف بهم. واذا اضطررنا إلى مجالستهم فلنرسم لذلك سياسة خاصة توفق بين عقائدنا وحقهم في الحياة، من يدرى؟ قد يهتدون إلى الصواب إذا حاسناهم.. ومن دواعي سرورنا نحن المسلمين أن نلتقي بأتباع الديانات السماوية التي سبقتنا في مؤتمر جامع لتحسين الحسن وتقبيح القبيح وتقوية الفضائل ومحاربة الرذائل. إن لدينا الكثير الذي نود أن نقوله، والتراث الذي تركه لنا محمد {صلى الله عليه وسلم} لم يترك خطوة إلى الكمال إلا دعمها، ولا رغبة في التسامى إلا ذكاها وشجع عليها. إنه تراث ضخم تضمن مئات الصفحات الحافلة بمكارم الأخلاق، ولا أعرف رسولا سماويا ولا فيلسوفاً أرضياً خلّف مثل هذه التركة!! ومن أراد الاطلاع أو الترجمة دللناه على المراجع التى يحتاج إليها.. ثم إننا نحن المسلمين نحب أن نتعرف على الناس، وأن يتعرف علينا الناس. هكذا علمنا ربنا.

فإن الله لم يخلق الأرض لنتهارش عليها، ولنسفك الدماء. بل خلقها لنرتفق خيره ونشكره عليه {هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور}.

ونحن نعتب على اليهود والنصارى أنهم لم يبادلوا المسلمين المعاملة نفسها! قرأت أن يهودياً فى مدينة الخليل استولى على بيت عربي، ثم قال لرب البيت: «هذا البيت ملكي من بضعة آلاف عام وقد عاد إلي، ولست أطلب منك أجرة سكناه طوال هذه القرون، لقد تنازلت عنها، فاذهب إلى أي مكان وأقم به أو اسكن في العراء إن شئت ولا تعد هنا وإلا..» هل تستقيم إنسانية مع هذا المنطق؟!

**** اليهودي التائه عاش قرير العين موفور الدم والعرض والمال في دولة الإسلام.**

والسياسة الاستعمارية التى سيّرت العالم في العصور الأخيرة كان هذا المنطق يكمن وراءها فإن الجريمة التى ارتكبها الإسلام - كما يرى البعض - أنه دحر الامبراطورية الرومانية التى كانت تحتل الأناضول وشرق البحر المتوسط ووادي النيل وشمال إفريقية وأقطاراً كثيره أخرجها الإسلام منها وردها إلى أهلها الأولين، الذين اعتنقوا الإسلام بداهة..!! وورثة الرومان ينظرون إلى مستعمراتهم القديمة كأنها أملاكهم الضائعة يجب أن يستعيدوها.. وإلى ملايين المسلمين كأنهم عبيدهم الأقدمون.

ولا شك أن قيام هيئة الأمم المتحدة على أسس إنسانية مجردة فتح صفحة جديدة في تاريخ العالم، وكفكف من غلواء الاستعمار السابق. لكن هل المنتصرون الذين بنوا هذه الهيئة النبيلة برئوا من مسورات الحقد القديم

وحاربوا التعصب والجشع؟

لعل إنشاء جهاز أخلاقي عالمي يساند الخصائص الإنسانية العليا، وينشط الجهود المبذولة لدعمها، ويصل بالهيئة إلى ما نريد ويقي العالم شرور الانقسام والخصام.

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: {يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا} وفي الحديث أيضا «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» والواقع أن من له دين يجب أن يكون شريفاً فى رضاه وفى غضبه، فلا يستبيح خصماً، ولا يجور على ضعيف. بل يقف عند الحق ويستريح للعدل ويعلم أن النزق والجور من صفات السباع لا من خلائق الإنسان.

ويؤسفني أن الانسانية في تاريخها الطويل احتالت على ارتكاب المظالم، ورأت في اختلاف البشر - قوة وضعفاً، وغنى وفقراً، وإيماناً وكفراً - ثغرة تنفذ منها إلى اقتراف ما تريد. وقد رفض القرآن الكريم أن يعترض العدالة شيء مادياً كان أو أدبيا {كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين} وفي آية أخرى {لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى}.

لقد ظنّ الناس أن اختلاف الدين يبيح التظالم ويترك المجال رحبا للمشاعر المنحرفة والأهواء الجامحة، وهذا كذب على رب الدين وباعث المرسلين {إن الله يأمر بالعدل والإحسان}. وأذكر ثلاثة أحاديث مروية عن محمد عليه الصلاة والسلام ترد هذه الفرية وتبرىء الإسلام من هذه التهمة.

الحديث الأول: «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه».

الحديث الثاني: «دعوة المظلوم - وإن كان كافراً - ليس دونها حجاب».

الحديث الثالث: عن أبى ذر قلت: يارسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا كلها: أيها الحاكم المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإنى لا أردها وإن كانت من كافر»!!

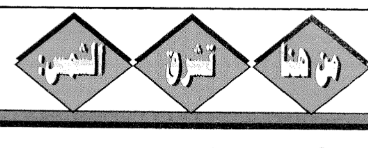
ومن دواعي الدهشة أن يموت نبي الإسلام ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام اشتراه لأهله!

ما أثر اختلاف الدين هنا؟

إن اليهودي التائه عاش قرير العين موفور الدم والعرض والمال في عاصمة الإسلام!

هل كانت غربته سبباً في أن يجور عليه أحد؟

لقد حصّن الحكم الإسلامي حقوقه، فعاش ومات لا يشكو شيئا، إننا نحترم الرأي والرأي الآخر. وإذا كنا - نحن المسلمين - نشكو شيئا فمواريث الضغائن التي نُعامل بها في ميادين شتى، ونرجو أن تزول مع استقرار حقوق الإنسان.



الإسلام ..
الحل البديل

بقلم
المفكر الاسلامي:
انور الجندي
ـ مصر ـ

يحاول السفير المسلم (مراد هوفمان) ان يقدم لنا فى كتابه «الاسلام الحل البديل» صوره لما تذخر به اوربا ويذخر الغرب من دراسات عن الاسلام والقرآن فى محاولة اوربية لحل مشاكلها عن طريق الاسلام على النحو الذى تنبأ به «برناردشو» فى الثلاثينيات من ان الاسلام سيدخل اوربا فى القريب ولو تحت اسم مختلف.

عشرات الكتب والدراسات مطروحة فى افق الفكر الاوربي كتبها مسلمون وغير مسلمين من الأوروبيين وغيرهم امثال: «محمد اسد، جارودي، يوكاي ، سيجمون هونكه»، بحيث يدهش القارىء المسلم الى تلك الثروة الضخمة من التراث المكتوب عن الاسلام مترجما الى الفرنسية والالمانية والانجليزية وهي مصادر تتعلق بترجمة معانى القرآن وترجمات للحديث النبوى وعدد من امهات الكتب الاسلامية الكبرى امثال كتابات الغزالى وابن تيمية والشافعى، فضلا عن عشرات من الكتب التي كتبها غربيون عن الاسلام بالاضافة الى عدد من المجلات الاسلامية والدوريات التي تصدر فى الغرب والتي تحفل بالابحاث الواسعة العميقة.

هذا بالاضافة الى كتابات احمد فون ديفر (الالمانى المسلم) الذى كتب عديدا من الابحاث وهناك ترجمات فريدريش ريكرت لمعظم معاني آيات القرآن فى نظم شعرى، وتجد مراد هوفمان حريا بأن يقول انه توجد ٢٢ ترجمة المانية تامة لمعانى القرآن منها

ترجمة واحدة قام بها مسلم سنّي ألماني هو (محمد رسول) هذا بالاضافة الى كتب التفسير المترجمة وفي مقدمتها:

- تفسير القرآن للطبرى (اكسفورد ١٩٨٧).

- كتب الصحاح (البخارى ومسلم).

- رسالة ابن تيمية في اصول الايمان (باريس ١٩٨٦).

- رسالة التوحيد للامام محمد عبده ودراسات اخرى حول شخصية الرسول {صلى الله عليه وسلم} (مطبوعة فى اكسفورد ونيويورك).

ويشير مراد هوفمان الى السابقين فى هذا المجال ويركز كثيرا على (محمد اسد) ليوبولد فايس الذى سبق مراد هوفمان بالعمل في مجال الاسلام ونشره فى الغرب من خمسين سنة تقريبا والى وفاته في القريب (عام ١٩٩٣ تقريبا).

ويشير مراد هوفمان الى ان الدكتور حميد الله قد ارفق بترجمته لمعانى القران الكريم قائمة من اربعين صفحة تحتوى على المترجمات التى صدرت فى مختلف اللغات لمعانى القرآن الكريم.

كما يولى الاهتمام بترجمة محمد اسد (ليوبولد فايس) لمعانى القرآن ولم تفته مراجعة ما كتب فى الغرب عن عيسى عليه السلام والسيدة مريم فيجعل فى مقدمتها (عيسى نبى من انبياء الله) لمحمد عطاء الرحمن (١٨٩٣ - لندن) ومقارنة بين عيسى في القرآن وعيسى فى الاناجيل ودراسة عن مريم فى القرآن ومحمد في الانجيل) دافيد - نيوتن ١٩٨٧) وكتاب الاسلام وعيسى للمسلم الالمانى (احمد فون ديفر ١٨٩١) فضلا عن ترجمة كتاب اللواء احمد عبد الوهاب: حوار ومحاولات بين المسجد والاسلام - باريس).

ومعنى هذا العرض الذى عنى به مراد هوفمان أن مفهوم الاسلام الصحيح وموقفه من المسيحية وعيسى بن مريم قد اصبح واضحا فى الغرب تماما الآن وذلك بخلاف عشرات الكتب المضللة التى صدرت فى سنوات الثلاثينيات وترجمت منذ سنوات من أمثال دلاير وجوسقاف لوبون وكارليل - فضلا عما كتبه الدكتور احمد عبد السلام عن الطائفة القاديانية والأحمدية بباكستان وما كتبه موريس بوكاى:

(مقارنة بين الانجيل والقرآن والعلم الحديث) ومفهوم الاسلام لخلق آدم فى الرد على نظرية التطور ومفاهيم دارون المسمومة.

كل هذا اصبح موجوداً فى افق الفكر الاسلامى الغربى وهو يعطى احساسا قويا وعميقا بأن هناك فى الغرب مصادر حية نابضة بالحياة قائمة على اساس العلم والفهم الصحيح للاسلام وموقعه من الاديان السابقة بحيث يمكن الاطمئنان الى ان الطريق اصبح مفتوحا اليوم امام كل مثقف غربى يرغب فى الوصول الى الحقيقة سواء من خلال كتابات بعض الغربيين المنصفين أو من دخلوا فى الاسلام فعلا امثال بوكاى ومحمد اسد ومن سبقهم عبد الكريم جرمانوس وغيره.

ويأتى مراد هوفمان اليوم من خلال الصحوة الاسلامية الصاعدة معلنا انه ثمرة

هذه الصحوة فيلقي بثقله على مفاهيم الاسلام وتقديمه بلغته الالمانية الى المثقفين الغربيين الطامحين الى معرفة الحق واعتناقه.

وهو يرى ويثق تماما بأنه يقدم منطوق الاسلام الى اهل اوربا بمثابة الحل البديل ايمانا بأن اوربا لن تستطيع ان تحقق وجودها الا اذا كان الاسلام هو طريقها الى الحياة.

ويرى ان الاسلام ابان الصراع بين العالم الغربى والشيوعية كان يعد نفسه الطريق الثالث المباين لهما، اى انه الخيار الحر المستقل عن كليهما لفهم العالم والتعامل معه عقائديا اما اليوم فان الاسلام يطرح نفسه بديلا لكلا النظامين وذلك لتوفير الحياة على وجه افضل وتذليل مشكلاتها المستفحلة خاصة بعد ان عاد العالم من جديد ليصطرع في كتلتين اثنتين ولا يخفى على المتأمل البعيد الرؤية ان يرى الزحف الاسلامى فى القرن الحادى والعشرين مسيطراً ممكنا لانتشاره دينا لأغلبية البشر، اما كون هذا الزعم الذى تؤكده مجريات الأمور حقيقة واقعة إن شاء الله فذلك ما يشير اليه عنوان الكتاب «ان الاسلام لا يطرح نفسه بديلا خياراً للمجتمعات الغربية الصناعية بل إنه بالفعل هو البديل الوحيد».

انى اعتقد ان حركة تجديد الاسلام ستأتى في القرن الحادى والعشرين من أوربا.

ويتحدث (هوفمان) عن الصحوة الاسلامية التى هو ثمرتها فيقول: «وفجأة وعلى غير المتوقع طرأ على التطور فى كلا العالمين شرخ هائل او انكسار حاد فى الستينيات والسبعينيات من هذا القرن، في الاسلام الذى زلزلته الكوارث الدامية والازمات الطاغية لم يقض نحبه ولم يفتر، بل على العكس انطلق زاخرا بالحياة والنشاط اقوى ما تكون الحياة حتى بدأ البعض فى الغرب يعتقد بأنه بدأ مرة أخرى يحسب للاسلام حسابا ويخشى بأسه، اما المجتمعات الصناعية، فقد اخذت الازمات بخناقها، حينئذ بدا تطور العالمين العربي والاسلامي فجائيا غير متوقع، اما اليوم فاننا مقتنعون ان هذا التطور كان نتيجة حتمية.

«إن علماء الاجتماع يسجلون ان النجاح الاقتصادى للدول الرأسمالية قد قوض القيم الاخلاقية أو نسفها نسفا، وبالتالى فقد اجتثت قواه السلوك والمعاملات التى أبرزتها فلسفة ماكس غير الاخلاقية والتى عليها وبها يقوم النجاح الاقتصادى للرأسمالية.

هذه الالية التى تنسق ذاتها بذاتها تلقائيا تشوه الخصال الحميدة مثل الخير والسلوك الحسن المنضبط والصبر والاخاء والمرونه والشجاعة، ففى مجتمعات الرفاهية المسرفة والوفرة الفائضة عن الحاجة ترى تلك الصفات الحميدة قد مسخت وشوهت أضعافا مضاعفة او نرى قيما جديدة وأنماط سلوك مستحدثة تحل محلها لتتلائم مع المجتمع الصناعى المادى بالفعل وهى اذ تطبق عموما لا تستطيع أن تخدع اي مجتمع صناعي.

وهكذا يمكن ان تنقلب الفردية الانعزالية فتتحول الى السلوك الجمعى غير المنفعل والمتكتل فى مجموعات (شلل) تؤم المراقص وحفلات موسيقى روك اندرول وتحول تقرير المصير الى فوضى خلقية كما لمسنا ذلك في العبارات التى ترددت على السنة الداعيات الى تحرير المرأة وحقها في ان تفعل بجسدها ما تشاء مثل الاجهاض (بطنى لى وحدى) وتنقلب حركة الفكر من عدم التحيز الى اباحية مطلقة، ويتحول التسامح والسماحه الى قسوة وشدة أو التعامل المشروع الى جنون الاستهلال والحرص على متاع الحياة الدنيا والمساواة الى التسوية الآثمة التى لا تميز بين الخبيث والطيب والغث والسمين وبدلا من تكافؤ الفرص ورهافة الحس الى الولولة الطائشة وتنقلب الحيطة والحذر الى احجام».

ويؤكد مراد هوفمان: إن المذاهب المختلفة من قومية واشتراكية مما يتفق مع ما نادى به كمال اتاتورك وما ينادى به المستغربون المعاصرون، كل هذه المذاهب باءت بالفشل الذريع لعجزها وقصورها . وعدم استطاعتها معالجة الادواء المنتشرة في البلاد الاسلامية التى سقطت في يد الاستعمار وحجبت عنها نظمها الاسلامية وشريعتها وقيمها وفرضت عليها القانون الوضعى والانحلال الاجتماعي.

ولكن سرعان ما جاءت الظاهرة الفذة التى هى «الصحوة الاسلامية» حيث بدأت تتوالى منذ السبعينيات حتى اليوم دون انقطاع ممثلة في العودة الى الاصول وعدم الفصل بين الدين والدنيا.

وفي باديء الأمر اعتقد البعض أو تمنى ان الامر ليس الا حركة اجتماعية تبدى احتجاجها قولا وفعلا، والواقع ان هذه النظرة التى تريد أن ترى أن حركة إحياء الاسلام ليست الا تعبيرا عن العجز التكنولوجي قد اثبتت خطأ وعجز المحللين والدارسين الآخرين أو القائلين بها عن فهم العامل الدين الاصيل.

ويقول: ذلك ان الاسلام باعتباره دينا ونظام حكم لم يفقد قط وظيفته وهيئته حتى فى تركيا نفسها (اذا استثنينا الفئة المتشبثة بالغرب بل إن الاسلام على حد تعبير (رنولد هوتنجر) لم يفقد اهميته مطلقا وان حجبها غشاء شفاف رقيق.

ويتحدث هوفمان عن ضحايا ذلك المجتمع الصناعي وقيمة الحياة المزعومة ويقول: انهم يتمتعون بكل ما يريدون من الاستقلال الذاتي والحياة المؤقته من المهد الى اللحد والحرية الاباحية الجنسية التي لا تعرف محظوراً أو محرما والمخدرات على اختلاف انواعها واوقات الفراغ وكافة الحقوق المدنية التى يحلم بها المرء. ولكنهم على ذلك كله يخشون فراغاً هائلا، ويتوقون الى الحنان والدفء البشري.. من قبل الجماعة التى يعيشون معها والى سلطة زعيم روحي..

وهنا نضع سؤالا ملحا خطراً (هكذا يقول هوفمان) ما مغزى الحياة والوجود؟

وبمرور ظاهرة الانطلاقة الجديدة المحمومة للاتجاه الدينى من قبل الجيل الجديد والتقلب هنا وهناك فانه عاجلا أو

آجلا سوف يعثر فى بحثه عن دين بديل كاف شاف ولا سيما وان الاسلام هو الصراط المستقيم بعيدا عن المعسكر الغربى واوهامه والمعسكر الشرقى المادى واحلامه.

وهكذا يعترف الباحثون اخيرا أن ظاهرة الصحوة الاسلامية يجب فهمها على انها اقتحام جديد للسلطة الدينية والتشريعية للهيمنة علي مجالات الحياة العامة.

وقد اكد هذا عنوان كتاب (حياز كل) الذى سماه (انتقام الله) ومن الطبيعى المنطقى ان يرتبط هذا الاتجاه بفكرة الرفض المبدئى القاطع للتمدن أو التحديث كما يريده الغرب المسيحى: (ان العالم الاسلامى يرى فى هجر الغرب للروحانيات والمثاليات وتعلقه الشديد بالماديات تشويها لكفاءة الانسان ويرد هذا الاتجاه الغربى بمخطط اسلامى مضاد يفسر فى ضوئه النهاية المحتومة للمركزية الاوربية.

والاسلام يقدم للمسلم الذى يعانى وتتوزعه الشدائد والمحن والكوابيس فى العالم الثالث: يقدم له الفرصه الرشيدة بالرجوع الى جذوره وبدون هذا لن نكسب المعركة، بل ان سلسلة الاهانات والاذلالات المتلاحقة للعرب والمسلمين ستدم أمداً طويلا.

من هذه الصورة التى قدمها مراد هوفمان تتولد عدة اشياء هامة وخطيرة:

اهمها: أن اوربا اصبحت املا جديدا لانبعاث الاسلام فقد تضاعفت اعداد المثقفين ذوى المكانة المرموقة في عالم الفكر والمجتمع (وهنا نعود الى نبوءة برناردشو حين زار البلاد العربية عام ١٩٣٠ وتوقع أن تحتضن اوربا الاسلام).

هذه النبوءة أن تحمل اوربا الاسلام فى اعماقها وانها قد تكشف عنه فى صورة او اخرى، وان هذا يرتبط بما كتبه المؤرخون المنصفون امثال دراير وجوستاف لوبون وكارليل ومن جاء بعد ذلك من الذين اعلنوا اسلامهم صراحة: عبد الكريم جرمانوس - رينيه - محمد أسد - د. يوكاي - جارودي - وهوفمان السفير الالمانى فى الجزائر الذى اعتنق الاسلام عام ١٩٨٠ وأن اول معرفته للاسلام كانت فى الجزائر الاسلامية (وهذه ظاهرة يجب التنبيه اليها). وأن كثيرا من الغربيين الذين اسلموا كانت لهم صلة بالمغرب العربى (محمد اسد ، رينيه - هوفمان). كما أن كثيرا ممن كتبوا عن الاسلام وإن لم يسلموا عاشوا في المغرب ومن ذلك جاك بيرك.

وتجد هوفمان فى كتاباته منحازا الى الذين درسوا الاسلام واشادوا به وفى مقدمتهم دكتوره سجريد هونكه مؤلفة كتاب «شمس الله تشرق على الغرب» الذى وُزِّع منه الملايين فى الغرب وكذلك كتابها الجديد «الله فوق ما يتصورون».

وابرز ما يمثل كتاب هوفمان (الاسلام هو الحل البديل) ذلك الوضوح الجلى، والفهم الاصيل الجامع للاسلام من خلال مفهوم اهل السنة والجماعة كما عرفه السلف وكما بلغه الرسول [صلى الله عليه وسلم] وكما طبقه الخلفاء الراشدون دون انحراف نحو التصوف الفلسفي او غيره بالرغم من اشارته إلى أن هذا التصوف

اقرب الى نفسية الغرب ولعل هذا الكتاب بانصافه وسماحته ووسطيته جدير بأن يكسب الاسلام مثقفين جداً حيث يعتبر نفسه ثمرة الصحوة الاسلامية الحاضرة ويتطلع الى تقبل مفاهيمه فى بيئة المثقفين الغربيين العاطشين الى المعرفة والى الحق اولا والذين يشعرون بالتطلع الى اشواق الروح والى فهم الوحى والغيب والنبوة بعد أن انحرفت مفاهيم الاستشراق الغربى وعجزت عن العطاء.

ولقد استطاع أن يستعرض عدداً من الاحكام الظالمة التى اذاعها الغرب والتى جاءت مبنية على سوء الفهم فأخذ يدحضها ويبين خطأها بالبرهان الصحيح.

وكذلك اشارت دكتورة (انامارى شميل) فى مقدمة الكتاب الى ما اسمته الاحكام التى يلصقها الغرب بالاسلام وانها تأتى من سوء فهمنا وخطأنا فى القياس المنطلق من معاييرنا الغربية وقيمنا وأن المرء عدو ما يجهل.

ويرى (هوفمان) أنه ينبغى على كل مثقف اوربى ادراك فضل العرب والاسلام على اوربا المسيحية خاصة بعد أن وزعت ملاين النسخ من كتاب (الدكتوره سجريد هونكه)، (وما تزال هونكه وانامارى شيمل يدافعان عن الاسلام وهما على دينهما الاصلى).

وينتقد (هوفمان) تعصب المستشرقين حين يطالبون اهل الاسلام بالانتقاص من تمسكهم بالاصالة والخصوصية الاسلامية وحماية الذات والانتماء بدعوى اللحاق بركب الحضارة العالمية.

ويصل هوفمان الى رأى يؤكد بأن الغرب يستعد اليوم ليحمل لواء قيادة الدعوة الى الاسلام وباحصاء المصادر والمراجع التى رجع اليها هوفمان يتأكد أن فى اوربا اليوم تراثاً ضخماً أن أدق مفاهيم الاسلام (عقيدة ومعاملات واخلاق) بما يؤكد عملية تبليغ وافرة الاداء.

ويؤكد هوفمان هنا موقف المسلم من الحضارة المعاصرة فيقول (الحق ان الاحترام الخلقى يسود حياة المسلم أو المسلمة أو الوسط الاسلامى .

كذلك يرفض الاسلام الادب الداعر المكشوف وافلام الجنس والصور العارية ولا تمارس المسلمة اساسا اي علاقة جنسية قبل الزواج كما أن اللقطاء والاطفال المولودين ولادة غير شرعية من الاشياء النادرة في المجتمعات الاسلامية.

وفى هذا المجال يحرص الاسلام على التنبية الى دور الملابس أو الزى فى الحياة سواء للذكر أو للانثى خاصة مسألة الحجاب أو النقاب، فالاسلام يرى أن من المنطقى عدم اثارة الاشياء اذا كانت غير مرغوبه.

وفى كتاب هوفمان تصور كامل لانحدار الحضارة الغربية تكشف عن فساد المجتمع الغربي والحضارة الغربية مع نقد الرأسمالية والشيوعية وكشف زيفهما .

وهنا يتأكد موقف الصحوة الاسلامية من مفاهيم الغرب فى المجتمع والحضارة ويتحطم ذلك الطابع المسموم من الانبهار.

ولكن الباب اصبح الان مفتوحا الى طريق الله: الى التوحيد أولا ثم الغيب والقيم الاخلاقية، ليضيء الاسلام قلوب اهل الغرب.

من معجزات الهجرة

شعر:
خير الدين وانلي
- دمشق -

من المهاجر من أمِّ القُرى عجلا
يطوفُ صاحبهُ من حوله وجلا؟
ذاكمْ رسولُ الهدى عن غاره ارتحلا
إلى (المدينة) تحمى منْ بها نزلا

* * *

ما للجواد بأرض صلْدة غارا
ومن (سراقة) ذاك الكنزُ قد طارا
وعاد والفكر في الإعجاز قد حارا
وازداد (أحمد) في عينيه إكبارا

* * *

فردٌ بصحراء ناء عن أهاليه
بتاج (كسرى أنو شروان) يغريه
وبالفتوح والنُّعْمى يمنيه
أمرٌ عجيبٌ يشدّ الفكر للتيه

* * *

يا (أمَّ معبد) نوقي صافي الحلب
في ضرع شاتك ذات الضعف والجرب
(محمد) سيدُ الإنسان والعرب
قد مسها ودعا أكرمْ بخير نبي

* * *

سبحـان منْ قـد حَمَى المختـارَ في الغـار
وصـــــانـهُ مـن أذى كُفْرٍ وكُفَّار
إن حنَّت النفسُ من شـوق إلى الدار
فـسـوف يرجعُ في نصـر وإظـهـار

* * *

إن أخـرجتْ مكةُ الإشـراك من فيها
الى القفـار وحـيداً في فيـافيـهـا
فـاللهُ للدعـوة السـمـحـاء حـاميـهـا
ولن يزلـزلهـا يومـاً مـعـاديهـا

* * *

حُبُّ المهـاجـر في أعـمـاقنا باق
ونورُ شـرْعـتـه في كلِّ آفـاق
وذكــره في الحنايا نبع أشـواق
يفـيض رقـراقـه في كل خـفـاق

* * *

يا منْ نَصـرتَ وحيداً في صـحاريه
على هرقل وكسـرى الجـاه والتيـه
فـحـقّق العـدل في أسـمى مـعـانيـه
وأشـرق الخـيـر مـعـتـزاً براعيـه

* * *

حـــقِّقْ لنا يا إلـه الكون آمــالا
وضعْ عن الكاهل المحنيِّ أثقــالا
حـــتى نحطِّم أصنامــاً وأغــلالا
ونـنصـر الدين أقـوالا وأعــمـالا

الجنة



نواصل ـ بعون الله ـ الحديث عن الجنة ونعيمها، بعد الانتهاء من الحديث عن حقيقة جهنم وصورتها في القصص النبوي.

وكنا قد صدَّرنا حديثا عن جهنم بخطبة لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقص فيها أمر الآخرة ، منها قوله: (فو الذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار) وأنه لابد من البعث والحساب على الأعمال (بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا، أو لنار أبدا).

وعلى المرء العاقل أن يسدد ويقارب، رجاء أن يختم الله له بعمل أهل الجنة فيدخلها بفضل الله وكرمه، وأن يبتعد عن التسويف والجري وراء بريق الأماني، بترك العمل، فإن أمر الجنة والنار جد خطير.

روي عن ابن عمرو بن العاص[١] ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج علينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفي يده كتابان، فقال: (أتدرون ما هذان الكتابان؟) فقلنا: لا يارسول الله، ألا تخبرنا، فقال للذى في يده اليمنى : (هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل[٢] على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا) وقال للذى في شماله: (هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا) فقال أصحابه: ففيم العمل يارسول الله، إن كان الأمر قد فرغ منه؟ فقال: (سددوا وقاربوا ، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أى عمل) ثم قام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بيديه فنبذهما ثم قال: (فرغ ربكم من العباد: «فريق فى الجنة، وفريق فى السعير»).

وفي صحيح مسلم عن أبي الأسود الدؤلي قال[٣]: قال لى عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون، أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وثبتت به الحجة؟ قال: قلت: لا، بل فيما قضى عليهم ومضى. قال: أفيكون ذلك ظلما؟ قال: ففزعت فزعا شديدا، وقلت: إنه ليس شيء إلا خلقه الله وملكه: (لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون). فقال: سددك الله، إنما سألتك لأحرز عقلك؛ إن رجلا من مزينة ـ أو جهينة ـ أتى النبي {صلى

...ة ونعيمها (١ - ٢)

الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس ويتكادحون فيه، أشيء قُضي عليهم ومضى، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم؟ قال: (فيما قُضي عليهم ومضى) فقال الرجل: ففيم العمل؟ قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (من كان خلقه الله لإحدى المنزلتين، فسيستعمله لها، وتصديق ذلك فى كتاب الله - عز وجل - {ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها}..

وهذا باب واسع نكتفى بما جاء في القصص الصحيح: (إن الله - تعالى - إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خُلِقَ العبدُ للنار استعمله.. الخ)

دعوة الله عباده إلى الجنة:

والله بعباده رءوف رحيم، يريد بهم الخير ويدعوهم إليه ، فهو - سبحانه - كما قال: (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) فمن أصلح العمل وآمن بالله ورسوله وشكر شكَرَ الله له، ومن آمن بقلبه وأخلص النية لله كفاه القليل من العمل، وجازاه على ذلك أوفر الجزاء، لأنه - سبحانه - يرغب في الجنة ويدعو إليها، لتكون دار تكريم لعباده تعوضهم عما لحقهم في الحياة الدنيا من آفات ونكبات ونقائض، ولذا سماها بدار السلام (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

بقلم:
أ.د. عبد الباسط
احمد على حمودة
- مصر -

جاء في القصص النبوي عن أيوب عن أبى قلابة عن رسول الله[٤] قال: (قيل لي لتنم عينك وليعقل قلبك، ولتسمع أذنك، فنامت عينى، وعقل قلبى، وسمعت أذنى، ثم قيل لي: مثلى ومثل ما جئت كمثل سيّد بَنَى دَاراً، ثم صنع مأدبة، وأرسل داعيا، فمن أجاب الداعى دخل الدار، وأكل من المأدبة، ورضي عنه السيد، ومن لم يجب الداعى، لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة، ولم يرض عنه السيد، والله السيد، والدار الإسلام، والمأدبة الجنة، والداعى محمد {صلى الله عليه وسلم}).

وأخبر النبي {صلى الله عليه وسلم} فى قصة : (ما من يوم طلعت فيه الشمس، إلا وبجنبها ملكان يناديان - يسمعه خلق الله كلهم، إلا الثقلين - يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، إن ما قل وكفى خَيْرٌ مما كثُر وألهى).

والطريق إلى الجنة سهل ويسير على من يسر الله له ووفقه، ودخولها بالقليل من العمل مع الإخلاص وصدق النية، وفى مقدمة القليل من العمل الخوف من مقام الله والوقاية من النار بأداء ما فرضه الله، وهو قليل ميسور، والرجاء فى رحمته وسؤاله الجنة وما يُقرِّب منها، وذلك على الصورة التى جاءت في بيان النبي {صلى الله عليه وسلم}.

جاء في الترمذي عن أبى هريرة[٥] - رضى

الله عنه - قال: قال رسول {صلى الله عليه وسلم} (من خاف أدلج[٦]، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة).

وفى الصحيحين عن أبى هريرة - رضي الله عنه - (أن أعرابيا جاء إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله دُلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، فقال: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبدا، ولا أنقص منه، فلما ولى قال: من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا).

وجاء فى صحيح مسلم عن جابر - رضى الله عنه - قال: (أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرَّمت الحرام، وأحللت الحلال، أدْخُلُ الجنة؟ فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} نعم).

ويقص علينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قصة عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: (أتانى آت من ربى فأخبرنى، أو قال فبشرنى: أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى ، وإن سرق).

وروى مسلم فى صحيحه[٧] عن أنس بن مالك عن معاذ بن جبل قال: كنت ردف النبي {صلى الله عليه وسلم} ليس بينى وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: يا معاذ بن جبل، فقلت لبيك يارسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت لبيك يارسول الله وسعديك، قال هل تدرى ما حق الله على العباد؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل قلت: لبيك يارسول الله وسعديك، قال: هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم.

ودعوة الله إلى الجنة وترغيبه فيها، وما جاء على لسان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من البشارات المتعددة، تدعو الإنسان إلى العمل والجد والاجتهاد والسعى والاكتساب فالإيمان بالله وعدم الشرك يقتضى التصديق بالعمل، فدخول الجنة بفضل الله وعفوه، كما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[٨] (سددوا وقاربوا وأبشروا، واعلموا أن أحدا منكم لن ينجو بعمله، قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته) والعمل بإقامة التكاليف واجتناب المنهيات وسائل لبلوغ رضوان الله ودخول الجنة.

جاء فى الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال: (كنا جلوسا مع النبي {صلى الله عليه وسلم} فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: إنكم سترون ربكم عيانا[٩] كما ترون هذا ، لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا، ثم قرأ قوله: (وسَبِّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب).

ومن الأعمال التى تحقق دعوة الله إلى الجنة ما رواه عبد الله بن سلام[١٠] قال: لما قدم النبي {صلى الله عليه وسلم} المدينة انجفل الناس قبَلَهُ[١١] وقيل قد قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} - قد قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ، قد قدم رسول الله

{صلى الله عليه وسلم} ثلاثا فجئت فى الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: (يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام).

وجاء فى مسند الإمام أحمد عن رجل من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال[١٢]: خطبنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذات يوم قال: (أيها الناس، اثنتان من وقاه الله شرهما دخل الجنة) قال: فقام رجل من الأنصار فقال: يارسول الله ألا تخبرنا ما هما؟ ثم قال: (اثنتان من وقاه الله شرهما دخل الجنة) حتى إذا كانت الثالثة، أجلسه أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالوا: نرى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يريد أن يبشرنا فتمنعه، فقال: إنى أخاف أن يتكل الناس، فقال: (اثنتان من وقاه الله شرهما دخل الجنة، ما بين لحييه، وما بين رجليه)[١٣].

وعن أنس بن مالك عن النبي {صلى الله عليه وسلم}[١٤] قال: (تقبلوا لى ستا أتقبل لكم بالجنه، إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يخلف، وإذا ائتمن فلا يخن، غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم) وفى رواية: (اضمنوا لي ست خصال أضمن لكم الجنة: لا تظالموا عند قسمة مواريثكم، وأنصفوا الناس من أنفسكم، ولا تجبنوا عند قتال عدوكم، ولا تغلوا في غنائمكم وامنعوا ظالمكم من مظلومكم).

فدعوة الله عباده إلى الجنة تقتضى الالتزام بما جاء به الشرع، وهو - كما قلنا - سهل ويسير اشتملت عليه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والتكاليف الشرعية تتناسب مع طاقات الخلق وما تتسع له نفوسهم.

يقول ابن قيم الجوزية[١٥]: **(هلم إلى الدخول على الله، ومجاورته فى دار السلام، بلا نصب ولا تعب ولا عناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها، وذلك أنك في وقت بين وقتين، وهو في الحقيقة عمرك؛ وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل فالذى مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار؛ وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق، إنما هو عمل قلب، وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة، ليس هو عملا بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة، تريح بدنك وقلبك وسرك. فما مضى تصلحه التوبة، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس للجوارح فى هذين نضب ولا تعب، ولكن الشأن فى عمرك، وهو وقتك الذى بين الوقتين، فإن أضعته أضعت سعادتك ونجاتك، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذكر، نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم.**

وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وما بعده، فإن حفظه أن تلزم نفسك بما هو أولى بها، وأنفع لها وأعظم تحصيلا لسعادتها، وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت، فهي - والله - أيامك الخالية التى تجمع فيها الزاد لمعادك، إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

فإن اتخذت إليها سبيلا إلى ربك، بلغت السعادة العظمى والفوز الأكبر في هذه المدة اليسيرة، التى لا نسبة لها إلى الأبد، وإن آثرت الشهوات والراحات واللهو واللعب، انقضت عنك بسرعة، وأعقبتك الألم العظيم الدائم الذى مقاساته ومعاناته أشق وأصعب وأدوم من

معاناة الصبر عن محارم الله، والصبر على طاعته، ومخالفة الهوى لأجله).

مفهوم الجنة:

الجَنُّ: ستر الشيء عن الحاسة، فجن الشيء جنًا مثل ستره وزناً ومعنى، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك. فالليل إذا أظلم وستر فقد جن قال تعالى: {فلما جن عليه الليل رأى كوكبا}. وأجن الشيء ستره، تقول أجن الميت كفنه وغطاه، والمجن ما يستر في الحروب، وسميت الحديقة بالجنة، لأنها تستر بشجرها ونخلها وزرعها من الشمس، وبثمرها من الجوع، وبخيرها من الفقر والحاجة، وسمى الصوم بالجُنَّة، لأنه يقي من الشهوات التى حفت بها جهنم ومن وقى الشهوات وقى من النار.

والجنة فى الآخرة سميت بذلك لأنها تقى من النار، ويتنعم أهلها برغد العيش وطيب المقام، ويظل دائم وطعام وشراب لا ينقطع، ولا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا، وأن سكانها ينطبق عليهم ما قاله الله لآدم {إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمؤ فيها ولا تضحى}.

وعلى كل حال فإن ما جاء فى فقه اللغة من دلالات على الجنة فإنما هو تعبير عما وضع للأشياء فى الحياة الدنيا، وأما الجنة فى الآخرة فإن الوصف اللغوى يقصر عنها، ففيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وفيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

صفة الجنة:

من خصائص قصص القرآن الكريم، والقصص النبوي الإخبار عن عالم الغيب وتجليته بما يوضح معالمه، ويكشف عن حقائقه، ويعرضه فى صورة تؤدى الغرض وتفى بما تتطلبه الدعوة إلى الله من ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، وإنذار وتبشر وقد برز ذلك الأثر على المؤمنين والمشركين، من حيث وقوع الخوف والفزع من وعيد الله وحصول الفرح والشوق إلى ما أعده للطائعين، والأمثلة شاهدة ومعروفة.

والقصص النبوي يصف الجنة ونعيمها، وما أعده الله لأهلها وصفا يجعل الناس جميعا يتشوقون إليها ويأملون فى دخولها، ولكن المؤمنين الحقيقيين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ويضحون بكل عزيز وغال للفوز بدخولها، لما سمعوه عنها.

روى مسلم قصة عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله[١٦] {صلى الله عليه وسلم} (يقول الله - عز وجل - أعددت لعبادى الصالحين، مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله[١٧] ما أطلعتكم عليه، ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (فلا تعلم نَفْسٌ ما أخفي لهم من قُرَّة أعين).

وجاء عن ابن ماجة عن أسامة بن زيد قال:[١٨] قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذات يوم لأصحابه: (ألا مشمر للجنة؟ ، هى ورب الكعبة نور يتلالأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة فى مقام أبدي فى جدة ونضرة، فى دار عالية سليمة بهية. قالوا: نحن المشمرون لها يارسول الله، قال: قولوا إن شاء الله، ثم ذكر الجهاد وحض عليه).

وفي رواية عن أبى هريرة قال[١٩]: قلت

يارسول الله مم خلق الخلق؟ قال: (من الماء) قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: (لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، بلاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من دخلها لا ييأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم) وعن جابر عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (أرض الجنة خبزة بيضاء) وعن أبى موسى عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه من جنة عدن)۰

وعن أبى موسى فى قصة عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (جنان الفردوس أربع، جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن، وهذه الأنهار تشخب من جنة عدن، ثم تصدع بعد ذلك أنهارا)۰

وعن سمرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (إن الله تعالى بنى الفردوس بيده، وحظرها على كل مشرك، وعلى كل مدمن الخمر سكير)۰

وفى مسلم من قصة الإسراء عن أنس بن مالك وأبى ذر عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[٢٠]: (ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[٢١] اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك) وفى رواية: (أنه رأى أربعة أنهار، يخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت يا جبريل ما هذه الأنهار؟ فقال: أما النهران الباطنان، فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات)[٢٢]۰

أسماء الجنة وعددها وأنواعها:

تكلم القرآن الكريم عن الجنة بصفة عامة، وورد فى مواضع متعددة أسماء لجنات أخرى تتميز ببعض الأوصاف التى تليق بعباده الذين تفضل عليهم بالسعادة والكرامة والفوز فى الدار الآخرة۰

وقد ذكر ابن قيم الجوزية[٢٣] عددا من أسماء الجنة باعتبار صفاتها ومعانيها واشتقاقاتها الدالة على عطاء الله لعباده العاملين الذين وفقهم لخدمته۰

(١) فمن أسمائها: الجنة؛ وقد تقدم معناها فيما سبق۰

(٢) وتسمي: دار السلام؛ لقوله تعالى {لهم دار السلام عند ربهم} وقوله: {والله يدعو إلى دار السلام} فهي دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه۰

(٣) وتُسَمَّي: دار الخلد؛ لخلود أهلها فيها إلى الأبد الذى لا ينقطع، وكثرة نعمها ونعيمها بدون انتهاء (عطاء غير مجذوذ) وقوله تعالى: {إن هذا لرزقنا ماله من نفاد} وقوله: {أكلها دائم وظلها} وقوله أيضا: {وما هم منها بمخرجين}۰

(٤) وتسمى: دار المقامة؛ لقوله تعالى حكاية عن أهلها: {وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور، الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب}۰

(٥) وتسمى: جنة المأوى؛ قال عطاء عن ابن عباس: هي الجنة التى يأوى إليها جبريل والملائكة۰ وقال مقاتل والكلبى: هى جنة تأوى إليها أرواح الشهداء۰ وقال كعب: جنة فيها طير

خضر ترتع فيها أرواح الشهداء، وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ووز ابن حبيش: هى جنة من الجنان. والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة لقوله تعالى: {وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى}.

(٦) وتسمى: جنات عدن، قال ابن قيم الجوزية: والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن، قال تعالى: {جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب} وقال تعالى: {جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير}.

(٧) ومن أسمائها: دار الحيوان؛ لقول الله تعالى: {وإن الدار الآخرة لهي الحيوان} والمراد بالدار الآخرة عند أهل التفسير الجنة.

(٨) ومن أسماء الجنة: الفردوس. وأصل الفردوس: البستان، والفراديس: البساتين قال كعب: هو البستان الذى فيه الأعناب. وقال الليث: الفردوس جنة ذات كروم، وقال غيره: هى الجنة الملتفة بالأشجار، ويغلب ذلك على العنب قال تعالى: {لهم جنات الفردوس}.

(٩) ومن أسمائها: جنات النعيم، قال تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم} وهو اسم جامع لجميع الجنات، حيث يتنعمون بالمأكول والمشروب والملبوس، والرائحة الطيبة والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة، وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

(١٠) وتسمى الجنة: المقام الأمين، قال تعالى: {إن المتقين فى مقام أمين} وقد جمعت فيها كل صفات الأمن وطيب الإقامة، فمن دخلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وهو آمن من الخروج والنغص والنكد وسوء العاقبة والموت.

(١١) ومن أسماء الجنة: مقعد صدق وقدم صدق؛ قال الله تعالى: {إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق} وقال تعالى: {وبشّر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم} سميت بذلك ـ كما يقول ابن قيم الجوزية ـ لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها.

وجاء فى القصص النبوي رواية عن البخاري عن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة: (أتت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالت: يا نبي الله ألا تحدثنى عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم غرب[٢٣] فإن كان فى الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء. قال: يا أم حارثة، إنها جنان فى الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى).

وجاء في القصص النبوى تفضيل بعض الجنان على بعض، فاصطفى الله ـ تعالى ـ جنة عدن، فجعلها بالقرب من عرشه وغرسها بيده، فكانت سيدة الجنان. قال عبد الله بن عمر[٢٥]: (خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وعدن، وآدم ـ عليه السلام ـ ثم قال لسائر الخلق: كن، فكان).

وعن أنس عن كعب قال: (لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي، قالت : قد أفلح المؤمنون).

وعن أبى سعيد قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن الله أحاط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وغرس عرشها بيده، وقال لها: تكلمى، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال: طوبى لك منزل الملوك).

وعن سمرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال:[٢٦] (جنة الفردوس هي ربوة الجنة العليا التى هي أوسطها وأحسنها) وعن الحرث

الأزدي: (الفردوس سرة الجنة) ونقل القرطبي في التذكرة رواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - إن الجنات سبع: دار الجلال، ودار السلام، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس وجنة النعيم.

ويقول القرطبي:[٢٧] وقيل إن الجنان أربع، لأن الله تعالى قال: {ولمن خاف مقام ربه جنتان} وقال بعد ذلك: {ومن دونهما جنتان} ولم يذكر سوى هذه الأربع؛ فإن قيل: فقد قال جنة المأوى، قيل جنة المأوى اسم لجميع الجنان، يدل عليه أنه تعالى قال: {فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون} وكذلك جنة عدن وجنات عدن؛ لأن العدن الإقامة، وكلها دار الإقامة، وكذلك دار الخلد ودار السلام؛ لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن، وكذلك جنات النعيم؛ لأن كلها مشحونة بأصناف النعيم.

وفي قصة نبوية رواها ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال[٢٨]: (الجنتان بستانان في عرض الجنة، كل بستان مسيرة مائة عام، في وسط كل بستان دار من نور على نور، وليس منها شيء إلا يهتز نعمة وخضرة، قرارها ثابت وشجرها نابت).

وفي قصة نبوية عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه[٢٩] - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس) وفي منتخب كنز العمال عن أبي أمامة: (إن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش).

وفسر العلماء قول الله تعالى: {ولمن خاف مقام ربه جنتان} وقوله تعالى: {ومن دونهما جنتان} أي دون هاتين إلى العرش أي أقرب وأدنى إلى العرش. وقال مقاتل: الجنتان الأوليان: جنة عدن وجنة النعيم، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى.

ومما سبق تتعدد الجنان وتتفاضل، كما تختلف الدرجات وتتباين فيها، ولا يمنع ذلك من أن الكل يطلق عليها اسم الجنة فهي اسم جامع لكل الجنان.

- للحديث صلة -

الهوامش:

(١) خطب الرسول {صلى الله عليه وسلم} ص ٢١٧ وابن كثير جـ ٤ ص ١٠٧.
(٢) حصرهم فلا زيادة ولا نقصان.
(٣) ابن قيم الجوزية: طريق الهجرتين ص ٨٢.
(٤) ابن كثير جـ ٢ ص ٤١٣ وصحيح حادى الأرواح ص ٦٥.
(٥) صحيح حادى الأرواح لابن قيم الجوزية ص ٧٤.
(٦) أدلج: سار من أول الليل.
(٧) جـ ١ ص ١٢٠.
(٨) صحيح حادى الأرواح ص ٧٧ ، ٢٧٧.
(٩) بواسطة العيون.
(١٠) خطب الرسول ص ١٠٠.
(١١) انجفل الناس قبله: ذهبوا مسرعين نحوه.
(١٢) المرجع السابق ص ١٣٢.
(١٣) يعني اللسان والفرج.
(١٤) المرجع السابق ص ١٥١.
(١٥) الفوائد ص ٢٠٢.
(١٦) التذكرة ص ٥٢١.
(١٧) بلْه: بمعنى دع أو غير أو سوى.
(١٨) المرجع السابق ص ٥٢١.
(١٩) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١٠٥ - ١٠٦.
(٢٠) جـ ١ ص ٣١٤ - ٣١٧.
(٢١) واحدها جنبذة وهي القبة.
(٢٢) ص ٣١٨.
(٢٣) صحيح حادى الأرواح ص ٨٢.
(٢٤) سهم غرْب: لا يدرى من رماه.
(٢٥) صحيح حادى الأرواح ص ٩٢.
(٢٦) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١٠٦ - ١١١.
(٢٧) التذكرة ص ٥٨٠.
(٢٨) المصدر السابق ص ٥١٦.
(٢٩) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١٠٧ والتذكرة ص ٥١٨.

نحو دراسة علمية منظمة:

الاستشراق وبواعثه وماله وما عليه

□□ مشكلتنا نحن العرب والمسلمين اهتمامنا بالنتائج دون أن نسبر غور كثير من المسببات التي أدَّت إليها . ونعنى بأمور بعيدة كلَّ البعد عن العالم وما يدور حوله، ونهتم بالمظاهر أكثر من الاهتمام بالجوهر المحرك للحياة الغربية الداخلية، والمتناقضات الحضارية والتيارات الاقتصادية والدوافع النفسية التي تهيمن على أجواء العالم الغربي.

إن النرجسية عند بعض المغتربين العرب وحبَّ الذات والاهتمام بالمشكلات الفردية حالت عند كثير منهم دون العمل المشترك بين الأفراد، ووصلت الفردية التي تهيمن على بعض الأسر أو أهل المدينة والقطر حدَّ التقاطع والنفرة. لذلك كانت أكثر أحكام الكتَّاب محدودة، والأفكار بعيدة عن بلورة الأحكام ومتانتها الذهنية. مع أن الإسلام أمر بالشورى والاستفادة من الجماعة والأخذ بالصائب منها .

كثرت الدراسات عن الاستشراق، وأكثرها دراسات فردية بحتة لم يجمع الرأى فيها في مؤتمر علمي منظم لنعرف صائب الآراء وأثر الاستشراق ونفعه وضرره.

ومتى ظهرت قرارات المؤتمرات فإنها توضع فى الأدراج وتكون محدودة الفائدة، لأن أكثر العرب انشغل عن القراءة والدراسة والاستيعاب، ولم يأخذ العبرة من نتائج التخطيط الغربي. وإذا قرأنا ننسى الأحداث ونغفل المؤتمرات التي تؤثر فى حياتنا والتخطيط الاستراتيجي لمستقبل حياتنا الذي يصنعه غير العرب. □□

الاستشراق جزء من الحضارة الغربية، ولا يمكن دراسته دون معرفة التطور الحضاري والتقدم الفكري والنتائج السياسية التي تسيطر على الحضارة الغربية وعقلية صاحب القرار فيها.

ولا يمكن فصل جهود الاستشراق عن الحضارة الغربية، لأن اهتمامها بالذرة والصواريخ والكومبيوتر وآلات الدمار لا يختلف عن اهتمامها بعوامل التفاعل البيولوجي في البحار ليكوِّن الاكسجين الذي تعيش عليه الكرة الأرضية. وان قعر المحيطات المخزن الأول لهذا الغاز الذي تعيش عليه الحياة وتستمر. **فالعلماء يدرسون أصغر المظاهر وأكبر المؤثرات في ميزان واحد واهتمام جادٍّ وتنسيق منظم وبعقلية واسعة متفتحة.**

لا شك في أن دراسات المستشرقين للمخطوطات العربية ونشر شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام والأعشى لا تختلف عن دراستهم لتكاثر السحالي وعمل نسغ الأشجار وظهور اليخضور على ورق الأشجار، مثل الاهتمام بالاكترونات والتأين والجاذبية بين الجماد وكيف يذوب السكر في الماء وكيف تجذب ذرات الاكسجين ذرات الماء وتذوب فيه.

الغرب واع ذكي بعيد النظر، فقد درس الشرق دراسة واسعة عميقة الجذور فقد اطلعت في (دار الوثائق البريطانية) على مقدار عنايتهم بكل صغيرة وكبيرة في بلادنا، فقد سجلوا صادراتنا ووارداتنا والأمراض المنتشرة بيننا، وأهمَّ هوايات الناس، واتجاهات كل إنسان الفكرية والأدبية، وحياة الشرق الاقتصادية والعاطفية وأشياء لا أقدر أن أذكرها في هذه المقالة..!!

أ.د. يوسف عز الدين
عضو مجمع اللغة العربية - بالقاهرة -

وكان الإسلام أحد أركان هذه الدراسات الجادة وأثره في الحياة العامة، وما مستقبل العرب وما رغباتهم وحاجاتهم، وهل يفكرون بالوحدة، وما الخطوات التي تبدد رغبة العرب في تقاربهم؟ بخطط مدروسة انتدب لها علماء النفس والاجتماع والاقتصاد.

دراسات الاستشراق جزء من حضارة الغرب، تخدم مصالحهم، وهناك معاهد ولجان ومؤسسات خصصت لدراسة الشرق بصورة عامة والوطن العربي بصورة خاصة، فيها سجلات دقيقة على كل حركاتنا وسكناتنا. فهم

يشترون كل ما يطبع في العالم العربي، حتى الصور الشعبية عن أبي زيد الهلالي وعنترة بن شداد، لدراسة الأساطير والخرافات وما يفكر فيه كل المجتمع.

فهل خصصنا مثل هذه المؤسسات واللجان لدراسة حضارة الغرب وفهمنا الأسس الاقتصادية والمالية التي توجه سياسته، وعرفنا جذور هذه الأسس لنواكب حضارته وتجاربه في خططه؟.

هل درسنا بدايات المخترعات والاكتشافات التي قام بها الغرب وكيف تطورت ووصلتنا؟ فقد خصص الغرب من يدرس الطبيعة الشرقية والدين الإسلامي في الشرق ونشرت مذكراتهم بعد أن دخل بعضهم الدين الإسلامي، لا رغبة فيه وإنما لفهم الفكر الإسلامي. وأصبح أحد هؤلاء طالب علم في الحرم المكي الشريف ونشر له كتاب وترجم إلى العربية. فقد أرسلت الحكومة الهولندية كريستان هور خمرونيه الى مكة المكرمة لدراسة حالة المسلمين وأثر الحج عليهم وانتظم في حلقة تدريس الشيخ زيني دحلان وأعلن إسلامه، ولكن الحكومة العثمانية عرفت بأنه جاسوس بعد ستة أشهر، وله مراسلات مع الشيخ دحلان وقد كتب كتاباً بعنوان «الحياة في مكة» نشر وترجم جزء منه، وقد تحدث عنه الأستاذ المعروف الدكتور قاسم السامرائي بتفصيل واف.

لا شك بأن الاستشراق قام على خدمة الغرب للتعرف على الحياة الشرقية وحياة المسلمين وجاء هؤلاء بصور متعددة كالسياحة وتتبع الآثار، ولبس بعضهم رداء العلم لتسهيل مهمة الاستيلاء على خبرات البلاد والاستفادة من المواد الأولية الرخيصة وبيع المنتجات التي تكدست من جراء اختراع المكائن وانتشار البطالة في بلادهم.. وكان أهم دافع هو الاقتصاد ومحاربة الدين الإسلامي الذي كان يقف حائلا دون التغلغل الفكري، والتبشير بين أبناء الشرق.

بعض المنصفين من المستشرقين:

ومع كل هذه الدوافع الاستعمارية فقد تحرر بعض هؤلاء من ربقة السياسة وكتبوا عن الإسلام ما أملته عليهم وقائع التقدم الحضاري الإسلامي. فقد قال كوستاف لوبون: «ما عرف العالم فاتحاً أرحم من العرب». وكتب بعضهم عن الحضارة الإسلامية وأثرها في تطوير حضارة الغرب في العلوم والفنون والآداب. وألقيتُ أكثر من محاضرة عن «أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي» فهل قرأه المتعلمون والمثقفون؟ وقد طبعتها في الرياض - دار الصافي وباعتها بسعر رخيص.

ومن الذين أنصفوا العرب والإسلام: آربري، فقد ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الانكليزية، ولم يقل بأنها ترجمة وإنما قال « شرح القرآن» وله دراسات كثيرة حبذا لو ترجمت إلى العربية. **كما كتب الفردكيوم «تراث الإسلام»** مع جماعة من المستشرقين، وترجم السيرة النبوية إلى اللغة الانكليزية. ومنهم جاك برك ورزيتانو والمستشرقة الذكية التي نشأت في مصر **الدكتورة كليليا سارنكي تشركو**. ومن اللواتي بذلن جهداً واضحاً الأستاذة الدكتورة أوديت بتي في جامعة السوربون الجديدة ، فقد كتبت كثيرا عن الأدب العربي، وترجمت لعمر بن أبي ربيعة وأبي فراس وطه حسين. وتعمل على تعريف الإسلام والإبداعات الثقافية في الأدب العربي. وهي مستمرة في جهودها الكبيرة. وعسى أن أفرد لها دراسة لأنها تستحق كل تقدير ، ولا يمكن أن ننسى الأستاذ **بوزورث وسيكرد هونكه والسير هملتن كب فقد قدموا للأدب العربي دراسات ممتازة.**

وأخيراً: الاستشراق أحد نتائج الحضارة الغربية الرأسمالية التي تريد أن تستفيد من ثروات الشرق لخدمة شعوبها والمحافظة على مستوى الرفاهية، فلا نعجب إن رصدت حركاتنا بكل الوسائل القديمة والحديثة وسجلت التطورات التي تحدث في اليابان والصين وحضارتهم، وترصد دولها؛ ففرنسة تدرس ما في بريطانية كما تدرس الأمور الشرقية، وألمانية تنظر للغرب نظرة خاصة بعد توحيدها. وأمريكا تراقب العالم وترقبها أوربا.. كل ذلك في سبيل الاقتصاد والمال والتجارة.

اتجاه جديد:

وأخيراً لا بُدَّ من نظرة فاحصة لكل مستشرق ودراسة جذوره وثقافته ودوافعه وبخاصة المعاصر منهم، فقد تخلص كثير منهم من السيطرة الرسمية وأخذوا يعملون في صمت في سبيل بحوثهم وابتعدوا عن التيار المعادي للإسلام ودرسوا الدين الإسلامي بحياد وتعاطف وبدأوا يفهمون الدين الإسلامي فهماً صحيحاً وينصفونه.

وأخيراً: ليس الاستشراق كلُّه سيِّئاً وليس كلُّه حسناً. ولكن علينا دراسة التيارات وتشجيع المحايد والمتعاطف والمخلص، ولا نقف أمامهم باستفزاز وعصبية، وإنما احتواء هؤلاء بالطيب من كل شيء، لأن ردَّ الفعل سيكون أكثر استفزازاً.

وصدق الله العظيم: {ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم}.

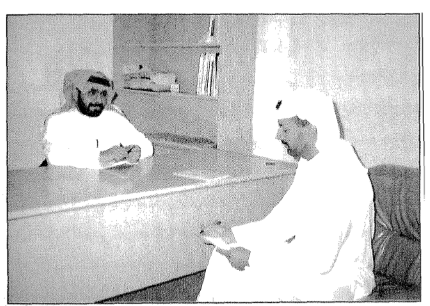
«الأستاذ خالد أحمد اليوسف المسعود سكرتير وأمين سر «نادي القصة السعودي» مسئول تحرير مجلة «الواحات المشمسة» واحد من المهتمين بالحركة القصصية بخاصة والأدبية بعامة في المملكة العربية السعودية.. وبحكم موقعه في نادي القصة، فقد كان لنا معه هذا الحوار، وصولا إلى ما تناهت إليه حركة القصة في تيارها المتنامي عبر العقود السابقة».

نادي القصة السعودي:

طموح .. وابداع

** *المنهل:*
نشـأة النادي وأهدافـه ومهامه؟.. لعلها البداية التي نود التعرف عليها..؟

* بداية أنا سعيد جداً لهذه الفرصة من (مجلة المنهل) المجلة الأم ومنحـهم نادي القصة السعودي هذه الصفحات للتعريف به أمام القاريء العربي، فهذا النادي لم يكن ليبرز لولا حرص صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد لإبراز أدبنا الأصيل المتجدد والمتقدم، وقد بدأ نشاطه مع أواخر التسعينيات الهجرية وكان النشر بداية عمله حيث أخرج الجزء الأول من الواحات المشمسة وكان خاصاً بالقصص الفائزة بالمسابقة الأولى ثم واصل نشاطه المتنوع والمتعدد، وللنادي أهداف ومهام أساسية تتغيًا الأخذ بيد القصة القصيرة والرواية وكتابها وكاتباتها .. ومن هذه الأهداف:



المحاور مع الاستاذ خالد اليوسف

- إصدار ونشر المجاميع القصصية والأعمال الروائية والدراسات النقدية المتميزة والمتمكنة من نتاجها.

- الأخذ بأيدي الناشئة والهواة من خلال المسابقة الدائمة لكتابة القصة القصيرة.

- إصدار الملف المتخصص بالقصة القصيرة والرواية (الواحات المشمسة) لإبراز هذا العطاء المتقدم في بلادنا نصاً ودراسة.

- تكاتف الجهود لخدمة دارسي هذا الإبداع ومساعدتهم من خلال المكتبة المتخصصة ومركز المعلومات الفريد في مجاله وحصره.

- ربط الكتّاب وجمعهم في شعار وانتماء وطني واحد ومنحهم بطاقة العضوية الدائمة تكريماً لقدراتهم المتميزة.

- يقوم النادي بعملية التواصل مع الجهات المماثلة في الخليج العربي والوطن العربي عامة لنقل الصوت القصصي الى هذه الأنحاء، كذلك النقاد العرب الذين لهم تواصل مع النادي ومع الإبداع السعودي.

- إقامة الأمسيات القصصية والمحاضرات والندوات التي تدرس القصة القصيرة والرواية.

***** المنهل:***

ما البرامج والاستعدادات التي وضعها نادي القصة السعودي كقسم فعال في الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سبيل احتضان الأدباء الشباب خصوصاً من كتاب القصة القصيرة؟

* خطة النادي مستديمة لا ترتبط بعام أو فترة زمنية وتنتهي، ولهذا نحن نحاول كل عام الاعلان عن بدء استقبال النصوص القصصية الجديدة للمشاركة في مسابقة القصة، كذلك لازلنا نشيد البناء ونرفعه عالياً ليكون مركز المعلومات القصصي متكاملا ومرجعاً مهماً في كل صغيرة وكبيرة ليس في القصة القصيرة والرواية المحلية ولكن على مستوى الخليج العربي والوطن العربي، وقد بلغ ما يحويه أكثر من مائة وعشرين حافظة وملفاً لأكثر من مائة وأربعين كاتباً وكاتبة في القصة القصيرة والرواية، وقدمنا خدماتنا للباحثين والدارسين في الجامعات السعودية، ثم جائزة سمو الأمير فيصل بن فهد لأفضل عمل قصصي وكتاب في القصة القصيرة مازالت قائمة ولم يُعلن عنها بعد.

***** المنهل:***

الملف الأدبي «الواحات المشمسة» ملف مفعم بعالم القصة ونقدها والدراسات التي وُضعت لأجلها، ما هي قصة ظهور هذه المجلة كقفزة نوعية في جدية الإهتمام من قبل المسؤولين عن كافة جوانب «الأدب العربي» في السعودية ومنها القصة القصيرة؟

* هذه المجلة، هي إحدى الطموحات الكبيرة للجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ممثلة بنادي القصة السعودي، وفي الحقيقة لا يزال هذا الطموح صغيراً وسيكبر بإذن الله، وهو ملف متخصص كانت بدايته كتاباً خاصاً بأعمال الفائزين بمسابقة القصة عام ١٣٩٩هـ ثم في عام ١٤٠٩هـ أمر الاستاذ محمد بن أحمد

حوار: **عقيل بن ناجي المسكين** - الرياض -

الشدي بتطوير هذا الملف وإصداره على شكل ملف متخصص فكان الجزء الثاني، ثم تطور أكثر ووضع له الشكل والتصميم الخارجي والداخلي الثابت ليأتي الجزء الثالث بالشكل المرضي، وقريباً - إن شاء الله - يصدر الجزء الرابع وفيه تبرز كثير من الآمال والطموحات خدمة للقصة القصيرة والرواية في المملكة العربية السعودية.

***** المنهل:***

وماذا عن المسابقات في القصة القصيرة التي يعلن عنها النادي وما هي شروطها، وما مدى أهميتها في اكتشاف المواهب التي تستحق الاهتمام والتشجيع عن طريق هذه المسابقات وما هي وسائل التشجيع التي تبذل لهم؟

* للناشئة والمبتدئين والهواة حق عظيم وخاصة في هذا المجال الذي كرسنا جهودنا له ولهذا عقدت أربع مسابقات كانت نتائجها مبهرة حيث كشفت وسلطت الضوء على أسماء تستحق هذا الاهتمام لتمكنها وتفوق قدراتها الكتابية الإبداعية وقد شقت دربها فيما بعد وأصبحت من الأقلام البارزة في القصة القصيرة على مستوى المملكة، ونحن لا نشترط شروطاً صعبة أبداً، وأهم الشروط هي:

- نضج الكتابة ، ووضوحها ، وجديتها ، وعدم الاشتراك بالنص المشارك به في أي مسابقة أخرى، الأحقية للنادي والملكية له بعد وصول هذا المتسابق الى درجات الفوز، وأهم هذه الشروط كونه سعودياً، ثم بعد ذلك نشجع الفائزين في احتفال يتناسب مع هذه المناسبة لتوزيع شهادات التقدير والمكافآت للخمسة الفائزين مع تقديم أمسية خاصة بهم لقراءة إحدى قصصهم غير الفائزة ثم نشر الفائزة في ملف الواحات المشمسة.

***** المنهل:***

ما هي الخطة المتبعة لدى نادي القصة في طباعة إنتاجات الشباب المستحقة للطبع والنشر كانتاج أدبي وصل الى مرحلة الإبداع والقبول من قبل المتلقي الواعي؟

* نادي القصة يسعده دوماً إصدار الأعمال القوية المتميزة لكتابنا الذين لم يسبق لهم أن تقدموا للنادي والأولى كذلك للذين لم يصدر لهم النادي اعمالا ونحن كالجهات الرسمية الأخرى نبعث بالعمل إلى فاحصين لإجازته فإن وافقوا نشرناه وطبعناه وإن كانت لهم ملاحظات أعيد لصاحبه، وقد وصلت سلسلة المجاميع القصصية لاثنتين وعشرين مجموعة والرواية عمل واحد.

***** المنهل:***

الدولة لم تأل جهداً في خدمة الشباب واتجاهاتهم في هذه الحياة، إلى أي حد كان التوجه في خدمة الأدب القصصي؟.

* القصة القصيرة هي احدى فروع الأدب الحديث ولم تبرز إلا في الآونة الأخيرة من القرن العشرين وبخاصة هنا في المملكة العربية السعودية، ومنذ عشر سنوات تقريباً بدأ طلاب الجامعات الاطلاع عليها وقراءتها مع بدايات التسعينيات الهجرية ١٣٩٠هـ، ونحن الآن في أوائل ١٤١٧هـ أجد ان القصة القصيرة قفزت عالياً وأصبح لها قراؤها ومتابعوها واقتناء الأعمال الجديدة لمن لهم

رغبة في القراءات الأدبية، أما أن أقارن بين الأدب والرغبات الأخرى لدى شبابنا فبالتأكيد لكل عصر رجاله وصناعه والصحون الفضائية سيطرت على العقول الكبيرة والصغيرة لقوة الدهشة والانتقال بالخيال الى عوالم أرحب ما بين الفن والرياضة.

**** المنهل:**

في عالم القصة اتجاهات تجديدية متعددة سايرت المد الحداثي في النص الأدبي بشتى أشكاله ومن هذه الاتجاهات القصة الرمزية المغرقة في الغموض ما هو موقفك الشخصي منها من خلال تجربتك القصصية؟ وهل لها جدوى أدبية في ساحة الأدب؟

* الأدب الرمزي ليس حديثاً بل قديماً وله جذوره في أدبنا العربي، أما الإغراق في الرمز لدرجة الغموض فإنه يحوّل العمل الأدبي إلى فوضى ومضيعة للوقت.

وفي الحقيقة إن الرمز جميل جداً عند صدق التعبير وصعوبة الإيضاح والإفصاح بل وأجمل عندما يكون الوضوح عادياً لا يظهر جمال النص أو القضية أو الفكرة المراد طرحها من خلال النص، وكثير من المواقف تستدعي هذا ولهذا وردت فكرة القراءات المتعددة وأصبحت واقعاً لدى النقاد.

**** المنهل:**

ما هي أهم ملامح التجديد في القصة السعودية خاصة من حيث الاسلوب والمواضيع التي تطرحها؟ وما مدى تقبل المتلقي السعودي لهذا التجديد؟

* تبدو لي من الوهلة الاولى أن الإجابة على هذا السؤال تتطلب بحثاً طويلا وقد تطول رسالة علمية وهذا ما أتمناه!!

إن الكتابة القصصية مرت بأساليب عديدة وكل مرحلة كتابية لها طابعها وطرائقها في الطرح والتناول حيث إن المرحلة تملي واقعها بلغتها الخاصة لهذا حين تقرأ قصة كتبت مع بداية ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ستجد أنها تختلف عن قصة كتبت بعد ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م والدراسات التطبيقية أفضل بكثير من النظريات والرأي الفردي - وأنا أثق برأيي - ذي الخلفية القرائية من غير تطبيق! ولذا أتوقع من الدراسات الجامعية الخروج بنتائج جيدة وهذا الحديث يأتي كذلك على الموضوعات التي تتناولها القصة القصيرة وكثيراً ما دعوت في مقالاتي واللقاءات التي أكون طرفاً فيها الى أن تدرس القصة لدينا من الناحية الموضوعية.

**** المنهل:**

«القصة القصيدة» كما أُطلق عليها من قبل بعض النقاد والتي لا ينقصها إلا وضعها في قالب موزون لتصبح قصيدة حديثة، هل لهذا النوع من القصص مكانة في الساحة الأدبية السعودية؟

* القصة القصيدة موجودة من خلال الجمل الشاعرية والمقاطع المتناثرة في ثنايا القصة وذلك عائد لكون الذاكرة العربية شاعرة بالفطرة وفي داخل كل منا شاعر خاص به تنطلق شاعريته عند الموقف أو اللحظة التعبيرية في ساعة الكتابة، وهي طبيعية - أقصد كتابة القصة القصيرة - لا يتقصدها الكاتب ولا يجبر نفسه على إجادتها أو اتقان اللغة الشاعرية من خلالها لأن السياق العام

للقصة يستدعيها وهذه الصنعة من جماليات القصة العربية.

**المنهل:

المجتمع السعودي له ارتباط وثيق بالبيئة من حوله كالصحراء الواسعة وشواطىء الخليج العربي والبحر الأحمر والمزارع والبساتين مع ما بها من مظاهر الريف والمناطق الجبلية المغطاة بطبقة شاسعة من الغابات والأشجار ، ما مدى استفادة القاص السعودي من هذا الجانب في إبراز عامل المكان بإبداعه القصصي؟ وما أمثلة هذا العامل الفعَّال في انتاجاتك القصصية؟

* الإنسان ابن بيئته وأرضه وتراثه وعاداته وتقاليده ومخزونه التراثي على اختلاف في القدرات والمفاهيم والاستطاعه التضمينية داخل النص أو الاستيحاء لمعالجة جماليات النص، وكل قاص لدينا استطاع بمفهومه وقوته في الكتابة أن يمر على خلفيته التراثية زماناً ومكاناً - والحمد لله - أن وطننا الواسع لا حصر للعادات أو المظاهر التراثية وقاصينا من أرجاء الوطن استطاع كل واحد منهم نقل صورة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة لهذه الجماليات حسب ما يتطلبه القص والحكاية والحدث، وأعتقد أنه يبرز أكثر لدى كتاب الرواية مستقبلا - اما أنا فمن ضمن هؤلاء ومجاميعي الثلاث وقصصي الاخرى تزخر بصور وحكايات ومواقف استفادت من الوطن لأني جزء من هذا الوطن.

**المنهل:

القلم النسائي له حضور فعال في الساحة الأدبية والثقافية والفكرية بالمملكة ، فما دور الكاتبة السعودية في مجال القصة القصيرة ونقدها، وأشهر الكاتبات، ومن من الكاتبات تعاونَّ مع النادي وطبع لهن؟.

* بالتأكيد للمرأة دور كبير في حركتنا ولا ينكر هذا إلا جاهل أو مغالط للوقائع المنتجة من قبل المرأة حتى أصبحت في صف الرجل في أشياء كثيرة، وهنا من خلال السؤال السالف أجدها مناسبة كي أثبت حق أخواتي القاصات حيث انهنّ بدأن مع الكتاب الجادين ونشرن في التسعينيات الهجرية عدداً من النصوص القصصية من خلال الصحف والمجلات ولم تظهر الأعمال المجموعة بشكل واضح الا في نهاية التسعينيات وخلال العقد الماضي ١٤٠٠هـ/ ١٤١٠هـ ازدهرت بوضوح، وللباحث والقارىء أقدم له كتابي الراصد : الببليوجرافيا الخاصة بالقصة القصيرة والرواية في المملكة خلال عشر سنوات ١٤٠٠هـ/ ١٤١٠هـ الجزء الأول، والثاني إن شاء الله في الطريق ليغطي الفترة التالية ثم إنى حصرت ذلك في ببليوجرافيا خاصة بأدب المرأة وقد نشرت في العدد الرابع من «قوافل» الملف الذى يصدره نادي الرياض الأدبي.

أما أشهر الكاتبات فهذه صيغة لا أريد الدخول فيها لأنهن كلهن شهيرات وعددهن كثير جداً، وكل القاصات متعاونات مع النادي إلا اللاتي فقدن مصداقية حمل الرسالة الأدبية وبقين هائمات وراء الشهرة الزائفة في الصحافة المطبلة.

**المنهل:

من برأيك يقف على هرم القصة القصيرة

في المملكة باعتباره مبدعاً يستحق الوقوف أمام أعماله القصصية لتميزها وتوفر معايير الإبداع القصصي فيها؟

* من الصعب جداً تحديد الهرمية في الإبداع لأن الكمال في الابداع صيغة عليا يصعب توفرها، وانما - حسب رأيي - التباين هو ما يفرق بين كاتب وآخر، أقصد بذلك أن العمل الكتابي لشخص واحد لا تجتمع فيه كل المتطلبات الابداعية لهذا قد يبرز قاص في الإبداع اللغوي وقد يبرز آخر في الناحية البنائية للقصة وآخر في الطرح الموضوعي وآخر في التضمين واستخدام الموروثات والأساطير بالشكل المثير للقاريء، وكل هؤلاء لدينا، ثم - وهذا هو المهم - هل كل ما يكتبه قاص معين ناجح ومميز يحالفه النجاح دوماً ؟؟؟ فربما تفوق في قصة واحدة وأخفق في أخرى.

***** المنهل:**

هناك احتدام أدبي نقدي حول موضوع القصة القصيرة من حيث عدم جدواها في خدمة المتلقي وإفادته وقد لجأ اليها الكتاب لسهولتها وكثرة المواضيع التي يمكن تناولها بهذا الاسلوب القصصي القصير، وإنما هي لقطات عابرة من الأحداث الجارية يوميا في ساحة المجتمع ونقلها يعتبر اسلوبا صحفيا ليس إلا .. وبعضهم يقول إنها قد استنفدت جميع أغراضها وحان لها الرحيل، ما هو رأيك في هذه الآراء؟

* هذه الآراء جانبت الحقيقة والصدق ويبدو أنها لا تعرف شيئاً عن القصة القصيرة بل وليس لها ادراك نقدي، وإنما اطلاق الكلام للإثارة فقط!!

القصة القصيرة فن راق وكتابة أدبية ممتعة تساير الحياة وتعالجها وتكشف عن كل صغيرة وكبيرة تخدم المجتمع وتثري العقول والأذواق وترضي كل المشارب والاعمار وتتداخل مع كل العلوم والفنون والطرق والأساليب، وكل هذه تأتي بحسب قدرات القاص أو القاصة، لكن أن يقال أنها سهلة أو كتابة صحفية أو ... أو .. كل هذه تأويلات غير منطقية ، والدراسات الأدبية الصحيحة أثبتت هذا حيث أوضحت لكل القراء قدرات القاص على مسايرة تقلبات الحياة وصروفها بل واشادت بما فعله القاص من معالجات وتوقعات لكثير من المشاكل الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية.

***** المنهل:**

نعود الى نادي القصة السعودي، ما هي الطموحات التي يتطلع اليها النادي ويسعى لتحقيقها للارتقاء بجانب مهم من جوانب الأدب السعودي ألا وهو جانب القصة؟

* طموحاتنا لا حدود لها وأبرزها تكاتف الكتاب والكاتبات مع النادي في كل ما يرفع قصتنا القصيرة والرواية، اصدار أفضل المجاميع القصصية والأعمال الروائية، اصدار ترجمات لقصصنا القصيرة ومحاولة اصدارها خارج الوطن لنقل صورة رائعة من ادبنا الناجح، الارتباط بصداقات قوية مع الأندية المماثلة في الوطن العربي، اقامة ملتقى للقصة القصيرة على مستوى المملكة لمعالجة الأخطاء ودراسة الأعمال المتفوقة وتكريم الرواد البارزين.

مع الدكتور عبد المحسن القحطاني في كتيبه بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر (٢-٥)

عود على بدء :

لقد استطاعت المفردات اللغوية التي استخدمها الدكتور القحطاني في بحثه للتعبير عن نفسه أن تصرفنا عن المضي في مناقشة هدفه من البحث، ومعرفة الخطوات التي حددها كمنهج له يسير على ضوئها للوصول إلى النتائج التي رسمها.

لقد أشار الدكتور في مستهل بحثه إلى الهدف من قيامه باعداد هذا البحث وهو مناقشة النصوص الشعرية سواء أكان النص بيتا أو بيتين أو مقطوعة أو قصيدة من القصائد والمقطوعات التي ترددت في بعض الكتب التي تُعنى بالأدب أنها مضطربة في الوزن. كما حدد الدكتور عدد هذه القصائد والمقطوعات بعدد أصابع اليد الواحدة، فقال في الصفحة الحادية عشرة «وهي بمقارنتها - أي القصائد المضطربة الوزن - أو النصوص الشعرية المضطربة الوزن - مع الشعر العربي مقارنة كمية لا تتجاوز خمسا بين مقطوعة وقصيدة».



بقلم: **أحمد سالم باعطب**
- جدة -

غير أن الباحث ذكر أنه استطاع أن يعثر على ثلاثة عشر نصا يمكن أن تدرج تحت مسمى «نصوص مضطربة» وقال الدكتور في نهاية الصفحة الحادية عشرة: «فإنَّ تلك النصوص تحتاج إلى وقفات متأنية، قبل أن تكون السلطة الحقيقية للقوانين العروضية - التي أوجدها الاستقراء والاستنتاج - وهل تلك القوانين فيصل فيما قيل وما سيقال عن مثل هذه النصوص في المستقبل».

ويظهر لي أن الدكتور يسير في الطريق الصحيح فالنصوص الشعرية يجب ألا تكون القوانين العروضية هي الفيصل في قبولها أو رفضها لأننا إذا رضينا بذلك فكأننا رضينا أن يَحْجُر العروضيون على عقولنا ومشاعرنا إذا صح أن الشعر هو نبض المشاعر.

إن على العروضيين أن يضعوا القواعد العامة، ويتركوا الخوض في التفاصيل، وأن يتركوا للشاعر حرية اختيار عدد التفعيلات في البيت الواحد على أن يظل ملتزما بانسياب

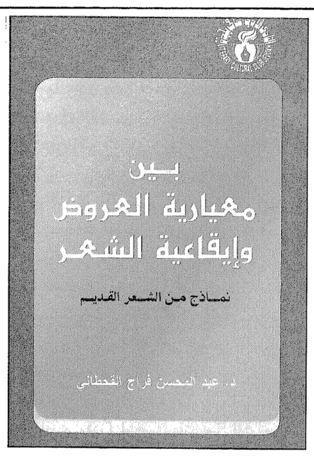
نغمات تلك التفعيلات متناسقة إلى أذن المتلقي ، ولا تجد اللسان نتوءات في قراءتها .

وعلم العروض وعلم القوافي علمان كسائر العلوم قابلان للتطور والتغيير، كاللغة تماما فاللغة التي تحدث بها أجدادنا العرب في عصر امرىء القيس لم تعد صالحة للتحدث بها في العصر العباسي فكيف يكون الحال لو فُرض على المجتمعات العربية أن تعاود النطق بتلك المفردات، فلن يستطيع أحد العودة إلى الماضي للتحدث والكتابة بلغة احرنجم وافرنقع، وتكأكأ .

إذن فالمطالبة بتطوير علم العروض وعلم القوافي لها ما يبررها، ويجب علينا أن نواكب العصر الذي نعيش فيه، والتيسير ما كان في شيء إلا زانه.

لذلك فإن على علماء العروض أن يحاولوا تطوير هذا العلم بما يساير العصر الحاضر، ولا أعني بقولي هذا أن نتخلى عن البحور، وإنما أن يُعْطى الشاعر حرية الاختيار داخل البحر الواحد بحيث يتخذ منه مثمنا، ومسدسا، ومربعا، ومثنى، وموحدا طالما أنه متقيد بالتفعيلات .

أما أن يقول أحد العروضيين: إن بحر المديد مثمنا ولكن العرب لم تقل عليه شعرا، وإذا سألناه فمن عرَّفك إذن أنه مثمن؟ فإنَّ جوابه: الدائرة العروضية الأولى «دائرة المختلف» . ويقف السائل حائرا أمام هذا الجواب، كيف تُصَدَّق الدائرة العروضية ويُكذَّب واقع الشعر العربي؟! وإذا رجعنا لدائرة المختلف المذكورة لوجدنا بها ثلاثة بحور شعرية هي بحر الطويل وبحر المديد وبحر البسيط، وخَمْسَة أبنية مهملة



، وأحدها مجزوء وهو بحر الطويل، ولو رجع القارىء إلى الدوائر الخمس لوجد أن بها سبعة وعشرين بناء مهملا لم يعمد شاعر ما إلى استخدام أحدها لأنها مستنبطة من الخيال لا من الواقع .

الاحتجاج بالشعر على الشعر:

وتعرض الدكتور لقضية الاحتجاج بالشعر على الشعر فقال: «إن الاحتجاج كان للغة (نحواً وصرفاً) وإنَّ الحركة الموسيقية لم تدخل في دائرة قضايا الاحتجاج» . وهذا كلام سليم لأن علماء اللغة ظلوا يستشهدون بالشعر على سلامة المفردات اللغوية، والتأكد من مصادرها، أما موازين الشعر وأعاريضه وضروبه، وتفعيلاته وبحوره، وزحافاته وعلله، فلم تكن معروفة في الجاهلية وصدر الاسلام، وما ظهر

علم العروض بقواعده الأولى إلا في القرن الثاني على يد الخليل بن أحمد الذي استنبط خمسة عشر بحرا مما وقع في يديه من أشعار الشعراء القدامى واختار منها ما تناسب مع الألحان التي اختارها، ووضع اسما لكل بحر يعتمد على المدى الصوتى والايقاعي له. لذلك نجد الدكتور القحطاني يقول: «بدليل أن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى عام ١٧٠هـ، وضع بحوراً مهملة، وترك الباب مواربا لمن سيأتي من الشعراء، وأن عمل الخليل هذا استقراء واستنتاج» وَرَدَ هذا القول بالصفحة الثانية عشرة من كتابه ابتداء من السطر السابع.

لم أفهم ماذا يعني أو بالأحرى يقصد من استخدام كلمة «مواربا» في هذه الجملة «وترك الباب مواربا لمن سيأتي من الشعراء». والمواربة كما تقول معاجم اللغة هي المكر والخديعة، أما المواربة في الشعر فهي: أن يقول شاعر بيتا من الشعر مدحاً أو هجاء أو وصفا وفيه معنى يخاف أن يصل إليه أعداؤه، فإذا أحسَّ بأنهم أدركوه لجأ إلى تغيير المعنى بلفظة أو حركة وذلك مثل قول عتبان الحروري الشامي.

فمنا حصينٌ والبطينُ وقعنبُ
ومنَّا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فجيء به إلى هشام بن عبد الملك بن مروان فقال له: أأنت القائل:

ومنَّا أميرُ المؤمنين شبيب؟ فقال عتبان مواربا أي مخادعاً: لا، وإنما قلتُ: ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ بنصب كلمة «أمير» على أنها منادى منصوب وحرف النداء محذوف تقديره «يا»، ليصبح معنى الشطر: وَمنَّا يا أمير المؤمنين شبيبُ، وهكذا تخلص عتبان الحروري من الموقف الحرج الذى كاد أن يطيح برأسه بهذه المواربة اللطيفة بابدال الضمة فتحة فتغير المعنى وأنقذ حياته لكننى لم أدرك حتى الآن معنى «مواربا» رغم استخدام الدكتور لها ثلاث مرات المرة الأولى بالصفحة الثانية عشرة ابتداء من السطر السابع، والمرة الثانية بالصفحة السابعة والعشرين بالسطر العاشر في قوله: «إذ المعروف عن الخليل أنه ترك الباب مواربا للشعر» والمرة الثالثة بالسطر الأخير من الصفحة الثالثة والستين حيث قال : «حينما وضع الباب مواربا لقبول هذه القصيدة».

فإذا كان معناها الخديعة والمكر فأعتقد أن موقعها هنا غير مناسب، وهذه وجهة نظر خاصة قد يكون الخطأ فيها أكبر من الصواب.

ولو رجع القارىء إلى كتب العروضيين القدامى لوجد أنها تكاد تكون نسخة واحدة من حيث الاستشهاد بالأبيات الشعرية للدلالة على صحة الوزن، وتُجْمِعُ تلك الكتب على أن أغلبية تلك الشواهد لا يعرف قائلها، أي إنها من نظَّامين يحققون بنظمها رغبة العروضيين أو تكون من نظم العروضيين أنفسهم.

ولن ألقي القول على كاهنه فإن لهذا العلم أربابه وأساتذته، وهم أعلم مني به، ولكن من نافلة القول أن اثبت للقارىء الأدلة على أن كثيرا من الأبيات التي استشهد بها العروضيون لصحة أوزان بحور الشعر أبيات لا يُعْرف قائلوها، وإنما تناسخها بعضهم بعضا وهذا الدليل:

استشهد بالبيت التالي على العروض المقطوعة والضرب المقطوع في مجزوء البحر البسيط والبيت هو:

ما هيَّج الشوق من أطلال
أضحت قفارا كوحي الواحي
* دون أن يعزو البيت لقائل في الكتب التالية:
العقد الفريد - لابن عبد ربه.
الاقناع - للصاحب بن عباد.
عروض الورقة - لابن حماد الجوهري.
الكافي - للخطيب التبريزي.
الجامع - لأبي الحسن العروضي.
القسطاس - لجار الله الزمخشرى.
البارع - لابن القطاع.
المعيار - لابى بكر بن السراج الشنتمري.

* وهذا بيت آخر من الأبيات التى استشهد بها العروضيون القدامى بالنقل وقد استشهدوا به على جواز العقل، وهو إسقاط الحرف الخامس المتحرك بعد تسكينه في حشو الوافر إذا كانت عروضه مقطوفة، وضربه مقطوف.
والبيت هو

منازلُ لفَرْتَنَي قفار
كأنما رسومها سطور

ولم ينسب هذا البيت لشاعر في أي من الكتب السابقة، والتغيير الوحيد الذي لحق البيت يتعلق بكلمة «فَرْتَنَي» فقد وردت في الكافي والبارع والجامع هكذا «فرتنا» وأما في عروض الورقه والقسطاس فقد وردت كما نقلتها عنهما.

ومن الأبيات التي نظمها بعض النظامين واستخدمها العروضيون شواهد لبعض أوزان البحور؛ هذا البيت الذي ينتمي إلى مجزوء بحر الهزج السالمة عروضه المحذوف ضربه:
وما ظهري لباغي
الضيم بالظهر الذلول
وقد تناولته كتب العروضيين نقلا بعضهم عن بعض مع عدم نسبته إلى شاعر معين وقد ورد هذا البيت في جميع الكتب المذكورة سابقا.
ولولا الإطالة لأوردت جميع الأشعار التي فتح العروضيون لها أبواب مؤلفاتهم لتقيم بها مكرَّمة معزَّزة دون التحقق من هوياتها، مما أوقع الكثير من أحفادهم في أن يستضيفوا هذه الأبيات تكريما لأجدادهم، ومن هؤلاء الأحفاد الأستاذ محمود مصطفى - رحمه الله - صاحب أهدى سبيل الى علمي الخليل، فقد أورد في كتابه المذكور بيتين من الأبيات التي استشهدت بها على أنها أبيات لم يعرف قائلوها، والبيتان هما:

الأول:

ماهيج الشوق من أطلال
أضحت قفاراً كوحي الواحي

الثاني:

وما ظهري لباغي
الضيم بالظهر الذلول

* وكان من المؤمل في علماء العروض في العصر الحديث أن يتحاشوا اللجوء إلى الاستشهاد بأبيات قديمة العهد ما دام أن قواعد العلم قد وضعت، وأن التحسينات التي أدخلت عليها سابقا معروفة، وأن الأمور التي طرأت حديثا والتي ينبغي أن تؤخذ في الحسبان معلومة. فلماذا يصرُّ البعض على الاتكال على كلمات درست منذ زمن وأصبح الرجوع إليها مقصورا على الإحتجاج بها على أسبقيتها، أما أن تشق طريقها مرة أخرى إلى الاستعمال كتابة أو نطقا نثرا أو شعرا فهذا غير ممكن.

«يتبع في الحلقة القادمة»




** الريادة والسبق في مجالات العلوم والمكتشفات كان للمسلمين منها النصيب الأوفى .. هذا لما كانت أوروبا تغط في نوم عميق.. والعدول من علماء أوروبا يقولون بافادة الحضارة الغربية من الحضارة الاوروبية.
ولكن .. هل سنبقى أبداً نجتر الماضي ونعيد أحلام الاجداد في ليل لا ندري متى يأتي ضحاه؟!!
وهذه الدراسة واحدة من ريادات علماء المسلمين..

بقلم:
د. محمد سعيد البارودي
أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا
جامعة أم القرى

تاريخ علوم الفلك ودور العرب والمسلمين فيه «٢-٢»

تطور علوم الفلك في حضارة أوربا الحديثة:

تتطور الأسباب التي أبقت أوربا فترة طويلة من الزمن في حالة تأخر وجهل كبيرين. وربما بدأ هذا التأخر مع سقوط الحضارة اليونانية تحت ضربات الرومان الذين كانوا عسكريين أقوياء أكثر منهم علماء، وتعبر حضارتهم العسكرية على ذلك بشكل واضح. ومع سقوط الامبراطورية الرومانية وخساراتها لمعظم أراضيها أمام مد الحضارة العربية الاسلامية، زادت الأوضاع سوءا في أوربا التي أمضت قرونا من الزمان تقف فيها موقف المدافع أحيانا، والمهاجم أحيانا أخرى لاستعادة أملاك الامبراطورية الرومانية التي سلبتها اياها الخلافة الاسلامية الفتية. وخبت جميع العلوم في أوربا في العصور الوسطى الا العسكرية منها. وغطت اوربا في سبات عميق طيلة ألف سنة تعيش حياة اجتماعية مزرية ساد فيها الفقر والمرض والسرقة والقتل. وانتشرت الدويلات الاقطاعية التي ركزت على استرقاق الناس، وقامت الكنيسة بارهاقهم بضرائبها الباهظة التي زادت الأمر سوءا، فأهمل التعليم الا ما تعلق منه بالدين وتعاليم الكنيسة. وكانت الطبقات العليا في المجتمع الأوربي من أوائل من بدأ النهضة الأوربية عندما اهتموا بالفن المعماري فقلدوا التماثيل القديمة ليزينوا بها

القصور، وكان هذا بداية البحث عن التراث.

ومالت الطبقات الحاكمة الى مخطوطات اليونان بهدف الاطلاع وسد الفراغ، والتسلية بالدرجة الأولى. وكان هذا التراث قد لملم شمله علماء الحضارة العربية الاسلامية الذين حفظوه من الضياع، ودرسوه، وترجموه، وارتكزوا عليه وعلى غيره من تراث الحضارات الأخرى. وعلى ذلك اتجهت الأنظار نحو العالم الاسلامي للاطلاع على تراث اليونان أولا وما قدمه المسلمون ثانيا، فكانت الترجمات العديدة للكتب العربية التي كانت الأساس والقاعدة لما قدمته الحضارة الأوربية الحديثة من أفكار تذكرنا بنفس الطريقة التي نهجها العلماء في الحضارة العربية الاسلامية.

وثمة أسباب أخرى لعبت دورا كبيرا في الاندفاع نحو التوجه للحضارة الاسلامية، فقد كانت الوظيفة الاجتماعية للقساوسة كأوصياء على التقويم وتنظيم الوقت أن دفعهم ذلك الى تدريس علم الفلك في مناهج التعليم المسيحي.

ولهذا الغرض توجه عدد من الرهبان الى زيارة الجامعات العربية الأندلسية أمثال جريجوري راهب كريمونا وأديلارد راهب باث، ورايموندو أسقف طليطلة، وجنيدسلافي أسقف شغوبيه وأحد كبار كنيسة طليطلة وغيرهم. وقد أخذ هؤلاء على عاتقهم بعد ذلك ترجمة أمهات الكتب العربية في الفلك.

ولم يتوقف اهتمام الأسبان بالعلوم العربية عند هذا الحد بل تعداه الى استقدام ما يمكن أن نسميه أساتذة زائرين أو متعاقدين (حسب المصطلحات في الوقت الحاضر) من الجامعات الأندلسية للتدريس في جامعات الغرب المسيحي ليس في طليطلة فحسب وانما في عدد من الجامعات الأخرى. ورغم أن معظم هؤلاء كانوا من اليهود الا أنه كان لبعض المسلمين دور بارز في ذلك. وفي عهد متأخر ساهم عرب الأندلس من الفلكيين والجغرافيين في تدريبات عملية لملاحي هنري الملاح ولي عهد البرتغال في مرصده ومدرسته الملاحية التي بناها في عام ١٤٢٠م وشملت هذه التدريبات الآلات الملاحية والرصدية اضافة الى رسم الخرائط[١]. وقد لعبت كل هذه الأعمال

والاهتمامات دورا بارزا في الحضارة الأوربية سواء أكان ذلك في نهاية العهد المدرسي، أم في عصر النهضة الأوربية. وبناء على ذلك يمكن تقسيم تطور علوم الفلك في حضارة أوربا الى فترتين متميزتين:

أ ـ مرحلة الترجمة والتأليف في العهد المدرسي:

بات من المسلمات في تاريخ العلوم وانتقال الحضارات أن كلا من الأندلس وصقلية، والحملات الصليبية قد لعبت دورا رئيسيا في نقل مصنفات العلوم المختلفة للحضارة العربية الاسلامية الى أوربا.

ويبدو أن سقوط طليطلة في الأندلس على يد الفونو السادس ١٠٨٥م قد كان البداية الحقيقية لسيطرة الغرب على مكتبات كاملة من المخطوطات العربية، ولم تلبث أن أصبحت طليطلة في أقل من ٤٠ عاما مركزا ثقافيا تشع علومه الى باقي دول أوربا. فقد تولى ريموند وأسقف طليطلة رعاية عدد من المترجمين (عرفوا فيما بعد بمدرسة المترجمين الطليطليين) قاموا بترجمة أهم المؤلفات العربية في الرياضيات والفلك والطب.. الخ، واشتهر منهم اليهودي الأصل يوحنا بن داود وجنديسلافي من كبراء كنيسة طليطلة[٢]. وفيما يلي سنعرض لأهم من ساهم في ترجمة علوم الفلك.

(١) ـ أديلارد الباثي: Adelard of Bath (القرن ١١ ـ ١٢م):

اشتهر أديلارد بفلسفته وحبه لعلوم الفلك، وهو انكليزي الأصل من الرهبان البذكتيين، الا أنه سافر الى المشرق العربي ١١١٠ ـ ١١١٤م، وزار بلدان البحر المتوسط، كما مكث لبعض الوقت في الأندلس.

وفي تجواله على البلاد الاسلامية أعجب بما أنتجته الحضارة العربية الاسلامية وقد ترجم كتاب اقليدس من العربية الى اللاتينية، كما ترجم زيج الخوارزمي في عام ١١٢٦م حسب الجداول المعدلة التي عملها مسلمة المجريطي[٣].

ولم يلبث أديلارد أن اتجه للتأليف بعد ذلك، وصنف كتابا في عمل الاصطرلاب، وكتابا أطلق عليه «المسائل الطبيعية -Ques tiones Naturalesà وقد حاول في كتابه الأخير أن يوضح المنهج الذي تعلمه من العرب والقائم على الدليل والبرهان. ويعتبر كتابه «مشكلات عسيرة» موسوعة للفكر العربي.

(٢) ـ أفلاطون التيفولي: Plato of Tivali (القرن ١٢م):

انتقل من موطنه ايطاليا الى الأندلس، واشتهر بترجمته لزيج البتاني في عام ١١٤٠م[٤] وقد ذاع صيت البتاني في أوربا منذ ذلك التاريخ وعرفت طليطلة وبقية بلدان أوربا أهم ما قدمته الحضارة العربية الاسلامية في علوم الفلك وقد اكتسب مؤلفه شهرة كبيرة في أوربا لهذا السبب. وقد شبه البتاني ببطليموس حيث إن كلا منهما قد جمع المعارف الفلكية السائدة في عصره ضمن مؤلفاته.

(٣) ـ هيرمان الدماتي: Hermann of Dalmatia (القرن ١٢م):

اشتهر بترجماته من العربية الى اللاتينية. فقد ترجم كتاب «المدخل الى علم

أحكام النجوم» في حوالي ١١٤٠م[٥] وأطلع الغرب منذ وقت مبكر على نظريات أبي معشر المتعلقة بالأدوار الكونية Cosmic Cycles ورغم أن بقية كتب أبي معشر المرتبطة بالتنجيم لم تلق ترحيبا كبيرا بعد ترجمتها، الا أن كتبه الفلكية الأخرى قد اكسبته شهرة واسعة في أوربا.

(٤) ـ جيرارد الكريموني Gerard of Cremona (١١١٤ ـ ١١٨٧م):

ولد في ايطاليا، وانتقل الى الأندلس، ويعد من أشهر المترجمين من العربية الى اللاتينية. فهو أول من ترجم المجسطي من العربية الى اللاتينية في عام ١١٧٥م كما ترجم في نفس الفترة الرسالة الشهيرة للفرغاني «كتاب الحركات السماوية وجوامع علم النجوم» وقد ترجمت هذه الرسالة أكثر من مرة في نفس الفترة وعن طريق الفرغاني تعرفت أوربا على الزيج المأموني الذي ضمن الفرغاني أجزاء منه في رسالته. وترجم كتاب الفرغاني في القرن الثالث عشر أيضا الى لغات أوربية عديدة، كما طبع وترجم مرة أخرى في ١٤٩٣م وأيضا في ١٦٦٤م.

وقد لعبت ترجمة جيرارد الكريموني لجداول طليطلة للزرقالي في بداية القرن الثاني عشر دورا كبيرا في أوربا. فهي معروفة في أكثر من ١٥ خمسة عشر مخطوطة، وقد نسجت عنها جداول مرسيليا التي تعتبر أول جداول فلكية في غرب أوربا، وترجع الى عام ١١٤٠م، وتحمل اسم ريموند. وقد أخذت هذه الجداول ومقدمتها من قوانين الزرقالي، وقد عدلت الجداول لتلائم مرسيليا[٦].

كما ترجم جيرارد الى اللغة اللاتينية رسالة الزرقالي في الاصطرلاب المسماة «صفيحة الزرقالي Arzachelis Saphaes ثم ترجمت بعد ذلك الى لغات عديدة كالعبرية والقشتالية والايطالية. وكان لها تأثير لا نظير له على كافة العلم الأوربي[٧]. كما ترجم جيرارد الكريموني كتابات أبناء موسى بن شاكر، وكتب جابر بن الأفلح الاشبيلي وأهمها كتابيه «الفلك» و«الهيئة» (توجد نسخة منها مخطوطة بالاسكوريال).

وتوجد ترجمات بعضها مفردة لعدد من المصنفات العربية في الفلك، والتي يرجح أنها ستنال شهرة أكثر في المستقبل كترجمة «ميشيل سكوت» الاسكتلندي المتوفي ١٢٣٦م لكتاب «الهيئة» للبطروجي، كما ترجم للعبرية في نفس الفترة. ويرى البعض أن كبلر قد استوحى كشفه لأفلاك الكواكب من نظرية البطروجي في حركة الكواكب ودورانها حول الشمس[٨].

واذا ما تركنا القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين نرى أن هناك اهتماما بمصنفات الفلك العربية استمر حتى فترة متأخرة من القرن التاسع عشر. فقد ترجم الزيج الايلخاني عن طريق المستشرق والفلكي الانكليزي جون غريفز (١٦٤٨ ـ ١٦٥٠م). كما ترجم زيج أولوغ بيك مع دراسات عنه عن طريق غريفز (١٦٤٨ ـ ١٦٥٠م) ، وترجم المقدمة سيدهو ١٨٤٧، كما ترجم سيدهو الى الفرنسية كتاب المراكشي «جامع المبادئ» والغايات الى علم الميقات» (١٨٣٤ ـ ١٨٣٥م) كما ترجمت أجزاء ونشرت من الزيج الحاكمي لابن يونس

عن طريق كوسان دني برسيسفال (١٨٠٣ ـ ١٨٠٤)٠ ولا يغطى العرض السابق لبعض أعمال الترجمة الا نذرا يسيرا من المخطوطات العربية في مجال الفلك ولا يزال العديد من هذه المخطوطات اما مفقودة أو مخزونة في المكتبات الأوربية دون دراسة حتى الآن، وربما سيكشف المستقبل القريب عن أن عددا من الأفكار الفلكية التي ادعاها فلكيون أوربيون لأنفسهم ليست في حقيقتها الا أفكارا عربية واسلامية الأصل ترعرعت في حضارة مزدهرة لأكثر من ألف عام٠ ومما لا يمكن طمسه أو ادعاؤه لأحد من مفكري الحضارة الأوربية هو تلك الأسماء العربية لعدد كبير من الأجرام السماوية والتي لا تزال تستخدم في جميع لغات العالم٠



آخر النهر	Acer nar
أقمار	Acmar
العقرب	Acrab
العذاري	Adara
الدبران	Aldebaran
الجدي	Algedi
الغول	Algol
الغراب	Algorab
الجنب	Algenib
القائد	El Kaid
الكأس	Alkes
المري	Al mury
النصل	Al nasl
الطرف	Alterf

الطائر	Altair
الفرس	Al Pheraiz
الفرد	Alpherd
الفكة	Al Phecca
أوج	Auge
السماك	Azimeck
ابط الجوزاء	Bet el geuse
بنات نعش	Benetnash
قيطس	cetus
ظهر (الأسد)	Duhr
الدلفين	Dephine
الدب	Dubhe
الراعي	El rai
أنف (الفرس)	Enif
فم الحوت	Fam el haut
جناح	Ginah
حمل	Hamal
قوس	Kaus
مركب	Markeb
منقار	Menkar
منطقة (الجبل)	Mintaka
مرفق	Mirfak
رجل (قدم)	Rigel
صدر (الدجاجة)	Sadr
سيف (الجبار)	Saif
شوله	Shaula
سبيكة	Spica
سهيل	Suhail
ثعبان	Thuban
عنق الحية	Unuk el hay
النسر الواقع	Vega - wega
الزبان الجنوبي	zeben El genubi

ب ـ مرحلة الابداع والنبوغ في أوربا الحديثة:

مما لا شك فيه أن العلوم في أوربا قد تأثرت بالحضارة العربية الاسلامية التي سيطرت لقرون عدة على شتى العلوم الانسانية وعلى رأسها علم الفلك كما سبقت الاشارة اليه، وتشهد ترجمة المخطوطات العربية في علوم الفلك الى شتى اللغات الأوربية على مدى الاهتمام الذي أبداه الأوربيون تجاهها.

ومن ثم عكف علماء أوربا على دراسة هذه المخطوطات، اضافة الى المخطوطات اليونانية القديمة، التي كانت البداية الأولى للمراجع العربية في هذا المجال. وما أن حل القرن السادس عشر الميلادي حتى بدأت تتحرر عقول بعض علماء أوربا من سيطرة الكنيسة بل وتتمرد على معتقداتها التى سادت منذ عهد بطليموس. وكان من أهم الرواد الذين شاركوا في ثورة علوم الفلك، ويرجع لهم الفضل فيما وصلت اليه علوم الفلك من تطور في الحضارة الأوربية الحديثة كل من كوبرنيق وتيكوبراهي وجاليليو وكبلر ونيوتن ويود وهرشل ولابلاس. وفيما يلي سنعرض أهم ما قدمه هؤلاء من مساهمات كبرى في علوم الفلك:

١ ـ نيقولا كوبرنيق Necoles Copernicus (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣):

يمكن اعتبار كوبرنيق بحق مؤسسا لعلم الفلك الحديث، فقد أحيا نظرية مركزية الشمس والتي تقول بدوران الكواكب حول الشمس بما فيها الأرض كما فسر حركة النجوم اليومية من الشرق الى الغرب بدوران الأرض حول محورها بعكس الاتجاه. وحول مدارات الكواكب بقى كوبرنيق متأثرا بمن سبقوه في صياغة نموذجه للمجموعة الشمسية باعتقاده أن الدائرة هي الشكل المثالي لهذه المدارات، ومن ثم ضمن نموذجه أفلاك تدوير لتفسير تدير المسافة بين الشمس وتوابعها كما فعل بطليموس ذلك من قبل. ولم ينشر كوبرنيق كتابه الذي سماه «مدارات الأفلاك السماوية» في باديء الأمر خوفا من الكنيسة، حيث تتمسك التعاليم الدينية بثبوت الأرض. وخوفا من السخرية أيضا لأنه يعلم أن نظريته بحاجة الى مزيد من التمحيص وبالفعل فقد تأخر نشره ١٣ عاما حتى صدر في ١٥٤٣ وهو نفس العام الذي توفي فيه بعد أن حكمت عليه الكنيسة بالموت حرقا.

٢ ـ تيكو براهي Tycho Brahe (١٥٤٦ ـ ١٦٠١م):

نشأ تيكو براهي في بلاط ملك الدانمرك كأحد الفلكيين العظام في عصره وحظي بدعم سخي منه فأقام له مرصدا حاول عن طريقه تفحص نظرية كوبرنيق عن المجموعة الشمسية وكانت النتيجة أن خرج بنظرية مخالفة له، وتتضمن نظريته الجديدة أن الأرض ثابتة في مركز الكون وأن الشمس والقمر والنجوم تدور حولها، بينما تدور الكواكب المعروفة في ذلك الوقت حول الشمس.

ويبدو أن أكثر ما قدمه تايكو رصده لكوكب المريخ لمدة عشرين عاما بواسطة منظار اخترعه بنفسه (بدون عدسة) واستطاع تيكو أن يرصد نجما جديدا في

عام ١٥٧٢ (يرجح أن يكون هذا النجم سوبر نوفا) كما رصد في عام ١٥٧٧ مذنبا عظيما. انتقل الى براغ في عام ١٥٩٧ في رعاية امبراطور ألمانيا رودلف الثاني ولم يقم طويلا فقد مات بعدها بأربع سنوات تاركا إرصادات دقيقة ساعدت مساعدة كبيرة كبلر في وضع قوانينه المشهورة عن الكواكب.

٣ ـ يوحنا كبلر Johannes Kepler (١٥٧١ ـ ١٦٣٠م):

برع كبلر في تحليل البيانات والمعلومات الغزيرة التي تركها له تيكو براهي وبعد مضي عدة سنوات على موت الأخير أصدر كبلر قوانينه المشهورة عن حركة ومسارات كواكب المجموعة الشمسية، واكتشف صحة نظرية كوبرنيق فيما يخص مركزية الشمس، ولكنه صحح المسارات لتصبح بيضاوية كما جاء في قانونه الأول ورصد نجما جديدا آخر من نجوم السوبر نوفا في عام ١٦٠٤ وكان ذلك سببا ـ بالاضافة الى موقفه من نظرية كوبرنيق ـ في منع تداول كتبه، الا أنه خلف أدق القوانين التي عرفت عن حركة الكواكب حتى الآن.

٤ ـ جاليليو جاليلي Galileo Galilei (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢م):

يعتبر من أشهر علماء الفلك في ايطاليا وفي العالم في ذلك الوقت. فقد وضع أسس العلم التجريبي الحديث، وأثبت خطأ أرسطو عن حركة الأجسام عن طريق التجربة معلنا أن الأجسام الخفيفة والثقيلة تسقط بنفس السرعة وبعجلة ثابتة، كما أن مدة ذبذبة البندول ثابتة أيضا مهما تغيرت سعتها، وبهذا بين جاليليو أفضلية التجريب العلمي في التفكير على المنطق وحده كما كان يعمل به أرسطو. ومع توصل جاليليو الى استخدام منظار بسيط في أبحاثه الفلكية توصل الى عدد من الاكتشافات التي أذهلت علماء عصره. فقد وجد أن لكوكب الزهرة أطواراً تشبه القمر وأنها كوكب يعكس ضوء الشمس وهو ما يؤكد نظرية الشمس المركزية لكوبرنيق، فالهلال يرى عندما تكون الزهرة قريبة من الأرض ويتجه وجهيهما المضيئان الى الشمس، وتكون الزهرة كاملة اذا كانت في الطرف الآخر بعيدا عن الأرض أي خلف الشمس. كما تطلع جاليليو الى القمر وتأكد من طبيعته الأرضية، واستطاع رسم الجانب المظلم منه، وأعلن في رصده لكوكب المشترى أنه محاط بأربعة أقمار مما أكد له دوران الأرض حول الشمس. وأن الأرض ليست مركزا لكل الحركات. وأشار جاليليو الى وجود حلقتين حول زحل لم يرهما أحد قبله قط. كما وجه منظاره الى الشمس ليرى بقعا عليها تغير أماكنها باستمرار مما جعله يقول بأن الشمس أيضا تدور حول نفسها. ولم يدر أن نظريته تلك الى الشمس ستفقده بصر عينه فيما بعد. وليس هذا فقط بل أن تمسك الكنيسة بالاعتقاد السائد حينئذ والقائل بطبيعة غير متغيرة للأجرام السماوية قد أدت الى انتصار معارضيه عليه وقدم للمحاكمة أمام مجمع الكرادلة في روما، ثم سجن وأرغم على ترك آرائه.

٥ ـ اسحاق نيوتن Isaac Newton (١٦٤٣ ـ ١٧٢٧م):

يعتبر نيوتن في نظر الكثير من العلماء الرياضي والفيزيائي الأول بلا منازع على مر العصور. ففي الثالثة والعشرين وحتى السادسة والعشرين من عمره كانت أكثر سنواته انتاجا، فقد اكتشف الجاذبية بين الكتل، ثم وضع أسس علم التفاضل والتكامل واستخدمه في أبحاثه وتفسيراته، وكان من نتيجة اهتمامات نيوتن بالضوء أن اكتشف ألوان الطيف السبعة التي يتكون منها الضوء الأبيض وذلك باستخدام موشور زجاجي، ولما كان منظار جاليليو هو الوحيد السائد في ذلك الوقت ولم يسعفه في أبحاثه، فقد اضطر الى التفكير في اختراع تلسكوب مختلف أكثر وضوحا وتم له ذلك عندما استبدل العدسة في منظار جاليليو بمرآة عاكسة وبذلك اخترع أول تلسكوب عاكس.

ولقد نشر نيوتن كتابه الشهير «الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية» في عام ١٦٨٧ بعد أن أهمله عشرين عاما بعد تأليفه معتقدا أنه لا يحتوى على أشياء خارقة. رغم أنه قد بين فيه أن الجاذبية هي المسئولة عن بقاء الكواكب والأقمار في مداراتها دون أن تسقط وأنها تتجاذب بقوة تتناسب وكتلة كل منها، وتقل هذه الجاذبية كلما بعدت عن بعضها البعض كما تناول كتابه المذكور علم الديناميكا ووضع ثلاثة قوانين للحركة لا تزال تشكل الأساس لهذا العلم حتى الوقت الحاضر، كما شمل الكتاب حركة الكواكب وتوابعها، وحركة المذنبات وظاهرتي المد والجزر، وفلطحة الأرض عند القطبين، وانبعاجها عند خط الاستواء، وسبب تقدم الاعتدالين.

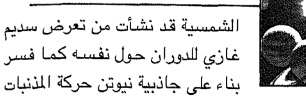
أما نظرية نيوتن عن ماهية الضوء المتمثلة بجسيمات الضوء، فقد سادت حتى القرن التاسع عشر عندما تبين أن الضوء ذو طبيعة موجيه. وهكذا فقد ولت الأفكار البطلمية الى غير رجعة، وأصبح بالامكان النظر الى الشمس على أنها مركز للكون. كما اختفت فكرة الكرة البلورية التى تتعلق فيها النجوم، وحل محلها حرية الحركة لجميع الأجرام السماوية.

٦ ـ تشارلز مسيو Charles Messier (١٧٣٠ ـ ١٨١٧م):

برع تشارلز في رصد المذنبات حتى أطلق عليه «صائد المذنبات» وقد جدول تشارلز أكثر من ١٠٠ سديم تضمنت أيضا بعض العناصر النجمية، ولا يزال علماء الفلك حتى الوقت الحاضر يستخدمون الرمز السابق والرموز الأخرى المرتبة في جدول تشارلز مسيو بأرقامها كما وردت.

٧ ـ وليم هرشل Wiliam Herschel (١٧٣٨ ـ ١٨٢٢م):

بدأ هرشل موسيقارا ثم اهتم بصناعة المناظير ليشبع هوايته عنده بالنظر الى المجموعة الشمسية والى السماء وتم له ذلك. فقد استطاع بمنظاره رؤية قطبي المريخ الجليديين واستدل منها على تدير الفصول على الكوكب. ولكن أهم ما قام به هرشل هو اكتشافه لكوكب أورانوس عندما كان يرصد النجوم في ١٣ آذار (مارس) ١٧٨١، مما أكسبه شهرة عالمية، وكان ذلك دافعا له للاستمرار في إرصاده ليس في المجموعة الشمسية فحسب بل في مجرة درب التبانة والمجرات الأخرى، فاكتشف القمرين



السادس والسابع لكوكب زحل والقمرين الكبيرين لأورانوس. وفي مجال النجوم اكتشف من دوران النجوم المزدوجة حول بعضها ترابطهما بجاذبية مشتركة ومنفصلة عن المجموعة الشمسية، واستدل بها على وجود مراكز أخرى للجاذبية خارج المجموعة الشمسية، وقد رصد ٨٠٠ نجم تضمنتها جداوله وقد أعطى اهتماما كبيرا لرصد السدم، ويعتبر بحق أول من أشار الى نموذج السدم الى ٢٥٠٠ كان من بينها العديد من المجموعات النجمية. وقد شملت أبحاثه العديد من الموضوعات كتطور النجوم والكواكب وتكون المجرات، ويكون بهذا أول من تجرأ على استكشاف مناطق بعيدة من الكون تقع داخل وخارج المجرة. ويكون بذلك أول من أعطى للمجرة صورة واضحة المعالم.

٨ ـ يوهان بود Bode (١٧٤٧ ـ ١٨٢٦م):

عمل بود مديرا لمرصد برلين في عام ١٧٨٦ وكان من أبرز ما اشتهر به وضعه لقانون أبعاد الكواكب عن الشمس الذي عرف باسمه[٩] ، وقد شملت أرصاده ١٧٢٤٠ نجما وسديما بزيادة ١٢٠٠٠ عمن سبقه من الفلكيين. وكان لقانونه السالف الفضل في اكتشاف الكويكبات فيما بعد.

٩ ـ بيير سيمون لابلاس Pierre Simon Laplace (١٧٤٩ ـ ١٨٢٧م)

يعتبر من أوائل الفلكيين الذين حاولوا تفسير نشأة المجموعة الشمسية بنظرية متكاملة. فقد ألف كتابا عن «ميكانيكا الأجرام السماوية» ذكر فيه أن المجموعة الشمسية قد نشأت من تعرض سديم غازي للدوران حول نفسه كما فسر بناء على جاذبية نيوتن حركة المذنبات وحركة أقمار المشتري وزحل وقمر الأرض. ولا تزال نظريته حتى الآن احدى النظريات المقترحة لنشأة المجموعة الشمسية.

(٦) تطور علوم الفلك في القرن العشرين:

بقيت علوم الفلك قرابة مئة عام (أي طوال القرن التاسع عشر) دون اضافات ملحوظة أو اكتشافات ملفتة رغم ما شهدته هذه الفترة من تطور في المناظير الفلكية، وأجهزة الرصد. وظلت الآراء السائدة حول الكون تدور في فلك ما قدمه علماء القرن الثامن عشر من ثروة فلكية. ومع اشراقة القرن العشرين بزغت ثورة جديدة في علوم الفلك على أيدي نخبة من علماء الرياضيات والفيزياء الذين سخروا علومهم لخدمة وتطور معرفتنا الجديدة عن الكون. ومن أشهر هؤلاء ألبرت أنيشتاين وهارلو شابلي وادوين هابل وجورج جامو.

فقد اكتسب ألبرت آينشتاين Albert Einstein (١٨٧٩ ـ ١٩٥٥) شهرة عالمية في أبحاثه القيمة عن الضوء ونظريتيه النسبية الخاصة (١٩٠٥) والنسبية العامة (١٩١٦). فكان أول من افترض وجود الضوء على هيئة «فوتونات» صغيرة تنطلق على دفعات، وبهذا فسر ظاهرة «الكهرو-ضوئية» بنظرية الكم[١٠]، وفي نظريته النسبية الخاصة وضح آينشتاين العلاقة بن الكتلة والطاقة، والعلاقة بين التجاذب وعزم القصور. أما في النسبية العامة فقد حدد

العلاقة بين الجاذبية وبين انحناء الفراغ ذي البعد الزمني الرابع.

واستطاع آينشتاين بما قدم من أفكار تبديل صورة الكون اللا محدود التي حاول من سبقه تخيلها الى كون محدود غير محدد. وانتهت اللانهاية عنده للكون الى نهاية مجهولة تفوق حدودها كل امكانات التكنولوجيا التى وصل اليها الانسان حاليا والتي سيصل اليها في المستقبل.

كما غير هارلو شابلي Harlow Shaply (١٨٨٥ ـ ١٩٥٠م) الأفكار السائدة عن الموقع المتميز للشمس والأرض في المجرة، عندما اكتشف أن المركز الحقيقي للمجرة واقع في مجموعة الرامي وأن موقع الشمس عند طرف المجرة وتدور كبقية نجوم مجرتنا الأخرى حول نواة المجرة دورة واحدة كل ٢٠٠ مليون سنة. كما قال بدراسات مستفيضة عن المتغيرات القيفاوية والحشود الكرية الا أن أهم مؤلفاته كتاب «المجرات» الذي نشره في عام ١٩٤٣.

أما ادورين هابل Edwin Hubble (١٨٨٩ ـ ١٩٥٣م) فقد أطلع العالم في عام ١٩٢٩ على طريقته الخاصة عن حركة المجرات وانزياحها نحو اللون الأحمر مما اعتبره دليلا على تباعد هذه المجرات ومن ثم تحدد الكون[١١] كما اكتشف ثلاث مجرات عملاقة تقع فيما وراء مجرتنا درب التبانة.

ولم تتوقف العقول عن البحث في كيفية نشأة الكون، فوضعت النظريات العديدة من قبل العلماء محاولة تفسير هذه النشأة. وكان من أهمهم جورج جاموف George Gamow (١٩٠٤ ـ ١٩٦٨م) الذي اهتم في معظم بحوثه عن الطبيعة النووية. ووضع نظرية في انحلال الذرات ذات النشاط الاشعاعي (١٩٢٨). كما ألف عددا من الكتب أهمها ميلاد الشمس وموتها (١٩٤٠)، وتاريخ حياة الأرض (١٩٤١)، ونشوة الكون (١٩٥٢). وفي كتابه الأخير جاء بنظريته المشهورة «الانفجار العظيم The Big Bang التي حاول بها تفسير بداية نشأة الكون. ولا يزال يعلو شأن هذه النظرية يوما بعد يوم.

كما أشار Frde Hoyle في كتابه عن طبيعة الكون (١٩٥١) الى وجهة نظر مخالفة في نظرية أطلق عليها «الكون الثابت» Steady - Stste Theory ويرى فيها أن الكون كان كما نعرفه اليوم منذ الأزل وسيظل على حاله كذلك الى الأبد[١٢].

الهوامش:

(١) لانسلوت هوجين، العلم للمواطن، ترجمة عطية عاشور وسيد رمضان هداره، سلسلة الألف كتاب، كتاب رقم ١٨، الجزء الأول صفحة ١٩٣.

(٢) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة دكتور مؤنس صفحة ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٣) نفيس احمد، الفكر الجغرافي في التراث الاسلامي، ترجمة فتحي عثمان، الكويت، ١٩٧٨، صفحة ٢٤٤.

(٤) كراتشوفسكي، أ. تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم جامعة الدول العربية، صفحة ١٠٦.

(٥) كراتشوفسكي، مرجع سبق ذكره صفحة ٧٧.

(٦) نفيس أحمد، مرجع سبق ذكره ، صفحة ٢٣٦.

(٧) كراتشوفسكي ، مرجع سبق ذكره ، صفحة ١١١.

(٨) بالنثيا ، مرجع سبق ذكره، صفحة ٣٣٣ ـ ٣٣٥.

(٩) انظر القانون (القاعدة) فى الفصل الرابع.

(١٠) انظر الفصل الثالث.

(١١) انظر شرح النظرية في الفصل السادس.

(١٢) انظر شرح النظرية في الفصل السابع.

مبدأ المشرو



بقلم :
د. عمار بوضياف - الجزائر -

سبق القول[١] أن الشريعة الاسلامية أنزلت القضاء المنزلة اللائقة به وجعلت منه ساحة للعدل ورفع الظلم وتطبيق شرع الله وصون محارمه وحفظ حقوق عباده.

ولا شك أن رسالة مقدسة كهذه يناط بالقاضي أمر تنفيذها تحقيقا للسياسة الشرعية لأمر يفرض أن يقف الجميع امام القضاء سواء، دون أدنى أفضلية في الاجراءات بالنظر للمعتقد أو اللون أو الجنس أو الأصل أو اللسان. كما يفرض أن يسري حكم القاضي تجاه من صدر ضده وينفذ أيا كان الموضوع قال جل شأنه: {فَلا وَرَبِّكَ لا يؤمنون حتى يحَكِّمُوك فيما شَجَرَ[٢] بينهم ثم لا يَجِدُوا في أنْفُسهم حرجا مما قضيت ويُسَلِّمُوا تسليما}[٣].

وتزخر صفحات تاريخ القضاء الاسلامي خاصة في عهده الأول بأحداث كثيرة أثبتت سيادة وسمو سلطة القضاء على الحكام والمحكومين سواء. فأمام ساحة القضاء وقف الخليفة وهو القاضي الأعلى ومقلد القضاة جميعا، ووقف الوزراء والأمراء وقادة الجيوش وغيرهم من ذوي القرار.

واذا كانت النظم الوضعية اليوم تتباهى بمبدأ المشروعية أو خضوع الدولة للقانون، فإن مبدأ كهذا عرف أساسه ووجوده وتطبيقه في النظام الاسلامي والأمثلة اكثر من أن تحصر في مقال أو مؤلف واحد. ولا عجب في ذلك فالاسلام شريعة العدل والعدالة.

ونجد أنفسنا ونحن نتحدث عن سلطة القاضي في اخضاع الراعي والرعية لحكمه نذكر تلك الحادثة التي وقعت في زمن عمر بن عبد العزيز وسُمعت في الشرق والغرب وجُسِّدَ فيها مبدأ سيادة الشريعة وسلطان القضاء أحسن تجسيد، ورغم شهرتها نسوقها بهدف تبيان مكانة القاضي وسلطته في النظام الاسلامي.

لما تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه وفد من أهالي سمرقند وشكا اليه قائده قتيبة بن مسلم الباهلي بأنه دخل بلدهم سمرقند مع جيشه قبل أن يوجه لهم الانذار بحسب ما توجبه قواعد الحرب في الاسلام. فكتب عمر الى واليه في العراق أن يختار لهم قاضيا فاختار جُميع بن حاضر الباجي فسمع شكواهم وحاكمهم مع القائد قتيبة وقضى بخروج المسلمين من مدينة سمرقند وأن يعود أهل سمرقند الى حصونهم[٤] .

ـــــة أو خضوع الدولة للقانون

ما أجل هذا القرار من جانب الخليفة فلم تبهره فرحة ضَمّ إقليم جديد إليه، ولم ينسه حكمه وسلطانه مبادىء الشريعة وأحكامها. ولا عجب أن يصدر هذا التصرف عن رجل جسد العدالة في عهده أحسن تجسيد وحفظ الحقوق وصان الشرع. ولا غرابة أن يصدر هذا القرار عن خليفة قال لأحد أعوانه ذات يوم حين سأله عن تحصين المدينة قال: «حصِّنها بالعدل ونقِّ طريقها من الظلم»[٥]. ما كان على الخليفة إلا أن يلجأ للقضاء للبت في هذه المظلمة وإنصاف أهلها وهو ما حصل فعلا. وهو بتصرفه هذا جَسَّد مبدأ المشروعية أو ما يطلق عليه في النظم الوضعية «مبدأ خضوع الدولة للقانون». ولم يحتج الخليفة بما احتج به كثير من الحكام في مختلف الانظمة الوضعية بمبدأ سيادة الدولة وعدم خضوعها في مسائل معينة للرقابة والمساءلة والحساب، بل أمر بكل تواضع واليه بأن يختار قاضيا للنظر في النزاع، فعل هذا وهو يدرك أن الاحكام والقواعد موجهة للناس كافة دون استثناء أو تمييز أو اعفاء. فعل هذا وهو يعلم قوله تعالى: {يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله اتقاكم}[٦]. وقوله: {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما}[٧]، وقوله جل شأنه: {فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق}[٨]، وقوله: {ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون}[٩].

اصدر قراره هذا مقتديا بالرسول {صلى الله عليه وسلم} حينما طَبَّق مبدأ المشروعية نصا وروحا في حادثة المرأة المخزومية وقال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١٠]. ثم ما أجل هذا الصنع من جانب القاضي فقد فصل في النزاع واضعا نُصْب عَيْنَيْه قوله تعالى: {يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تَتَّبِع الهوى فَيُضلك عن سبيل الله إنَّ الذين يُضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسُوا يوم الحساب}[١١]. حسم الدعوى وهو يعلم ان الله تبارك وتعالى مدح سيدنا سليمان عليه السلام حين أصاب في حُكمه وعذر سيدنا داود عليه السلام حين أخطأ فهي إشارة الى مدح القاضي الذي يجتهد في قضائه فيصيب ورفع الاثم عمن يجتهد فيخطيء». قال تعالى: {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غَنَمُ القوم وكنَّا لُحكمهم شاهدين * ففهمناها سُليمان وكُلا أتينا حكما وعلما}[١٢].

نظر القاضي في نزاع اهل سمرقند ضد القائد قتيبة بكامل الحيدة ومنتهى الموضوعية. فَصَل فيه وهو يذكر قوله {صلى الله عليه وسلم}: «لا حسد الا في اثنين رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته بالحق وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[١٣]، وقوله {صلى الله عليه وسلم}: «إن أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل وأبغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جائر»[١٤]، وقوله {صلى الله عليه وسلم}: «إن المقسطين عند

الله على منابر من نور على يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم»[١٥].

ولا عجب في ذلك طالما كان اساس تصرف القاضي حديث الرسول {صلى الله عليه وسلم} لمعاذ حين ولاه القضاء قال: بم تقضي يا معاذ؟ قال: بكتاب الله قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسُنة رسوله. قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رأيي. قال {صلى الله عليه وسلم} الحمد لله الذي وفق رسولَ رسول الله لما يرضي الله»[١٦].

ولا غرابةَ في هذا الحكم طالما عمل فيه القاضي بوصية الخليفة عمر بن الخطاب لقاضيه أبي موسى الاشعري حين قال: «أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلى اليك الخصم فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك»[١٧]. لقد توافر في القاضي المذكور أسمى معاني الفضيلة وأرقى قواعد الاخلاق وأرفع مراتب النزاهة. لقد جسد بتصرفه هذا الحيدة في أرقى صورها فنظر في النزاع بما توجبه قواعد العدالة دون أن يدخل في الاعتبار صفة الاطراف أو خصوصية الموضوع أو درجة النفع. ولم تفرحه هو الآخر نشوة الانتصار بل حكم عقله ودينه واتبع القواعد الشرعية التي تفرض عليه مراعاة حقوق الغير أيا كانت أجناسهم ومعتقداتهم ولغاتهم وأصلهم..

لقد جسد هذا القاضي كل المواصفات التي ذكرها الامام علي لواليه الاشتر النخعي حين ولاه مصر قال: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون اقصاه واقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الامور وأحزمهم عند اتضاح الحكم»[١٨].

ثم ما أجل هذا التصرف من جانب القائد المسلم قتيبة فلم يغتر بمنصبه ولم يستشهد بفتوحاته ولم يستند إلى قاعدة «أن الحرب خدعة» بل خضع لحكم القاضي وهو يعلم أن التمرد على القضاء يعني التمرد على الخلافة قال تعالى: {فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يُحكِّمُوكَ فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما».

وهكذا حين خرق القائد اجراءا جوهريا في قواعد الحرب الا وهو الانذار[١٩] وجد القاضي ليرده عن فعله ويرشده للصواب.

واذا كان تصرف القائد قد نتج عنه نفعا بالنسبة للدولة الاسلامية فضُم اليها اقليم جديد، إلا أن مثل هذا العمل لم يبهر القاضي طالما لم يراع القائد اصول الحرب وقواعدها.

إن في مثل هذه الحادثة أبرز معاني رعاية حقوق الانسان وأسمى مباديء العلاقات الدولية كما أن فيها تجسيداً لمبدأ المشروعية أو خضوع الدولة للقانون. فهل شهدت المجتمعات الحالية والنظم المعاصرة وهي من تجمع بينها وثيقة دولية لحقوق الانسان تجسيداً لمبدأ المشروعية كهذا التجسيد.

وإذا كانت قوة الدولة تكمن في قوة قضائها فقد جسَّد القاضي المذكور بقراره هذا القوة احسن تجسيد وأبطل الزعم القائل أن مبدأ المشروعية عرف تأخرا من حيث الميلاد.

ويحق لنا بعد معرفة ابعاد هذه الحادثة وآثارها، وبعد المقابلة بين الشريعة والقانون أن نصل الى نتيجة مفادها أن القاضي في النظام الاسلامي اذا كان يملك سلطة في اخضاع الراعي والرعية لحكمه أيا كان الفعل ووجه الخطأ وأياً كانت المصلحة والفائدة المترتبة عنه وأيا كان

نفوذ الفاعل وسلطانه ومكانته، فإن قاضي النظم الوضعية اذا كان بدوره يملك في مواضع وحالات الغاء قرارات الهيئات التنفيذية أو وقفها أو الحكم بالتعويض عند ثبوت المسؤولية، فإنه في مواضع وحالات أخرى لا يملك سلطة الالغاء أو مساءلة السلطة التنفيذية في أمور معينة هذه الاخيرة التي جرى الفقه والقضاء على تسميتها بأعمال السيادة.

ولقد عرف الفقه أعمال السيادة بأنها: «طائفة من اعمال السلطة التنفيذية تتمتع بحصانة ضد رقابة القضاء بجميع صورها او مظاهرها فلا تكون محلا لالغاء أو تعويض أو وقف أو تنفيذ أو فحص مشروعيته»[٢٠]، ورغم أنه لا يوجد نص قانوني يحدد اعمال السيادة الا أن كثيرا من الفقهاء اتفقوا على أن ذلك يعني الاعمال التي تباشرها الحكومة بمقتضى سلطتها السياسية العليا وتتناول علاقاتها بالسلطات العامة الاخرى في الداخل والخارج تنمية اقتصاد الدولة والمحافظة على مصالحها فى الداخل والخارج كالقرارات المتعلقة بالاتفاقيات والمعاهدات الدولية والتمثيل السياسي لدى الدول الاجنبية والحرب والسلم وضم الاراضي للدول والتنازل عنها وحل المجلس التشريعي ودعوته للانعقاد[٢١].

وهنا يبدو الفرق شاسعا بين النظام الاسلامي والنظام الوضعي فالأول يعتبر القرار القاضي بضم اقليم للدولة الاسلامية يخضع كغيره من الاعمال لرقابة القضاء ويملك القاضي سلطة ابطاله إن كان فيه مخالفة لاحكام الشريعة وهو ما حصل فعلا مع قتيبة بن مسلم في الحادثة المذكورة بينما تعتبر الانظمة الوضعية القرارات الخاصة بالحرب وضم الاراضي من قبيل اعمال السيادة التي تتمتع بحصانة ضد رقابة القضاء وليس للقاضي سلطة عليها إن إلغاء أو وقفا أو تعويضا.

ولقد دفع عدم خضوع الادارة لرقابة القضاء بشأن اعمال السيادة بعض فقهاء القانون العام الى القول بأن نظرية اعمال السيادة نقطة سوداء في جبين المشروعية أو غصبا لهذا المبدأ[٢٢].

وتفتح نظرية السيادة مجالا واسعا أمام الانظمة الوضعية للتهرب من رقابة القضاء خاصة وأن الفقه لحد اليوم لم يتفق على معيار جامع مانع يحدد طبيعة الاعمال التي يمكن أن يضفي عليها طابع السيادة[٢٣]، وهنا يتجلى لنا مرّة أخرى سمو الشريعة عن القانون.

الهوامش:

(١) انظر مقالنا بين الامامة والقضاء المنشور بمجلة المنهل العدد ٥٣٧ نوفمبر وديسمبر ١٩٩٥، ص ١٧.

(٢) فيما شجر بينهم معناه فيما بينهم من اختلاف نقول شجر يشجر تشجيرا أو شجورا وشاجره في الامر مشاجرة وشجارا وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه.

أبو جعفر ابن محمد بن الحسن الطوسي، تفسير التبيان، الجزء الثالث، ص ٢٤٥.

(٣) سورة النساء الآية ٦٥.

(٤) محمد شهير ارسلان، القضاء والقضاة، بيروت، دار الارشاد، ١٩٦٩، ص ٣٧.

(٥) انور العمروسي، التشريع والقضاء في الاسلام، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ص ٥٣.

(٦) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٧) سورة النساء الآية ١٠٤.

(٨) سورة المائدة الآية ٥٠.

(٩) سورة الجاثية الآية ١٧.

(١٠) رواه مسلم.

(١١) سورة ص الآية ٢٥.

(١٢) سورة الانبياء الآية ٧٨.

(١٣) رواه البخاري.

(١٤) رواه البخاري.

(١٥) سنن النسائي ، شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ص ٢٢١.

(١٦) سنن ابي داود ص ٤١٢. اشار اليه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ج٢، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ص ٣٤٧.

(١٧) وكيع محمد خلف بن حيان، اخبار القضاة، صححه عبد العزيز مصطفى المراغي، ج١، ط١، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ص ٧١.

(١٨) الدكتور جبر محمود الفضيلات، القضاء في صدر الاسلام، الجزائر، شركة الشهاب، ١٩٨٧، ص ٢٥٧.

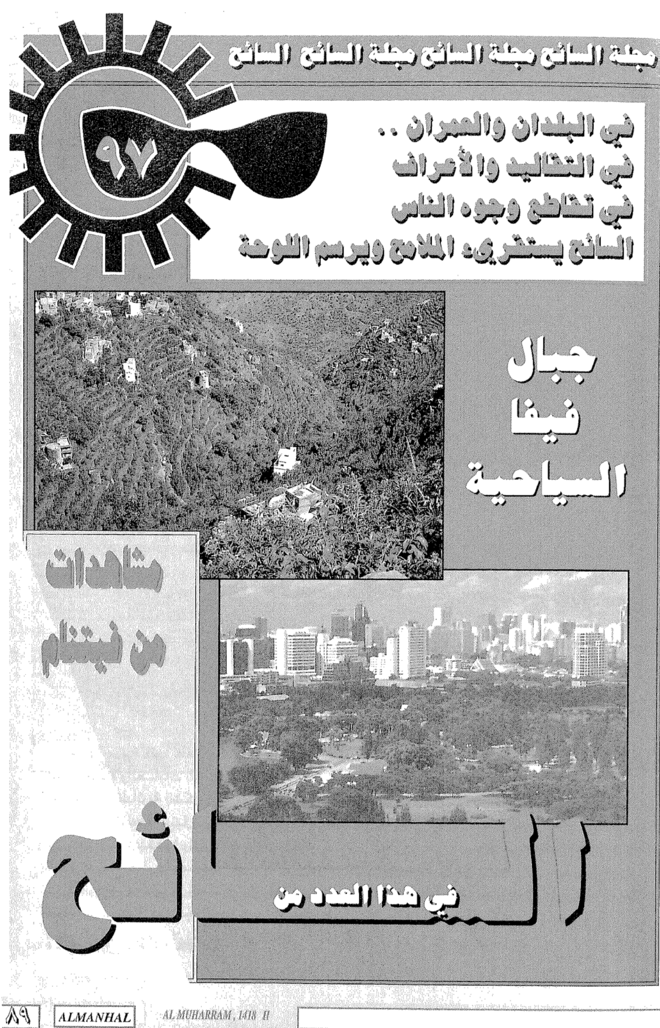
(١٩) لمعرفة هذه القواعد انظر: د. صبحي محمصاني، القانون والعلاقات الدولية في الاسلام، بيروت، دار العلم، ١٩٧٢، صر ٢٠٤.

(٢٠) د/ سعيد الحكيم، الرقابة على اعمال الادارة في الشريعة الاسلامية والنظم الوضعية، القاهرة، دار الفكر ١٩٨٧، ص ٤٣.

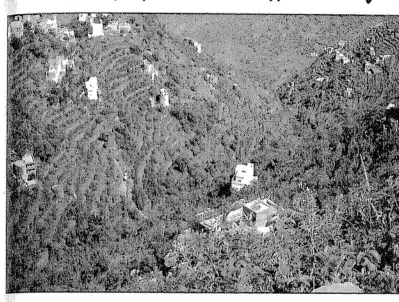
(٢١) اشار لهذا الحصر تقرير الامانة العامة لمجلس وزراء العدل العرب، المجلة العربية للفقه والقضاء، السنة الثانية، العدد الثاني، اكتوبر ١٩٨٥، ص ٢٧٣.

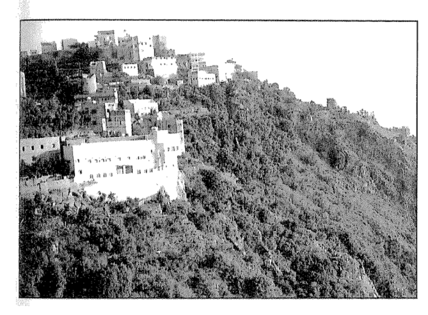
(٢٢) د. سعد الحكيم، المرجع نفسه ، ص ٤٤.

(٢٣) د. سعيد الحكيم، المرجع نفسه، ص ٤٤.


مجلة السائح مجلة السائح مجلة السائح السائح
٩٧
في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقريء الملامح ويرسم اللوحة
جبال
فيفا
السياحية
مشاهدات
من فيتنام
في هذا العدد من
السائح

من ربوع بلادي .. جبال ف





امسك قلمي .. اكتب لكم وتشاركني الكتابة الورود والخضره والجمال .. اكتب لكم عن جزء غال من بلادي المملكة العربية السعودية - انها جبال فيفا الشاهقة التي امتدت لها يد العطاء من حكومة خادم الحرمين الشريفين ومن جميع المسئولين .. اكتب لكم لتشاركوني رحلتى من خلال الصور المعبرة عن تلك البقعة الخضراء.

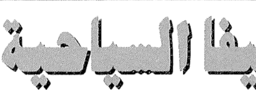
فيفا الموقع:

تقع جبال فيفا في اقصى الجنوب الغربي من بلادنا الغالية المملكة العربية السعودية . وترتبط إداريا بمنطقة غالية على نفوسنا إنها منطقة «جازان» التى تبعد عنها حوالى (١٣٠) كم تقريبا وترتفع جبال فيفا عن سطح البحر الأحمر ما يقارب (٨) آلاف قدم وتسكنها قبائل تزيد عن (٢٠) قبيله منتشرة في مساكنها في قمم الجبال الشاهقة والوعرة وفي السفوح الخضراء ويقدر عددهم بحوالي (٤٠) الف نسمة.

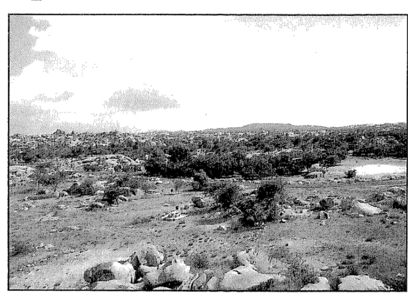
مميزات فيفا:

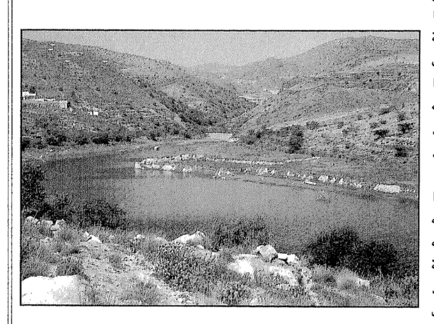
مميزاتها عديدة منها جمال الطبيعة الساحرة والغابات الخضراء ومدرجاتها الدائرية الشكل ومنازلها الاسطوانية القديمة المبنية من الحجر والطين، لذلك كل من ينظر اليها يجدها وكأنما صممت على أحدث الطرق الهندسية.. فقد نسقها المولى القدير وحباها جمالا طبيعياً.. وسبحان الله الذي خلق فأبدع.

* ومما يزيد جبال فيفا جمالا هو جوها اللطيف على مدار العام .. نظراً لارتفاعها عن سطح البحر واستمرار هطول الأمطار عليها طوال العام ويقال إن أقل درجة حرارة سجلت في معظم الاعوام لم تقل عن (٩) درجات واعلى درجة (٢٦) مما جعلها تنفرد بجوها اللطيف على مدار العام وهذه ميزة تنفرد بها عن غيرها من المناطق الأخري.



...يفا السياحية





فيفا والتطور:

يوجد في فيفا معظم المرافق الحكومية ومن أهمها «هيئة تطوير وتعمير المنطقة بفيفا·· ويرأس مجلسها سمو الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية ويوجد بفيفا من خلال مشاهدتي ·· بلدية ومركز للامارة ومحكمة شرعية ومكتب للدعوة والإرشاد ومركز لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ·· ومكتب للهاتف ومكتب آخر للبريد ومركز للشرطة ومستشفى عام ·· وعدد من مراكز الرعاية الأولية· وفي مجال التعليم بها العديد من المدارس الإبتدائية والمتوسطة والثانوية للبنين والبنات وتزيد عن (٦٠) مدرسة·· وبها مندوبية لتعليم البنات ومكتب للتوجيه التربوى ومعهد للمعلمات ·· ومعهد علمى للبنين تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية·

كذلك من المشاريع التنموية في فيفا مشروع كبير للكهرباء ·· أمر به خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله·· خاصة وان صعوبة المنطقة تثير الاعجاب ·· فقد اشار العديد من السكان استخدام الطائرات العمودية في انزال وتركيب الاعمدة الكهربائية والمحولات في تلك الجبال الشاهقة ·· وهناك انجازات وعطاءات كثيرة منها ايصال المياه الصالحة للشرب الى اهالى فيفا وذلك بواسطة (الوايتات) الكبيرة لسقياء المواطنين·· حتى الأنتهاء من مشروع ايصال المياه·· لجبال فيفا·

* فيفا منطقة الضباب فهو يعشقها وكأن بينهما عناقاً ومحبة وهذه دعوة صادقة لرجال الاعلام لزيارة جبال فيفا ومشاهدة حدائقها المعلقة التى تُعَدّ من عجائب المصايف في بلادنا، فيفا الخضراء هي نجمة من أغلى نجوم الجنوب يجب أن نعطيها حقها ونصيبها·· ليعرفها الجميع·

محمد الشهري ـ جدة ـ

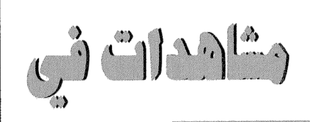
***السياحة، قراءة ذكية للشعوب ، عاداتهم ، أعرافهم ، تقاليدهم ، في المسكن والملبس والمأكل٠٠ في السلوك والمعاملات ٠٠ في الجماعات والافراد٠ في أديانهم وعقائدهم وطقوسهم ٠٠ كل ذلك يعطي صورة حقيقية عن طبائع البشر ومعطيات حياتهم٠**

هذه حلقات متتالية للأستاذ العبودي، مشاهدات وقراءات وتأملات في شعب فيتنام٠

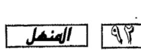
من بانكوك إلى هوشي منه:

وجدنا الطائرة الفيتنامية التابعة لخطوط فيتنام الجوية قد دخل فيها الركاب ثم اقلعت في الساعة الرابعة وهو الموعد المحدد لإقلاعها من دون تأخير٠

ولا شك أن الأمر له علاقة بدقة العمل ونظامه من واقع المعايشة الطويلة لحرب بل حروب ضروس خاضها الشعب الفيتنامي







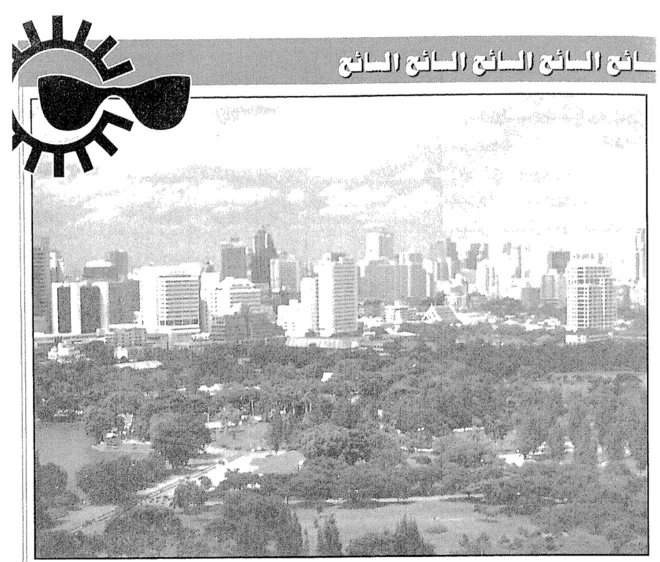
بإمكاناته الضئيلة، وانتصر فيها، مما ولَّد عنده حب النظام والدقة، في تنفيذ الأوامر٠

وطارت الطائرة مباشرة فوق مدينة بانكوك الممتدة، التي قد تُسارع ـ وإذا رأيت نهرها وما يتفرع منه من قنوات وما يخلفه من برك لتربية الأسماك ومستنقعات لزراعة الأرز فتسميها مدينة المياه٠

والواقع أن الأمر ليس بعيداً من ذلك فقد كنت قرأت قبل سنوات قليلة أن بانكوك تغوص في الأرض كل عام بمعدل يسير من السنتيمترات٠ وذلك لكون أرضها مشبعة بالرطوبة، وقد كثرت فيها الأبنية الضخمة الثقيلة ٠٠ قالوا: ولذلك تغوص المنازل الثقيلة في أرضها بمقدار ضئيل غير محسوس لكنه موجود٠

وكانت بانكوك في الأصل وربما إلى ما قبل أربعين سنة أشبه بالمدينة الصغيرة، أغلب منازلها من الخشب وهو الأصلح لأرض مثل أرضها٠ ثم شملها التطور الذي أصبح الآن جارفاً بحيث يمكنك أن ترى الأبنية الضخمة العالية في كل اتجاه، والأهم من ذلك أنك ترى الرافعات القوية تعمل في بناء المزيد من الأبنية الضخمة التي يصل بعضها إلى ٣٠ طابقاً في اتجاهات كثيرة من المدينة٠

هذا وقد أوغلت الطائرة فوق ريف تايلند



ـ مدينة بانكوك.

ولكنها كانت توغل ارتفاعاً في الجو حتى انماعت الأشياء على الأرض في ارتفاعها كما تنماع الشخوص في أحلام المنام.

واتجهت الاتجاه الصحيح إلى مدينة (هوشي منه) التي شغلت العالم بأخبارها إبان ما يسمى بحرب فيتنام التي قامت بها الولايات المتحدة وحلفاؤها الأغنياء الأقوياء وأعملت جميع ما لديها من الأسلحة الفتاكة وغير الفتاكة في أرض فيتنام وعلى رؤوس شعبها ولكنها خرجت في النهاية مذمومة مدحورة أمام تصميم شعب فيتنام الفقير الضعيف في أسلحته ومعداته، وكانت تسمي آنذاك (سايقون) وكانت عاصمة لجمهورية فيتنام الجنوبية المتحالفة مع أمريكا وحلفائها فلما سقطت أمريكا وأعوانها وهربوا معاً إلى الخارج وجد الفيتناميون بلادهم جنوبها وشمالها في دولة واحدة هي دولة فيتنام وأسموا هذه العاصمة الجنوبية التي كانت تسمى (سايقون) على اسم زعيمهم الوطني (هوشي منه).

لم نجد في جيوب المقاعد في الطائرة أية جرائد أو مجلات أو منشورات، وهذه عادة عرفتها من طائرات الشيوعيين في كل بلادهم أو البلاد التي كانت بلادهم عندما زرتها وعلى رأسها بلاد الاتحاد السوفيتي.

كما أن مكبر الصوت في الطائرة لم يعلن أية معلومات مما يتعلق بالرحلة، والأماكن التي تطير فوقها الطائرة.

وتخدم الطائرة مضيفتان فيتناميتان لهما المظهر العام المعروف في أهل جنوب آسيا الشرقي ابتداء من بورما وفيتنام وانتهاء بنهاية حدود اندونيسيا الواقعة قرب القارة الأسترالية ولكن مع فروق يلاحظها المتتبع لمثل هذه الأمور.

كانت الضيافة جميلة وسخية مثل الجمال المتمثل في هاتين المضيفتين وهو جمال خاص بهذه المنطقة لا يسميه جمالا إلا من عاشوا فيها أو الفوا النظر الى وجوه أهلها، كانت الضيافة علبة جميلة من اللدائن الصافية التي تبدو كالزجاج الصافي ولكن كان من جمال مظهرها ما كدره مخبرها وهو أن الطبق الرئيسي فيها كان فخذ دجاجة تحته شريحة من لحم الخنزير، ولحم الدجاج في هذه المنطقة البوذية محرم لكونه ذبح بأيدي قوم ليسوا من أهل الكتاب، فإذا خالطه الخنزير زاده تحريماً على تحريم ولذلك لم نقرب شيئاً مما فيه إلا قطعة صغيرة مغلفة من الحلوى.

ثم وزعت المضيفتان قطعة مغلفة من (الشوكولاته) عليها كتابة بالعربية تبين انهم قد استوردوها من غرب ماليزيا. وكان الماليزيون قد أعدوها للتصدير للبلدان العربية وغيرها، كما وزعوا أكياساً صغيرة تحتوي على حبات من الكروشو الملح معبأة أيضاً في ماليزيا. وقد كتبوا اسمها عليها بالإنكليزية (حاجي) من الحج.

ثم جاؤوا بالشراب الخفيف وأكثره معلب، وبعده فاكهة من اليوسفي وهو المندرين لكل راكب ثمرة واحدة وكان مسك الختام فنجاناً من الشاي، وكل ذلك نظيف وبأدب جمّ.

قلت: إن الرحلة لم يكن فيها اعلان عن أي شيء يتعلق بها، ولذلك عندما وصلنا إلى ساحل بحري ذي شعب وخلجان داخلة في البر وألسنة من الأرض في البحر، وهو مغمور بمياه نهرية تراها مسرعة في ذهابها إلى البحر أو يخيل إليك في بعض الأحيان أنها كالمستنقعات أو المياه الراكدة. ولا ندرى أهي حدود تايلند الجنوبية الشرقية أم هي من حدود ماليزيا الغربية الشمالية.

أما ركاب الطائرة فإن أكثرهم من ذوي المظهر الآسيوي الجنوبي الشرقي، وفيهم عدد قليل من ذوي المظهر الأوروبي، وعربيان هما أنا ورفيقي الشيخ علي عيسى وهو مصري عاش منذ ربع قرن في تايلند واكتسب الجنسية التايلندية، ويحمل الآن جواز سفر تايلندي ويجيد اللغة التايلندية قراءة وكتابة ويتكلم بها كما يتكلم بها أهلها.

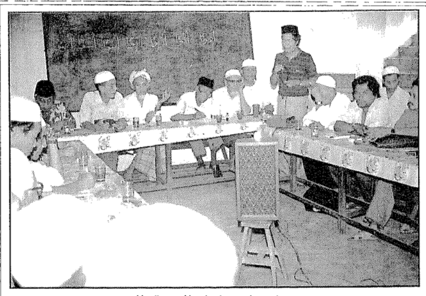
وقد اخترته لصحبتي في دول الهند الصينية لهذا السبب ولخبرته الطويلة في العمل الإسلامي في هذه المنطقة، وإن كان مثلي لم تسبق له زيارة لهذه البلاد وإنما نزورها معاً لأول مرة.

وقبل الوصول عندما بدأت الطائرة التدني وهي تتدلى من الجو بدت الأرض معمورة خضراء بل سوداء من شدة الخضرة يشقها نهر ذو شعب بعضها تراها أشبه بالنهر المستقل إذ لا تدرك لها ارتباطاً بالنهر الكبير من الطائرة.

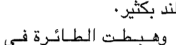
وزعوا على الركاب استمارات الدخول وهي طويلة مفصلة إلا أنه نفعني أن جوازي السياسي لا يطلب عرفاً من حامله أن يكتب إقرارات جمركية.

في مطار هوشي منه:

قبيل الوصول بدت المنطقة من ارتفاع منخفض منطقة خضراء خضرة شاملة معمورة كلها بالزراعة تتخللها أنهار ومستنقعات وتجمعات للمياه ومنها أحواض الأرز الغارقة في المياه. بل إن مقادير المياه فيها تبدو هائلة أكثر مما تبدو من بانكوك ومن تايلند بكثير.



- فصل دراسي لتعلم العربية والدين.



وهبطت الطائرة في الخامسة والثلث من قبل المغرب بعد طيران من بانكوك استمر ساعة وثلثاً، ورغم غرابة المنطقة وهذا الجو الندي بل البالغ الرطوبة والخضرة الذي ينافي الجو في بلادنا لم أستطع التغلب على الشعور بالإعجاب ببطولة الأبطال من الرجال في فيتنام الذين وحدوا بلادهم رغم تحدي العالم الغني القوي لهم وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية أقوى قوة عسكرية واقتصادية في العالم.

ولا يحد من الإعجاب بفعلهم كونهم شيوعيين لأن الشيوعية ذاهبة زائلة لكونها نظاماً لا إنسانياً، أما الوحدة الوطنية فإنها ثابتة مستمرة.

رأينا مدارج المطار طويلة ممتدة، لأن مدينة (هوشي منه) كانت قبل توحيدها مع فيتنام الشمالية عالمية مزدهرة اقتصادياً وسياحياً مثلها في ذلك مثل (بانكوك). وكانت الأعشاب والنباتات البرية التي تحيط بمدارج المطار كثيفة إلى درجة رأيتهم يكافحونها بالحش والقص ولكن ذلك لم يفعل فيها شيئاً.

وقد رأيت في مطارها ما أكد في نفسي ما سمعته أخيراً من اتجاه حكومة فيتنام الى الانفتاح الاقتصادي تبعاً لزوال الشيوعية من كثير من البلدان وانفتاح العالم بعضه على بعض وذلك يتمثل في وجود طائرات ضخمة لشركات عالمية منها الفرنسية والاسترالية.

وبدت أبنية المطار قديمة غير بهيجة ولا مجددة الطلاء.. دخلنا إلى قاعة الوصول مشياً على الأقدام من الطائرة فوجدناها قاعة للوصول وتسلم الأمتعة ومقر الجمرك. ولم يفتشوا أمتعتنا وإنما اكتفوا بإدخال الحقائب الكبيرة داخل فاحص كهربائي، أما الصغيرة فلم يدخلوها في الفاحص ولم يفتحوها ولم يفتشوها وذلك بسبب الجواز السياسي.

وجدنا العاملات في المطار في القاعة من النساء أكثر من الرجال بعضهن عليهن لباسهن الوطني المميز الذي يتألف من سروال أبيض طويل يضرب إلى الكعبين فوقه قميص طويل كالفستان (المكسي)، وفوقه صدري أو قميص يكون غالباً طويل الكمين فهو ساتر كلياً، بل هو أكثر ستراً من لباس كثيرات من النساء

المسلمات العاملات في المطارات في البلدان الإسلامية.

وكانت النساء العاملات في المطار على غاية من اللطف وحسن التصرف في التعامل مع الركاب القادمين، فمثلا لم يصل صندوق لي من الورق المقوى فيه سجاجيد صلاة وهدايا أعددتها لأئمة المساجد والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية في فيتنام فكانت اجراءات تسجيله سهلة سريعة. وقد أرسلوا مبرقة تلكسية إلى مطار بانكوك فجاء بعد يومين وتبين أنه لم يشحن من هناك.

وإلي جانب حسن المعاملة فإن الصباحة في الوجوه هي الظاهرة مع وجود التقاسيم التي لم تألفها عيوننا، ولا تعدها أذواقنا جميلة من تقاسيم خاصة بمنطقة جنوب آسيا الشرقي، وذلك عكس ما عليه الحال في تايلند، حيث يكون الجمال أو حتى مجرد أن يكون وجه المرأة معتاداً للعربي هو النادر وعكسه هو الشائع. وإلى جانب المظهر يشعر المرء من معاملتهم في المطار أنهم على غاية من الذكاء وسرعة الفهم.

مدينة هوشي منه:

ركبنا سيارة أجرة (تاكسي) كما يسمونها مع أنها حافلة صغيرة تحمل إثنى عشر راكباً، ونقدنا أجرتها لمكتب في المطار تديره امرأة مهذبة(١٥) دولاراً أمريكياً.. ومما يسجل لها أنني أعطيتها عشرين دولاراً أمريكياً فأعطتني خمسة دولارات أمريكية نقداً فذكرت الهند التي كنت فيها قبل أقل من شهر فكان أهلها حتى في الفنادق والمصارف لا يعطونك أي مبلغ يبقى لك عندهم بالعملة الأمريكية وإنما يعطونك إياه بعملتهم التي هي الروبية وبالسعر الرسمي الذي يقل بحوالي الثلث عن السوق الحرة.

وسألناها عن فندق مناسب في وسط المدينة فذكرت لنا فندق (ركس) وقالت: إنه جيد وفي وسط المدينة وسعره خمسون دولاراً لليلة الواحدة في غرفة خاصة.

انطلقت الحافلة الصغيرة التي أسموها (تاكسي) وهي جيدة نظيفة مع شوارع خيَّم عليها الظلام فلم نتبين شيئاً من معالم الطريق حتى وصلنا إلى فندق ركس في قلب المدينة.

فأنزلنا الفندق بسرعة في غرفتين جيدتين واسعتين في كل واحدة سريران وتلفاز وثلاجة وحمام خاص غاية في النظافة، بل إن جميع ما في الغرفة هو في مستوى فنادق الدرجة الأولى ذات النجوم الخمس مع أن الفندق أخبرنا أن أجرة الغرفة (٤٩) دولاراً وليس خمسين، وزاد من لطفه ما واجهناه في كل فنادقهم وهو أنهم لا يطلبون من النزيل أن يملأ بطاقة التسجيل في الفندق بنفسه، بل يطلبون منه بلطف أن يريهم جواز سفره فيسجلون بعض المعلومات منه ثم يعيدونه حالا للنزيل ولا يطلبون منه أن يدفع شيئاً من المال مقدماً، بل لا يسألونه حتى عن طريقة الدفع أهي نقداً أم بالبطاقة.

وفي الغرفة زوج من الأحذية من قش ناعم لاستعماله داخل الغرفة عوضاً عن نعال السبت (الشبشب) وفرشاة كبيرة لتنظيف الملابس من الغبار ونحوه مع أن الرطوبة هي شاملة والخوف من تأثير الرطوبة أكثر من الخوف من تأثير الغبار وفيها مصابيح كهربائية تفتح بإدارة مفتاحها باليد وكأنها مصابيح الزيت القديمة. وللغرفة شرفة خاصة واسعة ذات واجهة مستورة بستائر قماشية مضاعفة، سهلة الإنزلاق.

أما موظفو الفندق فإنهم من رجال ونساء على غاية من التهذيب يبادرونك بالابتسام

وينحنون أمامك كما يفعل أهل الملايو وأندونيسيا ويبدون أكثر ذكاء وأسرع فهماً من التايلنديين.

نظرة أولى:

غادرنا الفندق بُعَيْدَ الاطمئنان على الغرف والصلاة جمعاً في تمشية ليلية لإلقاء نظرة عاجلة على ما حول الفندق، وأهم ذلك ميدان مجمل مشجر فيه مقاعد حجرية قليلة يسمونه حديقة ركس ، وفي ركن منه تمثال لرجل فيتنامي ملتح بلحية تشبه لحية (هوشي منه) وهو يضع يده على اطفال فيتناميين.

كثير من القوم كانوا في الميدان أو حوله يقضون وقتاً، ومن الغريب أن بعضهم قد اتخذوا من ظهور دراجاتهم النارية مقاعد إذ عدد المقاعد الحجرية فيه قليل، وقد احتلها أناس قبلهم.

وجلسنا على أحد المقاعد بعد انتظار طويل من أن يفرغ مكان للجلوس فكانت جلسة ممتعة لأنها في بلاد غريبة عنا قلباً وقالباً أو قل: إنها بعيدة في المكان والزمان وهي أبعد من ذلك في الديانة والتقاليد.

وهناك شيء غريب في هذه الجلسة في هذا الميدان الذي يعتبر مقراً أو ممراً للأجانب من أوربيين وأمريكيين ومن يكونون في مظهرهم كالأستراليين، وهو أن يبادرك طفل صغير ذكي نظيف الثوب والبدن فيسلم عليك ببراءة ويقترب منك ويحتك بك. فتحس وأنت غريب برغبة في أن يبقى حولك ويكون عمره في الغالب بين الخامسة والسابعة، وفي الأخير بعد أن يحس بطبعه أو بتربيته أنك قد أنست به يمد يده اليك، وتأتي أمه أو الموكلة به فتفهمك أنه بحاجة إلى أن تنفحه قليلا من النقود.

وكنت خشيت في أول الأمر أن الأمر فيه انتشال نقود من الجيب أو مخادعة عن شيء من هذا القبيل، ولكن تبين لي أخيراً أنه لاستدرار العطف.

ثم تأتي بنيات أكبر سناً ويكُنَّ في الغالب في سن التاسعة إلى الثالثة عشرة، ومع الواحدة منهن أوراق نقدية قديمة أو دفاتر صغيرة أو معهن نقود معدنية كذلك أو صور زهور وتذكارات زهيدة الثمن يعرضنها عليك بعد أن يتلطفن فيبتسمن وقد يسلمن عليك فتشتري من واحدة ما تريده بقيمة دولار أو نصف دولار فتأتي الأخريات ويقفن ويلحفن في عرض بضائعهن فهذا مما يكدر الجلسة أحياناً، وإن كان يجملها أحياناً أخرى إذا كنت خالي الذهن أو تبحث عما تسمعه أو تعرفه في هذه البلاد مثلنا.

وهنا بُنَيَّةٌ أخرى في غاية الذكاء على صغرها وتتكلم الإنكليزية بطلاقة فتعرض عليك أن تترجم بينك وبين هؤلاء الباعة الصغار، ثم تأتي مسرعة ببضاعة تعرضها عليك مثلهم، وذلك من حوانيت قريبة فيها مثل هذه البضاعة التي يشتريها السياح.

وأول نظرة فيهم تجعلك تحكم بأنهم أذكياء، يحبون التعارف مؤدبون لولا الإلحاح في السؤال أو البيع من بعضهم. ولا شك أن مرجع ذلك إلى الفقر المدقع وانحطاط مستوى المعيشة، نتيجة للحكم الشيوعي المتعصب للشيوعية المطبق في بلادهم.

كما أن لغتهم غريبة على السمع فيها شبه من ناحية اللفظ باللغة التايلندية، ولكن ليس لها صلة قوية بها رغم قربها منها، وقد أخبرني رفيقي الشيخ علي عيسى الذي يجيد اللغة التايلندية كما قدمت بذلك وأنه لم يفهم من

لغتهم كلمة واحدة وقد حاول وأنا أسمع أن يجعلهم يفهمون أي شيء من التايلندية فلم يستطع.

شعب فريد:

إنهم شعب فريد ذو لغة فريدة حتى إن اللغة الصينية المجاورة لبلادهم التي هي لغة عريقة كانت لغة الثقافة لعدة أمم مجاورة للصين كالكوريين واليابانيين الذين كانوا يكتبون لغتهم بالحروف الصينية، إلى وقت قريب ولا تزال تلك الحروف معروفة عندهم ليست لها علاقة باللغة الفيتنامية. ومخارجها غريبة إذ يخرجونها بمخارج هادئة وبأصوات غير مرتفعة رغم ما عرف عن هذا الشعب من الشدة والقوة في الحرب.

وكثيراً ما كنت بعد ذلك أكاد أضحك وأنا أستمع إليهم يتحدثون بلغتهم هذه التي تشبه مواء السنانير المتقطع أي غير المتصل - وربما تكون لنا عودة إلى الحديث عن هذه الأمور فيما بعد - .

وفي هذا الليل في هذا المكان الذي يكثر فيه الأجانب يتبادر إلى الذهن الحديث عن جنود الليل، والجواب: إن مظاهر ذلك تكاد تكون معدومة وإن كانت موجودة على قلة، ففي أحيان قليلة عرفناها هذه الليلة وبعدها يقترب سائق ركشا ويسمونها (شكلوه) فيهمس في أذنك عما إذا كنت تريد شيئاً.

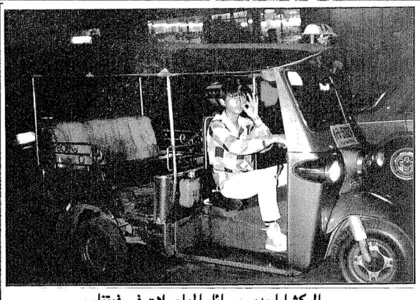
ولكن ذلك أقل من البلدان الأخرى، وهو أمر لا يذكر بالنسبة إلى ما عليه الحال في تايلند. والأمن مستتب فيما رأيناه وفيما قيل لنا بعد ذلك والرخص بالغ والأهم عندنا هذا الترتيب والنظام الموجود رغم استرخائه وذهابه من البلدان الشيوعية الأخرى.

ركشا فيتنامية:

وجدنا في ميدان منتزه (ركس) الواقع أمام فندقنا فندق ركس مكتباً سياحياً مراقباً من الحكومة قد كتب على لافتته أنه يصرف الدولار الأمريكي بثلاثة عشر ألفاً ومائتي (دونغ) و(الدونغ) هو العملة الوطنية لهم وهو من العملات الوطنية الهابطة حتى إنني أحمل معي نسخة من تقرير كتبه مندوب البنك الإسلامي للتنمية بعد زيارته لفيتنام في عام ١٤٠٢هـ، ١٩٨٣م، ذكر فيه أن الدولار الأمريكي يساوي (٩) دونغات وها نحن الآن نرى السعر الرسمي للحكومة يجعله بـ ١٣٢٠٠ دونغاً.

صرفنا بعض الدولارات ثم ركبنا دراجتين من دراجات الركشا التي يجرها الآدمي. و(الركشا) عندهم كالموجودة في الهند تقريباً وهي دراجة هوائية لا محرك فيها لها ثلاث عجلات إحداها الإمامية وفوقها سائقها الذي يسيرها بتحريكها برجليه واثنتان خلفيتان فوقهما مقعد مريح لشخص واحد يجلس مطمئناً وسائق الدراجة الراكب أمامه يسيرها به. وقد جعلوا للعربة مظلة تقي الراكب من الشمس ومن المطر وذلك لكثرة المطر ولكن لا يكون فيها شيء منها يقي السائق ذلك. ركبنا دراجتين بأجرة قدرها وبيانها - كما يقولون - خمسة آلاف دونغاً للاثنين ويساوي ذلك أكثر قليلا من ثلث دولار وأقل كثيراً من نصف دولار.

وعندما ركبنا والسائقان يجاهدان كل واحد منهما بجر حمله الذي هو نحن قلنا: {سبحان الذي سَخَّر لنا هذا وما كُنا له مقرنين}. ومن الطريف أنهم من باب المجاملة وسهولة معاملتهم للأجانب، وجرياً على عادة



ـ الركشا إحدى وسائل المواصلات في فيتنام.

لهم في ذلك من دون شك جعلوا يسيرون بنا متجاورين فكنت أتحدث مع رفيقي الشيخ علي عيسى ونحن راكبان كل واحد على دراجة في وسط الشارع يساعدهم على ذلك كون شوارع المدينة واسعة ذات أرصفة تبعد المارة عن مضايقة الدراجات وتبعد الدراجات عن مضايقة المارة.

ولاحظنا أن دراجة الركشا عندهم مخصصة لراكب واحد وان كان يحدث أن يركب فيها إثنان أو ثلاثة من الأطفال، أو امرأتان يتزاحمان فيها، بخلاف دراجة الركشا المماثلة لها الموجودة في الهند وبنغلاديش ولا توجد في باكستان فإنها تحمل ثلاثة.

ومن الملاحظ أن دراجات الركشا هذه لا توجد إلا في بلدان فقيرة معينة في القارة الهندية وفي جنوب شرق آسيا، ولا توجد في بعضها كتايلند رغم الحاجة إليها فإنها ممنوعة عندهم، وإنما استعاضوا عنها بما أسموها (موتور ـ ركشا) وهي دراجة نارية في الأصل ذات ثلاثة عجلات قد جعل فيها صندوق ذو شكل مثلث رأسه الأمامي فيه السائق والخلفي فيه مقعد عريض يتسع لثلاثة ركاب فتسير ولها قعقعة بل فرقعة تسهم في الضوضاء والجلبة التي تحفل بها عاصمة (سيام): بانكوك.

سار الرجلان بنا ونحن نتحدث محمولين في الشارع ونتأمل شوارع هذه المدينة الواسعة، وميادينها المتعددة التي ليس فيها تجديد ولكن ليس فيها تخريب فكلها عامر صالح.

ورأيت بعض اللافتات القديمة فيها التي لا يزال فيها اسمها القديم (سايقون) باقياً، ومن ذلك مكتب للسياحة كتب عليه (سايقون توريزم) وعدة لافتات أخرى فيها الاسم القديم للمدينة وليس الجديد (هوشي منه)، والجو في هذا الصباح لا بأس به، وكان حاراً عندما قدمنا أمس وحرارته من أجل رطوبة فيه وليست من أجل درجة حرارة مرتفعة.

شخصية إسلامية ولكن:

كنا نحمل معنا عنوان شخص مسلم اسمه (عثمان بن عمر) كان قد كتب للرابطة كتاباً يطلب فيه المساعدة على بناء مسجد في فيتنام اسمه مسجد الخيرية. فأريناه سائقي (الركشا) وهم يقرأون الحروف اللاتينية لأن لغتهم تكتب بها.

فوصلا ميداناً جيداً عليه بناء ممتاز من عهد الفرنسيين.

ثم سارا مع شارع رئيسي واسع ولا تفاهم معهما مطلقاً لأنهما لا يعرفان غير لغتهما الفيتنامية ومع ذلك لم يكفا عن الحديث فيما بينهما وفيما يوجهان من حديث لنا لا

نفهم منه شيئاً. حتى وقفا في الشارع العام عند مدخل شارع فرعي ضيق فأشارا أن انزلا، ونزلنا بالفعل فرأينا العنوان حانوتاً جيداً فيه رجل مشرق الوجه، والإشراق في وجوه الفيتناميين قليل بسبب رطوبة الجو، وثقل الهواء. ومعه ثلاثة رجال كلهم مسلمون ظاهر ذلك من مظاهرهم إذ هم بالملايويين أو الأندونيسيين أشبه منهم بسائر الفيتناميين.

فرحنا بذلك وسلمنا عليهم وألقينا بالتحية ولكننا لم نجد صدى لكلامنا إذ لم يفهموا منه إلا السلام وحتى السلام لم يردوه لأنه ضاع في زحام الكلام فعجزت أفهامهم عن استيعابه.

وحاولنا الكلام وحاولوا الفهم ولكن المحاولات كلها كانت فاشلة إذ لا يحسنون لغة نحسنها، وأخبرناهم بالإشارة أننا من مكة المكرمة، فبان التأثر على وجوههم فأسرعوا بإحضار مشروب عصير فاكهة محلية يسمونه (روما) لم نعرفه كما لم نعرف لغتهم.

وجاءت أسرة صاحب الحانوت الأخ عثمان بن عمر وهي والدته وزوجته وهما مسنتان وصهر له مع زوجته والتفوا حولنا، ولكن كانت الكلمات المزوجة بالدهشة تموت على الشفاه إذ لا لغة تجمعنا. فطلبنا منهم طلباً فهموه بعد إلحاح، وهو أن يستدعوا الأخ عبد الحليم سليمان الذي كان رئيساً للمسلمين منذ سنوات عسى أن نجده يعرف شيئاً من العربية يكفي للتفاهم، كما سألناهم عما إذا كانوا يعرفون احداً من المسلمين يتكلم الإنكليزية.

فذهب منهم اثنان وبقينا مع الآخرين نتبادل النظرات وابتسامات الحيرة على الشفاه، ثم ذهبت أتمشى حول محلهم من السوق معلقاً مصورتي في يدي فرأيت بضائعهم التي تصنع في بلادهم رخيصة جداً، ومن ذلك قبعة جميلة من القماش عريضة الجوانب بسبعة آلاف (دونغ) ويساوي ذلك نصف دولار.

ولم يمكن معرفة مقدار الثمن مع البائع إلا بكتابته على ورقة واطلاعنا عليه، إذ الأرقام هنا هي الأرقام العربية التي نسميها الإفرنجية.

واستمر تدفق الدراجات أو لنقل فيضان الدراجات في الشارع الرئيسي حتى فاقت كثرتها ما هو موجود في شوارع المدن الصينية المعروفة بكثرة دراجاتها. ودراجات الركشا لا يدانيها في الكثرة مدان حتى في مدن الهند وبنغلادش المشهورة بكثرة ركشها - جمع ركشا إن صح التعبير.

وعجبت لكثرة الأطفال في الشوارع، ولا شك في أن لضيق البيوت دخلا في كثرة رؤية الأطفال في الشوارع - وربما كان هذا تعويضاً عما أفنته الحرب من أهل فيتنام وهو تعويض لم يقصده احد من الناس وانما هو من الله تعالى من دون أن يخطط له مخطط. كما لاحظت كثرة الشحاذين الذين يقصدون الأجانب خاصة بالسؤال والاستجداء، ولا أراهم يلحون على المواطنين بالسؤال.

الإرداف على الدراجة النارية:

عاد الرجلان اللذان ذهبا يبحثان عن أحد المسلمين الذي يمكن أن يتفاهم معنا فقدما دراجتيهما الناريتين وأشار كل واحد منهما إلى واحد منا أن اركب خلفي على الدراجة، وركبت وأنا مشفق من أن لا أحسن الثبات على ظهر هذه الدراجة النارية لا سيما أن الدراجات كانت كثيرة كثرة عظيمة في هذه الساعة من النهار التي تعدت العاشرة.

وهذه من المرات القليلة التي ركبت فيها

الدراجة النارية، ومما أذكره من ذلك ركوبي في (سرنقر) عاصمة كشمير، وفي مدينة (ببنشر) عاصمة ولاية أريسا في الهند، وكل ذلك لم يكن باختياري لأنني أقول لمن يطلب مني أن أركب الدراجة إنني أفضل أن أستأجر سيارة أجرة فأنا استطيع ذلك، وهنا لا توجد سيارات للأجرة سائرة في الشوارع، إنما تطلب من مكاتب سياحية قليلة لا نعرفها.

وجاء الفرج :

وجاء الفرج عندما وقفت بنا الدراجتان أمام جامع ضخم ثري المظهر ذي منارات أربع شامخة وعدة قباب تطيف به أفنية واسعة جميلة حتى يصح أن يكون معلماً مهيباً عديم النظير من معالم المدينة، وهو مطلي بطلاء أبيض قشيب يمثل الصفاء والنقاء، واسمه (جامع المسجد للمسلمين) هكذا تقول هذه العبارة غير الفصيحة لهذا المسجد العظيم. وكتبوا تاريخ بنائه بالعربية عام ١٣٥٢هـ، وتحته معنى ذلك بالإنكليزية.

عندما رأينا المسجد قلنا في أنفسنا: لقد جاء الفرج فلابد من أن نجد إماماً يعرف قدراً من العربية أو يعرف من يعرف ذلك. وكان الفرج على هيئة أخ مسلم مسن يلبس ثوباً تحته سروال يتدلى طرفاه حتى يكاد يصل إلى الكعبين وفوق رأسه عمامة صغيرة، وعلى صدره صدري «حجازي» فسلم وأحفى السلام، وهو في مظهره يشبه الجاويين إلا أنه ذكر أنه من تشامبا وإن كان قال: إن اللغة تختلف فإن كثيراً من الباحثين يؤكدون العلاقة بين أهل تشامبا وبين الجاويين وبادرناه بالسؤال عما إذا كان يعرف العربية؟ فأجاب: نعم.

وقد تبين انه يعرف العربية بالفعل ولكن كان عهده قد بعد بأهلها وأذناه قد استغربتا عن سماع ألفاظها، فكان لابد له من أن ينصت جيداً للكلام بالعربية ولو كان الصوت مرتفعاً، ويفضل أن يكلمه المتكلم منا بتؤدة وتمهل وألا يسرد الجمل متلاحقة. كما أنه يفضل الكلمات والجمل العربية القديمة أو بعبارة أصح يفضل أن يتجنب المصطلحات الحديثة في اللغة مثل كلمة (طبعاً) وكلمة (الظروف) بمعنى الأحوال.

وعرفنا ذلك من طبعه فكان مفيداً لنا جداً - جزاه الله خيراً - سألناه أين تعلم العربية؟ فأجاب: إنه درسها في فيتنام على الشيخ عمر علي مفتي المسلمين في فيتنام سابقاً، وأنه رحل إلى مكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ وبقي فيها مدة قصيرة، وأنه هو إمام هذا المسجد الذي هو أكبر المساجد في هذه المدينة.

المساجد في هوشي منه:

جرى بحث معه بحضور الإخوة المسلمين الذين جاؤوا معنا وأخوة لنا آخرين وجدناهم في هذا المسجد حتى الآن، لأن اليوم هو الجمعة، فكانت نتيجته أن أكبر المساجد في (هوشي منه) هو هذا المسجد العظيم ويعرف عند الناس بالمسجد الهندي، لأن الذين بنوه هم إخواننا المسلمون من أهل الهند وكانوا تجاراً أغنياء في هذه المدينة ولكنهم رحلوا عنها وتركوها عندما استولت الشيوعية على البلاد، وذكروا انهم كانت لهم املاك من الأبنية (العمارات) والحوانيت والمحلات التجارية وغير ذلك من العقارات.

وذكروا أنه يوجد في مدينة (هوشي منه) ثلاثة عشر مسجداً، سبعة منها كبار وستة صغار. وذكروا أن عدد المسلمين يزيد لأن الفيتناميين من غير المسلمين يدخلون في الإسلام وإن كان ذلك على نطاق ضيق لقلة

امكانات المسلمين وضعف وضعهم الاجتماعي.

كما توجد مساجد خارج المدينة منها مسجد لأخوة مسلمين فيتناميين يقع في بلدة (تانغ بو) وتبعد حوالي ٤٠ كيلو متراً عن المدينة.

والتنويه بأن المسجد للفيتناميين أمر مهم لكون الأغلبية الساحقة من المسلمين هم من قبيلة تشامبا أو لنقل من منطقة تشامبا التي تقع في الحدود ما بين فيتنام وكمبوديا - وأما المسلمون من الفيتناميين الأصلاء فإن عددهم قليل. وذكر ان عدد المسلمين حسبما يظنون يبلغ ما بين ٤٠ ألفاً إلى ٥٠ ألفاً في فيتنام كلها منهم سبعة آلاف في مدينة (هوشي منه) وحدها من مجموع سكان المدينة البالغ أربعة ملايين ونصفاً من مجموع سكان دولة فيتنام الذي يعد ٦٨ مليونا من البشر.

وأكثر المسلمين يقطنون في منطقة الحدود ما بين كمبوديا وفيتنام، تلك المنطقة التي كانت فيها سلطنة إسلامية قوية عريقة قضى عليها الفيتناميون في القرن الخامس عشر الميلادي كما تقدم ذكره، وتبعد منطقة الحدود بحوالي ٢٥٠ كيلو متراً من هوشي منه هذه (سايقون سابقاً).

المطعم الاسلامي:

نوّهوا بالمرافق التابعة للمسجد التي تقع في محيطه ملحقة به مما جعله أشبه بالمركز الإسلامي. فذكروا منها المدرسة الإسلامية ومقر الجمعية الإسلامية المشرفة على المسجد، وبيت الإمام وغيره من العاملين في المسجد، والمطعم الحلال. وهنا قلنا لهم: ألا يوجد مطعم يقدم اللحم الحلال للمسلمين؟ فأجابوا بالنفي، وأكدوا أنه هو المطعم الوحيد للمسلمين في المدينة.

ومعرفة (المطعم الحلال) أمر مهم لنا لأن أهل هذه المدينة ليسوا من أهل الكتاب الذين يحل طعامهم وإنما هم من البوذيين. وجدنا المطعم في قسم خلفي من أبنية ملحقة بالمسجد يجمعها فناؤه إلا أن المسجد مرفوع يصعد إليه بدرج عال. والمطعم يشغل حجرات عدة وقسماً من الفناء مظللا بأشجار ضخمة وارفة الظلال حتى كأنه منها في سقف، ولذلك رأيناهم نثروا الموائد تحت الأشجار نثراً، إلى جانب الموائد الموجودة داخل الغرف، طلبنا الطعام والساعة تقارب الحادية عشرة والنصف لأن الصلاة في الواحدة، ونحن لم نأكل طعاماً في هذا الصباح.

فكان من طعامه الإربيان الذي هو (الروبيان) بلغتنا العامية والجمبري بلغة المصريين، ومعه السمك والأرز الأبيض الساذج الذي لم يخالطه مخالط من إدام أو ابزار أو غيرهما. كما جاؤوا بالكاري وهو مرق غليظ لا يكون كثيراً في الصحن، ولكن تكون معه بعض الخضروات القليلة، وأما الشراب فإنه الكوكا كولا والسفن أب وقد طلبناه لعدم ثقتنا بنظافة مائهم الذي يشربونه من الأنابيب.

وكان ثمن ذلك كله ٤٥ ألف دونغ، والدولار الواحد يساوي ١٣٥٠٠ دونغا فهو إذاً بحوالي ثلاثة دولارات وثلثاً، عرفنا أن حوالي نصف هذا المبلغ كان ثمناً للكوكاكولا والسفن أب لأنهما مستوردتان من خارج البلاد وثمنهما لذلك غال بخلاف بقية الطعام التي هي كلها من بلادهم فإن ثمنها رخيص جداً.

وأما الطعام فإنه لذيذ وقد طهي بطريقة مزجت فيها الطريقة الهندية بالطريقة الوطنية فقد كان خالياً من الدسم الكثير، وهذا من مميزات الطعام الفيتنامي إلا أنه كثير الفلفل



مدرسة نور الايمان

وهذا من مميزات الطعام الهندي، ولا شك في أن هذا الطعام لو كان في محل واضح على شارع تجاري عام، وكانت نظافة القائمين على المطعم وكذلك أثاثه على المستوى المطلوب لكان عليه إقبال عظيم.

ومع ذلك رأينا عدداً من الآكلين لا بأس به في هذه الساعة المبكرة، وفيما رأيناه من أمره بعد ذلك إذ كنا نتردد عليه لا يكلفنا الوصول إليه من فندقنا إلا أجرة ركشا تبلغ ربع دولار أمريكي، وفي نهاية الغداء هذا اليوم أردفنا الأخوان صاحبا الدراجتين إلى فندقنا فندق اركس.

جمعة فيتنام:

توجهنا من الفندق إلى (جامع المسجد للمسلمين) كما اسموه لأداء صلاة الجمعة فوصلناه قبيل الواحدة فوجدنا الشيخ محمد يوسف إمام المسجد واقفاً أمام المكبر يعظ الناس بلغة القوم وهي لغة تشامبا واللغة الفيتنامية. وهما لغتان مختلفتان فالأولى لغة المسلمين والثانية لغة سائر المواطنين، ثم أذن المؤذن فأخذ عصا غليظة مستقيمة طويلة جدا كان أعلاها يرتفع عن رأسه، وصلّى المؤذن على النبي {صلى الله عليه وسلم} من مكبر الصوت ثم أذن الأذان مثل أذاننا تماماً فنهض القوم لأداء السنة، نهض المؤذن ثانية فأذن الأذان الثاني، فصعد الإمام محمد يوسف المنبر ومعه العصا الغليظة، التي كان المؤذن قد أمسك بها وهو يؤذن وصعد على المنبر الذي هو من الرخام وليس له حافتان يستند الإمام بيده، أو كلتيهما عليها.

لذلك أمسك العصا الغليظة الطويلة بصدره وأمسك كتاباً مجلداً بيديه كلتيهما، فخطب منه خطبتين عربيتين مسجوعتين لا أظن أن في المسجد من يفهمها غيري وغير رفيقي الشيخ علي عيسي.

وبعد الخطبة دخل في الصلاة دون أذكار قبلها وبعد الإقامة، فقرأ في الصلاة وأطال قراءة متقنة مجودة خاشعة، وبعد أن انتهى من الصلاة دخل هو والجماعة في تسبيح وتهليل بصوت منخفض منفرد، وأدوا السنة أربع ركعات بعد الصلاة.

وبعد ذلك دعا دعاء مطولا باللغة العربية ثم بدأ القوم يصلون على النبي {صلى الله عليه وسلم} بصفة جماعية منغمة وبصوت عال ارتج له المسجد الذي كان قد امتلأ أو كاد بالمصلين، وقد قدرت عدد المصلين بـ ١٠٧ وذلك كله من غير تهيؤ سابق ولا إعلان عن قدومنا.

وهذا العدد هو من الرجال وأما النساء فقد حضرت منهن طائفة صلين في رواق

منفصل عن المسجد من جهة الجنوب ولكن من يكون فيه يرى الإمام أو من خلفه ففيه باب ونوافذ كبيرة مفتوحة، والنوافذ الواسعة في هذه البلاد الحارة الرطبة أمر له أهميته.

وألقيت فيهم بعد الصلاة كلمة بالعربية كان الشيخ محمد يوسف يترجمها لهم وكنت أتعمد أن أستعمل في كلامي الكلمات والجمل العربية القديمة التي يفهمها، وقد تضمنت الكلمة التعرف بالغرض من وصولنا إلى هذه البلاد وهو الاتصال بالإخوة المسلمين والإطلاع على حالة مساجدهم من أجل التعاون في المستقبل معهم على البر والتقوى. ومن ذلك التعاون على إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح من مساجدهم وترميم ما يحتاج إلى ترميم منها، كما أن من أهم أهداف رابطة العالم الإسلامي التي نعمل فيها توفير المعرفة بأحوال المسلمين من أجل التواصل والتآلف اللذين لابد لهما من معرفة حقيقية بأحوال المسلمين، وإن المسلمين في هذه البلاد رغم البعد الجغرافي لهم مثل الأخوة المسلمين في داخل بلادنا السعودية وفي البلدان القريبة لأنهم سواء لدينا في المنزلة لا نميز أحداً منهم عن أحد إلا بمقدار ما يقدمه من عمل للدين الإسلامي الحنيف.

وقدمت لهم نصحي لما ينبغي أن يكون عليه المسلم من التخلق بالأخلاق الإسلامية الرفيعة التي بينت لهم طرفاً منها، ومن التميز على غيره من غير المسلمين بكونه يجب أن يكون خيراً للجميع، وإذا لم يستطع أن يقدم لغيره خيراً فإنه يجب عليه أن يكف أذاه عن الناس وأن يساعد ولو بلسانه على ذلك لأن الرسول {صلى الله عليه وسلم} يقول: المسلم مَنْ سَلَمَ المسلمون من لسانه ويده.

ودعوت الله تعالى بأن يقدر الاجتماع بهم مرة ثانية في مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث نلقاهم زواراً ومعتمرين هناك. فتأثروا من ذلك وكاد بعضهم يبكي وسألوني بعض الأسئلة المتعلقة بما ذكرته.

أوقاف المسجد الجامع:

كان بين الحاضرين خازن جمعية المسجد، وما أقل ما يخزنه الآن من مال في ظل هذا النظام الشيوعي الذي أفقر البلاد والعباد، فسألته عن المواد التي يحتاج إليها المسجد للحاجات المتكررة مثل الكهرباء والماء والصيانة فذكر والقوم يسمعون أن ذلك من تبرعات المسلمين القليلة التي نجمعها خاصة يوم الجمعة.

وقال: لقد كان المسجد لا يحتاج إلى ذلك لكثرة الأوقاف التي كانت موقوفة عليه وكان عددها (٥٤) بيتاً موقوفة على المسجد، وكرر إمام المسجد ذلك وأن عدد البيوت التي كانت موقوفة على المسجد كان (٥٤) بيتاً، وقالوا جميعاً: إنها خرجت من أيدينا الآن فقد أسكنت فيها الحكومة أناساً من غير المسلمين زعمت أنهم يحتاجونها للسكن.

قالوا: والشيء الذي نخشاه أن لا تعاد إلينا إذا ما حسنت حالة الاقتصاد بعد الانفتاح الاقتصادي الذي بدأت الحكومة به في الوقت الحاضر.

وكان مما قالوه يؤكدون به التغيير الذي طرأ على فكر الحكومة من ناحية الاقتصاد أن التجارة الداخلية الآن حرة من ناحية أن التاجر يستطيع أن يشتري ما يجده من السلع ويبيعها كما يشاء إذا لم تكن من السلع الأساسية التي حددت الدولة أسعارها للشعب:

الجزية:

وقال الشيخ محمد يوسف بعربيته القديمة:

الآن حرية في التجارة، لكن (الجزية) كبيرة، ولما استفسرت منه عن الجزية هذه تبين أنه يريد بها الضرائب التي تفرضها الحكومة على التجار فهي تترك لهم الحرية في التجارة ولكنها تتقاضى ضرائب عالية على دخولهم، غير أن الشيخ لم يعرف كلمة (ضريبة) لأنها من الكلمات العربية المستحدثة، التي لم تكن مستعملة قبل انقطاع الاتصال ما بين بلاده وبين البلدان العربية.

وقد ذكرتني هذه اللفظة (الجزية) بعض ما يشنع به اعداء الإسلام على النظام الإسلامي من فرضه الجزية على أهل الذمة زاعمين أن ذلك ظلم لا يليق. ونسوا أو تناسوا أن الحكومات الحالية تفرض ضرائب متنوعة على مواطنيها وعلى غيرهم كثيراً ما تفوق ما يفرضه الإسلام من جزية، لأن الجزية في الإسلام لا تكون إلا على المكتسب القادر على ذلك.

ولا نزال الآن نرى اليهود الذين يحتلون فلسطين يفرضون على سكانها العرب من مسلمين وغير مسلمين ضرائب احتلال وغيرها من أنواع الضرائب تفوق أضعاف ما يفرض من المسلمين على أهل الذمة، ولم نجد منكراً لفعل اليهود ذلك - لا من أهل المسيحية ولا من أهل العقائد المدنية الحرة. فكيف يختصون الجزية التي يفرضها الإسلام بالاستنكار مع أنها في مقابل الحماية وتوفير الأمن للمواطنين غير المسلمين في بلاد الإسلام، ولا يستنكرون الضرائب الباهظة التي يفرضها غير المسلمين على من يسيطرون عليهم من المسلمين؟

مدرسة نور الايمان:

تقع هذه المدرسة في بناء ملحق بالمسجد من بين عدة أبنية كما قدمت. وقد كتبوا تاريخ إنشائها في عام ١٩٦٨م، كما كتبوا عليها بالإنكليزية وفتحت هذه المدرسة العربية بيد المستر (فون فان بنغ) مساعد محافظ (سايقون) في ١٩٦٨/٦/٩م، وذكروا لنا أن عدد طلابها خمسون وأنهم يدرسون في مساء كل يوم إلا يوم الجمعة والأحد فإنهما يوما عطلة لهم. كما ذكروا أن لها معلمين وجدنا أحدهما أختاً مسلمة بل بنتاً مسلمة، اسمها رفيعة ذكروا أنها جاءت تدرّس في المدرسة نيابة عن والدها لأنه مريض. ويعلمون فيها مبادىء قراءة القرآن الكريم وما عبروا عنه (بفرض عين) الذي يريدون به أركان الإسلام وقواعده الرئيسية التي لا يعذر المسلم بجهلها.

وفي المدرسة سبورتان لفصلين، على إحدى السبورتين بحروف عربية البسملة ودرس في لغة تشامبا التي تكتب بالحروف العربية، وكذلك على السبورة الأخرى كتابة بالحروف العربية ولكن بلغة تشامبا أيضاً.

ومقاعد المدرسة لا بأس بها، ولكنهم يشكون من قلة الإمكان لتطويرها، فسألتهم عن نفقات المدرسة من أين يحصلون عليها فأجابوا بترجمة من الشيخ محمد يوسف بأنه صندوق خيرات أي تبرعات.

مقر الجمعية الاسلامية:

وهي جمعية خاصة بتسيير أمور المسجد الجامع الكبير هذا والمدرسة، ويقع مقرها في الطابق الأرضي، جلسنا في قاعة واسعة منه، فيها خزائن مليئة بالكتب والمصاحف أكثرها من المصاحف المطبوعة في الهند ومنها مصحف كبير الحجم طبع في الهند، طبع حجر نادر، مما يعطي انطباعاً عن القائمين على هذه الجمعية وأنهم كلهم من أهل الهند.

وهكذا أخبرونا بحضور الأخوة المسلمين من أهل فيتنام، فذكروا أن القائمين على أمر المسجد في هذه الجمعية هم من أهل الهند الذين بقوا في فيتنام، بخلاف أكثر المسلمين الهنود فإنهم غادروها بعد أن استولى عليها الشيوعيون حتى إنه لم يبق من المسلمين الهنود الآن إلا عدد يقدر ما بين ٢٥٠ و٣٠٠ نسمة في مدينة هوشي منه (سايقون) كلها، فرئيس الجمعية وأمين الصندوق فيها كلهم من أهل الهند.



- الدراجات تعج بها شوارع هوشي منه.

وفي القاعة الواسعة التي هي مقر الجمعية صورة لعربي يقود بعيره متجها الى مسجد مرسوم في الصورة، وهذا أمر له معنى عظيم ينبغي أن نفهمه نحن العرب، فنساعد إخوتنا في الإسلام الذين يحرصون على إبراز تراثنا ومظاهر الدين الإسلامي الذي شرفنا الله تعالى بحمله على كل الأمم.

لا شك أن الدين الإسلامي دين أمة واعية عارفة بما يجب أن تعمله تجاه دينها وثقافتها الأصيلة أو هكذا ينبغي أن تكون الأمة الإسلامية حتى تسارع إلى نشره وتعميمه في الخافقين.

وبهذه المناسبة سألنا هؤلاء الأخوة عما إذا كانوا يذكرون أن أحداً وصل إليهم من البلدان العربية وتبرع لهم بمال؟ فأجابوا بأنهم قد رأوا بعض العرب وخاصة بعض بحارة السفن التي تأتي إلى بلادهم لنقل الأرز أو لغير ذلك، يأتون واحداً أو اثنين من أجل أن يؤدوا الصلاة، وبخاصة إذا كان ذلك يوم الجمعة، قالوا: وأما التبرعات فإنهم لا يذكرون شيئاً من ذلك.

وليس بين جمعية المسجد أحد من العرب، وذلك أن العرب الذين كانوا موجودين في هذه البلاد قبل أن يستولي عليها الشيوعيون كانوا تجاراً فرحلوا وتركوها وأغلبهم من أهل اليمن فعاد بعضهم إلى اليمن وبعضهم ذهب إلى أماكن أخرى، ومن هؤلاء شخصان قابلتهم في (نيوكلدونيا) في جنوب المحيط الهادىء.

قالوا: ولم يبق الآن في مدينة (هوشي منه) إلا خمسة أو ستة من أبناء العرب المولودين في هذه البلاد. وطبيعي أن نقول: إنه لا توجد في (هوشي منه) سفارات لدول إسلامية، لأن السفارات كلها في العاصمة (هانوي).

الى جامع المسلمين:

قلنا: إن حالة المساجد في البلدان الشيوعية وبخاصة إذا كانت بلدان أقليات مسلمة هي مهمة جداً، لأنها تُوضح حالة المسلمين، وبيان قدرتهم على العمل لدينهم

الإســـــلامي الحنيف داخل نظام ذلك البلد. ولذلك حــرصنا على زيارة المساجد كلها في (هوشي منه) كما كنا نحـرص على ذلك في بلدان شيوعية أخرى، ولنـا فـي ذلـك هـدف آخـــر، وهـو تـقـــديم مساعدات مالية رمزية عاجلة للإخوة المسلمين القــــائمين علـى تلك المساجد، وان نعرف ما تحتـاج إليـه في المستـقـبل حـتى نقـدم لهـا مساعدات مالية مجزية في المستقبل على ضوء مشاهداتنا هذه إن شاء الله تعالى.



ـ لقطة تجمع بين (العبودي) ومجموعة من لجنة (جامع المسلمين) امام واجهة المسجد.

لذلك ذهبنا مـع بعض الأخوة ومنهم الشيخ محمد يوسف إمام الجامع الكبير الذي ذكرته لأنه الشـخص الوحـيد الذي عـرفناه بمعـرفـة العربية على كبر سنه وعدم سرعته في التحدث بالعربية.

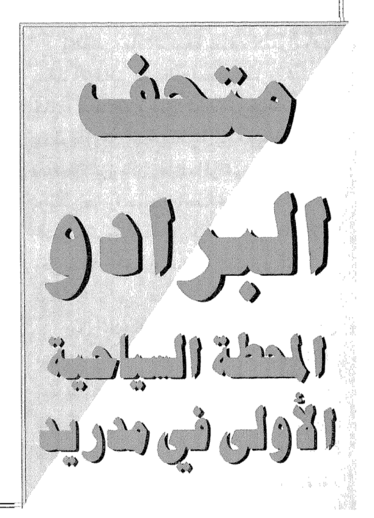
ركبنا سيـارة لشـخص من سـائر الناس يرتزق بهـا، وهي ليـست سـيـارة أجـرة لأن سيـارات الأجـرة المعـروفـة عندنا وفـي الأقطار الأخرى غير الشيوعية ليست موجودة في هذه البـلاد إلا عند مكاتب سـيـاحـيـة حكومـيـة يؤجـرونها بعـقد يوقـعـونه مـع المستـأجـر كمـا سيأتي.

وســائق السـيـارة غـيـر مـسلم فـانطلق بسـيـارته في شـواع (هوشى منه) (سـايقـون سابقاً) الواسعة المليئة بالدراجات على اختلاف أنواعـهـا من (ركشـاوية) إلى دراجـات هوائـيـة معتـادة وهي الأقل، إلى الدراجات الأكثر وهي نارية تزمجر محركاتها وتختلط أصواتها حتى تؤلف صوتا أجش غير منسجم ولا متناسق، بل هو غاية من الإزعاج.

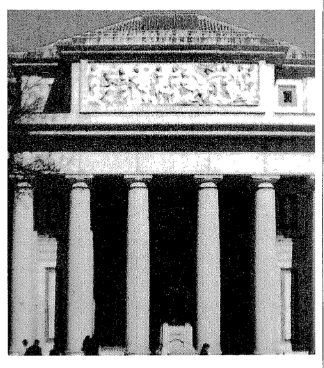
ولاحظت عادة متبعة عندهم كثيراً، وهي عـادة الإرداف على الدراجـات النارية فـتـرى كثيراً منهم قد أردفوا شخصـاً أو اشخـاصـاً معهم على الدراجة بمعنى أركبوهم خلفهم، وفي حالات كثيرة يكون هؤلاء المردفون ـ بفتح الدال ـ أكثـر من واحـد وبخـاصـة من أفـراد الأسـرة الذين يركـبـون مـعـاً على دراجـة نارية واحدة.، وفي حـالات أخـرى عـديدة كنت أرى امـرأتين تركبان الدراجة إحداهما خلف الأخرى.

ومن الملاحظ في شـوارع (هوشـي منه) ان أشجار الشـارع تكون بالغة الارتفـاع، وهذا بلا شك يدل على أن العناية بتشجير هذه الشوارع قديمة، لأنها لابد أن تكون قد غرست منذ عهد بعيد.

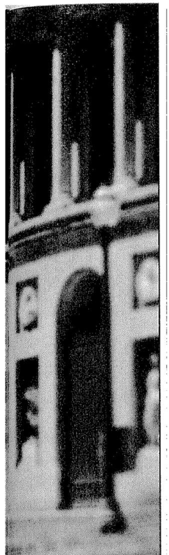
«للرحلة بقية»



متحف البرادو المحطة السياحية الأولى في مدريد



ـ مدخل فيلازكيز.



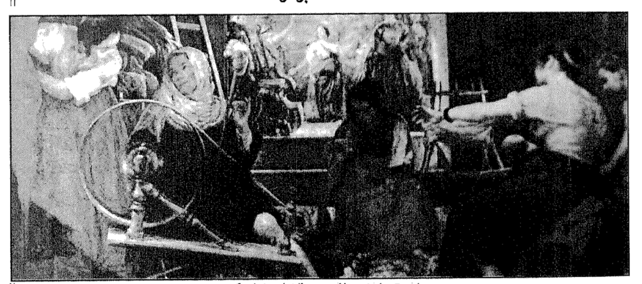
كانت الساعة الثامنة والنصف صباحاً، ونحن في فصل الربيع، عندما وصلت سيارتنا في أستراد البرادو ـ مدريد ـ الذي تنتشر على جانبيه وما بين الاتجاهين الأشجار الكبيرة والأخاذة تقدمنا الى الأمام فاذا بطابور من المولعين بالفن العائد لفترة ما بين القرنين الثاني عشر والثامن عشر، ينتظرون بفارغ الصبر حتى تشير عقارب الساعة التي تمشي ببطء كبير على التاسعة ويسمح لهم بالدخول ومشاهدة الروائع المعلقة في متحف البرادو الشهير والتي رسمت من قبل روَّاد الفن الاسباني أمثال فيلازكيز وغويا وموريو وغيرهم.

موقع المتحف:

بني متحف البرادو في احدى المناطق السكنية المركزية الأكثر روعة في مدريد حيث تختلط الطبيعة

د. غازي حاتم ـ سوريا ـ

ـ متحف البرادو



ـ لوحة عاملات النسيج للفنان فيلازكيز.

مع الفن المعماري، تسمى هذه المنطقة، باسيو ديل البرادو، وتقع بين ثلاثة مناطق مشهورة في مدريد هي: الريتيرو وريكوليتوس وأتوتشا. في هذه الأخيرة يوجد المتحف الوطني أو متحف الملكة صوفيّا - ملكة اسبانيا الحالية - الذي يحتوي على لوحات هامة من ابداع فناني القرن الحالي أمثال بيكاسو وميرو، الخ ...



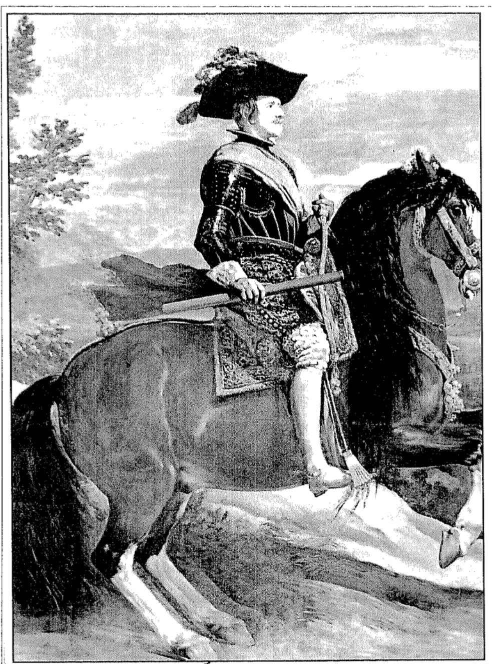
- إحدى صالات المتحف.

بوابات المتحف:

يعتبر بناء المتحف من النمط الكلاسيكي الحديث ويتألف من طبقتين وفيه ثلاثة أجنحة ذات أحجام كبيرة موصولة ببعضها بممرات طويلة، لكل جناح مدخل خارجي سمي باسم أحد الرسامين الثلاثة الأكثر شهرة في اسبانيا : بوابة فيلازكيز أو البوابة الرئيسة للمتحف وتقع في الجهة الغربية من المتحف. أما البوابة الشمالية فلها مدخلان في الطابقين العلوي والسفلي وتحمل اسم الرسام غويا وتوجد ساحة صغيرة قريبة من هذه البوابة، أما البوابة الجنوبية فتقع قرب حديقة النبات وتسمى بوابة موريو وتوجد أيضاً ساحة جميلة واقعة بالقرب من هذه البوابة.

تسمية المتحف:

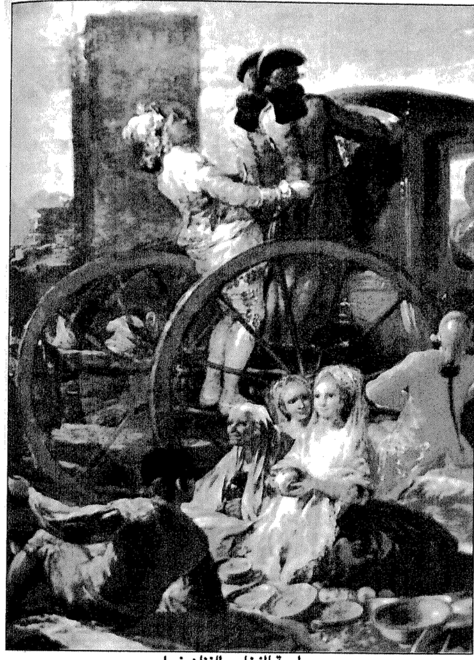
تمت البداية في انشاء متحف البرادو من قبل المهندس المعماري الكلاسيكي الحديث/ خوان دي فيلا نيوفا/ في عام ١٧٨٥م وكان المشروع محضراً لانجاز متحف العلوم الطبيعية، حيث كان يشكل جزء من المخطط الحضاري الأكثر اكتمالا والذي كان قد وضع فكرته الملك كارلوس الثالث في منطقة من مدريد كانت مسماة «البرادو دي خيرونيموس» ومن هنا أتى اسم متحف البرادو، كذلك اسم المشى الذي أمامه «باسيو ديل البرادو».



ـ فيلبي الرابع ممتطياً جواده.

نافورات المتحف:

وقد أراد الملك كارلوس الثالث تحديث المنطقة التي يتواجد فيها متحف البرادو فكلف المهندس ـ فيلانويفا ـ بأن يقوم بانجاز نافورات وأبنية أثرية وكانت الفكرة بأن يشمل كل بناء، حقلا للمعرفة العلمية ومرصداً فلكياً في أعلى منطقة الريتيرو وحديقة نباتات قرب المتحف ومقراً لمركز التاريخ الطبيعي الذي سمي لاحقا باسم متحف الرسم وقد وضعت هذه النافورات أمام الواجهة الرئيسة.


- لوحة الفخاري للفنان غويا.

تدشين المتحف:

أما اقتراح انشاء المتحف فهو عائد للملكة ايزابيل دي براغانزا، الزوجة الثانية للملك فيرناندو السابع. وقد أنجز المتحف نحتاً للملكة موجود في بوابة غويا. أما تدشين البرادو كمتحف فقد تم في عام ١٨١٩م من قبل فرناندو السابع باسم المتحف الملكي، وذلك لأن الرسومات التي كانت موجودة، كانت تشكل جزء من مجموعة ملكية.

جولة في المتحف:

إن جولة في قاعات المتحف الكبيرة المزدانة بعدد كبير من اللوحات التي تعتبر من أجمل روائع الفن العالمي، لا يمكن أن تنتهي بعدة ساعات واذا كان الزائر يريد الاطلاع على كل اللوحات فمن الضروري أن يرافقه أحد المرشدين الذين درسوا اللوحات بشكل جيد ولديهم تفاصيلهم الكاملة، وإنه لمن الصعب إعطاء لمحة موجزة عن غالبية اللوحات التي تزيد عن ألفي لوحة، ولكن خير ما نبدأ عنه بالحديث، هي اللوحات الرائعة لديغو فيلازكيز، أستاذ الأساتذة والواقعي المبدع ورسام البلاط - ابن مدينة اشبيليا الأندلسية ١٥٩٩م حيث تعتبر لوحاته هي

الأكثر عدداً والأفضل في المتحف، من لوحاته الهامة هي: لا رنديسيون دي بريدا، لاس منيناس، فيلبي الرابع، الخ ... وأفضلها/ لاس هيلانديراس/ أو عاملات النسيج التي تعتبر من ذروة أعماله الفنية.

أما لوحات الفنان الشهير أيضاً، غويا - مواليد سرغسطة ١٧٤٦ - فمنها الزيتي ومنها المرسومة وتُظهر تخيلاته العجيبة وموهبته الفنية البارزة، من لوحاته المعروفة: لوس ديساسترس، لوس كابريتشوس، عائلة كارلوس الرابع، ماريا لويسا، لا تيرانا وأهمها «الكاتشريرو» أو الفخاري علما بأن هذا الفنان قد فرض نفسه كرسام عبقري منذ دخل في مصانع السجاد الملكية، ورسم لها، وكان أيضا رسام بلاط الملك كارلوس الرابع.

أما لوحات الفنان موريّو - مواليد اشبيلية ١٦١٧م - فتتميز بالانسانية والرقة وتُركز على المواضيع العائلية والدينية أهمها: العائلة المقدسة وكونسيبسيون، الخ...

ان من يزور متحف البرادو ويتاح له أن يتمتع بلوحاته الرائعة التي أنجزها نخبة من الرسامين الاسبان المشهورين من خلال القاء النظرات بأم عينيه، دون الحاجة الى شروح وتفاصيل، يجعله يتحمس أكثر لرؤية رسوم وفنون رسامين آخرين اسبان أمثال الغريكو، زيرباران.. وأجانب أمثال تيزيانو وروبنس، الخ...

الانطباع عن الزيارة:

وفي ختام الزيارة، غادرنا المتحف ونحن نحمل ذكريات طيبة ومشاعر وُدٍّ تجاه العاملين والمرشدين علي هذا المتحف الكبير والكثير القاعات والذين كانو كرماء معنا بما قدموه لنا من معلومات تاريخية وفنية وصحبونا طوال ساعتين من التجوال هذا بالاضافة الى حسن اختيار التعليمات اللازمة للمحافظة على هذا الارث الفني الكبير والنظام والهدوء. أما فيما يتعلق بالانطباع عن الفنانين وعظمتهم وما ينسكب على ريشهم من وحي ليعبروا عنه بألوان بديعة وجذابة، فكان كبيراً لما أثروا فينا من تفتح للمعارف وتعلم الاصرار على العمل الجاد والتخيل العميق والملاحظة الدقيقة ليس فقط في المجال الفني وانما في كافة المجالات، العلمية والأدبية والاجتماعية.

إن ما يراه الزائر لهذا المتحف الكبير، الكثير القاعات، حيث لكل فنان قاعة أو أكثر تعرض فيها روائعه الفنية الساحرة والغالية الثمن، تغطي الجدار أحياناً تجعله حائرا أمام عظمة هؤلاء الفنانين النوابغ وتحثه على تكرار هذه الزيارة والكشف عن مضمون اللوحات التي لم يتح له الوقت للغوص فيها وتبيان مغزاها. وهذا وبالتالي يجعل من المتحف موضع جذب واهتمام السائح وكونه المحطة السياحية الأهم والأمتع في مدريد.

حضارات:

***** ليس في تاريخ الحضارات الإنسانية كلها، أن الحضارات تتميز بصدام دائم. وليس في تاريخ الحضارات كلها، أن الحضارات كان يحكمها حوار فقط، ولكن من الثابت أن الإسلام قدَّم الحوار على الصدام، ومن الثابت أن الغرب المسيحى قدم الصدام على الحوار.***

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) حينما بدأ ينشر دعوته عالميًّا .. بدأ بدبلوماسية الرسائل التي كانت تمثل قمة الحوار. وفي المقابل فإن الغرب حينما بدأ يدعو إلى إحلال الحضارة الغربية بدأ بسلسلة حروب صليبية مدمرة مازالت تتواصل على عالمنا العربي والإسلامي حتى يومنا هذا.

ولذلك حينما يعود الإسلام من جديد، يعود بنفس الرؤية وعلى ذات المبادىء ويطرح الحوار أولا، مقابل ورقة الصدام التى يلعب بها الغرب ضد الإسلام ومسلميه في كل مكان من العالم.

قراءة جديدة .. لنظرية صدام الحضارات

يرتكز التحليل الحضارى في فهمه لهذه العلاقة على كونها تفاعلا ما بين دائرتين حضاريتين متميزتين لكل منهما خصوصيتها التاريخية التى تشكل قسماتها الرئيسة وعناصر استمرارها.

وفى ظل هذا التفاعل استطاع الغرب عبر صعوده إلى مواقع الهيمنة وخصوصاً بدءا من القرن الخامس عشر الميلادى أن يراكم في استخدام منهاجية «فائض القيمة التاريخي» وهي المنهاجية التي شملت كافة الموارد الطبيعية، والتى أتاحت للغرب فرض السيطرة على علاقاته

بالدوائر الحضارية الأخرى، ومنها الدائرة العربية الإسلامية.

ولم يكن ذلك الصعود وتحقيق التراكم - فى منطق الغرب - متحققا بغير قيام الغرب بموجات متلاحقة من الغزو والاحتلال والتدمير للدوائر الحضارية والمناطق الثقافية الأخرى ومن أهمها الدائرة العربية الإسلامية.

وحديثاً، امتلأت أرفف المكتبات في الغرب - وبالذات في أمريكا - بالكتب والدراسات التى تتناول دراسة المتغيرات السريعة التى تجتاح نهاية القرن العشرين، ليبنون عليها توقعاتهم للقرن الواحد والعشرين.

ولقد نشرت مجلة النيوزويك الأمريكية خبراً عن صدور أهم أربع دراسات تتناول أهم القضايا التى بدأت تعاني منها المجتمعات الإنسانية منذ سقوط الاتحاد السوفيتى في عام ١٩٩٠م.

الدراسة الأولى: تتمثل في كتاب بول كندى الذى صدر بعنوان «الاستعداد للقرن الحادى والعشرين» Preparing for the Twenty - First Century والكتاب يلمح إلى مظاهر من التفاؤل تارة، ومظاهر من التشاؤم سوف يعاني منها القرن القادم، ولكنه يرى أن العنف الذى تشهده مرحلة أواخر القرن العشرين ما هو إلا تصفيات نهائية لأدران هذا القرن، وأن القرن الواحد والعشرين مقبل على حياة أفضل وسلام أشمل، ولذلك يستبعد بول كندى أي صدام بين المجتمعات.

وبول كندى هو صاحب الكتاب المشهور «سقوط وصعود الدول العظمى» الذى لقى صدى واسعاً فى جميع الأوساط السياسية والفكرية في العالم. وكتابه هذا «الإعداد للقرن الحادى والعشرين» وجد هو الآخر احتفاءاً كبيرا فى أوساط الأندية الثقافية والسياسية فى العواصم العالمية الكبرى.

والكتاب الثاني: هو كتاب «نهاية القرن العشرين ونهاية العصر الحديث» The End of the Twentineth Century and The End of The modern Age لمؤلفه جون لوكاكس الذى يجنح في كتابه إلى التشاؤم ويثير الكثير من القضايا التى بدأت تطفو على سطح الكرة الأرضية، ومن أهمها قضايا الفقر والتصحر وتلوث البيئة التى ضربت دولا متعددة من العالم الثالث. ويقول لوكاكس أن الصدام لن يندلع بين الحضارات، ولكن سوف ينقسم العالم الى عالمين، عالم الفقراء وعالم الأغنياء. ثم يتوقع أن عالم الفقراء سوف يزحف إلى عالم الأغنياء في موجات غازية باحثة عن الطعام والسكن.

أما الكتاب الثالث: الذى مازالت

بقلم : د. أمين ساعاتي
خبير في العلاقات الدولية
جامعة الدول العربية - جده -

المنتديات الثقافية في الغرب تتناوله بالبحث والدراسة والتحليل فهو كتاب أوين بايبكى الذى صدر تحت عنوان تطورات التقدم The Evolution of Progress.

ويذهب هذا الكتاب اتجاها عكسياً لما ذهب إليه كتاب نهاية القرن العشرين ونهاية العصر الحديث، إذ أنه يقدر بأن التطور التكنولوجي المتقدم الذى شهده العالم في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، كفيل بعلاج الكثير من المشاكل التى يعاني منها الجنس البشرى، وأن العالم في القرن الواحد والعشرين سوف ينعم بالسلم والأمن وأن رحى الحروب والصدامات الضارية سوف تتوارى وسوف يحل محلها سلام عادل ودائم وشامل.

ولكن رغم الأصداء الواسعة التى احدثتها هذه الدراسات الثلاث فى أوساط المثقفين الغربيين .. إلا أن الدراسة التي لفتت نظر مراكز البحوث في العالم كله هذه الدراسة التى نشرها صامويل هنتنغتون Samuel P. Huntington رئيس مؤسسة جون أولين للدراسات الإستراتيجية بجامعة هارفارد فى مجلة الشئون الخارجية For-eign Affairs بعنوان صدام الحضارات The Clash of Civilizations وحذر الغرب فيها من أن الإسلام - فى مرحلة النظام الدولى الجديد - سوف يقود صداماً حضارياً عميقاً ضد الحضارة الغربية. ونبه الغرب إلى ضرورة التحسب للإسلام الصاحى الواعد القادم.

يقول هنتنغتون بأن ظاهرة الصراع والحرب فى الماضي كانت تقوم بين دول مستقلة، أما الصراعات والحروب المستقبلية فإنها ستكون بين حضارات مختلفة، وعلى حدود فاصلة ملتهبة بين تلك الحضارات. ويذكر كذلك أن الحروب فى الماضى كانت تقوم على أساس أيديولوجى أو اقتصادى، بينما الحروب والصراعات المستقبلية ستقوم على أساس ثقافى وحضارى.

ويقول كذلك بأن حروب الماضى كانت حروباً «أهلية غربية» أى بين دول غربية، أما الحروب المستقبلية فستكون حروبا بين دول تنتمى إلى حضارات مختلفة وثقافات متباينة، كما يقول هنتنغتون، إن الحضارة الناشئة في نظرتها الذاتية إلى الإنسان تتابع مسارها فى خط تصاعدي مستفيدة من كل عامل يدفعها إلى زيادة النمو والاندفاع نحو تحقيق ذاتيتها. وقد تتداخل في مسارها عناصر مستفادة من حضارة مجاورة تنتقل إليها بأشكال مختلفة، إلا أنها تأتى استجابة لحاجات تشعر بها الأمة في مرحلة معينة من تاريخها، لذا، فالحضارات كلها تكون خاضعة لمبدأ «التفاعل» الذى يبدو من خلال التاريخ الإنسانى العام حتمية قائمة يستحيل معها عزل أية حضارة عن جوارها. ويعزز هنتنغتون مقولته هذه بقوله: وما حاولت حضارة ما الانغلاق والتقوقع على ذاتها والهروب من تأثير سواها، إلا حكمت على نفسها بالموت البطيء ولئن خيل للبعض أن المحافظة على الخصوصية الذاتية تستوجب الشرنقة، فإن هذا الظن

مردود من وجوه عدة: فالذاتية تبقى مصانة عند كل أمة حين تمتلك القدرة على استيعاب ما عند الآخرين من مكتسبات حضارية من أجل تحويلها إلى ذاتيتها. ثم إن الانغلاق إذا كان مقبولا فى فترة التكوين، فإنه فى الفترات اللاحقة، يصبح دليل ضعف الثقة بالذات وبالقدرة على النمو والاستمرار.

ويمضي هنتنغتون في مقاله إلى تحديد الإطار الجغرافي لكل حضارة وقلبها وتخومها. ويرى أن هناك احتكاكا عنيفاً يحدث الآن وسيزداد فى المستقبل على طول تلك الحدود، مما يجعلها أشبه بحزام زلازل ينفجر كل فترة على شكل حروب أهلية، أو حروب بين حضارات.

ويرى بأن هناك خطا فاصلا بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، وتمثل منطقة البوسنة بؤرة صراع حدودى بين ثلاث حضارات فى رأيه هي الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية الغربية، والحضارة الأرثوذكسية.

وهكذا يرى هنتنغتون أن معظم هذه الخطوط هى خطوط فاصلة غير مستقرة. وحين يتحدث عن حدود بلاد الإسلام يذكر أن «بلاد الإسلام لها حدود دموية».

ويمضى هنتنغتون إلى القول بأن الغرب قد أصبح الآن بعد انهيار الاتحاد السوفيتى هو القوة الوحيدة في العالم، ولذلك فإنه يستخدم مجلس الأمن والأمم المتحدة كغطاء قانونى لممارسة نفوذه وهيمنته على العالم، ويذكر هنتغتون أن هناك هيمنة اقتصادية على العالم تمارسها الولايات المتحدة بالتحالف مع ألمانيا واليابان، وهيمنة سياسية تمارسها بالمشاركة مع بريطانيا وفرنسا.

ويذكر أن هناك بعض البلدان التى تعيش حالة انفصام سياسى وحضارى. فجزء من شعبها يميل إلى حضارة معينة، والجزء الآخر يميل إلى الحضارة الغربية، وكذلك الحال مع مثقفيها.

ويضرب كمثال على ذلك المكسيك التى تعيش حالة انفصام حضارى بين الحضارة اللاتينية الأسبانية والحضارة الأمريكية، وكذلك تركيا التى تعيش وضعاً مشابها منذ العشرينيات بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية. كما يضرب مثلا أيضاً بروسيا التى تعاني الآن من حالة انفصام مماثل بين جزء من شعبها ومثقفيها ممن يطالبون بتبنى قيم حضارية وثقافية روسية، مثل فلاديمير جيرونفسكى وآخرين مثل بوريس يلتسين ممن يريد أن يتبنى الحضارة الأوروبية الغربية.

وواضح من اقوال هنتنغتون أن أطروحته أكثر تعقيداً من أطروحة فوكوياما، التى أخذ عليها ناقدوها أنها نوع من الأيديولوجيا التبسيطية، ومع ذلك تنطوى أطروحة هنتنغتون كذلك على قدر من التبسيط بسبب غلبة النزعة الثقافية عليها، والاستغراق في التحليل الثقافى إلى الحد الذي يختزل تفاعلات دولية شديدة التعقيد في صورة أحادية الجانب، وعلى نحو يتجاهل الجوانب الإستراتيجية في هذه التفاعلات، وتعاني الأطروحة أيضاً من كل

ما يعيب الأعمال التى تسعى لتأكيد افتراض معين، وليس لاختباره، فيميل صاحبها إلى حشد كل ما يعينه على ذلك من حجج وشواهد، مع استبعاد ما يتعارض مع مسعاه ضمن سياق يتسم بالانتقائية.

ولكن نحن كمفكرين مسلمين نرى أن القرآن الكريم عالج مسألة التعددية الحضارية باعتبارها ظاهرة تاريخية قائمة بروح إيجابية لا تصادمية، تشجع على الانفتاح على الحضارات الأخرى والتحاور معها، بصورة بناءة تستهدف الوصول بالبناء الحضارى الإنساني إلى ذروة تكامله واتساقه من أجل توظيف كل قدراته الفعلية والممكنة في تحقيق المصلحة الإنسانية العليا.

ولم يقر القرآن الكريم مبدأ التعددية الحضارية، حينما كان الجانب المسلم ضعيفاً فى مكة المكرمة وإنما أقره والإسلام هو القوة السياسية والعسكرية الضاربة، يقول الله تعالى: {لكل جعلنا منكم شرْعَة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما أتاكم، فاستبقوا الخيرات}.

وكان هذا الموقف تكريساً لطبيعة الرسالة الإسلامية من حيث كونها رسالة إنسانية عالمية، إنسانية بمعنى كونها تحقق الإنسجام والاستجابة لطبيعة الإنسان وفعله الحضارى على مر التاريخ وعالمية من حيث كونها رسالة تتجاوز الفواصل العرقية والجغرافية وصولا إلى تجسيد الخطاب الحضارى الذى يستهدف الإنسان على المستوى العالمى وبذلك يؤسس القرآن وعيا علميا للحضارة في كونها إنجازاً إنسانيا يبتغى دفع البشرية نحو العطاء والبناء وعمار الأرض.

وهذا هو الذي يفسر الموقف الذى اختاره القرآن للمجتمع الإسلامى ذلك الموقف الذى يتمشى مع سنن التاريخ، ولكن القرآن الكريم لم يترك الحوار عرضة للتصادم، بل وضع الضوابط للحوار الحضارى ذلك الذى نجد قانونه العام في قوله: {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق * مصدقاً لما بين يديه من الكتب * ومهيمناً عليه * فاحكم بينهم بما أنزل الله * ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق}.

إن الهيمنة الحضارية لا تعنى الانتقائية، إنما تعنى هضم وتمثيل المنتوج الحضارى القادم من بيئة حضارية أخرى، ما دام لا يخالف مرجعية القرآن الحضارية العليا. وهذا ما فهمه المسلمون الأوائل، وعملوا به حينما خرجوا من الجزيرة العربية ليتحاوروا مع حضارات أخرى، واستطاعوا، من دون عقد أن ينفتحوا على حضارات المجتمعات الأخرى، ويدخلوا منتجاتها فى مشروعهم الحضارى القرآنى، ويستفيدوا منها فى بناء صرحهم الحضارى الإسلامى مع الحفاظ على خصوصيتهم وتميزهم.

ولذلك فإن ما يجب أن نشير إليه أن عناصر الحضارات ليست كلها متناقضة، بل هناك الكثير من القواسم الحضارية الإيجابية المشتركة التى تشكل عاملا مشتركا بين مختلف الحضارات. والتحليل

الموضوعى البناء هو الذى يميل إلى التركيز على هذه العوامل المشتركة للوصول إلى نتائج تقودنا إلى الحوار البناء الذى لابد منه فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الحضارات العربية والإسلامية والحضارة الغربية، وهذه القواسم الحضارية الإيجابية هي التى تشكل السلاح الذي يجب أن يستثمر للحيلولة دون بلوغ الحضارات درجة التصادم.

وفي اعتقادي أن الرؤية الإسلامية لهذه القضية يمكن أن نستشرفها فى أن الإسلام ينظر إلى البشر أجمعين باعتبارهم وحدة واحدة متساوية في الخلق لله الخالق الواحد، وباعتبارهم، في ذات الوقت متعددين فى الروابط والجامعات.

وهذه الوحدة في الخلق مع التعددية في الروابط هما موطن الإثارة في الآية الكريمة: {يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير} فالاشتراك والوحدة في الخلق، وفي الإنسانية، يزامله التعدد والتمايز إلى شعوب وقبائل وأقوام.. بل إنَّ القرآن الكريم يتحدث عن هذه التعددية باعتبارها آية من آيات الله سبحانه، وسنة من سننه فى خلقه، فيقول: {ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين}.

ويؤكد الإسلام - من ناحية أخرى - على وحدة البشرية في دين الله الواحد أزلا وأبداً.. مع تعدد الشرائع بتعدد أمم الرسالات الدينية أزلا وأبداً. والله سبحانه وتعالى، يتحدث إلى رسوله فيقول له: {قل آمنا بالله وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون}.

ومع هذه الوحدة فى الدين كانت التعددية فى الشرائع لدى أمم الرسالات .. فاليهود {عندهم التوراة فيها حكم الله} {يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا} **وكذلك حال النصارى مع الإنجيل** {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه} **ثم كانت الشريعة الخاتمة** {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق} **ثم تمضي الآية لتقرر أزلية وأبدية هذه السنة الإلهية في تعدد الشرائع بتعدد أمم الرسالات، فتقول:** {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون}.

وكذلك الحال فى ميدان الحضارات، فعلى مر التاريخ عرفت البشرية التعددية فى الحضارات مع الالتقاء والتبادل والتفاعل فيما هو مشترك إنساني عام بين هذه الحضارات. فمع الخصوصيات الحضارية التى تتميز بها كل حضارة عن غيرها، هناك ما هو مشترك إنساني عام بينها جميعاً، وخاصة في الثقافات Cultures التى تشترك

في ثبات الموضوع ووحدة المناهج والحقائق والسنن.

فكما أن التعددية في الأمم هى سنة من سنن الله فى الخلق، كذلك التعددية في الحضارات لأن هذا التمايز الحضارى هو واحد من أهم أسباب هذه التعددية بين الأمم.. وكما أن «التعارف» الذى أمرنا الله به ليكون طابع العلاقات بين الأمم والشعوب - يقتضي العدول عن القطيعة، ورفض «الصراع» فكذلك «الاختلاف» الذى جعله الله سنة ومظهراً للتعددية، يقتضى رفض «التبعية» أو «الهيمنة» بزعم وحدة الحضارة للبشر أجمعين {لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}.

ولذلك فإن الإسلام يرفض أن يكون «الصدام والصراع» هو طابع العلاقة مع الغير لأن أساس العلاقة هو ما بني على التعددية التى تقتضي الإيمان بحق الغير في الوجود المتميز، ولهذه الحكمة كان «التوازن» بين الفرقاء المتميزين هو مذهب الإسلام فى العلاقة بين الطبقات والجماعات داخل الأمة الواحدة، وبين الأمة وغيرها من الأمم الأخرى.

إذا سلمنا بهذا الطرح الإسلامي الواعي، فلماذا ترهن الحضارة الغربية تعاملها مع الحضارة الإسلامية عبر سلسلة من الصدامات؟!

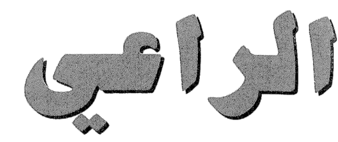
لقد شد انتباهي في كثير مما قرأت أن الغرب ينظر إلى المسلمين على أنهم منتصرون يخرجون من بين الأنقاض ولاعبون متجددون في الساحة الغربية.

إن الحضارة الغربية تبنت - للأسف - واعتمدت فلسفة «الصراع» فرآته فى قانون العلاقة فى الأحياء أو صراع البقاء في الداروينية وفي الاجتماع من خلال الصراع الطبقي، وفي الماركسية، الذى يتمثل في المسخ والنسخ والتشويه لمواريث الأمم وأديانها ومعتقداتها.

وهكذا طالما أن الغرب اختار الصدام كخيار إستراتيجى، وأن الوطن العربي باعتباره موطنا للحضارات والرسالات السماوية.. سيظل عرضة للتفجير حالما يتعرض أى جزء من أجزائه لاحتكاك الحضارات.

ولعل أهم أسباب هذا الثمن الباهظ الذى يدفعه الوطن العربي هو أنه كان حاضن الحضارات القديمة وشاهد مولد الأديان السماوية الرئيسة الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام. ولو نظرنا إلى خريطة الصراعات السياسية والطائفية والاثنية والثقافية من حولنا، لوجدنا أننا محاطون بالفعل بمحاور عدة لهذه الصراعات تتقاطع وتتداخل بالطول والعرض في الوطن العربي.

ويأتى الصراع العربي والغربى الإسرائيلى - بالطبع - في مقدمة ما هو ماثل أمامنا من صراع حضارى ثقافى دينى، ويظل هذا الصراع قائما حتى إذا تصورنا بأن العرب وإسرائيل سيصلان إلى اتفاق سلام شامل.





شعر:
محمد بن أحمد العقيلي
- جازان -

و«حوّاسٌ»[*] من فتيان الحمى
قوامٌ رشيق ووجه أغر
تأطر كالغصن بين الرياض
يهزهزه الريحُ تحت المطر
يطير نشاطاً ويهوي انقضاضاً
كصقر علا الجو ثم انحسر
ويستن زهو استنان الجواد
شواظاً تطاير منه الشرر
خميص الحشا لم تطل تخمة معاه
ولا طاله شبع بالضرر
وحمامه من شعاع الشموس
ولفح الهواء وصبيب المطر
غذاه الحليب الصريح النقي
وماء قراح، وصيد عقر
حبته الطبيعة زهو الشباب
ووهج الصبا وجمال البشر
وعينان فيهن ومض الذكاء
يَشعُ سَنى، ما نجوم السحر
إذا صاولته ضواري الوحوش
يكن الضباع ويكون الهزير
إذا بلغ الرعب بالراعيات
مقاما يقصر عنه الخطر
نظرن إليه مع منْ يحب
فاشحذن من عزمه ما فتر
فأقدم ليثاً سريع الوثوب
فجندل هذا وهذا عقر
فزغردن في نشوة وازدهت
حبيبته ازدهاء الظفر.

---

[*] اسم الراعي وهو اسم متفشٍ في حزون المنطقة.

رحلتي مع الشعراء ٣١

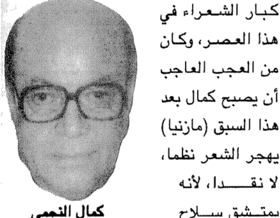
الأستاذ كمال النجمي

بدأ الأستاذ كمال النجمي حياته الأدبية شاعرا مبكرا، حيث نشر بالصحف أوليات شعره في سن الرابعة عشرة، ومازال يقرض الشعر حتى بلغ عهد الشباب، ثم انقطع فجأة عن النظم، مع أنه نال الجائزة الأولى في مسابقة الشعر بمجمع اللغة العربية عن استحقاق جدير، ومن يبلغ هذا المبلغ الفني الرائع، ثم يصمت فجأة لابد أن يترك أكثر من سؤال.

لقد كنتُ أقرأ للأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله الدواوين الشعرية التى تقدمت لنيل الجائزة، إذ كانت عينه حينئذ تشكو الرمد، وكان شعر الأستاذ كمال يسبق سواه سبقا جليا، فآثره على غيره، ثم مضى إلى رفيقيه اللذين كانا يشاركانه الحكم، فلم يختلف الأمر بل كان الاتفاق مجمعا عليه، لأن سبق الشاعر كان من الوضوح بحيث لا يزاحم، ومن قصائده الرائعة بالديوان قصيدة (يقظة النيل) وقد ابتدأها شاكيا عهد الغفوة قبل الصحوة فقال:

دهى النيل ليل فاستطال هجوده
وأورث جنبيه كلالا رقوده
بساتينه باتت نواعس حوله
وأغفت بها أطياره ووروده
فلا صادحات الأيك فيه صوادح
ولا الورد لذُّ النفح ريان عوده
ولا النبت مطراف على الأرض يانع
قشيب ولا صوب الربيع يجوده
ولا النخل مزهو من العجب ناهض
على النيل سمر فارعات قدوده
ولا النيل تأتيه إذا فصل النجى
صباياه يملأن الجرار وغيده

* والقصيدة أكثر من سبعين بيتا تنحو هذا المنحى البحترى الرائع، وأقول البحتري لأن السلاسة العذبة مع رقة التصوير تشهدان للشاعر بأنه ينتمى لمدرسة البحترى التى انتمى إليها كبار الشعراء في هذا العصر، وكان من العجب العاجب أن يصبح كمال بعد هذا السبق (مازنيا) يهجر الشعر نظما، لا نقدا، لأنه يمتشق سلاح الناقد إلى هذه اللحظة محاربا ما يسمى بشعر التفعيلة، ومقالاته فى الهلال وفي مجلة المجلة وفي مجلة العالم العربي تجمع هذه النقدات الهادمة، ولعله يضمها في مؤلف خاص، لتكون صوت النذير.


كمال النجمي

(سبب الهجران):

وقد جعلت أسأل عن هجر الشاعر لفنّه، حتى علمت أن حالة نفسية قد صدمته فامتنع، إذ كان الشاعر ينشر قصائده في الصفحة الأولى بجريدة الأهرام في المكان البارز الذى ينشر فيه الجارم ومطران وعلى محمود طه والأسمر، وكان الأستاذ أنطون الجميل يراه في شبابه الباكر يشير الى مستقبل مرموق في دنيا الشعر، فيحرص على تقديم شعره في أسطع معرض، وأول ما نشره الأستاذ كمال النجمى بالأهرام قصيدة فلسطين التي مطلعها:

علت صيحة كالرعد دوّى مزيمها
تحامى صداها واتقاه غريمها
ألمت باسماع الطغاة فزلزلت
وحز قلوب المؤمنين أليمها
هفت من فلسطين إلينا فنبهت
نياما قلاها كهفها ورقيمها
تقاعس عنها حين ضيمت وليها
وأسلمها للحادثات حميمها

* والقصيدة تتجاوز الخمسين من الأبيات بهذه القوة المتماسكة، والانفعال المتوهج، ومازالت قصائد الشاعر تشرق بالصفحة الأولى بالأهرام، حتى رحل الأستاذ الجميل إلى جوار ربه، وخلف بعده من تنكر للشعر بعامة، فلم تعد الجريدة المرموقة تحتفى بهذا الفن الأول من فنون العرب، وضاق النجمي بما صادفه من نكران لم يكن في حسابه فابتأس! هذا ما كان! ولا أدرى كيف ناء تحت هذه الأزمة ، ولم يتجاوز الأهرام إلى سواها، مع أنه نال جائزة المجمع بعد رحيل الجميّل، لقد كتب لى مفصحاً عن هذا السبب، حين سألته عن امتناعه المباغت! وله نظراء قد هجروا الشعر بعد سبق، كالمازني والرافعي وشكيب أرسلان، ولكل علة خافية تحتاج إلى إفصاح.

(بدء الصلة) :

كنت أقرأ ما يقع في يدى من آثار كمال النجمي، وقد كان من التواضع بحيث يرمز إلى توقيعه كثيرا دون إفصاح، وقد كتب سلسلة من الخواطر النقدية والاجتماعية بإمضاء (ابن زيدون) في جريدة يومية، وعرفت أنه الكاتب لأنه أشار إلى قصيدة كتبها والده الشاعر المظلوم - على فضله الكبير - الأستاذ محمد حسن النجمي في تحية صديقه الشاعر ابراهيم الدباغ، والقصيدة من محفوظاتي الخاصة، فأدركت حلا للُغْز (ابن زيدون) ثم عنّ لي أن يكون الشاعر الكبير الأستاذ محمد حسن النجمي موضع دراسة للماجستير بجامعة الأزهر، ولكن أين الديوان؟ لقد اهتديت إلى أن يذهب الباحث (الدكتور عبد الحميد شعبان فيما بعد) إلى الأستاذ كمال ليستعير الديوان مخطوطا، وقد رحب الابن الوفي أكمل ترحيب، وأمد الباحث بكل ما طلبه عن حياة والده وشعره، حتى استوت الدراسة تامة ناضجة! ومن أطرف ما حيرنى في هذا المجال أني قرأت للأستاذ كمال بمجلة العالم العربي في الخمسينيات دراسة مستوفاة عن والده في مقال كاشف وضيء، فعنّ لى أن يعيره للطالب الباحث كي يكون بعض المراجع التاريخية عن الشاعر المدروس، ولكن الأستاذ كمال ذكر أنه لا يعلم شيئا عن هذا المقال، ولا يتذكر أنه كتبه، وهى عجيبة جدا في رأيي، وأدعوه إلى أن يبحث عنه فلابد أن يكون مخبوءاً في مكان مهمل من الأضابير، لأنى قرأته واثقا، ولو كنت أعلم الغيب لاحتفظت بالعدد.

بقلم : أ. د. محمد رجب البيومى
- المنصورة -

وللأستاذ كمال حياء مفرط يدفعه إلى حساسية بالغة ، فقد سمعته في حديث إذاعي امتد إلى ساعة كاملة يتحدث عن نشأته

الشعرية، وآثاره الفنية، فتكلم عمن تأثر بهم من الشعراء، ولم يذكر اسم والده الذى ترك أربعة أجزاء من عيون الشعر العربى الأصيل، وقد كتب عنه الأمير شكيب ارسلان متعجبا أن لا يدوّي اسمه فى آفاق العالم العربي كما دوت أسماء شوقى وحافظ ومحرم، ولعل من أسباب خفوت ذكره، أنه كان ملتزما أشد الالتزام، فوجه شعره إلى اليقظة الإسلامية وأبطال الكفاح والنضال، واتخذ من مجلات النضال مذياعه المتواضع! فبرز كل التبريز في هذا المجال! لقد كتبت للأستاذ النجمى بعد سماع الحديث الإذاعى أسأله: كيف أهمل ذكر والده، فكتب يقول والله إنه كان يملأ خاطره أثناء الحديث، ولم يغب لحظة عن باله، ولكنه استحيا من ناقد جريء يقول: مالنا ولأبيه ! وأنا أقول للأستاذ كمال إنك أول من يحب أن يؤلف كتابا عن الشاعر الكبير فأنت به أدرى وأعلم، وللتاريخ حق عليك ، أما أن يلغط لاغط بما يهذر، فليس لنا أن نقيم له وزنا ما، وقد علمت أن الدكتور عبد الحميد شعبان قد هيأ ديوان الشاعر للطبع، وسيرى النور عن قريب.

(القلم الصوّال)

على أن هذا الحيي الخجول ذو قلم صوّال لا يملّ العراك، وفي أعداد الهلال المتوالية لذعات نقدية تدل على مقاومة صلبة لمن لا ينتحون منتحاه في الشعر والفن، وأذكر أنه كتب مقالا بعدد مارس سنة ١٩٨٩ من الهلال ينكر فيه شعر الرافعى والمازنى والعقاد وعبد الرحمن شكرى لأنه يجمع بين الفلسفة والشعر، فيستغلق على القراء، وقد أنكرت هذا الرأى إنكارا شديدا · وكتبت مقالا في معارضته، ولكن وجدت الأستاذ كمال يبدأ مقاله بقوله تحت عنوان (الحب شعرا والحب نثرا).

«إذا وجدت أيها الصديق القارىء تفاوتا في هذا الكلام فالسبب أنني لا أكتبه بل أمليه، ولست معتادا الإملاء فقد عشت سنين لا تحصى أكتب بيدى، وقد وضعت القطن على عيني الاثنتين، وفوق القطن الضماد، ورقدت، فقد مرضت عيني فجأة!»

قرأت هذه العبارة وما بعدها، فشاركت الأستاذ ألمه، وطويت المقال، وبعثت أحد تلاميذي لزيارته سائلا مواسيا، إذ لا أطيق لقاء مريض عزيز، ثم مَنَّ الله على الأستاذ بالشفاء، وأنا أبحث الآن عن المقال لأنشره، ولكنه اختفى متحديا، ولا أستطيع أن أكتب مقالا سبق أن حررته، لأن الثورة الأولى قد هدأت، وكانت مبعث جيشان وهدير.

(جانب الفن)

لا أقول إن جانب الفن قد استولى على كمال النجمي لأنه رأس تحرير مجلة (الكواكب) عدة سنوات، كما لا أقول إن جانب الأدب قد استولى عليه لأنه رأس تحرير مجلة الهلال عدة سنوات، فالأدب والفن قد استوليا على الأستاذ وهو يافع ناشيء، وإذا سجل ديوانه المطبوع بعض ما نظم من الشعر، فإن مؤلفاته فى عالم الفن تحتل مكانتها المرموقة، ولم يقصر حديثه الفنى على عهد واحد، بل تكلم عن الغناء العربى فى القديم والحديث تكلّم البصير العارف وحين ماتت المطربة الشهيرة (أسمهان) رثاها أبدع رثاء، وكانت قصيدته زميلة لقصيدة أخرى لعلى أحمد باكثير رثى بها أسمهان، وأذكر أني حدثت الأستاذ كمال عنها فى خطاب خاص، فأرسل يطلبها لأنه قرأها فى حينها ثم ضاعت عنه، وقد أرسلتها إليه، فكتب مقالا عن مراثى أسمهان بعدد سبتمبر سنة ١٩٨٢م من مجلة الدوحة يتضمن من الذكريات الفنية ما يدل على الكثير.

لقد تحدث الأستاذ النجمى عن الغناء فى كتب متوالية تحت عنوان الغناء المصرى، سحر الغناء العربي، أصوات وألحان عربية، ومطربون ومستمعون، كما أفاض فى مقالات الهلال عن عبد الوهاب وأم كلثوم وفيروز وفايزه أحمد وسيد درويش وغيرهم من أعلام الفن، وحديث الشاعر عن الفن، لا يشبه حديث المؤرخ الأكاديمي، لأن كثيرا ممن كتبوا فى مجال الدراسة العلمية تخلوا عن مشاعرهم، ونسوا أنهم يتحدثون عن فنانين لا عن علماء، أما كمال فقد كان فنانا فى حديثه لذلك

كانت كتبه تستوعب دون سأم، لا يكاد يبدأ القارىء الصفحة الأولى حتى ينتهى الى الصفحة الأخيرة في غير انقطاع، وما ترك الأستاذ فى مختلف الصحف من المقالات والدراسات يؤلف مجموعة أخرى من الكتب الفنية، وفى متناوله أن يخرجها للناس، لتكون تاريخا يُروى، تاريخا مؤيدا بالوقائع، لأن بعض الكاتبين فى هذا المجال يخترعون.

(حكايات الأغاني)

شغل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني جمهرة الدارسين على تناسل العصور، وفيهم من قام بتجريده ومن قام بتهذيبه، ومن قام باختصاره، ولكل منحى فيما قصد، ولكن الأستاذ النجمى قام بنوع جديد في خدمة هذا الأثر الضخم، إذ شاء أن يضم ما تناثر من أخبار الشاعر أو المطرب فى أبواب كثيرة تمتد إلى ما فوق العشرين جزءا فى حيز واحد، بحيث يقدم صورة وافية عن المتحدث عنه فيما سماه يوميات، وقد جاءت هذه التسمية موفقة، لأنها تضم الأحداث المختلفة متسلسلة في اليومية الأولى فالثانية فالثالثة حتى التاسعة كما في يوميات اسحاق الموصلى، وبهذا النحو من التأليف صار كتاب الأغانى سمراً للعامة والخاصة بعد أن كان وقفا على الخاصة وحدهم، وهو جهد مستتر لا يدركه غير من كابد قراءة التراث في منازعه المتباعدة، وحاول أن يجعل من أمشاجها جسما ملتئما متماسكا! ولم يقف الكتاب عند أخبار المغنين والجوارى إذ اتصلت الأحداث بالخلفاء والوزراء والولاة والشعراء ولكل حدث دلالته التاريخية والنفسية والاجتماعية.

أذكر هذا لأقول، إنّ ضجة فى الصحف قامت حول كتاب الأغانى لأمد قريب، حيث شن بعض الكاتبين حملة على حفلات الطرب غير الملتزم بالجامعة! وهي حملة صادقة لها ما يبررها، ولكن بعض ذوي الأهواء كتب يهجّن هذه الحملة مستندا إلى أقوال أبى الفرج في الأغانى إستناداً شرعيا لا أدبيا، وكأن أبا الفرج صار أحمد بن حنبل أو الشافعى أو مالكا أو أبا حنيفة، فكتبت مقالا بجريدة الوفد أضع كتاب الأغاني موضعه الصحيح، فهو جملة أسماء وأحاديث وأشعار بعضها صحيح وبعضها مختلق ان لم يكن أكثرها، وإذا جاز أن يكون أحد مصادر الأدب فلا يعقل أن يكون مصدرا للأحكام الشرعية! كتبتُ هذا المقال ولا أدري لماذا توهم الأستاذ كمال أنّي أنتقص كتابه كما أخبرني بعض من حادثهم في ذلك، فالكتاب عمل أدبي جيد لا شبهة فيه، وما كتبتُ مقالى إلا نقدا لمن يحاولون أن يجعلوا أبا الفرج الأديب الراوية فقيها مشرّعا فيأتون البيوت من غير أبوابها، ولعلى أكون قد أوضحت ما أريد دون التباس.

(مع العقاد)

تحدث الأستاذ كمال النجمى فى مقالات كثيرة عن العقاد، والعقاد كالمتنبى ملأ الدنيا وشغل الناس، وللنجمى رأى فى شعره، سبق أن أشرت إليه بإيجاز، وقد قرنه مع المازنى الشاعر فى اتجاهه، وهذا ما أخالفه لأن للمازنى فى شعره رقة وسلاسة تنأى به عن صاحب الفكرة الفلسفية في الشعر، كما أن هناك فرقا بين المنطق العقلى والمنطق الوجداني، وشعر العقاد وشكرى أقرب إلى المنطق الوجداني، ولكن إحساسهما العميق يرتفع بهما عن المشاهد المألوف لدى الشعراء السطحيين، وما أريد أن أستفيض فى ذلك الآن، ولكنى أذكر أن النجمى تحدث عن غراميات العقاد فذكر أن صلته بميّ كانت من طرف واحد، وهذا ما أميل إليه، لأن الآنسة مي لم تحب من صميم فؤادها غير جبران خليل جبران على تنائى داره، كما أخبرنى الأستاذ طاهر الطناحى بذلك، ولكن الذى لم أرتح إليه فى مقال النجمي عن غراميات العقاد ذكر بعض العلاقات الخاصة التى يحسن استتارها تكريما لذكرى الراحلين، وان كان النجمى قد أدى حق المؤرخ الصادق في رأى من يميلون إلى التتبع الدقيق والاستقصاء التام.

أعلام.. وأعمال:

ابن عمر .. ضحية مؤامرة الصمت

عالمنا الاسلامي والعربي على امتداده يزخر بنماذج بشرية مثلت القدوة في الاداء والعطاء من اجل الدين والوطن والأمة.. وهم باعمالهم تلك نماذج يقتدى بها.. وعطاءات مخلصة رائعة ينبغي النسج على منوالها.. وهذه الشخصيات وأمثالها ينبغي ألا تُغيَّب وراء ضبابيَّة النسيان ونكران الجميل. هذه الاعلام ينبغي الكشف عنها.

«ابن عمر.. هذا (الأمازيغي) الجزائري العربي، المسلم»..

أجيز لنفسي عنونة هذا الموضوع عن الأديب المفكر المصلح (باعزيز بن عمر) بهذه الصفات الأربع (أمازيغي، جزائري، عربي، مسلم) انطلاقا من المحلي إلى الوطني، إلى الانتماء الاكبر للرجل، وهي عناصر لم يكن قدرها التنافر، بل تكاملت لديه - كسائر الشرفاء من طاهري القلوب والعقول - في شعوره وتفكيره وتعبيره، كواحد من أقطاب الحركة الصحفية والفكرية والإصلاحية في (الجزائر) أثناء هذا القرن في نشاطه العام، أو في صفوف (جمعية العلماء المسلمين) بعضويته فيها.



بقلم: **د. عمر بن قينة**
معهد اللغة العربية وآدابها
جامعة الجزائر المركزية

أقدّم بهذا إذن للحديث عن شخصية الشيخ (باعزيز بن عمر) رحمه الله (١٩٠٦ - ١٩٧٧م) الأديب المفكر الإصلاحي، ربما المقلّ، لكنه الجيد في تفكيره وتعبيره وأسلوبه.

اخترته اليوم - عامدا - لأمرين جوهريين:

أولا: لهذا الصمت المطبق عن رجل أعطى الوطن حبه وإخلاصه، شملا أمته الكبرى في وطن العروبة والاسلام، ووراء هذا الصمت مؤامرة قوى العمالة في الدرجة الأولى، ركيزتها التوجه الفرانكفوني، تكرع في نبع واحد، هو

ثدي الأم الحاضنة لأيتام أو منبوذين هي (فرنسا الاستعمارية).

أما الأمر الثاني فالرجل من منطقة (القبائل) التي تحاول جاهدة قوى العمالة تلك باستماتة تامة أن تجرها إلى حمأة المسخ الحضاري تجسيدا وتتميما لما شرعت فيه فيالق (التبشير) النصراني، فتكونت للغرض فرق من (الآباء البيض) مدججة بالفكر الاستعماري الصليبي وماله وسياسته، منذ أكثر من قرن ونصف، فبقي (ابن عمر) في (المنطقة) من بين رجال أفذاذ رفضوا المؤامرة كما تنبه الى أبعادها المختلفة سواهم، ووقفوا بحزم في صف أمتهم متموقعين في خندق الفكر، سلاحهم: إيمان حي وقلم نابض، وفكر متقد، ورأي صريح واضح.

وقد كان الرجل يوقع بعض مقالاته باسم (الفتى الزواوي) ليعلن - من قلب نظيف - أن منطقة (زواوة) أي (القبائل) ينبغي ألا تنحاز لغير مجالها الحضاري (العربي - الإسلامي). وللرجل خلفية في ذلك من آثار رجال فكر وعلم وأدب سابقين خدموا العربية والإسلام، أمام هجوم الأعداء، من آخرهم: (أبو يعلى الزواوي: ١٨٦٢ - ١٩٥٢م) و(طاهر الجزائري ١٨٥٢ - ١٩٢٠م) الذي صار ثالث ثلاثة في نهضتنا العربية الإسلامية الحديثة، بعد (جمال الدين الأفغاني) و(محمد عبده) فخدم العرب والمسلمين، وعمل للتمكين للغة العربية في العلوم المعاصرة خصوصا في (سوريا) عاملا لرقي الأمة العربية، وبناء دولتها القوية التي كانت أمنيته الأولى، قبل وفاته، رافضا في الوقت نفسه الفكر الشعوبي البغيض (انظر مثلا، كتابنا: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص: ٨٣ - ٩١).

وهو النهج الذي لم يبتعد عنه أديبنا المفكر (باعزيز بن عمر) طموحا إلى بناء دولة عربية قوية، وسيادة دينها الإسلامي: دستور حياة وعزة ومجد.

إلى هنا في مقدمة - ربما طالت - لم أقل من هو (ابن عمر) وهي المرحلة التي تفرض عَليَّ إذن أن أقدم الرجل باختصار شديد، فهو (عبد العزيز بازي) الاسم الإداري في (مصالح الحالة المدنية) للسيد (باعزيز بن عمر) في قرية (آيت حمّاد) بولاية (تيزي وزو) دائرة أزفون. ولد في (١٠ - ٢ - ١٩٠٦م) درس على يد والده وفي زاوية (عبد الرحمن اليلولي) في (القبائل) كما درس على (ابن باديس) في (قسنطينة) وفي (الزيتونة) بمدينة (تونس) لفترة وجيزة (لمزيد من تفاصيل، أنظر: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص: ٣٢٥ - ٣٤٠) غير أن تكوينه العام في علوم العربية والدين نهض على روح عصامية، شق بها طريقه، ومكنته من الإسهام في الجهود التعليمية والإصلاحية والفكرية كمعلم في (مدرسة الشبيبة الإسلامية)

لجمعية العلماء بمدينة (الجزائر) مع (محمد العيد آل خليفة) وكعضو في الجمعية، وكاتب لامع خصوصا في «الشهاب» و«البصائر» ولقي ربه يوم (٦ - ٥ - ١٩٧٧) مدثرا بالتجاهل والتناسي كسائر أولئك الذين لا معسكر أيديولوجيا لهم خارج معسكر (الجزائر) الحضارية. فكان.. كما مات.. خندقه الوحيد (الجزائر) مثلما ايديولوجيته الوحيدة مجالها الحضاري الطبيعي بروح متفتحة: ترفض التقوقع، كما ترفض التمذهب الرخيص، وهو ما عكسته مختلف كتاباته الفكرية والصحفية.

كتب في السياسة، والإصلاح الاجتماعي، كما كتب في الأخلاق والتاريخ والأدب، بحسّ المفكر الأديب الفنان كثيرا.

وقد كتب في هذه الموضوعات عشرات المقالات المختلفة تارة باسمه الذي عرف به أدبيا (باعزيز عمر) وتارة باسم (الفتى الزواوي) فنقرأ له في السياسة مثلا «قضية الجزائر على حالها» في (البصائر سلسلة: ٢، ع:٦، ١٩٤٧) و«على هامش الانتخابات الجزائرية» في (البصائر، س:٢، ع: ٢٥٢، يناير ١٩٥٤) و«الاتحاد الفرنسي في مهب الريح» (البصائر، س:٢، ع: ٢٤٥، اكتوبر ١٩٥٤) وغيرها كمقاله المركز عن «المؤتمر الإسلامي الجزائري العام» في مجلة (الشهاب، ج:٤، م:١٢، يوليو ١٩٣٦م).

وتعددت موضوعاته في الأخلاق والتاريخ والإصلاح الإجتماعي، منها «دفع شبهة في تعليل ظاهرة نمو النسل في الجزائر» في (البصائر، س:٢، ع:٢٥١، ١٧ - ١٢ - ١٩٥٣) وقد فتح له ركنا في (البصائر) بعنوان (في مجتمعنا الجديد) عالج فيه قضايا اجتماعية مختلفة، مثل (المرأة والعمل خارج البيت) في العدد (٢٩٦، ١٠ ١٢ - ١٩٥٤) و«آفة البطالة» في (ع: ٢٩٧، ١٧-١٢-١٩٥٤) و«الضمان الإجتماعي.. والأمومة» في (ع:٣١١، ٢٥ - ٣ - ١٩٥٥م).

إلى آخر ما هنالك من قضايا، من عمق انشغالات الجزائر والجزائريين فكان ابن عمر نغما متميزا في التعبير عن هموم الجزائر واهتمامات أبنائها، ومنهم أبناء منطقته التي تعتز بنسبته إليها (الزواوي) وهي التي كان رجالها الأفذاذ في العمق الأصيل يعلنون ولاءهم لمجالهم الحضاري باستماتة تامة رفضا لما يريده الاستعمار بالمنطقة في سياسته الجهنمية المحبكة، كما عكست ذلك تلك العريضة التي نشرتها (البصائر) في العدد ٥٩ من سلسلتها الثانية، يوم ١٩٤٨/١٢/٦ وقد وجهها رجال زواوة عبر الجريدة مطالبين بإلغاء القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية في (زواوة) فمهد لها (البشير الإبراهيمي) بقوله عنها: «تلك القوانين

التي تستند على العوائد والأعراف لا على أحكام الشريعة الإسلامية المطهرة، ويطلبون الرجوع إلى الأصل، وهو أحكام الشرع الإسلامي .. والحكم بالعوائد مطلب عزيز من مطالب الاستعمار الفرنسي، زرع بذوره في أرض زواوة وتعهدها بالسقي والعلاج، وقواها بتقوية مراكز التبشير وإطلاق يد المبشرين، وظن انها استغلظت واستوت على سوقها واطمأنت إليها النفوس فجاءت هذه العريضة مجتثة لما غرس من أصله، وأقامت الدليل للمغرورين بالظواهر على أن زواوة معقل من معاقل الإسلام والعروبة.. إن الغاية التي يرمي اليها الاستعمار من تمكين العوائد وجعلها أساسا للأحكام هو إبعاد طوائف من المسلمين عن الإسلام بالتدريج حتى تضعف فيهم النعرة الدينية وعاطفة التآخي الإسلامي وتصير الأمة الواحدة أمتين أو أمما».

الحرص على التموقع في محيط حضاري مغزو يواجه فكرا حضاريا غازيا جعل (ابن عمر) في كتاباته الأدبية نفسها يصر على الصلة المتينة بين المشرق العربي ومغربه، كما نرى في مقال له بمجلة الشهاب (ج:٥، م:١١، اغسطس ١٩٣٥) بعنوان «اشتغالنا بالشرق أنسانا أنفسنا» قال في مقدمته «إن علاقتنا بالشرق والشرقيين علاقة متينة قوية، تزداد على مر الأيام متانة وقوة ، تغذيها عدة روابط روحية من دينية ولغوية وأدبية نشعر بها كلها، شعورا لولاه لضاق بنا العيش، ولذهبت النفوس حسرات.. ولكن لا يسرنا بحال أن ينسينا هذا الشعور أنفسنا أننا من قوافل الحياة.. فلا نكتب إذا كتبوا ولا نؤلف إذا ألفوا».

كما كتب في المجلة السابق ذكرها نفسها (ج:٢، م:١٢ مايو ١٩٣٦) مقالا بعنوان «العروبة» قال فيه: العروبة «كلمة تخفق بها اليوم قلوب الملايين من الناطقين بالضاد على نحو جديد من الشعور القومي الفياض، كشفت عنه الأيام المتداولة ونمته الأحداث الشداد التي احدقت بالأمة العربية الكريمة من جهات مختلفة فنالت من عزتها القومية وطمست على كثير من سجاياها الحسنة وأخلاقها السامية، فتمزق إهاب اتحادها وترامت عليه الذئاب تنهشه.. فالعروبة حية فينا، ونحن أحياء ما دامت السماوات والأرض .. وحي العروبة العام .. يهز اليوم أوتار قلوب أبنائها ويحرك ما كان كامنا من القوى المعنوية في نفوس احفاد أنصارها الذين تجمعهم اليوم آمال واسعة قوية يتخطون إليها الوعور الكثيرة ويسعون في سبيل تحقيقها بإيمان ثابت وعزائم صادقة وهمم عالية، يحدوها صوت العروبة ويغذيها الإسلام بتوجيهه السامي وتعاليمه القويمة».

وكثيرا ما تألق فكر الرجل في مثل هذه الموضوعات، وسما خياله، وهو يصف روح التآزر والنضال. وأشواق الوحدة والحب مثلما يدق وصفه وهو يعالج قضايا أو يصور مواقف ومناظر، كما نرى في قطعة أدبية له بعنوان «عظمة جبال زواوة وجمالها الطبيعي» نشرها في (الشهاب، ج:١٢، م: ١١ مارس ١٩٣٦) فصوّر احساسه في الموقف معرضا بالانهزاميين وأمثالهم، معرضين عن صوت التاريخ والحضارة في العمق «كل شيء جميل وساحر وبهي ومعجز لهذه القوى الأرضية فوقك يا جبال الزواوة، ففيك رمز العلو لمن يريد أن يعتلي ورمز القوة لمن يتطلب القوة، ورمز الخلود لمن يبغي الخلود.

علّمينا - يا جبال - علّمينا كيف نثبت في السراء والضراء ثباتك ونغضب للحق والكرامة غضبك حتى نطاول معك سماءك العافية ونستضيء بنجومها الساطعة، فنمس إذ ذاك ببعض اللذة والابتهاج، ونعرف ما هو الجمال والجلال والسمو، وندرك الفرق بين الظلام والنور.

وما أبدع مناظرك الطبيعية المتلألئة في تعاريج هندسية هام بها شيوخنا الأقدمون فكانوا يبكرون إليك في الأسحار .. ذاك هو موقف من مضوا من رجال الصلاح والإصلاح حقا بجبال زواوة أما من يمتون إليهم اليوم بنسب فقد طغت المادة .. عليهم، فلم يسيروا في طريقهم ولم ينهجوا منهجهم في ثنايا هذه الجبال ووعورها فخلت قلوبهم.

عودوا أيها المدعون إلى ضمائركم وحققوا نسبتكم إليهم بالعمل والسير في طريقهم واعلموا انكم الآن ذكر خامل وشمل ممزق ونفوس لا تستفزها إلا الشهوات المتبعة وراء المغانم والمكاسب الخصوصية فاشهدي أيتها الجبال أن هؤلاء قد طمسوا طريق أجدادهم إليك، وسجلي عليهم أنهم ما أحيوا سنة ولا أماتوا بدعة، وأنهم ليسوا أهلا لاستنشاق هواءك، وإرواء غلتهم بمائك، ما داموا لم يعملوا في مستقبل الأيام على وقاية الجدود العواثر، وإحياء المآثر».

عاش الرجل مجاهدا بعلمه وفكره وأدبه، مهموما بقضايا وطنه وأمته الكبرى، ثم مات في صمت قانعا برضى الضمير، مثل مئات غيره، بعدها انطلق الناهبون من الداخل ينهشون الوطن ويبتزونه، ويعبثون بتاريخه، ويستغلون كل شيء فيه.

تبقى ملاحظة أرى من واجبي أن أعلنها قبل أن أضع نقطة النهاية هنا: وهي مسؤولية أقاربه - خصوصا - في جمع تراثه، ونشره مبوبا، إنصافا له، وإثراء لمادة الحركة الثقافية والأدبية في فترة صعبة من تاريخنا الجزائري العربي الحديث.

اغتراب



شعر:

الأمير كمال فرج

- جدة -

هوّن عليك ففي عينيك أتراحُ
كلُّ الأحبة في ليل الأسى راحوا

واستوحش الدربُ لا صبحٌ ولا أملٌ
ولا ينيرُ ظلام الدرب مصباحُ

وأدمع النايُ اشجتنا مقاطعهُ
وأبكم البوحَ جيشُ الصمت يجتاحُ

هل كان يعلمُ احبابي الأولى رحلوا
أنّا بليل.. ولن يأتيه إصباحُ

ارنو إلى الأفق لا صوت يكلمني
ولا رفاق بأعلى مزحهم صاحوا

ولا حبيب تضيء القلب طلتهُ
مهندُ اللحظ عالي الحسن لمّاحُ

أنائمُ البحر لا آت يطمئنني
ولا يبينُ بأفق اليمِّ ملاحُ

وجعبة الحزن قد ذابت على كتفي
كأنني ببلاد الموت سوّاحُ

كل الموانيء في البلدان ترفضني
مشردٌ في الليالي .. أين ارتاحُ؟

جرحي عميق ونارُ البعد تحرقني
من لي بطب .. يداوي القلب جراحُ

من لي بأمي تصبُّ الشاي لي صبحاً
تقول: ياولدي .. الصبرُ مفتاحُ

رحلتموا فأشاع القفرُ سطوتهُ
وعربدت في دياجي الخوف أشباحُ

عودوا فإن اللظى يغتال سوسنتي
عودوا إليَّ فإن البعد سفّاحُ

الأرضُ تسألُ والبيداء راجفةٌ
والريحُ تبكي الروابي .. ليتهم لاحوا

ثاو على النار أقتاتُ النوى ألماً
وفي يدي من شراب المرُّ اقداحُ

إن الغريب صديقُ الله ظللهُ
تحميه في طرق الأسفار أرواحُ

يا راحلا للمدى سلم على وطني
وبلّغ الأهل علَّ الهمّ ينزاحُ

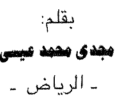
وقل لهم إنني باق على عهدي
فالعهد عندي ميثاق وألواحُ

لربما تقصدُ البشرى مرافئنا
وتعقبُ الحزنَ بعد اليأس أفراحُ

علوم

إن سلاسل الشعب المرجانية المنتشرة في بحار ومحيطات العالم تعد نظاما بيئياً متميزاً يستثير فضول الباحثين للتعرف على حقائقه وأسراره.

فمن الخارج، تبدو هذه الشعب حدائق طبيعية مزدهرة تسر الناظرين، تجتذب السياح وفي داخلها وحولها، تنمو أجيال من الحيوانات المرجانية والطحالب والعوالق النباتية وأنواع مختلفة من الأسماك وكغيرها من الأحياء البحرية، تعرضت الشعب المرجانية لجور البشرية الذي يتمثل في تلويث مياه البحار والمحيطات بشكل بات يشكل خطراً على هذه الشعب وعلى دورها في إثراء الحياة البحرية، وهنا نستعرض ماهية الشعب المرجانية وأنواعها وفوائدها والمخاطر التي تواجهها.



بقلم:
مجدى محمد عيسى
- الرياض -

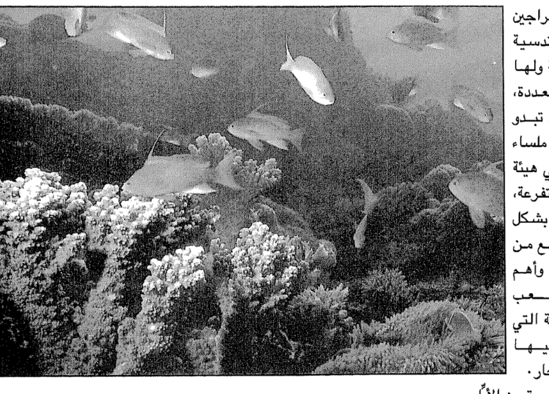
الشُعبُ المرجانية هل تندثر بفعل تلوث المياه؟

ما هي الشعب المرجانية:

هي صخور كلسية تكونت من تراكمات إفرازات حيوان المرجان المعروف باسم «كثير الأرجل» الذي ينتمي إلى طائفة «الجو فمعويات» التي تشبه شقائق النعمان البحرية، حيث يقوم المرجان بإفراز هذه الهياكل ليحتمي بها، ويلتصق بالصخور الموجودة في قاع البحر مفسحاً المجال لنمو مجموعة صغيرة متفرعة عنه، وعندما يموت تبقى الحيوانات المرجانية ملتصقة بهيكل الحيوان الميت، وتقوم هذه الحيوانات بدورها بانتاج براعم جديدة، وهكذا ينمو جيل بعد جيل من الشعب المرجانية في تراكيب هيكلية غير منتظمة تنمو حولها وخلالها نباتات وطحالب دقيقة. بيد أن بناء الشعب المرجانية لا يقتصر على حيوان المرجان وحده، بل تشاركه في ذلك الكثير من فصائل الحيوانات العضوية التى تبنى هياكلها من كربونات الكالسيوم مثل الرخويات والقنافذ البحرية والفورمانيفيرا (المثقبات).

تعيش بعض المراجين كحيوانات منفردة، لكن غالبيتها تعيش مترابطة في شكل مستعمرات مرجانية عظمى، وكل مستعمرة منها تتكون من طبقات من الأنسجة الحية تتصل بها مئات أو ألوف من الزوائد اللحمية التي تسمى «بوليب» وينمو المرجان في مياه البحار والمحيطات رأسياً وأفقياً. ويلاحظ أن الفرق بين المرجان الحي والمرجان الميت، هو أن النوع الأول يكون غالباً متحجراً ومختلطاً به كميات كبيرة من الطحالب الجيرية والكلسية التي تعرف باسم Nullipores.

تتخذ المراجين أشكالا هندسية مختلفة ولها ألوان متعددة، فهي قد تبدو مستديرة ملساء أو تبدو في هيئة عناقيد متفرعة، أو تظهر بشكل مقطع من الدنتلة، وأهم الشعب المرجانية التي أشار إليها علماء البحار.



١ - شعب قرون الأيِّل.
٢ - الشعب الدماغية التي تشبه رأس الإنسان.
٣ - الشعب المستديرة.
٤ - الشعب الأرغونية.
٥ - الشعب المروحية. ومن أمثلتها مرجان الغورغونيا الذى يوجد بكثرة فى البحر الأحمر وتزدان أغصانه بكمية وفيرة من البوليب.

تزدهر الشعب المرجانية في المياه الإستوائية وبشكل خاص في المحيطين الهادي والهندي والبحر المتوسط وفي مياه شواطيء فلوريدا، كما توجد ناحية خليج المكسيك وجزر الهند الغربية واستراليا حيث يوجد سد مرجاني كبير يمتد نحو ١٠٠ ميل في محاذاة الشاطيء الشرقي للقارة الإسترالية ويتراوح عرضه بين عشرة أميال وتسعين ميلا.

التراكيب المرجانية الرئيسية

تتخذ الشعب المرجانية في العادة الأشكال الآتية:

١ - الجزر الحلقية المرجانية Atolls:

وهي جزر بيضاوية الشكل على هيئة حدوة الحصان، ذات ارتفاع محدود فوق سطح البحر وتحصر بينها بحيرة مستنقعية واسعة ضحلة، وقد تتصل هذه البحيرة بمياه البحر بواسطة فتحات ضيقة ضحلة تفصل بين هذه الجزر المرجانية. وتوجد هذه الجزر بكثرة في كل من المحيط الهادي والمحيط الهندي وبعض الجزر التى تقع قبالة الساحل الغربي للبحر الأحمر. بعض هذا الجزر ذات حجم كبير كجزيرة سوفاديفا المرجانية وهي إحدى جزر مالديف بالمحيط الهندى حيث يبلغ طول الحاجز المرجاني بها ١٩٠ كم وطول البحيرة الموجودة وسطها ٦٠كم. ومن أهم معوقات الحياة فوق هذه الجزر، عدم توافر المياه الصالحة للشرب بسبب نفاذية الصخور الشديدة وملوحتها، ومياه البحر المالحة التى تتسرب إليها. ولكن تنمو على أطراف الجزيرة أشجار المنغروف التى تصلح علفا للماشية والأغنام.

٢ - الحواجز السدودية Barrier Reefs:

وهي تشبه الجزر السابقة من حيث تكوينها وشكلها العام، إلا أنها تختلف عنها من حيث الموقع وذلك لأنها تقع غالباً علي بعد عدة أميال من خط الساحل، بل وقد تنفصل عن الساحل بواسطة

البحيرات المستنقعية الضحلة. ويرتفع منسوب سطح الحاجز المرجاني فوق مستوى الماء أثناء الجزر، وهو غالبا ما يغطى بتكوينات مرجانية ميتة ويتميز بكثرة الشقوق Fissures والتجويفات خاصة بالقرب من هوامشه، وكثيراً ما تمتلىء تلك الشقوق والحفر بالرمال والمفتتات المرجانية الخشنة، مما يعزز قدرة الأمواج على نحت الحاجز. ومن أشهر الحواجز المرجانية السدودية، الحاجز المرجاني العظيم في شمال شرق أستراليا، وهو حاجز يكاد يكون متصلا فيما عدا بضع فتحات تقطعه هنا وهناك، وتمثل هذه الفتحات المصبات النهرية.

٣ ـ الشعب الهامشية Fringing Reefs:

تعد أبسط التكوينات المرتبطة بالشعب المرجانية وأكثرها انتشاراً، حيث توجد في كل مناطق المرجان في العالم . وهي تنمو إلى أعلى رأسيا وأفقياً تجاه البحر، وعادة ما تكون ملاصقة لخط الساحل، أو قد تكون هي خط الساحل ذاته، ويتراوح متوسط عرضها من خط الساحل إلى داخل البحر نحو ميل واحد، وتتميز هذه الحواجز بأن لها انحداراً بسيطاً متجهاً نحو البحر.

٤ ـ القمم المستطيلة:

هي تكوينات مرجانية ترتفع على شكل قمم حادة، اكتشفت في البحيرة التى تفصل بين حلقة بيكيني المرجانية والساحل أثناء تجربة للتفجير الذرى عام ١٩٤٦م. وقد سماها بعض علماء الأحياء المائية بالربوات المرجانية Coral Knolls وتنحدر جوانب بعض هذه الربوات انحداراً رأسياً، وبعضها الآخر ينحدر بزاوية مقدارها نحو ٤٥°.

العوامل التى تؤثر في نمو الشعب المرجانية:

تتوقف سرعة بناء الشعب المرجانية على مدى نمو الحيوان وتكاثره، ويحتاج هذا الحيوان إلى بيئة بحرية مناسبة لمعيشته وذات مواصفات محددة من حيث درجة الحرارة والضوء والملوحة وحركة المياه. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الجزء الأعظم من الشعب المرجانية الموجودة في بحار ومحيطات العالم تتركز في المنطقة الواقعة بين مداري الجدى والسرطان، وذلك لتوافر الظروف البيئية الملائمة لمعيشتها.

١ ـ درجة الحرارة:

تحتاج الحيوانات المرجانية لكى تعيش ـ إلى درجة حرارة لا تقل عن ٢٠° مئوية، ولا تزيد عن ٢٢° مئوية. ولذلك يتركز نمو الشعب المرجانية في المياه الدافئة الإستوائية والمدارية الواقعة بين خطي عرض ٣٠° شمالا و٢٥° جنوباً. وقد يتعدى النمو المرجاني هذه الحدود في حالات خاصة، كما هي الحال في جزيرة برمودا التى تتسم بارتفاع درجة حرارة سواحلها نتيجة لوقوعها في مسار تيار الخليج الدافيء الذي يتميز بحرارة أعلى بالنسبة لخط العرض.

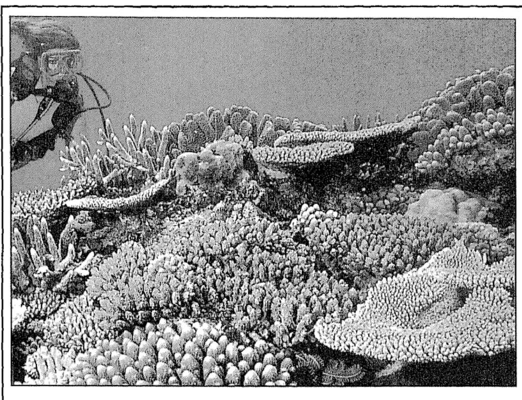
٢ ـ الضوء :

فأشعة الشمس ضرورية لحياة المرجان، إذ أنها مهمة لعمليات التمثيل الضوئي للطحالب والنباتات البحرية الأخرى التى تتبادل النفع مع المرجان. فهناك نوع من التبادل الغذائى بين المرجان والنبات. فالأول يزود الثاني بحاجته من الغذاء وثاني أكسيد الكربون، والثاني يعطى الأول الأكسجين. وعليه فصفاء المياه ضروري لحياة المرجان، ولذلك لا ينمو المرجان عند مصبات الأنهار حيث تلقى الأنهار في مياه البحر كميات كبيرة من الطمي والطين مما يعكر المياه ويجعلها معتمة. كما يندر وجود المرجان في المناطق البحرية، التى تتميز بقيعان طينية التركيب، وقد يرجع ذلك إلى التأثيرات الضارة التى تلحقها الرواسب الغرينية العالقة في الماء بنمو وحياة المرجان.

وعموما فإن أقصى عمق يمكن للمرجان أن يعيش فيه هو ٩٠م، وإن كان معظم النمو يتوقف عند منتصف هذا العمق تقريباً.

٣ ـ الغذاء:

يتغذى المرجان على الكائنات الحية البحرية والدقيقة والهائمات التى يقوم باصطيادها بواسطة أذرعه المحيطة بفمه. كما أنه بحاجة لبعض الأملاح الموجودة في مياه البحر مثل الفوسفور والنتروجين والكالسيوم.



٤ ـ الملوحة:

تتراوح نسبة الملوحة التى يمكن أن يتحملها المرجان ما بين ٢٧ إلى ٤٠ في الألف، وأكثرها مثالية لنموه تتراوح ما بين ٣٤٪ و٣٦٪. وللعلم إن الملوحة الزائدة قد تؤدي إلى اختفاء الشعب من أجزاء معينة من السواحل. فمثلا، إن اختفاء المرجان من بركة هاميلين بخليج شارك بغرب أستراليا يرجع إلى ارتفاع نسبة الملوحة بها عن الحد المطلوب للنمو المرجاني حيث تصل في الصيف إلى أكثر من ٤٨ في الألف.

٥ ـ حركة الماء:

إن التحرك المستمر لماء البحر يعد ضروريا لإزدهار النمو المرجاني، وذلك لأهميته في جعل درجة الحرارة متجانسة في البيئة المرجانية وفي منعه لعمليات الإطماء، وتوفير البلانكتون الذي يتغذى عليه المرجان، وكذلك توفير غاز الأكسجين لتنفسه، خاصة أثناء الليل حيث يقل بسبب تنفس الطحالب. ولذلك يزدهر نمو المرجان على الشواطيء البحرية التي تتعرض لتلاطم الأمواج وتأثير المدّ والتيارات البحرية الدفيئة.

فوائد الشعاب المرجانية:

في المناطق الإستوائية تُؤمِّنُ الحيوانات المرجانية قدراً كبيراً من البروتين ذي السعرات الحرارية، إذ أنها تمثل بيئة ملائمة لنمو تكاثر الإسماك (كالسمك البواق والسمك الملائكى) والقشريات (كالروبيان) وشوكيات الجلد (كنجم البحر وقنفذ البحر) حيث تعتبر الشعب المرجانية ملاذاً آمناً تحتمى به هذه الأحياء المائية من أعدائها في البحر، كما تجد الغذاء في الطحالب والنباتات والحيوانات حول منطقة الشعب المرجانية. وعندما اكتشف الخبراء ذلك شرعوا سنة ١٩٣٠م في أمريكا وبعدها في اليابان في بناء شعب صناعية من الأحجار الضخمة وبقايا العربات وغيرها. كما يجرى في البلدان الاستوائية عمل مزارع أسماك وأعشاب بحرية في الشعب المرجانية.

كذلك تمثل الشعب المرجانية فرصة جيدة للاستثمار السياحي. إذ أنها تعد مناظر طبيعية تغري السائحين بمشاهدتها من خلال زجاج شفاف. ويكفي أن نذكر أن الإيرادات المتحصلة من سياحة الشعب المرجانية في المياه البحرية

لجزيرة فلوريدا الأمريكية تصل إلى حوالي نصف بليون دولار.

يضاف إلى ما سبق، أن الشعب المرجانية ربما تكون مخازن نفطية مستقبلا، ذلك أن وجود كميات وفيرة من الأسماك والقشريات وغيرها من الأحياء حول الشعاب المرجانية حيث تتوالد وتموت تاركة بقاياها، وبمرور السنين ومع التفاعل الجيولوجي والبيولوجي يؤدي ذلك إلى احتمال تكوُّن البترول في أعماق الشعاب المرجانية، والآن تجرى الدراسات والأبحاث للتحقق من هذا الأمر.

وأخيراً فإن للشعب المرجانية أهمية استراتيجية، إذ أنها تمثل حاجزاً طبيعيا يحمي الشاطئ من أمواج البحر المتلاطمة بل إن الأنواع الموجودة منها قرب الساحل تمثل خطاً دفاعياً طبيعياً يحمي الساحل في حالة هجوم حربي بحرى خصوصاً إذا استعان الإنسان ببعض الإستحكامات التى تقام على الساحل نفسه أو على الجزر المجاورة.

مخاطر الشعب المرجانية:

تمثل الشعب المرجانية خطراً شديداً على الملاحة البحرية، خصوصاً الشعب التى لا تظهر فوق سطح الماء. وللعلم، إن النمو المستمر للشعب المرجانية في اتجاه أفقى عند مداخل الموانيء البحرية يحول دون وصول السفن إلى الشاطىء. وهذا هو الحال بالنسبة لميناء سواكن السوداني التاريخي، إذ أن النمو الدائم للشعب المرجانية على ضفتي ومدخل الميناء قد أثر فى عرض المجرى العميق الصالح للملاحة الذي ظل يتناقص تدريجيا يوماً بعد يوم. وبالنسبة للشعب الأخرى التى تنمو بعيداً عن السواحل وتكون مغمورة بالمياه، فإن السفن تكون عرضة للاصطدام بها وخصوصاً في حالة المد العالى التى تختفى معها معظم الشعب المرجانية، وعادة ما يزود قباطنة السفن بخرائط مسجل عليها مواقع الشعب المرجانية، كما تقوم بعض الدول بوضع علامات مضيئة فى مناطق الشعب لكي تتحاشاها السفن.

وفيما يلي نسوق أمثلة لحوادث السفن التى نتجت عن الإصطدام بالشعب المرجانية:

١ ـ غرق ناقلة البترول «إكسون فالديز» في ٢٤ مارس سنة ١٩٨٩م نتيجة اصطدامها بالصخور المرجانية أمام خليج «برنس ويليام» بألاسكا عندما كانت تتفادى الارتطام باحد جبال الجليد العائمة. وقد تسرب من هذه الناقلة نحو ٤٠ ألف طن من زيت البترول، وانتشر هذا الزيت مسافة نحو ألف ميل أمام شواطيء المنطقة والمناطق المجاورة لها، وبعد انقضاء حوالى أسبوعين على الحادث بلغت مساحة المنطقة المغطاة بالزيت ضعف مساحة لوكسمبورغ.

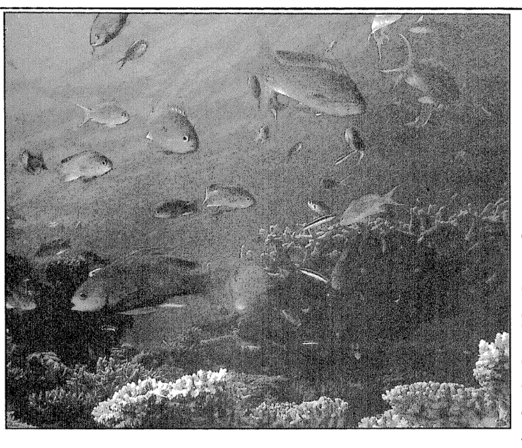
٢ ـ حادث السفينة البنمية «سفير» والتى جنحت في مياه خليج السويس بعد أن اصطدمت بالشعب المرجانية قرب شرم الشيخ.

٣ ـ حادث العبَّارة المصرية «سالم إكسبريس» التى دخلت ليلا فى منطقة شعب مرجانية قرب ميناء سفاجا فى أواخر سنة ١٩٩١، مما أدى إلى تحطم السفينة وغرق معظم ركابها.

تلوث المياه تهديد للشعب المرجانية:

تعاني الشعب المرجانية ـ كغيرها من الأحياء البحرية ـ من تلوث المياه الذي يحدث نتيجة المخلفات البشرية أو النباتية أو الحيوانية أو المعدنية أو الصناعية أو الكيميائية التى تلقى أو تصب في المسطحات المائية من محيطات وبحار. فمثلا، إن تفريغ مياه المجاري في البحر مباشرة دون معالجة يؤدي إلى تلوث المياه وموت الحيوانات المرجانية أو تقلص أعدادها، بينما تصبح أحياء بحرية أخرى أكثر قدرة على احتمال التلوث فتنمو بسرعة حيث تكون لها السيادة، ونضرب مثلا لذلك بحالة الطحالب الخضراء الموجودة بكثافة في خليج كينوهى أحد أكثر الصخور المرجانية انتشاراً في جزر هاواى فقد تنامت أجيال من هذه الطحالب وتضاعفت هناك عشرات المرات بفضل المادة المغذية الموجودة في مياه

المجاري.
ونتيجة لانعدام الضوء والأكسجين والغذاء، فقد ماتت الحيوانات البحرية المرجانية القابعة أسفل الطحالب.



كما أن التلوث النفطي يلحق ضرراً بليغاً بالشعب المرجانية وتساهم ناقلات البترول بالقسط الأكبر من هذا التلوث، إذ تصل هذه الكمية إلى مليوني طن في السنة ناتجة عن غسل خزانات الناقلة بالمياه الساخنة. هذا بالإضافة إلى الحوادث التى تتعرض لها السفن والتى تؤدي إلى تدفق البترول في البحر، كما أن عمليات التنقيب عن البترول تحت قاع البحر من شأنها تلويث المياه.

ويؤثر النفط عن طريق تشكيله طبقة رقيقة عازلة تعوق التبادل الغازى بين الهواء والماء وتحجب الضوء عن الأعماق فتتوقف عملية التمثيل الضوئي التي تعتبر المصدر الأساسى للأكسجين والتنقية الذاتية للمياه، وتغدو حياة الأحياء البحرية في الطبقات السفلى شبه مستحيلة نتيجة لتراكم فضلات الهيدروكربون في قاع البحر وكذلك نتيجة لهدم السلسلة الغذائية.

هذا، ولقد تعرضت مياه الخليج العربي لتلوث نفطي مروع نتيجة لحربي الخليج الأولى والثانية وفي هذا الشأن حذّر الخبراء من المخاطر التى تتعرض لها الشعب المرجانية في الخليج العربي نتيجة ما قام به العراق أثناء حرب الخليج الثانية من ضخ كميات هائلة من النفط في مياه الخليج، إذ لو دمرت هذه الشعب، فإنه لن يتكون غيرها إلا بعد عشرات السنين كما أن هلاكها يتبعه هلاك أعداد كبيرة من الأحياء المائية التى تعيش فيها مثل سمكة نجم البحر والروبيان والقواقع والضفادع البحرية وثعبان البحر.

خاتمة:

تعد منظومات الشعب المرجانية المنتشرة في بحار ومحيطات وخلجان العالم ذات أهمية اقتصادية وسياحية واستراتيجية، وتضم أنواعاً من الأحياء البحرية التي ينبغي دراستها من النواحي البيولوجية والإقتصادية والبيئية. وإن الحفاظ على التنوع الحيوى على كوكب الأرض يقتضى توفير الحماية للشعب المرجانية التى باتت مهددة بالانقراض كغيرها من الأحياء البحرية نتيجة لتلوث المياه، وهو ما يستوجب اتخاذ إجراءات قطرية ودولية للحد من تلوث المياه.

من الكلمة إلى الفكرة (٧)

الفكر والتفكير والتفكر

الفكر مرآة العقل وآيةُ حيويته، فإنه لا عقل من دون تفكير يصقل جوهره، ويتعهد آلته، ويبث في ثناياه النشاط والحركة والانطلاق.

وكما أن العقل لا يتم نضجه إلا باستخدام الفكر وترويضه وتحريك دواليبه بلا انقطاع، فإن الفكر لا يؤتي ثماره ما لم يواصل التحليق في سماء العقل باحثاً عن مصادر النور المحسوسة والغائبة عن الحس.

الفكر كالتربة الطيبة متى انفتحت على الشمس والهواء وأصابها وابل من مطر اهتزت وربت، وسكنها الخصب، وجادت بالغرس والعشب، وأينعت زهورها، وطابت ثمارها؛ وكذلك الفكر تدركه الخصوبة كلما انفتحت أمامه الآفاق البعيدة وانطلق تجاهها حراً خفيفاً لا تثقله قيود، ولا يعتريه نصب، ولا يحدُّ من انطلاقه عائق؛ فالحرية شرط الفكر، بل هي طبيعته الأولى، عليها فُطر، ومن أجلها كان.

الفكر يسبق الكلام ويعلو عليه، ولا معنى لكلام لا يصوغ مادته فكر؛ فالكلمة إنما تعرب عن الفكرة وتجعل لها كياناً متميزاً يتعانق فيه المفهوم والمنطوق ويتبين المعلوم من المجهول والواضح من الغامض.

مراتب الفكر ثلاث:

«النظر الفاحص، فالتأمل الباطن، ثم الحَكَمُ للشيء أو عليه، والحكم في ذلك هو العقل إن صفا جوهره؛ فإذا انضاف إلى هذه العناصر صدق الحدْس وسلامة الحواس وخصوبة الخيال استقامت آلة التفكير، ونشط فعلها واتسع مجال دورانها».

والخيال ينتج الصور وينوع الألوان ويوسِّع آفاق النظر وأبعاد الفهم في الاتجاه الذى تتقوَّم به الأحكام الذهنية وتخرج إلى حيز الفعل قوية نافذة.

زعم بعضهم أن الخيال حقٌّ كلّه، والتخيل منه حق ومنه باطل؛ وقد يفهم من هذا الكلام أن الخيال حركة إرادية يمكن التحكم فيها، فهي تنبعث من أعماق الباطن محملة بصور الحقائق الأولى التى ينبني عليها نظام الموجودات المعقولة والمحسوسة؛ وهذه الحركة تستمد طاقتها الدافعة من عالم الواقع وعالم ما وراء الواقع، وتستخلص منهما صوراً ذهنية حية توافق أحكام العقل وقوانين الطبيعة؛ وأما التخيل فهو مجرد افتعال لا يتقيد بضابط، ولا يحكمه قانون،



بقلم:
محمد العربي الخطابي
- الرباط -

فهو إذا استقام واعتدل كان حقاً، وإذا انحرف وأفرط كان باطلا، فهو من هذه الناحية أشبه ما يكون بحلم النائم إن صح كان رؤيا، وإن اختلط واضطرب كان أضغاث أحلام، وربما كان كابوساً.

من لوازم التفكير: الرَّويَّة، والفهم، والتصور، والشك، واليقين ، والقبول ، والرفضُ مع حسن الإدراك، والقدرة على ترتيب الصور في الذهن وأما ثمرة التفكير فمعرفة الأشياء على حقيقتها، إذ بالعلم يحصل الاطمئنان ، وتنكشف الحقائق، وتتقارب النفوس ، ويطيب العيش، ويزدهر العمران.

والتفكير ليس مجرّد وظيفة حيوانية تتحكم آلة الدماغ في عملها، بل هو قوة تخدم العقل وتنمي قدراته بمساعدة الحواس الظاهرة والباطنة فإنه لا سبيل إلى الإبداع من دون ذلك، كما أنه لا سبيل إلى العلم اليقيني ما لم تنشط آلة التفكير بجميع محركاتها بما في ذلك الخيال.

والفكر الخلاق هو أسمى تعبير عن قدرات الإنسان النفسية والذهنية، ومن علاماته تقليبُ النظر في الأشياء المجردة بقصد الوصول إلى معرفة الأسباب والعلل الكامنة في عناصر الوجود وظواهر الطبيعة كجريان الزمان، وتسلسل الحوادث، وتعاقب الكائنات في عوالم يضبطها نظام «بديع» ترعاه عناية عليا، ويدبر أمره حكيم عليم.

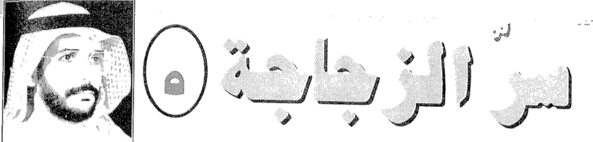
فمن الناس من يسلك هذا النهج من التفكير الحي ومُراده الغوص في بحور الحقائق العليا بخلاف من يستعمل فكره في أمور اضطرارية عارضة من أجل تدبير معاشه، وتنظيم أوقات عمله أو فراغه فهذا لا يعنيه من أمر التفكير أكثر من تكوين رأي يُعينه على الاختيار واتخاذ القرار المناسب فيما يعنيه من أمور نفسه لتثبيت موقعه داخل الجماعة التي ينتظم فيها وترتبط بها مصالحه العاجلة؛ فتفكيره إذن مرتبط بزمان معين وحيِّز محدود.

التفكير الخلاق أشبه ما يكون بالنهر المتدفق ينساب في مجراه من غير أن يعترضه عائق يقطع تدفقه، وما يزال ينشد مصبه حتى يلتقي بالبحر ويمتزج بأمواجه.

والتفكير منبعه العقل، ورائده الحواس، والتفكر مرتعه القلب، وكلاهما يسعى إلى اليقين ليبذر الأمل في حقول الحياة ويضفي عليها معنى معقولا.

والفكر، بشتى صوره ومختلف مظاهره هبة الخالق، أنعم به على صفوة خلقه، وجعل التفكر من مقومات الإيمان بوحدانيته وقدرته وواسع تدبيره وشامل عنايته ودائم إبداعه وسابق رحمته؛ وإلى ذلك يشير قوله تعالى: {أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق} (الروم/٨). وقوله - عز من قائل: {إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} (الرعد/٣).

وآيات الله لا تُعدّ ولا تحصى، ولا ينقطع شعاعها، فهي ماثلة في السماوات والأرض، في النجوم والكواكب ، في الكائنات النامية والجامدة، وفي سائر الظواهر ما علم منها وما غاب عن علم المخلوقات.



بقلم: د . عبد الرزاق فراج الصاعدي
الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة -

٢٢ - إيقاظ العربية:

ضربت اللغة العربية بسهم وافر في تاريخ الحضارة الإنسانية في شقيها الروحي والمادي، ومن آيات عظمتها أن اختارها الله عز وجل لغة لخاتم الأديان السماوية الإسلام؛ فكان ذلك مفخرتها الكبرى على الدوام.

وحقّ لها - أيضاً - أن تفخر بما أسهمت به في الحضارة الإنسانية، إذ استطاعت أن تكون أداة طيّعة للتفكير والتعبير والإبداع، فاستوعبت أبحاث الأطباء والكيمائيين والفيزيائيين وصناع الزيجات الفلكية ومكتشفي أسرار الأرض والرياضيين في علوم الجبر والهندسة والسلاسل الحسابية، وغير ذلك.

ومن آيات عظمة العربية أنها شديدة الأسر لمن يتعلمها من غير أبنائها؛ فيقع في حبها، ويدافع عنها كدفاع أبنائها، وربما أكثر.

ولنا في تاريخها العظيم خير شاهد؛ إذ أخلص لها أهلها الجدد، وخدموها على خير ما تكون الخدمة، وبرع كثير منهم في علومها، وغاصوا إلى دقائقها، فجاءوا بكل عجيبة. وما سيبويه والأخفش والأزهري وابن فارس وابن جني وغيرهم من أعلام العربية عن الأذهان ببعيد.

وفي عصرنا الحاضر المليء بالصراعات بين الأمم وثقافاتهم استمرّ إقبال الناس عليها؛ فخدمها كثير من غير أبنائها، فأخلص بعضهم - أو هكذا نقدّر - كـ «بروكلمان» و«فشر» و«برجشتريسر» و«تيودور نولدكه» و«دوزي» وغيرهم.

وممن حاول أن يخلص لهذه اللغة المستشرق الفرنسي «ماسينيون» (١٨٨٣ - ١٩٦٢م) بما قدمه من أبحاث ومقالات نشرت في دوريات مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد.

وقد استوقفتني كلمة كتبها «ماسينسون» في تقديمه لكتاب «ماكس فانتاجو» المسمى «المعجزة العربية» إذ قال في سياق لإحياء حماسة العرب للغتهم في أوقات من هذا العصر تزعزت ثقتهم حتى في أنفسهم: «ومن حقّ العرب علينا نحن ضيوفهم والوافدين عليهم، من مثلي أنا والسيد فانتاجو أن نرفع الصوت عاليا طالبين إليهم أن يقاوموا الدعاية المذلّة التي تقترح عليهم التنازل عن شرفهم وتقليدهم وإبائهم والاستسلام أمام القوة الاستعمارية.. التي تطلب إليهم الانسجام في طريقة تفكيرهم، وعملهم مع هذه الحضارة الكاذبة، حضارة الإنسان الآلي التي لم تعد تؤمن بنفسها، أو بالذات الإلهية، وتصبوا إلى إخضاع العالم لنظامية ثقافية بلهاء.

إن هذا الإنتاج الصناعي المغشوش سيسقط وشيكاً ليصمدوا فالعالم في حاجة إليهم. لندفعهم إلى احترام عربيتهم ، هذه الآلة اللغوية الصافية، والصالحة لنقل اكتشافات الفكر عبر الدول.

إن البعث الدولي للغة العربية عامل أساسي في إشاعة السلام بين الأمم في المستقبل. إنها كلمة تحمل الكثير من النَّصَفَة والحق في طيّاتها، وهي دليل جديد على عظمة هذه اللغة ومقدرتها على استمالة من يتعلمها وامتلاك وجدانه.

وإن أردتم دليلا آخر على جذب اللغة العربية وأسرها لمن يتعلمها ولو كان أجنبيا أو غير مسلم

فأذكركم بعلم شهير من أعلام اللغة والأدب في القرن الماضي الذي جاز لأحد النقاد أن يطلق عليه جبّار القرن التاسع عشر؛ لما كان له من شهرة واسعة من خلال مؤلفاته ومقالاته في الجوائب، هل عرفتموه؟

إنه ذلك اللبناني الذي كان يُدعى فارس منصور، وهو من رجال الدين واللاهوت من المسيحيين، والذي تعمق في العربية، فشغفه حبها وألف فيها أعظم مؤلفاته «الجاسوس على القاموس» و«سرّ الليال في القلب والإبدال» و«الساق على الساق» ثم أعلن إسلامه وتسمى بـ «أحمد فارس الشدياق» تيمنا باسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وتفاؤلا باسم أحد المعجميين العرب الكبار «أحمد بن فارس اللغوي» (ت ٣٩٥هـ) صاحب المجمل والمقاييس.

ونحن ـ أبناء هذه اللغة الشريفة ـ مطالبون بإيقاظ لغتنا من بياتها الشتوي الذي طال أمده، وبثّ الروح في جسدها، والعناية بها، بحفظ تراثها، ودرسها وتبسيطها، ومحاولة نشرها بين عامة أبنائها وغير الناطقين بها.

وعلينا أن نتنبه إلى الأخطار التي تواجه العربية كزحف العامية واستشرائها، وضعف الشخصية عند أبناء هذه اللغة العريقة، واهتزاز الثقة في نفوسهم، مما أدى إلى طغيان بعض اللغات الأجنبية، التي بدأت تزاحم العربية على ألسنة أبنائها، فأصبحت تظهر بمناسبة وبغير مناسبة، وأصبح التشدق بمصطلحاتها من أسباب الوجاهة الاجتماعية، وكماليات الشخصية غير الواثقة بنفسها وتراثها الفكري المتمثل في لغتها العربية العريقة.

٢٣ ـ التاريخانية:

يصادف المرء بين الحين والحين في مقالات كبار الكتاب ألفاظا يصيبها شيء من اللحن أو الخطأ في اللغة أو النحو، ومن الألفاظ التي توقفت عندها مؤخراً كلمة وردت في مقال للدكتور يوسف نور عوض في جريدة المدينة (١٤١٧/٥/٢٩هـ) وهي كلمة «تاريخانية» وقد كررها مرات عديدة في سياقات مختلفة نحو «تاريخانية الخطاب الإسلامي» و«تاريخانية النص القرآني» و«مفهومي التاريخانية والتأويل».

والحق أنني لم أعرف مراد الكاتب بهذه الكلمة، هل هي مصطلح، أو كلمة ابتدعها على غير قياس، والظاهر أنه يريد بها المصدر الصناعي الذي يكون بياء النسب المشدّدة، وبعده تاء تأنيث، مثل الجاهلية والوطنية والفروسية، والقياس في هذه الكلمة أن تكون التاريخية.

و«التاريخية» في المعجم الفلسفي ص ٣٦ هي: القول بأن لوقائع التجربة الحية زمانا خاصاً وأنها تتسم! بشيء من المرونة والطلاقة. وقد قال بها الوجوديون معارضين بها نظرية «حتمية التاريخ» الماركسية.

أما زيادة النون قبل ياء النسب، فلم يعرف إلا في ألفاظ محفوظة، وهي ثلاث كلمات وهي: صنعاني وبهراني وروحاني أبدلوا الهمزة نوناً، خلافاً للقاعدة.

٢٤ ـ قرأت لك:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوّتَ إنسانٌ فكدتُ أطيرُ!

هذا ما قاله الأحيمر السعدي الشاعر اللص الفاتك المارد من شعراء الصعاليك في زمانه، وهو القائل:

نهق الحمار فقلت أيمن طائر
إن الحمار من التجار قريبُ

وهو القائل:

وإني لاستحيي من الله أن أرى
أجرّر حبلا ليس فيه بعير
وأن أسأل الجبس اللئيم بعيره
وبعران ربي في البلاد كثير

ثم تاب الأحيمر فقال:

أشكو إلى الله صبري عن رواحلهم
وما ألاقي إذا مروا من الحَزَن



شعر: **الجيلي بشير الجيلي**

ـ الدمام ـ

قالت :

أسلمتك الأفراح والآمال والمستقبلا ... وسقيتك الحلو الرضاب ترودّه متهللا

وسخوت بالمكنون لست أضنّه ... أنا مذ عرفتك ما عرفت لقول لا

أهديتك الأطفال زهراً يانعاً ... كم ذا رسمنا سيرهم والمنزلا

كم ذا بنينا للسعادة مسكنا ... ولكم مهدنا للمكارم موئلا

والآن تغدر بي وتحمل معولي ... تلمى به وجهاً تبسم مقبلا

وتصُبّ ناراً في جوانح سامها ... ضرٌ أهاج بها لواعج وابتلى

فلكيف «هانى» يستعيد مكانه ... ولكيف «عزة» تستطيب المنزلا

ماذا أقول لشامت ومعنّف ... أصلاني من نار العذاب وأجزلا

أهلي هجرتهم لأجلك والهوى ... أغللت عنهم أبتني مستقبلا

أذللتني وجرحت فيّ أنوثتي ... وأخذت ما عندي سدى متعجلا

قال :

أنا ما سلوتك يا ابنة الأخـ ... ـيار أقسمُ لن ولا

مثنى ثلاث وأربعاً ... فالشرع أعطى للرجال وحللا

ليعفهم عن كلّ ما يرديهمُ ... والشرط شرعاً أن نخاف ونعدلا

أنا ما هجرتك يا حياتي إنما ... إني عرفت الحبّ عندك أولا

علّمته فلذات كبدي بسمة ... وسقيته هاني حنانا جدولا

إنيّ سأحفظ للصغار حقوقهم ... ولقد رفعتك في شعوري منزلا

ولتعلمي أني أتيتك بالتي ... تخشى الإله مهابة وتجملا

لا تعرف الشنآن والعدوان كلا ... وهي تدرى ما مغبات القلى

تهب المحبّة للصغار جميعهم ... وأبوهمو يزهو بهم متهللا

إمّا جنحتُ فمن سواك يضمّني ... ويشدّ أزري في الجماعة أولا

أنت الوفاء أصوله وعيونه ... نبع تدفّق بالسماحة سلسلا

وقفة مع رائد النقد التراثي ابن المعتز

أوراق زوجية

ابو عواد / ام عمرو

رسالة الى السيدة الجميلة



وقفة مع رائد النقد التراثي:

ابن المعتز

بقلم: د. ماجدة محمد حمود
كلية التربية - جامعة الملك فيصل
- الاحساء -

نشأ ابن المعتز في قصر الخلافة العباسية، فهو «أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور .. كان مخالطا للعلماء والأدباء معدوداً من جملتهم، إلى أن جرت له الكائنة في خلافة المقتدر، واتفق معه جماعة من رؤساء الأجناد، ووجوه الكتاب فخلعوا المقتدر.. وبايعوا عبد الله»[١] فأصبح خليفة ليوم وليلة فقط، إذ انقلب أصحاب المقتدر، وأعادوا خليفتهم إلى كرسيه، وقتل إثر ذلك ابن المعتز بيد خادمه مؤنس سنة ٢٩٦هـ.

وقد أتاحت له نشأته في دار الخلافة التتلمذ على يد أفضل علماء القرن الثالث الهجري (أمثال: ثعلب، المبرد، الدمشقي) الذين تلمسوا نبوغه المبكر، فرعوا موهبته حتى نضجت.

ولعل مكانته الرفيعة أدت إلى أن يحفل مجلسه بأعظم أدباء عصره وعلمائه، كما أدت إلى أن يعيش حياة باذخة تتيح له التفرغ للعلم والتمتع بملذات الحياة أيضا، ولهذا ليس غريبا أن نجد له عدة مؤلفات في الأدب والنقد منها: كتاب الزهر والرياض، كتاب البديع، مكاتبات الأخوان بالشعر، كتاب الجوارح والصيد، كتاب أشعار الملوك، كتاب الآداب، وكتاب حلي الأخبار، وكتاب طبقات الشعراء، كتاب الجامع في الغناء، وكتاب فيه أرجوزة في ذمّ الصبوح، كتاب السرقات، كتاب فصول التماثيل، وله رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه.

يلاحظ المرء أن معظم هذه الكتب مفقودة، إذ لم نجد له سوى (طبقات الشعراء، البديع، الآداب، وبعض الرسائل التي جمعها محمد عبد المنعم خفاجي)[٢].

ورغم أننا وجدنا كتابين قد ألفا حول ابن المعتز (ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان تأليف عبد المنعم خفاجي وكتاب «عبد الله بن المعتز أدبه وعلمه» تأليف عبد العزيز سيد الأهل) غير أننا لم نجد لديهما اهتماما بالجانب النقدي عند ابن المعتز، إذ جاء الحديث عنه مبتسرا لا يفي بالغرض، رغم أن محمد عبد المنعم خفاجي رأى أن ابن المعتز «علم من أعلام النقد الممتازين في عصره .. بل هو أعظم نقاد عصره آثارا وأكثرهم

عناية بالبحث والتأليف فيه، ألف في طبقات الشعراء والسرقات، وتناول بعض الشعراء وشعرهم بالنقد، درس مشاكل النقد التي أثيرت في عصره وكتب فيها»[٣].

أما د. طه حسين فقد تناول كتابه «من حديث الشعر والنثر»[٤] شعر ابن المعتز، ولم يتناول الجانب النقدي لديه، في حين نجد الناقد إحسان عباس في كتابه «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» قدم دراسة موجزة لنقده، توقفت عند العموميات فقط.

وعلى هذا الأساس تحاول هذه الدراسة أن تتناول أهم كتبه ورسائله (البديع ، طبقات الشعراء) لعلها تعطي صورة لإنجازه النقدي الذي لم يأت من فراغ، وإنما جاء تتمة لجهود الأدباء واللغويين (الخنساء ، الجاحظ ، المبرد) الذين سبقوه في مجال الاهتمام بالشعر العربي، وإن كنا لم نجد ناقدا قبله قد خصص كتابا ليتناول فيه أحد الجوانب الفنية في مجال التنظير والتطبيق، كما فعل في كتابه «البديع» فقد كان معظم نقدهم يتجه إلى ضبط الشعر وبنية الكلمة، فيتمحور هاجسهم النقدي عند الأخطاء النحوية أو العروضية التى قد يرتكبها الشاعر أو الألفاظ الحوشية التي يلجأ إليها الشاعر ولكنهم قلما توقفوا عند عنصر من عناصر الجمال الفني في الشعر، فكان أغلب نقدهم جملا قصيرة تشير إلى أشعر بيت أو أحسن بيت قالته العرب، وكان مما ساعد على تأليفه ممارسته الشعرية وإتقانه لفن البديع بالإضافة لكونه يعيش في عصر شاع فيه هذا الفن فكان ابن المعتز في شعره استمرارا له وقد حاول في نقده أن يؤسس له ، فعرّف به وذكر أمثلة عليه «فانتهى علم البديع والصنعة إليه وختم به» كما يقول ابن رشيق[٥].

إذاً، يمكننا القول بأنه أول من جمع البديع وألف فيه كتابا يبيّن أن بشارا ومسلما وأبا نواس، ومن سلك سبيلهم «لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كَثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه، ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرغ فيه وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك، وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف»[٦].

ويصرح في المقدمة أن غرضه من هذا الكتاب تعريف الناس «أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع» فقد وجد هذا الفن في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الجاهلي والإسلامي والمولد.

وقد قسم الكتاب إلى خمسة أبواب جعل الباب الأول للاستعارة والثاني للتجنيس والثالث للمطابقة والرابع لرد الأعجاز على الصدر والخامس للمذهب الكلامي.

ومما يجدر ملاحظته أنه كان يعرف أحيانا بعض أنواع البديع (الجناس مثلا) وأحيانا لا يعرف (الاستعارة) لكنه دائب التذكير بالعيوب التي يقع فيها الشعراء حين يستخدمون البديع بأنواعه المختلفة. وهو لا يكتفي بذكر العيوب التي تلحق بالبديع وإنما نجده يذكر العيوب التي تلحق عناصر الشعر الأخرى كموسيقى الشعر مثلا، ولو تأملنا عيوب الشعر في رأيه، لوجدنا أنها تدور حول التكلف في أي عنصر كان، بل نجده يرفض أحد العناصر الأساسية في البديع وهو المذهب الكلامي[٧].

وقد رأى د. خالد يوسف أن ابن المعتز قد قام بوضع «مصطلحات لأنواع البديع المعروفة في زمانه، من استعارة وجناس ومطابقة وتضييق»[٨].

والحقيقة أن هذه المصطلحات قد وضعها نقاد قبله (الأصمعي، الجاحظ) لكن ابن المعتز رسخ استعمال هذه المصطلحات لدى الكتاب والقراء وجعلها مألوفة في كتابه هذا .

وبذلك يعد كتاب «البديع» من أوائل الكتب التي توقفت عند الأداة الجمالية في الشعر والتي هي

أداة أساسية في المجال النقدي ، فعرّف بها وتوقف عند تاريخ استعمالها، وبذلك نضج المصطلح النقدي لدى ابن المعتز فاستطاع أن يقيس الأدب بمقياس جمالي، يعتمد الذوق الذي يتمتع به بصفته شاعرا، دون أن يعني هذا القول أنه يغفل عن التعليل.

كما يعد هذا الكتاب من أوائل الكتب التي خصصت لعلم البلاغة، فكان بداية لنضج هذا الفن وأساسا لتطوره باعتقادنا.

ونلاحظ في كتابه «طبقات الشعراء» اهتمامه بالشعر المحدث الذي لم يلق عناية من النقاد اللغويين في عصره، إذ انصرفوا إلى الشعر القديم وجعله المثل الأعلى للشعر، وقد أزعج هذا التحيز ابن المعتز وظهر لنا انزعاجه في خبر رواه الصولي في كتابه «أخبار أبي تمام» فقد حدّث ابن المعتز أبو عمر بن أبي الحسن الطوسي قائلا «وجّه بي أبي إلى ابن الأعرابي لأقرأ عليه أشعارا، وكنت معجبا بشعر أبي تمام، فقرأت عليه من أشعار هذيل، ثم قرأت أرجوزة أبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل .. فقال اكتب لي هذه ، فكتبتها له، ثم قلت: أحسنة هي؟ قال ما سمعت أحسن منها قلت: لأبي تمام، فقال: خرّق خرّق»[٩].

فيعلق ابن المعتز على هذا الخبر قائلا «وهذا فعل من العلماء مفرط القبح لأنه يجب ألا يدفع إحسان محسن، عدوا أو صديقا، وأن تؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيع، فإنه يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [كرّم الله وجهه] أنه قال: الحكمة ضالة المؤمن[١٠].

وقد رأينا تطبيقا عمليا لهذا القول في كتابه «طبقات الشعراء» فشاعت فيه الروح الموضوعية بكل ما تعنيه من اتساع الأفق والتفتح الفكري، وخير دليل على ذلك أننا نجده قد تحدث عن شعراء المعارضة كشعراء الشيعة (السيد الحميري، دعبل الخزاعي) والخوارج (درست المعلم) بل نجده يورد أبياتا لأبي الفضة البصري في ذمّ الدولة العباسية منها:

لا أحسب الجور ينقضي وعلى
الأمة وال من آل عباس

وهذا ذمّ صريح لحكام الدولة العباسية، الذين أشاعوا الظلم والقهر في أرجاء دولتهم، مع أنه أراد، كما يذكر في المقدمة، أن يجمع «ما وضعته الشعراء من أشعار في مدح الخلفاء والأمراء والوزراء من بني العباس»!!

وهو لا يكتفي بذكر شعراء المعارضة، بل نجده يذكر نثرهم في ذمّ العباسيين فيورد قولا لشاعر اسمه «درست المعلم» الذي يرى رأي الخوارج، ويرى الدار دار كفر، ويقول عن العباسيين «عطلوا الأحكام وغيروها، وقد قال الله تعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الكافرون}[١٢]، فهو يصمُ العباسيين بأبشع تهمة يمكن أن توجه إليهم: وهي الكفر .. وعدم الالتزام بأحكام الشريعة ومن يوثق هذه التهمة ويثبتها؟ إنه أحد أبناء الخلافة العباسية (ابن الخليفة المعتز وحفيد المتوكل) وبذلك قدّم لنا مثالا رائعا لسعة الصدر وانفتاح الأفق واحترام الرأي المخالف، حتى لو كان هذا الرأي يسيء إلى سمعة دولته التي ينتمي إليها، ويحلم أن يكون أحد حكامها.

تراه ينطلق، هنا، من حقد دفين على أولئك الذين استولوا على الخلافة، وحرموه منها، قد يصح هذا الرأي لو اكتفى الناقد بايراد شعر معاصريه فقط، لكننا نجده يذكر شعراء عاصروا أجداده أمثال دعبل الخزاعي، الذي توفي في السنة التي ولد فيها ابن المعتز، وقد هجا المأمون والمعتصم وكثيراً من أمراء بني العباس! وبذلك قدّم لنا خير دليل على عدم تعصبه وانفتاحه على الرأي الآخر المعارض.

كما أننا نجده غير خاضع للأهواء الشخصية في تقويمه، وقد بدا ذلك واضحا في رأيه في شعر «أبي العبر» وهو هاشمي من بني العباس، يورد أشعارا تافهة له ثم يعلق قائلا «وله عجائب كثيرة من هذا الشأن لا حاجة إلى استقصائها إذا كان

لا نفع فيها»[١٣].

فهو يقدم دليلا آخر على طغيان الروح الموضوعية لديه، فهو لا يحابي أحدا، ولو كان قريبا له في النسب، ينتمي مثله إلى الأسرة الحاكمة، بل قد يكون مخلصا للدولة العباسية ولم يقل شعرا في غير مدحها.

ونجده يجعل الشعر دليلا على براءة الشاعر (صالح عبد القدوس) مما اتهم به من زندقة، كانت سببا في قتله على يد الخليفة (المهدي) فيأتي ابن المعتز بأبيات قالها تدل على تقاه منها:

إذا كمّل الرحمن للمرء عقله
فقد كملت أخلاقه ومناقبه

ثم يقول «فيا عجبا كيف يمكن أن يقول زنديق مثل هذا القول؟ وكيف يكون قائله زنديقا؟»[١٤].

فالشعر مرجعه الأساسي في تقويم إيمان الشاعر وبراءته، لا يهمه ما أشيع عنه، وبذلك يتخذ موقفا متناقضا مع الموقف الظالم الذي اتخذه المهدي من الشاعر، كما نجد لديه جرأة في ذكر الأشعار التي تتجاوز المواضعات الأخلاقية، فيأتي، مثلا، بشعر لأبي دلامة يذكر فيها شوقه للخمر والغناء!![١٥].

ما أقل أن نجد اليوم أمثال هذه الاستقلالية في الحكم! ما أقل أن تجتمع الموضوعية والنزاهة في الرأي لدى الناقد! فرغم كونه شاعرا محدثا وناقدا متحمسا للشعر المحدث، فقد بدا متزنا في حكمه عليه، فلا نجده معجبا بهذا النوع من الشعر حين يكون تافها أو ضعيفا، بل نجده في معظم الأحيان، يبين إعجابه بالشعر المحدث الذي لا ينسلخ عن الشعر القديم فيضيف إليه محاسن القديم. إنه يجمع، بلغة اليوم، بين الأصالة والمعاصرة، ولهذا كان من أسباب إعجابه بشعر ابن ميادة كونه أتى بمعان وألفاظ «يعجز عنها أكثر الشعراء فإنه قد جمع إلي اقتدار الأعراب وفصاحتهم محاسن المحدثين وملحهم»[١٦].

وهو يمتدح قصيدة لأبي الخطاب البهدلي جمع فيها «إلى قوة الكلام محاسن المولدين ومعاني المتقدمين»[١٧].

إن حماسته للشعر المحدث ، ودفاعه عنه، ومحاولته إقناع المتعصبين ضده، كل ذلك لا يجعله رافضا لإنجازات الشعر القديم، بل نجده على النقيض يسعى إلى إقامة هذه الحداثة على أسس متينة، وذلك بأن يمدّ جذورها إلى الشعر القديم.

وهو لا يكتفي بذكر إعجابه بالشعر المحدث، وإنما نجده يؤيد رأيه بذكر آراء نقاد معاصرين له يبدون إعجابهم بهذا الشعر، ويردون على النقاد التقليديين الذين رفضوا هذا الشعر، مثال ذلك موقف الهلالي من شعر نصيب الأصغر، الذي عاش في العصر العباسي، ورده على الأصمعي الذي فضل شعر نصيب الأكبر بسبب تقدمه، فقد عاش في العصر الأموي.

صحيح أننا وجدناه أحيانا يتبع في نقده ذوقه (أي ذوق الناقد الجمالي باصطلاحنا اليوم) في فهم النص الأدبي، إذ يتتبع البديع لدى الشعراء، فيرى مثلا أن الشاعر المخنث (ابن شادة) «صاحب بديع رقيق» إلا أننا نجده يعجب أيضا بالمعنى الطريف الذي لم يأت به أحد من قبل كقول بشار:

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحيانا

* ولكننا نلاحظ أنه انصرف في معظم نقده إلى تناول الشكل والمضمون معا، فسبب إعجابه برائية بشار أنها «بديعة المعاني، رفيعة المباني، وقد نجد تفصيلا أوفى أثناء حديثه عن شعر الرياشي، فألفاظه في عذوبة الماء الزلال ومعانيه أرق من السحر الحلال، كما يبين لنا في إحدى رسائله أن «خير البيان ما كان مصرحا عن المعنى، ليسرع الفهم إلى تلقيه وموجزا ليخف على اللفظ تعاطيه».

وحين يلتقي شاعران في معنى واحد (بشار بن برد، وسلم الخاسر) نجده يعجب بمن اعتقد الجودة اللفظية والفصاحة والإيجاز وقد يحدد لنا الأسباب التي أدت إلى شيوع بيت من الشعر على

كل لسان لكونه «جيد المعنى عذب اللفظ خفيفا على اللسان»[١٨].

إذاً، تتحقق عذوبة اللفظ لديه حين يعنى بموسيقى الكلمة، فتأتي سهلة النطق رشيقة الوقع، وليس غريبا أن نجده معجبا بشعر أبي العتاهية لسهولة شعره وجودة طبعه، ورغم أنه يقول «شعرا موزونا ليس من الأعاريض المعروفة، وكان يلعب بالشعر لعبا ويأخذه كيف شاء»[١٩].

إذاً، امتدت حماسته للتجديد لتشمل موسيقى الشعر الذي يشكل العمود الفقري لبناء القصيدة العربية، إنه يرحب بالإبداع مهما كانت صورته، لأنه نقيض التكلف ومرادف للجمال ورقة الطبع، حتى يظن من يسمعه «أنه سيأتي بمثله، فإذا رامه وجده أبعد من الثريا».

ونجده يتبنى مقولة أحد العلماء في تعريف الشعر بأنه «السهل الممتنع» فكل تكلف ينبو عن الطبع مرفوض لدى ابن المعتز، وكل إبداع ينسجم مع الطبع ويبتعد عن التكلف والغلو في الشكل أو المضمون، يرحب به ويقدمه إلى القراء، وإن كان يعتذر عن تقديم القصائد الطوال لكونه يختار الفقر والعيون، ومن يريد التوسع فالدواوين موجودة، خاصة إذا كان الشاعر مشهورا عند أكثر الناس، فأما المغمورون الذين لا نجد شعرهم إلا عند الخاصة فأعطاهم حيزا أرحب، إذ تخيّر أجود أشعارهم لتكمل الفائدة ويعم النفع، إنه يأخذ بين هؤلاء المغمورين الذين هم أحوج إليه من غيرهم، فيقدمهم إلى القراء وبذلك يمهد لهم طريق الشهرة.

وإلى جانب الأحكام المعللة لاحظنا وجود أحكام عامة لا شأن لها بأي تفسير أو تعليل على عادة نقاد عصره، فيقف مثلا عند أشعار ربيعة الرقي محددا الغرض الذي أجاده الشاعر (الغزل) مكتفيا بذكر سبب عام لهذه الجودة، وبناء على هذه الأحكام العامة عدّه الدكتور إحسان عباس ناقدا انطباعيا تأثريا[٢٠].

لكننا لاحظنا ، كما رأينا سابقا، وجود أحكام معللة، يذكر فيها مواطن الجودة واسبابها لذلك ظهرت لديه الموضوعية إلى جانب التأثرية في رأينا.

وخير دليل على اتزانه النقدي اتباعه منهج المقارنة بين الشعراء ، فمثلا قارن بين الحسين بن الضحاك الباهلي وأبي نواس ، يقول عن الضحاك «وله أشعار كثيرة، وهو أحد المفتنين في الشعر، جيد المدح جيد الغزل ، جيد الهجو، كثير المجون ، صاحب جد وهزل، وهو عندهم في بحار أبي نواس، بل هو أنقى شعرا، وأقل تخليطا منه». وهو حين يقارن بين أبي تمام والبحتري يذكر قول البحتري في هذا المجال «جيده خير من جيدي، ورديي خير من رديه» فيرى أنه قد أنصف في هذا القول لأن «البحتري لا يكاد يغلط لفظه، وإنما ألفاظه كالعسل حلاوة، فأما أن يشق غبار الطائي في الحذق بالمعاني والمحاسن فهيهات بل يغرق في بحره، على أن للبحتري المعاني الغزيرة، ولكن أكثرها مأخوذ عن أبي تمام ومسروق من شعره»[٢١].

يحاول هنا، أن يبدو موضوعيا في حكمه على أبي تمام، رغم حماسته له، فلا يذكر مزاياه صراحة، وإنما يبين مزاياه بلسان خصمه (البحتري) الذي يعترف بأن الشعر الجيد لدى أبي تمام أفضل من شعره الجيد، وأن شعره الرديء أفضل من رديء أبي تمام، وبما أن مقياس الجودة في الشعر هو الحكم الذي يرفع الشاعر أو يخفضه، فإن الناقد ابن المعتز والشاعر البحتري يقرّان بفضل أبي تمام.

وابن المعتز لم يكتف بهذا المدح بل نجده يبين أن البحتري قد سرق معانيه من أبي تمام، وبذلك يسلب البحتري كل مزية ليلحقها بأبي تمام، وهنا نلاحظ إفراطا في الحماسة لأبي تمام، الذي كان قد ذمه في رسالته التي تحدث فيها عن محاسن أبي تمام ومساوئه، فضاع القسم المتعلق بالمحاسن وبقي القسم المتعلق بالمساوىء، كما يبدو أن رسالته هذه قد ألفها قبل تأليفه كتاب «طبقات

الشعراء» إذ يبدو لنا أن موهبته النقدية حين ألفها، لم تكن قد نضجت بعد، لأننا نجده يستنكر كل ما أتى به أبو تمام من صور أو مجازات غير مألوفة، مثال ذلك قوله:

شاب رأسي وما رأيت مشيب الـ
رأس إلا من فضل مشيب الفؤاد

فيقول ابن المعتز «فيا سبحان الله! ما أقبح مشيب الفؤاد، وما كان أجرأه على الأسماع في هذا وأمثاله»!!

مع أن عبارة «مشيب الفؤاد» تحمل في طياتها إنجازا تصويريا مبدعا، خاصة بعد أن ربطت بعبارة «مشيب الرأس».

إن مثل هذا الحكم لا يمكن أن نلومه عليه، إذ من المعروف أن أحكام الناقد تتطور مع الأيام وتنضج تبعا لنضج ذائقته الأدبية وأفكاره النقدية.

ولو تأملنا طريقته في تقويم الشاعر لوجدناه يتوقف عند أبرز الشعراء في العصر العباسي، ذاكرا سند الخبر، على عادة أهل عصره في التأليف وقد يظهر الفترة الزمنية التي عاش فيها الشاعر بدقة، متحدثا عن بيئته وثقافته (مثال ذلك حديثه عن أبي نواس). وكذلك يتبع سنة عصره في الاستطراد فنجده يذكر بين أخبار الشاعر نوادر رويت عنه، وبذلك لا يمل القارئ فيضمن متابعته وهو موفور النشاط وإن ما يميز استطراده ، أنه لا يبتعد كثيرا عن موضوع حديثه، إذ يلتزم بذكر النوادر التي تدور حول الشاعر نفسه.

ابن المعتز الناقد المبدع:

صحيح أننا وجدنا لابن المعتز بعض السقطات في رسالته عن أبي تمام، إلا أننا نلاحظ في رسائله الأخرى وفي كتابيه «طبقات الشعراء» و «البديع» رهافة حسه وسلامة ذوقه ودقة ملاحظته وصواب حكمه، ولا شك أن موهبته الشعرية وثقافته المتطورة، قد ساعدت على صقل ذوقه وإرهاف حسه، واتساع أفقه في تناول الإبداع الشعري وتقويم جماله وتسليط الضوء على القبح والخطأ الذي يرتكبه الشاعر، كما أن الممارسة النقدية لابد أن تنضج مع طول الممارسة ومجالسة أدباء عصره ونقاده، وقد وصف لنا أبو بكر الصولي (وهو صديقه) أحد مجالسه قائلا «اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند أبي العباس عبد الله بن المعتز، وكان يتحقق بعلم البديع تحققا ينصر دعواه فيه لسان مذاكرته، فلم يبق مسلك من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شعبا من شعابه، وأرانا أحسن ما قيل في بابه، إلى أن قال: ما أحسن استعارة اشتمل عليها بيت واحد من الشعر [فتذاكروا عدة أبيات حتى ذكر أحدهم قول ذي الرمة]:

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى
وساق الثريا في ملاءته الفجر

فقال أبو العباس: هذا نهاية الخبرة، وذو الرمة أبدع الناس استعارة، وأبرعهم عبارة، إلا أن الصواب حتى ذوى العود والثرى لأن العود لا يذوي ما دام في الثرى»[٢٢].

حين يمتلك الناقد خيال الفنان ومنطق العالم، فهذا يعني القدرة على إنتاج نقد مبدع، لأنه عندئذ يستطيع أن يرى مالا يراه الآخرون، فلا يكتفي بوضع يده على مواطن الضعف في الشعر، وإنما نجده يعطي البديل الأكثر جمالا والأكثر دقة لاعتماده المنطق والخيال الفني معا، لهذا تمنى لو جعل الشاعر ذبول العود مترافقا مع ذبول الثرى، ولن تكون، في اعتقادنا، صورة الذبول هذه في متناول ناقد عادي لم يمارس الإبداع الشعري.

ورغم ولعه بالبديع، فإنه يرفض المبالغة في استخدامه، مما يؤدي إلى طغيان الزخرفة والتكلف على الإبداع ورقة الطبع، يقول مثلا في قول أبي تمام «خشنت عليه أخت بني خشين» وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهن ، وإنما أوقعه في ذلك محبته للتجنيس، وهو بهجاء النساء أولى»[٢٣].

فهو يلومه على استعمال كلمة «خشنت» في الغزل، لأن استخدامها في الهجاء أولى، نظرا

لجرسها الموسيقي الثقيل على الأذن ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن إنسان مرهف الحس يمتلك ذوقا رفيعا، مارس الشعر أو عاشره فترة طويلة، فخبر نواحي الجمال في ألفاظه، كما خبر مدى مناسبة اللفظة الشعرية للغرض الذي سعى إليه الشاعر، فمثلا ما يناسب الغزل من ألفاظ لا يمكن أن يناسب الهجاء.

كما تجلى ذوقه الرفيع ورقة طبعه وروعة شاعريته في تلك الشواهد الشعرية التي صنفها في كتابيه «طبقات الشعراء» و«البديع» فقدم لنا أجود الشعر وأروعه بذوق الفنان وحسه المرهف خاصة في انتقاء أبيات تميزت بجمالها الإبداعي، فيرى عبد العزيز سيد الأهل[٢٤] أن هذا الاهتمام أثر من آثار معلمه المبرد، الذي نجده قد خصص للتشبيه بابا في كتابه «الكامل»[٢٥] ولكن يمكننا أن نضيف إلى ذلك التفسير أن ولعه بالتشبيه جزء من ولعه بالفنون البلاغية الأخرى، فقد وجد أنها تضفي جمالا أخّاذا على الشعر، دون أن تكون هذه الفنون مقياس الجودة الوحيد لديه، إذ نجده في إحدى رسائله يحدد مقاييس خالدة، تصلح لكل زمان ومكان، فالأشعار الجيدة، في نظره، هي تلك «التي ترتاح لها القلوب، وتجذل بها النفوس، وتصغي إليها الأسماع، وتشحذ بها الأذهان»[٢٦].

لو تأملنا هذه الجمل القصيرة لوجدنا أنها تحيط بجميع العناصر الجمالية للشعر، فهي تقف عند الجوانب الانفعالية (إذ على الشعر أن يضم عواطف تصل إلى القارئ فتريحه بانفعالاتها وتسعده بفنون بلاغتها) كما تقف عند الجوانب اللغوية (على الشاعر أن يختار لغة ذات جرس موسيقي يستطيع جذب القارئ إليه وإمتاعه) وكذلك تضم الجوانب الفكرية (على الشعر أن يحتوي أفكارا تصقل ذهن القارئ وتزيده عمقا وفهما للحياة).

فهو يريد أن يكون الشعر غنيا بعاطفته وأفكاره وبجمالياته عندئذ يكون جديرا بثقة القارئ والناقد معا، ألست هذه سمات الشعر الخالد الذي يؤثر فينا في أي زمان ومكان؟

وقد ظهر أثر الممارسة الإبداعية في اللغة النقدية لابن المعتز، إذ وجدنا لديه لغة مرهفة وحساسة، تميل نحو التصوير أحيانا، فيقول مثلا «كان شعره أنقى من الراحة، أصفى من الزجاجة، وأسلس على اللسان من الماء العذب»[٢٧] بل نجده يلجأ في نقده، أحيانا، إلى التشبيه الذي لا يمكن أن يأتي به إلا شاعر امتلك خيالا واسعا، دون أن يتيه النقد أو تضيع أحكامه في فضاءات غريبة عن عالمه، مثال ذلك تشبيه شعر آل حفصة وتناقصه حالا بعد حال كأنه ماء أسخن لعليل في قدح، ثم استغني عنه، فكان من أيام مروان الأكبر على حرارته، ثم انتهى إلى عبد الله بن السمط، وقد برد قليلا، ثم إلى إدريس بن حفصة وقد زاد برده، وإلى أبي متوّج وقد ثخن برده، وقد جمد، فلم يبق بعد الجمود شيء[٢٨].

يتناول هنا الناقد ظاهرة الأسرة الشعرية (آل حفصة) وقد وجدناه يفلح حين اعتمد التشبيه في نقده لها، فزادت عبارته دقة ووضوحا، إذ شبّه الشعر بكأس من الماء الساخن يزداد برودة مع مرور الأيام، كما ازداد شعر آل حفصة ضعفا مع مرور الزمن، وبذلك ساعدت موهبته الشعرية ورهافة حسه على صقل موهبته النقدية وأدت إلى استخدام لغة نقدية جديدة قادرة على التعبير الدقيق، إذ لم نجده محلقا في سماء الخيال أو تائها في متاهات اللغة المجازية، وكذلك لم تؤد هذه الموهبة إلى جعله ناقدا تأثريا تطغى الانفعالية على أحكامه والحماسة في معظم الأحيان.

ولا شك أن مكانته الرفيعة في المجتمع، قد ساعدته على النقد الموضوعي دون أن يشعر بأي خوف أو رغبة لذلك نجده لا يجامل أحدا، يتسم نقده بالجرأة التي نكاد نفتقدها لدى نقادنا اليوم!

إذ لم نجده يراعي، حين نقد «أبا العبر»، النسب العريق (لآل هاشم) وقرابته للسلطة الحاكمة، ولم ير أية ميزة له رغم تخصصه في مدح العباسيين!

لذا لا نوافق على رأي د. إحسان عباس حين اتهم نقد ابن المعتز بالتأثرية، ورأى أن لمنزلته الاجتماعية أثرا في جعله يمثل دور الرعاية والعطف على الحركة الأدبية، فلم يتجاوز حدود المجاملة الاجتماعية اللائقة، كذلك فإن ابن المعتز كان ذا مذهب شعري ذي سمات ذاتية خاصة، قد تحول بينه وبين تذوق الأشعار التي تباين مذهبه، فلجوؤه إلى هذه التأثرية يسبغ عليه صفة سعة الصدر[٢٩].

لكننا لاحظنا سابقا، حين نقد ابا تمام مثلا، عدم تحيّزه لمذهب البديع لأنه يحكم ذوق الفنان المبدع الذي يبحث عن الجمال فلا يؤطر نفسه بقواعد صارمة حتى في المذهب الذي يدعو إليه.

نرجو الا يفهم من قولنا هذا أننا ننفي وجود التأثرية على نقده، فقد جمع في رأينا بين التأثرية والموضوعية، إذ لم نجده متحيّزا للمحدثين رغم أنه خصص كتابه «طبقات الشعراء» لهم، كما فعل محمد بن هبيرة الذي لم يعن إلا بشعر المحدثين، يحفظه ويحتج به ويبيّن فضله.

وكما لمسنا سابقا، لم نجده متحيّزا لفن البديع، رغم أنه ألف كتابا خاصا فيه، ورغم أنه أصبح فنا شائعا في عصره، فقد أراد أن يؤسس لهذا المذهب، ويبين أنه لم يكن من اختراع المحدثين، إذ وجد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأشعار الجاهلية والإسلامية، وبذلك كان من مؤسسي المذهب الجمالي في نقدنا العربي، كما يعدّ من مؤسسي علم البلاغة، إذ أسهم في توطيد أركانها، فكان أول من أفرد كتابا خاصا لأحد فنونها «البديع» فمهد الطريق بذلك لإنجازات عظيمة قام بها نقاد وبلاغيون أتوا بعده.

وبفضل هذه الإنجازات نستطيع أن نعد ابن المعتز أحد الوجوه المشرقة في تراثنا، خاصة في مجال النقد الأدبي.

الهوامش:

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان تحقيق د. إحسان عباس، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، ص٧٦.

(٢) محمد عبد المنعم خفاجي: رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط ١، ١٩٤٦.

(٣) محمد عبد المنعم خفاجي: «رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والبيان» مكتبة الخانجي بمصر، ط١ ، ١٩٤٩ ، ص ٢٦٩.

(٤) طه حسين: «من حديث الشعر والنثر» دار المعارف بمصر، ط٩ ، بدون تاريخ.

(٥) ابن رشيق القيرواني: «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص ٢٦٢.

(٦) عبد الله بن المعتز: «البديع» شرحه وعلق عليه محمد عبد المنعم خفاجي، شركة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط١ ، ١٩٤٥ ، ص١٥.

(٧) المصدر السابق: ص ١٠٣.

(٨) د. خالد اليوسف: «في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب» المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١.

(٩) نظير الإسلام الهندي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣ ، ١٩٨٠، ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(١٠) المصدر السابق: ص ١٧٦.

(١١) عبد الله بن المعتز: «طبقات الشعراء» تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر، دون تاريخ ص ٣٩٧.

(١٢) المصدر السابق: ص ٣٣٥.

(١٣) المصدر السابق نفسه: ص ٣٤٣.

(١٤) نفسه: ص ٩٢.

(١٥) نفسه: ص ٦١.

(١٦) نفسه : ص ١٠٨.

(١٧) نفسه: ص ١٣٤.

(١٨) نفسه : ص ١٣١.

(١٩) نفسه : ص ٢٢٩.

(٢٠) د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق والتوزيع، عمان، دون تاريخ.

(٢١) طبقات الشعراء ص ٢٨٦.

(٢٢) رسائل ابن المعتز ص ١٠ ـ ١١.

(٢٣) المصدر السابق: ص ٢١ ـ ٢٢.

(٢٤) عبد العزيز سيد الأهل: عبد الله بن المعتز (أدبه وعلمه) دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٥١، ص ٢٢٥.

(٢٥) المبرد: «الكامل» حققه محمد الدالي، المجلد الثاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، (خصص للتشبيه الباب ٤٨).

(٢٦) رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع: ص ١٤.

(٢٧) طبقات الشعراء: ص ٢٨.

(٢٨) المرزباني: «الموشح» تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر ١٩٦٥، ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

(٢٩) تاريخ النقد الأدبي: ص ١١١.

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

٨٥٨- أبو عواد:

أتألم كثيراً لكل زواج ينتهي بالطلاق.. ومع اقراري بأن بعض النساء هو لهن بمثابة الخلاص من جحيم لا يطاق.. إلا أنني أنظر لباقي الحالات على أنها نتيجة حتمية لعناد امرأة لم تحسن حسبة عواقب الأمور.

٨٥٨- أم عمرو:

اغلب حالات الطلاق تنتج عن عدم تكافؤ الزوجين عقليا أو نفسياً أو مادياً أو اجتماعياً وهذا بدوره يرجع لسوء اختيار الرجل لزوجته في المقام الأول.

٨٥٩- أبو عواد:

لا أعرف مدى صحة حجة الرجال الذين يفضلون رسم التكشيرة وامتطاء العبوس أمام زوجاتهم والمتمثلة بأن الزوجة في حالة الاستنفار هذه ستكون جد متيقظه ولكنها حجه أثبتت صحتها لدى أولئك الأزواج الذين رفعوا شعار (الديمقراطية) ببيوتهم حين وجد البعض أن زوجته أباحت لنفسها حتى التطاول عليه.. ولكن للابقاء على حالة اليقظة تلك هل من سبيل آخر غير رسم حالة متكررة من العبوس الدائم على جبين الزوج؟!.

٨٥٩- أم عمرو:

اخشى على الأزواج الذين يرسمون حالة من العبوس الدائم على وجوههم أن تتيبس عضلات وجوههم على هذا الوضع ولا يستطيعون تغييره بعد ذلك. اذا كان تبسمك في وجه اخيك صدقه فما بالك بتبسمك في وجه زوجتك أو أولادك.

٨٦٠- أبو عواد:

إنّ ألم الزوج حين يضطر إلى مد يده للصفع لا يوصف .. بل إنه أكثر ألماً من ألم المصفوعة، ولكن ماذا بوسع الزوج أن يعمل عندما يجد نفسه في موقف ينكر فيه أن التي أمامه يمكن أن تكون زوجته التي أحب من بين كل نساء الأرض!.

٨٦٠- أم عمرو:

اذا كنا ننصح الآباء والأمهات بعدم التطاول على أبنائهم بالأيدى وتربيتهم بالتفاهم والمودة فكيف يسوغ رجل لنفسه ضرب زوجته؟ اين المودة والرحمة التى هي رابطة العلاقة بين زوجين وأين الاحترام الذى هو أساس المحبة والثقة؟

٨٦١- أبو عواد:

التجديد مسألة ضرورية في الحياة الزوجية وعندما لا يجده الرجل من زوجته قد يضطره البحث عن التجديد للتفتيش عنه عند أخرى والمجال مفتوح له حتى الرابعة.

٨٦١- أم عمرو:

التهديد سلاح الخائب والتجديد مسئولية الزوجين.

٨٦٢- أبو عواد:

غيّر وبدّل البشر من أسلحتهم التقليدية على مرّ العصور والأزمان.. وظلت الدموع وما تزال هي أسلحة المرأة حتى صار لدى بعض الرجال مناعة لهذه الدموع التي يصفونها بدموع التماسيح تدليلا على تساوي الحال في وجودها من عدمه.

٨٦٢- أم عمرو:

المرأة مثلها مثل أي كائن بشري لا تفرز غددها الدمعية الدموع إلا في حالة الألم الحقيقي. قد يكون مبالغاً فيه ولكنه ألم على كل الأحوال.

٨٦٣- أبو عواد:

تحرص المرأة دائماً على جمال بشرتها وهي لأجل ذلك تسعى لاقتناء أفضل أنواع الكريمات والمساحيق التى توفر لها بشرة مثالية على الأقل في نظرها هي، وهي في هذا المسعى لا تستغنى عن عمل العديد من الأقنعة للوجه تتعدد وتتنوع موادها تنوع أطباق السلطات العربية والافرنجية، وليت اهتمامها بسعادتها الزوجية يعادل جزءاً يسيرا من ذاك الاهتمام بالظاهر وليتها تتعطر بين الحين والآخر من

بارفيوم الصبر ولو فعلت لجنبها ذلك الكثير من المشاكل التي هي في غنى عنها.

٨٦٣ - أم عمرو:

لا يوجد بارفيوم اسمه الصبر. الصبر يكون على المكروه لذا فهو مر ومؤلم وفي كثير من الأحيان تغطى المرأة وجهها بالأقنعة لتخفى اخاديد صنعتها متاعب الزوج وصبرها على مشاكله واهوائه.

٨٦٤ - أبو عواد:

الزوجة الذكية هي التي ترجيء مفاجأة الزوج ومباشرته حال دخوله بمشاكل المنزل والأولاد حتى تمهله لقط أنفاسه واطفاء جوعه أو عطشه والاسترخاء بعض الوقت حتى تجد منه الأذن الصاغية. لكن العكس هو ا لحاصل.. هذا إذا لم يكن يدلف معه إلى البيت مشكلة اكبر من مشاكلها التي تعرض عنها.. عندها ربما ويُخها على فعلتها.

٨٦٤ - أم عمرو:

ان الزوجة التى تقابل زوجها بمشاكل البيت لم تتعلم اتخاذ القرار والتصرف بنفسها قبل أو بعد الزواج والرجال مسئولون عن ذلك فالآباء يصرون على ان ترجع إليهم بناتهم في كل قرار حتى إن بعضهم يصر على اختيار الزوج المناسب لبنته بصرف النظر عن رغبتها واختيارها والزوج بالتالى يتسلط في اتخاذ القرار وعدم المشاركة فيه من جانب زوجته ثم يشكو من كونها تنتظره عند الباب بمشاكلها. علموا بناتنا كيف يواجهن المشاكل ويوجدن حلا لها منذ الصغر وستجنون الزوجة القادرة على مواجهة متطلبات الحياة بنضج ودراية.

٨٦٥ - أبو عواد:

مع الاعتذار المسبق للطرف الأخر: ان جمال المرأة يشبه إلى حد ما ألوان الطيف في الزهرة الجميلة التى تجذب الانتباه فيؤمها المعجبون الذين لا يلبثوا أن يتحوّلوا عنها عندما يتبين لهم أنها بلا رائحة ولا رحيق.. حتى الحشرات لا تستهويها مثل تلك الأزهار بل انها لا تنخدع بها.

٨٦٥ - أم عمرو:

الجمال الحقيقى نوع من التكامل والتناسق الداخلي والخارجي يكون كلا متكاملا يشعر به الإنسان اكثر من أن يراه وهو في اغلب الأحيان شيء متفرد ونسبي يختلف من شخص لآخر اما جمال الأزهار والألوان والأطياف فأعتقد انه انتهى من أيام الحراملك والسلاملك.

٨٦٦ - أبو عواد:

الرجل للمرأة : أعطنى السعادة وخذي كل ما عندي

والمرأة للرجل: اعطني السعادة وخذ كل ما عندي.

المتفرج: إما أنهما لا يملكان من السعادة ما يعطيها أحدهما للآخر وبالتالى فاقد الشيء لا يعطيه.. وإما انهما يتحاوران بلغة غير مفهومة للآخر!!

٨٦٦ - أم عمرو:

حقيقة الأمر أن السعادة شيء لا يعطى ولا يؤخذ وانما يصنع بأربعة أيد وأربعة عيون وقلبين، وكل هذه تعمل في توافق وتناغم، حتى إنك لتشعر أن كل ذلك مملوك لشخص واحد.

٨٦٧ - أبو عواد:

عندما تنعكس الآية وتصبح المرأة هي الآمرة الناهية في بيت زوجها .. فعلى الآخر أن يتسابق على وظيفة خبير في حفائظ الأطفال ليوضح للسائلات أيها يسبب حساسية للأطفال.

٨٦٧ - أم عمرو:

الأمر والنهى لا يليق بالأزواج ولا بالزوجات ومن يأمرون وينهون لا يقدرون على لغة العقل والنقاش والحوار والإقناع.

اما اعلانات حفائض الأطفال هذه فهي اسخف وظيفة تقوم بها المرأة على شاشة التلفزيون وهي واحدة من مؤامرات الرجل الذي يريد ان يظهر المرأة وكأن غاية همومها اختيار زيت القلي الذي يجعل الطعام «يقرمش» او حفاضات الطفل التى تمنع الحساسية، انني ارى هذه الإعلانات في منتهى السخف والتفاهة وارجو من كل النساء عدم شراء هذه البضائع حتى يتراجع الرجال والنساء عن وضع المرأة في مثل هذا الوضع المهين.

رسالة إلى الحبيبة

من أبي الرقعمق

* هو أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي (توفي في ٣٩٩هـ - ١٠٠٩م)
* مدح كبار الوجهاء بمصر.
* له شعر غزل عذب.
* مال إلى السخرية من نفسه في طرافة.

حبيبتي نزهة:

رحم الله والدتك حين أسمتك بهذا الاسم الحبيب إلى كل محب عاشق للجمال.. فهواك نزهة يا نزهتي .. وحبك نزهة يا نزهتي.

ماذا أقول؟ يا إلهي، أبلغني مناي وسدد خطاي فترضى نزهة عني .. نزهة التي من أجلها تركت أهلي وناسي في الشام لأحظى في قربك ولو بنفحات من عطر أنفاسك.

عندما وطئت قدماي أرض الكنانة - حرسها الله من كل سوء - سألت عن أبناء عمومتي حتى وصلت إليهم فأكرموا وفادتي وأعزوا مكانتي. وعندما سألتهم عن مقامكم وحالكم علمت أنكم تعيشون في خيام بصحراء العباسية. فقصدتكم، فلما بلغت مضربكم لم أجسر في أول الأمر على أن أقترب منه خشية أن يساء بي الظن.. وكانت لحظة من الدهشة المفراحة عندما شاهدتك تخرجين من خيمتك وقد صحبتك إحدى لداتك.. فهاجت بي الذكريات الحلوة للأيام التي كنتم فيها بأنطاكية.. فهتفت روحي للخيام وأهل الخيام فقلت:

حيِّ الخيام فإني
مغرم بأهل الخيام
بالراميات فؤادي
بصائبات السهام
أسقمنني وتأليـ
ـن لا شفين سقامي
أيام وَصْلي حرامٌ
والهجرُ غير حرام
لا عذَّب الله قلبي
إلا بطول الغرام
سُقيا لدهر تولى
بشرتي وغرامي
كأنما ذلك العيـ
ـش كان في الأحلام

حبيبتي نزهة:

واستقر مُقامي بجواركم وعشت في خيمة مثلكم، واشتغلت ببيع العطور. ولما رأيت أنني أصبحت جاراً لكم، أحببت - كما عهدتك في أنطاكية أن تعبثي بي فتثيرى لوعتي وشجوني وتعذبيني بالوعود بعد الوعود. ولذلك فعندما فوجئت بي أدهشك أنني مازلت مقيما على حبك فتمايلت طرباً وزهوا مما سمعته مني. ولكنني لمحت في عينيك وميضا من التخابث وكأنما جال بخاطرك أن تقومي بدورك القديم حين جعلتني ضحكة بين أهلي وصحابي كما أشمت بي حسادي وأعدائي.. نعم ذلك ما لمحته من بريق عينيك وارتجاف أهدابك؛ فخاطبت نفسي قائلا:

أظن ودادها من غير نية
وهل هي فيه إلا مُدَّعيَّة
فتاة لا تمل عذاب قلبي
ولا تخليه وقتا من أذيَّه
ولا ذنب له إلا التوافي
لمن في الحب ليست بالوفيّة
ويعجبني التمنع والتشاجي
من الخود المنعة الشجيَّه
فوا أسفا على حُر يعزى
أخا رزء على عظم الرزيَّه

حبيبتي نزهة:

والتقينا، ودامت أيام التلاقي، وهدأت الدموع في المآقي.. واستظل قلبانا بأفواف الحبور وضحكات السرور.. وبقينا على الوداد أمداً ليس بالقصير.

والحق أقول لك أنني سعدت دوما بلقائك. فكانت ليالينا بعيدة عن أعين الرقباء.. لا تحسب من أعمارنا لأنها استطاعت أن تنجو من الزمان الذي يفتأ يعكر صفو العاشقين ويعصف بما بين أفئدة المدلهين من وشائج الهوى فيسلط عليهم سهام الحاسدين المتلصصين فيحشرون آنافهم فيما لا يعنيهم ويتشوفون بنواظر مسمومة إلى الهناء فيتمنون زواله وإلى الوئام فيرجون اعتكاره، وإلى التعاطف فيسعون بالوقيعة لتشتيت الشمل وإحراق القلوب بنار الأسى.

وهذا ما حدث يا حبيبتي وآثرت ألا أطلعك على شيء منه حتى لا أثير وساوسك وظنونك بجيرانك وأشغل فؤادك بما لا ينبغي الانشغال به.. لكن أما وقد بلغ الوشاة منتهى غيهم فإنني لم أجد بداً من إطلاعك على ما وقع من إحدى جاراتك. فقد لمحتني ذات يوم وأنا خارج من خيمتي لبعض شأني ثم لأعرج بعدها على أبناء عمومتي

محمد عبد الواحد حجازي
مصر

فأزورهم وأطمئن على حالهم وكذلك لأتنسم بعض أخبار أهلي في الشام.. نعم، ما كدت أخرج وأسير بضع خطوات حتى استوقفتني تلك الجارة وكانت فتاة حسناء حسبت أنها تريد أن تشترى عطراً مني. فقلت لها: غداً سيأتيني من الشام عطر الياسمين فهو يليق بالجميلات الفاتنات من أمثالك. فقالت: ما لهذا استوقفتك ولكنني أريد أن أقول لك: مرآة الحب عمياء.. أما وجدت سوى «نزهة» فتحبها؟ لم لا تحب من هى أحسن منها قواما وأبهى جمالا، وأحلى عيونا، وأرشق حركة، لها حسن تدبير ويد صناع.. فهي من ثم أليق بك وبمكانتك.. فقلت لها: يا فتاتي كل شيء نصيب وسبحانه من يؤلف القلوب.. فانصرفت مغضبة أو كالمغضبة. فضحكت واستغربت في ضحكي ثم جريت وراءها حتى استوقفتها ثم قلت لها:

عاذل، كم فيه تعذليني
وكم إلى كم تؤنبيني
لو بك ما بى من التصابى
لكنت لا شك تعذريني
إن الذى أذاب جسمى
بالثغر والجيد والجفون
بدر تمام على قضيب
ركب من نغمة ولين
ما شئت من نرجس جنى
غض وورد وياسمين
عيناه تسطو على فؤادى
والموت في سطوة العيون

* وما أن أتممت كلامي حتى رشقتني بسهام الغيظ من عينيها وقد ظهر عليها الخجل المشوب باليأس والقنوط.

حبيبتي نزهة:

ثم علم أبناء عمومتي بأنني أحبك وأهيم بك، فكان منهم من لامني وأزرى على عقلي وقال إن بنات أعمامك أولى بك.. وكان منهم من بارك حبي وهنأني، وأكثر من هذا اقترحوا عليّ أن أتقدم لخطبتك.. وأكثر من هذا أيضا تطوع شيخ كبير يحترمه الجميع ويوقرونه ويعدونه عماً لهم جميعا - تطوع بأن يأتي معي إلى أبيك ليخطبك منه لي.. فشكرته ورجوته ثم دعوت له بطول العمر.

ولكنه، وهو المحنك الخبير والمجرب البصير أراد أن يستوثق من جمالك فقال لي: أهي جميلة إلى الحد الذى جعلك تهيم بها هذا التهيام. وتنشد فيها أجمل الكلام، محتملا من أجلها كل تسفيه أو ملام؟

فقلت له: يا عماه، هي أعظم مما أقول وأسمى.. آه يا عماه لو رأيتها .. آه يا عماه لو نظرت إليها لحظة واحدة إذن لتمنيت أن تعود شابا فتنافسني عليها. فضحك ثم قال: شوقتني.. كيف هي؟ فقلت:

وذى دلال إذا ما شئت أنشدني
وإن أردت غناء منه غناني
سقيته وسقاني فضل ريقته
وجاد لى طرفه عفوا ومناني
مازلت أجنى بلحظى ورد وجنته
وأستغير على تفاح لبنان
الله يعلم ما بى من صبابته
وما عليَّ جناه طرفه الجاني

وهنا قال لي عمي: لا لوم عليك يا بنى في حبك ولسوف أخطبها لك من أبيها.. قم بنا. وجئنا إلى أبيك فرحب بنا أيما ترحيب. فلما دخلنا في موضوعنا وعرض عليه عمى ما جئنا بشأنه تربَّد وجهه وزاد سواداً على سواد وكأنما ركبه شيطان مريد.. ثم رفع صوته قائلا: إن ابن الرقعمن طائش أحمق، سل من يعرفونه ويصادقونه ولسوف تتأكد من صدق ما أقول.. فكيف آمن على ابنتي من حمقه؟ عندئذ انبريت لأبيك كالفارس الجسور وقلت له: صدقت يا أبا نزهة، إنني كما تقول وأفتخر واعتز بطيشي وحمقي:

قد عشت دهراً أعول عقلى
والناس إذ ذاك يبعدوني
فمذ تحامقت قد كساني
حمقى وقد عالني جنوني

فقال لى عمي: يا بنى، ما هكذا يكون السلوك الجميل والأدب المحمود.. إنما العقل فضيلة والحمق رذيلة.. فقلت له:

أستغفر الله من عقل نطقت به
مالى وللعقل ليس العقل من شانى

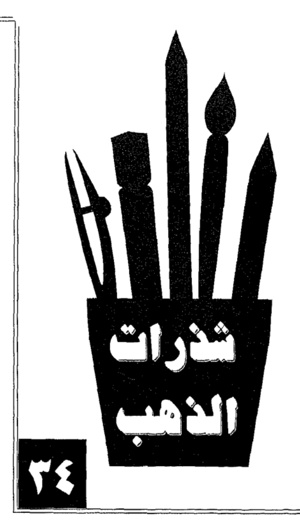
* فيئس منى عمى وتركني..

حبيبتي نزهة:

لا يحزنك ما قلت فلسوف أتعاقل لأبيك حتى أفوز بك ذلك لأنني أدركت بل أيقنت أنك تحبينني حقا لا رياء ولا تعابثا. ودليل ذلك أنك شكوت أباك لأعمامك وأخوالك، وعماتك وخالاتك من سوء فعله وتحجر قلبه وقلة حنكته.

وها أنت اليوم تقاسين ضنى الحرمان من حبى ووصالي.. فنعم الحبيب أنت:

باح وجدا بهواه
حين لم يُعْطَ مناه
مغرم أغرى به السقـ
ـم فما يُرْجى شفاه
كاد يخفيه نحول الـ
ـجسم حتى لا تراه
لو ضناً يخفيه عن العيـ
ـن لأخفاه ضناه



٢٠٣ ـ الملك لير:

أراد شكسبير أن يُصوّر العقوق والغفلة معاً في أبرز مظاهرهما، فاتخذ من قصة الملك لير نموذجاً مجسدا لما يريد، حيث كانت له بنتان تتملقانه، وتسرفان في مدحه بالكذب والادعاء وهو يعجب بهما، ويزداد تعلقاً بهما لكثرة ما يسمع من الثناء المفرط، على حين كانت ابنته الثالثة تقفه على الحقيقة المتجلية في سلوكه وأخلاقه، ولكن في رفق مهذب، ومع ذلك التهذيب الرقيق في الحديث عن صفات الأب الغافل وجدت منه بغضاً ونفورا لا حد لهما، فهو لا يطيق لقاءها، ولا يستمع إلى لفظ تهم أن تنطق به، وزاد بغضه لها فقسّم أمواله على أختيها وحدهما، في حياته، على أن تقوما برعايته وتوفير أسباب الراحة له، وأصر على حرمان الثالثة، ولكن لم يمض أمد قريب حتى وجدت الفتاتان أنهما بعد أن نالا ما يطمعان فيه من الثراء، ليستا في حاجة إلى أبيهما، وأن وجوده في الحياة أصبح يكلفهما بعض ما ينعمان به من خيره، فضاقا به ذرعا وعملا على طرده ـ وهو ملك سابق لا يملك النفوذ الباطش ـ وقد تفرق عنه المزلفون من أصدقائه حين فرغ من الجاه والسلطان، ورأى الملك نفسه جائعاً مسكينا لا يقدر على قضاء حاجاته الضرورية فرحل إلى ابنته الثالثة التي حرمها حقها الطبيعي في ماله، وكانت قد تزوجت من إنسان موسر كريم فاستقبلته أحسن استقبال، وقدمت له ما يريد من رغد ورفاهية، ولكنه حرضها على منازلة أختيها كي تأخذ منهما بعض ماله، فينفعه في ساعة العسرة، واضطرت إلى إجابة رغبته، فدبر لها الأختان مكيدة قضت على حياتها، وامتد بلاؤهما إلى الوالد المسكين فذاق حتفه بأيدي الغدر والعقوق.

د. أبو حسام ـ المنصورة ـ

إن النموذج الذي صوره شكسبير

يتجلى فى صور شتى من صور الحياة، صور حقيقية لا مبالغة فيها ولا إغراق، والعقوق كريه بغيض، وهو أشد بغضا حين يكون من الابن نحــــو والده الذى تعهده بالتربية حتى أصبح رجلا ذا شأن، أو نحو الأم التى عاشت فى سبيله ما عانت ثم لم تجد غير الجحود والنكران.

٢٠٤ ـ مثقف كبير:

يقـول الأسـتـاذ على الطنطاوى في بعض صوره التى كتبها بالرسالة تحت عنوان (مائة صورة من الحياة): أخبرنى صديق لي من جلّة العلماء قال:

كنت أتولى المدرسة الخيضرية، وهى من المدارس القديمة في دمشق، فجاءني ذات يوم شيخ هرم عليه ثياب أخلاق، وعمة بالية، فأقبل على استحياء يسألنى عملا صغيرا جدا في المدرسة، وظيفته خمسة أرغفة في اليوم، فأعطيته الذي يريد رحمة به، ولم أسأله عن نفسه حتى مرّت أيام، فأخبرني أن له ابنا، ولكن ابنه يعرض عنه وينكره، فعجبت من ذلك، وقلت له: من هو ابنك؟ فقال: فلان. فلما سمعت الاسم صعقت وعدت أسأله:

فلان! الأسـتـاذ الكبـيـر صـاحب الشـهـادات الكبرى من أوربا، والمنصب اللامع!

قال: نعم ، هو والله ابنى، ولقد أنفقت عليه مالى وشبابي، فلما صار شيئا جزانى شرّ الجزاء، وجعل مكافأتي الإنكار والاحتقار، واضطرنى إلى سؤال الناس، وإراقـه مـاء وجـهي في رغـيف الخبز.

فقلت سأكلّم ابنك لأنه صديقي، فقال الأب: لا تفعل، سألتك بالله، فلو علم أنّي أخبرتك لضربني وآذاني، لقد حرّم عليّ أن أخبر أحداً أني أبوه.

قال صديقى الأستاذ، هذا والله ما كان، مازدت فيه حرفا ولا نقصت.

٢٠٥ ـ محسن شهير:

اعتاد بعض التجار أن يذبح ثورا كبيراً في يومى الوقفة قبل عيدي الفطر والأضحى، وأن يدعو الفقراء الذين عهدوا منه ذلك في هذين الموسمين وقد اتخذ مظهراً رائعاً، إذ يجمع أعوانه ليقف هؤلاء المحتاجون في صف طويل، تحت رعايته، حيث ينادون الأسماء ويقدمون القراطيس المملوءة باللحم والعظم، مرتلين دعوات الشكر، وعبارات الثناء، وكان صاحبنا غريبا قادما من القرية الى المدينة التى تنتشر فيها تجارته، فلا يعلم أحد شيئا عن أسرته وقريته التى نزح منها، وساعده الحظ فأصبح تاجرا ذا شأن وأصهر الى أسرة ثرية وفي يوم من أيام الوقفة خفّ إليه إنسان فحياه ولم يكن يتوقع مجيئه إذ هو من قريته التى نزح منها، وبها أمه وإخوته، فدهش الزائر الوافد لما شاهد من مظاهر الكرم الزائد، ولم يُطق أن يخفي سرا تلجلج فى نفسه، فانتحى غير

بعيد، ونادى التاجر المتكارم وأسر له هامسا فقال: سأرجع اليوم الى القرية واقترح أن تعطيني بعض هذه اللحوم لأحملها إلى والدتك وإخوتك. فتجهم وجه التاجر، وقال في غيظ: كيف تقول هذا، وأنا أرسل إليهم ما يجعلهم في أسعد حياة، فرد الزائر يقول: إن أمه اضطرت إلى الخدمة في منزل فلان لأنها لا تجد شيئا! وكثيرا ما تسألني! فسار به التاجر بعيدا، وقال له: لا تفضحني في الملأ، فأصهاري لا يعرفون لي أما، ولا أخوة، ولو كانوا يعلمون شيئا عن أسرتي الفقيرة ما تزوجت من عائلة (فلان) لقد قطعت علاقتي بالقرية جميعها كيلا ينكشف السر، وأرجوك أن تكتمه، أنا صاحب مركز وسمعة، فلا تذكرني بأيام الهوان ورجع الزائر حزينا، يتحدث بما سمع!

٢٠٦ - عاشق الفن:

أما عاشق الفن هذا فهو أوربيٌّ لا شرقيّ، تعود أن يشتري اللوحات الفنية المشهورة بأسماء الكبار من أعلام الرسامين. وقد أقام في بيته متحفا رائعاً صار موضع مباهاته، واجتمع حوله من عاشقي الفن من يحسدونه على ثروته الفنية الرائعة، ويعدونه مثالا نادرا في عشق الصور التاريخية مهما كلفه هذا العشق من تضحيات.

وقد سمع بلوحة فنية لرسام إيطالي شهير، تصور ثلاث بنات صغار وأمهن الفقيرة تحمل صغراهن، وتسحب أختيها في مشهد حزين يرسم ملامح الفاقه والعوز، وكان الثمن المقدر للوحه ثلاثين ألف دولار، وأحجم نظراؤه عن شرائها لارتفاع الثمن، ولكنه دفع المبلغ في زهو، وأحضر اللوحة لتكون موضع الحديث والمباهاة.

وقد حضر بعض أصدقائه لزيارته فشاهد أمام الباب امرأة شابة تبكي ومعها ثلاث بنات صغار، هن بناتها، فتأثر لمرآهن، وسأل الأم عن خطبها، فقالت إن صاحب هذا المنزل عمُّ بناتي، وقد ضاقت بي المعيشة بعد وفاة أخيه، فجئت راجية بعض عطفه، فلم يستمع إليّ وطردني!

فدخل الصديق الى متحف صاحبه، فوجده يعرض اللوحة الإيطالية مباهيا، ويعلن أن ثلاثين ألف دولار رخيصة هيِّنة بالنسبة لمحتواها الفني المتميز، وفاض في هذا النحى متحدثا عن روعة الملامح المصورة، ونبض الدم في الوجوه، وانكسار الشعاع في العيون، حتى كادت الأم والبنات أن يتحركن في الإطار!

فأطرق الصديق صامتا! فقال له صاحب الصورة؟ ما خطبك؟ لماذا لا تبدي رأيك موافقا أو مخالفا؟ أنا مستعد للدفاع عن وجهة نظري في تشخيص مناحي الإبداع الفني باللوحة، أليست تموج بالحياة، أليس أشخاصها ينطقون وكأنهم أحياء!!

فقال الصديق، اسمع يا صاحبي، لقد جاءتك لوحة إنسانية منذ قليل بها صورة الأم والبنات الثلاث، لوحة بعضها من دم أخيك، ولو أكرمت وفادتها وعاشت معك في منزلك ما كلفتك شيئا لا ألف دولار ولا ثلاثين ألفا! فأين إحساس الفنّان؟

فبُهتَ العمّ ولم ينطق!

٢٠٧ ـ برُّ عائشه:

لما قُتل محمد بن أبي بكر الصديق بمصر، وترك ولده القاسم وبنيته في مصر، حزنت السيدة عائشة رضي الله عنها لما نزل بأخيها من خطب، وما حلَّ بأولاده من حزن، فدعت أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر، وقالت له: لن تجلس ساعة في المدينة، وعليك أن تُسرع بالمسير إلى مصر لتحضر أولاد أخيك، ولو استطعت أن أسير لفعلتُ، فأطاع عبد الرحمن وسارع مبادرا، وأحضر الأولاد فضمتهم عائشة إلى بيتها، وتعهدتهم بالرعاية والعطف سنوات حتى استقلوا بأنفسهم.

ثم نادت عبد الرحمن وقالت له، يا أخي، لعلك وجدت في نفسك شيئا حين استأثرت بأولاد أخيك دونك، ولكنهم كانوا صغاراً، ولم أخش عليهم منك، ولكنّي خشيت أن تتأفف بهم نساؤك، وأن يضايقْنهم في غيبتك، فضممتُهم إليَّ حتى بلغوا مبلغ الفهم والعمل، وصاروا يُعبّرون عن أنفسهم لك بكل ما يجدون فخذهم إليك، وكن لهم كما كان حجية بن المضرب لبني أخيه معدان، فقد تُوفي معدان فجأة وترك أولاده دون تراث، فكانوا في عناء من عيشهم، وجلس حجية بفناء بيته ذات يوم، فرأى جارية له، تخرج ومعها قعب لبن، فناداها، وسأل: أين تذهبين بالقعب واللبن، فقالت، لليتامى بني أخيك، فليس عندهم شيء! فوجم متحسرا، ثم قام إلى إبله، ونادى راعييه، وقال اذهبا بها جميعها نحو بني أخي، وكونا تحت امرتهم، وعلمت زوجته بما كان، فغاضبته ولجَّت في الشقاق فهددها بالطلاق وقال شعرا مؤثراً هذا بعضهُ:

٢٠٨ ـ مما قال حجيّة بن المضرب:

لجـجنا ولجّتْ هذه في التجنب
ولط الحجاب بيننا والتنقب[١]
تلوم على مال شفاني مكانه
إليك فلومي ما بدا لك واغضبي
رأيت اليتامى لا تسد فقورهم
هدايا لهم، في كل قعب مشعب[٢]
فقلت لعبدينا أريحا عليهم
سأجعل بيتي مثل آخر معزب[٣]
فلا تحسبيني بلدماً إن نكحته
ولكنني حجّية بن المضرّب[٤]

الهوامش:

(١) اللط: الستر، التنقب: المخاصمة والتجنب.

(٢) الفقور: الحاجات، القعب: القدح، المشعب، المجبور بعد كسر.

(٣) أريحا عليهم: ردّا الابل عليهم، معزب: بعدت إبله عنه

(٤) بلدم، الضعيف الثقيل النفس، نكحته: تزوجته.

حول مجامع اللغة العربية ورسالتها

نشأ في هذه الأيام نقاش حول مجامع اللغة العربية ورسالتها، وتمنى الكثيرون تأسيس مجمع لغوي في هذه البلاد، مصدر اللغة العربية ومهد الفصحى والبيان، وتنبض قلوب أبنائها بالحب والإعتزاز والوفاء للغة العربية لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراث الإسلامي، وهي الأمانة الكريمة الغالية في أعناقنا، ونحرص على كيانها ورفع شأنها وخدمتها، ولقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية كما قال تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». وللغة العربية قداسة تستمدها من وحي السماء.

ومن هنا تبين أهمية إنشاء مجمع لغوي في بلادنا التي هي موطن الفصحى، ومنارة الأدب، وقلعة البيان، ومهد البلاغة، ومنطلق الشعر، ومأرز الفكر والأدب، ومهوى أفئدة العرب والمسلمين، وملتقى الأدب والشعر على امتداد التاريخ، يتلقفها كابر عن كابر.

وإن تأسيس مجمع لغوي لهو بادرة طيبة، ويدل دلالة واضحة على الاهتمام بأهم ما يجب الاعتزاز به ألا وهو اللغة العربية ذات الجمال والثراء اللغوي الغزير، فالمجمع صرح من صروح اللغة والمعرفة، وسوف يسهم في إثراء لغتنا، ويحفظها من كل دخيل وغريب، ويقاوم الغزو الثقافي المتواصل، ووسائل الهدم للغة العربية.

فاللغة العربية - أعزها الله بالإسلام وحماها بالقرآن - قادرة على استيعاب جميع ألفاظ المدنية الحديثة. ومصطلحات وعلوم التقنية العصرية، إلى جانب ما تمتاز به من ميزات خاصة، فالمجمع سوف يحقق أموراً علمية ولغوية كثيرة، ويخدم اللغة العربية والباحثين والدارسين المهتمين باللغة وآدابها وعلومها، والعودة الى أصالة الكلمة والمحافظة على دلالاتها، والابتعاد بها عن تيار التغريب وموجة العامية، وربط ماضي لغتنا المجيد بحاضرها، وتحقيق الأهداف المثلى في مضمار العلم والأدب والفكر، وتنشيط البحث العلمي والتأليف في آداب اللغة وتاريخها والآثار العلمية لعلماء اللغة.

إن الهدف هو المحافظة على سلامة اللغة، وجعلها وافية بالمطلوب، وملائمة لحاجات العصر، وإحياء التراث، ووضع المصطلحات العلمية وتيسير اللغة وازدهارها.

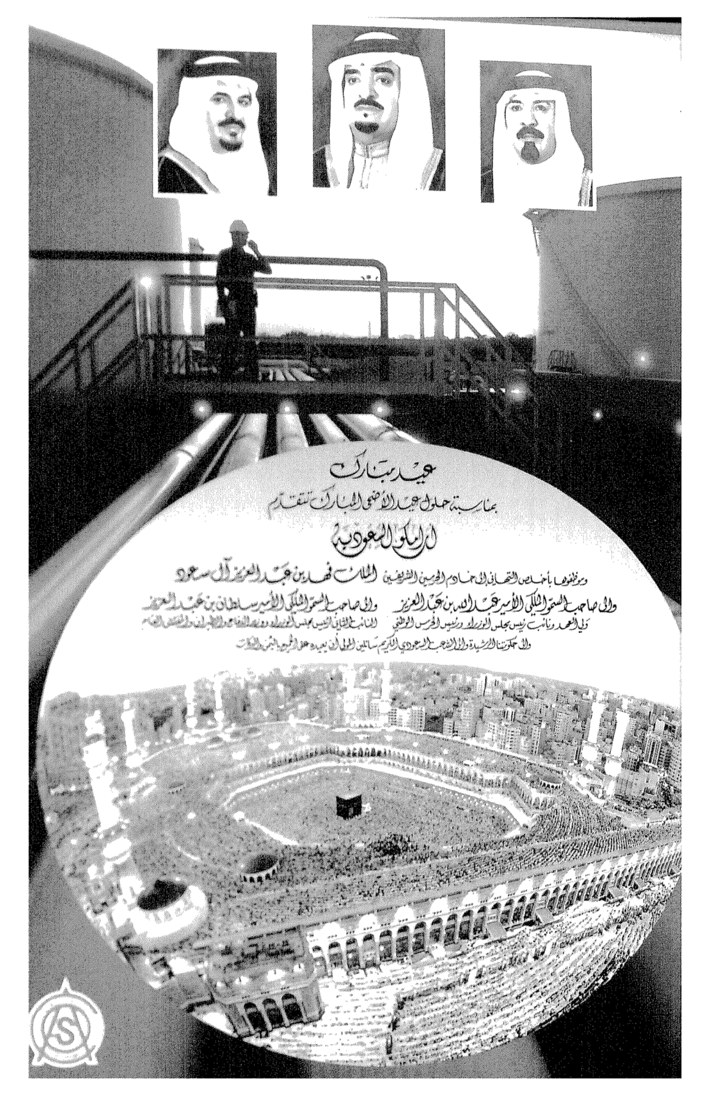
ومجمل القول: لكم يكون مناسباً قيام المجمع اللغوي للمحافظة على اللغة العربية وتطويرها، وتحقيق الأهداف المثلى في مضمار العلم، ومجال الأدب والفكر، وتنشيط البحث والتأليف في آداب اللغة وخصائصها وتاريخها، والآثار العلمية لعلماء اللغة، والمحافظة على سلامة اللغة وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون، وصوغ ألفاظ ومصطلحات لا غنى للغة عنها في عصر تقدم علمي كبير.

إن اللغة العربية تملك قدرة فذة على التعبير عن مختلف العلوم، ويشهد لها بذلك تاريخها القديم حين كانت لغة العلم السائدة عدة قرون في عصور ازدهار الدولة الإسلامية الكبرى، وإثبات قدرة اللغة العربية على مواكبة متطلبات العصر.

وبعد: فإن مجمع اللغة العربية سيكون له دور في معالجة قضايا اللغة: نحوها وصرفها وصوتياتها، وما يتبعها من مصطلحات علمية، وألفاظ حضارية، وغير ذلك مما يشغل الباحثين، ويعود بالعطاء والإثراء، ومعالجة المشكلات اللغوية، وإثبات قدرة اللغة العربية على مواكبة متطلبات العصر. ونرجو الله من وراء هذا المجمع الخير للغة العربية بكل قواعدها وآدابها، وكل فنون القول فيها، وعلى الله قصد السبيل.



بقلم:
عبد الله حمد الحقيل
- الرياض -


عيد مبارك
بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك تتقدم
أرامكو السعودية
وموظفوها بأخلص التهاني إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
وإلى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وإلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وإلى حكومتنا الرشيدة وإلى الشعب السعودي الكريم سائلين المولى أن يعيده على الجميع باليمن والبركات

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٤١) المجلد (٥٩) العام [٦٣] صفر ١٤١٨ هـ / يونيه ١٩٩٧ م

معايير الابداع في كتابة الرواية والقصة

تكامل الفكر الاسلامي

اوراق زوجية على لسان ام عمرو

امرأة تبحث في كلمات المذيع والمذيعة عما يؤنس وحدتها التى غالباً ما تكون ناتجة عن المعيشة مع تمثال اسمه الزوج

نحو نقد [illegible]

الاقليمية في النقد

قصص من التاريخ السعودي

موت الدماغ

سلاماً ملاك الموت

قراءة جديدة لنص قديم

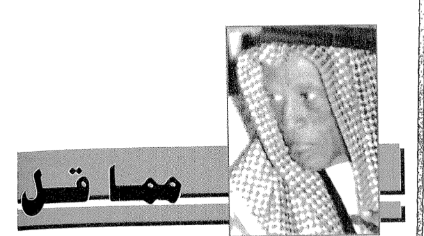
المنهل
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية
أسسها المغفور له
عبدالقدوس القاسم الأنصاري
عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:
جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:
السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:
جدة ت ٦٤٣٢١٢٤
- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



مما قل

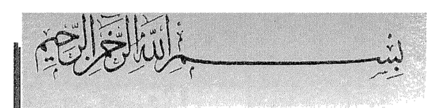
بمناسبة تقرير افتتاح الكليتين:

الجامعة السعودية

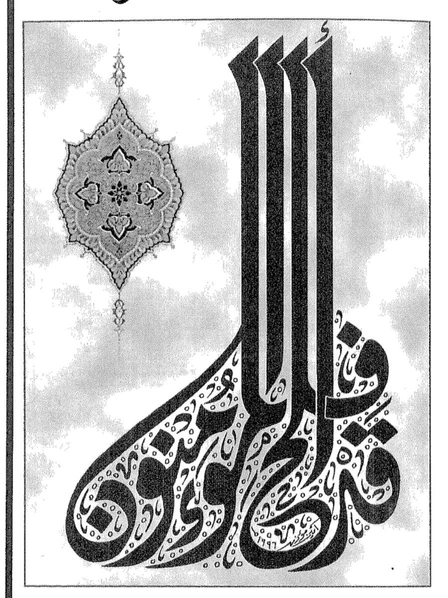
ستكون «الجامعة السعودية» اذا أنشئت - وهي في طريق الانشاء إن شاء الله ستكون علم اليقظة الخفاق، وجسر الحياة الواعية، وسلم النهضة الشامخة، وعنوان المجد الطريف، يضاف الى سفر المجد التليد، ومنهل الاصلاح الفياض، وأمل المستقبل الزاهر الوضاء.

كانت هذه البلاد ، مصدراً لنور الاسلام، ونور الاسلام هو نور الحضارة الحقة في أكمل صيغها، وأزهى الوانها؛ وأبهى حللها وأشكالها، وقد حمل ابناء هذه البلاد «مشعل» الحضارة الى أصقاع المعمورة، مُخْلصين، مُخَلصين، فاستضاء العالم، بعد حلوك ورسمت للحياة خطط قويمية جديدة، سداها ولحمتها النظر والفكر والعلم والعمل، والتضامن البشري العام، لا فرق بين عربي وعجمي الا بالتقوى، فاستراحت البشرية المنهوكة من اغلالها، ونهضت باعبائها على خير منوال.. وقد أراد الله الخير لهذه البلاد حين اذن بالعهد السعودي السعيد ان يسفر صبحه، فانتعشت الآمال، وتفتحت النفوس واذا بالجسم المنهوك الهامد يتحرك، واذا بالروح الخامدة تهب وتنشط.. وها هو الانبعاث الفكري يخطو خطوة جديدة موفقة، ويتقدم لانشاء «نواة الجامعة السعودية.. بازماع افتتاح كليتي الشريعة واللغة العربية في «أم القرى» في مستهل العام القادم.. وما إنشاء الجامعة المرتقبة - إن شاء الله - ببعيد.. وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

«عبد القدوس الأنصاري»
جمادى الآخرة ١٣٦٨هـ/ ابريل ١٩٤٩م



لقطة الشهر



إشارة

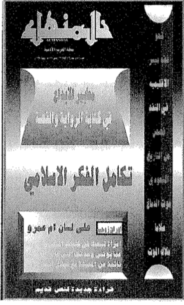
● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



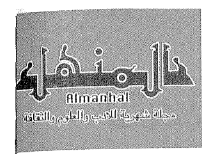
طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر – جدة
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ – فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

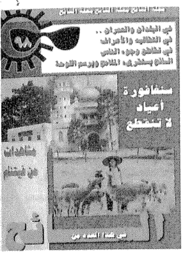
هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

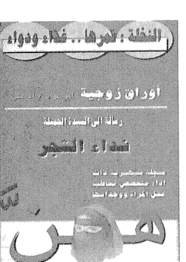


غلاف العدد



العدد: (٥٤١)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)





منهل يات

هل لنا من الأمر شيء؟!

هكذا،
جاء سؤال الشيخ، فطرياً
وطبيعياً..
جاء السؤال بعد حديث
طويل عن الارسال
الفضائي، والانترنت..
جمع من الشباب جمعتهم
ديوانية جدهم..
دهش الجد.. بل ذهل
..
مسميات من اللهو والعبث
، بل، الخلاعة.. خرقت
جدار أذنيه..
أتشاهدون كل هذا؟!
سؤال دار في داخله بكل
إلحاح..
أين مساحة الجدّ إذن..؟!
ترى من سنكون غداً؟!
لا نحن.. ولا الآخر!!
الآخر، صادق مع نفسه..
حتى في لهوه وعبثه ومجونه.
هذه حياته.. وهذا واقع حياته.
وهذه مُثُلُه.
أما نحن، فكاذبون كلّ الكذب
مع أنفسنا، ما تبعنا خطاهم..
وسرنا على نهجهم..
ذلك، لأنّا نملك غير ما يملكون،
من المُثُل والقيم والسلوك.
وفي هذا الحال، نصبح لا نحن،
نحن.. ولا نحن هم.
إذن، نحن والحال هذه، مسخ
مشوه..
ومن يرضى لنفسه أن يكون
«مسخاً مشوها»..؟!!
القوم ملكوا ناصية العلم..
لهم من العلم ما خرقوا به حجب
السماء.
ولهم من العلم ما صنعوا به
الراجمات..
وما اخافوا به العالم
واسترهبوه..
ولهم من العلم ما استنسخوا به
البشر.
كلّ هذا،
ونحن لا يشدّنا من أمرهم إلا
السواقط..
أو دندنات مشوّهة ظَلَّنَا عاكفين
عليها..
ولم يعدْ لنا من الأمر شيء!!!

«نبيه الانصاري»

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٦ وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ الشريفية للتوزيع/ الدار البيضا ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ ابوظبي ٤٤٦٥٠٠ دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د م م/ الكويت ٢٤٢١٤٦٨ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

فهرس العدد ـ ٥٤١ ـ المجلد: ٥٩ ـ العام: ٦٣

في هذا العدد

الفهرس

أقلام:

د. يوسف القرضاوي
د. محمد عمارة
أ. أنور الجندي
د. ابراهيم السامرائي.
محمد المنصور الشقحاء
د. محمد على البار.
د. عمر بن قينة
أ. محمد العربي الخطابي.
د. محمد رجب البيومي.
د. عبده بدوي.

أول الغيث

الانطلاقة المباركة من قصر المربع

الثقافة والفنون في العام الجديد:

** الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، على مدى ربع قرن من الزمان اكتسبت من الخبرة ما جعلها أدق أداءاً، وأوفر عطاءاً.

باشراف صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب، وبدعم سخيّ من أجهزة الدولة، المختصة استطاعت هذه الجمعية الوقوف قمة شامخة في ميدان بلورة الحركة الثقافية والتراثية في المملكة العربية السعودية.. ووصولا للأفضل والأجود فقد وضعت خطتها لتنشيط الحركة الثقافية والفكرية والفنية، لهذا العام ١٤١٨هـ، وتشمل مجموعة من الندوات والمحاضرات والأمسيات والمسابقات الثقافية، إلى جانب النشاط المسرحي.


صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد

هذا إلى جانب تنظيم الاجتماع الأول للملتقى الثقافي العام ومجموعة من المعارض الفنية والثقافية في داخل المملكة وفي مجموعة من الدول العربية والغربية.

وفكرة المعارض هذه تأتي كجانب تنويري، بغرض ايقاف الآخرين على ما وصلت إليه المملكة العربية السعودية من تقدم ونموٍّ وازدهار في كل مجالات التنمية من ثقافية وفكرية وعمرانية وبشرية.. وغيرها.

قبل قرن من الزمان، كانت الانطلاقة المباركة من هنا، من قصر المربع.. من هذا القصر كان تأسيس كيان (المملكة العربية السعودية)، وقيام أمة كاد الجهل والتخلف في ذلك الزمان يقضي على أركانها.

على هدى من كتاب الله سبحانه وسنَّة رسوله {صلى الله عليه وسلم}، وتراث السلف الصالح، جاءت نهضة هذا الكيان الكبير، والمسأله ليست انشاء دولة فحسب، بل المسألة نفض الغبار عن عطاء حضاري ضخم كان المركز الأساسي لسلف هذه الأمة.. من قصر المربع كانت البداية المباركة على يد الملك عبد العزيز بن سعود - طيب الله ثراه -


صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز في افتتاح مشروع تطوير قصر المربع

ووفاء لهذا التراث الخالد، وابقاء لقراءة دائمة عبر الأجيال فى ذاكرة التاريخ لهذه الأمة قام صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض - رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض - بالاشراف على بدء تنفيذ مشروع تطوير منطقة قصر المربع.

والمشروع اضافة الى قيمته التاريخية في ذاكرة الاجيال فانه يمثل مركز عام وثقافة، ومرفقاً مهماً للدراسة والبحث العلمي فى الآثار والتاريخ الحضاري لهذه الامة.

فى هذا المربع سوف ينشأ المتحف الوطني للمملكة العربية السعودية، ودارة الملك عبد العزيز، ومبنى الوكالة المساعدة للآثار والمتاحف، ومبنى العروض التقنية. إلى جانب المباني المساعدة الأخرى.. وهذا المشروع يوافق الانتهاء منه مرور مئة عام على قيام المملكة العربية السعودية.

الأسبوع الثقافي السعودي في المغرب

خاص بـ (المنهل) من سعيد بونوار ـ الرباط ـ

احتضنت مدينة الدار البيضاء في الفترة المتراوحة ما بين ٢٧ مارس و٢ أبريل حدثا ثقافيا مهما تمثل في فعاليات الأسبوع الثقافي السعودي الذي جاء تنظيمه في إطار علاقات التبادل والتعاون القائمة بين المؤسستين الشقيقتين: مكتبة الملك عبد العزيز العامة ـ الرياض ومؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ـ الدار البيضاء وفقا للتوجيهات الكريمة لراعيهما صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله.

الأسبوع الثقافي عرف تنظيم معرض للمطبوعات العلمية السعودية وسلسلة من المحاضرات ألقاها نخبة من أبرز الأساتذة السعوديين.. وكان فرصة لجمهور الطلبة والباحثين والمتخصصين في مجال النشر والتوزيع للتعرف على جديد النهضة العلمية والثقافية المزدهرة التى تعيشها المملكة العربي السعودية.



المشاركون فى احدى ندوات الأسبوع الثقافي



مجموعة من الزائرين لمعرض الكتاب السعودي

حضر حفل افتتاح هذه التظاهرة معالي وكيل الحرس الوطني وعضو مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية الأستاذ «عبد الرحمن أبو حيمد» ومعالي وزير الإتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة المغربية والاستاذ ادريس العلوي المدغري، ومعالي وزير الشؤون الثقافية المغربي عبد الله أزماني وشخصيات أخرى تنتمي إلى عالم الثقافة والفكر والتعليم.

وقال الأستاذ عبد الرحمن أبو حيمد بأنه سعيد بالإلتقاء في هذا الأسبوع الثقافي السعودي بالأشقاء المغاربة بعد أيام معدودات من انتهاء المعرض المغربي للكتاب الذي نظمته مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء بجناح مكتبة الملك عبد العزيز العامة في المهرجان الوطني الثاني عشر للتراث والثقافة «الجنادرية» وبعد أقل من عقد من الزمان على تنظيم معرض الكتاب السعودي بالمغرب والذي شكل باكورة تعاوننا الثقافي والعلمي وتجربة فريدة ساهمت فيها هاتان المؤسستان العلميتان اللتان

ساعدتا في بناء جسور التعاون والتبادل بين المشرق والمغرب.

وأكد الأستاذ (عبد الرحمن أبو حيمد) أن الأسبوع الثقافي السعودي بالمغرب، يمثل إطلالة الجمهور المغربي على المنجزات السعودية في الميادين كافة ويعكس بحق التطور الهائل الذي تشهده المملكة العربية السعودية، كما أنه جاء ليحقق أماني طالما عبرت عنها هيئات عربية وإسلامية وطالب بها باحثون ومثقفون من مغرب العالم العربي والإسلامي ومشرقه.

وأوضح الأستاذ ادريس العلوي المدغري أن المغرب يولي أهمية قصوى لهذه التظاهرة الثقافية التي تجسد بشكل جيد متانة علاقات التعاون بين المملكتين المغربية والعربية السعودية في مختلف الميادين وروابط الصداقة التي تجمع بينهما.

إن مثل هذه اللقاءات تساهم في تعميق الروابط وإبراز المؤهلات التي تزخر بها الأمة الإسلامية على المستوى الثقافي والحضاري ومبرزاً كذلك أن الإعلام يساهم بقسط وافر في التعريف بمؤهلات كل طرف وتسهيل تبادل المعلومات ومواجهة التحديات.

وأشاد السيد الوزير بالعمل الذي تقوم به هاتان المؤسستان الأستاذ «عبد الله أزماني» قال في مداخلته: «قبل أيام معدودات احتفلنا بتوقيع اتفاق تعاون يشكل الإطار العام لرسم خطوات منهجية على طريق سيرورة ثقافية تستمد العون وتحظى بالرعاية والإسناد من لدن الأخوين العاملين جلالة الملك الحسن الثاني وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظهما الله لإقامة صروح العلم والعرفان بين الجامعات والأكاديميات والمعاهد والمكتبات ومراكز البحوث. وما «جامعة الأخوين» المتربعة على سفوح «إفران» إلا الدليل الساطع والبرهان القاطع على ترجمة كلمة التعاون بين عاهلي المملكتين إلى فعل ناجز ومثمر.

وقال الاستاذ «الفيلالي أنصاري» مدير مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء إن الأمة الإسلامية هي أكثر الأمم احتفاء بالكتاب وبتكريم العلم والعلماء كسلوك راسخ في حضارتنا وقيمة رفيعة من القيم التي حث عليها ورفع من شأنها تراثنا العربي الإسلامي.

وطيلة الأيام السبعة من عمر الأسبوع توافد على معرض المطبوعات السعودية مئات من الطلبة والباحثين والأساتذة والعلماء للتعرف على جديد الإبداع السعودي في شتى ميادين الفكر في حين تابع الكثيرون مجمل المحاضرات التي عرفها الأسبوع، وكما كان منتظرا، فقد حققت هذه التظاهرة الثقافية الناجحة ما كان مسطرا لها. حيث كان الهدف من تنظيم هذا الأسبوع:

- المشاركة في تعزيز الجهود المبذولة لتنمية التكامل الثقافي العربي وتجاوز العوائق المختلفة التي تقف في وجه عملية توزيع المطبوعات العلمية العربية عبر مختلف أقطار العالم العربي، وذلك عن طريق تقريب جمهور القراء والدارسين وكذلك المهنيين سواء المكتبيين أو المهتمين بشؤون النشر والتوزيع، مما يتم إنتاجه في البلدين الشقيقين المغرب (المعرض المغربي بمناسبة مهرجان الجنادرية) والسعودية (معرض الدار البيضاء) حيث تشكل آلاف المؤسسات المتنوعة المعروضة شهادات وعلامات على النهضة العلمية المتواصلة التي يعرفها البلدان.

- المساهمة في تنمية وتوطيد الصلات العلمية والثقافية بين المملكتين السعودية والمغربية من خلال إحداث فرص الإلتقاء والتحاور بين الباحثين والمثقفين المنتمين للجامعات ومراكز البحث في كلا البلدين.

وتميز معرض الكتاب السعودي بمشاركة أزيد من خمس وعشرين مؤسسة علمية جامعية وهيئة حكومية وناشرين قدموا أكثر من ٢٠٠٠ عنوان في مختلف المجالات العلمية.

المحاضرات:

وتميز الأسبوع الثقافي السعودي كذلك بإلقاء محاضرات قيمة سلطت الأضواء على جوانب من التراث والفكر بالمملكة العربية السعودية.

وكانت محاضرة: «جهود الجامعات السعودية في مجال تحقيق التراث ونشره» للأستاذ «محمد بن عبد الرحمن الربيع» هي أولى المحاضرات التي ألقيت خلال هذا الأسبوع وقد تناول فيها الأستاذ المحاضر عناصر كالمادة التراثية في مناهج المرحلة الجامعية وأقسام الدراسات العليا التي تخدم التراث واتجاهات تحقيق التراث في

الجامعات السعودية إضافة إلى عرض مفصل لجهود الجامعات في تحقيق التراث ونشره وكذا جهود الأساتذة السعوديين في نفس المجال.

وناقش الأستاذ «عبد العزيز بن سليمان الطرباق» وهو أستاذ بقسم الهندسة المدنية في جامعة الملك سعود موضوع «أزمة المياه في العالم العربي» من حيث المشاكل الرئيسية التي تعيق هذا القطاع وأسباب نشوء الأزمة وأعطى عرضا شاملا للموارد المائية المتاحة وقدم توصيات واقتراحات كذلك.

وتحدث الدكتور «عبد الله آدم نصيف» في المحاضرة الثالثة والأخيرة في هذا الأسبوع عن «ذاكرة التاريخ: آثار العلا ومدائن صالح (الحجر) وانطلق في محاضرته من جانب التعريف بهاتين المدينتين اللتين تقعان في شمال غرب المملكة العربية السعودية على بعد حوالي ٣٥٠ ميلا شمالي المدينة المنورة في واد خصيب وغني بالموارد المائية، تحف به الجبال الرملية الحمراء من الجانبين الشرقي والغربي، وهو «وادي القرى» المشهور في كتب التاريخ والأدب العربي. وقد هيأته الطبيعة وموقعه المتميز ليكون مركزا تجاريا وحضاريا مهما على طريق التجارة العالمية في شمال شبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام، فأصبح بوابة الشمال إلى الجنوب وبوابة الجنوب إلى الشمال حيث تعبره القوافل الضخمة المحملة بالسلع التجارية الثمينة وعلى رأسها البخور والتوابل من الهند وشرق افريقيا وجنوب



معرض الكتاب السعودي في الرباط

الجزيرة العربية إلى أسواق الشام والعراق ومصر وما وراءها من بلاد اليونان والرومان، فأصبح «وادي القرى» بذلك نقطة التقاء حضارات وادي النيل وبلاد الشام ووادي الرافدين وجنوب الجزيرة العربية وقال الأستاذ المحاضر إن: «هذا المركز التجاري والحضاري الذي تمتعت به العلا ومدائن صالح (الحجر) في العصور القديمة قد ساهم في بناء حضارة عربية راقية لا تقل عن حضارات المراكز والمدن الأخرى في الشرق الأدنى والعالم القديم، وما نشاهده اليوم في العلا ومدائن صالح (الحجر) من فنون النحت والزخرفة، والطرز المعمارية والهندسية البديعة المتمثلة في الواجهات الصخرية العجيبة التي يقف المرء أمامها مشدوها إلا انعكاس لما وصل إليه الفنان والمهندس العربي من قدرة على الإبداع والإبتكار أهلته لإحتلال مكانة عالية بين الحضارات العالمية.

هذا إلى جانب الشواهد الحضارية الأخرى التي تركها لنا أولئك الأقوام السابقون، الذين عاشوا على أرض المملكة العربية السعودية ذات التاريخ العربي - من محاريب وتماثيل. ومعابد ومنازل وأنظمة ري متطورة بنيت تحت الأرض وفوقها.

وأضاف الأستاذ «عبد الله آدم نصيف» في محاضرته: «أن الشواهد الحضارية في وادي القرى لا تقتصر على آثار العلا ومدائن صالح (الحجر) بل هناك موقع يسمى حاليا «المابيات» وهو موضع مدينة «قرح» مركز وادي القرى في العصور الإسلامية المبكرة والتي وصفها المقدسي في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أنها المدينة الثانية في الحجاز بعد مكة وقال عنها أنها بلد شامي مصري عراقي حجازي. وذلك لمكانتها كمركز تجاري وحضاري في شمال غرب الجزيرة العربية، مما يدل على استمرار وادي القرى في لعب الدور الحضاري الذي لعبه في عصور ما قبل الإسلام.

وقد صاحب هذه المحاضرة عرض كامل بالصور للآثار المبنية والمنحوتة الثابتة والمنقولة بواسطة الشرائح (السلايدات).

خاص بـ (المنهل) من سعيد بونوار - الرباط -

الإسلام والمسلمون في أوروبا



المشاركون في ندوة (الصحوة الاسلامية)

قضية (الإسلام والمسلمون) في أوروبا أصبحت من القضايا الساخنة التي فرضت نفسها على الساحة الفكرية والعلمية في أوروبا.. وستظل كذلك لفترة ممتدة من الزمن.

وسبب ذلك يرجع إلى: ازدياد عدد المسلمين في أوروبا، وازدياد وتطور حاجياتهم الدينية والتعليمية والتربوية والفقهية.

ثم يرجع الأمر أيضاً الى التحديات التي يواجهها الاسلام والمسلمون في أوروبا حسب معطيات ومجريات الحياة الحديثة، مما أفرز واقعا جديداً يتحتم على المسلمين من علماء ومفكرين دراسته والتشاور حوله.

ومشاركة من (جامعة الصحوة الإسلامية) في المغرب، لدراسة هذا الموضوع ذي الأهمية الدينية، عقدت ندوة (الاسلام والمسلمون) في أوروبا.

ومن توصيات هذا المؤتمر.

- ترشيد الصحوة الاسلامية حتى لا تحيد عن تعاليم الاسلام.
- تكثيف تأسيس المراكز والمنشآت الإسلامية في اوروبا لخدمة المسلمين هناك، تعليما وارشاداً وتوجيها.

ايجاد أرضية أخلاقية سليمة تهدف إلى تهيئة مناخ اجتماعي صحي يلتقي حوله شباب المسلمين في مهاجرهم.. ضرورة انشاء قناة فضائية اسلامية تبث ارسالها باللغات الأكثر انتشارا في العالم.

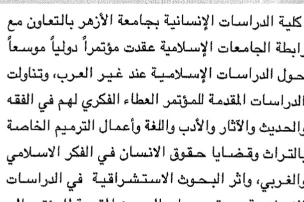
المؤتمر الثالث عشر للاندية الادبية:


صاحب السمو الملكي
الأمير فهد بن سلطان

في مدينة تبوك ، في شمال المملكة العربية السعودية، وباشراف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان، وبمشاركة رؤساء الاندية الأدبية وجمهرة من المهتمين بالثقافة ومعطياتها أفتتحت أعمال المؤتمر الثالث عشر للأندية الأدبية... والمؤتمر يمثل قراءة دقيقة وجادة للمعطيات الثقافية والفكرية للاندية الأدبية خلال عامها المنصرم، وتقييم هذه المعطيات، وبالتالي تحديد التوصيات للعام القادم، وهذه تمثل رؤية ثقافية فكرية مستقبلية.

كل هذا يأتي من خصوصية المنطلق الثقافي والفكري للمملكة القائم على خصوصية الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، والعربية التي تمثل الوعاء الأوسع لكل الناتج الفكري والمعرفي للمملكة.

مؤتمر الدراسات الإسلامية:



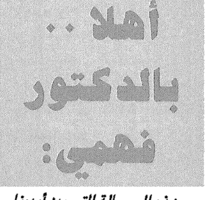


د. عبدالله بن عبدالمحسن   د. احمد عمر هاشم

كلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية عقدت مؤتمراً دولياً موسعاً حول الدراسات الإسلامية عند غير العرب، وتناولت الدراسات المقدمة للمؤتمر العطاء الفكري لهم في الفقه والحديث والآثار والأدب واللغة وأعمال الترميم الخاصة بالتراث وقضايا حقوق الانسان في الفكر الاسلامي والغربي، واثر البحوث الاستشراقية في الدراسات الإسلامية.. وقد وصلت البحوث المقدمة للمؤتمر إلى أربعين بحثاً.

شاركت في هذا المؤتمر ثلاث جامعات سعودية (أم القرى - الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية).

وافتتح اعمال المؤتمر شيخ الأزهر، والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي رئيس رابطة الجامعات الاسلامية والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر.



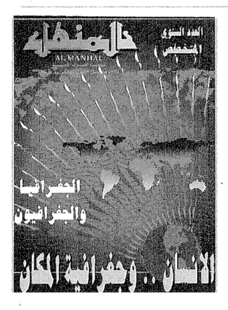
مراجعه إلا [illegible] من أصدقائي [illegible]: عاتب على مجلتنا الغالية
المنهل أن يفوتها وهي تستشير هذا الاستشارة لمثل هذا العدد السنوي
المتخصص بالكشوف الجغرافية (الجغرافيا والجغرافيون) دون المرور أو حتى
الإشارة بالإصدارات العلمية الرئيسية في هذا الميدان وخاصة كتابنا
الذي يعد على تواضعه أول دراسة شاملة في موضوع الكشوف الجغرافية
في العالم الجديد، وهذا كان بفضل الله وتوفيقه، إنني أستطيع أن
أتلافى بمجلتكم العريقة هذا القصور، في إعطاء الكتاب حقه من التنويه
وإنني أسعد أن يراجعه أي متخصص أمين ويعطي رأيه العلمي فيه
وما زلت وسأبقى أقدر كل التقدير جهدكم المخلص [illegible]
[illegible] الفاسحة والشامخة على كل الأصعدة،

هذه الرسالة التي بين أيدينا من الأخ الأستاذ الدكتور فهمي مقبل، ونشكر له اتصاله الهاتفي، وكتابته هذه الرسالة لمجلته المنهل.

إن ذهبنا مع مقولة (الأسلوب هو الرجل) فنرجو ألا نكون قد ذهبنا شططا.. وحسب أستاذنا الدكتور فهمي أنه قد شط به القول في رسالته، إذ كان عُتْبه على المنهل (جارحاً) - هذا إن أسميناه عُتْبا لأنه قد تجاوز العتب الى مالا نود تسميته.

في شهر شوال من العام الماضي ١٤١٧هـ، أصدرت المنهل عددها السنوي المتخصص (الجغرافيا والجغرافيون).

ومن عادة المنهل في إصداراتها السنوية المتخصصة أن تستشير عدداً من أصحاب التخصص في مجال الاصدار الذي توده، وكان أن أشار علينا أصحاب التخصص في علم الجغرافيا باستكتاب مجموعة (أسموها) من أساتذة الجغرافيا في الجامعات على مستوى العالم العربي، وبكل



أسف لم يكن من بينهم أستاذنا الكريم الدكتور فهمي مقبل..!! وحقيقة، لا ندري لِمَ غفلوا عن ذكره بين هؤلاء الأكارم؟!! الأستاذ الدكتور فهمي مقبل له كتاب بعنوان (دور العرب في اكتشاف العالم الجديد).. الكتاب في (١٠٧) صفحة - إضافة الى (٤٠) صفحة (هوامش - ومراجع ومصادر، وفهارس عامة).

أستاذنا الدكتور فهمي يجدُ على المنهل في شيئين:

أولا: عدم علم القائمين على أمر المجلة بهذا الكتاب.

ثانيا: أن ما كتبه الأستاذ خالد عزب في هذا العدد يُعدّ (سَقْطَ متاع) حسب تعبير الدكتور.

* يقول الدكتور فهمي في رسالته للمنهل:

«وكم كانت صدمتي في الحقيقة أن يغيب عن علمكم مثل هذه الدراسة (يقصد كتابه دور العرب في اكتشاف العالم الجديد) الوافية، والموضوع العلمي الشامل».

ويقول ايضاً في رسالته (فإنني عاتب على مجلتنا الجادة المنهل أن يفوتها الإشارة لكتابنا الذى يعد على تواضعه أول دراسة شاملة فى موضوع الكشوف الجغرافية في العالم الجديد).

ويقول أيضاً فى رسالته: (إنني اتطلع أن تتلافى مجلتكم العريقة هذا القصور في إعطاء الكتاب حقه من التنويه).

ويقول أيضاً فى رسالته: (ونشرتم فيما نشرتم أعمالا قد ترتقي أولا ترتقي لمستوى هذه الدراسة).

الدكتور فهمي له ما يقول عن كتابه، ويصفه بما يود، ونحن لا ننقصه حقه و(كل فتاة بأبيها معجبة) كما يقولون. أما أن يصاب الدكتور بالصدمة لأن المنهل لا تعلم عن كتابه شيئاً، فإنَّا نوجه نفس السؤال في اتجاه الدكتور فهمي ايضاً.. هل يعلم الدكتور فهمي (بكل) ما كتب عن الجغرافيا والتاريخ من كتب ومؤلفات حديثة؟!!! وهذا تخصصه!

الدكتور فهمي يرمي المنهل بـ (القصور) لأنها لم تشر إلى كتابه في عددها المتخصص .. بل يرى على المنهل (تلافي هذا القصور) بالاشارة لكتابه!! معلوم أن العدد المتخصص مجال هذا الحديث لم يفرد صفحات للاشارة للكتب المتخصصة في الدراسات الجغرافية، ولم ينوه بكتاب منها.

الدكتور فهمي يقول: «نشرتم فيما نشرتم أعمالا قد ترتقي أو لا ترتقي لمستوى هذه الدراسة».

ألا يرى الدكتور فهمي أن عُجْبَهُ بكتابه قد وصل الى حد كبير مما لا نود تسميته، ولك - يا سيادة الدكتور العزيز - أن تعجب بكتابك كما تود، لكن ليس لك أن تنقص الآخرين حقهم.. وهذا جهدنا.. ولم ندَّع له الكمال والشمولية والأوحدية، إذ الكمال لله وحده.

أما انتقاد الدكتور فهمي للأستاذ خالد عزب في مقاله بعنوان (دور المسلمين في اكتشاف الامريكتين) المنشور في العدد السنوي المتخصص (الجغرافيا والجغرافيون)، فهذا موضوع علمي نحيله لصاحب الدراسة نفسه ليجيب عنه.. فقد وصف الدكتور فهمي مقال الأستاذ خالد عزب بانه (يُعدُّ سقط متاع)، ويذهب الى أن المقال مقتبس من كتابه هذا، ويقول (والمستهجن أن كيف لمثل هذا الكاتب - يقصد خالد عزب - لا يعرف عن كتابنا شيئا).

وبمراجعتنا لمقال الأستاذ خالد عزب مقارنة بما ورد في كتاب الدكتور فهمي، نجد أن المقال قد تناول ثلاث نقاط أساسية هي:

١ - محاولة خشخاش - ٢ - محاولة الفتية المغرورين - ٣ - ابن الوردي وامريكا.. ونجد أن الاستاذ خالد عزب قد كان اكثر تفصيلا في موضوعاته مع رجوعه المصادر القديمة التراثية.. في حين وردت هذه المعلومات عند الدكتور فهمي في أسطر معدودة.

وبهذه المناسبة نقول إن الدكتور فهمي في كتابه هذا قد رجع إلى (٦٥) مرجعاً منها (٢٠) صحيفة ومجلة. أى (ثلث) مراجع الكتاب من الصحف والمجلات.. والمعلوم أن الصحف والمجلات غير المحكمة لا تعتمد مراجع لبحث جاد، ولكن يمكن الاستئناس بها فقط.

أستاذنا الكريم الدكتور فهمي مقبل نتمنى له كل توفيق وسداد، ومجلته المنهل ترحب بتواصله العلمي معها.

جوائز :

من منطلق تنمية الثقافة العربية، وتكريم المبدعين، وعملا على تنشيط الانتاج الفكري في البلاد العربية، فقد أعلنت المنظمة العربية التربية والثقافة والعلوم (اليسكو) عن تقديم جائزتين:

١ - الجائزة التقديرية للثقافة العربية، وهذه مخصصة لتقدير أحد المفكرين العرب على مجموع ما ألفه وأسهم به في مجال الفكر العربي ومرتكزاته الثقافية، وقيمة هذه الجائزة (٢٥ ألف دولار).

٢ - جائزة الإبداع الأدبي العربي، مخصصة لعمل أدبي عربي متميز فى مجال النقد الأدبي .. وهذه قيمتها عشرة آلاف دولار).

ومن شروط الجائزتين:

أنه يسمح لأي ناقد عربي لم يتجاوز سن الخامسة والاربعين أن يتقدم بترشيح عمل أو اكثر من اعماله النقدية لنيل الجائزة أو أن تتقدم احدى الجهات التالية بترشيح من تراه مستحقا لها مثل الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث والدراسات والمجامع العلمية واللغوية والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات والمنظمات الثقافية والعلمية مثل الاتحادات والجمعيات والهيئات.

كما يجب أن يراعى في العمل أو الاعمال المرشحة للجائزة أن تكون متميزة بالجد والاصالة وفيها اضافة إلى المعرفة وان يكون العمل أو الاعمال منشورة خلال الخمس السنوات الاخيرة والا تقل صفحات العمل المنشور عن مائة وخمسين صفحة بالاضافة إلى ذلك الا يكون العمل قد نال جائزة من قبل.

ان يرسل مع طلب الترشيح ثماني نسخ من العمل بشرط أن يكون العمل منشوراً وخلاصة عن سيرة حياته ونشاطه ونتاجه.. وسيكون آخر موعد لقبول الترشيحات واستلام الاعمال المرشحة اول اكتوبر ١٩٩٧م.

جائزة الفقي :

الاستاذ احمد زكي يماني رئيس مؤسسة يماني الثقافية ، وجائزة مؤسسة يماني للشعر، رعت مؤخراً توزيع جوائز مسابقة الشاعر محمد حسن فقي، فى دورتها الثالثة.

وقد عقدت اعمال هذه الجائزة فى مدينة القاهرة وحضر فعالياتها وشارك فيها جمهرة من أساتذة الادب والنقد، ومن الشعراء والدارسين المتخصصين



الأستاذ: احمد زكي يماني

الشاعر. محمد حسن فقي

في مجال الابداع.. وكانت جائزة الشعر من نصيب الدكتور عبده بدوي، وقدرها عشرون ألف دولار.

وفازت الدكتورة فاطمة طحطح من المغرب بجائزة الابداع في نقد الشعر.. وضمن حواريات هذه الجائزة قدمت مجموعة من المحاضرات والدراسات منها:

- (الشعر الجديد ولغة العصر) قدمها الدكتور محمد الهادي الطرابلسي من تونس.
- (الحداثة في الشعر العربي المعاصر بين النظرية والتطبيق) للدكتور وليد القصاب من دبي.
- (قصيدة النثر بين النقد والابداع) للدكتور عبد القادر القط.
- (ظاهرة الغموض في التجربة الشعرية في العصر الحديث) للدكتور محمد أبو الانوار.
- (الرؤية في نص الحداثة) للدكتور حسن بن فهد الهويمل.

وهذه الجائزة يقوم على تقويم الاعمال المرشحة لها نخبة ممتازة من اساتذة الأدب في العالم العربي.

الأستاذ الشاعر محمد حسن فقي علم من أعلام الشعر على مستوى العالم العربي، ولا شك أن تخصيص جائزة باسم الشاعر الكبير الفقي يعد حدثاً له قيمته الأدبية والثقافية والابداعية.

وهذه الجائزة تأتي ضمن كوكبة من الجوائز الأدبية والثقافية التي يقوم عليها افراد أو مؤسسات أو هيئات حكومية في عالمنا العربي.. وهذه الجوائز تمثل تقديراً لحركة الابداع في عالمنا العربي وترعاه.

المكتبات العربية قفزة حضارية كبرى في تاريخ أمتنا، ومؤسسة علمية تشرئب بعنق طويل عبر العصور؛ لتحكي قصة العلم العربي، والثقافة الإسلامية وتراجم العلماء حينما تربعوا على عرش العلوم، وتسنَّموا مركز القيادة والسيادة في تفكيرهم ومصنفاتهم، فكانوا أدمغة متفتحة، ومدرسة علمية وأدبية للعرب، والمسلمين، والناس قاطبة، فعلماء العرب في أوج الحضارة الذهبية كانوا مفكري العالم، وأساتذته.

تحقيق مصور

المكتبات العربية .. تاريخ مجيد

ـ صورة لاحدى المخطوطات الفقهية القديمة في المكتبة الخالدية.

وإذا أردنا للنهضة العلمية أن تعود من جديد حاملة لواء الفكر والتصنيف، فلا بأس بإطلالة على الماضي المشرق، كي نعي أصالتنا، وندرك الأسس المتينة، والقواعد الراسخة؛ التي قامت الحضارة العربية على أركانها.

ومن تلك الأسس، بل من أهمها على الإطلاق:

* الاهتمام بالعلم اهتماماً لا يحول دونه أي عثرات أو نكبات؛ لأن العلم هو منشىء الحضارة، والوسيلة الأساسية لدراسة الحياة، والأحياء، والكون بكل ما فيه.

فالمعرفة طريق التقدم، والمحرك للفكر الإنساني كي يتقد، ويتوهج، فتبرز الحقائق ساطعة في حيِّز الواقع، وتنشط مناهج البحث العلمي بعد غفوتها، فتأخذ مسارها الصحيح، وصولا إلى تحريك طاقات الأمة الكامنة، وتجسيد الانتصارات تلو الانتصارات في مجالات العلوم كافة.

اعداد:
يوسف بديوي ـ سوريا ـ

وقد نفى عزَّ وجلَّ التسوية بين العلماء والجهلاء، فقال:

{قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب} (الزمر/٩).

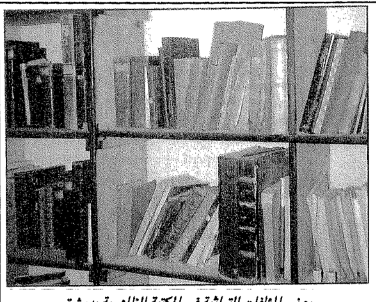
لذا أمر الله سبحانه باستشارة العلماء، وسؤالهم، وتوثيق العرى بين النهضة والعلماء، وبين المعرفة والسلوك المنضبط. قال تعالى: {فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} (النحل/٤٣).

وقد كان النداء القرآني الأول إعلانا للحرب على الأميّة، ودعوة لا تهدأ للأخذ برقاب العلم على كل الأصعدة. قال تبارك وتعالى: {اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربّك الأكرم * الذي علّم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم} (العلق/ ١ - ٥).

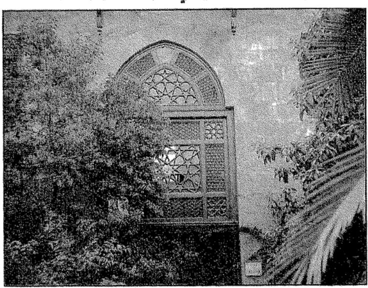
وهذا العلم واسع المدى، لا تحده حدود، ولا يقتصر على العلم الديني، بل يمتدُّ ليشمل نواحي الحياة كلها، واتصالا بالمعارف الإنسانية المتاحة. وعلى كل أفراد المجتمع أن ينحوا نحو العلم، ويتزودوا من الثقافات، وينالوا حظهم من المعارف قال [صلى الله عليه وسلم] «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة»[٢].

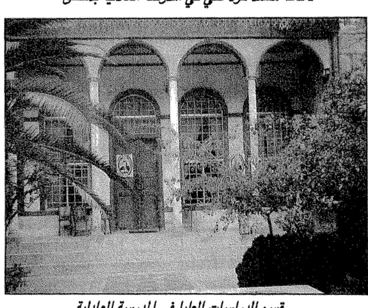
* ومتى انتشر العلم، واهتم الناس به، تولد حبٌّ الكتب عندهم، وصار ديدنهم شراء الكتاب، وتكوين المكتبات



- بعض المؤلفات التراثية في المكتبة الظاهرية بدمشق.



- قاعة محمد كرد علي في المدرسة العادلية بدمشق.



- قسم الدراسات العليا في المدرسة العادلية

الخاصة والعامة، والبحث عن الذخائر المخطوطة، وإبرازها إلى عالم النور.

وقد أدرك أجدادنا - أثابهم الله تعالى - فضيلة اقتناء الكتب، فمدحوها، وسارعوا في اصطيادها كنزاً وفيراً لعقولهم، وأسرهم.

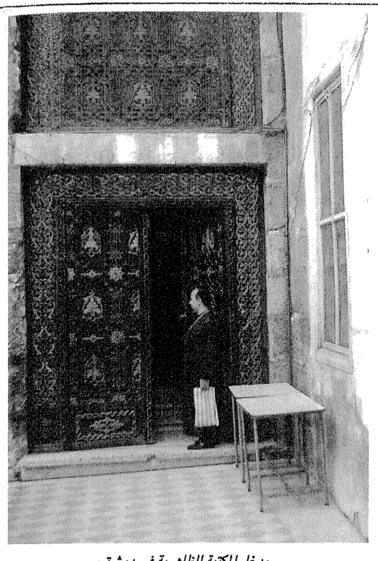
قال الجاحظ مظهراً محاسن الكتاب، ومبيناً مميزاته التي لا تُعَدُّ ولا تحصى: «نعم الجليس والعدة، ونعم العشرة والنزهة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة. والكتابُ وعاء مُلِىء علماً، وظرف حُشي ظرفاً، وإناء شحن مزاحاً وجداً»[٣].

وقديماً قال المتنبي:

أعزُّ مكان في الدُّنا ظهْرُ سابح
وخيرُ جليس في الزمان كتابُ[٤]

وحدَّث ياقوت الحموي: أن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون (ت ٦٠٨هـ) كان من المحبين للكتب واقتنائها، والمبالغين في تحصيلها وشرائها وَحُصِّل له من أصولها المتقنة ما لم يُحصِّل أحد.

ثم تقاعد به الدهر، وبطل عن العمل، فرآه ياقوت يُخرج كتبه ويبيعها، وعيناه تذرفان بالدموع كالمفارق لأهله الأعزاء، فقال له ياقوت: هوِّن عليك؛ فإن الدهر ذو دول، وقد يُسعف الزمان ويساعد، وترجع دولة العز وتعاود فتستخلف ما هو أحسنُ منها وأجود. فقال: حسبك يا بني! هذه نتيجة خمسين سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها. وهب أن المال يتيسر، والأجل يتأخر - وهيهات - فحينئذ لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلا على الفراق؛ الذي ليس بعده تلاق. قال ياقوت: ثم أدركته منيته ولم ينل أمنيته[٥].



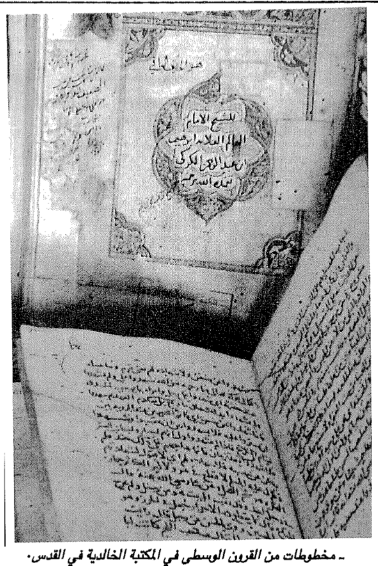
- مدخل المكتبة الظاهرية في دمشق.

وبعد هذا الحديث عن الاهتمام بالعلم والكتاب، لابد أن نصحب الكتاب العربي في مجموعاته، وتصانيفه، وتنوعه وهو ينتقل بنسخه من بيت إلى بيت، ويأخذ مكانه اللائق به على رفوف المكتبات؛ ليكون زاداً وفيراً للمطالع، وذخراً يخلفه الآباء للأبناء والجيل للجيل، في حركة مستمرة، تجعل القلب يقظاً وتدفع الفكر نحو اقتناص المزيد من المعارف والعلوم.

إنَّ إطلالة - ولو سريعة - على العصر الذهبي للأمة العربية، تتيح لنا الوقوف على كنوز الأجداد، بدءاً من عصر «الرشيد» وابنه «المأمون».

(١) لقد أسس هارون الرشيد «بيت الحكمة» فكانت مركزاً للنقل والعلم، ثم تطورت لتصبح من المؤسسات العلمية الممتازة في البحث، وخزن الكتب، والتأليف، ولتكون مركزاً للرَّصد الفلكي الذي شع نوره في عصر المأمون.

وتم تسخير الحروب للعناية بالعلم، وجلب الكتب عظيمة القيمة، وإحضار المخطوطات التي قلَّ وجود نظيرها. وكانت طريقة الرشيد في الحصول على تلك الكتب تتمُّ بأن يتجه بغزواته الى المدن المشهورة بأنها معاقل للثقافة اليونانية في آسيا الصغرى كعمورية، وأنقرة، وغيرهما. وكانت خزائن هذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة، والكتب النفيسة؛ التي كان سكان تلك المدن قد جهلوا قيمتها، ولم يعودوا يعرفون من أمرها إلا أنها مخلفات قديمة[٦].


ـ مخطوطات من القرون الوسطى في المكتبة الخالدية في القدس.

وكان «الرشيد» يُحرز النصر في هذه الغزوات، ويجعلُ من بين شروط الصلح: الحصول على الكتب التي كان يريدها، ولم يكن الرومان يبدون كبير معارضة للرشيد في الحصول على هذه الكتب[٧].

وقام الرشيدُ بتعريب تلك الكتب، على يد: يوحنا بن ماسويه، حيث قلده الرشيدُ ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقرة، وعمورية، وسائر بلاد الروم، ووضعه أميناً على الترجمة[٨].

كما عهد الرشيد إلى الفضل بن نوبخت ليشرف على الترجمة من الفارسية إلى العربية[٩].

وقد تولى ابنُ الفوطي (ت ٧٢٣هـ) كُتُب الرَّصد بهذه المكتبة بضع عشرة سنة، وظفر بكتبٍ نفيسة. وهذا العالم المؤرخ له ذكاء مفرط، وخطٌّ منسوبٌ رشيق، فكان بداية خير للمكتبة، وتطوير لها[١٠].

(٢) وفي الأندلس كانت «مكتبة الحكم الثاني المستنصر بالله» مضرب المثل فيما وصلت إليه من عدد الكتب المجموعة، والاهتمام بها، وبمن يؤمونها. ذلك أن «الحكم الثاني» جمع من الكتب مالا يُحدّ، ولا يوصف كثرة ونفاسة، حتى قيل: إن مكتبته كانت تضمُّ (٤٠٠) ألف مجلد، وأن رجاله لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها. وكان يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي،

باذلا ما أمكنه من الأموال، حتى ضاقت خزائنه[١١].

وكان «الحكم» هذا محباً العلوم، مكرماً لأهلها، جماعة للكتب بأنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله. وكان يبعث في طلب الكتب من الأقطار، حتى جلب إلى الأندلس ما لم يعهد[١٢].

ومن شدة اهتمام «الحكم الثاني» بالكتب، وشغفه بها، أنه كان يبذل الأموال الكثيرة لابتياعها، فقد حدثوا أنه سمع بكتاب «الأغاني» وأنه موسوعة لم يؤلف مثلها، ولم يسبق إليها فأرسل (١٠٠٠) دينار من الذهب لشراء نسخة من هذا الكتاب[١٣].

ولم يكن «الحكم الثاني» يشتري الكتب فحسب، بل كان يطلع عليها، ويقرأ فيها، ويكتب ما يعنُّ له، حتى بذَّ غيره، وعلا صيته، وعظمت شهرته[١٤].

وكان مصيرُ هذه المكتبة فاجعة تعتصر القلب حزناً وألماً، ذلك أن المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢هـ) أخرج جميع الكتب الفلسفية الموجودة في مكتبة «الحكم الثاني» وأحرقها في قرطبة إرضاء للعامة والفقهاء في عصره.

ثم جاءت الطامة الثانية على يد الحاجب واضح ـ من موالي المنصور ـ الذي باع أكثر كُتُب تلك المكتبة.

وما تبقى من الكتب صار نهبة عندما دخل البربر قرطبة، واقتحموها عنوة[١٥].

ويحدثنا القلقشندي عن مكتبة «بيت الحكمة» بقوله:

«كان فيها من الكتب مالا يحصى كثرة، ولا يقدم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التترُ بغداد، وقتل ملكهم هولاكو المستعصم ـ آخر خلفائهم ـ ببغداد، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها»[١٦].

(٣) وفي عهد الفاطميين أسس الحاكم بأمر الله «دار الحكمة» وافتتحت عام (٣٩٥هـ) وجلب إليها أعداداً غفيرة من الكتب الموجودة في خزائن القصور الفاطمية، كما حمل إليها عدداً كبيراً من الكتب الموجودة في خزائنه الخاصة من سائر العلوم، والآداب، والخطوط المنسوبة، ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك[١٧]. كما قُسِّمت المكتبة أقساماً.

قسم للفقهاء، وقسم لقراء القرآن الكريم، وقسم للمنجمين، وقسم لأصحاب النحو واللغة وقسم خاص للأطباء.

كما سُمح لسائر الناس بالتردد على هذه المكتبة، والاطلاع على محتوياتها، والنظر في ذخائرها. كما أعطى الحاكم رواتب لمن رسم له بالجلوس فيها، والخدمة لها من فقيه وغيره.

وقد حضرها الناسُ على مختلف مستوياتهم الثقافية، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر التعلم.

كما جعل في هذه المكتبة ما يحتاج إليه الناس من: الحبر، والأقلام، والورق، والمحابر[١٨].

(٤) وفي زمن المغول تم تأسيس «مكتبة مراغة» يقول ابنُ شاكر الكتبي عن هذه المكتبة: «ابتنى نصير الدين الطوسي بمراغة قبة، ومرصداً عظيماً، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة، فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نُهبت من بغداد، والشام، والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على (٤٠٠) ألف مجلد»[١٩].

(٥) وفي الكرخ بنى سابور بن أردشير ـ وزير بهاء الدولة البويهي ـ مكتبة «دار العلم»

ووقفها على العلماء، ونقل إليها كتباً كثيرة، بلغت (١٠٤٠٠) مجلداً من مختلف أصناف العلوم، منها مئة مصحف بخطوط ابن مقلة[٢٠].

وكانت هذه المكتبة تقبل أسلوب إيداع الكتب فيها، فقد حدث ياقوت الحموي أن أحمد بن علي بن خيران الكاتب (ت ٤٣١هـ) سلم إلى أبي منصور بن الشيرازي - رسول ابن النجار إلى مصر من بغداد - جزأين من شعره ورسائله، واستصحبهما إلى بغداد، ليعرضهما على الشريف المرتضى أبي القاسم - المشرف على دار العلم في بغداد آنذاك - وغيره؛ ممن يأنسُ به من رؤساء البلد، ويستشيره في تخليدهما - إيداعهما ووضعهما - دار العلم؛ لينفذ بقية الديوان والرسائل، إن علم أن ما أنفذه منها ارتضي واستجيد[٢١].

وقد قصد أبو العلاء المعري هذه المكتبة، وتعرف إلى محتوياتها، واستفاد منها، يقول: «والذي أقدمني إلى تلك البلاد مكان دار العلم بها.. ولكني آثرت الإقامة بدار العلم، فشاهدت أنفس مكان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه»[٢٢].

شغفاً بدار العلم فيك وقلبه
مازال ربعاً للعلوم ودارا

* وقد احترقت هذه المكتبة، ونهبت كتبها.

(٦) وفي عام (١٠٦٧م) تم افتتاح مدرسة نظام الملك في بغداد وألحق بها مكتبة كبيرة، غنية بالكتب، ومنظمة، وقد زودت بكل كتاب غريب ونادر.

وقد درس الغزالي في هذه المدرسة أكثر من سنتين، وابن شداد. وزارها ابن جبير، وابن بطوطة، ووصفها ابن الفرات - المؤرخ المصري - بأنها أعظم مدارس بغداد.

وتولى محمد بن أحمد الأبيوردي منصب أمين هذه المكتبة[٢٣].

وثمة عناية كبرى بهذه المدرسة، فقد ذكر ابنُ الأثير أن ناراً وقعت سنة (٥١٠هـ) في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية فاحترقت الأخشاب التي بها، وانتقل الحريق إلى درب السلسلة، وتطاير الشرر إلى باب المراتب، فاحترقت منه عدة دور، واحترقت خزانة كتب النظامية، وسلمت الكتب لأن الفقهاء لمّا أحسوا بالنار نقلوها[٢٤].

وكان عدد هذه الكتب نحواً من ستة آلاف



- صورة من مصحف مغربي بخط النسخ.

مجلد، كما ذكر ابنُ الجوزي[٢٥].

وأصيبت هذه المكتبة بالإهمال مع مرور الزمن، إلى أن جددها الخليفة الناصر لدين الله العباسي سنة (٥٨٩هـ)[٢٦].

(٧) ومن المكتبات المشهورة التي بعثرت في هذا العصر بدمشق[٢٧]: خزانة قبة صحن الجامع الأموي، وكانت مملوءة برقوق نفيسة فتحت سنة (١٣١٧هـ) بأمر السلطان عبد الحميد الثاني. وكان في «دير صيدنايا» خزانة كتب حافلة بالمخطوطات النادرة، ولكنها أحرقت بأن جعلت وقوداً للفرن! وكان في دمشق عدة خزائن للكتب بعثرت، منها: خزانة آل حمزة، وخزانة الحضرة، وآل الحسني، وخزانة آل عبد القادر الحسني، أهدت أسرته كثيراً منها للمجمع العلمي، فجعلها في الخزانة الظاهرية.



- مدخل المدرسة العادلية.

وحُرقت خزانة بدر الدين الحسني، وخزانة الشمعة، وآل مردم بك، وخزانة آل القوتلي. كما حفظت غيرها من الخزائن.

وأهم الخزائن العامة في دمشق: خزانة دار الكتب الظاهرية، وقد أخذت مكانتها من الكتب النادرة المحفوظة فيها. وقد أنشئت هذه الخزانة سنة (١٢٩٦هـ) بمساعي طاهر الجزائري وسليم البخاري، ومعاونة غيرهما من العلماء.

وقد انتشرت المكتبات العامة والخاصة في طول البلاد العربية وعرضها، وتنافس القائمون عليها في جلب الكتب إليها، حتى إن مكتبة صغيرة كمكتبة النجف في العراق، كانت تحوي في القرن العاشر (٤٠) ألف مجلد، ومكتبة الخليفة العزيز في القاهرة، كانت تحوي (١٫٦٠٠٫٠٠٠) مجلداً، ولما توفي الوزير المهلبي سنة (٣٥٢هـ) وجد في مكتبته (١١٧٫٠٠٠) كتاباً، واستطاع ابن عباد أن يجمع في مكتبته أيضاً (٢٠٦٫٠٠٠) كتاباً ومرَّ معنا أن مكتبة الحكم الثاني في الأندلس كان تضمُّ (٤٠٠) ألف مجلد.

هذا قبس من تاريخنا المجيد، يتمثل في المكتبات، أهم عامل لتثقيف الناس، وقيامهم بالبحث، والدرس، والتأليف، والتمحيص، وقراءة التاريخ بتمعن، للاستفادة من الدروس والعبر

وبالتالي تقوم هذه الأمة من جديد وفق نهضة علمية حقة.

وإذا كانت النشوة تملأ قلوبنا حين نلتفت إلى ماضي الأمة، فنشمخ برؤوسنا عاليا لما يتداح في عصر الحضارة الزاهرة من مكتبات عديدة، ونهضة علمية متقدمة، فإننا نأسى لما تعرضت له تلك المكتبات من اضطهاد كبير من أعداء الحضارة والجهلة، فكانت النتيجة قضاء مبرماً على أثمن ما خلفه الفكر العربي والإسلامي.

ومن تلك النكبات[٢٨].

١ - نكبة التتار حين افتتحوا بغداد، ففاض نهر دجلة بما قذفوا فيه مما وجدوه في دور الكتب، وظل ماء النهر أسود داكناً مدة طويلة لانحلال مداد الكتب فيه.

٢ - نكبة الغزو الصليبي، وقد قدر بعض المؤرخين ما أتلفه الصليبيون في طرابلس وحدها بثلاثة ملايين مجلد!.

٣ - نكبة استيلاء الأسبان على الأندلس، حيث تم إحراق المكتبات العظيمة هناك بفعل التعصب ضد العرب والمسلمين، حتى إنه قد أحرق في يوم واحد في ميدان غرناطة ما قدره بعض المؤرخين بمليون كتاب!.

وعلاوة على ذلك فقد أصيبت المكتبات العربية بعداء سافر من التجار الذين باعوها إلى الغرب بثمن بخس، فنقلوا الحضارة والعلم إلى تلك الأماكن.

وفوق هذا وذاك كانت الفتنُ الداخلية عاملا محرقاً للمكتبات العربية، فمكتبة الخلفاء الفاطميين اعتدى عليها الغوغاء من المماليك الأتراك، فأشعلوا فيها النار، واقتسم العبيدُ جلود كتبها فاتخذوها نعالا يلبسونها!.

ومكتبة الحكم الثاني المستنصر في الأندلس ذهبت حين دخل البربر قرطبة، فبيع كثير منها ونهب الباقي.

إن الماضي العربي والإسلامي مجيد، ونحن ننتظر امتداداً مكتبياً في كل البلاد العربية والإسلامية، ونهضة متفوقة هنا وهناك، لا سيما في هذا العصر؛ عصر الحاسوب الآلي، فنستفيد منه كل الفائدة، فنلحق بركب الحضارة، ونتابع السير قُدُماً في مختلف الأصعدة.

الهوامش:

(١) رواه ابن ماجه برقم ٢٢٤.
(٢) رواه أبو داود برقم ٣٦٤١ و ٣٦٤٢ والترمذي برقم ٢٦٨٢ وابن ماجه برقم ٢٢٣.
(٣) كتاب الحيوان للجاحظ ٣٣/١.
(٤) ديوان المتنبي ٣١٩/١، «الدنا»: جمع دنيا. «السابح» الفرس السريع الجري.
(٥) معجم الأدباء ١٨٥/٩ - ١٨٧.
(٦) الخوارزمي، للرقوقي والتوانسي ص ٧٨.
(٧) المصدر السابق.
(٨) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة (١٢٤/٢).
(٩) تاريخ الحكماء للقفطي ص ٢٥٥.
(١٠) شذرات الذهب، لابن العماد ١٠٩/٨.
(١١) نفح الطيب، للمقري (٣٩٤/١ - ٣٩٥).
(١٢) العبر، لابن خلدون (١٤٦/٤).
(١٣) نفح الطيب (٣٨٦/١).
(١٤) المصدر السابق.
(١٥) العبر، لابن خلدون (١٤٦/٤).
(١٦) صبح الأعشى (٤٦٦/١).
(١٧) الخطط المقريزية (٣٣٧/٢).
(١٨) المصدر السابق.
(١٩) فوات الوفيات (٣٠٧/٢).
(٢٠) النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي (١٦٤/٤).
(٢١) معجم الأدباء (٥/٤ - ٦).
(٢٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٨٩.
(٢٣) معجم الأدباء (١٧/ ٢٣٧).
(٢٤) الكامل في التاريخ (٢٢٩/٨).
(٢٥) صيد الخاطر ص ٢٠٧.
(٢٦) الكامل في التاريخ (٢٢٩/٨).
(٢٧) خطط الشام، لمحمد كرد علي (١٩٤/٦ - ١٩٧).
(٢٨) من روائع حضارتنا، للدكتور مصطفى السباعي ص ١٦٢ - ١٦٣.

الإمام الشافعي عند نص

في كثير من كتابات الدكتور نصر أبو زيد «اجتراء» غير مألوف على كثير من رموز الأمة الإسلامية.. والحديث عن «رموز للأمة» لا يعني إضفاء القدسية على بشر أيا كان دوره وموقعه في تاريخ الإسلام.. ففي الإسلام لا قدسية لغير الله وآياته.. ولا عصمة لغير الرسل، عليهم السلام، وحتى عصمة الرسل هي فيما يبلغونه عن الله، فالعصمة من ضرورات «الرسالة» وليست امتيازا للجانب البشري المجتهد في الرسل والأنبياء.

لكن لكل دين وفلسفة ووطن وجهاد وأمة «الرموز» التي تمثل «المثل» و«المنارات» الحافزة لأجيال الأمة على الاستباق على طريق الخير والتقدم الذي برزت على دربه هذه «الرموز» فالذين يعرفون قدر الدين وعظيم نعمته، يعرفون أقدار الجيل النبوي الفريد الذي رفع القواعد لهذا الدين، فغير وجه الدنيا وحول مجرى التاريخ.. والذين يعرفون قدر الوطن والوطنية، يجلون رموزها الذين وهبوا حياتهم لتحرير الأوطان وتقدمها.. والذين يعرفون قيمة العدالة الاجتماعية، يقدرون أبطالها حق قدرهم.. وهكذا في كل الميادين.





بقلم المفكر الاسلامي:
أ.د. محمد عمارة

ولذلك، فإن المرء يحار أمام «اجتراء» الدكتور نصر على كثير من رموز الأمة.. ويتساءل: أهو سوء فهم؟ .. أم سوء نية؟ .. أم هما معا؟.

ونحن لن نشغل أنفسنا، ولا القارئ، بالإجابة على هذه التساؤلات.. بقدر ما سنقف مع القارئ أمام نماذج ـ مجرد نماذج ـ لهذا «الاجتراء».

فالصورة التى يقدمها الدكتور نصر للمهاجرين الأولين، الذين (أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)[١] والذين (رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)[٢].. هذه الكوكبة من السابقين الأولين، الذين صاغهم الاسلام، وصنعهم الرسول، صلى الله عليه وسلم، على عينه، يصورهم الدكتور نصر في صورة العصابة، التى ما كاد الرسول يلحق بربه حتى ارتدوا إلى العصبية القبلية ـ القرشية ـ وفرضوها على الاسلام والمسلمين والمشروع الاسلامي، رافضين حتى إشراك الأنصار، الذين آووا ونصروا، في السلطة أو تداولها

أبو زيد سوء فهم؟ أم سوء نية؟؟

معهم.. فأوقعوا الاسلام والمشروع الاسلامي في أولى العثرات!.

يقدم الدكتور نصر للمهاجرين الأولين هذه الصورة الكئيبة الكريهة، فيقول: «في اجتماع (السقيفة) بين المهاجرين والأنصار تم تدشين السيطرة القرشية على الاسلام والمسلمين[٣].. فالنزعة «القرشية» التى أرادت الهيمنة على المشروع الإسلامى نجحت عشية وفاة النبى {صلى الله عليه وسلم} في واقعة السقيفة ثم في حروب الردة[٤].. فحين رفعت قريش - في حوار السقيفة - مبدأ «الخلافة في قريش» ورفضت رفضا تاما «تداول السلطة» منا أمير ومنكم أمير - كما رفضت «المشاركة» فيها - منا الوزراء ومنكم الأمراء - سجلت العثرة الأولى في تاريخ المشروع الاسلامي»[٥].

ونحن نؤمن بأن هذا الذى جرى فى سقيفة بنى ساعدة، حول تأسيس الخلافة واختيار الخليفة الأول، هو «اجتهاد» من الصحابة، غير المعصومين، يرد فيه الخطأ والصواب.. لكن تعالوا ننظر في «اجتراء.. وافتراء» الدكتور نصر، محتكمين الى «الوقائع» و«المنطق» دون «مصادرة» على أوسع الحريات في التفكير.

١ - *إن الذي انتصر في السقيفة لم تكن العصبية القرشية*. ولو فقه الدكتور نصر - أو حتى قرأ - ما كتبه ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ - ١٤٠٦م) عن العصبية - وعصبية قريش تحديدا - لما سقط في هذه الحفرة.. فكما يقول ابن خلدون «إن عصبية مضر كانت فى قريش، وعصبية قريش في عبد مناف، وعصبية عبد مناف إنما كانت في بنى أمية»[٦] ***وأبو بكر كان من «تيم»، وعمر - الذى بادر بالبيعة له - كان من «عدي» وليس فيهما عصبية قريش*** - ويزكي هذا اعتراض أبى سفيان - الأموى - على تولي أبى بكر، وتحريضه على بن أبى طالب على طلبها، لأنه الأقرب إلى عصبة قريش - فهو من عبد مناف.

٢ - *ومنذا الذى تم في السقيفة* قد أجمعت عليه الأمة - باستثناء سعد بن عبادة - قرشيين وغير قرشيين.. عربا وموالي .. أحرارا وأرقاء.

٣ - *بل إن هذا الذى حدث في السقيفة* - على عكس ما ادعى الدكتور نصر - ***هو نموذج للتعاقد على توزيع السلطة بين مؤسستين دستوريتين: الإمارة في مؤسسة «المهاجرين الأولين» - العشرة - والوزارة في مؤسسة «النقباء الاثنى عشر» - الأنصار*** - وكلمات أبي بكر، في السقيفة، نص في «تعاقد المشاركة» هذا، ففيها يقول للأنصار: «نحن أوسط العرب أنسابا، ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة.. وليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم. فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا نفتات دونكم بمشورة، ولا تنقضي دونكم الأمور»[٧].. وقول أبى بكر: «إن العرب لا تعرف هذا الأمر - (الخلافة) - إلا لهذا الحي من قريش» إشارة إلى هيئة المهاجرين الأولين - الذين جمعوا إلى قرشيتهم السابقة في الدين والريادة في إقامة قواعده وتأسيس دولته.. فأين هي «العصبية القرشية» وهؤلاء المهاجرون الأولون كانت حياتهم الإسلامية صراعا مع العصبية القرشية التى ظلت على شركها حتى فتح مكة سنة ٨هـ؟!.

٤ - *وأين هو «تدشين السيطرة القرشية على*

الاسلام؟٠٠ وعلماء الاسلام وأئمته امتلأت موسوعات طبقاتهم - في مختلف فروع العلم - بأسماء الموالي٠٠ فكان منهم سلاطين العلماء الذين منحتهم الأمة من المحبة والولاء أكثر مما منحته لسلاطين الأمراء؟!٠

٥ - وأين هي السيطرة القرشية على المسلمين؟٠٠ والدول غير العربية قد حكمت المسلمين قرونا هي أضعاف أضعاف الحكم العربي لهؤلاء المسلمين؟!٠

فمن بدء الخلافة الراشدة (١١هـ ٦٦٢م) وحتى سيطرة العسكر المماليك على الخلافة العباسية في عصر المتوكل العباسي (٢٠٦ - ٢٤٧هـ ٨٢١ - ٨٦١م) لم يبلغ زمن الحكم «العربي» قرنين من الزمان (١٨٥ عاما)؟!٠٠ وذلك من مجموع أكثر من ثلاثة عشر قرنا (١٣٤٢هـ) هي عمر الخلافة الإسلامية٠ ٠ أى أن العرب قد حكموا المسلمين مائة وخمسة وثمانين عاما، على حين حكم المماليك والأيوبيون والشركس والعثمانيون أكثر من أحد عشر قرنا (١١٧٥ عاما)!٠٠ فأين هي السيطرة القرشية أو العربية على المسلمين، ونسبة الحكم العربى في تاريخ الخلافة لا تعدو ١٤٪ من ذلك التاريخ؟!٠

* بل إن الدكتور نصر أبو زيد لا يتورع عن اتهام صحابة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بما يسميه «التوجيه الأيديولوجي للإسلام، لتحقيق السيادة القرشية»٠٠ فيقول عن جمع المسلمين على مصحف واحد، بقراءة واحدة، في عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه ٠٠ يقول: «ولا نغالى إذا قلنا إن تثبيت قراءة النص (أى القرآن) الذى نزل متعددا في قراءة قريش كان جزءا من التوجيه الأيديولوجي لتحقيق السيادة القرشية»[٨]٠٠ فالعطب - في رأيه هنا - قد أصاب القرآن ، وليس السلطة والدولة فقط؟!٠

ولو كان الدكتور نصر باحثا عن الحقيقة، خلصت نواياه لفهم دقائقها، لعلم أن تعدد الحروف السبعة لم يكن تعددية في قراءة جملة القران الكريم، وإنما كانت «رخصة» في نطق بعض الحروف في بعض كلمات القرآن٠٠ فالوحي والتنزيل والتدوين للقرآن كان بقراءة قريش لهذه الأحرف، والرخصة كانت بالقراءة غير القرشية لهذه الأحرف فى بعض الكلمات٠٠ فلما تجاوزت الأمة دواعي «الرخصة» كان توحيد القراءة لهذه الأحرف، أي العودة عن «الرخصة»، التى فقدت دواعيها، إلى الأصل الذى تم به الوحي والتنزيل والتدوين٠ ٠ فنحن لسنا أمام انحراف أيديولوجي عن الأصل ٠٠ بل أمام عودة طبيعية إلى الأصل٠

ولو قرأ الدكتور نصر كلمات الأمام ابن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣هـ ٩٧٨ - ١٠٧١م) التى يقول فيها: «إن تلك السبعة أحرف إنما كانت فى وقت خاص، لضرورة دعت الى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يُقرأ به القرآن على حرف واحد»[٩]٠٠ لو قرأ هذه الكلمات لما قال هذا الذى قال٠٠ بل لو قرأ كلمات أستاذ - نعلم أنه أثير لديه - هو الشيخ أمين الخولى (١٣١٤ - ١٣٨٥هـ/ ١٨٩٦ - ١٩٦٦م) عن إنجاز الصحابة هذا، على عهد عثمان: «وهذا الذى صنعه عثمان إذا ما سميناه جمعا، فإنه لجدير بأن يسمى جمع المسلمين، لا جمع القرآن٠٠ فإن جمع القرآن - بمعنى ضم أجزائه - قد كان فى عهد الرسول بما يلائم نزوله منجما، ثم كان هذا الجمع - بمعنى الضم - فى عهد أبي بكر، بما حفظ أصلا رسميا يكون مرجعا٠ وعمل عثمان هو تهيئة هذا الأصل الرسمي للتداول العملي، على حال تلائم الدعوة الاسلامية التى امتدت وتمتد ٠٠ فالمهمة في جوهرها: إخراج كتابى للنص القرآنى في حرف واحد موحد من الحروف التى أنزل بها، وتركت

إباحة القراءة بها إلى حين»[١٠].

ثم .. ما هو حجم الخلاف في قراءة القرآن عند توحيد هذه القراءة على حرف واحد؟

إن سيف بن عمر التميمي (١٨٠هـ ٧٩٦م) صاحب كتاب (الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلى) يقول: إن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، قد قال لمن عهد إليهم بهذه المهمة - زيد بن ثابت وسعيد بن العاص «يكتب أحدكما، ويملى الآخر، فإذا اختلفتما في شيء فارفعاه إليّ. فكتب احدهما وأملّ الآخر، فما اختلفا في شيء من كتاب الله، عز وجل، إلا في حرف من سورة البقرة، قال أحدهما: التابوت، وقال الآخر: التبّوت. فرفعاه إلى عثمان، رضى الله عنه، فقال: التابوت»[١١].

لو قرأ الدكتور نصر أبو زيد هذه النصوص، وفهمها ووعاها، وحسنت منه النوايا، لما كان منه هذا الاجتراء على صحابة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ورضي عنهم.. ولما طعن بحدوث «توجيه أيديولوجي» للقرآن الكريم!

* ولقد خصص الدكتور نصر «للاجتراء والافتراء» على الإمام الشافعى كتابا قائما بذاته.. وإذا كنا قد عرضنا لمواضع من أفكاره فيه، في غير هذا المقام.. فإننا سنقف هنا أمام أربعة نماذج من الافتراء على هذا العلم من أعلام أئمة الفقه والأصول.. وصاحب المذهب الفقهى الذى يستقطب عشرات الملايين من المسلمين.

١ - ينقل الدكتور نصر عن الإمام الشافعي - من كتاب «الرسالة» - عبارات يتحدث فيها الشافعي عن الوضوح «عند أهل العلم بلسان العرب» في المراد من قول الله سبحانه: {يأيها الناس ضُرِبَ مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه، ضَعُفَ الطالبُ والمطلوب}[١٢]. وقوله: {ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس}[١٣].. فلأهل العلم بلسان العرب وضوح بالمراد من هذه الآيات، بينما يغمض المراد عند «من يجهل لسان العرب».

فالشافعي - من واقع النص الذى نقله الدكتور نصر - يتحدث عن أهل العلم باللسان العربي وأهل الجهل بهذا اللسان .. ولكن الدكتور نصر - لسنا ندرى ولا المنجم يدرى كيف - يتهم الشافعى بالتعصب للجنسية العربية وأصولها العرقية، بل والقبلية القرشية تحديدا!! .. فيقول، معلقا على كلام الشافعي: «فليس الغموض والوضوح إذن في دلالة العموم على الخصوص مرتبطا بطبيعة التركيب والسياق، بل هو مرتبط أساسا - عند الشافعى - بطبيعة المتلقى، أو بالأحرى بجنسيته وأصوله العرقية.. إن الشافعي، وهو يؤسس عروبة الكتاب.. كان يفعل ذلك من منظور أيديولوجي ضمنى في سياق الصراع الشعوبى الفكرى والثقافى.. لقد انحاز لا إلى العروبة فقط، بل إلى «القرشية» تحديدا[١٤]»؟!

فالشافعي معياره العلم بالعربية أو الجهل بها - دون ذكر للجنس أو العرق فى العالمين والجاهلين - فقد يجهلها العربى جنسا ويفقهها غير العربى - وأئمة علوم العربية لم يكن الكثيرون منهم عربا بالعرق والجنس .. ***ولكن الدكتور نصر يوجه إلى الشافعي تهمة أيديولوجية العصبية الجنسية والأصول العرقية العربية، والقبلية القرشية!.. فهل هو سوء فهم؟.. أم سوء نية؟.. أم هما معا؟!.***

٢ - وينقل الدكتور نصر عن الشافعى - فى «الرسالة» نصا يتحدث فيه عن أقسام السنة النبوية، وعن آراء العلماء في مكانة السنة من الوحى ومن القرآن .. يقول فيه: «وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان:

أحدهما: نص كتاب، فاتبعه رسول الله كما أنزل

الله.

والآخر: جملة، بيّن رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة وأوضح كيف فرضها.

وكلاهما اتبع فيه كتاب الله.. وهذان الوجهان اللذان لم يختلف أهل العلم فيهما.

والوجه الثالث: ما سنّ رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب.. فمنهم (أي العلماء) من قال: جعل الله له، ـ بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه ـ أن يسنّ فيما ليس فيه نص كتاب. ومنهم من قال: لم يسنّ سنة قط إلا ولها أصل في كتاب. ومنهم من قال: بل جاءته به رسالة الله، فأثبتت سننه بفرض الله. ومنهم من قال ألقي في روعه كل ما سنّ، وسنته الحكمة الذى ألقي فى روعه، فكان ما ألقى في روعه سنته[١٥]».

هكذا حكى الشافعى آراء أهل العلم فى مكانة السنة من الكتاب ومن الوحى.. وأكثر هذه الآراء إعلاء لمكانة السنة هو الذى يجعلها لونا من الوحى متميزا عن الوحى القرآنى ـ فهى إلقاء فى الروع ـ فتظل غير القرآن، إذ لا إعجاز فيها، ولا قطع فى ثبوتها، ولا اقتصار في روايتها على اللفظ ـ إذ تروى بالمعنى ـ .. ورغم كل هذا الوضوح، ومعه.. يُعلق الدكتور نصر على هذا الذى أورده الشافعى، فيتهمه بأنه «حرص لا على جعل السنة شارحة ومفسرة للكتاب فحسب، بل على إدماجها في أنماط الدلالة، وإدخالها جزءا جوهريا فى بنية النص القرآنى[١٦]» ـ (ولاحظ تعبيره «إدخالها جزءا جوهريا فى بنية النص القرآنى» ـ والذى لم يخطر للشافعى ببال.. ولا شبه بينه وبين أى من الآراء حكاها عن العلماء)..!

فالذين جعلوا الرسول [صلى الله عليه وسلم] مشرعا بسنته .. قالوا إن هذه السنة «إلقاء فى الروع»، أي أنها «لون من الوحى» فالمشرع الأصلى والحقيقى والابتدائى فيها ولها وبها هو الله، سبحانه وتعالى.. ومع ذلك، يجعل الدكتور نصر من أصحاب هذا الرأى ـ ومنهم الشافعى ـ أهل «العصبية العربية القرشية، التى كانت حريصة على نزع صفات البشرية عن محمد، وإلباسه صفات قدسية إلهية تجعل منه مشرعا[١٧]»..

فهل هو سوء فهم؟ .. أم سوء نية؟ .. أم هما معا؟!.

٣ ـ ***ولأن الشافعى رفض «الاستحسان»، واكتفى بالقياس.. ذهب الدكتور نصر إلى اتهامه بالنضال للقضاء على التعددية الفكرية والفقهية،*** وهو نضال لا يخلو من مغزى اجتماعى فكرى وسياسي واضح[١٨].. كما يقول نصر؟!.

ولست أدرى كيف يناضل للقضاء على التعددية الفكرية والفقهية من كان نموذجا جسّد التعددية في الاجتهادات الفكرية والفقهية؟!.

لقد أبدع الشافعى مذهبا قديما ـ عندما كان بالعراق ـ ثم أبدع هو ذاته مذهبا جديدا ـ فى الواقع المصري المتميز عن واقع العراق.. ولم يتنكر فى جديده لقديمه، وإنما رآهما فى إطار تميز الاجتهادات وتعددها لتميز وتعدد الرؤى والوقائع والأعراف.

ومن الذى يستطيع أن يتجاهل دلالة شعار الشافعى: ***مذهبى صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيرى خطأ يحتمل الصواب.*** . دلالته فى التأسيس والتقعيد للتعددية الفكرية والفقهية والمذهبية ولشرعية ومشروعية التنوع في الاجتهادات؟!..

وإذا كان الشافعى قد رفض «الاستحسان» وقال به الحنابلة.. فهل يجوز لصاحب منطق ان يصنف الشافعى فيمن يضيقون بالتعددية الفكرية والفقهية أكثر من ضيق الحنابلة بها؟!.. فضلا عن أن يقول إنه كان مناضلا للقضاء على هذه

التعددية؟!.

ولو كان الدكتور نصر باحثا عن الحقيقة، يجمع إلى طلب العلم حسن النية، لعلم أن الاختلاف الذى روى عن الفقهاء، فى الموقف من الاستحسان، هو - كما قال المحققون - «خلاف لفظى» لأن الاستحسان إن كان هو القول بما يستحسنه الانسان ويشتهيه من غير دليل فهو باطل، ولا يقول به أحد، وإن كان هو العدول عن دليل إلى دليل أقوى منه، فهذا مما لا ينكره أحد[١٩]» من الفقهاء.

وهذا هو عين ما صنعه الشافعى .. وإلا بماذا نسمى عدوله عن الأدلة التى أسس عليها اجتهاداته فى مذهبه القديم، إلى الأدلة التى أسس عليها اجتهاداته فى مذهبه الجديد؟.. أليس هذا هو جوهر وحقيقة الاستحسان، الذى لم ينكره أحد من فقهاء الإسلام؟!.

٤ - ***ويشاء الله أن يقع الدكتور نصر أبو زيد، فى تناقض حاد - وهو يهاجم الإمام الشافعى -*** لقد اتهم الشافعي بأنه «يؤسس بالعقل إلغاء العقل»[٢٠]، لا لشيء إلا لأنه اكتفى بالقياس عن الاستحسان - ولقد علمنا نوع الاستحسان الذى عزف عنه.. والنوع الذى مارسه.

وفى دراسة أخرى، أخذ الدكتور نصر يتحدث عن علاقة القياس بالعقل وحركة العقل، وبالتأويل، وبالتغيير وبالتطوير الذى يواكب المستجدات.. فقال: «والقياس - كما هو واضح - يعتمد حركة العقل فى فهم الظاهرة أو النص .. وهو فى مجال النصوص الدينية، الأداة التى يستطيع بها العقل الانسانى تطوير دلالة هذه النصوص لتلائم متغيرات الزمان والمكان فى مجال الأحكام الشرعية، وهى الأداة التى يقوم بها «التأويل» فى الجوانب الأخرى للنصوص الدينية.. إن القياس يعتمد اعتمادا أساسيا على التأويل، سواء من حيث استخراج الحكم أو من حيث استنباط العلة أو من حيث نقل حكم الأصل إلى الفرع»[٢١].

هكذا كال الدكتور نصر المدائح للقياس - لمكانته من العقل والعقلانية والتأويل والتغيير والتطوير ومواكبة متغيرات الزمان والمكان - وكان ذلك فيما كتبه سنة ١٩٨٨م.. ثم عاد بشهوة العداء للإمام الشافعى ليحكم على إعلائه لشأن القياس، بأنه: تأسيس بالعقل لإلغاء العقل - وكان ذلك فيما كتبه سنة ١٩٩٢م.

فهل هو مجرد تغيير؟ .. أم سوء فهم؟ .. أم سوء نية؟!.. أم كل ذلك جميعا؟!.

تلك نماذج - مجرد نماذج - لافتراءات الرجل على الإمام الشافعي، رضي الله عنه.

الهوامش:
(١) الحشر: ٨.
(٢) التوبة: ١٠٠.
(٣) الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ٥٧.
(٤) التفكير في زمن التكفير ص ١٦٩.
(٥) مجلة القاهرة - مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق - اكتوبر سنة ١٩٩٢م.
(٦) المقدمة ص ١٧١. طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.
(٧) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٢٠٧ - ٢١٠ - أحداث سنة ١١هـ - وابن قتيبة (الامامة والسياسة) جـ١ ص ٦ - ١١ طبعة القاهرة سنة ١٣٣١هـ.
(٨) الامام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ١٥.
(٩) القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) جـ١ ص ٤٣.
(١٠) دائرة معارف الشعب - مادة القرآن الكريم - جـ١ ص ٢٢، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩م.
(١١) حقق هذا الكتاب: د. قاسم السامرائى ، طبعة ليدن - هولندا سنة ١٩٩٥م، انظر عرض وليد نويهض له - صحيفة الحياة - لندن - في ٩/٩/ ١٩٩٥م، والنص في ص ٥١ ، ٥٢ من الكتاب.
(١٢) الحج: ٧٥.
(١٣) البقرة: ١٩٩.
(١٤) الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩.
(١٥) المرجع السابق ص ٣٧ - ٣٩.
(١٦) المرجع السابق ص ٣٩.
(١٧) المرجع السابق ص ٥٥ ، ٥٦.
(١٨) المرجع السابق ص ١٠١.
(١٩) الموسوعة الفقهية - مادة استحسان - وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية - الكويت سنة ١٩٨٣م.
(٢٠) المرجع السابق ص ٢٢.
(٢١) إشكاليات القراءة وآليات التأويل ص ٢٠٣ - ٢٠٥.

نحو فقه ميسر معاصر (١-٢)

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، عقود متتالية من الحركة النشطة الفاعلة في مجالات: التأليف العلمي الدقيق، والدعوة والتوجيه، والفقه والفتوى، والتدريس الجامعي، والندوات والمحاضرات والمؤتمرات، والمشاركة الفاعلة في عضوية المجالس العلمية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.. إضافة إلى ما يزيد على خمسين مؤلفاً، كثير منها ترجم إلى مجموعة من اللغات الحية، ومجموعة من لغات العالم الاسلامي.

الأستاذ الدكتور القرضاوي فكر نيّر، وعمل جاد دؤوب لتجديد حركية الفقه الإسلامي وتيسيره للمسلمين، وتقريب الفقه الإسلامي من حياة المسلمين في واقعهم المعاش، لا سيما وأن كثيراً من قضايا الفقه الاسلامي لم تعد مطبقة في حياة الناس لسبب أو آخر.

وهذه الدراسة القيِّمة واحدة من جهد الدكتور القرضاوي في هذا الاتجاه (نحو فقه مُيسّر مُعاصر).

وتسعد (المنهل) بنشرها للقراء الأكارم على حلقتين لتعم بها الفائدة.

بقلم المفكر الاسلامي الكبير
أ.د/
يوسف القرضاوي

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. أما بعد: فإن الاسلام، إذا أردنا تلخيصه في كلمتين اثنتين، قلنا: هو عقيدة وعمل أو إيمان وسلوك.

والعلم المتكفل ببيان العقيدة وتعاليمها وشرحها هو علم التوحيد.

والعلم المتكفل ببيان العمل ومعرفة ما له من حكم شرعي هو علم الفقه.

وهناك علم اختص بالأعمال الباطنة، أي ما يتعلق بأعمال القلوب، محبوبة كانت أو مبغوضة، وهو علم التصوف، أو السلوك.

ومن أئمتنا من وضع هذه العلوم كلها جنباً الى جنب في نسق واحد، كما فعل ذلك الإمام

أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) الذى استوعب كل ما يهم المسلم معرفته من قواعد العقائد التي يهتم بها علم الكلام، أو التوحيد، ومن الأعمال الظاهرة - عبادات ومعاملات - التي يهتم بها علم الفقه، ومن الأعمال القلبية الباطنة - مهلكات ومنجيات - التي يهتم بها علم التصوف، والتي هي لبُّ الكتاب وجوهره.

ومن الأئمة من أدخل التوحيد والعقائد تحت اسم الفقه، وسماه (الفقه الأكبر) كما روى ذلك عن الإمام أبي حنيفة.

ومنهم من أدخل ما لابد من تعلمه من العقائد والآداب في الكتب الموضوعة أساساً للفقه، كما نرى ذلك في كتاب (الرسالة) لابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ) وهي مشهورة في الفقه المالكي، ومشروحة لأكثر من واحد. فقد بدأها بما يجب معرفته من العقائد، وختمها بمجموعة من الأحكام المتعلقة بالآداب والأخلاق، مما أمر به أو نُهي عنه.

وكما فعل ذلك الإمام الظاهري أبو محمد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) في كتابه المعروف (المحلَّى) فقد بدأه بأهم ما يجب العلم به من العقائد والأصول.

ولكن الذي اشتهر في الاصطلاح، واستقر عليه الأمر، هو إفراد علم الفقه بالأفعال الظاهرة للمكلفين، من عبادات أو معاملات، ليعرف به الحلال من الحرام والصحيح من الفاسد، والمشروع من غير المشروع. وعلى أساسه قامت (مجامع الفقه).

وعلى ضوء هذا التحديد نتحدث عن (تيسير الفقه) أو (الفقه الميسّر المعاصر) مستمدين العون والتوفيق من الله تعالى.

حول تيسير الفقه:

علم الفقه:

الفقه كما يعرّفه أهله هو: معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. فهو علم القانون الإسلامي، ولكنه ليس كعلم القانون الوضعي، بل هو أعمق وأشمل وأوسع دائرة.

علم الفقه هو: العلم الذي يضبط حياة الفرد المسلم والجماعة المسلمة بأحكام الشرع. سواء منها ما يختص بالعلاقة بينه وبين الله تعالى، وهو ما ينظمه فقه العبادات أم ما يتصل بالعلاقة بين المرء ونفسه، وهو ما ينظمه فقه الحلال والحرام، وأدب السلوك الشخصي أم ما يتصل بالعلاقة بينه وبين أفراد أسرته وهو الزواج وما يترتب عليه، أو ما يسمَّى (الأحوال الشخصية) أم ما يتعلق بتنظيم المبادلات والعلاقات المدنية بين الناس بعضهم وبعض، وهو ما يسمى (المعاملات)، ويدخل في القانون تحت اسم (القانون المدني) أم ما يتصل بالجرائم والعقوبات وهو ما يسمى في الفقه (الحدود والقصاص والتعزير) ويدخل في القوانين تحت عنوان (التشريع الجنائي) أم ما يختص بالصلة بين الدولة والشعب، أو بين الحاكم والمحكوم، وهو ما يسمى (السياسة الشرعية) ويسمى عند القانونيين (القانون الدستوري) أو (الإداري) وهناك أيضا الجهاد والسير وهو ما يدخل تحت اسم (العلاقات الدولية).

إن الأمة الاسلامية ليست أمة سائبة، بل هي أمة ملتزمة بعقيدة وشريعة، وإن الفقه هو الذي يضبط الدورة الحضارية للأمة بأحكام الشرع، حتى يكون إيقاعها الحضاري وفق ما يريده الإسلام، وما يأمر به، حتى تكون حركتها للاسلام وبالاسلام.

وليس الفقه - اذن - خاصا بالأحكام الفردية والأسرية، بل هو يشمل الحياة الاجتماعية والسياسية والدستورية والمالية والدولية، وسائر مجالات الحياة.

وقد اعتاد المسلمون في عصور التراجع والانحطاط والانحراف - والى اليوم - أن يسألوا الفقه في مسائل الحيض والنفاس والطهارة والصلاة والرضاع والطلاق ونحوها، ولا يسألوه في الأمور الكبيرة التي تتعلق بمصير الأمة وكيانها ورسالتها، كما نرى ذلك في عصرنا.

لا يسألونه عن تسلط الحكام العملاء الخونة، أو الحكام الجبابرة المستبدين على شعوبهم المقهورة!.

لا يسألونه عن نهب المال العام، والإثراء الحرام، وتكوين الثروات الضخمة من دماء الكادحين وعرقهم!.

لا يسألونه عن تزوير الانتخابات الذي أصبح ميزة لأوطاننا العربية والاسلامية، فنحن - دون العالم - بلاد التسعات الخمس المعروفة (٩٩٫٩٩٩)!.

لا يسألونه عن الظلم الاجتماعي: ظلم الأغنياء للفقراء، والأقوياء للضعفاء، وأرباب العمل للعمال، وأصحاب النفوذ للمستضعفين!.

لا يسألونه عن التهاون في أرض الاسلام، والتنازل عنها لمن اغتصبها بالقوة، والاعتراف بأنه أصبح مالكها.

لا يسألونه عن السكوت على شعوب إسلامية تذبح وتباد على مرأى ومسمع من أمة الاسلام، ولا تجد من يشد أزرها في محنتها، ويعينها على عدوها.

ويوم سأل بعضهم الفقه الاسلامي في قضية حساسة هي حكم المرتد في شريعة الله وأجاب الفقه بصراحة على لسان فقهائه ودعاته، قامت الدنيا ولم تقعد!

شرعية التيسير:

هذا الفقه الرحب مطلوب تيسيره للناس في عصرنا. وهو واجب على أهل العلم من الأفراد والمجامع والهيئات والجامعات.

وأود أن أقرر في بداية الأمر أن التيسير أمر مطلوب شرعا في ذاته. وليس مجرد استجابة لضغط الواقع، أو تناغما مع روح العصر، كما قد يتصور بعض الناس.

فالشريعة الاسلامية مبناها على اليسر، لا على العسر، وتعليمها للناس مبني على التيسير لا على التعسير، والدعوة اليها قائمة على التبشير لا على التنفير.

اما ابتناء الشريعة على اليسر، فهو واضح غاية الوضوح، من آيات القرآن الكريم، فهو يقول في ختام آية الطهارة: {ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون} (المائدة/٦).

ويقول في ختام آية الصوم: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} (البقرة/ ١٨٥).

ويقول بعد الآيات المتعلقة بالمحرمات في النكاح، وما أحل الله بعد ذلك: {يريد الله أن يخفف عنكم. وخلق الانسان ضعيفا} (النساء/٢٨).

ويقول بعد ان شرع العفو في القصاص بعوض أو بغير عوض: {ذلك تخفيف من ربكم ورحمة} (البقرة/ ١٧٨).

وينفي الحرج عن الدين عاما بقوله تعالى: {وما جعل عليكم في الدين من حرج} (الحج/٧٨).

وحسبنا هذه الآية العامة المطلقة يخاطب الله

بها رسوله الكريم: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (الأنبياء/١٠٧).

واقتباسا منها جاء قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما أنا رحمة مهداه»[١].

وقال لأصحابه حين هموا بالاعرابي الذي بال في المسجد: لا تزرموه - أي لا تقطعوا عليه بولته - وصبوا عليه ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»[٢].

ولما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، زودهما بوصية جامعة مختصرة قال فيها: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا»[٣].

فهذا هو المنهج المحمدي في الدعوة والتعليم:" التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، والتطاوع لا الاختلاف.

وما قاله لمعاذ وابي موسى قاله تعليما للأمة كلها فيما رواه عنه أنس: «يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا»[٤].

المقصود بتيسير الفقه:

ويقصد بتيسير الفقه أمران:

أولهما: تيسير فهمه للمسلم المعاصر المشغول بمتاعب الحياة، المزحوم بكثرة المعارف التي تخرجها المطابع كل يوم، بل كل لحظة مما يعرف اليوم تحت عنوان: (انفجار المعرفة) أو (ثورة المعلومات) ونحوهما.

وثانيهما: تيسير أحكامه نفسها، بالبعد عن التغليظ والتشديد، وترجيح التخفيف والتيسير. وسنخص كلا من الأمرين بحديث.

تيسير الفهم:

أما تيسير الفهم في مجال الفقه، فيتحقق بعدة أمور:

١ - أن يكتب بلغة مبسطة، وأسلوب سهل، بعيد عن الإغراب في الالفاظ، والتكلف في العبارات.

٢ - تجنب وعورة المصطلحات التي فيها كثير من الغموض لدى القارئ غير المتخصص، و(ترجمتها) إلى عبارات سلسة مفهومة للشخص العادي.

٣ - التوسط بين الايجاز الملغز الذي عرفت به (المتون) في المذاهب المتبوعة، والتي كان المقصود منها تسهيل الحفظ، ثم احتاجت المتون الى شروح، والشروح الى حواش، والحواشي أحيانا الى تقريرات.. وبين الاطناب الممل الذي يتوسع في الشرح والتفصيل في غير حاجة الى ذلك.

٤ - مخاطبة العقل المعاصر باللسان الذي يبين له، كما قال تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} واللسان في هذه الآية - في فهمي - أعمق وأوسع من مجرد مخاطبة العرب بالعربية، والانجليز بالانجليزية بل يشمل ذلك مخاطبة العوام بلسان العوام، الخواص بلسان الخواص، فلكل لغته وعقليته. وكذلك الانسان في القرن الخامس عشر الهجري غير الانسان منذ قرنين أو ثلاثة من الزمان.

٥ - ومن ذلك استخدام معارف العصر في بيان الحكم الشرعي، أو في ترجيح بعض الآراء الفقهية على بعض، أو في بيان حكمة الشارع فيما شرع: ايجابا أو استحبابا، أو تحريما أو كراهة، أو اباحة.

٦ - ومنه: ترجمة المقادير الشرعية الى مقادير العصر، كالصاع، والوسق،

والقلة والذراع، والدرهم، والدينار، والأوقـيـــة، ونحوها، في الطهارة وفي نصاب الزكاة، ونصاب السرقة وأقل المهر، والدية ونحوها.

٧ ـ **استخدام بعض المصطلحات الحديثة** اذا كانت تعين على فهم الأحكام الشرعية، مثل استعمال كلمة (وعاء الزكاة) بدل (المقادير التي تجب في الزكاة) ويمكن الجمع بينهما.

٨ ـ **حذف مالا حاجة اليه** في عصرنا من الصور الافتراضية، أو المسائل التي لم تعد قائمة في زمننا، مثل الأحكام الكثيرة الوفيرة المتعلقة بالرق والرقيق، وهي من الكثرة والوفرة بحيث لا تكاد تقرأ بابا من أبواب الفقه في العبادات أو المعاملات الا طالعتك في صور وأمثلة شتى.

فلابد أن يرتبط الفقه بالواقع، ويبين حكمه، فلا يجوز أن يطيل ويفصل في أحكام شـركـات (المفـاوضـة) و(العنان) و(الوجوه) ونحوها مما أطنبت فيه كتب الفقه، ويلوذ بالصمت المطبق، ازاء (شركات المساهمة) و(التضامن) و(التوصية بالاسهم) ونحوها، مما يتعامل الناس معه اليوم في مختلف أوطان الاسلام. ومثل ذلك أن يتوسع ويطنب في زكاة الانعام من الابل والبقر والغنم وما فيها من بنت مخاض، وبنت لبون، ويسكت عن زكاة اموال الشركات المذكورة وزكاة المصانع والعمارات وغيرها من (المستغلات).

ومثل ذلك: أعمال البنوك، وشركات التأمين، وأسواق السلع (البورصات) وغيرها، مما يسأل المسلمون عن حكمه في كل مكان.

٩ ـ **بيان الحكمة من التشريع، حتى يقتنع به العقل**، ويطمئن به القلب. فان الله تعالى لم يشرع شيئا الا لحكمة، وهو كما تنزه عن الباطل في خلقه {ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك} تنزه عن العبث في شرعه. حتى إن القرآن الكريم جعل للعبادات المحضة عللا وحكما مفهومه.. كما في قوله عن الصلاة {إن الصـلاة تنهى عن الفـحـشـاء والمنكر} (العنكبوت/٤٥) وقال في تعليل فرضية الصيام {لعلكم تتقون} (البقرة/ ١٨٣) وفي الحج: {ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله} (الحج/ ٢٨) كما قال في الزكاة {تطهرهم وتزكيهم بها} (التوبة/ ١٠٣).

وينبغي الاستفادة مما يكتبه الاختصاصيون في هذا العصر، مما يفيدنا في بيان حكمة الشرع، واشتماله على أعلى المصالح للبشر، مثل ما يكتبه الأطباء في بيان مضار الخمر وأكل لحم الخنزير، والأمراض الخطيرة التي تنشأ من اقتراف الزنى، والشذوذ الجنسي، ونحو ذلك.

ومثله ما يكتبه الاقتصاديون عن الآثار المدمرة للربا في الحياة الانسانية.

وما يكتبه النفسيون عن أثر الصلاة والعبادة في تكوين الشخصية السوية القوية المتمتعة بالسكينة والطمأنينة، والتي لا تنهار لأول صدمة.

على انه يجب الحذر والتحذير من التعليلات (القاصرة) التي تفتح بابا للمتحللين والمنكرين، مثل تعليل تحريم الربا باستغلال حاجة الفقير، وتعليل تحريم الزنى بمنع اختلاط الانساب، فهذه وما شابهها تعليلات قاصرة لا تغطي كل الصور الواقعية.

١٠ ـ **ربط الأحكام الجزئية بالمقاصد الكلية العامة للشريعة**، ولرسالة الاسلام، فان الاسلام كل لا يتجزأ، فالذي يتحدث عن نظام (العاقلة) في الديات، الذي يحمّل العاقلة أي العصبة، دية قتل الخطأ وشبه

العمد، ينبغي أن يذكّر بنظام (النفقات) بين الاقارب، ونظام (المواريث) حتى تتضح الصورة الكلية ويتقابل جانبا الغُنْم والغُرْم معا، وبذلك ترتبط الاحكام بعضها ببعض.

١١ - التخفيف من كثرة الزوائد والتشعيبات والتعقيدات التي اضافتها العصور المختلفة، وخصوصا في مجال العبادات - حتى غدت كمّاً هائلا من الجزئيات التفصيلية التي نقلت تعاليم الدين من اليسر الى العسر، حتى اني لا أنسى كيف كنت - وأنا صغير السن - اقضي في استماع دروس رمضان بين المغرب والعشاء الشهر كله، ولا نكمل ما يتعلق بالوضوء والطهارة، حتى قلت مرة مازحا: اننا طوال ثلاثين ليلة لم نخرج من دروة المياه!

وقد كان الرجل يأتي من البادية إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} . فيتعلم الوضوء والصلاة بمشاهدة وضوء النبي الكريم وصلاته مرات معدودة. وقد قال: صلوا كما رأيتموني أصلي، وقد يوجهه ببعض الارشادات والتوجيهات، ثم يعود الى قومه وقد تفقه في الدين، ليعلم قومه ما تعلمه.

اما أن يذكر بعض الفقهاء، بضعة عشر شرطا لصحة تكبيرة الاحرام، يجب أن يحفظها من يريد صحة صلاته، فهذا لم يجيء به كتاب ولا سنة، ولا قام عليه تعليم السلف الصالح.

١٢ - الاستفادة من كل ما كتب في عصرنا من العلماء الثقات، في شتى جوانب الفقه الاسلامي، وخصوصا في الفقه المقارن، ومن قرارات ودراسات المجامع الفقهية والعلمية في انحاء عالمنا الاسلامي. ومن الرسائل الجامعية الاكاديمية للماجستير والدكتوراه في الموضوعات الفقهية.

ومن أجزاء الموسوعات التي صدرت في الكويت والقاهرة. ومن البحوث والفتاوى التي تصدر عن ادارات الافتاء المختصة. وكذلك ما يصدر عن هيئات الرقابة الشرعية للمصارف الاسلامية.

١٣ - يحسن أن يكون هناك اكثر من كتاب في الفقه، مثل كتاب لمستوى معين من الثقافة والادراك، يتدرج مع المسلم كيفا وكما، ويبدأ بالعبادات ثم بشئون الأسرة ثم بالمعاملات المهمة، ثم بعد ذلك يشمل أبواب الفقه كلها. ويمكن أن يكون على مستويين أو ثلاثة.

وقد كان علماؤنا السابقون يراعون هذا في تأليفهم. فنجد الامام أبا حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) يؤلف في فقه الشافعية: (الخلاصة) ثم (الوجيز) ثم (الوسيط) ثم (البسيط) (أي المبسوط الموسع) وفيه قال بعض الشافعية:

نصر المذهب حبر
أحسن الله خلاصه
ببسيط ووسيط
ووجيز وخلاصة

ونجد ذلك في مؤلفات الامام ابن قدامة الحنبلي، ابتداء بـ (العمدة) وانتهاء بـ (المغني) وبينهما (المقنع) و(الكافي).

١٤ - يلتزم بالترقيم وعلاماته المتفق عليها. وتضبط الآيات والاحاديث بالشكل، مع الالتزام بترقيم الآيات وبيان سورها، وتخريج الاحاديث تخريجا غير مفصل وذلك ببيان من أخرج الحديث وبيان درجته إن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما على ألا يستدل بحديث يقل عن درجة الحسن.

١٥ - ينبغي الاستعانة بكل وسائل الايضاح الممكنة، التي أتاحها لنا العلم المعاصر، لتساعد على زيادة الفهم للأحكام

الشرعية من كل ما هو مباح وملائم ومتيسر من رسوم توضيحية، وصور فوتوغرافية، وخطوط بيانية، ومن جداول وخرائط وغيرها، تأسيا بالنبي [صلى الله عليه وسلم] الذي كان يعلم أصحابه بالخط على الرمال، وضرب الأمثلة للتقريب والتوضيح.

١٦ - يجب وضع فهارس مفصلة في نهاية الكتاب، بعضها حسب الموضوعات وبعضها حسب الالفاظ المعجمة، وبعضها للآيات. وبعضها للأحاديث، وغير ذلك مما يعتبر مفاتيح ضرورية للباحث في الكتاب.

التيسير في الأحكام:

ذلك هو التيسير في تقديم الفقه، وتقريبه الى عقل المسلم المعاصر غير المتخصص، أي الى جمهور المسلمين، وهذا هو الشق الأول من التيسير.

أما الشق الثاني من التيسير فيتعلق بالتيسير في أحكام الفقه ذاتها، بحيث يسهل على المسلم المعاصر تنفيذها والالتزام بها في العبادات والمعاملات وسائر شئون الحياة، فردية واجتماعية.

وليس معنى التيسير الاتيان بشرع جديد من عند انفسنا، نسقط به عن الناس ما فرضه الله عليهم، أو نحل لهم ما حرم الله عليهم. أو نبتدع لهم في الدين ما لم يأذن به الله تعالى.

فهذا ليس من التيسير الذي نريده في شيء. بل هو تزييف وتحريف، لا يقبله عالم مسلم يحترم دينه، ويحترم عقله.

إنما نريد بالتيسير هنا جملة أمور:

مراعاة جانب الرخص:

مراعاة جانب اليسر والرخص في الشريعة الى جوار العزائم، فلكل أهله. ولا ينبغي أن نعامل الناس كلهم بمستوى واحد، ولا يطالب الضعفاء بما يطالب به الأقوياء، ولا حديث العهد بالاسلام أو بالتوبة، مثل العريق في الاسلام والالتزام به. فقد قبل الرسول [صلى الله عليه وسلم] من بعض الاعراب الاكتفاء بالفرائض الاساسية وحدها، مع حلفه أنه لا يزيد عليها ولا ينقص، ومع هذا قال: «أفلح إن صدق» أو «دخل الجنة إن صدق»[٥]، وقال في بعض الأحوال: «من سره أن ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا»[٦].

وقال [صلى الله عليه وسلم]: «ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته»[٧]، «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»[٨].

ومن ذلك: مراعاة الظروف والاعذار المخففة، والضرورات التي تبيح المحظورات، مع تقييدها بأن ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.

وينبغي التذكير هنا بكلمة نقلها الامام النووي في مقدمات (المجموع) عن الإمام الكبير سفيان بن سعيد الثوري، الذي انعقدت له الامامة في الفقه وفي الحديث، وفي الورع، فقد قال رضي الله عنه، وما أروع ما قال:

إنما الفقه الرخصة من ثقة، أما التشديد فيه فيحسنه كل أحد[٩].

ولابد أن نلحظ قوله: الرخصة من ثقة، وهو من يوثق بفقهه ودينه معا. أما من فقد الأمرين أو أحدهما فهو يترخص فيما لا يجوز الترخص فيه، فيصادم القواطع والمحكمات من نصوص الشرع وقواعده.

واذا كان التيسير مطلوبا دائما، كما أمرنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فهو الزم ما يطلب في عصرنا هذا. نظرا لرقة الدين في

أنفس الكثيرين، وغلبة النزعات المادية، وتأثر المسلمين بغيرهم من الامم، نتيجة لشدة الاتصال بين العالم بعضه وبعض، حتى قال من قال: إن العالم قريتنا الكبرى! ولم يعد في استطاعة أحد أن يعيش في عزلة من غيره، واجهزة الاعلام تقتحم عليه داره، وتريه ما يجري في أقصى أطراف العالم، وخصوصا اليوم بعد ما عرف باسم (البث المباشر).

وهذا ما عبر عنه علماؤنا في العصور المتأخرة بـ (تغير الزمان) أو (فساد الزمان) وجعلوه سببا من أسباب تغير الفتوى، كما ذكر العلامة ابن عابدين وغيره.

فقد قال ابن عابدين في رسالته (نشر العرف فيما بني من الأحكام على العرف): «إن كثيرا من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو لفساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولا، للزم منه المشقة والضرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير، ودفع الضرر والفساد»[١٠].

والمنهج الذي أراه ـ وهو منهجي الذي التزمت به في الفتوى والتأليف والتدريس ـ هو التيسير في الفروع، والتشديد في الأصول.

فاذا كان هناك وجهتا نظر، أو قولان متكافئان أو متقاربان في قضية، أحدهما أحوط، والآخر أيسر، فإني أختار للفتوى لجماهير الناس: الأيسر لا الأحوط.

والحجة في هذا: ما قالته عائشة رضي الله عنها: «ما خُيِّر رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما»[١١].

وقوله فيمن أطال بالناس الصلاة: «يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس، فليوجز، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة»[١٢]، فأشار الى ضرورة رعاية ظروف الناس، والتخفيف عنهم، وخصوصا الضعفاء منهم.

والدارس المتعمق يلاحظ أن فقه الصحابة والسلف كان يتجه غالبا الى الأيسر. وفقه من بعدهم كان يتجه غالبا الى الأحوط.

فالصحابه ـ فيما أثر عنهم من فقه ـ نجدهم أكثر الناس تيسيرا على الخلق، والتابعون على نهجهم وإن لم يبلغوا درجتهم، والأتباع على نهج التابعين، وان لم يكونوا مثلهم، لأنهم بدأوا يتجهون الى التحوط، وكل جيل أخذ يضيف بعض (الأحوطيات) الى ما قبله.

واذا كثرت (الأحوطيات) في الفقه المتصل بحياة الناس، فإن مجموعها التراكمي سينتهي الى شيء من الاصار والأغلال التي جاء النبي {صلى الله عليه وسلم} بوضعها عن الأمة، فقد جاء في وصفه في كتب أهل الكتاب {ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} (الأعراف/ ١٥٧). ومن الأدعية التي علمها الله للمسلمين وختمت بها سورة البقرة {ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا} (البقرة/ ٢٨٦).

التضيق في الايجاب والتحريم:

ومن التيسير المطلوب: التضييق والتحري البالغ في تكليف الناس بالأحكام وخصوصا في مجال الفرض والتحريم، فلا يجوز التوسع في ذلك بأدنى دليل، بل لابد من نص صحيح الثبوت، صريح الدلالة، على فرضية الفرض، وحرمة الحرام، أو قياس واضح العلة على نص، **فإنا**

نتطلع أن الشريعة العادلة لا تفرق بين متماثلين، كما لا تسوي بين مختلفين.

وقد كان السلف يتحرجون من التحريم - ومثله الفرضية - الا أن يكون معهم دليل لا شبهة فيه، كما هو مذهب الحنفية، والا نزلوا من الفرض الى الواجب، ومن الحرام الى المكروه.

ولهذا كثر في كلامهم مثل قولهم: يعجبني كذا وكذا، أو استحب كذا وكذا، ولا يصرح بالوجوب الا ما علم جزما بوجوبه.

وقولهم في جانب المنهيات: اكره كذا، ولا أحب كذا، ولا يعجبني كذا، ولا يصرحون بالتحريم، الا ما علم جزما بتحريمه. ويدل لهذا الاتجاه موقف الصحابة من شرب الخمر، فقد ظل بعضهم يشربها ويقول: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، برغم نزول آية {قل: فيهما إثم كبير ومنافع للناس} (البقرة) وآية {لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون} (النساء/ ٤٣) حتى نزلت الآية الثالثة، وفيها (البيان الشافي) الذي ارتقبوه {إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} (المائدة/ ٩٠).

ويبدو من التأمل في القرآن والسنة: أن الاسلام كان حريصا على تقليل التكاليف وتوسيع (منطقة العفو) رحمة بالمكلَّفين غير نسيان.

ففي القرآن الكريم جاء قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تسُؤكُمْ، وإن تسألوا عنها حين يُنَزَّلُ القرآنُ تُبْدَ لكم، عفا الله عنها، والله غفور رحيم} (المائدة/ ١٠١).

وقد توسع في شرحها والتعليق عليها العلامة رشيد رضا رحمه الله، وجعلها أساس كتابه (يسر الاسلام).

وفي السنة نجد قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يُحَرَّم. فحُرِّمَ من أجل مسألته»[١٣].

وقوله {صلى الله عليه وسلم}: «دعوني ما تركتكم. انما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم[١٤] وفي رواية «فإنما أهلك الذين قبلكم كثرة مسائلهم» الحديث[١٥].

وقوله عليه الصلاة والسلام: ما أحل الله في كتابه فهو حلال. وما حرمه فهو حرام. وما سكت عنه فهو عفو. فاقبلوا من الله عافيته. فان الله لم يكن لينسى شيئا. ثم تلا «وما كان ربك نسيا»[١٦].

والحديث الآخر: «إن الله قد حَدَّ حدودا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تضيعوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء، رحمة بكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها»[١٧].

التحرر من العصبية المذهبية:

ومن التيسير المنشود: التحرر من الالتزام بمذهب واحد معين، يأخذ به جميع الابواب والمسائل، عبادات ومعاملات، وإن كان فيه من التعسير والتضييق ما فيه، وكذلك ان ظهر ضعف دليله ومستنده الشرعي، في مقابل المذاهب الأخرى.

فالمذهب الواحد قد يضيق في بعض المسائل والقضايا، ولكن الشريعة بنصوصها ومقاصدها ومجموع مذاهبها وتراث فقهائها، فيها من السعة والمرونة، ما يعطي حلا لكل مشكلة، ودواء لكل داء من طب الشريعة نفسها.

لقد ذم علماء المسلمين المحققون التقليد وأنكروه، ولم يعتبروا المقلد عالما، وإنما هو تابع

لغيره، إذ التلقيد هو قبول قول الغير بلا حجة، والعلم هو معرفة الحق بدليله. ويقول الامام ابن الجوزي: إن المقلد على غير ثقة فيما قلد، وفي التقليد إبطال منفعة العقل، لانه خلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن اعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة»[١٨].

وقال غيره: لا يقلد إلا عصبي أو غبي!

وأبطل العلامة ابن القيم التقليد ورد على دعاة التقليد من واحد وثمانين وجها: في (اعلام الموقعين).

وتحررنا من صرامة التقليد والعصبية لمذهب معين، لا يعني أن نذم المذاهب أو ننال من شأن الأئمة الكبار - رضي الله عنهم - فهذا لا يقوله مسلم شم رائحة العلم، وقد ألف شيخ الاسلام ابن تيمية كتابا قيما شهيرا في ذلك سماه (رفع الملام عن الأئمة الاعلام) بيّن فيه اعذار الأئمة في ترك ما تركوه من الحديث.

كما أن هذا التحرر لا يعني الاستغناء عن فقه المذاهب وكتبها وما حفلت به من تعليلات وتخريجات وتفصيلات، ومناقشات ثرية، لا يشك في قيمتها دارس، ينشد الحق، ويبحث عن الصواب بأدلته.

إنما نعني بالتحرر: ألا يقيد الفقيه نفسه بغير ما قيده الله به ورسوله، فيأخذ من أي مذهب كان ما يراه أقوى حجة، وأرجح ميزانا في ضوء المعايير الشرعية، وفي هذا توسعة وتيسير كبير.

وإنما قلنا بذلك لعدة اسباب مفصلة في مواضعها، أستطيع أن أوجز أهمها فيما يلي:

أ - ان التقيد بالمذاهب، التزام بما لا يلزم ولا يجب دينا وشرعا، اذ لا واجب - دينا وشرعا - الا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ورسوله اتباع مذهب معين من مذاهب الائمة، انما أوجب اتباع الكتاب والسنة، وهذه المذاهب انما نشأت بعد أن اكتمل الدين، وانقطع الوحي، في القرن الثاني أو الثالث للهجرة، فلا يتصور وأن يأتي الدين بإيجاب اتّباعها وهي لم تنشأ بعد.

ب - إن الأئمة المتبوعين انفسهم نهوا عن تقليدهم، كما روى ذلك الحافظ ابن عبد البر ونقله عنه ابن القيم وغيره.

فليس في وجوب اتباعهم كتاب ولا سنة ولا اجماع، وقول المقلدين بوجوب اتباع المذاهب غير معتبر، لأن المقلِّد لا يقلَّد، حتى إنهم لو أجمعوا، لم يكن إجماعهم معتبرا، لأن الإجماع المعتبر، هو اتفاق المجتهدين في عصر من العصور، لا اتفاق المقلدين.

جـ - إن العلماء المقلدين انفسهم قد رجعوا: أن العامي لا مذهب له، وأن مذهبه مذهب من يفتيه من العلماء. وجماهير المتعلمين في عصرنا هي التي تستفتينا وتسألنا أن نقدم لها فقها عصريا ميسرا، فليس لها هي مذهب معين، انما مذهبها ما يقدمه أهل العلم لها مقرونا بأدلته.

د - إننا مطالبون أن نقدم أحكام الاسلام للناس لنرغبهم في هذا الدين، ونحبب اليهم أصوله وتعاليمه. فهل من المقبول أن نقدم لهؤلاء نماذج أربعة - أو سبعة أو ثمانية - تمثل المذاهب المتبوعة، ونقول لهم: إن كل نموذج من هؤلاء يمثل التعاليم الاسلامية في رأي مدرسة أو مذهب من مذاهب فقهائه؟.

هـ - ومثل ذلك يقال لمن دخلوا في الاسلام بالفعل، وهم يكثرون والحمد لله، ومثلهم الاقليات الاسلامية، والجاليات الاسلامية في شتى اقطار الدنيا، ما الذي ينبغي أن يقدم لهم، وعلى أي مذهب؟ وهل من الملائم أن نقول

للمسلم الداخل حديثا في الاسلام: إن أمامك عددا من النماذج، فاختر واحدا منها؟.

لقد طالبت الجاليات الاسلامية منذ اكثر من ثلث قرن من مشيخة الأزهر، ووزارة الأوقاف في مصر، مجموعة من الكتب أو الرسائل، في نحو ثلاثين موضوعا تلبي حاجات ثقافية للمسلم والمسلمة في تلك المواقع، فهل تؤلف الرسائل أو الكتب على كل مذهب على حدة؟ أم يؤلف الكتاب على ارجح ما يراه المؤلف أو المؤلفون، وفق المعايير الاسلامية المعتبرة؟

لقد كنت ممن ساهم في هذا المجال حين طلب إليَّ أن أكتب عما يحل للمسلم وما يحرم عليه، فكان كتاب (الحلال والحرام في الاسلام) الذي اعتمدته مشيخة الأزهر، والادارة العامة للثقافة الاسلامية، ليترجم الى الانجليزية ثم الى غيرها بعد، وإن أخفق المشروع في النهاية للأسف.

و ـ إن المثقفين المعاصرين اليوم يطالبون علماء الشريعة بتقديم فقهها للقضاة والمتقاضين في صورة مواد مقننة منضبطة، كما صنعت (مجلة الأحكام العدلية) من قبل، فهل نقدم هذا (التقنين) العصري على صورة (نماذج أربعة) أو أكثر؟ أو نقدم (نموذجا مختارا) يمثل الأرجح والأقوى في ضوء (الكتاب والميزان) اللذين أنزلهما الله ليقوم الناس بالقسط، بحيث تتحقق مقاصد الشرع، ومصالح الخلق، كما يحب الله تعالى؟.

التيسير فيما تعم به البلوى:

وأهم ما ينبغي التيسير فيه ما تعم به البلوى، من أمور العبادات أو المعاملات. فإذا كان هناك بعض المذاهب تشدد في شئون الطهارة والنجاسة مثلا، كمذهب الامام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ فليس هناك موجب لالزام الناس به، لما قد يترتب عليه من الحرج عند جماهير من المسلمين وخصوصا في الريف والقرى.

فلا غرو أن يتجه الفقيه الى مذهب مالك ومن وافقه في القول بأن كل ما يؤكل لحمه فبوله وروثه طاهر، وأن الماء لا ينجس إلا بالتغيير، وهذا ما رجحه وأفتى به شيخ الاسلام ابن تيمية، وعضده بالادلة.

وقد قال الامام الغزالي في كتاب (الطهارة) من (الاحياء) عن الشافعي: كنت أود أن يكون مذهبه في المياه كمذهب مالك، وساق سبعة أوجه لتأييد مالك، وهو شافعي المذهب، رضي الله عن الجميع.

ومثل ذلك ما قاله الغزالي عن البيع بالمعاطاة. أي بغير لفظ الايجاب والقبول، وهو ما يجري عليه عمل المسلمين في كل مكان، وفي سائر العصور، وقول الشافعي فيه شديد، والبلوى به عامة.

فعلى الفقيه أن يعمل على تصحيح معاملات المسلمين ومن داخل الفقه ومصادر الشريعة وقواعدها ما وجد الى ذلك سبيلا.

وهذا ما يلمسه الدارس لدى كثير من علماء الفقه في المذاهب المختلفة، ولا سيما في الأعصر الأخيرة، فهم يحاولون أن يلتمسوا مخرجا لتصحيح التعامل، اما بتكييفه تكييفا يجعل له مستندا من الشرع، أو بحيلة فقهية، أو باللجوء الى قول مهجور أو ضعيف في المذهب، أو باجازة تقليد مذهب آخر.

وكثيرا ما يكون الضيق والحرج، ناشئا من التقيد بمذهب معين، ولو تحرروا منه الى باحة المذاهب المتبوعة، وأقوال الصحابة والسلف، والى النصوص والقواعد العامة، لوجدوا في باحتها الفسيحة ما يخرجهم من الضيق الى السعة، ومن العسر الى اليسر.

ومن جوانب التيسير ـ فيما تعم به البلوى ـ الاشارة الى الرأي المخالف الذي لم يأخذ به الكاتب أو الكتاب، ولو في الحاشية، وإن كان في نظره ضعيفا، فقد يكون قويا في نظر غيره، ويتعين هذا اذا اختار هو القول الأحوط، أو الأشد، فيلزم

الاشارة الى الرأي الأيسر.

ومن فوائد هذا: التعريف بأن المسألة فيها اكثر من رأي أو وجهة نظر، فالمختلف فيه غير المجمع عليه، وذكر هذا في هذا المقام خاصة من الامانة العلمية.

ومن ناحية ثانية، فالأمور الاجتهادية القابلة لتعدد الانظار، واختلاف الاجتهادات، لا يجوز أن يعتبر من أخذ بوجهة منها مرتكبا لإثم ينكر على صاحبه، ولهذا قالوا: لا إنكار في المسائل الاجتهادية.

وأمر ثالث، وهو الابقاء على الضمير الديني، عند من يعملون على خلاف الرأي الأحوط أو الأشد أو المشهور، وهو ما لحظه الاستاذ الاكبر، شيخ الأزهر الأسبق، الشيخ محمد مصطفى المراغي، حين تبنى أقوال الامام ابن تيمية وبعض السلف في قضايا الطلاق وغيرها من الاحوال الشخصية، فإن الناس يحلفون بالطلاق كل يوم، وخصوصا الباعة والعامة، ويحنثون، ويظنون أن طلاقهم واقع، وانهم يعيشون مع نسائهم في حرام، وأن ذريتهم منهن اولاد حرام، ومثل هذا الاعتقاد يفسد ضمائرهم ويجرئهم على الحرام الصرف المقطوع به.

ومثل هذا يقال فيمن يفتي بتحريم حلق اللحية. تحريما قاطعا، بل يحرم أخذ أي شيء منها، وجماهير المسلمين تفعل ذلك.

وكذلك من يفتي بتحريم اطالة الثوب الى اسفل من الكعبين، واعتبار فاعله في النار، وجماهير الامة الاسلامية واقعة في ذلك، كما هو مشاهد.

ومثله من يفتي بتحريم بيع الذهب المصنوع (الحلي) بأجل معتبرا أن الذهب كله - حتى المصنوع منه - نقود، وأن الصنعة لم تضف إليه شيئا، ولم تخرجه عن الثمنية الى السلعية، وعلى هذا يحرم بيعه وشراؤه الى أجل، كما يفعل كثيرون اليوم، حيث يشترون هدايا العرس أو ما يسمونه (الشبكة) ويدفعون الثمن ويؤجلون بعضه.

فإذا افترضنا أن الفقيه اختار الرأي الاثقل، فالواجب في رأيي أن يشير الى الرأي الآخر. ولا يحمل الناس على رأي واحد. فتكون فتنة. كما قال الامام مالك - رضي الله عنه - معللا رفضه حمل الناس على (الموطأ).

«للحديث بقية»

الهوامش:

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن أبي هريرة كما رواه ابن سعد عن ابي صالح مرسلا. صحيح الجامع الصغير (٢٣٤٥).

(٢) رواه عن ابي هريرة البخاري والترمذي والنسائي في كتاب الطهارة.

(٣) متفق عليه عن ابي موسى ومعاذ كما في (اللؤلؤ والمرجان) حديث (١١٣٠).

(٤) متفق عليه عن أنس - المصدر السابق (١١٣١).

(٥) متفق عليه عن طلحة: رواه البخاري (١٣٩٦ و ٥٩٨٢) ومسلم (١٣). انظر: (رسالتنا عوامل السعة والمرونة في الشريعة الاسلامية).

(٦) متفق عليه عن ابي هريرة: البخاري (١٣٩٧) ومسلم (١٤).

(٧) رواه احمد عن ابن عمر، وصححه الشيخ شاكر (٥٨٦٦ و ٥٨٧٣) والبزار والطبراني، قال الهيثمي (٦٢/٣) : رواه احمد ورجاله رجال الصحيح، والبزار والطبراني في الأوسط، واسناده حسن. وابن حبان في صحيحه (٢٧٤٢).

(٨) رواه ابن حبان عن ابن عباس (٣٥٤) وصححه محققه، والبزار والطبراني وقال الهيثمي (١٦٢/٣) رجالهما ثقات: وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب انظر: كتابنا (المنتقى ٥٥٤).

(٩) انظر المجموع للنووي جـ ١.

(١٠) انظر: رسائل ابن عابدين جـ ٢، ص ١٢٥.

(١١) متفق عليه عن عائشة، اللؤلؤ والمرجان (١٥٠٢).

(١٢) متفق عليه عن أبي مسعود الانصاري، المصدر نفسه (٢٦٧).

(١٣) متفق عليه عن سعد بن ابي وقاص، كما في اللؤلؤ والمرجان (١٥٢١).

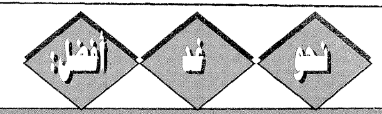
(١٤) متفق عليه عن ابي هريرة - المصدر نفسه (٨٤٦).

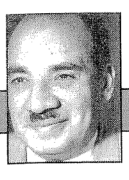
(١٥) هذه الرواية لمسلم (١٣٣٧).

(١٦) رواه الحاكم عن ابي الدرداء وصححه (٣٧٥/٢) ووافقه الذهبي وقال الهيثمي (١٧١:١): رواه البزار والطبراني في الكبير واسناده حسن ورجاله موثقون.

(١٧) رواه الدارقطني وحسنه النووي في الاربعين. ونازعه ابن رجب في شرحه للحديث في جامع العلوم والحكم.

(١٨) من كتاب (تلبيس ابليس) ص ٨١.





تكامل الفكر الاسلامي

بقلم
الكاتب الرائد :
انور الجندي
- مصر -

تكاد تجمع كل الدراسات الجادة المنصفة على:
- أن رسالة الاسلام مدعوة لانقاذ العالم كرَّة أخرى واخراجه من براثن الوثنية والمادية والانهيار الخلقى حيث يراد وضع قواعد دين جديد غير دين الاسلام الذى أنزله الله تبارك وتعالى ومحاولة ترويج الفهم للاسلام على أنه دين عبادة وليس منهج حياة.

وكان الاسلام منذ اليوم الأول قد احترم خصائص الشعوب التي دخلها واكتفى بأن يرفع عنها ما كانت تعانيه من اضطهاد قومي أو عنصري سواء من الفرس أو الروم وترك لها الحق في تأدية شعائر دينها وبهذا شكل الاسلام أمته على تعدد الالسنة والاصول القومية، وأفسح مكانا فى داره لمن خالفه العقيدة من أهل الكتاب.

لقد حرر الاسلام البلاد التي دخلت دائرة حكمه من العبودية - عبودية الانسان للانسان، عبودية شعب لشعب، عبودية الشهوات واللذات والمطامع ثم رأت شعوب المنطقة اعادة تشكيل نفسها في ظل الاسلام بعد أن رأت سماحة الاسلام وحمايته لوجودها وعباداتها حتى قبلت راضية الدخول فيه وتكونت عالمية الاسلام من هذه الدعوة المفتوحة التى لم تحتكر العلم على العرب وانما اشاعت ذلك في كل العناصر التى تستظل بظل الاسلام فالبخاري من بخارى والخوارزمي من خوارزم والقابسي من

قابس بتونس وأبو الريحان البيروني من بيرون في بلاد السند وابن خلدون تونسي قحطاني وابن النفيس القرشي من دمشق فكلهم كما يقول الدكتور عبد المجيد الهاشمي اسرة اسلامية واحدة.

كانت دعوة الاسلام الكبرى هي التوحيد الخالص لله تبارك وتعالى الذى منه تبدأ الأمور كلها وإليه تنتهي والذى جعل التمسك بالقرآن الكريم كأساس موحد بين المسلمين مع الغاء العصبية المذهبية .

ويقرر الاسلام ان باب الاجتهاد مفتوح وبه دعوة الى التبشير بالمخترعات الحديثة ويدعو الى وسطية بين طرفي الامور، ويقدم الاسلام تكامل مفهوم المعرفة (الحس ـ العقل ـ الالهام ـ الوحي الالهي) كما يقرر أن لكل أمر وجهين: مادي ومعنوي وأن تكاملهما هو المنطلق الصحيح، وأن العقيدة وليست اللغة هي علامة بناء الجماعة فإذا زالت العقيدة زالت الجماعة وانحلت وانقرض وجودها، والاسلام هو الذي شكل عقلية الأمة.

كما دعا الاسلام الى التحرر أساساً من العنصرية والاستعلاء بالعرق أو الدم، كما كانت الحرية والعدل في الاسلام تمتاز عن الديمقراطية والاشتراكية وتجيء هنا خطيئة مقولة (ثم جاءت الاديان) لأن الاديان بدأت مع نوح عليه السلام.

وقد جعل الاسلام (الاخلاق) ميزانا لكل القيم، فهي جزء من العقيدة ولها ثباتها واستقرارها.

كما جعل الوحي والعقل متكاملين فالوحي نور العقل والعقل لا ينطلق إلا فى ضوء الوحي، وإن العقل الانساني لا يكون في كل حالاته بمعزل عن الهوى أو العاطفة تماما وبذلك ليس ثمة ما يطمئن على صدق أحكامه. وتعد قيم الدين اكثر فاعلية في النفس وفي تقدم المجتمع من تلك القيم التى تستند على العقل وحده.

وإن أغلب مذاهب الاخلاق الوضعية قديما وحديثا انحرفت عن الجادة القويمة، ان قيم الاخلاق فى الاسلام تخاطب الفطرة السليمة والوجدان المباشر وإن أخلاق الدين قادرة تماما على هداية السلوك وتقدم الشعوب والمجتمعات بما تمنحه من طاقات روحيه هائلة.

وإن تراث المسلمين يختلف عن تراث الغرب وذلك لارتباط تراث المسلمين بالقرآن والسنة الشريفة فقد جاء ايضاحا لهما وتفسيرا وكشفا عن جوهرهما ومن خلال هذا التراث اقام المسلمون اعظم مناهج الفكر والعلم فى حياتهم الاسلامية حيث اقام منهج المعرفة الجامع من الوحى والعلم، ومنهج تكامل الثقافة في الربط بين الامة فى وحدة شاملة كان قوامها (الوحي) والرسالة وكان منهج العلم التجريبى اكبر مناهجه التى اعطت البشرية الحضارة الحديثة التي قامت على التجريب والبرهان فلما توقفت حضارة الاسلام انقطع الخيط فاذا عاد المسلمون اليوم الى استئناف حضارتهم فلابد ان يصلوا حاضرهم بماضيهم ومن هنا كانت اهمية بقاء التراث واستمراره.

وقد اعلا الاسلام شأن الفكرة والعقيدة

على العناصر والدماء والاجناس وإن جامعة الاسلام هى جامعة وحدة الفكر القائمة على الايمان بالله تبارك وتعالى وقد ادخل الاسلام فكرة (الامة) المرتبطة بالعقيدة ووضع النبى {صلى الله عليه وسلم} أسسها ونظمها على قاعدة: (الناس كلهم لآدم وآدم من تراب وانه لا فضل لعربى على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).

وقد تبين على مدى أربعة عشر قرنا وعلى عشرات الاقلام الغربية وغيرها أن الاسلام هو المنقذ الوحيد للبشرية من ازمات الحاضر، وان القرآن الكريم هو الوثيقة الوحيدة القادرة على مواجهة كل قضايا البشرية لانه الكتاب السماوي الذى وثق الانبياء والرسل والكتب السماوية وقد اعترف بهذا علماء الغرب فى ظل ما عرف بأزمات التاريخ.

إن الاسلام هو القادر على حل أزمة الغرب النفسية والاجتماعية وقد تكشف بما ليس له مزيد ان حضارة الاسلام حضارة اخلاقية تجمع بين الفكر والعمل وهي كما عبر عن ذلك بعض الباحثين:

(١) لا تقدس الفكر وترفعه فوق العمل كما كان الشأن فى الحضارات اليونانية القديمة.

(٢) تجمع بين المادة والروح وترى أن المجتمع المتكامل السليم، هو المجتمع الذى لا يهمل الحوافز الروحية الى جانب الحوافز المادية في عملية التطور ولهذا كانت الامة الاسلامية الآخذة بهذه الحضارة أمة وسطا (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) وقيم الاسلام الدافعة إلى التقدم الحضاري ليست معانى مجردة مستقلة بذاتها عن العمل (كمثل افلاطون) بل هي قيم ذات فعالية ايجابية فى واقع المجتمع.

ومعنى الحضارة هو مجموع الفكر والعمل وليست الحضارة هى التقدم المادي وحده بل هي جماع القيم الروحية والنفسية وقيم الفنون والعلوم ولابد أن ترتبط أساسا بالقيم الاخلاقية.

إذ أن الحضارة المادية وحدها بدون قيم أخلاقية لا تلبث ان تسقط.

لقد كان الاسلام علامة على انتهاء عصر، وبدء عصر قوامه تكامل القيم لا الفصل بين القيم، فقد قدم القرآن الكريم تصوراً كاملا للميتافيزيقا (عالم الغيب) كما قدم منهجا كاملا للحياة يختلف عن منهج الفلاسفة اليونان الذين اقروا عبودية الانسان للانسان.

هذا الدين الخاتم الذى يبقى إلى أن يرث الله الارض ومن عليها فلن تستطيع قوة على وجه الأرض أن تغلبه أو تقضى عليه، بل يؤكد القرآن فى ثلاث آيات متفرقات هذه الحقيقة: {لِيُظْهِره على الدين كله}.

ولن يكون ما يمر به الآن من تراجع لاهله او تخلف لهم الا نوع من الامتحان لمواجهة المؤامرات الممتدة والازمات المتواليه وقد عرف المسلمون منذ وقت بعيد انهم محاصرون وأن عليهم أن يثبتوا فان لم يستطيعوا أن يتقدموا فلا أقل من الثبات في مواقعهم وعلى المسلمين ان يستجيبوا

لنداء المواجهة بالمقاومة، بالصمود، بالتحرر من قيود المادة وقيود الاخلاد إلى الأرض، والتقدم الى بيع النفس خالصة فى سبيل الله واقراض الحق فى سبيل الدفاع عن الحق واسترجاع بيت المقدس.

إن الصوره ليست فى جملتها مظلمة ولكن بعض جوانبها تزخر بالضياء فما يزال الاسلام يزحف فى قوة ويحتل مواقع جديدة ويتمدد ويزداد كل يوم قوة وعدداً.

إن الذين يظنون أنهم قادرون على حصار الاسلام وإذابته في بوتقة الحضارة المنهارة يخدعون أنفسهم. فلن ينهزم الحق أبداً ولكن سينهزم الذين لا يثبتون في مواقع الدفاع فسيبدلهم الله تبارك وتعالى بغيرهم ولن تستطيع هذه القوى المتجمعه أن تقضى على هذا الكيان او تهدمه ومن المحتم انه سينتصر فى النهاية بعد أن يُري المؤمنون ربّهم من أنفسهم ثباتا وصمودا وتحررا من تبعية الإخلاد إلى الارض.

ان الحضارة الاسلامية تؤمن بالتقدم المادى من خلال القيم الاخلاقية والثوابت العقدية ولا يقبلون بديلا عن المنهج الربانى.

وقد أقام الاسلام الثوابت والمتغيرات وجعل الاخلاق من القيم الثوابت فنحن مطالبون في الاهم الاكبر حماية القيم الاخلاقية والقضاء على إشاعة الاباحة والانحلال والفساد الخلقى وحماية المناعة القادرة على مواجهة مخططات الأعداء.

وبالجملة فإن التصور الكامل لمفهوم تكامل الفكر الاسلامي يقوم على أساس قاعدة المعرفة الاسلامية وأساسها الجمع بين الوحي والعقل وهو تصور يقوم على الارتباط بين المعرفة والقيم الالهية ورد الاعتبار للوحي كمصدر أساسي من مصادر المعرفة وإعادة فهم المعرفة بأنها معطى إلهي للإنسان ليمكنه من مهمة الاستخلاف والعمران.

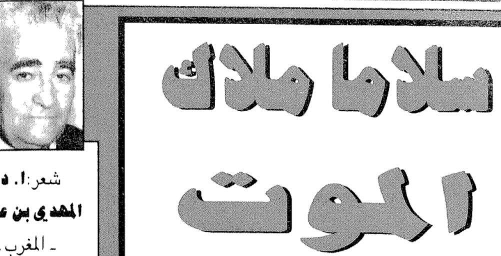
مع اعلان فساد نظرية المعرفة القائمة على التصور المادي المتمثل في (الفلسفة المادية - العقل - المحسوس).

ولم يكن تكامل المنطوق الاسلامي بين الواقع وعالم الغيب ما يمثل ردة حضارية أو افكاراً محنطة (كما يدعي العلمانيون) وإنما الردة هي انكار تكامل الفكر الاسلامي بين الروح والمادة وتكامل الذاتية الانسانية بين العقل والوجدان. ونحن حين نتجاهل الغيب والوحي فإننا نفقد جانبا كبيرا هاما من مفهوم الوجود والحياة والانسان ونجري مع وهم كبير وهو المحسوسات وحدها.

إننا نحب أن نحترس من أمرين أساسيين:

الأول: **الفكر العربى (لبرالي وماركسي)**

الثاني: **إحياء الفكر القديم الوثني والمنقول عن الفكر اليوناني فكر الفلسفة المادية الذى حاربه الامامان الغزالي وابن تيمية والذى يحاولون اليوم إذاعته تحت رداء اسمه (الحداثة) لخدمة أهداف التبشير والاستشراق والتغريب.**



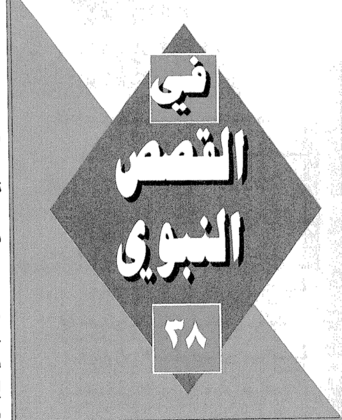
سلاما ملاك الموت

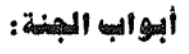
شعر: أ. د.
المهدي بن عبود
- المغرب -

سلاما ملاك الموت ما جئتُ شاكيا
أيشكو جوارَ الحقِّ من كان راضيا؟
أيشكو فراق العصر والعصر منذر
بتدمير ما قد كان بالأمس بانيا؟
بتدمير أرواح وأركان أمة
وإفساد أجيال حديثا وآتيا
أيشكو فراق الأرض والأرض مرتع
لمن باع للأهواء قلبا مرائيا؟
أيشكو فراق الناس والناس سجد
لأوثانهم شتى جديدا وباليا؟
أيشكو فراق الفكر مقلوب نظرة
يرى الأسفل الأعمى بصيرا وعاليا؟
أيشكو فراق القوم والقوم دمية
لمن خان للرحمن عهده باغيا؟
لمن بات مغضوبا عليهم وفي الورى
قطيع من الخرفان ينقاد غافيا
أيشكو فراق العقل محجوب أعين
إذا كان رين العقل يكسوه غاشيا؟
أيشكو وعين القلب تبكي مضاضة
على نكسة الإنسان في الجهل هاويا؟
ظلوم جهول صار بالشرك ثعلبا
وقد كان منذ البدء بالعهد ساميا
تمنت شعوب الأرض تحصين أمة
وتوحيدها بالأمر عهدا سماويا
فما أفلح الإنسان للعهد خائنا
وما فاز مغرور ولو كان طاغيا
فقد صار جمع الخلق أسراب غابة
ذئابا وخرفانا وحوشا ضواريا
قطيع مريض القلب يرتاد كوكبا
بعيدا عن الإحسان للنفس ناسيا
نسوا الله فارتدوا نفوسا عقيمة
وما كان ظلم النفس والناس ناجيا
ولن تسلم الدنيا من النار والوغى
وصوت الهوى كالذئب في الغاب عاويا
توالت من الأصوات بالعدل صرخة
متنافات تدجيل غرورا مناديا

وغطى وجوه الغرب عار مؤيد
من (البوسن والهرسك) بالخزي كاسيا
دليل برهان ينافي حضارة
من البهت صافت مظلم القلب قاسيا
بتدمير أرواح تردت كئيبة
وتشقى بها الدنيا قتيلا وجانيا
بتخدير عقل النشء تعمى بصيرة
شعاراتهم همسا تحاكي الأفاعيا
ومن خلف أستار الشعارات ماكر
يغذيه مغضوب عليهم غيابيا
طغى الشرك فالأهواء تبني طقوسها
وفيها من الطاغوت من بات عاديا
وأوثانهم عجل وعرق وقادة
وأوهام أنساق .. ظنونا خواليا
وجاه وفكر مائع تحت شهوة
وسلم بالاستبداد يحمر قانيا
وتأليه إنسان وعقل وصدفة
وعلم كما لو كان وحيا إلهيا
سراب وأشباح وأحلام نائم
وبالجنس صار الفكر خزيا إباحيا
فهل يفلح الإنسان والجهل جارف
وقد كان بالأسماء في الكون ساميا؟
إلى أين يجري العصر بالناس مهلكا
قراهم وفي الآثام بالنار صاليا؟
فإنسان عصر الحس ذئب وثعلب
ومن خلف تبييت يحاكي الأفاعيا
عماء ووقر مظلم الصدر عاجز
عن الفهم والأذواق للحق عاصيا
وما أنطق الأقلام إلا مضاضة
بظلم الذي يجني ويرميك جانيا
اذا اعوج تفكير تردى بهيمة
وإن ساءت الأخلاق زادت معاصيا
وفي العقل إصلاح وفي الجو نكسة
بنور الهدى تسمو الموازين عاليا
عدو الورى جهل وكبر مسيطر
وجور وظلم النفس والغير باغيا
إذا العدل قاد الناس فالخير ثابت
فإن زلت الأقدام صاروا مواشيا
فلا فضل للأقوى ولا عذر خاضع
ولا فوز للمجموع إن ضل غافيا
شقي ومبغوض سلوك الذي غوى
وقد زين الشيطان بلواه لاهيا
فإن قام شرع الله يهدي خليقة
يقوم الهوى سدا منيعا واقيا
وبالجهل يردي الشر أرقى حضارة
فيمسي سلوك الشر في القوم عاديا
وبالظلم إهلاك القرى رغم بطشها
وجاه ومال لا ترى فيه باقيا
فلولا عزاء الشعر ما كنت كاتبا
ولولا أليم الصمت ما قمت ساعيا
وقد كانت الأشعار مرآة أمة
وما الشعر إلا زفرة القلب داميا
يرى الشعب في الأقلام رمحا مهندا
وفي طي أوزان صدى الشعب باكيا

الجنـ





أبواب الجنة:

الباب مدخل المكان، ويجمع على أبواب ، ويستعمل الباب مجازا فيما يوصل إلى غيره وأكثر ما ورد في القرآن الكريم بالمعنى الحقيقي. قال تعالى: {والملائكة يدخلون عليهم من كل باب} وقال تعالى: {واستبقا الباب، وقدَّت قميصه من دبر، وألفيا سيِّدها لدى الباب} وقال تعالى: {لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم} وقال سبحانه: {وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا، حتى إذا جاءوها فُتحَت أبوابها} وقال أيضا: {وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا، حتى إذا جاءوها وفُتِّحَت أبوابها} وقال جل شأنه: {جنات عدن مفتحة لهم الأبواب، متكئين فيها، يدعون فيها بفاكهة وشراب}.

وتكلم العلماء في عدد أبواب الجنة، وساق القرطبي في التذكرة عدة أقوال، وكلها مؤيدة بالقصص النبوي أو بأثر عن السلف الصالح:

١ ـ منها أن أبواب الجنة ثمانية: كما يفهم من قول الله تعالى: {حتى إذا جاءوها وفُتِّحت أبوابها} فوجود الواو في قوله (وفُتِّحت) تدل على أن الأبواب ثمانية، كالواو في قوله تعالى: {سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم} فالواو ذكر هنا مع الثمانية، وذكرها في قوله: {وفُتِّحت أبوابها} تدل على أن الأبواب ثمانية.

وأورد مسلم قصة مروية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١] ـ عن رسول الله ـ {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (وما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو يُسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء) وزادت بعض الروايات، بعد التشهد: (اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين).

وفي الصحيحين قصة عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون).

وفي رواية عن ابن ماجة وعبد الله بن أحمد، عن عتبة بن عبد السلمي قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث[٢] إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل).

٢ ـ ومنها أن أبواب الجنة أربعة فقط، لما جاء في القصص النبوي في الموطأ وصحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب

ـــة ونعيمها (٢)

الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، فقال أبو بكر: يارسول الله، ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم)[٣].

قال القاضي عياض: ذكر مسلم فى هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة، وزاد غيره بقية الثمانية وهي: باب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والباب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه.

٣ ـ ومن أقوال العلماء أن أبواب الجنة أحد عشر بابا، وهذا الرأى مذكور عن الترمذي الحكيم أبى عبد الله فى (نوادر الأصول) فذكر باب محمد {صلى الله عليه وسلم} وهو باب الرحمة، وهو باب التوبة، وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر كالصلاة والصوم وغيرها، وعلى ذلك تكون أبواب الجنة هكذا:

باب الصلاة، وباب الجهاد، وباب الصدقة والزكاة، وباب الصيام (الريان) وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والباب الأيمن[٤]، وباب محمد أو الرحمة أو التوبة.

٤ ـ ومن العلماء من يقول إن أبواب الجنة ثلاثة عشر بابا، يضاف إلى ما تقدم ذكره باب الضحى، وباب أمتي؛ لما جاء في القصص النبوي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن فى الجنة بابا يقال له: باب الضحى، فإذا كان يوم القيامة، ينادى مناد: أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوه) وفي الترغيب والترهيب عن الطبراني زيادة: (هذا بابكم فادخلوه برحمة الله).

وفي الترمذي عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (باب أمتى الذين يدخلون منه الجنة، عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثا، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول).

بقلم:
أ.د. عبد الباسط
احمد على حمودة
ـ مصر ـ

قال القرطبي[٥] ومما يدل على أنها أكثر من ثمانية حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صادقا من نفسه أو قلبه ـ شك أيهما قال ـ فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة يدخل من أيها شاء).

فقوله (فتح له من أبواب الجنة) يدل على أنها أكثر من ثمانية. وأما كون الواو في (وفُتِّحت أبوابها) واو الثمانية، وأن أبواب الجنة كذلك ثمانية أبواب، فقد جاء ما يدل على أنها ليست كذلك فى قوله تعالى: (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) فخلو المتكبر وهو ثامن اسم من الواو يدل على بطلان ذلك القول وتضعيفه[٦].

٥ ـ وأورد القرطبي بعض القصص النبوية التى تدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثلاثة عشر.

من ذلك باب الداخلين الجنة بغير حساب ، كما في رواية سهل بن سعد[٧] ـ رضي الله عنه ـ أن

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف - لا يدري أبو حازم أيهما قال - متماسكون آخذ بعضهم بعضا، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر)·

ومن الأبواب باب الفرح، حيث جاء في قصة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (للجنة باب يقال له: الفرح، لا يدخل منه إلا من فرح الصبيان)·

والباب السادس عشر باب الخلق الحسن ذكره الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيرى في كتاب التحبير· ونقل في ذلك قول النبي {صلى الله عليه وسلم}: (الخلق الحسن طوق من رضوان الله - عز وجل - في عنق صاحبه، والطوق مشدود إلى سلسلة من الرحمة، والسلسلة مشدودة إلى حلقة من باب الجنة، حيث ما ذهب الخلق الحسن جرته السلسلة إلى نفسها تدخله من ذلك الباب إلى الجنة· والخلق السوء طوق من سخط الله فى عنق صاحبه، والطوق مشدود إلى سلسلة من عذاب الله، والسلسلة مشدودة من باب النار، حيث ما ذهب الخلق السوء حسرته السلسلة إلى نفسها تدخله من ذلك الباب إلى النار)·

قال القرطبي[٨] فهذه الأحاديث مع صحتها تدل على أنها أكثر من الثمانية إذ هي غير ما تقدم· فيحصل منها - والحمد لله - على هذا ستة عشر بابا·

ويستدل على ذلك بأن كل باب مختص بأعمال معينة بالرواية التى جاءت فى البخارى ومسلم، عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون، فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد)·

فهكذا - والله أعلم - سائر الأبواب المختصة بالأعمال·· ولا يمنع متعدد أعمال البر والخير أن يدخل من أي الأبواب شاء للحديث المتقدم عن أبي هريرة (من أنفق زوجين ··· الخ)·

سعة أبواب الجنة:

ولكل باب من أبواب الجنة مصراعان، وهذا يشبه أبواب الدنيا، غير أنها تختلف في السعة لتناسب رحمة الله وفضله·

وقد جاء وصف مصراعي أبواب الجنة في القصص النبوي فى رواية مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - [٩] قال: (أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوما بلحم، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه فنهس[١٠] منها نهسة فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة) ثم قال: (فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء فيما سوى ذلك من الأبواب والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى)، ونقل القرطبي عن البخارى (كما بين مكة وحمير)·

وروى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدري عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن ما بين مصراعين فى الجنة لمسيرة أربعين سنة) وفى نص سابق: (باب أمتى الذين يدخلون منه، عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثا، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول)·

وعن معاوية بن حيدة عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتين عليه يوم وإنه لكظيظ) وعن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان فقال: خطبنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (·· والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصارع الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتين عليه يوم كظيظ الزحام)·

بوابو الجنة وخزنتها:

جاء فى الأخبار الصحيحة المقطوع بها أن للجنة خزنة يقومون على أبوابها، وأن كبير الخزنة هو رضوان، لما تقدم من قوله تعالى: {وسيق الذين اتقوا ربهم} إلي قوله تعالى {وقال لهم

خزنتها سلام عليكم}.

يقول ابن القيم[١٢]: (وقد سمى الله سبحانه وتعالى - كبير هذه الخزنة: رضوان، وهو اسم مشتق من الرضا، وسمي خازن النار: مالكا، وهو اسم مشتق من الملك، وهو القوة والشدة، حيث تصرفت حروفه).

وجاء في القصص النبوي من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (آتي باب الجنة، يوم القيامة، فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد فيقول: بلى، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) والقصة التى سبقت من قبل: (من أنفق زوجين فى سبيل الله، دعاه خزنة الجنة، كل خزنة باب: أى قُلْ هلم..) وفى رواية (ابتدرته حجبة الجنة).

ونقل القرطبي في التذكرة[١٣] قصة نبوية عن الترمذي عن أبى سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر..) ثم قال: (فآخذ بحلقة باب الجنة، فأقعقعها، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد، فيفتحون لي ويرحبون فيقولون: مرحبا، فأخرُّ ساجدا لله..).

وجاء في قصة في مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[١٤] (آتي باب الجنة، يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك).

قال ابن كثير في تفسيره(وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبْتُم فادخلوها خالدين) لم يذكر الجواب ههنا وتقديره: حتى إذا جاءوها وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم، إكراما وتعظيما وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء، كما تلقى الزبانية الكفرة بالتثريب والتأنيب.

مفتاح الجنة:

المفتاح: أداة الفتح ومفتاح الباب ما يفتحه، والمفتاح - عموما - ما يفتح كل مستغلق، ويجمع على مفاتيح ومفاتح ، وجاء في القرآن الكريم {وعنده مفاتح الغيب}.

ويطلق المفتاح على ما يفتح الحسيات والمعنويات ، يقول ابن قيم الجوزية[١٥]: وقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور، كما قال {صلى الله عليه وسلم}: (مفتاح الصلاة الطهور) ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر.

كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم، وجعل الغي مفتاح الزنا، وجعل اطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق.

وجاء في القصص النبوي فيما رواه أبو داود الطيالسي[١٦] قال: حدثنا سليم بن معاذ الضبي عن أبي يحيى القتات عن مجاهد، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (مفتاح الصلاة الوضوء، ومفتاح الجنة الصلاة).

وفي البيهقي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي أهل الكتاب، فيسألونك عن مفتاح الجنة، فقل: شهادة أن لا إله إلا الله).

وفي البخاري: وقيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى.

ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.

قال القرطبي: قلت: الأسنان عبارة عن توحيد الله وعبادته جميعا، وعن توحيده أيضا فقط قال الله تعالى: (وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار}. وقال: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا} وهو في القرآن كثير الإيمان

مع العمل، وهو مقتضى الحديث الأول، حديث جابر - رضي الله عنه - وعن توحيد الله فقط، وفي الصحيحين عن أبى ذر - رضي الله عنه - وغيره عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة) قال: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق).

ويسوق الطبراني قصة من حديث موسى بن عقبة، عن اسحاق بن يحيى بن طلحة عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول ا لله {صلى الله عليه وسلم}: (حضر ملك الموت - عليه السلام - رجلا، فنظر فى كل عضو من أعضائه، فلم يجد فيه حسنة، ثم شق عن قلبه، فلم يجد فيه شيئا، ثم فك عن لحيته فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فقال: وجبت الجنّة بقول كلمة الإخلاص).

وفي صحيح مسلم[١٧] عن عثمان - رضى الله عنه - قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) ومن قصة طويلة عن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال له: (اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة).

وجاء في القصص النبوي أن الجنة لا يدخلها أحد إلا بجواز، أى كتاب مكتوب، كما ورد في قوله تعالى: (كتاب مرقوم يشهده المقربون).

ففي رواية فى منتخب كنز العمال وفي التذكرة[١٨] أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية).

قال محمد بن كعب القرظي - نقله ابن قيم الجوزية[١٩]: (رقم الله - سبحانه - كتاب الفجار فى أسفل الأرض، فهم عاملون بما قد رقم عليهم فى ذلك الكتاب، ورقم كتاب الأبرار فجعله في عليين، فهم يؤتى بهم حتى يعملوا ما قد رُقِّم عليهم في ذلك الكتاب).

وجاء فى القصص النبوي رواية عن الامام أحمد بن حنبل، فى مسنده، وابن حبان، وأبو عوانة الاسفراييني في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب قال[٢٠]: (خرجنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى جنازة، فجلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على القبر وجلسنا حوله، كأن على رءوسنا الطير، وهو يُلحد له، فقال: أعوذ بالله من عذاب القبر - ثلاث مرات - ثم قال: إن المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، تنزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، مع كل واحد منهم حنوط[٢١] وكفن، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة؛ اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيٍّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوهَا فى يده طرفة عين، حتى يأخذوها، فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون بها، يعنى على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله - عز وجل - فيقول الله - عز وجل - : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين، وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، قال: فينادى مناد

من السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال: وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح[٢٢]، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود[٢٣] من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي إلى سماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخيَاط) فيقول الله - عز وجل - اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، وتطرح روحه طرحا، ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (ومن يُشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فَتَخْطَفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه. لا أدري. فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي، فافرشوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول له: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة).

درجات الجنة:

وكما سبق أن رأينا تعدد الجنان وكثرة الأبواب، وتفاضل الجنان بعضها على بعض، فكذلك في الجنة درجات، وذلك ثابت في القرآن وواضح في القصص النبوي. قال الله - تعالى -: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلا وعد الله الحسنى، وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما} وقال تعالى: {أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير، هم درجات عند الله، والله بصير بما يعملون} وقال - جل شأنه - {أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم}.

وجاء في القصص النبوي في الصحيحين[٢٤] عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب؛ لتفاضل ما بينهم، قالوا: يارسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) ولفظ البخاري (في الأفق) وهو أبين، والغابر هو الذاهب الماضي الذي قد تولى للغروب.

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة في الجنة كما ترون الكوكب في أفق السماء).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (يقال لصاحب القرآن، إذا دخل الجنة، اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه).

وفي قصة رواها البخاري عن أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم}[٢٥] قال: (إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة).

وفي رواية عن معاذ[٢٦] عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (ذر الناس يعملون، فإن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، وأوسطها وفوقها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس).

ومن القصص النبوي الذي يوضح نعيم أهل الجنة واختلاف درجاتها ما روي عن أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} : (إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم - تعالى - ويبرز لهم عرشه ويبتدئ في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيهم من دني - على كثبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا، قيل: يارسول الله هل نرى ربنا؟ قال: نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، قال: كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول للرجل منهم فلان ابن فلان، أتذكر يوم قلت كذا وكذا، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يارب أفلم تغفر لي، فيقول: بلى، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، فبينما هم على ذلك إذ غشيهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيبا لم يجد مثل ريحه شيئا قط، ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة ، فخذوا ما اشتهيتم، فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة، لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا، ليس يباع فيها ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا، فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فيهم دني، فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا، فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا، لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل ما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا).

أعلى درجة في الجنة وأدناها:

وتحدث القصص النبوي عن أعلى الدرجات في الجنة، وذكر أسماء بعضها، كما قص علينا أدنى درجة فيها وما يكون لصاحبها من مكانة.

فأعلى الدرجات في الجنة هي درجة سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} فهي منزلة خاصة بعبد من عباد الله، وقد دلت النصوص على أنها تكون لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} روى مسلم في صحيحه[٢٧] قصة عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أنه سمع النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: (إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة).

ومن القصص النبوي ما جاء في الصحيحين عن جابر[٢٨] - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (من قال حين يسمع

النداء: اللهم ربّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة).

وقد فسرت الوسيلة بأنها درجة عند الله، لما فى مسند الإمام احمد عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (الوسيلة درجة عند الله - عز وجل - ليس فوقها درجة ، فسلوا الله لي الوسيلة).

ويؤيد ما تقدم ما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات}.

وفى قصة الإسراء: (أنه {صلى الله عليه وسلم} لما جاوز موسى قال: رب لم أظن أن ترفع عليّ أحدا، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدرة المنتهى).

ويحدثنا القصص النبوي عن أدنى درجة في الجنة، وهى التى أعطيت لآخر الناس دخولا إلى الجنة، ففي رواية عن المغيرة بن شعبه[٢٩] عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (أن موسى سأل ربه ما لأدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر).

وعن أنس بن مالك يرفعه (إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة، من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم).

وعن أبى هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة، وما فيهم دنيء لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم، مع كل خادم طرفة[٣٠] ليست مع صاحبه).

وجاء فى قصة عن أنس[٣١] - رضي الله عنه - قال: (أسفل أهل الجنة درجة ، لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم، بيد كل خادم صحفتان: صحفة من ذهب، وصحفة من فضة فى كل واحدة لون ليس فى الأخرى، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها، يجد لآخرها من اللذة والطيب مثل ما يجد لأولها، ثم يكون ذلك رشح مسك وجشاه[٣٢] مسك، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون).

ومن القصص النبوى المطول الذى يحكي عن يوم الجمع وأهوال يوم القيامة واجتياز الصراط وشدائده، ونعيم أدنى أهل الجنة وسعة عطاء الله له، وعذاب جهنم، نعرض منه ما يناسب المقام، مما روي عن مسروق بن الأجدع عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قياما أربعين سنة، شاخصة أبصارهم إلى السماء، ينتظرون فصل القضاء قال[٣٣]: وينزل الله - عز وجل - فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادى مناد: أيها الناس، ألم ترضوا من ربكم الذى خلقكم ورزقكم، وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، أن يولى كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا؟ أليس عدلا من ربكم؟ قالوا بلى، قال: فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون فى الدنيا، قال: فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، والى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرا شيطان عزير، ويبقى محمد {صلى الله عليه وسلم} وأمته، فيأتيهم الرب - عز وجل - فيقول: ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال: فيقولون: إن لنا إلها ما رأيناه بعد، فيقول: هل

تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال: فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساق، فيخرون له سجدا، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر[٣٤] يريدون السجود فلا يستطيعون، وقد كانوا يُدْعَوْن إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول: ارفعوا رءوسكم، فيرفعون رءوسهم، فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم، يسعى بين أيديهم، ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نورا مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك، حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدّم قدمه ومشى، وإذا طفىء قام، والرب - تبارك وتعالى - أمامهم حتى يمر في النار، فيبقى أثره كحد السيف قال: ويقول: مروا، فيمرون على قدر نورهم؛ منهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد[٣٥] الفرس، ومنهم كشد الرجل، حتى يمر الذى أعطى نوره على قدر إبهامه يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تجر يد وتعلق يد، وتجر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها، ثم قال: الحمد لله، لقد أعطانى الله ما لم يعط أحدا، إذ نجانى منها بعد أن رأيتها، قال: فينطلق إلى غدير عند باب الجنة، فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم، فيرى ما فى الجنة من خلال الباب، فيقول: رب أدخلنى الجنة، فيقول الله - تبارك وتعالى - له: أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول: يارب اجعل بينى وبينها حجابا لا أسمع حسيسها[٣٦]، قال: فيدخل الجنة قال: ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك، كأنما الذى هو فيه إليه حلم ليدخله، فيقول: رب أعطنى ذلك المنزل، فيقول: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره؟

فيقول: لا، وعزتك لا أسأل غيره، وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله، قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله، فيقول: رب أعطنى ذلك المنزل، فيقول الله - عز وجل - فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، فيقول لا، وعزتك لا أسأل غيره، وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله، قال: ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر. كأنما الذى هو فيه إليه حلم، فيقول: رب أعطنى ذلك المنزل، فيقول الله - جل جلاله - فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره؟ قال: لا، وعزتك لا أسأل غيره، وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله ثم يسكت، فيقول الله - عز وجل - مالك لا تسأل؟ فيقول: رب لقد سألتك حتى استحييتك، وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول الله - عز وجل - ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول: أتستهزيء بي وأنت رب العزة، فيضحك الرب - عز وجل - من قوله - قال: فرأيت عبد الله بن مسعود، إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك - فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مرارا، كلما بلغت هذا المكان ضحكت، فقال: إنى سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يحدث بهذا الحديث مرارا، كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه، قال: فيقول الرب - عز وجل - لا، ولكنى على ذلك قادر، سل، فيقول: ألحقنى بالناس، فيقول: الحق بالناس، قال: فينطلق يرمل فى الجنة، حتى إذا دنا من الناس، رفع له قصر من دُرَّة فيخر ساجدا، فيقال له: ارفع رأسك، مالك؟ فيقول: رأيت ربى أو تراءى لى ربى، فيقال له: إنما هو منزل من منازلك، قال: ثم يلقى فيها رجلا فيتهيأ للسجود، فيقال له: مه مالك؟ فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له: إنما أنا خازن من خُزَّانك، عبد من عبيدك، تحت يدى ألف قهرمان[٣٧] على مثل ما أنا عليه، قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر، قال: وهو فى درة

مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء، كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى، فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف، أدناهن حوراء عيناء، عليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت في عينى سبعين ضعفا، فتقول له: والله والله وأنت لقد ازددت في عينى سبعين ضعفا، فيقال له: أشرف، قال: فيشرف، فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره، قال: فقال عمر: ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلا، فكيف أعلاهم؟.

قال كعب: يا أمير المؤمنين، فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، إن الله ـ عز وجل ـ جعل دارا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه، لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون).
قال: وخلق دون ذلك جنتين، وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال: من كان كتابه فى عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير فى ملكه، فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، فيستبشرون بريحه، فيقولون: واها لهذا الريح، هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه.

فقال: ويحك يا كعب، هذه القلوب قد استرسلت[٣٨] فاقبضها[٣٩].

فقال كعب: والذى نفسى بيده، إن لجهنم يوم القيامة لزفرة، ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه، حتى إبراهيم خليل الله يقول: نفسي نفسي، حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو).

الهوامش:

(١) التذكرة ص ٥٣٣ وحادي الأرواح ص ٤٩.
(٢) الحنث: البلوغ والإدراك والتكليف.
(٣) صحيح حادى الأرواح ص ٤٩.
(٤) صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٦٥.
(٥) التذكرة ص ٥٣٤.
(٦) وانظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٦٦.
(٧) صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٨١.
(٨) التذكرة ص ٥٣٥.
(٩) جـ ١ ص ٣٦٢.
(١٠) بالمهملة أى أخذه بطرف الأسنان.
(١١) حادى الأرواح ص ٥٢ والمنتخب جـ ٦ ص ١٠٩، ١٠٦.
(١٢) صحيح حادى الأرواح ص٩٦.
(١٣) ص ٢٨٢ ومنتخب كنز العمال جـ ٦ ص ٧٩.
(١٤) ابن كثير جـ ٤ ص ٦٥.
(١٥) صحيح حادى الأرواح ص ٥٨.
(١٦) التذكرة ص ٦٠٢.
(١٧) جـ ١ ص ١١٢، ١٢٢.
(١٨) المنتخب جـ ٦ ص ١١٢ والتذكرة ص ٥٤٧ وينسبه لمسند الإمام أحمد.
(١٩) الهجرتين ص ٨٤.
(٢٠) صحيح حادى الأرواح ص ٦٠ وخطب الرسول ص ٢٢٢.
(٢١) حنوط: هو الطيب والعطر يطيب به الميت.
(٢٢) المسُوح: أكسية غليظة من الشعر.
(٢٣) السفود: حديدة يشوى بها لها شعب كثيرة كالخطاطيف.
(٢٤) صحيح حادى الأرواح ص ٦٦.
(٢٥) طريق الهجرتين ص ٣٨٧.
(٢٦) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١٠٦ ـ ١٠٨.
(٢٧) جـ٢ ص ١٣٧.
(٢٨) صحيح حادى الأرواح ص ٦٩ ، ١٣٨.
(٢٩) المرجع السابق ص ١٣٩.
(٣٠) طرفة: هدية جديدة حسنة.
(٣١) منتخب جـ ٦ ص ١١١.
(٣٢) ما يخرج من المعدة من ريح ونحوه.
(٣٣) صحيح حادى الأرواح ص٢٧٨.
(٣٤) صياصى البقر: قرون البقر.
(٣٥) شدّ: عدو وجري.
(٣٦) حسيسها: صوتها.
(٣٧) قهرمان: كلمة فارسية معناها خازن أو وكيل.
(٣٨) استرسلت: انبسطت واستأنست وأمنت.
(٣٩) فاقبضها: خوفها وازجرها خوفا من الغفلة والغرور.

المخبّل السعدي

بقلم:
أ.د. عبده بدوي
كلية الآداب
جامعة الكويت

هو ربيعة بن مالك من بني شماس بن لأي بن أنف الناقة، والمخبَّل المجنون، وبه سُمي ربيعة[١].. ما نعرفه عن الشاعر في جاهليته، انه كان محباً للشراب، وللشعر وللفروسية، وأنه كان يتخير من الأصدقاء من كانوا على شاكلته، فقد كان في مقدمة أصدقائه الزبرقان بن بدر، وعبدة بن الطبيب، وعمرو بن الأهتم، ولقد كان آخر لقاء لهم قبل الإسلام، أنهم اجتمعوا فنحروا جزورا، واشتروا خمراً ببعير، وأقاموا يشوون ويأكلون.

فقال بعضهم: لو أن قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطرْنا، وحين اختلفوا في المقدّم منهم، قالوا: فلنتحاكم إلى أول من يطلع علينا، وبعد فترة طلع عليهم ربيعة بن حُذار الأسدي، فقالوا له: أخبرنا أينا أشعر؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فأمنوه من ذلك، فقال: أما عمرو بن الأهتم فشعره برود يمانية تنشر وتطوى، وأما أنت يازبرقان فكأنك رجل أتى جزوراً قد نحرت فأخذ من أطايبها، وخلطه بغير ذلك - وفي رواية يا زبرقان شعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، ولم يترك نيئاً فينتفع به - وأما أنت يا عبدة بن الطبيب فشعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء، وأما أنت يا مخبل، فشعرك شُهُب من نار الله يلقيها على من يشاء، ومعنى هذا أن المخبّل السعدي كان أشعر المجموعة.

وقد كان من الطبيعي أن يبدأ حياته بقصة حب، فقد أحب أخت صديقه الزبرقان واسمها «خليدة» وحين خطبها من أخيها ماطله وزوجها من رجل من بني كلاب، وقد ظهر بعد فترة من الزواج أنه لم يكن على مستوى هذه الزيجة، وأنه عُيب عليه أنه قتل جاراً له، وقد حدث شقاق بينه وبين الزبرقان فتهاجيا، وكان الناس يجتمعون عليهما لسماع ما قيل من هجاء، وقد ظل طيلة حياته متعلق الروح بخليدة التي خطبها فرُفض، ويقال إنه بعد أن أسنَّ وضعف بصره، التقى بها على غير موعد، فأنزلته، وقرَّبته، وأكرمته ووهبت له وليدة، وقالت له: إنى آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها، فقال: ومن أنت حتى أعرفك، وأشكرك؟ قالت: لا عليك، قال: بلى والله أسألك، فقالت: أنا بعض من هتكت بشعرك ظالما: أنا خليدة بنت بدر، فقال: واسوأتاه منك، فإني استغفر الله عز وجل، واستقيلك وأعتذر اليك، ثم قال:

لقد ضلَّ حلمي في خُلَيْدَة أنني
سأعتب نفسي بعدها وأنوب
فأقسم بالرحمن أنِّي ظلمتها
وجُرت عليها، والهجاء كذوب!

* ثم كـــان أن دخل الاســـلام، وتخلّق بأخلاقه، واقترب من الرسول عليه الصلاة والسلام، ومما يحفظ له تعلقه الشديد بابنه «شيبان»، فقد خرج مجاهدا في سبيل الله مع «سعد بن أبي وقاص»، وقد جزع المخبل لسفره وبعده عنه، وبخاصة أنه كان قد أسن وضـعف وافـتـقـر إلى هذا الولد، فلم يملك البعد عنه، وقيل إنه كاد أن يغلب على عقله، وكـان أن عـمـد إلى سـائر إبله، وكل مـاله، فـعـرضـه للبـيع، وليلحق بابنه وحين عـرف صديقه علقمة بن هوذة بهذا، شغل بأمره، وقـال له: أنا أكلم أمـيـر المؤمنين عـمـر بن الخطاب في رد ابنك، فإن فعل غنمت مـالك، وأقـمت في قـومك، وإن أبى اسـتنفـقت مـا أعطيتك ولحـقت به، وخلفت إبلك لعـيـالك، وبالفـعل ذهب إلى عـمـر، وأخـبـره خـبـر «المخبل» وجزعه على ابنه، وأنشده قوله في ابنه شيبان:

أيُهلكني «شـيـبـان» في كل ليلة
لقلبي من خـوف الفـراق وجـيـبُ
أشـيـبـان مـا أدراك أن كل ليلة
غـبـقـتك فـيـهـا، والغـبـوق حـبـيب
فـإن يك غـصني أصـبح اليـوم ذاويا
وغـصنك من مـاء الشـبـاب رطيب
فـإني حنت ظهـري خطوب تتـابعت
فمشْيي ضعيف في الرجال، دبيبُ
إذا قـال صـحـبي: يا ربيع ألا ترى
أرى الشخص كالشخصين وهو قريبا
ويخـبـرني شـيـبـان أن لن يعُقّني
تعق إذا فـارقـتني وتحـوبا
إذا قلت: ترعى، قـال: سـوف تريحني
من الرّعي مذعـانُ العشيِّ خبوبُ[٢]

ويقال إن عمر بن الخطاب حين سمع هذه الأبيـات بكى ورقّ له، وكتب إلى «سـعـد بن أبي وقـاص» يأمـره أن يرجع شـيـبـان بن المخـبل إلى أبيـه، فـمـا وصل الخطاب إلى سعد وكلم ولده شيبان في أمر العوده قال شيبان: لا تحرمني الجهاد، ولكن سعداً ألح وقال: إنها عزمة من عمر، ولا خير لك في عصيانه، وعقوق شيخك، وكان أن عاد ولم يفارق الأب حتى كان موت الأب[٣].

ويبدو أنه عاش فقيراً، وأنه لم يكن يمدح إلا في حدود ضيقة، فنحن نعرف أنه كان له ولد يسمى «زرارة» وأن رجلا أتى هذا الولد وهو مشغول بأمر إبله، وقد طلب منه الرجل أن يصارعه، فقال زرارة: إني عن صراعك لمشغول، ولكن الرجل أصرَّ على المصارعة، فـمـا كـان من زرارة إلا أن أخـذ حـجـراً وضرب به رأس الرجل فقتله، وحين طلب من الأب أن يقوم بدفع الدية، نراه يخبر «بغيض بن عامر» بما يفعل، ويطلب منه دفع الدية، وحين استجاب «بغيض» مدحه بالقصيدة التي أولها:

لعـمـر أبيك لا ألقى ابن عم
على الحـدثان خـيـراً من بغـيض
أقل مـلامـة وأعـز نصـراً
إذا مـا جـئت بالأمـر المريض
كـسـاني حلة، وحـبـا بعنس
أبُسُّ إذا اضطربتْ غـروضي
غـداة جنى بُنيَّ عليَّ جُرمـا
وكـيـف يداي بالحـرب العـضـوض
فـإن تمنع سـهـول الأرض مني
فـإني سـالك سُبل العـروض[٤]

ويبدو أنه عاش محبوباً ومقدراً فى قومه، فيروى أن رجلا من بنى امرىء القيس، كان مجاوراً فى بكر وائل باليمامة، ولكنهم أغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبل يستمنحه شيئاً من عنده، فما كان من المخبل إلا أن قال له: إن شئت فاختر خير ناقة، فى إبلي فخذها، وإن شئت سعيت لك، فقال الرجل: أن تسعى بى أحب إلى فما كان من المخبل إلى أن سار معه، ووقف على نادى قومه وأنشد:

أتوا إلى روح بن حسان بن حارثة، بن منذر
كوُ ماء مدفأة كأن ضروعها حماء أجفر

* فما كان من القوم إلا أن قالوا له: نعم ونعمة، وجمعوا له من النياق، ما يعادل الإبل التى اغتصبت منه.

وفى ميدان الشعر نرى أن محمد بن سلام قد وضعه فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء[٥] أما الذى فخر به، فكان الفرزدق، ذلك لأنه قال فى مجال فخره بنفسه:

وهب القصائد للنوابغ إذ مضوا
وأبو يزيد وذو القروح وجرولُ[٦]

* فذو القروح هو امرؤ القيس، وجرول هو الحطيئة، وأما أبو يزيد فهو كنية شاعرنا الذى اسمه فى الأصل الربيع بن ربيعة، ولقبه المخبل السعدي، وقد كان من المعمرين، وعاش فى الجاهلية زمناً، وفى الاسلام زمناً ، وأجاد فى وصف الحبيبة بالدرة:

كعقيلة الدر استضاء بها
محراب عرش عزيزها العجم
أغلى بها ثمنا، وجاء بها
شخت العظام كأنه سهم[٧]

* وهناك من قال: شعره شهب من نار الله يلقيها على من يشاء[٨]، وقد وضعه ابن سلام فى الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية[٩].

تلك سيرة شيخ عاش محبوبا فى الجاهلية وفي الإسلام، وكان مما يميزه هذا الحب المتدفق لأبنائه، وبخاصة ولده شيبان.

وقيل مات فى أيام عمر بن الخطاب[١٠]، بعد أن عاش زمنا فى الجاهلية، وكانت له صحبة برسول الله {صلى الله عليه وسلم}، كما أنه عاش مكرَّما فى عصره، وكما شُهد له بالشعر، شُهد له بالنبل.

الهوامش:

(١) الشعر والشعراء ٣٣٣/١، سرح العيون ص ١٣١ ط ١٩٨٦، وأمه أم البنين، وهناك من يرتضى أن يكون اسمه ربيع بن ربيعة لقوله:

إذا قال صبحى يا ربيع ألا ترى
أرى الشخص كالشخصين وهو قريب

- شعراء مقلون د. حاتم الضامن ص ٢٨٠، عالم الكتب، بيروت.

(٢) نفسه ٣٣٣/١.

(٣) شعراء مقلون د. حاتم صالح الضامن ٢٨١ ، ٢٨٢ عالم الكتب، بيروت.

(٤) شعراء مقلون ص ٣٠٠.

(٥) طبقات فحول الشعراء ١٢٤/١.

(٦) أبو يزيد: كنية الشاعر.

(٧) المفضليات المفضل الضبي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ص ١١٥، ط. دار المعارف ١٩٦٤.

(٨) الأغانى ٤٤/١٢.

(٩) طبقات فحول الجاهلية، وقال فيه: له شعر كثير جيد، وأدرك خلافة عمر.

(١٠) معجم الشعراء في لسان العرب. د. يوسف ياسين الأيوبى.

مسألة المصطلح بين الأمس واليوم

بقلم: د. عباس أرحيلة
كلية الآداب - مراكش -

أولا: تحديد المصطلح ضرورة حضارية:

في معترك التواصل البشري تنشأ الألفاظ لتدل على مسميات لمدركات الانسان وأحاسيسه، وما يقوم به من نشاط في هذا الوجود. وتتوالد الالفاظ في معترك الحياة وتختلف باختلاف الاصطلاحات والأمكنة، وتنتقل من معانيها اللغوية إلى معانيها الاصطلاحية، فتصبح مفاهيم تؤطر تصورات فكرية؛ وهكذا يخرج اللفظ من رحم الحياة، الى مجال المعجم ليصبح دالا على معنى ما، في مجال معرفي ما. ثم ينتقل اللفظ من معناه اللغوي فيكتسب «المصطلحية» حين يحقق في مجال التداول تصورا فكريا واضحا، وبذلك يتحول الى مفهوم.

وتحديد المصطلح في مجال العلوم حقيقة مقررة، في غيابها لا تزدهر العلوم ولا تتطور وقيمة التفكير العلمي تقاس بضبط المصطلح باعتباره اداة علمية إجرائية تحدد معالم التصور النظري الذي ينبثق عنه المنهج.

وكل الحضارات القديمة رسخت وجودها الفكري حين حددت مصطلحاتها، وبلورت مفاهيمها، فأصبح تحديد المصطلح ضرورة حضارية يكسب بها الفكر سيرورته في تاريخ الأفكار. وازدادت العناية بالمصطلحات في العصور الحديثة بسبب الطفرة الحاصلة في التطورات العلمية والمنهجية. وتبين أن التحكم في المصطلحات هو تحكم في المعرفة التي يراد تبليغها، وأن المناهج العلمية لا تتحقق الا بضبط المصطلحات، وتأكد لدى الباحثين أن الخلافات العلمية ترجع في قدر منها الى اختلاف الناس حول معاني الالفاظ.

فكيف تعامل الفكر العربي مع قضية المصطلح في القديم والحديث؟

وهل عانى القدماء من اشكالات المصطلح كما نعاني نحن اليوم؟

ثانيا: الاصطلاح في القديم:

اصطلح الناس أي تصالحوا وزال ما بينهم من خلاف، وتحققت المصلحة والمنفعة بينهم، وحل الصلاح مكان الفساد. واصطلحوا على شيء، تعارفوا عليه واتفقوا اتفاقا يقتضيه العقل.

فالمصطلح - في ضوء المعجم العربي - اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص والهدف من وضع المصطلح تحقيق تواصل وتفاهم واتفاق وإجماع وبهذا نختصر الزمن، وننتصر عليه، وتتطور المعارف البشرية وتزدهر، ويسهل نقد هذه المعارف ومراجعتها، وينشأ حوار علمي بين اللغات

** قراءة النص الديني تستوجب تحديد المصطلح اللغوي للكلمة.
** الدين واللغة هما قطبا الحضارة الاسلامية.
** مرحلة التدوين شهدت ولادة مصطلحات في كل الحقول.

والشعوب والمناهج.

أ ـ لغة القرآن والتشريع:

نزل القرآن بلسان عربي مبين، فأنيط الاعجاز بلغة القرآن، وأصبح الخطاب اللغوي في النص القرآني، دليل النبوة في الاسلام، ومحط اهتمام المسلمين على اختلاف ثقافاتهم واتجاهاتهم.

وبنزول القرآن وترجمة ألفاظه ومعانيه سلوكا انسانيا حضاريا دخلت الفاظ اللسان العربي في تجارب ومتابعات ودراسات ومقارنات. فقد تجددت الفاظ هذا اللسان، واتخذت لها ايحاءات جديدة، واصبح لبعضها دلالات مغايرة.

وتقرر أن شرع الله يدرك من خلال النص القرآني، فانصرفت العقول الى لغة القرآن بحثا وتمحيصا ودراسة ومقارنة، قصد استجلاء معانيها، وادراك مراد الله في تضاعيفها ومقاصدها. وبحثا عن معاني ألفاظ القرآن، تطورت الثقافة العربية الاسلامية واخذ الفكر الاسلامي أبعاده في التاريخ الثقافي. وأضحى الدخول الى رحاب النص القرآني لا يتحقق الا بفقه العربية واساليبها في التعبير، وبحثا عن معاني الفاظ القرآن، نشأ الاهتمام بتحديد دلالات الالفاظ وضبطها قصد استنباط الحكم الشرعي من خلال استعمالاتها وسياقاتها.

وبدأ تأسيس الفكر الاسلامي وتحديد الرؤية الاسلامية انطلاقا من تدبر النصين المؤسسين للاسلام: القرآن الكريم والسنة المطهرة، وانطلاقا من تأسيس الاصطلاح حول معاني الالفاظ التي يتكون منها النصان المؤسسان، ولا غرابة أن تبرز المصطلحات الفقهية، لتحديد الحقيقة الشرعية بصورة دقيقة وتلقائية، وأن تتفجر داخل النصين المؤسسين المحددين للأوامر والنواهي، الضابطين لمنهج السماء الى الارض، كما لا غرابة أن يكون علماء الكلام من اوائل المهتمين بتأسيس المصطلح في الفكر العربي الاسلامي، وأن ترى معاني الالفاظ تأخذ مسارات جديدة، وتحتضن دلالات جديدة، وترى المصطلحات تتوالد وتتكاثر داخل حقول الثقافة العربية الاسلامية.

ب ـ الظروف التي ساهمت في نشأة المصطلحات وتطورها في تاريخ الاسلام؟

١) حضارة الاسلام تقوم على قطبين: الدين واللغة ولا تدرك حقيقة الدين الا بمعرفة هذه اللغة فكانت الحقيقة الشرعية كامنة في النص، والمسلمون خرجوا الى الدنيا يحملون في ركابهم كتاب الله يريدون أن تدين به الارض.

٢) دخل الاسلام في حوار حضاري مع

بقـايا الديانات والملل والنحل، وامـتــدت الفتوحات الاسلامية وانهارت الامبراطوريات القديمة، وبدأ التفاعل مع ثقافات الشعوب التي دخلت تحت لواء الاسلام.

٣) انتقال الثقافة العربية الاسلامية من طور الشفاهية الى طور التدوين، اقتضى جمع الألفاظ وتحديد مدلولاتها وتتبع استعمالاتها في القرآن والحديث والشعر القديم.

٤) وتبعا للخلافات الداخلية بين المسلمين، والصدام مع عقائد الحاقدين على الاسلام، وتبعا لما طرحه هؤلاء من اسئلة على النص القرآني؛ تعددت أوجه الاختلاف وتباينت الآراء، وأصبحت الحاجة تدعو الى تحديد المصطلحات في الجدل والمناظرات، بل دعت الحاجة الى الاستعانة بالمنطق لضبط العمليات التي يقوم بها العقل.

وعموما، يمكن القول إن مرحلة التدوين (وتمتد من سنة ١٥٠ الى ٢٥٠هـ) قد شهدت ولادة المصطلحات في جميع الحقول المعرفية داخل حضارة الاسلام.

ثالثا: نماذج تؤرخ لنشأة المصطلح:

أ- النموذج الأول:

حديث الجاحظ (٢٥٥هـ) عما طرأ على الالفاظ من تحول بظهور الإسلام، مشيرا الى ما استحدث من الفاظ جديدة. فقد لاحظ أن الناس قد تركوا الفاظا كثيرة كانت مستعملة في الجاهلية واستحدثوا الفاظا جديدة. يقول الجاحظ في كتاب الحيوان: «وأسماء حدثت ولم تكن، وإنما اشتقت لهم من أسماء متقدمة، على التشبيه، مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والاسلام مخضرم.. ويدل على أن هذا الاسم أحدث في الاسلام، انهم في الجاهلية لم يكونوا يعلمون أن ناسا يسلمون وقد أدركوا الجاهلية، ولا كانوا يعلمون ان الاسلام يكون.. ومن المحدث المشتق، اسم منافق لمن راءى بالاسلام واستسر بالكفر، أخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والداماء[١].

وأشير هنا الى نص آخر للجاحظ في البيان والتبين يفيد في التاريخ للمصطلح في الثقافة العربية الاسلامية. فقد ورد في صحيفة بشر بن المعتمر أن المتكلمين قد تخيروا لمعانيهم ألفاظا، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء، وهم اصطلحوا على تسمية مالم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف.. ولذلك قالوا العرض والجوهر، وأيس وليس.. وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد، وقصار الارجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الاعاريض بتلك الالقاب، وتلك الاوزان بتلك الاسماء، كما ذكر الطويل، والبسيط، والمديد.. وكما ذكر الاوتاد والاسباب والخرم والزحاف.

وكما سمى النحويون، فذكروا الحال والظروف وما اشبه ذلك لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو، وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم[٢].

ب- النموذج الثاني:

رجعت فيه الى «كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية» للشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (٣٢٢هـ) وهو أول كتاب في

** في القرن الثالث الهجري اتضحت معالم المصطلحات في جميع حقول المعرفة الاسلامية.

** اختلاف الاصطلاحات أضر بالتعليم حسب رأي ابن خلدون.

** الثقافة العربية الحديثة تغلبت على قضية المصطلحات.

العربية عالج دلالة الالفاظ وتطورها وأول مرجع يتضمن الاسماء العربية التي نطق بها القرآن الكريم، والاسماء التي اصطلح عليها المسلمون بمدلولات حديثة ومعان لم تكن تعرفها قبل البعثة المحمدية. وكان هدف الرازي وضع المصطلحات الاسلامية حتى لا تقع خلافات بين أهل الملل والنحل ولا بين الفقهاء. وسماه الزينة ليتزين به المثقف في المحافل العلمية. يقول ابو حاتم الرازي في بداية كتابه: «ألفناه من ألفاظ العلماء وما جاء عن أهل المعرفة باللغة واصحاب الحديث والمعاني واحتججنا فيه بشعر الشعراء المشهورين الذين يحتج بشعرهم في غريب القرآن وغريب الحديث. وفيما يوجد له ذكر في الشريعة من الأسماء وما في الفرائض والسنن والالفاظ النادرة[٣].

وهكذا جمع ابو حاتم من المؤلفات العربية المصطلحات المستعملة في المجتمع الاسلامي، وشأن ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في كتابه «تفسير غريب القرآن» عني ابو حاتم بشرح اسماء الله الحسنى وذكر اشتقاقها، والتشابه واضح بين الكتابين في هذا الجانب.

ج - النموذج الثالث:

ظهور معجمين للمصطلحات الفلسفية في التراث العربي ... المعجم الأول لجابر بن حيان (حوالي ٢٠٠هـ) ويتمثل في رسالته الحدود، وقد عالج فيها خمسة واربعين مصطلحا، وجاء الكندي الفيلسوف (٢٥٢هـ) ووضع رسالته الحدود والرسوم، وقد حدد فيها ١٠٩ من المصطلحات الفلسفية منها ٩٥ مصطلحا لم يذكرها جابر بن حيان. وقد أعاد نشر الرسالتين د. عبد الامير الاعسم في كتابه «المصطلح الفلسفي عند العرب، في بغداد ضمن منشورات الفكر العربي، والرسالتان معا تقدمان نموذجين للمحاولات الأولى في الثقافة العربية لتحديد دلالات المصطلحات الفلسفية.

د - النموذج الرابع:

وفي مجال البلاغة نجد عبد الله بن المعتز (٢٩٦هـ) يقول في كتابه البديع: ولعل بعض من قصر عن السبق الى تأليف هذا الكتاب،

ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته، فيسمى فنا من فنون البديع بغير ما سميناه به.. وليس من كتاب الا وهذا ممكن فيه لمن أراده[٤].

وجاء قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) ليقول في كتابه الشعر: «لما كنت آخذا في استنباط معنى لم يسبق اليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماءا اخترعتها، وقد فعلت ذلك والاسماء لا منازعة فيها اذ كانت علامات؛ فإن قنع بما وضعته، وإلا فليخترع لها كل من أبي ما وضعته منها ما احب، فليس ينازع في ذلك[٥].

ويمكن القول إن المصطلحات في جميع حقول المعرفة الاسلامية، قد بدأت تتبلور وتتضح معالمها في القرن الهجري الثالث، فقد رسخ الفقه الاسلامي وتحددت مصطلحاته، واتضحت مناهج المتكلمين وتوطدت مصطلحات النحاة والعروضيين، وهو عصر ازدهرت فيه حركة الترجمة، وبدأت فيه المصطلحات الفلسفية، تتوالد وتتكاثر، كما ازدهر مصطلح علم الحديث، ومصطلحات علوم القرآن ومصطلحات علوم البلاغة والنقد.

واستطاع الفكر العربي أن يؤسس مصطلحاته في جميع حقول المعرفة، ويحقق حولها الاجماع والدقة والوضوح وضبط عملية التفكير؛ بحيث تصبح الالفاظ تحمل دلالات جديدة، تؤدي تصورات ذهنية ومفاهيم مجردة وتساعد على تطوير المعرفة وضبط المنهج ونقد المعرفة ومراجعتها.

والخلاصة أن المصطلحات نشأت في معترك الثقافة العربية الاسلامية ونبعت بتلقائية عن طريق الاشتقاق، والوضع والتجوز والتوليد والقياس وغيرها من الوسائل. فكانت الذات العربية تتحرك بادواتها، وتضع اللبنات الاصطلاحية لبناء مناهجها وتصوراتها، فاستطاعت الامة ان تبني معمارا فكريا شامخا، وأن تخضع المعارف القديمة لتصوراتها، وأن تجعل لغتها قادرة على استيعابها وتحملها، بل أن تجعل هذه اللغة هي الاداة الحاملة للمعرفة الانسانية في ذلك الزمان دون سواها.

رابعا: اشارة الى موقف ابن خلدون من المصطلحات:

منذ نهاية القرن الثامن الهجري أحس ابن خلدون (٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) بأثر اختلاف الاصطلاحات في التعليم، فقد عرض في الباب السادس من مقدمته لتاريخ العلوم والفنون المعروفة في عصره، وعالج تاريخ التربية والتعليم في المشرق والمغرب، منبها الى الطرق التي ينبغي اتباعها في تلقي العلم، وقد لاحظ أن مما أضر بالتعليم في زمانه، اختلاف الاصطلاحات.

يقول ابن خلدون في «فصل في أن كثرة التأليف في العلوم عائقة في التحصيل»: اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلوم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك.. ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها[٦].

ويكشف ابن خلدون عن خطورة اختلاف الاصطلاحات في العلم ويدعو الى اعتبارها

** الثقافات الوافدة في هذا العصر أظهرت اشكال المصطلح في العالم العربي.

** غاية المصطلح ضبط عمليات التفكير.

آليات تصطنع لتحقيق الغايات المرجوة من المعارف فلكل علم اصطلاحاته، النابعة من طبيعته، وباختلاف العلوم والصناعات تختلف الاصطلاحات والمصطلحات في رأي ابن خلدون - ليست من العلم، انما هي أدوات لتقريب العلم وتوصيله، ويرى أن المتعلم يتغلب على المصطلحات بالاخذ عن عدد وافر من المشايخ حتى يتمكن من ضبط هذه المصطلحات. يقول ابن خلدون: «والاصطلاحات في تعليم العلوم مخلّطة على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم.. فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم منها، ويعلم أنها تعليم وطرق توصيل.. ويصحح معارفه ويميزها عن سواها[٧].

فماذا عن مسألة المصطلحات في الثقافة العربية المعاصرة؟

خامسا: العناية بالمصطلحات في العصر الحديث:

حدث صدام بين اللغة العربية واللغات الاجنبية في العصور الحديثة وانطلقت مدرسة الالسن في مصر في نهاية عشرينيات القرن التاسع عشر، وكأنها تؤسس بيتا جديدا للحكمة، وبالرغم من تكالب الحركات الاستعمارية على العالم الاسلامي ومحاولة طمس هويته، وشيوع التخلف في أرجائه، فقد دخلت العربية في معترك العصور الحديثة، وأبانت عن استعدادها للتفاعل مع المعارف الحديثة، فبدأ استنبات المصطلحات، ووضعها عن طريق المواضعات والاشتقاقات والدلالات المجازية مع اعتماد عمليات التوليد والاستفادة من التعريب والترجمة.

فتكاثرت المصطلحات، وقامت المجامع العلمية واللغوية والمؤسسات التعليمية والجهود الفردية بجهود رائدة حاولت ربط ماضي الأمة بحاضرها، والى نهاية خمسينيات القرن العشرين لم يحس المثقف العربي بأزمة التواصل مع المصطلحات. ولم يجد المثقفون العرب عنتا في تبليغ آرائهم ومشاعرهم، ولم تقف المصطلحات حجر عثرة في سبيلهم. لقد دخل العالم العربي الى معترك العصور الحديثة، وكان لابد أن يصطدم بمصطلحات الغرب الحديث ويحس بوطأة التخلف، فيسعى الى النهوض ومواكبة العصر، من هنا أقيمت المجامع العلمية واللغوية واتسعت حركة الترجمة، وزاد الاقبال على تعلم اللغات، وبتطور المعارف والتخصصات، ازداد الاهتمام باللغات وبتطور دلالات الالفاظ والتدقيق في ضبط المصطلحات.

وقد افتقد الدارسون العرب والمستشرقون معجما تاريخيا يمكنهم من تتبع الالفاظ العربية وتطورها في العصور المختلفة وترتيبها ترتيبا تاريخيا. وقد رجح ابراهيم أنيس أن يكون السر في انصراف أصحاب المعاجم عن هذا الترتيب التاريخي لدلالة الالفاظ العربية الى انهم نظروا الى كل عصور الاحتجاج في اللغة على أنها عصر واحد، وأنه يكفي في اللفظ أن يكون عربيا صحيحا، ليستحق التدوين في المعاجم ومن هنا أرجع مشكلة الترادف والاشتراك اللفظي الى التطور التاريخي الذي عرفته الالفاظ[٨].

وقد حاول المستشرق الالماني فيشر Auguste Fischer (١٨٦٥ - ١٩٤٩م) أن يضع معجما تاريخيا لالفاظ العربية، وأعلن عن مشروعه هذا في مؤتمر الفيلولوجيين الالمان الذي عقد في بازل سنة ١٩٠٧. وبدأ في وضع جذاذات المعجم سنة ١٩١٣، وبلغ عدد الجذاذات حتى سنة ١٩١٨ حوالي اثنتي عشر الف جذاذة وحين عين عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة ١٩٣٢ استأنف مشروعه بحماس، وقامت الحرب سنة ١٩٣٩، وألغي تعيينه في عضوية المجمع في ١٩٤٥. ومات فيشر سنة ١٩٤٩ وبقيت الجذاذات أمانة لدى مجمع اللغة العربية[٩].

ويمكن القول إجمالا إن الثقافة العربية الحديثة قد تغلبت على قضية المصطلحات، واجتهدت في وضعها، واحدثت تراكمات هائلة في المجالات المعرفية والفنية ونشأت الدراسات الحديثة بأنواعها، وترجمت أعمال كثيرة الى اللغة العربية، وتم تعريب المواد العلمية في بعض الجامعات العربية منذ عشرات السنين، وبالرغم من جدة بعض العلوم الانسانية في اللغة العربية، فإن القاريء العربي لم تقف المصطلحات حاجزا بينه وبينها.

سادسا: أزمة المصطلح:

مع نهاية الخمسينيات، وخروج أغلب الدول العربية من ربقة الاستعمار ودخول الذات العربية في تجربة جديدة يطبعها التغني بالايديولوجيات، والتساقط في الحداثات، والحيرة في المواقف والاختيارات، والذَّوبان في الشعارات، ومع الرغبة في استجلاب أنماط التنمية ومواكبة ايقاعات العصر، وفي ضوء التفاعلات الثقافية بين الغرب والشرق، ويسر التواصل بين الثقافات، تعددت الاجتهادات في ترجمة أدبيات الغرب، وطغت المصطلحات الاجنبية فاصبحت تشكل قضية رئيسية في العلوم الانسانية، وخاصة في اللسانيات والنقد الأدبي.

هناك طفرة في العلوم الانسانية في الغرب، واجتهادات الأوربيين تنوعت باختلاف الاصول المعرفية والخلفيات الفكرية، وتهافتت اقلام بعض التراجمة العرب على أعمال بعض الاوربيين فنشروا فوضى الترجمة، وانتقلت آثار تلك الفوضى الى مجال التأليف، فتفاقم إشكال المصطلح في العالم العربي، وعند اصحاب الحداثة خاصة.

وباختلاف الأصول الأوربية للمصطلحات واختلاف التكوين لدى المثقفين العرب بتنوع

**** بالأمس تبلورت المصطلحات وتألقت..**
واليوم تعددت وجفت وتاهت.
**** كل الحضارات القديمة رسخت وجودها**
الفكري حين حددت مصطلحاتها.

مرجعياتهم، وغياب المؤسسات المشرفة على وضع المصطلحات، والسهر على متابعتها وتطبيقها؛ استشرت الفوضى.

ومازلنا نبحث عن شرائط الترجمان كما حدثها الجاحظ (٢٥٥هـ) في القرن الهجري الثالث بقوله: «ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول والمنقول اليها حتى يكون فيها سواء وغاية»[١٠].

اقرأ ما يكتبه بعض المثقفين عن مفهوم الحداثة فلن تزداد بها الا جهلا؛ اذ تجد وجهات النظر الغربية تتعدد، تلتقى، تتداخل وتتباين، وتجد المعجم يقدم لك مفاهيم عدة ويغرقك في الانساق والمناهج وأسماء الاعلام الغربية، واقرأ ما كتب حول الشعرية فانك ستدخل في هلوسات لا حد لها، وتتشعب أمامك المفاهيم.

الخلاصة:

إن الغاية من وضع المصطلح هي ضبط عمليات التفكير، ايجاد علامات تؤسس في مجموعها رؤية منهجية، بها ينتصر الانسان على الزمن، ويطور معرفته ويقترب من الحقائق المنشودة.

إن المثقف الذي يلهث وراء الآخرين، ويستلذ التيه في متاهات الآخرين، ولا يبدع نصوصا في مجالات المعرفة لا يمكن أن ينتج مصطلحات ولا يؤسس مصطلحاً من لا يؤسس معرفة، بالأمس تبلورت المصطلحات وتألقت، واليوم تعددت وجفت وتاهت.

الهوامش:

(١) الحيوان: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ٣٣٠/١ - ٣٣١ - ط٢ (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٥).

(٢) البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ١٣٩/١ - ١٤٠ - ط.٤ (بيروت، د.ت).

(٣) كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية: ابو حاتم الرازي، تحقيق: حسين بن فيض الله الحمداني ٥٦/١ - ط٢ (مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٧).

(٤) كتاب البديع: عبد الله بن المعتز، تحقيق: كراتشوفسكي ٢ - ٣ ط٣ (بيروت، دار المسيرة ١٩٨٢).

(٥) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى: ٢٣ - ٢٤ - ط٣ (القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٧٨).

(٦) مقدمة ابن خلدون: تحقيق علي عبد الواحد وافي ١٢٤٠/٣ ط٣ (القاهرة دار النهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩).

(٧) نفسه ٣/ ١٢٥٥.

(٨) تصدير د. ابراهيم انيس لكتاب الزينة لابي حاتم الرازي ص١٢.

(٩) موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي ٢٨٤ - ط٢ (بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٩).

(١٠) الحيوان: الجاحظ ٧٦/١

مراجعات:

الإقليمية في النقد والدرس



بقلم:
أ.د. ابراهيم السامرائي
الاردن - مجمع اللغة العربية

قبل أن أبدأ كلامي في كتاب تونسي وسمه صاحبه الأستاذ البشير [المجدوب] بـ «الظرف بالعراق في العصر العباسي»[١] أود أن أعرض لتاريخ قديم يتصل بي في تونس قبل أكثر من ثلاثين عاماً.

كان ذلك في سنة ١٩٦٢م، وكنت فيها مدرسا في كلية الآداب والعلوم الانسانية، وإني لأذكر أني قضيت عاماً فلم يكن لي أن قابلت عميداً أو رأيت أحداً من العاملين في الدرس في الكلية، وكثير منهم كنت أعرفهم طلاباً في فرنسا معي في سنوات العقد الخامس من هذا القرن.

غير أني عرفت الطيبين في تونس ومنهم الاستاذ الجليل حسن حسني عبد الوهاب - رحمه الله - والأستاذ عثمان الكعاك وكان مديراً لدار الكتب التونسية في سوق العطارين وغيرهم من أهل العلم الذين لم ينبزوا بالألقاب الكاذبة كالدكتور فلان.

وأذكر أني عرضت في تونس للشعراء التونسيين أصحاب الموزون المقفى ممن يضمهم كتاب زين العابدين السنوسي الذي وسمه بـ «تاريخ الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»[٢] لقد وجدت أن عامة هؤلاء الشعراء التونسيين «نظامين» وليسوا شعراء وفيهم من لا يتقن أدوات النظم في الحفاظ على الأوزان العروضية ذلك أن في نظم بعضهم من عيوب الزحاف وعيوب القافية شيئاً، فكيف يكونون شعراء؟

وأذكر أن الكتاب بدأ بترجمة للشاعر «خزنه دار» مع نماذج من شعره، وقد قال فيه مؤلف الكتاب: إنه «أمير شعراء المغرب».

أقول: قلت في إحدى مقالاتي: لقد عزّ على التونسيين أن يكون أحمد شوقي «أمير الشعراء» وكأنهم نطقوا بلسان المغاربة عامة، وأرادوا أن يعيدوا مقالة «الأنصار» للمهاجرين: «منّا أمير ومنكم أمير».

قلت: لو أن صاحبهم «خزنه دار» من فحولة الشعراء لكان لهم أن يشمروا في هذا، ولكان لنا نحن المشارقة أن نقول: إن لدولة الشعر أميرين. ولكننا لم نجد فليس «خزنه دار» إلا نظاماً يجتهد في توفير قافيته فتأتيه نافرة.

وقلت في مقالة أخرى: إن إخواننا التونسيين ومعهم المغاربة لا يعترفون أن لبلدان المشرق مسيرة ثقافية، وأن من المشارقة المتقدمين في الطب والهندسة وسائر العلوم، وأنهم أحرزوا على درجاتهم العلمية من أعلا جامعات الغرب. إنهم يرون الطبيب أو المهندس التونسي متقدماً عليهم ذلك أن كليهما قد أخذا العلم من معدنه وهو فرنسا. لقد عجبت ان يكون ذلك لهم، وهو مما يقرّه الفرنسيون أنفسهم، ولكن أصحابنا قد ذهبوا فيما ذهبوا إليه.

أقول: أعود إلى مقالاتي التي نشرتها في المجلة التونسية منذ أكثر من ثلاثين عاما وقد عرضت لسائر ما اشتمل عليه كتاب زين العابدين السنوسي. وكأن مقالاتي لم ترض المتأدبين التوانسة فتحدثوا مبتئسين أو غاضبين في

مجالسهم الخاصة.

ثم انبرى أحدهم في سَوْرة غضبه فنشر مقالة افتقرت إلى بعض الخلق الكريم في مجلة الفكر التونسية، وصاحبها ممن أعرف وهو محمد مزالي في رقة حاشيته وأدبه، ولكنه أكره على أن ينشر مقالة تونسي هو محمد الهادي العامري، ولا أدري أحي هو اليوم أم راحل؟ فإن كان حياً فأنا أدعو له لا عليه وأقول: غفر الله له، وإن رحل عنا فإني أرجو له الرحمة.

قال هذا العامري: ماذا يريد هذا الوارش منا؟

ثم بدا له أن يذهب بعيداً عن العلم ولم يبق له إلا أن يقول لي: «لعنك الله».

قرأت ما كتب وأدركت أن دنيا العرب ضيقة، وان العربي محاصر في بلده فكيف يكون حاله في بلد آخر فنحسبه «شقيقا» وان البلدان العربية هي بلدان «شقيقة».

قلت: كيف لي ألا أومن بـ «الإقليمية» الضيقة؟

وأعود إلى شيء يتصل بتونس في تلك الحقبة التى عفا عليها الزمن، فأذكر أني كنت في كلية الآداب في اليوم الأول من السنة الدراسية، وكنت أتجول في الممرات وأقرأ ما في لوح الإعلانات وما كان معلقاً هنا وهناك فهالني أن رأيت أن كل ما كان مما عُلِّق باللغة الفرنسية وأنا في كلية آداب العربية في بلد عربيّ!!

وأذكر أني يوماً رأيت عميد الكلية اتفاقاً فكان له فيما قال: ما الذي وجدت في جولتك، فلم يكن مني إلا أن قلت قول أبي الطيب:

ولكن الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان

وكأنه أدرك ولم يرض وابتأس، فقال: كيف كان ذلك؟ فقلت: إن كل ما في هذه الكلية باللغة الفرنسية، وكأني في إحدى حواضر فرنسا، وأضفت: أن مسجل الكلية يعلق ورقة فيها أسماء طلاب تونسيين يراد منهم استكمال ما ينقصهم، ولكنه كتب أسماء الطلاب بالحرف اللاتيني، ألم يكن في هذا تفريط؟

ثم آتي الى كتاب «البشير المجدوب» وهو «الظرف بالعراق في العصر العباسي» فأقول: كأن السيد المجدوب قد أعجب بكتابه فهو مزهوّ به وبما كان له من مصنفات أخرى هي خمسة كتب ذُكر أن شيئا حاز على جوائز الدولة التشجيعية. وله أن يُزهى، وللناشر أن يشير إلى هذا الزهو، فكلُّ فتاة بأبيها معجبة.

أقول: إن المؤلف ومعه كثير من المتأدبين لم يستكملوا أدواتهم للوصول إلى الكتابة.

إن عنوان الكتاب هو الظرف بالعراق.. أقول: إن «الباء» في قوله: «بالعراق» كان ينبغي أن تكون «في» لأن هذه ألصق بالظرفية ولا سيما المكانية، وإن جاء في استعمال الباء إفادة الظرفية مع معاني الباء الكثيرة.

ولو أن المؤلف قال: «الظرف العراقي في العصر العباسي» لكان أحسن، ولست أذهب إلى هذا ابتغاء السجع والتناسب، إن «الظرف» وإن دلّ على جملة مفيدة من المواد هي الحسن والأدب والخلق القويم ومعرفة الشراب والمنادمة وأشتات أخرى ، هو في أصله «الوعاء».

أقول: وإلى هذا المعنى أشار أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فقال: «الظريف مشتق من الظرف وهو «الوعاء» ، كأنه جُعل الظريف وعاء للأدب ومكارم الأخلاق..»[٣].

أقول: بدأ المؤلف في «مقدمة» فقال: حول مفهوم الظرف فكان له ست صفحات، ثم تحول إلى «التمهيد» فذهب إلى: «أن الظرف الحجازي لا يعدو أن يكون منزعاً من منازع النفس يقسم بكثير من العفوية .. نظرة إلى الحياة وموقفاً منها أقرب إلى البساطة والسذاجة»[٤].

أقول: انتهى من الكلام على الظرف الحجازي بهذه النبذة اليسيرة، ثم تحوّل منها إلى الظرف العراقي، وكان ينبغي أن يبسط القول في العوامل التي اقتضت هذا التحول، كان ينبغي له أن يتوسع في التبدّل الحضاري مشيراً إلى أن بغداد في القرنين الثالث والرابع أصبحت حاضرة

الدنيا.. وكان طبيعيا أن يزخر المجتمع البغدادي بالرجال من أهل المعارف العالية ويكون من هذا أن عرفت بغداد أشتاتاً من غير العرب فكان لاجتماعهم وتعلمهم العربية وبراعتهم فيها واختلاطهم بالعرب ونقلهم ما كان لهم من عادات تتصل بالعلم والأدب والفن والسلوك إلى المجتمع البغدادي.

ثم أقول: لقد أباح المؤلف لنفسه أن يجعل مادته حديثة، وهي لن تكون كما أراد، ولم يستطع أن يحولها إلى هذا، لقد استعمل مصطلحات عصرنا كالديمقراطية والارستقراطية، والتحرر والانفتاح وغير هذا، وما كان له أن يجرد هذا الكلم من أصوله التاريخية القديمة ليرمي به في سياق آخر يختلف عن هذا كل الاختلاف.

وإني لأجتزئ بهذا القدر في عرضي لما ذهب فيه إخواننا في بلدان المغرب وهم يعرضون للتراث القديم، وألخص فأقول:

ليس لنا أن نستعمل العربية المعاصرة ونحن في حيز موضوع قديم كهذا الذي مضى فيه السيد المجدوب مع إقراري ان هذه العربية الجديدة صحيحة مع خروجها على شيء من نحو العربية وأبنيتها، وهي تصلح لما هو حديث كالموضوعات الجديدة في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية وغيرها. إن هذه اللغة الجديدة التي شاعت في الصحف أصولها في الأعم الأغلب أجنبية فرنسية ثم انكليزية في دلالة الكلمة وفي الاستعمالات والمجازات.

أقول: ليس لخطيب الجمعة مثلا أن يقول في خطبته التى كان ينبغي أن تخلص إلى لغة إسلامية فيها قرآن وحديث وقول آخر مأثور: «إن الاكثرية الساحقة من المسلمين».

إن «الأكثرية الساحقة» عبارة نقلها التراجمة العرب، وكثير منهم نصارى، إلى العربية وهى فرنسية (La Majorite' e'crasnte) وليس للمؤلف وغيره أن يستعمل الفعل «كرّس» بمعنى «خصّص» لأن التكريس في العربية شيء يقرب من «التكديس» أي وضع الشيء على الشيء، ومنه جاءت «الكرّاسة».

إن «التكريس» في الاستعمال الجديد من العربية النصرانية وهي منقولة من السريانية و«التكريس» شيء من رسوم النصارى في الكنيسة. فهل يجوز للسيد المجدوب أو غيره أن يستعمل هذا في مادة تاريخية تتصل بالعصر العباسي.

وليس للمؤلف أن يجترئ فينعت قاضي القضاة في عصر المأمون وهو يحيى بن أكثم بـ «اللوّاط».

أقول: إن القدماء تحرّجوا في هذا ولم ينعتوه وإن شاع في أخباره أنه كان يستلطف الصبيان[٥]، ولكنه خبر يحتمل الصدق والكذب.

أقول: هل له أن يجتريء في عصرنا فيزعم أن الوزير فلاناً والرئيس فلاناً من أهل الرشوة وأنهم يرتكبون الحرام؟ على رسلك أخي الأستاذ البشير المجدوب.

الهوامش:

(١) الظرف بالعراق في العصر العباسي من منشورات مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر في تونس.

(٢) تاريخ الأدب التونسي في القرن الرابع عشر من منشورات مكتبة المنار في تونس.

(٣) لم يدرك المؤلف «محمد بن يزيد» وفاته أنه «المبرد» صاحب الكامل، وقوله هذا في كتابه الكامل، وكتاب الفاضل.

(٤) أقول: كان على المؤلف، وهو يدخل فى هذا السياق الذى يضرب في الأدب القديم بعرق من الأصالة أن يستعمل لغة مناسبة لما هو فيه، ولا يستعمل ما هو جار في لغة صحف عصرنا، فليس من المناسب أن يستعمل «العفوية» و«البساطة» و«السذاجة» كل هذا جديد ولا أقول خطأ، ولكن لكل مقام مقال.

إن «العفوية» أريد بها 'Naivite و«البساطة» -Sim plieite' وهذه جديدة لأن «البسيط» هو «المبسوط» أي الواسع، و«السذاجة» مصدر جديد من «ساذج» وهي كلمة معرّبة.

(٥) لقد قيل إن أحدهم قال:

متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها
وقاضي قضاة المسلمين يلوطُ



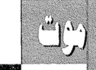
أيام العمر

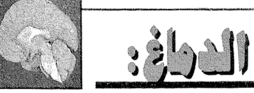
حسين منصور
- القطيف -

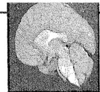
أيام العمر المفقودة
من عمري ليست معدودة
أيام ما كانت فيها
دنياي لعيني مشهودة
وليالي الأشواق الحرّى
والظلمة حولي ممدودة
لم أشهد فيها أحلاماً
طافت بجفوني المكدودة
أيام تمضي في همّ
وتمرّ الليلة مسهودة
والدنيا حولي سرداب
سقف وجوانب مسدودة
أحزاني فيها غابات
أفراحي فيها موءودة
والعمر يضيع بلا ثمن
والروح بقيد مصفودة
لم تشهد إلا حرماناً
أو تملك إلا تنهيدة
صوتي لا يخرج من صدري
أو يسمع غيري ترديده
حسرات تبعثها عندي
آمال كانت منشودة
وأحاول منها إفلاتاً
فالنسر يقاوم تقييده
ويطير إلى رحب الدنيا
ويواصل فيها تصعيده
ماض والليل يعانده
والدهر تعمّد تجعيده
بيديه غضّن جبهته
بأظافر عمق تخديده
لكن مازال بداخله
خفاق يرسل تغريده
والنسر يحلق منطلقاً
ماض بخطاه المشدودة
لا الدهر الجافي يرعبه
أو يخشى الليل وتهديده
حتى لو أقصى أحباباً
كانوا في العمر كأنشوده
مازالوا كل أمانيه
بل نور القلب وتجديده
وله من ذكراهم أمل
وشموس فيه مولوده
لا الفرقة تطفيء جذوتها
أو تقصي الدنيا الموعودة

* * *

سيعود النسر لدنياه
وينال مناه المقصوده
وستزهر أشواق ظمأى
كانت كالنار الموقوده
وستشرق أيام أحلى
وتهل ليال محموده
والعمر الفاني تحييه
همم في الحاضر موجوده
كالفكر المبدع إذ يفنى
في الدنيا يكتب تخليده



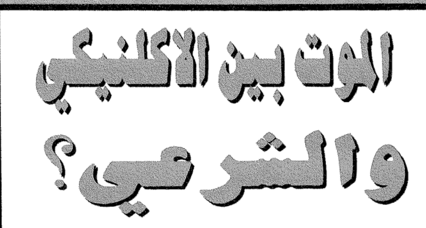





(٢-١)



بقلم:
د. **محمد على البار**
- مستشار الطب الاسلامي
- عضو مجمع الفقه الإسلامي
- أخصائى الامراض الباطنة
- جدة -



في أيامنا هذه كثر الحديث عن تعريف الموت، ذلك لأن أجهزة ومعدات العناية المركزة الموصلة بجسم مريض الغيبوبة المستديمة قد أحدثت وضعاً جديداً لهولاء المرضى جعلتهم في حالة بين حالتين كما يقولون بين (الحياة والموت) فلا هو حي ينتفع بحياته ولا هو ميت.

وهنا ، تدور مجموعة من علامات الاستفهام حول حقيقة الموت.

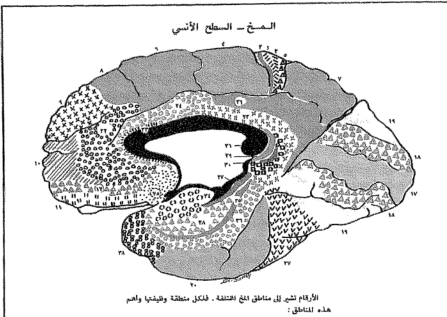
هل هو موت الدماغ، أم موت القلب، أم موتهما معاً، أم هو شيء آخر..؟.

لكل هذا نسعد بنشر هذه الدراسة القيمة المقدمة من قبل الاستاذ الدكتور محمد على البار، وهو الى جانب تخصصه العلمي في الطب فهو ايضاً عضو في مجمع الفقه الإسلامي في جدة، ومستشار الطب الاسلامي وله مشاركاته العلمية الجادة في مجال الدراسات الفقهية المتعلقة بجانب الطب. **- المنهل -**

لكي نبحث هذا الموضوع لابد أولا من تعريف الموت عند الفقهاء والاطباء ومعرفة علاماته عند كل منهما، ثم توضيح تلك الفروق بينهما.

تعريف الموت (بصورة عامة):

إن تعريف الموت مثل تعريف الحياة أمر تكتنفه كثير من الصعوبات، رغم أن العلامات الفارقة بين الموت والحياة، وبين الكائن الحي والجماد أمر يدركه الانسان بنظرته كما يدركه بمعارفه، فالكائن الحي يتنفس ويتغذى وينمو ويتكاثر ويتحرك.. ثم تختلف بعد ذلك طرق التنفس والغذاء والنمو والتكاثر والحركة بأشكالها المتعددة المتباينة التي لا تكاد تعد ولا تحصى. وأصعب تلك الكائنات

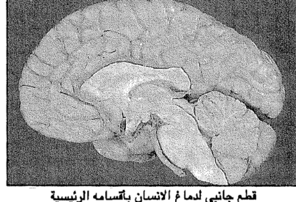


الأرقام تشير إلى مناطق المخ المختلفة . فلكل منطقة وظيفتها واهم هذه المناطق :
المنطقة ٤ : منطقة الحركة .
المنطقة ٦ ، ٨ : ما قبل منطقة الحركة .
المنطقة ١ ، ٢ ، ٣ : منطقة الإحساس .
المنطقة ١٧ ، ١٨ ، ١٩ : منطقة الإبصار .

تحديداً هي الفيروسات فهي كالجماد لا تتحرك ولا تنمو ولا تتنفس ولا تتغذى خارج الكائنات الحية بل تتبلور مثل بعض الجمادات، فإذا ما دخلت الى جسم الكائن الحي تحكمت في سرّ السرّ فيه (جينوم الخلية الموجود في الدنا DNA) ، وجعلته عبداً لمشيئتها، لا ينقسم الا حسب أوامرها، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يهب الأجسام الحية القدرة على مقاومة هذا الغزو الفيروسي لأبادت الفيروسات جميع الكائنات الحية ابتداء من البكتريا وانتهاء بالانسان.. ومع هذا كله فالفيروس داخل الخلايا الحية لا يتنفس ولا يتغذى ولا يتحرك ولا ينمو بل كل ما في الأمر أنه يتحكم في الخلايا فيجعلها تنقسم لتصبح فيروسات جديدة من جنسه بدلا من أن تنقسم الى خلاياها المعتادة.

وفي جسم الكائن الحي المتعدد الخلايا مثل الانسان أو الحيوان أو النبات تموت ملايين الملايين من الخلايا في كل لحظة وأن، ويخلق الله بدلا عنها ملايين مثلها. ويبقى الكائن الحي على قيد الحياة ما دامت عملية البدء والاعادة مستمرة. قال تعالى {إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده} (يونس/٤) وقال تعالى {قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده. قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنَّي توفكون} (يونس/٣٤).

ولقد صدق الامام الغزالي حين قال: نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه الموت إذ لا يعرف


قطع جانبي لدماغ الانسان بأقسامه الرئيسية

الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة معرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها. ولم يؤذن لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول (الروح من أمر ربي)، فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف سرّ الروح وإن اطلع عليه، وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت»[١].

الموت عند المسلمين (التعريف الشرعي للموت) :

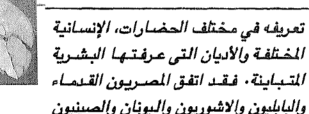
إن تعريف الموت عند المسلمين لا يختلف عن

تعريفه في مختلف الحضارات، الإنسانية المختلفة والأديان التى عرفتها البشرية المتباينة. فقد اتفق المصريون القدماء والبابليون والاشوريون واليونان والصينيون والهنادكة واليهود والنصارى والمسلمون على أن الموت هو مفارقة الروح الجسد. ثم اختلفوا بعد ذلك اختلافات كثيرة في هذه الروح؟ وهل تعود الى هذا الجسد أم تعود الى جسد آخر حيث يعتقد البوذيون والهنادكة والشنتو أن الروح الشريرة تعاد الى جسد حقير، وتظل في تلك الدورات حتى تتطهر، وأن الروح الصالحة الخيرة تظل تنتقل في الأجساد الخيّرة حتى تصل مرحلة الزفانا، وهي السعادة الأبدية المطلقة في الروح المتصلة بالأزل والأبد.

والمفهوم الاسلامي للموت هو انتقال الروح من الجسد الى ما أعدّ لها من نعيم أو عذاب، والروح مخلوقة مربوبة، خلقها الله تعالى، ثم هي خالدة، والمقصود بموتها مفارقتها الجسد.

هذا هو مفهوم جمهور علماء المسلمين للموت وإن خالف فيه من خالف من المعتزلة وغيرهم. قال الامام ابن القيم في كتابه الروح[٢]: «والصواب أن يقال أن موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهي لا تموت بهذا الاعتبار».

وقال الامام الغزالي في الاحياء: «إن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد، إما مُعذّبة وإما مُنَعّمة. ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عنه بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلآت للروح تستعملها حتى إنها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين. وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب، والقلب هنا عبارة عن الروح. والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة.. والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها، وكل



الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها. وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح. ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها الأفراح والغموم، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والآلام واللذات، وذلك لا يموت أي لا ينعدم - ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له»[٣].

قال الامام ابن تيميه: «قد استفاضت الأحاديث عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بأن الأرواح تُقْبَضُ وتُنَعَّمُ وتُعَذَّبُ. ويقال لها: أخرجي أيتها الروح الطيبة»[٤].

ويقول الامام الطحاوي في عقيدته: ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين» قال الشارح: «والصواب أن يقال موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها»[٥].

ويقول فضيلة الشيخ بكر أبو زيد رئيس مجمع الفقه الاسلامي في بحثه القيم: «أجهزة الانعاش وحقيقة الوفاة بين الفقهاء والاطباء»: «إن حقيقة الوفاة هي مفارقة الروح للبدن. وأن حقيقة المفارقة خلوص الأعضاء كلها عن الروح بحيث لا يبقى جهاز من أجهزة البدن فيه صفة حياتية»[٦].

ويقول الامام الغزالي في «سكرات الموت وشدته» من كتاب «الاحياء»: إن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح، فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر الى الروح، فبقدر ما يسرى الى الروح يتألم.. والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن الا وقد حلّ به الألم، فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده انما يجرى في جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذي

أصابته الشوكة.. فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل، ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه»[٧].

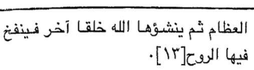
إخراج الروح:

وقد وكل الله سبحانه وتعالى ملائكة يقومون باخراج الروح من البدن قال تعالى: {قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّل بكم ثم الى ربكم ترجعون} (السجدة/١١) وملك الموت الموكل بأرواح الأدميين هو عزرائيل عليه السلام ويساعده في ذلك عدد غير معروف من الملائكة. قال تعالى: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم. قالوا فيم كنتم. قالوا كنا مستضعفين في الأرض. قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا} (النساء/٩٧). وقال تعالى {ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم} (الأنعام/٩٣). ولو رأينا ذلك لرأينا أمرأ مهولا مرعبا.. وعلى العكس من ذلك تقوم الملائكة بتبشير المؤمنين الذين عملوا الصالحات وتسلم عليهم وتنزع أرواحهم نزعا رفيقا. قال تعالى: {الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم} (النمل/٣٢). ولا ينفي ذلك كرب السياق وآلام النزع فقد تألم خير الخلق وأكرمهم على الله سبحانه تعالى محمد {صلى الله عليه وسلم} وكرب في نزعه حتى قالت فاطمه رضى الله عنها «واكرب ابتاه» فقال لها: لا كرب على أبيك بعد اليوم[٨]، ولكن ما يخفف عن المؤمن آلام النزع وكرب السياق ما يراه من البشائر عند قدوم الملائكة. قال تعالى {يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي} (الفجر/ ٢٧ ـ ٣٠) قال المفسرون يقال لها ذلك عند النزع وعند البعث[٩]، وقال ابن القيم: حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن الموت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: أخرجي أيتها النفس الطيبه كانت في الجسد الطيب. أخرجي حميدة وأبشري بِرَوْح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج[١٠] الحديث.

أما الكفرة والعصاة المردة فانه ينكل بهم، ويرون سوء مصيرهم عند الموت، وتضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم.. قال تعالى: {ولو ترى إذا الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تُجْزَوْنَ عذاب الهُون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون} (الانعام/ ٩٣) وقال تعالى: {ولو ترى إذ يتوفي الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم} (الانفال/ ٥٠). وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة قال: «وإذا كان الرجل السوء قال (أي الملك) أخرجي أيتها النفس الخبيثه كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغسّاق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها حتى تخرج»[١١].

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} توضح كيفية اخراج الملائكة لروح المؤمن وروح الكافر. وما في الأول من تيسير حتى تسيل مثل الماء من فم السقاء، وما في الثاني من تنكيل حتى تخرج كما يخرج السَّفُود المبلل من كومة من الصوف كما جاء في حديث البراء بن عازب وغيره الذي أخرجه ابن منده وذكره ابن القيم بطوله في كتاب الروح[١٢]. وقد استوفى ابن القيم في الروح ذكر الكثير من هذه الاحاديث (ص ٤٦ ـ ٥٠).

ويأتي الاسناد في اخراج الروح في بعض الآيات الى الله سبحانه وتعالى مباشرة حيث الفاعل على الحقيقة هو الله ولا أحد سواه. قال تعالى {الله يتوفى الأنفس حين موتها} (الزمر/



٤٢)· والله سبحانه وتعالى هو الفاعل لكل شيء في هذا الكون صغيره وكبيره· والملك مـأمـور يفـعل مـا أمـره به ربـه سبـحـانه وتعالى·

الروح وتأثيرها في البدن:

اتفق جمـهـور علمـاء أهل السنة على أن الروح هي المحركة للبدن وأنها هي المتصرفة فيه والموت هو مـفارقـة الروح للجسد وانقطاع تصرفـهـا عنه بخروج الجسد عن طاعـتـهـا فإن الاعضـاء آلات للروح كما يقول الامام الغزالي· والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء عن فعل الروح· والروح هي المدركة للعلوم وآلام الغموم ولذّات الافراح، كمـا يقـول الغـزالي في الاحيـاء (سـبق أن نقلنا قـوله كاملا)·

والروح التى نفخـهـا الله في آدم عليه السلام هي أمر علوي سماوي لا تدركه الأبصار ولم ينفخ الله الروح في آدم الا بعد أن سواه جسدا من الطين· {فـإذا سوّيْتُه ونفـخـتُ فـيـه من روحي فـقـعـوا له ساجدين}·

الروح في الجنين:

وكـذلك الروح في الجنين لا تنفخ فـيـه الا بعـد كمال تسوية الجسد· قال تعالى: {الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين· ثم جعل نسله من سلالة من ماء مـهين ثم سـواه ونفخ فيـه من روحه} (السجدة/ ٦ ـ ٨)· وقال تعالى: {ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة· فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشـأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين} (المؤمنون/ ١٢ ـ ١٤)·

قال المفسرون (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي نفخنا فيه الروح· وذلك لا يكون الا بعد المرور بالتارات السبع تكون ترابا ثم تكون نطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاما ثم تكون لحما يكسو العظام ثم ينشؤها الله خلقا آخر فـينفخ فيها الروح[١٣]·

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في غير مـا آية من القـرآن الكريم هذه المراحل والاطوار التي يمر بهـا الجنين قـبل أن تنفخ فـيـه الروح التي بها يصير الجسد إنسانا·· قال تعالى {مـا لكم لا ترجـون لله وقـارا وقـد خلقكم أطوارا} (نوح/ ١٣، ١٤) ثم فـصّل هذه الاطوار فـقـال عز من قـائل: {يا أيهـا الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نُطْفَة ثم من علَقة ثم من مُضْغة مُخَلقة وغير مُخلَّقة لنُبيِّن لكم· ونُقـرّ في الأرحـام مـا نشـاء الى أجل مُسَمَّى ثم نُخْرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم· ومنكم من يتوفى ومنكم من يُرَدُّ الى أرذل العمر لكي لا يَعْلَم من بعد علم شيئا} (الحج/٥)·

حديث نفخ الروح:

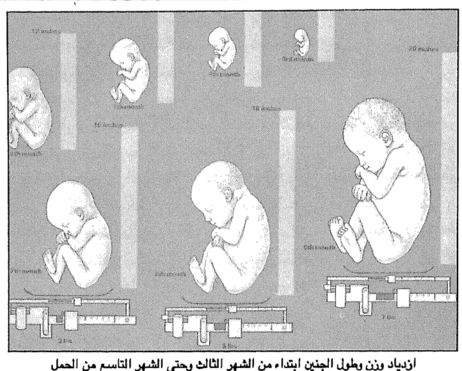
وتضـافـرت الأحاديث الصحيحة على أن نفخ الروح لا يكون الا بعد مرور الجنين بمراحل متتالية ابتداء من النطفة فالعلقة فالمضغة ثم ينفخ فيه الروح· أخرج الشيخـان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أخبرني الصادق المصدوق أن أحدكم يُجمع خَلْقُه في بطن أمه أربعين يوما· ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك· ثم يُبْعث إليه ملكٌ بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد ثم يُنفخ فيه الروح·

وهناك اختلاف طفيف جدا في رواية مسلم عن رواية البخاري بل هناك اختلاف طفيف يسير في روايات البخاري نفسه (كتاب الانبياء وكتاب القدر وكتاب التوحيد وكتاب بدء الخلق) وفي الأربعين النووية «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح»·

وجمهور العلماء يجمعون على أن الروح لا تنفخ

الا بعـد مـرور مـائة وعشرين يوما منذ بدء الحـمل (أى تكون الزيجوت أو اللقيحة أو النطفة الأمشاج)..

ويقولون إن حديث حذيفة بن أسيد الذي رواه مسلم لا يعارض ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود لأنه لا ذكر لنفخ الروح في حديث حذيفة بن اسيد ونصه: «إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها. ثم قال يارب أذكر أم انثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يارب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فلا يزيد على ما أُمرَ ولا ينقص!.


ازدياد وزن وطول الجنين ابتداء من الشهر الثالث وحتي الشهر التاسع من الحمل

وقد قام العلماء الأجلاء من أمثال ابن القيم والنووي وابن حجر العسقلاني وغيرهم بمحاولة الجمع بين الحديثين وقد استعرضت ذلك كله في كتابي «خلق الانسان بين الطب والقرآن» وكتاب «الجنين المشوه: أسبابه وأحكامه» فليرجع اليهما من أراد التفاصيل.

تكوّن الدماغ وعمله دليل على نفخ الروح:

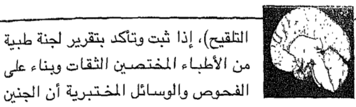
والخلاصة أن الفقهاء مجمعون على أن الجنين لابد أن يمر بمراحل متعددة قبل أن تنفخ فيه الروح وهي التي بها الارادة والفكر وبها يصير الانسان إنسانا.

قال الامام ابن القيم في كتابه التبيان في أقسام القرآن: «فإن قيل الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم لا؟ قيل: كان فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات ولم تكن حركة نموه واغتذائه بالاراده فلما نفخت (روحه) انضمت حركة حسيته وارادته الى حركة نموه واغتذائه»[١٤].

وقال الامام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري وهو يتحدث عن أول الأعضاء تكونا في الجنين: «وقيل الكبد لأن منه النمو والاغتذاء الذى هو قوام البدن، رجحه بعضهم بأنه مقتضى النظام الطبيعي لأن النمو هو المطلوب أولا: ولا حاجة له حينئذ إلى حسّ ولا حركة ارادية لانه حينئذ بمنزلة النبات. وانما يكون له قوة الحسّ والارادة عند تعلق النفس به»[١٥].

والملفت للنظر حقا أن يجعل هذان الامامان العظيمان نفخ الروح مرتبطا بالاحساس والارادة أي بالجهاز العصبي بل بالدماغ. فإذا لم يكن هناك حسٌ ولا إرادة فلا روح هناك، وإن كانت بعض الاعضاء بل كل الأعضاء تعمل.

ولذا فإن بعض الفقهاء اعتبر الجنين كالجماد أو ما هو أشبه بالجماد وأباح بعضهم الاجهاض حتى



بدون عذر وذلك قبل نفخ الروح وخاصة قبل الأربعين.. وانما حرّم من حرم قتل الجنين قبل نفخ الروح فيه باعتبار مآله ومصيره الذي سيصير اليه فإذا حرُم كسر بيض الحرم باعتبار مآله فمن باب أولى يحرم قتل الجنين باعتبار مآله وما سيصير اليه.

قال الامام الغزالي في الاحياء: وليس هذا (أي العزل) كالاجهاض والوأد لأن ذلك جناية على موجود حاصل والوجود له مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة. وافساد ذلك جناية، فإن صارت نطفة مخلقة كانت الجناية أفحش. وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة إزدادت الجناية تفاحشا. ومنتهى التفاحش في الجناية هي بعد الانفصال حيّاً.

وقال الشيخ الجليل يوسف القرضاوي في كتابه الحلال والحرام في الاسلام: «واتفق الفقهاء على أن اسقاطه بعد نفخ الروح فيه حرام وجريمة لا يحل للمسلم أن يفعله لأنه جناية على حي متكامل الخلق ظاهر الحياة».

الجنين قبل نفخ الروح فيه ليست فيه حياة إنسانية:

وأما قبل نفخ الروح ففيه الخلاف حيث ذهب بعض الفقهاء الى السماح بالاجهاض وخاصة قبل الأربعين باعتباره كالجماد أو أشبه بالجماد.. وأما جمهور الفقهاء فلم يسمحوا بالإجهاض باعتبار مآله ومصيره وإن لم ينفخ فيه الروح. ومع ذلك سمحوا بالاجهاض متى كان الحمل يشكل خطرا على حياة الحامل أو على صحتها أو كان الجنين مشوها تشويها شديدا. وفي هذا الصدد أباح المجمع الفقهي لرابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة في دورته الثانية عشرة (١٥ ـ ٢٢ رجب ١٤١٠هـ/ ١٠ ـ ١٧ فبراير ١٩٩٠م) إسقاط الجنين المشوه قبل نفخ الروح (١٢٠ يوما منذ التلقيح)، إذا ثبت وتأكد بتقرير لجنة طبية من الأطباء المختصين الثقات وبناء على الفحوص والوسائل المختبرية أن الجنين مشوه تشويها خطيرا غير قابل للعلاج، وأنه إذا بقي وولد في موعده ستكون حياته سيئة وآلاما عليه وعلى أهله فعندئذ يجوز اسقاطه بناء على طلب الوالدين».

والمجمع الفقهي الموقر لم يبح إسقاطه الا لأنه لم تنفخ فيه الروح (الانسانية) بعد ولا حسّ ولا إرادة له.. وحتى من اعترض من الفقهاء على ذلك قبل الاسقاط قبل الأربعين أخذا بالأحوط وبحديث حذيفة بن أسيد الذي رواه مسلم والذي ذكرناه قريبا.. فهولاء جميعا أباحوا الاجهاض لأن الجنين لم تنفخ فيه الروح بعد. وإن كان الجنين قد مرّ بمراحل متعددة من الخلق وتعدى مرحلة النطفة الى العلقة فالمضغة فالعظام فاللحم يكسو العظام.. وتصورت كثير من أعضائه وهي كلها حيّه ولكن لا يحكم له بالحياة الانسانية بذلك الا بعد نفخ الروح.. ولا يحرم قتله (بدون سبب) الا باعتبار مآله ومصيره لا باعتبار انه حي حياة انسانية.

حكم المولود إذا لم يستهل:

بل إن الفقهاء لم يحكموا للجنين بعد ولادته بالحياة الا إذا استهل صارخا وعلمت فيه آثار الحياة واستدلوا على ذلك بقوله {صلى الله عليه وسلم} «إذا استهل المولود ورث»[١٦] وقول جابر بن عبد الله والمسور ابن مخرمه رضي الله عنهما: «قضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا يرث الصبي حتى يستهل»[١٧].

فإذا كان المولود حديثا وقد نفخت فيه الروح منذ أشهر عديدة لا يحكم له بالحياة الا عندما يستهل صارخا أو يستدل على حياته بأمارات موثقة عندهم فإنه من العجيب جدا أن لا يحكم لمن مات دماغه وبالتالي فقد الاحساس

والحركه والارادة بالموت.

جاء في الموسوعة الفقهية[١٨]: «وتعرف حياته (أي المولود) بالاستهلال صارخا واختلف الفقهاء فيما سوى الاستهلال. فقالت طائفة: لا يرث حتى يستهل صارخا. وهو المشهور عن الامام أحمد[١٩]. وروي عن كثير من الصحابة والتابعين مستدلين بأن مفهوم قول النبي {صلى الله عليه وسلم} (اذا استهل المولود ورث) أنه لا يرث بغير الاستهلال[٢٠] ولأن الاستهلال لا يكون الا من حي. والحركة تكون من غير حي»[٢١].

«وروى عن أحمد انه قال: يرث السقط ويورث إذا استهل فقيل: ما استهلاله؟ قال: إذا صاح أو عطس أو بكى. فعلى هذا كل صوت يوجد منه تعلم به حياته فهو استهلال، وهذا قول الزهري والقاسم بن محمد لأنه صوت علمت به حياته فأشبه الصراخ، وعن احمد رواية ثالثة بصوت أو حركة أو رضاع أو غيره ورِّث وثبت له أحكام المستهل لأنه حي. وبهذا قال الثورى والاوزاعي والشافعى وأبو حنيفة وأصحابه»[٢٢].

الامام مالك لا يعتبر الجنين حيا ما لم يستهل ولو تنفس أو تحرك أو بال - ويقول فضيلة الشيخ محمد المختار السلامي: يرى الامام مالك بن أنس رضي الله عنه أن المولود إذا لم يصرخ لا يعتبر حيا ولو تنفَّس أو بال أو تحرك. ومعنى هذا أنه لا يحكم له بالحياة بمجرد التنفس حتى يقرن بها البكاء. وقال ابن الماجشون: إن العطاس يكون من الريح والبول من استرخاء المواسك (أي العضلات العاصرة) ، فما لم يكن الفعل اراديا استجابة لتنظيم الدماغ لا يعتبر امارة حياة. (الزرقاني على الخليل ج٢/١١٢). انتهى كلام فضيلة الشيخ محمد المختار السلامي. ويقول فضيلته أيضا في بحثه المقدم الى الدورة الثالثة لمجمع الفقه الاسلامي مفصلا وموضحا أقوال المذهب المالكي:

«يقول خليل بن اسحاق (ولا سقط ما لم يستهل صارخا، ولو تحرك أو بال أو رضع) إن هذه الفقرة تجعل مقياس الحياة الصوت. وقد فصَّل اللخمي ما تكون به الحياة فقال: اختلف في الحركة والرضاع والعطاس فقال مالك: لا يكون له بذلك حكم الحياة. قال ابن حبيب: وإن أقام يوما يتنفس ويفتح عينيه ويتحرك حتى يسمع له صوت وإن كان خفيا. قال اسماعيل: وحركته كحركته في البطن لا يحكم له فيها بحياة. قال عبد الوهاب: وقد يتحرك المقتول. وعارض هذا المازري وقال: لا معنى لانكار دلالة الرضاع على الحياة لأنا نعلم يقينا أنه محال بالعادة أن يرضع الميت. وليس الرضاع من الأفعال التى تكون بين الطبيعة والاختيارية، كما قال ابن الماجشون أن العطاس يكون من الريح، والبول من استرخاء المواسك (العضلات العاصرة)، لأن الرضاع لا يكون الا من القصد اليه. والتشكك في دلالته على الحياة يطرق الى هدم قواعد ضرورية. والصواب ما قاله ابن وهب وغيره: انه كالاستهلال بالصراخ»[٢٣].

ما لم تكن حياة مستقرة فلا حياة:

ويقول الدكتور محمد سليمان الأشقر في بحثه نهاية الحياة المقدم الى ندوة الحياة الانسانية في الكويت[٢٤]: «ولابد للحكم بموته من أن تنعدم كل أمارات الحياة. ويذكرون ذلك في استهلال المولود ليرث، قالوا: لابد أن ينفصل حيا حياة مستقرة، فلو مات بعد انفصاله حيا حياة مستقرة فنصيبه لورثته. ويعلم استقرار حياته عند الحنابلة والشافعية إذا استهل صارخا أو عطس أو تثاءب، أو مص الثدي، أو تنفس وطال زمن تنفسه، أو وجد منه ما يدل على حياته، كحركة طويلة ونحوها فلو لم تكن حياة مستقرة بل كالحركة اليسيرة والاختلاج والتنفس اليسير لم يرث، لانه لا يعلم بذلك استقرار حياته، لاحتمال كونها كحركة المذبوح، أو كما يقع للانتشار من ضيق أو استواء الملتوي (العذب الفائض في

الفرائض) ج ٣/٩١) انتهى.

تعريف الحياة المستقرة:

ويعرف بدر الدين الزركشي في كتابه «المنثور من القواعد» الحياة المستقرة بقوله:

«الحياة المستقرة هي أن تكون الروح في الجسد ومعها الحركة الاختيارية، دون الاضطرارية كما لو كان إنسان، وأخرج الجاني أو حيوان مفترس حشوته وأبانها لا يجب القصاص في هذه الحالة».

«وأما حياة عيش المذبوح فهي التي لا يبقى معها ابصار ولا نطق ولا حركة اختيارية»[٢٥]، وقال الرملي في نهاية المحتاج: «وإن أنهاه (أي المجني عليه) رجل الى حركة مذبوح بأن لم يبق فيه ابصار ونطق وحركة اختيار، وهي المستقرة التي يبقى معها الادراك ويقطع بموته بعد يوم أو أيام، ثم جنى عليه الآخر، فالأول قاتل لأنه صيّره إلى حالة الموت، ومن ثمَّ أعطي حكم الأموات مطلقا ويعزّر الثاني لهتكه حرمة ميّت»[٢٦].

ويعلق على تلك العبارة الدكتور محمد نعيم ياسين فيقول: «وهذا الذي ذهب إليه الفقهاء في هذه المسألة يشير إلى أنهم اعتبروا فقدان الاحساس والحركة الاختيارية علامات تورث غلبة الظن بوصول المجني عليه الى مرحلة الموت، وأن الحركة الاضطرارية الصادرة من المجنى عليه لا تعطي غلبة الظن ببقاء الروح في الجسد إذا كانت وحدها، ولم تقترن بأي نوع من الاحساس أو الحركة الاختيارية والا لجعلوا القصاص من نصيب الجاني الثاني، إذ يكون فعله القاتل واردا على جسد فيه روح، ولعلهم في هذا تأثروا بما قرره علماء الطائفة الاولى أمثال ابن القيم والغزالي من أن الروح ترحل عن جسد صاحبها في اللحظة التي يصبح فيها الجسد عاجزاً عن الانفعال للروح بأي نوع من الاحساس والاختيار»[٢٧].

حركة المذبوح:

وقد أجمع الفقهاء على عدم اعتبار حركة المذبوح بل لو أن حيوانا مفترسا أو شخصا قام بالاعتداء على آخر وأفقده النطق والابصار والاحساس والادراك ولم يبق منه الا ما يسمى حركة المذبوح ثم جاء آخر فاجهز عليه فإن القاتل هو الأول وانما يعزر الثاني لانتهاكه حرمة الميت.. فمهما كان قلبه ينبض وهو يتنفس ويتحرك الا أن هذه الحركات اضطرارية فلا يحكم له فيها بحياة.

بل وصل بعض الفقهاء الى ما هو أعجب وأغرب من ذلك. فقد زعم ابن القاسم أن عمر رضي الله عنه لما طُعنَ كان معدودا في الأموات وأنه لو مات له مورث لما ورثه، وانه لو قام رجل بالتذفيف على عمر فقتله لا يعتبر الثاني قاتلا لأن القاتل هو الأول وهو أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبه. وقد استدلوا على موت عمر بزعمهم ذاك أن الطبيب سقى عمر لبنا فخرج اللبن من الجرح ومعنى ذلك أن الطعنة كانت نافذة حتى وصلت الى الأمعاء أو المعدة، ومثل تلك الحالة لا تعيش في ذلك الزمان ورغم أن عمر كان يتكلم ويعهد وبقى ثلاثة أيام على ذلك الا أن ابن القاسم اعتبره في عداد الاموات[٢٨] !! ولم يعتبر كلامه وإدراكه ومنطقه دليلا على الحياة باعتبار ما سيؤول اليه، وهو الموت. والحق أن ما ذهب إليه ابن القاسم كان شططا ولم يقبله جمهور الفقهاء بل اعتبروا أن عمر كان لا يزال حيا عندما كان يعهد ويتكلم ويدرك الأمور، ولذا أمضوا وصيته[٢٩].

مما سبق يتبين الآتي بالنسبة الى الروح:

(١) أن دخول الروح الى الجنين لا يتم الا بعد مرور فترة زمنية تكون أعضاء الجنين قد تكونت والقلب ينبض (منذ اليوم الثاني والعشرين منذ التلقيح) والدورة الدموية موجودة ومع هذا فقد

أجمع الفقهاء وعلماء الاسلام أن الجنين قبل نفخ الروح بمثابة الجسد ولا يحكم له فيها بالحياة الانسانية التي بها الاحساس والادراك (وهي التى لا تظهر الا بعد تكون الدماغ واتصال المناطق المخية العليا بالمناطق السفلى. وذلك لا يكون الا بعد مرور مائة وعشرين يوما منذ التلقيح كما اثبته الدكتور كورين في بحثه الرائد الذي ألقاه في مؤتمر أخلاقيات زرع الاعضاء المنعقد في اوتوا بكندا في ٢٠ - ٢٤ أغسطس ١٩٨٩م حيث ذكر أن الاتصالات والتشابكات بين المناطق المخية العليا والمناطق الاسفل منها لا تبدأ الا بعد مرور الجنين بفترة مائة وعشرين يوما).

وحتى لو قلنا بفترة الأربعين التي وردت في حديث حذيفة بن أسيد، وفي هذه الفترة يبدأ جذع الدماغ بالعمل، واعتبرنا ذلك علامة على بداية الحياة ونفخ الروح فإن ذلك لا يغير من الحقيقة شيئا.. وهي أن الجنين يبقى فترة أربعين يوما لا يعتبر فيه حيّا حياة انسانية.

اعجاز أحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم}:

وهذه الاكتشافات الحديثة تكون اعجازا لاحاديث النبي {صلى الله عليه وسلم} في هذا الباب. ففي حديث حذيفة ابن أسيد الذي رواه مسلم يؤمر الملك بتشكيل كافة الاعضاء بما فيها الاعضاء التناسلية بعد الأربعين الاولى من عمر الجنين. وفي هذه الفترة المعروفة لدى علماء الأجنة بفترة تكوين أو تخليق الأعضاء Organogene-sis.

يبدأ جذع الدماغ في التكون ويبدأ أول نشاطه في اليوم الثالث والأربعين وقد أمكن تسجيل نشاطه الكهربائي. أما المناطق المخية العليا فتظل بدون نشاط وهي مثل اللمبة (المصباح) بدون كهرباء ولا يتم توصيل الكهرباء اليها الا بعد مرور مائة وعشرين يوما وآنذاك تعمل. وبما أن المخ هو مركز الأحاسيس والارادة والفكر والروية وهو ما اتفق عليه علماء الاسلام باعطائه صفة الروح، لأنها هي المدرك وهي المحاسَبْ والمعاقَبْ والمعاتَبْ والمطالَبْ.. فإن وجود هذه العلامة الفارقة العجيبة، وتطابق الطب الحديث مع ما جاء في الاحاديث الصحيحة يجعل لهذه الأحاديث إعجازا وفهما عجيبا.

(٢) تضافرت النصوص القرآنية والحديثيه في أن آدم عليه السلام لم تنفخ فيه الروح الا بعد أن اكتمل بناء جسده من الطين. وإن ابليس اللعين كان يتعجب من خلقه ويصوّت فيه قبل نفخ الروح ويقول «لأمر ما خلقت!!».

(٣) أن أهم وظائف الروح هي العلم والادراك. يقول الامام الغزالي: «الروح هي المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح» والروح تؤثر في البدن الانساني وتتحكم فيه. والأعضاء آلات للبدن فإذا استعصت الأعضاء على عمل الروح فإن الروح تغادر البدن. فكل الاعمال الاختيارية والادراك والاحساس من عمل الروح والأبدان آلات للروح.

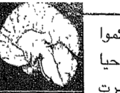
ولكن هذا لا يعني أن خروج الروح يستتبع فقدان كل حركة في الجسم وموت كل خلية فيه. فقد اتفق الفقهاء كما أسلفنا أن الجنين قبل نفخ الروح فيه كانت فيه حركة النمو والاغتذاء. بل إن القلب ينبض ويعمل منذ اليوم الثاني والعشرين منذ التلقيح وتبدأ الدورة الدموية عملها منذ تلك اللحظة ومع هذا لم يقل أحد من علماء الاسلام أن الروح قد نفخت في هذا الجنين في هذه الفترة بل أجمعوا أو كادوا على أن نفخ الروح لا يكون الا بعد مرور مائة وعشرين يوما منذ بدء الحمل ولم يشذ من ذلك الا فئة قليلة لم تحدد وقتا لنفخ الروح ولكنها أخذت بحديث حذيفة بن اسيد الذي رواه مسلم وحددت بالتالي بداية الحياة بعد مرور الأربعين الأولى.

وقد أسلفنا القول في أن الفقهاء لم يحكموا بحياة الجنين حتى بعد مولده وانفصاله حيا من أمه الا إذا استهل صارخا أو ظهرت عليه أمارات الحياة. ومنهم من لم يقبل التنفس ما لم يستمر وقتا طويلا. وكذلك لم يقبلوا الحركة دليلا على الحياة. بل ولا البول لأن ذلك يكون من استرخاء المواسك (العضلات العاصره) وبالغ بعضهم في عدم قبول العطاس والرضاع دليلا على الحياة كما أسلفنا.

وأما حركة المذبوح أو من اعتدى عليه وحش أو انسان حتى فقد الادراك والنطق والبصر والاحساس فإن حركته لا اعتبار لها عند الفقهاء واعتبروه ميتا رغم أن قلبه لا يزال ينبض ودورته الدموية لا تزال كاملة ومعظم أعضاء جسمه لا تزال تعمل.

بل بالغ بعضهم مبالغة شديدة مثل ابن القاسم عندما زعم أن عمر رضي الله عنه بعد أن طعن اعتبر في عداد الموتى رغم أن عمر رضي الله عنه كان يعهد ويتكلم وبقي على ذلك ثلاثة أيام كاملة وهو يحس ويدرك.. ولا شك أن من قال بذلك قد خرج عن الطور المعهود وجانب الصواب، فعمر دون ريب كان حيا. ولو عاش في زمننا هذا لأمكن بكل يسر انقاذ حياته باذن الله تعالى. وكم من حالات أشد بكثير من حالات عمر أمكن انقاذها. فقد امكن انقاذ الرئيس الامريكي الاسبق ريجان بعد ان اخترقت الرصاصة صدره ووصلت الى غشاء قلبه (التامور) وحطمت أجزاء من رئته. ومع ذلك أمكن انقاذه وحالته لا ريب أشد عسرا بكثير من حالة عمر رضي الله عنه.

(٤) اتفق الفقهاء جميعا على أن حركة المذبوح ليست دليلا على الحياة وأن الحركات الاضطرارية (الافعال الانعكاسية من الجسم) التى لا اختيار فيها ليست أثراً من أثر الروح. ورغم وجود هذه الحركة فإن من فقد كل إحساس وإدراك مع فقدان



النطق والارادة عند هؤلاء الفقهاء دليل على فقدان الحياة يقول الدكتور محمد نعيم ياسين في بحثه «نهاية الحياة الانسانية في ضوء اجتهادات الفقهاء تحت عنوان خلاصة تصور علماء الشريعة عن الروح وعلاقتها بالجسد[٣٠]:

إن الانسان في تصورهم جسد وروح ولا يكتسب وصف الانسانية بواحد من العنصرين دون الآخر وأن الجسد مسكن الروح في هذه الدنيا طوال فترة الحياة المقررة للانسان وأن العلم والادراك والحس والاختيار أهم وظائف الروح.. وأن الجسد الانساني لا يصدر عنه أي نشاط اختياري في هذه الدنيا بغير أمر الروح وأن كل ما يصدر عنه هو بتأثيرها الذي أودعه الله فيها. وأن الموت معناه مفارقة الروح للجسد وأنه يحصل عند صيرورة الجسد عاجزاً عن انفعال الروح وأن وجود أي نوع من الحس والادراك والحركة الاختيارية يدل على بقاء الروح في الجسد. وغياب هذه المظاهر غيابا كاملا يدل على مفارقة الروح للجسد.

وأن مجرد وجود حركة اضطرارية لا معنى له سوى وجود بقايا الحياة المجردة عن معية الروح.

وفي موضع آخر من بحثه يقول الدكتور محمد نعيم ياسين: «ويفهم من ذلك أن العلماء المسلمين يرون أن الحركة الاضطرارية التى لا اختيار فيها ليست أثرا من آثار الروح.. ومقتضى ما تقدم من تصورهم لوظائف الروح أن الحركة الاضطرارية الناشئة عن هذا النوع من الحياة ليس فيه دلالة على وجود الروح.

ثم يخلص الباحث الى محاولة الجمع ما بين أقوال الاطباء والفقهاء من اتفاق واختلاف الذي سنذكره فيما بعد عند الانتهاء من تشخيص الموت وعلاماته عند الفريقين. وما يهمنا ها هنا هو التأكيد على أن الفقهاء لم يجعلوا الحركة

الاضطرارية دليـــلا على وجـــود الروح، بل على العكس من ذلك. كما أنهم لم يجعلوا انتظام نظم القلب وضرباته ووجود الدورة الدموية في الجنين دليلا على نفخ الروح فيه، بل اعتبروا ذلك كله بمثابة النبات أو الحيوان وليس فيه أي دليل على نفخ الروح في الجنين. وقد أخبر المعصوم [صلى الله عليه وسلم] عن موعد هذا النفخ وأنه لا يكون الا بعد مرور الجنين بمراحل متعددة ابتداء من النطفة ومرورا بالعلقة والمضغة والعظام واللحم الذي يكسو العظام ووجود أمارات التخليق ووجود الأعضاء المختلفة من كبد وقلب ورئة وكُلى.. ورغم أن الدورة الدموية والقلب يبدآ عملهما مبكراً جدا (في اليوم الثاني والعشرين منذ التلقيح) الا أن الفقهاء لم يعيروا ذلك اهتماما لوجود النص.. واتفق جمهور الفقهاء وعلماء الشريعة والعلوم الدينيـة أن نفخ الروح لا يكون الا بعد وصـول الجنين الى اليوم العشرين بعد المائة.

وهذا دليل قوي في عدم اعتبارهم للدورة الدموية كدليل على وجود الروح إذ يمكن أن تكون هناك دورة دموية كاملة والقلب ينبض دون وجود الروح وهذا بالضبط ما يقول الاطباء حيث إن القلب يمكن أن يستمر في النبض والدورة الدموية بمساعدة العقاقير والاجهزة وبوجود منفسة تقوم بعملية التنفس ولا يعتبر الشخص في تلك الحالة حيا بل هو ميت إذا مات دماغه بشروط معينه لابد من توافرها في تشخيص موت الدماغ.

«البحث صلة»

الهوامش:

(١) احياء علوم الدين باب حقيقة الموت ج٤/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

(٢) ابن القيم: الروح ص ٣٤.

(٣) محمد بن محمد الغزالي: احياء علوم الدين ج٤/ ٤٩٣ ـ ٤٩٥.

(٤) كما ينقله عنه الامام ابن القيم في كتابه الروح.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الشيخ بكر أبو زيد: مجلة مجمع الفقه الاسلامي الدورة الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧ مجلد ٣ ج٢/٥٢٩ ـ ٥٤١.

(٧) إحياء علوم الدين ج٤ /٤٦١.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي) وابن ماجه في سننه واحمد في مسنده.

(٩) الروح لابن القيم ص ١٨٠.

(١٠) الروح ص ١٨٤.

(١١) المصدر السابق (أخرجه الشيخان).

(١٢) الروح ص ٤٦.

(١٣) ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ص ٤٦ (دار المعرفة بيروت).

(١٤) ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن ص ٢٥٥.

(١٥) ابن حجر العسقلاني: فتح البارى شرح صحيح البخاري كتاب القدر ج١١/ ٤٨٢.

(١٦) أخرجه ابو داود ج٣/ ٨٣ والبيهقي ج٦/ ٢٥٧.

(١٧) أخرجه ابن ماجه حديث رقم ٢٧٥١.

(١٨) الموسوعة الفقهية وزارة الاوقاف الكويت الطبعة الثانية ١٩٨٣ ج٣/٦٦.

(١٩) وهو أيضا قول الامام مالك.

(٢٠) يسمى هذا مفهوم المخالفة عند علماء الأصول.

(٢١) المقصود بالحركة هنا الحركات الاضطرارية مثل حركة المذبوح أو غيرها من الحركات الانعكاسية والتي قد تحدث حتى في حالات موت الدماغ وتعرف بالافعال الانعكاسية الشوكية .

(٢٢) المغني ج٧ ص ١٩٧ ـ ٢٠٠.

(٢٣) محمد المختار السلامي: الا نعاش. مجلة مجمع الفقه الاسلامي الدورة الثالثة ١٤٠٨ / ١٩٨٧م مجلد ٣ ج٢، ٦٨٥ ـ ٦٩٤.

(٢٤) محمد سليمان الأشقر: نهاية الحياة، ندوة الحياة الانسانية والمنشور أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي الدورة الثالثة، مجلد ٣ ج ٢/ ٦٦٢.

(٢٥) بدر الدين الزركشي: المنثور في القواعد ج٢/ ١٠٥.

(٢٦) الرملي: نهاية المحتاج ج ٧/ ١٥ ، ١٦ نقلا عن د. محمد نعيم ياسين: نهاية الحياة الانسانية في ضوء اجتهادات علماء المسلمين، ندوة الحياة الانسانية الكويت والمنشورة أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي ، مجلد ٣ ج ٢ ص ٦٣٥ ـ ٦٦٠.

(٢٧) المصدر السابق.

(٢٨) مفتى تونس الشيخ محمد المختار السلامي: مجلة مجمع الفقه الاسلامي الدورة الثالثة ١٩٨٧ مجلد ٣، ج٢: ٦٨٥ ـ ٦٩٤.

(٢٩) الزركشي: المنثور في القواعد ج٢/١٠٥، نشر وزارة الاوقاف، الكويت الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

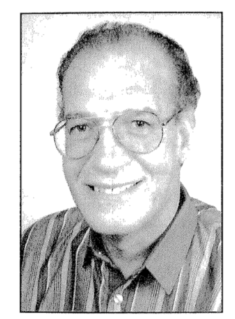
(٣٠) د. محمد نعيم ياسين: نهاية الحياة الانسانية في ضوء اجتهادات الفقهاء، ندوة الحياة الانسانية بدايتها ونهايتها. منشورة أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي العدد الثالث ج٢/ ٦٣٥ ـ ٦٦٠.

عبد الرحمن شلش: اسم تردد في الكثير من المجلات الأدبية والثقافية، والدوريات المتخصصة على مستوى مصر والأقطار العربية الأخرى وعُرف بكثرة كتاباته في القصة القصيرة ونقدها ومتابعته للحركة المسرحية وتعدد قراءاته النقدية للإصدارات الأدبية والثقافية، وهو أديب معروف، تعلم ودرس في أكاديمية الفنون وتخرج في المعهد العالي للفنون المسرحية بقسم النقد وأدب المسرح، أصدر أربع مجموعات قصصية: «زائر المساء ـ عندما يزهر الحب ـ العشق رائحة الجنوب ـ المرافيء البعيدة» بالإضافة الى كتابين «مدخل إلى فن كتابة المسرحية» و«على شلش: الغائب الحاضر» عن شقيقه المرحوم.

ويسعدنا في هذه الصفحات أن نقف على بعض رؤى الأستاذ عبد الرحمن شلش في مجالات القصة والرواية والابداع الادبي.

حوار مع .. عبد الرحمن شلش:

الرواية والقصة تطلعات وآفاق

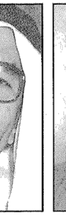


المنهل:

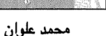
للإبداع معاييره في كتابة الرواية والقصة ومن خلال تجربتكم الشخصية يمكن أن نقف على بعض أبعاد هذه المعايير.؟

** لعل أبرز معايير الإبداع في كتابة القصة القصيرة والرواية وأي نوع أدبي آخر، هي الصدق في التعبير، وأقصد بذلك الصدق الفني والصدق الإنساني والصدق التاريخي، فحين يتسم العمل الأدبي والفني بالصدق بأبعاده المذكورة، يأتي هذا العمل إبداعاً متميزاً بعيداً عن الإفتعال، معبراً عن









عبد العزيز مشري — محمد علوان — ابراهيم الناصر الحميدان — جار الله الحميد

حوار: **عقيل بن ناجي المسكين**
- الرياض -

هموم الإنسان وقضاياه، ومؤكداً أهمية الإبداع بوصفه إنجازاً فذاً يتحلى بالصدق والجدة والأصالة والمرونة والمعاصرة.

المنهل:

هل من الصحة بمكان أن يقال بأن الرواية ديوان العرب في العصر الحديث أم أن هناك تحفظات على هذا القول حتى لا يفقد الشعر العربي مكانته التي توارثها منذ العصر الجاهلي وحتى عصرنا الراهن؟.

** ترددت في الآونة الأخيرة - مقولة «الرواية ديوان العرب في العصر الحديث» في آراء بعض كتابنا ونقادنا، إلا انني غير موافق على ما ذهب إليه أصحاب هذه الآراء، لأن الشعر هو ديوان العرب منذ القديم حتى اليوم، فالشعر هو الشعر.. والفنون الأدبية أياً كانت تحيا في ظل مناخ أدبي لا يعترف بالمنافسة وإحلال بعضها محل بعضها الآخر، ويبقى للشعر لدينا مكانته في الوجدان العربي وفي الأدب العربي مثلما كانت مكانته منذ العصر الجاهلي، ولا تستطيع الرواية أو غيرها من الفنون الأدبية أن تأخذ مكانة الشعر فله مكان الصدارة عربياً ووجدانياً.

المنهل:

هناك رأي عند بعض النقاد بأن القصة القصيرة قد استنفدت جميع أغراضها وحان وقت رحيلها عن السوق الأدبي، حتى إن بعضهم أطلق عليها مصطلح «حمار المبدعين» كما هو الحال في بحر الرجز الذي اعتبره الأوائل «حمار الشعر» لسهولة البحر وقابليته الكبيرة للتطويع لصالح الشاعر، ما رأيكم في ذلك؟.

** في ظني أن القصة القصيرة في أدبنا الحديث والمعاصر، تشهد رواجاً وازدهاراً في عصرنا الراهن باعتباره عصرها الذهبي.. وباعتبارها فناً من فنون النثر، فهي فن من الفنون التي لا تزال قادرة على مواكبة إيقاعات العصر المتسارعة، هذا العصر الذي يموج بحركة الحياة المَوّارة، كما يتدفق نهر الواقع فيه موجة في إثر موجة بشكل يشي بالسرعة والتكثيف والإقتصاد.. وهو ما يتناسب مع إيقاع القصة القصيرة التي أراها فناً سيظل مواكباً إيقاعات الواقع والحياة اليوم، وربما الغد.. لكونها فناً لم يستنفد جميع أغراضه في عصر السرعة الذي يحيا فيه الإنسان العربي المعاصر.

المنهل:

لا نحسب بحال أن الكتابة الأدبية مجرد ابداع لا يتغيًا تنمية مجتمع أو اصلاح عرف أو غرس قيم اكثر في الحياة؟

** لعل من مهام الرواية والقصة القصيرة الإسهام في توعية المتلقي، وفي تعليمه، وفي رفع

مستواه الثقافي، لأن الفنون، بصفة عامة، تفتح آفاقاً جديدة ليس في التوعية أو التعليم فحسب بل في اكتشاف الحقيقة والوصول إلى مرافيء كانت مجهولة من قبل، من أجل رفعة شأن الإحساس بالواقع، والكشف عن مناطق جديدة من الحس المرهف بالأشياء والأمور، وطرح التساؤلات في الكون والحياة وفقاً لما ينادي به الدين الإسلامي الحنيف.

المنهل:

من الملاحظ أن الحركة النقدية للرواية والقصة غير قائمة على أسس ومرتكزات ثابتة وموحدة، فهل يرجع السبب الى تعدد المناهج النقدية؟ وما هو انطباعكم الخاص في العملية النقدية؟ وما هي الصورة المثلي في النقد لتناول أي نص روائي أو قصصي؟

** لو نظرنا الى المشهد النقدي لدينا في واقع الحركة النقدية للرواية والقصة القصيرة بصفة خاصة، والأدب والفن بصفة عامة، لوجدنا أن كثيراً من الجهود التي تقدم في الساحة العربية نقدياً لا تقوم على أساس متين قوي، إذ أنها تعتمد على جهود هشة وغير موضوعية، لأنها لا ترتكز على التحليل والتطبيق، والمقارنة والدراسة المتأنية، فضلا عن الإعتماد - أحياناً - على الأحكام العامة الجاهزة من قبل، أو الأفكار المستوردة التي لا تناسب بيئاتنا.. مع ميل إلى الهدم لا البناء.. مما يجعل المسألة تصيب مرة، ولكنها تخيب مرات. ومن ثم تصبح المسألة برمتها اجتهادات شخصية بعيدة عن الموضوعية والعلم، والنقد - في أساسه - إبداع مواز للعمل الإبداعي رصداً وتحليلا ومقارنة.. وليس انطباعاً عاماً وحكماً جائراً.

أما الصورة المثلى فى النقد حين يتناول نصاً أدبياً أيا كان نوعه، فهي أن ينطلق الناقد من داخل هذا النص مضيئا له ومحللا لجوانب القوة فيه وجوانب الضعف أو ماله وما عليه، بحثاً عن جماليات العمل الإبداعي ومقوماته، من أجل أن يقيم جسراً بين المتلقي والإبداع المنتقد، وربما يعود ما يحدث في واقعنا النقدي كله إلى حالة من الفوضى، والإنبهار بالغرب، والإستلاب، والإغراق في الذاتية المتورمة، والميل إلى الظهور والمخالفة والمعارضة في الرأي، ولا أدري لماذا لا نحاول أن نمد جسراً بين نقدنا اليوم ونقدنا القديم، وأن نسعى إلى إيجاد مناخ نقدي صحي يحفل بتعدد المناهج النقدية.. ويصل جديدنا بقديمنا.

المنهل:

يحبذ بعض كتاب القصة القصيرة بأن يخرجوا عن المألوف في كتاباتهم كالاسلوب السردي القديم والقصص القائمة على الحدث والعقدة والحل، والحيل التكنيكية الكلاسيكية، ولجأوا الى الرمز والاسطورة واللاوعي، ما هو السبيل القويم برأيكم في العملية الإبداعية إذا خرج القاص عن الأساليب المعتادة ولجأ الى الأساليب الأخرى؟.

** التجريب في الإبداع الأدبي عملية جائزة وضرورية في الكتابات الإبداعية الجديدة سواء عبر استحداث أشكال أو أساليب أو طرائق بشرط أن تأتي بجديد يثري الرؤية شعراً أو نثراً.. وذلك من أجل تواصل العملية الإبداعية تأصيلا وتجديداً، إنني مع التجريب ما دام هذا التجريب يسهم في إثراء الإبداع، وخروج القاص عن الأساليب والطرائق المألوفة أمر لا بأس به طالما جاء ذلك في نطاق التجريب والتجديد ولا يصح - في النهاية - إلا الصحيح.

المنهل:

ظهرت على الساحة الأدبية بعض القصص والروايات الغارقة في الغموض والرمزية المكثفة، فهل لهذه الأساليب جدوى في تقدم الرواية والقصة؟ أم أن ذلك من الأمور التي تدعو لها حركة الحداثة وما بعد الحداثة مع ما فيها من الغموض واللغة الإشارية وعدم تواصل الجمل المعبرة عن النص وظاهرة التعقيد المعنوي.

** ربما كان الغموض سمة من سمات الإبداع حتى يبعده عن المباشرة والتقريرية. أما الغموض من أجل الغموض، والإغراق في الرمزية التي

تستغلق على الفهم، فهما من الأساليب التي تعد فخاً يسقط فيه بعض شعرائنا وروائيينا وقاصينا في كتابات تندرج في عداد ما يسمى حركة الحداثة وما بعد الحداثة، كما يراها دعاتها في الغرب، إن ما يصلح في الغرب لا يصلح بالضرورة لبيئات أخرى بما فيها البيئة العربية التي عرفت بالمحافظة والتماسك والتعامل مع الوافد الجديد بحذر.

المنهل:

من برأيك يتصدر الساحة الأدبية على مستوى الوطن العربي بشكل عام في الرواية والقصة القصيرة؟

** كثيرون يتصدرون الساحة الأدبية في الوطن العربي في الرواية منهم على سبيل المثال لا الحصر: نجيب محفوظ، يحيى حقي (من مصر)، وحنا مينة (من سوريا)، والطاهر وطار (من الجزائر)، ومحمد زفزاف (من المغرب)، وعبد الرحمن الربيعي (من العراق)، وليلى العثمان (من الكويت)، وعبد العزيز مشري (من السعودية) وابراهيم الكوني (من ليبيا) والطيب صالح (من السودان).. وغيرهم.

وفي القصة القصيرة هناك: محمد المخزنجي وسلوى بكر (من مصر) وزكريا تامر (من سوريا) وجار الله الحميد (من السعودية) ومريم جمعة فرج (من الإمارات) ومحمد عبد الملك (من البحرين) وسواهم من فرسان الرواية والقصة.

المنهل:

من خلال خبرتكم الطويلة في العمل بالمملكة نود أن تلقي الضوء على هذه المرحلة العملية وما أثرها في أدبك وكتاباتك؟

** أقمت في بلدي الثاني المملكة العربية السعودية ما يقرب من أحد عشر عاماً وذلك على فترتين أولاهما من عام ١٣٩٩هـ حتى ١٤٠٥هـ والثانية من عام ١٤١٠هـ حتى الآن .. عملت في هذه السنين مستشاراً ثقافياً ومشرفاً وسكرتيراً لتحرير ملف الثقافة والفنون ومجلة «التوباد» بجمعية الثقافة والفنون بالرياض، كما عملت عضواً بهيئة تحرير «الأدبية» بالنادي الأدبي بالرياض، كانت التجربة مفيدة ومثمرة بالنسبة لي فقد فتحت لي أفقاً على واقع ثقافي وأدبي جديد .. وأضافت ثراء جديداً في تجربتي الأدبية إبداعاً ونقداً بشكل عام.

المنهل:

ما هو رأيكم في التطور النوعي والكمي في الساحة الأدبية بالمملكة وخصوصاً في الرواية والقصة والمسرحية، وما هي الأسماء البارزة في هذه المجالات الأدبية حسب اطلاعكم وملاحظاتكم؟

** أرى أن الساحة الأدبية بالمملكة تشهد في الوقت الحاضر تطوراً نوعياً وكمياً في فنون الرواية والقصة القصيرة والمسرحية على أيدى الأجيال الجديدة من الأدباء المبدعين الذين جاءوا امتداداً لجيل الرواد الأوائل الذين حملوا مشعل الريادة وأضاءوا الطريق أمام المبدعين الجدد، فالرواية والقصة القصيرة هما رافدان من روافد الرواية في الوطن العربي وكذلك القصة القصيرة، ولا يقل مستواهما هنا عن مثيله في بقية أقطار وطننا، وإن كانت المسرحية أقل تطوراً من حيث النوعية والكم نظراً لحداثة عمر تجربتها في الأدب السعودي، ومن البارزين في الرواية هنا مثلا وليس حصراً:

حامد دمنهوري، ابراهيم الناصر، عبد العزيز مشري، أمل شطا.

وفي القصة: عبد الله الساطي، حسين على حسين، محمد علوان، جار الله الحميد، تركي ناصر السديري، شريفة الشملان، خليل الفزيع، أميمة الخميس.

وفي المسرحية: ابراهيم الحمدان، محمد العثيم، علي السعيد.

المنهل:

هناك مقولة «كاتب متخصص» ومقولة أخرى «كاتب موسوعي» أين تضع نفسك من هاتين

المقولتين؟

** لست كاتباً موسوعياً لأن الكاتب الموسوعي يمثل دائرة معارف بشرية، ويلم بكل شيء في العلوم والآداب والفنون٠٠ ولعلي أمثل واحداً من الكتَّاب المتخصصين في النقد بوجه عام، وفي النقد الأدبي والنقد المسرحي بوجه خاص ٠٠ بحكم التخصص الدراسي العلمي٠

المنهل:

يعتبر النقد عملية إبداعية أخرى منفصلة عن النص الذي يتناوله الناقد وكأنه يبدع نصاً جديداً خارج نطاق النص الذي تناوله على طاولة النقد، ما مدى صحة هذه الفكرة؟

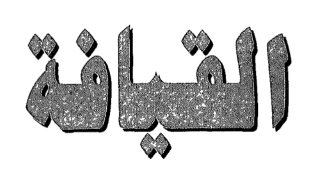
** يعد النقد عملية إبداعية موازية لعملية كتابة النص الأدبي سواء أكان قصيدة أم قصة قصيرة أم رواية أم مسرحية٠٠ هذه العملية النقدية لا تبدأ من فراغ بل من داخل النص الأدبي إضاءة ورصداً وتحليلا وتقويماً ٠٠ أي أن مفاتيح التعامل مع النص الإبداعي - نقدياً - ينبغي أن تستخرج من داخله لا من خارجه فيعنى الناقد باستنطاق النص عبر معطيات هذا النص حتى لا تكون قراءة النص قراءة منفصلة أو محلقة في آفاق بعيدة عن معطياته ودلالاته٠

المنهل:

هل لديكم كلمة أخيرة لقراء المنهل؟

** في الوقت الذي أستعد فيه للعودة إلى أرض الوطن بصفة نهائية، أقدم لقراء مجلة «المنهل» وللشعب السعودي الشقيق أرق التحايا٠٠ مقرونة بعظيم التقدير مع أسمى التمنيات بدوام الخير والرقي٠





محمد المنصور
الشقحاء
- الطائف -

تَلَفَّتَ، رصد في نهاية الشارع عربة نقل النفايات وعمال شركة النظافة، فتح باب عربته، ادار المحرك ٠٠

السابعة من صباح يوم بارد من تشرين، أخذ مساره المعتاد الى المكتب، في داخله هاجس مجهول الهوية خلق بوادر ارتباك وقلق يعني انهما علامات يوم ملتهب، أول من قابله سكرتير الشيخ اقبال احد رجال الاعمال المعروفين٠

- اهلا اسامة٠٠

- اهلا استاذ حامد٠

دخل المكتب، اخذ يقلب بعض الاوراق ٠٠

- استاذ حامد ٠٠ متى يتم تعميد المؤسسة بالعمل؟!

- اذا وصلت موافقة الادارة العامة ٠٠

- الحال متوقف ٠٠

- ليه ٠٠؟

- الشيخ مسافر من شهرين (وما فيه) احد يصرف رواتبنا٠ حديث اعتاد سماعه٠ اسامة

قرر دعوته لتشريف المنزل لزيارة حان وقتها.
انتـــهى الدوام، ذات الطريق. والقلق والتوتر، استقبلته نجوى ضاحكة ثم طرحت أسئلتها المكررة. تذكر أنه نسي الخبز واللبن، استلقى على ظهره أمام شاشة التلفزيون.. مشاركا طفله ذا السنوات الأربع متابعة أفلام الرسوم المتحركه، حدد السابعة مساء للزيارة، اخـذ يتـذكـر العنوان، أوصل نجـوى لمنزل والدتها، اقترب من العنوان مع ارتفاع أذان العشاء. أسامه يقف في عرض الطريق، لوّح له.

أوقف العربة..

سبقه إلى بوابة مشرعة لشقة في الدور الأول.. الهدوء مخيم، ولجا غرفة جلوس مليئة بالدمي والرسوم، توقف عند صورة معلقة فوق التلفزيون..

لاحظ أسامه ذلك فقال:

- المدام ليلة الفرح.

- متى..؟!

جاءت سانجة.. وصوت حركة في مكان آخر، خرج أسامة من الغرفة ثم عاد يحمل طبقاً فيه بعض البسكويت والمكسرات.

ودخلت خلفه تحمل دلّة القهوة بيد والفناجين باليد الاخرى، تأملها والتفت الى الصورة. كانت هي..

- تصبب العرق في داخله. تناول فنجان القهوة بيد مرتعشة.

جلست..

استأذن أسامة، لم يحسب الوقت، شعر أنه تأخر، انتهى من شرب القهوة ليجد أمامه كوباً من عصير الليمون.

تطلع في ساعته، نهض، وقفت في فتحت الباب تحاول منعه من المغادرة، همهم بكلمات، صرخت فيه، انبثق باب الشقه عن خلق كثير.

تذكر طفله.. وزوجته.

حضرت الشرطة.. أنكر أسامة معرفته بضابط المركز، شعر بموقفه، أمر الآخرين بمغادرة الغرفة، دعاه الى الجلوس بالقرب منه.. انصت له:

طلب منه كتابة اقرار خطي باقواله ودُعي أسامة لإقفال ملف القضية.. حيث تنازل عن الادعاء مع حفظ حقوقه من التعدي عليه.

طلب منه الضابط البقاء.

- كيف وقعت..؟!

- إنه معرفة.. ويراجع في أعمال..

- لابد أن وراء ذلك قصد!

- لقد تأخرت، ابني لوحده في الدار وزوجتى عند اهلها..

غادر مركز الشرطه..

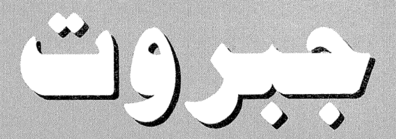
كانت نجوى قلقه على ابنها.. باب الشقة مفتوح، لا أحد هناك، اتجها الى غرفته الصغيره، كانت المربية ترقد على الارض وهو نائم في سريره.

شيء من الهدوء سرى في داخله، اخذ يبدل ملابسه..

سمع نجوى تصرخ.

أسرع، كانت غرفة الجلوس خالية من التلفزيون وجهاز الفديو والمسجل، عاد الى غرفة النوم فتح الادراج لم يعثر على علبة الحلي.

اتصل بالشرطة.



للشاعر السفير/
عبد العزيز بن محيي الدين خوجة
سفير المملكة العربية السعودية
في المغرب.

يارب المشرق والمغرب
يارب الملكوت
جبروت في عينيها ياربي جبروت
أين المنجى منها أين المهرب
من علمها أسرار الكهنوت
وتمائم هاروت وماروت
فطربت ومالي لا أطرب
وتركت قيادي لرموش لا تتعب
بعثت في صدري آهات كانت ستموت
مسلوب بالله خذيني
خليني رهن الأهداب
فالشوق يدمدم في صدري
وجعلت عيونك محرابي
بحر عانقه من غير شراع مركب
وتسهد فيها فسقته الوجد وأسرار اللاهوت
ومضى في رحلة عمر يكتشف الملكوت
يارب المشرق والمغرب
يممت بأشرعتي فأبت سفني إلا المغرب
ـ إلا المغرب ـ

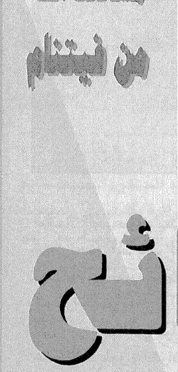


٩٨

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقرىء الملامح ويرسم اللوحة

سنغافورة أعياد لا تنقطع



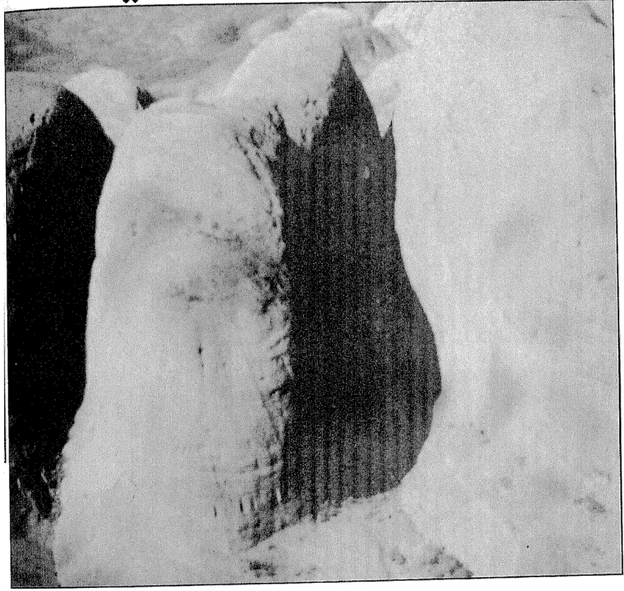




في هذا العدد من

السائح

السرّ المكنون .. في الص



الصخرة الحمراء

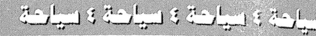
امتداد الصحراء، يعني امتداداً في الخيال، خيال بعمق المدّ غير المرئي لرمال الصحراء، تذهب بالرؤى بعيداً تلفها أمواج رمالها الحمراء، والصفراء البلورية.

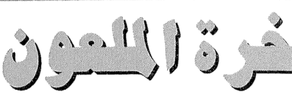
لكن .. ! ماذا ينتج خيال أهل الصحراء؟

ينتج الأساطير والخرافات، وأحاجي الغيلان، وزائرات الصحراء المغروزة في رمالها من شياطين الجنّ.

وسط صحراء المقاطعة الشمالية لاستراليا توجد هناك (صخرة) تمثل مرتفعاً انقطع به السبيل عن رفقائه فأصبح وحيداً في هذا الامتداد المخيف.

هذه الصخرة أحاط بها جمع من سكان



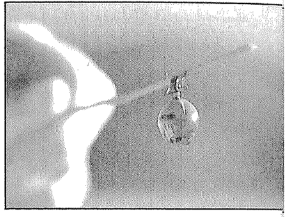






الصخرة الحمراء في وسط استراليا

سماء الصحراء الرائعة



نمل العسل



لحظة شروق الشمس في الصحراء

الصحراء، أحاطوها بقدر هائل، مخيف ومرعب من الأساطير، حتى بلغ حدَّ التقديس لهذه الصخرة من أهل هذه الصحراء.

ظنوا بها الخوارق، وافاضوا عليها من معجزات الخلق.. مَنْ قَطَعَ حجراً منها تصاحبه اللعنة، من صعد قمتها يهلك، من .. من .. هكذا حسب ظنهم وخيالهم.

ومعلوم أن الانسان في بداوته يحتاج الى (انموذج) يتعلق به، ويتقرب إليه حتى وان كان حجراً، فما ظنك بصخرة كاملة.. فقد اعتبرها سكان الصحراء (نبع الحياة).

يبدو أن (أسطورية) هذه الصخرة لم تتوقف عند حدود الصحراء وأهلها، بل انتقلت أسطوريتها إلى أهل الحضر.. هذه الصخرة أصبحت طابع بريد يرمز للقارة الاسترالية بكاملها.. وأصبحت تتصدر الاعلانات والنشرات السياحية، حتى لقد هام بزيارة تلك الصخرة مئات الآلاف من الزوار والسائحين من داخل استراليا ومن خارجها.

ترى .. ما السرّ المكنون في هذه الصخرة الملعون.

السياحة، قراءة ذكية للشعوب ، عاداتهم ، أعرافهم ، تقاليدهم ، فى المسكن والملبس والمأكل. في السلوك والمعاملات .. في الجماعات والافراد. في أديانهم وعقائدهم وطقوسهم .. كل ذلك يعطي صورة حقيقية عن طبائع البشر ومعطيات حياتهم.
هذه حلقات متتالية للأستاذ العبودي، مشاهدات وقراءات وتأملات فى شعب فيتنام.

١حوانيت الاكتاف:

لم أسمع بهذه التسمية من قبل ولكنني أطلقتها على ما رأيته في بلاد الجنس الملايوي في إندونيسيا وقرى تايلند وأمثالها، وذلك في أن يجعل البائع أو البائعة البضاعة في وعائين اثنين معلقين بعصا غليظة ويحملها على كتفيه على هيئة الميزان بأن يجعل إحدى الكفتين تتأرجح في الأمام والأخرى في الخلف بالنسبة إليه، أو أن يحملها على كتفيه الاثنين ويمسكها بيديه فترى الكفتين يتأرجحان يمين جسمه ويساره، وهو يسير هكذا ببضاعته يعرضها على الناس، فمن أراد أن يشترى منه أوقفه ونظر في بضاعته. وغالباً ما تكون من الفواكه والخضار أو من الأطعمة القليلة.

والحوانيت ـ كما نعلم ـ هي الدكاكين.

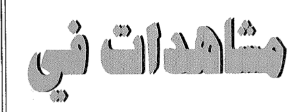
ولم أر ذلك شائعاً إلا في بلدان الجنس الملايوي ومن شابههم، وقد رأيتها كثيراً في هذه المدينة.

والغريب أنه في مثل هذه البلدان يكثر أن تكون الحاملة لهذه الأشياء امرأة عليها قبعة عريضة تقيها أشعة الشمس التي تكون استوائية أو قريبة من الاستوائية، اضافة الى كون القبعة العريضة تثبت بنفسها على الرأس ولا تحتاج إلى تعهد وعناية.

القبعات الفيتنامية:

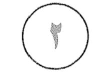
بالنسبة الى القبعات الفيتنامية فإنها ذات شكل متميز عن غيرها من قبعات الأندونيسيين والتايلنديين وإن كانت تجمع بين تلك القبعات صفة الاتساع وكونها تنسج من القش أو الخوص.

فالقبعة الفيتنامية تتميز بتقعيرها بمعنى أنها أشبه بغطاء الطبق الذي تراه مرتفع الوسط إذا وضعته على الأرض أو على طبقه، وليست مستوية التسطيح، كما أن مكان الرأس منها صغير إلى درجة تكاد معها أن تسارع فتجزم إذا رأيت القبعة





بقلم: الشيخ
محمد بن ناصر العبودي
الامين العام المساعد لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة








جني المحصول يتم بالميكنة الحديثة

موضوعة على الأرض بأن رؤوسهم صغيرة مع أن الفيتناميين متميزون بالذكاء وليسوا من صغار الرؤوس الذين لا يتميزون بذكاء غير معتاد.

ومررنا بمعبد بوذي ذي طبقات عديدة، والغريب في الأمر هنا ليس في وجود المعابد البوذية، وإنما الغريب في قلتها، فالقوم بأكثريتهم الساحقة بوذيون قدماء في اعتناق البوذية، والمفروض أن تكون المعابد لديهم كثيرة كثرتها في تايلند التي هي ذات أغلبية بوذية مثلهم، وقد قرأت أن في تايلند خمسمائة ألف معبد بوذي طبقاً لإحصاء تايلندي حكومي.

وربما كانت القلة الظاهرة في المعابد البوذية هنا هي بسبب استيلاء الشيوعيين على الحكم الذين يحاربون الأديان ويتبنون سياسة الإلحاد، (والبوذية ذاتها إلحاد) ولذلك لا تنشأ في ظلهم معابد جديدة، وإنما يبقون في الغالب على المعابد القديمة ذات الأهمية الأثرية.

مسجد جامع المسلمين:

كان أول ما أدهشنا من هذا المسجد رؤية منارته من على البعد.. وهي وان لم تكن شامخة فإنها متميزة، ثم رأينا اسم المسجد مكتوباً بالعربية على لائحته وواجهته (مسجد جامع المسلمين)، وجامع هذه ليست مرادفة لكلمة مسجد كما صار بعض الناس في لبنان مثلا يطلقونها على المسجد أي مسجد، وإنما المراد من ذلك أنه مسجد تصلى فيه الجمعة. وفوق اللافتة صورة الهلال تتوسطه نجمة وهو الشعار الذي صار

شعاراً للمسلمين على طول العالم وعرضه في مقابل الصليب الذي هو شعار المسيحيين.

ويقع المسجد على شارع رئيسي مليء بحركة الدراجات ومعها بعض السيارات لأنه الشارع الواسع الذي يفضي من قلب المدينة إلى المطار ويسمى (انقوين مان ترو).

بني المسجد في عام ١٩٧٣م، بناه الحاج عمر علي - رحمه الله - وكان مفتياً لفيتنام، ذكروا أنه أحضر النقود التي بناه بها من المملكة العربية السعودية، ومن ماليزيا وان (تانقو عبد الرحمن) رئيس وزراء ماليزيا السابق ساعده على ذلك.

والمسجد متوسط السعة ومع ذلك أخبرونا أن عدد الذين يؤدون صلاة الجمعة فيه لا يقل عن مائتين كل أسبوع، وأنه يضيق بهم وعللوا ذلك بأن بيوتاً للمسلمين كثيرة تحيط به، كما ذكروا أن عدد الذين يؤدون الصلوات الخمس المفروضة في الأيام المعتادة يتراوح ما بين ٣٠ إلى ٤٠ مصلياً. ويقع المصلى الرئيسي في الطابق العلوي إذ يتألف المسجد من طابقين أحدهما أرضي فيه المدرسة الإسلامية والثاني علوي فيه المصلى الرئيسي.

كما أخبرونا أن المصاريف المتكررة للمسجد من ماء وكهرباء وأمثال ذلك يحصلون عليها من تبرعات المسلمين وبخاصة بعد صلاة الجمعة حيث يتبرع المسلمون بما يتيسر فيجمعونه وينفقونه على المسجد، ولم ترد إليهم أية إعانات مالية من خارج بلادهم كما ذكروا لنا.

جمعية مسلمي هوشي منه:

توجهنا إلى مقر جمعية مسلمي (هوشي منه) ويقع في زقاق جانبي متفرع من الشارع الرئيسي، خلف المدرسة الإسلامية الواقعة في الطابق الأرضي من (مسجد جامع المسلمين هذا)، وهي كالمسجد تقع في حي فيه بيوت للمسلمين ذكروا أن مجموع سكان المسلمين فيه ٧٧٠ مسلماً واسم الحي (تون يانغ).

وجدنا الجمعية قد أعدت فوق مائدة مستطيلة، أوراقاً وأقلاماً لتقييد ما يحتاج إليه، كما أحضرت شاياً من الشاي الفيتنامي الذي يشبه الشاي الصيني فهو خفيف لونه بين الخضرة والحمرة ساذج لا سكر فيه ولا حليب. ولا يحضرون ذلك لمن يطلبه لأن الشاي الأحمر المعروف لدينا ولدى الأوروبيين غير مستعمل عندهم.

وقد حضر الجلسة عدد من أعضاء الجمعية منهم رئيس المسلمين السابق عبد الحليم سليمان، أما الرئيس الحالي للجمعية، وهو بحكم رئاسته لها يعتبر رئيساً للمسلمين واسمه (إمام إبراهيم) فإنه لم يحضر لكونه موجوداً خارج المدينة، وذكروا أنه سوف يحضر بعد ذلك. كما حضرها نائب الرئيس الأخ الحاج إدريس ساميل وقد لازمنا طيلة وجودنا في (هوشي منه) وكان وجوده معنا دائماً لا سيما أنه يتكلم قدراً لا بأس به من الإنكليزية. كما حضر أمين الجمعية (طيب فهمي).

ذكروا أن جمعيتهم هذه تمثل المسلمين في هذه البلاد رغم كونها خاصة بمسلمي هوشي منه، ورغم وجود أعداد كبيرة من المسلمين في منطقة تشامبا على الحدود ما بين - كمبوديا وفيتنام - لكونها الجمعية المنظمة القائمة في هذه المنطقة.

وأخبرونا أن جمعيتهم تهتم بالأمور الدينية العائدة للمسلمين وإن من عملها اعداد طعام الفطور في أيام رمضان، حيث يجمعون المال والطعام من القادرين ويقدمونه للفقراء والمحتاجين، كما ذكروا أنهم يدفعون رواتب لاثنين وأربعين معلماً من معلمي الدين الإسلامي في الكتاتيب، وأن راتب المعلم منهم هو (٨٠) ألف دونغ ويساوي ذلك حوالي ٦ دولارات أمريكية.

ولذلك يعطون أئمة المساجد مبالغ أقل من ذلك لأن هذه هي قدرتهم التي يستطيعونها {لا يكلف

الله نفساً إلا وسعها}.

وأكدوا على حاجتهم للمساعدة بقولهم: إن ٦ دولارات في الشهر التي نعطيها لمعلمي الدين نعرف أنها لا تكفي ولكن ماذا نصنع؟ ونحن لا نستطيع الحصول على أكثر من ذلك.



علي جانب أحدي الأنهار التي تشق مدينة هوشي منه

ومن اللطيف الذي صنعوه رغم قلة إمكاناتهم أنهم أوضحوا أماكن المساجد الموجودة في هذه المدينة (هوشي منه) وعددها (١٤) مسجدا على خارطة للمدينة مفصلة قد ذكرت فيها أحياؤها بالتفصيل.

وقد استمرت هذه الجلسة المفيدة بعض الوقت معهم حصلنا فيها من المعلومات عن اوضاع الإخوة المسلمين في هذه البلاد على ما لم نكن نعلمه.

اللباس التقليدي:

وفي طريق العودة إلى الفندق رأيت امرأتين عليهما لباس النساء الخاص بهذه البلاد الذي تلبسه العاملات في الدوائر الحكومية التي تحافظ على المظهر الوطني ومن ذلك العاملات في المطار وهو سروال طويل غالباً ما يكون أزرق اللون يصل إلى القدم وليس ضيقاً كسراويل الأوروبيات ولا واسعاً كالذي يكون على الباكستانيات وفوقه قميص طويل من نفس لونه وفي مثل طوله إذ يصل إلى القدمين أيضاً، ولكنه يكون مشقوقاً من الجهتين اليسرى واليمنى، إلى ما فوق الورك، بل قد يصل شقاه إلى الجنبين، وذلك بحجة عدم عرقلة السير، ويبين منه السروال كله أو يكاد.

وقد غرقنا ونحن راجعون إلى الفندق في فيضان الدراجات الذي رأيته، بل يمكنه أن يتغلب في ذلك على الصين المعروفة بكثرة دراجاتها، وقد ذكرت مشاهداتي في الصين في عدة كتب أكبرها كتاب: (داخل أسوار الصين).

وأكد الإخوة المرافقون أن سبب الزحام الشديد من الدراجات وبخاصة منها النارية الكثيرة العدد هو أن هذا الوقت الخامسة إلا ربعاً هو موعد انصراف الموظفين من المكاتب الرسمية بين حكومية وغيرها إذ ينتهي العمل اليومي عندهم في الرابعة والنصف.

ويلاحظ من عادات النساء هنا الشائعة في الصين أيضاً أن تجعل المرأة وبخاصة من

الشابات شعر رأسها جديلة واحدة خلف رأسها مع طول شعرها.

مائدة فيتنامية:

كان الأخ عثمان بن المفتي السابق عمر علي رحمه الله قد دعانا إلى مأدبة عشاء يقيمها في بيته هذه الليلة، ودعا أيضا الشيخ محمد يوسف إمام الجامع الكبير، وذلك لكون وجوده ضرورياً للترجمة إذ بدونه لا يمكن التفاهم معهم بشيء.



المساقط المائية علامة مميزة في فيتنام

كانت المأدبة فيتنامية بطعامها الذي تألف من الأرز الأبيض الساذج الذي لم يخالطه مخالط غير الماء حتى الملح لا يضعونه فيه، ومعه نوعان من المرق الغليظ المسمى بالكاري في كل واحد منهما نوع من لحم الدجاج أعد بطريقة تختلف عن الطريقة التي أعد بها النوع الآخر. كما أحضروا بطاطس مقلياً على طريقة خاصة بهم، وكان الشراب فيتنامياً خالصا يشبه الكوكا كولا ولكنه يعتمد على الدارصيني وهو القرفة بلغة المصريين المعاصرين وهو ينتج من بلادهم بكثرة وكان معه نوع آخر من عصير أخضر اللون ذكروا أنه من فاكهة غير معروفة لنا، ولكنها تكثر عندهم!.

أما الفاكهة فكانت موزاً صغيراً لذيذ الطعم رقيق القشر، غالي الثمن بالنسبة إلى أنواع الموز الأخرى وقد عرفته بذلك قبل ذلك في البلدان التي تنتج الموز، ومعه نوع من الحلوى التي صنعت في البيت، وكانت المأدبة أسرية حضرتها أسرة المذكور وفيهم أمه وهي عجوز جيدة الصحة سليمة الحواس مع أنها في حدود الخمسين وزوجته وابنته مع زوجها وهما شابان ليس لهما إلا طفل واحد، وكانوا يؤانسون بالكلام، ويظهرون الود والاحترام.

ولم أر نساءهم المسنات يحتشمن من الرجال الأجانب فكن يجلسن معنا ويتحدثن بواسطة المترجم، ووجدنا أن أعظم امنياتهن أن يحججن بيت الله الحرام.

وقد استغرقت المأدبة حوالي الساعتين، وكانت مفيدة لنا لأننا سمعنا خلالها ما لم نسمعه من قبل عن أحوال المسلمين في هذه المنطقة من جنوب فيتنام وعن أحوالهم في منطقة (تشامبا) التي هي الموطن الرئيسي للمسلمين وتقع على حدود فيتنام وكمبوديا ومنها أصل الأخوين كليهما وهما: الداعي عثمان، والمترجم محمد يوسف. وعندما

استـأذنا في الإنصراف اعتذروا لنا بأنه لا توجد لديهم الآن إلا دراجة نارية واحدة سوف تنقلنا إلى فندقنا بالتناوب فتحملني أول الأمر حيث أركب خلف سائقها ثم تعود إلى مرافقي الشيخ علي عيسى، وبعد ذلك تعود لتحمل الشيخ محمد يوسف إلى الجامع، وذلك لعدم وجود سيارات الأجرة، ولان دراجات الركشا غير لائقة كما أنها فيما يقولون غير آمنة في الليل.

ومع أننا عدنا في الليل فإننا لم نسلم من فيضان الدراجات حيث ظللنا نخوض فيه من بيت الداعي إلى الفندق، ولم تكن توجد في هذه الساعة سيارات بل كان الزحام كله من الدراجات النارية.

جدد الفندق تحيته التي هي من الفاكهة التي تكثر في هذه البلاد، وكانت من الموز الأصفر الصغير ومن البرتقال الأخضر واليوم جاؤوا بها من التفاح الذي يأتيهم من مناطق جبلية في شمال بلادهم ومن ثمرة واحدة من جوز الهند وهو ثمار النارجيل. وعندنا أن أشجار التفاح والنارجيل لا يجتمعان في مكان واحد ولكن هذه البلاد ممتدة ولذلك اختلف الجو الجبلي في شمالها عن جنوبها الحار.

جمع الطعام:

اعتدنا في البلدان البوذية أن نرى صغار الرهبان وهم الشباب ومن في حكمهم يدورون في الشوارع ويقفون عند البيوت يلتمسون من الناس أن يعطوهم من الطعام الذي هو الأرز ما تيسر، ولا طعام في هذه البلدان البوذية إلا الأرز فلا أعرف شعباً بوذياً يأكل أهله الخبز بصفة رئيسية، ولذلك يمكن القول: إن البوذية والأرز متلازمان وهذا هو الواقع القديم وقت أن كانت كل البلاد يقتصر أهلها على الطعام الموجود أصلا لديهم.

وقد رأيت جمع الرهبان البوذيين للطعام واضحاً كل الوضوح في بورما وبعض المدن الصغيرة في تايلند. واليوم رأيت منه شيئاً مختلفاً في هذه البلاد، ففي الصباح بعد الباكر أي في حدود الساعة الثامنة والنصف رأيت صفا من الرهبان البوذيين الكبار الحليقي الرؤوس الحفاة الأقدام الذين يرتدون ملابس مصبوغة باللون الأصفر وهم في صف واحد كل واحد منهم يسير وراء الآخر بحذائه لا يميل عنه يسرة ولا يمنة، ومع كل واحد منهم وعاء من الخشب قد رفعه فوق يديه وقد مدهما كأنما تتهيآن لأخذ ما يلقى في هذه الإناء من طعام.

وهم يمشون الهوينا بخلاف الشبان من الرهبان الذين يسيرون بصفة معتادة، ولكنني لم أر أحداً وضع في الأواني التي معهم شيئاً مع أنني تابعتهم وصورتهم وهم يقطعون شارعين اثنين، وذلك بخلاف ما رأيته في بورما حيث يرى المرء في الأواني التي يحملها الرهبان أرزاً يكون مطبوخاً.

وملابس هؤلاء الرهبان مثل ملابس أولئك مؤلفة من قطعتين أشبه ما تكونان بلباس الإحرام المؤلف من إزار ورداء، وهم يلبسونها في العادة كما يلبس المحرم ثياب الإحرام.

جولة على المساجد:

ذهبنا إلى مكتب للسياحة واقع على ميدان ركس الجيد الذي يقع عليه فندقنا فاستأجرنا منه سيارة صغيرة مكيفة الهواء جديدة من الساعة التاسعة صباحاً حتى السادسة مساء بـ ١٦٠ ألف دونغ ويساوي ذلك (١٣) دولاراً أميركياً أو خمسين ريالا سعودياً على وجه التقريب، وهذا رخص بالغ، والغرابة جاءت في كثرة الإجراءات وتعقيدها حيث إن المكتب حرر عقداً بيننا وبينه أشبه بالإتفاقية الرسمية مكتوباً بالإنكليزية فأعده موظف ووقعته عن الشركة موظفة، ثم قبض النقود رجل آخر

وأعطتنا إيصالا بها ـ«طلقة أخرى».

مررنا بالشيخ محمد يوسف الذي غدا لساننا الناطق في هذه البلاد فبدونه لا نستطيع أن نفهم من أحد ولا أن نُفْهِمَ أحداً ما نريد أن نقوله وذلك لعدم وجود من يتكلم العربية غيره، ولقلة من يتحدث الانكليزية من الإخوة المسلمين.

وانطلقنا إلى (مسجد السعادة) مع الشوارع بالسيارة ووسط فيضان الدراجات المعهود، وفوق هذه الدراجات النارية المعتادة الحجم أجسام ضئيلة لذلك غالباً ما تكون أكثر من واحد.

ولاحظت أنهم يمتون بصلة ولو صلة الموقع الجغرافي بالجنس الملايوي، من عادة الابتسام السريعة عند الفريقين فما أن يرى الواحد أو الواحدة منهم أنك تنظر إليه وهو راكب على دراجته وأنت راكب في سيارتك حتى تنفرج شفتاه عن ابتسامة عفوية معروفة عند الجنس الملايوي.

وفي هذه الساعات المليئة بالحركة لأنها ساعات الذهاب إلى العمل رأينا الحافلات كثيرة، والزحام فيها شديد، ولكنه دون شدة الزحام في كثير من المدن الكبيرة المزدحمة كالقاهرة مثلا، وعجبت لماذا لا تكون الدراجات كثيرة في شوارع القاهرة كثرتها في هذه المدينة، وذكرت أن السبب في ذلك هو سهولة تملك السيارات في مصر لمن يملكون ثمنها بخلاف هذه البلاد، وتعجبت من كثرة السكان الذين ضاقت بهم شوارع هذه المدينة وكأنهم لم يحاربوا من قبل ولم تقتل الحرب منهم أعداداً كبيرة، وتذكرت أن سكان مدينة (هوشي منه) وحدها هم أربعة ملايين ونصف المليون وأن عادة هذا الجنس الأصفر هي الإكثار من النسل.

ومررنا بحي يسمى (ني يو) متوسط أي ليس بالرديء ولا بالجيد كالذي فيه فندقنا الذي لم تنفعه جودته القديمة عند رداءته الجديدة بسبب الإهمال الناتج عن قلة المال والأعمال عند سائر الناس.

ومنازل حي (ني يو) هذا مبنية من الإسمنت لأن هذه المدينة كانت عاصمة لفيتنام الجنوبية وكانت مزدهرة من الناحية التجارية والاقتصادية.

وفي هذا الحي ميدان غير واسع اسمه على اسمه، وقد لاحظنا كثرة الميادين في هذه المدينة إلا أنها غير بالغة السعة، وذلك لكونها أنشئت قبل التطور الأخير الذي استمر في البلدان الرأسمالية الحرة، ووقف بل تجمد في البلدان الشيوعية.

كما مررنا بأماكن مستديرة وهي الواسعة كالميادين الصغيرة ولكنها تكون مفروشة بالأعشاب ومزينة بالزهور يجعلونها في مفارق الطرق المتشعبة يستغنون بها عن إشارات المرور لأنه ليست في بلدتهم جسور للسيارات.

ولمناسبة الحديث عن المرور أقول: إن أكثر المفارق غير المستديرة يكون فيها شرطة للمرور يديرونه بالإشارة بأيديهم، وذلك لعدم الجسور كما قدمت.

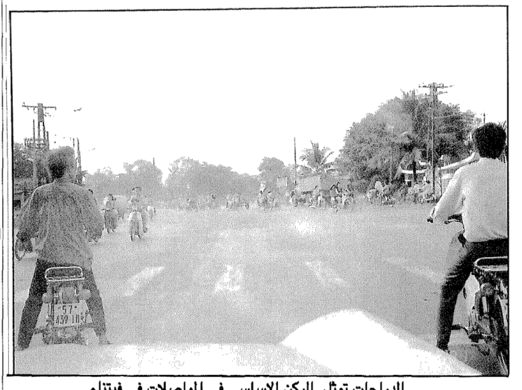
سوق شعبي:

مررنا بسوق شعبي مزدحم فأوقفنا السيارة ونزلت أصور ما فيه من أناس وبضائع ولكن المصورة خانتني فلم ينجح الشريط الذي صورت فيه.

والسوق الشعبي هذا أكثر ما فيه الأطعمة من خضروات ولحوم وبقول، وكل ذلك غض طري، وذلك لقلة الثلاجات الضخمة التي تحفظ فيها الأغذية أو لانعدامها عند التجار، فرأينا الموز أنواعاً منوعة، وهذا ليس بعجيب لأن البلاد حارة رطبة، وهذه هي أمنية أشجار الموز.

كما رأينا لحما عندهم من لحم الماعز الذي ذبح لتوه يبيعون الكيلو الواحد منه بـ ١٨ ألف دونغ أي بدولار وثلث أو نحو خمسة ريالات سعودية.

ولحم البقر يباع الكيلو منه بـ ١٦ ألف، والدجاجة الواحدة بـ ١٤ ألفاً أي حوالي الدولار، ولحم الأرنب عندهم بكثرة يباع الكيلو منه بـ ٣ آلاف دونغ أي أقل قليلا من ربع الدولار وهناك خضروات غريبة وأشياء معروفة الاسم مجهولة



الدراجات تمثل الركن الاساسي في المواصلات في فيتنام

الرسم عندنا مثل ثمار التمر الهندي الطازجة وثمار الكاكاو الطازجة أيضاً، وهي في نهاية الرخص ومثل عروق الزنجبيل الطرية، وقل مثل ذلك عن الليمون (البنزهير) والبصل الصغير وكل البصل الذي رأيته هنا صغير وليس في جودة بصلنا، وثمن الكيلو منه ٨ آلاف دونغ أي أقل قليلا من ثلثي دولار، وكذلك الثوم كالموجود عندما وهو بعشرة آلاف دونغ أي حوالي ثلاثة ريالات سعودية للكيلو الواحد.

وهم كسائر أهل جنوب شرق آسيا يعتبرون من أكلة الثوم المكثرين حتى يتضايق الزائر لبلادهم من ذلك، وأذكر أنني كنت في كوريا أتضايق من رائحة المصعد عندما أدخله فأجد رائحة الثوم قد صبغته مع أنه ليس فيه أحد، ولكن كان الذين استعملوه قبلي يأكلون الثوم بكثرة.

وفي السوق لحم خنزير كثير لم يرض أخونا ومترجمنا الشيخ محمد يوسف أن نقف عنده أو أن نسأل عن ثمنه استقذارا له، مع أننا نعرف أن القوم من أكلة لحم الخنزير، وذلك لسهولة تربية الخنازير في مثل هذه البلاد الخضراء الكثيرة القمائم المتولدة من أوراق الأشجار المتساقطة على المستنقعات والأراضي الندية التي تألف الخنازير أكلها كما تألف أكل القمائم.

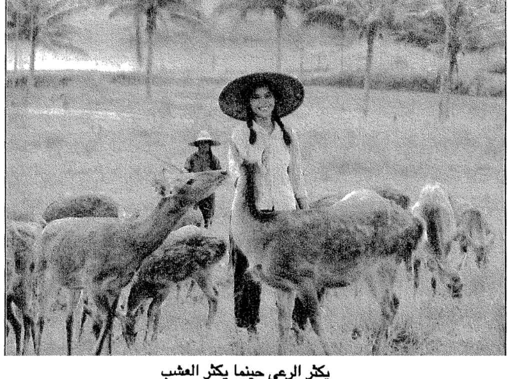
ويقع هذا السوق في حي اسمه (آن دونغ) أي الشرق الآمن فآن آمن، ودونغ تعني الشرق. وبيوت هذا الحي كسابقه من الإسمنت من طابقين وطابق واحد مسنمة السقوف اتقاء للمطر الكثير في هذه البلاد المطيرة.

وبعض البيوت المجددة هي من لبن الإسمنت لأنها بنيت أو جددت في هذا العهد الشيوعي الذي لم تبق فيه ثروة بيد أحد من الشعب.

وفي آخر هذا الحي كنيسة تبدو مبنية على طراز بعض الكنائس الموجودة في فرنسا، وذلك لكونها بنيت إبان الاستعمار الفرنسي لهذه البلاد.

وعلى ذكر الكنيسة نقول: إن نسبة النصارى

في هذه البلاد لا تتجاوز ٤٪ رغم جهود المنصرين في زمن الاستعمار الفرنسي ثم في زمن التحالف مع أمريكا، ومع ذلك فإنهم موجودون، وكنائسهم موجودة ويعرف بعض المثقفين الكبار السابقين الذين تسلموا وظائف عالية بأنهم كانوا من المسيحيين، لأنهم هم الذين أتيحت لهم فرص التعلم والمهارة في عهد الاستعمار.



يكثر الرعي حينما يكثر العشب

طريقة طريفة:

من ألطف ما رأيته في زحام الدراجات النارية وغيرها من الدراجات الركشاوية والهوائية أن رجلا راكباً على دراجة نارية ليس لها صحن توضع فيه الأشياء الثقيلة، وحتى لو كان فيها مثل ذلك الصحن فإنه لن يتسع لما معه، وذلك أن الذي معه هو إطارات السيارات غير المنفوخة، فما كان منه إلا أن أدخلها واحداً فوق الآخر من رأسه إلى أسفل بطنه فصارت حول جسمه حلقات متتابعة، وقد استطاع بهذه الطريقة أن يحملها على دراجته وإن شئت التظرف قلت: إنه حملها على جسمه وهي مع جسمه محمولة على دراجته، وهذا من لطيف الحيلة.

هذا وقد ظللنا فترة نسير في داخل هذه المدينة الكبيرة التي وان لم تكن من عمالقة المدن فإنها من أكثرها دراجات بدون شك، إن لم تكن أكثرها بالفعل وأقول هذا أنا الذي رأيت العالم كله تقريباً في أي اتجاه اتجه المرء إليه من الكرة الأرضية.

ولاحظت أن اللافتات مكتوبة بلغتهم الفيتنامية ذات الحروف الغربية التي قد تشبه على البعد بعض الحروف الصينية ولكنها غيرها. بل لا صلة لها بالصينية، وفي بعض الحالات يكتبون اللافتة بالإنكليزية وتحتها اللغة الوطنية. وهذا قليل.

أما اللغة الفرنسية لغة المستعمرين السابقين فإنه لم يبق منها من اللافتات شيء.

وعندما أمعنا في ضواحي المدينة قلت للشيخ محمد يوسف مرافقنا والمترجم لنا: إنني أعتقد أننا ذاهبون الآن جهة قرية (نام يو) التي هي قرية مسلمة للمسلمين الفيتناميين الأصلاء الذين هم من الجنس الفيتنامي الغالب على هذه البلاد فقال: هذا صحيح، هذه هي جهتها، فقلت له: ألا نستطيع أن نذهب الآن إليها لأنها لا تبعد عن مدينة (هوشي منه) إلا بـ ٢٧ كيلو متراً وهذه السيارة معنا؟.

فقال: وهذا أيضاً صحيح، ولكننا لا نستطيع أن نذهب إليها، لأنها خارج المدينة، ولا يستطيع أحد من الأجانب أن يذهب خارج المدينة إلا بإذن ونخاف نحن من الحكومة إذا ذهبنا بدون إذن، وكنت أردت أن نزور أولئك الأخوة المسلمين الفيتناميين ونشجعهم ونقوي الصلة بهم عسى أن يكون في ذلك ما يكون سبباً في دخول أناس جدد من بني قومهم في الإسلام خاصة إذا ساعدناهم علي توسعة مسجدهم، أو على إرسال مدرس أو مدرسين لهم لتدريس صغارهم وإرشاد كبارهم وترجمة الموضوعات الإسلامية المهمة إلى لغتهم التي هي لغة الأكثرية من أهل البلاد.

حي كاي فو:

مررنا بحي شعبي آخر ذي منازل متصلة وأحياناً تكون متلاصقة اسمه (كاي فو)، وهو حي شعبي أكثر ما فيه ظهوراً بسطات أي بضائع قليلة تعرضها النساء للبيع كما هي العادة في الأحياء الشعبية في بلاد الصفر في جنوب شرق آسيا كله، وفي البلدان الإفريقية. والحوانيت متصلة في الشوارع وأكثرها كما أخبروا مملوكة لسائر الناس والمراد بذلك أن البضائع التي فيها هي ملك لأشخاص وليس للحكومة. وإن كان بعض أهل الحوانيت هذه إنما هم بمثابة وكلاء البيع للحكومة التي تحتكر الاستيراد والتصدير كما تحتكر المشروعات الكبيرة من الصناعة والزراعة.

ولاحظنا أن الزفت في الشوارع ليس في حالة جيدة كما هي في قلب المدينة التجاري مثل الحي الذي فيه فندقنا، فذلك شوارعه جيده الزفلته.

وكذلك الأرصفة التي تكون في أكثر الأحيان موجودة ولكنها على حالة رديئة من بعد عهدها بالصيانة والعناية.

حي نام كاو:

تركنا الشارع العام الذي كنا نسير فيه في حي (نام كاو) الذي وصلنا إليه بعد (كاي فو)، ودخلنا في شارع فرعي يسمى (ين تن) وذلك من أجل الوصول إلى مسجد السعادة الذي يسكن حوله ما لا يقل عن ستمائة من الأخوة المسلمين.

ويكثر الصينيون في حي (نام كاو) يظهر ذلك واضحاً من وجود الطلاسم وهي تماثيل منحوتة، وجمل مكتوبة بالصينية يضعونها على بيوتهم من أجل حمايتها من الأضرار، وهم بطبيعة الحال من الصينيين الكفار.

ولكن بيوتهم صغيرة حقيرة فتجد البيت وأغلبها من لبن الإسمنت من طابقين لا يزيد عرضه على الشارع عن أربعة أمتار أو ثلاثة، وفوقه طابق مثله، ويستعملون الشرفات في البيوت كثيراً وأغلبها مكشوفة ليس لها حيطان إلا قضبان من الحديد تمنع السقوط وذلك من أجل ألا تحجب الهواء الذي يكون رطباً في الصيف وحتى في هذا الفصل الذي يعتبر بارداً لا يكاد المرء يستغني عن المروحة أو المكيف، غير أن المكيفات والمراوح عندهم تكاد تكون معدومة بسبب الضيق الاقتصادي الذي فرضه عليهم الشيوعيون، وأما لباسهم فإنه لا يبعد عن ذلك فأكثرهم - والمقصود بهم الصينيون من سكان هذا الحي ليس على القسم الأعلى من أجسامهم شيء من اللباس بسبب الحر وعدم المبالاة وأطفالهم الصغار شبه عراة.

مسجد السعادة:

وجدنا في الاستقبال عند وصول المسجد طائفة من الإخوة المسلمين من أهل الحي الذي ذكروا أن فيه ستمائة من المسلمين على رأسهم رئيس جمعية المسجد الأخ (الحاج عثمان) ولم يستطيعوا أن يزيدوا في اسمه على (الحاج عثمان) مع أن وصفه بالحاج قد اكتسبه بعد أن

كبر وأدى فريضة الحج، وقالوا: هذا هو اسمه الكامل عندما سألتهم عن اسمه الكامل.

وفيهم أيضاً الأخ (محمد يوسف) خازن جمعية المسجد.

حدثنا عن بناء المسجد بأن ذلك كان في عام ١٩١٨م وأنه بني في ذلك التاريخ لأول مرة يعني أنه لم يكن في مكانه مسجد قديم صغير جددوا بناءه.

وذكروا أنه بني من التبرعات ـ وهذا ظاهر ـ ولكن أي تبرعات، قالوا: إن بناءه وكذلك الإنفاق المتكرر عليه وعلى مدرسة إسلامية إنما هو من (خيرات) المسلمين.

وكلمة (خيرات) يراد بها هنا تبرعات أو صدقات، فسألتهم من أين لهم الصدقات وهم فقراء؟ فأجابوا: بأنها ليست منهم وإنما هي من إخوانهم المسلمين المهاجرين في فرنسا يرسلون إليهم الخيرات قبيل شهر رمضان من أجل توفير طعام الإفطار لفقراء المسلمين، كما يرسلون إليهم التبرعات للإنفاق على المسجد.

ولا شك أن ذلك قليل كما أخبرونا وأنه لا يفي بالحاجة ولكن هو الذي باستطاعتهم الحصول عليه.

كما ذكروا أنهم يستعينون أيضاً بتبرعات محلية صغيرة من المسلمين الموجودين في الحي على قلة ذات اليد عندهم.

وأخبرونا أن عدد المصلين في المسجد يوم الجمعة يتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٠ وفي الأوقات المفروضة المعتادة ١٥ إلى ٢٠.

وهذا قليل بالنسبة إلى عدد المسلمين هنا، ولكن بعضهم بعيد عن المسجد، وبعضهم أثرت فيهم التربية الشيوعية القائمة على الإلحاد.

ولذلك عندما سألتهم عما إذا كان المسلمون يزيدون، ذكروا أنهم لا يزيدون وأنهم لا يعرفون أن أحداً من جيرانهم الصينيين الكفار دخلوا في الإسلام.

ولا شك أن السبب في ذلك هو ضعفهم في الدعوة، وتدني أحوالهم الاقتصادية الذي يجعل الناس من غير المسلمين ينظرون إليهم وكأن دينهم دين الفقر والتخلف، وإلا فإن الفقر وحده ليس مانعاً من الدعوة إلى الإسلام ولا صاداً عن الدخول فيه، لأن كثيراً من المسلمين الفقراء ذوي البصيرة في الدين قد ادخلوا أعداداً من الناس في الإسلام حتى من الأغنياء.

وذلك بتمثلهم الإسلام حقيقة. ثم بتمثيلهم له أمام الناس قولا وعملا واعتقاداً ونشاطاً في الدعوة إلى الله.

أحضر هؤلاء الإخوة الكرام دفتر الزيارات الخاص بالمسجد والمدرسة فلم أر فيه ولا كتابة واحدة بالعربية، وليس فيه ذكر لأي شخص عربي زارهم قبلنا، مما جعلنا نعتقد أنهم منسيون أو كالمنسيين من إخوانهم المسلمين في الحواضر الإسلامية.

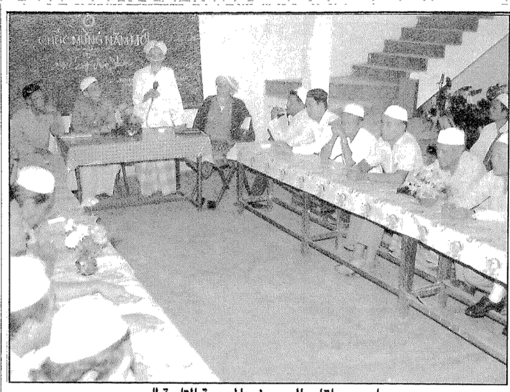
ولذلك سألتهم عما إذا كانوا قد تسلموا تبرعات من اخوانهم المسلمين من خارج البلاد غير قومهم الفيتناميين؟ فأجابوا أنهم لم يتسلموا أي شيء إلا أنهم يذكرون أن رابطة العالم الإسلامي كانت قد أرسلت قبل ٩ سنين عشرة آلاف دولار أمريكي تم توزيعها على المساجد والمؤسسات الإسلامية في فيتنام.

المدرسة الاسلامية:

وبجانب المسجد مدرسة إسلامية في مقر متصل بالمسجد بل هو جزء منه رأينا فصلا فيه مقاعد خشبية جيدة وسبورة عليها كتابة بالعربية مع أننا جئنا إليهم دون موعد مسبق، وإن كانت الكتابة تدل على عدم معرفتهم بالشهور العربية وهي السبت ٤ ربيع الآخر ١٤١١هـ، بسم الله

الرحمن الرحيم: وتحت ذلك بالعربية أيضاً، الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، قبلنا ودون معرفة ربنا.

يراد أنهم قبلوا بالإسلام ديناً دون أن يروا الله سبحانه وتعالى، وهذا مثل قول العامة في بلادنا: (الله ما شيف بالعين لكن عرف بالعقل) وشيف: رؤي.



احدي حلقات الدرس في المدرسة التابعة للمسجد

أخبرونا أن تلاميذ المدرسة عددهم (٥٠) وهم مختلطون ما بين الذكور والإناث، وعدد المدرسين ثلاثة، ومع ذلك يعانون صعوبة في توفير الرواتب للمدرسين ويستعينون على ذلك ببعض ما يدفعه القادرون من أولياء أمور الطلبة.

ورأيت سبورة أخرى قد كتب عليها بالحروف العربية (لا كاو فاتحه) ذكروا أنها من لغة تشامبا وأن معناها قراءة الفاتحة على أرواح الموتى من المسلمين.

وقد تجولت في الحي بعد ذلك وألح عليَّ طائفة من الأطفال عندما رأوا المصورة بيدي في التقاط صورة لهم وانضم إليهم بعض النسوة، وصفقوا عندما لمع نور المصورة ورقصوا فرحاً كما يفعل بعض الإفريقيين.

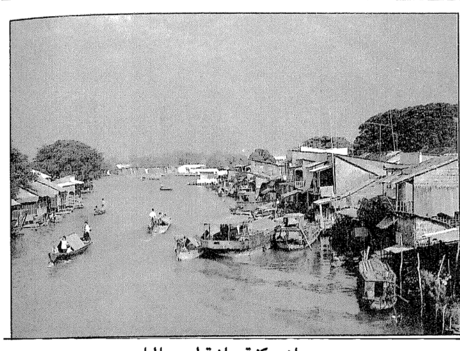
ولاحظت أن في هذا الحي كما في أكثر الأحياء الشعبية شبهاً كبيراً بأحياء التايلنديين، فالنساء يطبخن الطعام في الشارع يبعنه على المارة، ومن ذلك: قالية الموز وهي التي تبيع الموز المقلي بالزيت حاراً، بل إنها تقليه أمامك وهو رخيص ولذيذ اشترى أحد الإخوة المرافقين لنا شيئاً منه. وهو منظر مألوف في أكثر بلدان تايلند، بل هو مألوف في أكثر البلدان الاستوائية في آسيا وإفريقية.

وهنا لابد للسائح أن ينظر في وجوه الناس ليقارن في نفسه بينها وبين من رآهم قبل ذلك، فكانت المقارنة أن البائعات لسن على شيء من الجمال وأن عيون الناس هنا صغيرة تكاد تختفي من وجوههم عند الضحك بل حتى عند الابتسام.

ويبعد هذا الحي ٨ كيلات عن فندقنا، وكل ذلك عبر شوارع مكتظة بالناس والدراجات، لذلك استغرق وصولنا إليه من الفندق ٥٠ دقيقة.

كررت السؤال عن قرية (تام بو) قرية الفيتناميين المسلمين الأصلاء التي ذكروا أن فيها مسجداً لهم، وأنها تقع إلى هذه الجهة التي فيها

مسجد السعادة هذا، ولكنها خارج مدينة (هوشي منه) فذكروا صعوبة الوصول إليها لأنه لابد من إذن من حكومة فيتنام التي تحظر على الأجانب أن يغادروا العاصمة الى البلدان التي تقع خارجها إلا بإذن خاص، ذكروا عائقاً آخر وهو أن طريق السيارات التي يذهب جهتها لا يصل إليها وإنما ينقطع قبل الوصول إليها بثلاثة كيلوات لابد للمسافر أن يقطعها على قدميه لأن السيارات لا تستطيع السير عليها.



مبان سكنية موازية لمجري المياه

وقال آخرون: إن هناك طريقاً آخر بعيداً يحتاج فيه إلى ركوب قوارب في النهر.

الى حي نونيغ تاي:

ويبعد عن مسجد السعادة هذا بثلاثة كيلومترات ويعتبر في وسط مدينة (هوشي منه)، والقصد من ذلك زيارة مسجد كبير هناك، ذهبنا إليه مع شارع واسع ذي اتجاهين تفصل بينهما جزيرة فيها حشائش وحشية أي غير مزروعة ومع ذلك هي مهملة.

واشتد الزحام كالعادة من الدراجات بأنواعها في هذه الشوارع ولكن الملاحظ أن عدم السرعة هو الغالب عليهم سواء من كان منهم على سيارة مثلنا وهو قليل أو من كان على دراجة نارية.

وصلنا للجامع الذي يقع على شارع مهم اسمه (ون داي) فوجدنا اسمه عليه بالعربية (جامع المسجد) ويراد بذلك (مسجد الجامع) أو (المسجد الجامع) وتحته بالعربية ١٣٥٥هـ، ١٩٣٢م وفوق ذلك البسملة أي (بسم الله الرحمن الرحيم)، ولكنها غير مكتوبة بالحروف وإنما بالأرقام التي ترمز إليها وهي (٧٨٦)، وهذه عادة رأيتها مستعملة كثيرا في بورما، حيث يكتب المسلمون على الأبنية الضخمة التي يملكونها هذه الأرقام (٧٨٦) التي تعني (بسم الله الرحمن الرحيم) بحساب الجمل.

والمسجد فخم المظهر له أربع مآذن عالية وقبة، وقد بناه الهنود كما كانوا قد بنوا المسجد الأول الذي رأيناه، فهذا هو ثاني مسجد لهم في هذه المدينة (هوشي منه) التي كانت تسمى (سايقون) في السابق، وليس لهم مسجد ثالث.

ومصلاه الرئيسي مستطيل كما هو طابع المساجد في هذه البلاد بأن يبنوها مستطيلة نوعاً ما وليست عريضة أو مربعة كما يفعل بعض الناس في مساجدهم وبجانبه بركة للوضوء مليئة بالماء على عادة أهل الهند وبخاصة في الجنوب هناك حيث أكثر المسلمين يتمذهبون بمذهب الإمام الشافعي، وفيه رواق خارجه يصلى فيه أيضاً إذا

امتلأ المسجد بالمصلين مع أنهم أخبرونا أن عدد المصلين قليل بالنسبة الى ضخامة المسجد، وبالنسبة إلى عدد المسلمين الذين كانوا موجودين في هذه البلاد قبل استيلاء الشيوعيين على الحكم، إذ رحلوا مثلما رحل غيرهم من التجار وأرباب الأموال.



الركشا اداة النقل المنتشرة في فيتنام

عقدنا جلسة مفيدة في داخل المسجد مع رئيس جمعية المسجد الأخ محمد صالح بن يوسف وهو موظف حكومي يعمل في الكهرباء وإمام المسجد (حاجي محمد إدريس بن يوسف)، وعدد غيرهم من المسلمين.

ذكروا أن المسجد يحتاج إلى إصلاح فسقف الرواق يكف أي ينزل منه المطر، كما يحتاجون إلى إصلاح آخر مجموعه (٢٠) مليون دونغ ويساوي ذلك ألفاً ومائة دولار أمريكية، وأنهم عاجزون عن توفير هذا المبلغ، مع أن المسجد كانت له أوقاف كثيرة منها خمسون بيتاً، ولكن الحكومة الشيوعية صادرتها وأسكنت فيها أناساً من الذين تقول إنهم لا بيوت لهم مع أن توفير حاجتهم من البيوت من مسئولية هذه الحكومة التي تعلن أنها شعبية جاءت لتوفير ما تحتاجه عامة الشعب من مأكل وملبس ومسكن، وقد وعدناهم بإرسال هذا المبلغ من رابطة العالم الإسلامي وبأننا سوف ندفع مبلغاً رمزياً من المال لمساجد هذه المدينة سنسلمه للجمعية الإسلامية هنا غداً، أما الإمام الأخ (محمد إدريس يوسف) فيتقاضى راتبه من (الخيرات) كما يقولون أي من التبرعات، وهو ذو مظهر جاوي فهو من قبيلة تشامبا ويضع (غترة) على كتفه.

وقد أخبرونا أن الذين يصلون الجمعة فيه لا يزيدون على ٤٠ والصلوات اليومية ١٠ مصلين، وذلك لكون المسلمين الهنود الذين كانوا يسكنون في هذه المنطقة الغالية من وسط المدينة قد رحلوا ويصلي الآن فيه أخوة من (تشامبا) القبيلة المسلمة المشهورة في هذه البلاد.

وللمسجد فناء مكشوف غير واسع ولكنه مظلل بأشجار ضخمة باسقة رأيت تحت أحدها عجوزاً من المسلمات قد جلست فوق أرجوحة معلقة في غصن قوي من أغصان الشجرة ما أن رأت أننا وصلنا إليها حتى بادرت بتغطية رأسها وشعرها، أما الحجاب بمعنى تغطية الوجه فذلك غير موجود في هذه البلاد بين المسلمات، بل غير موجود في المنطقة كلها.

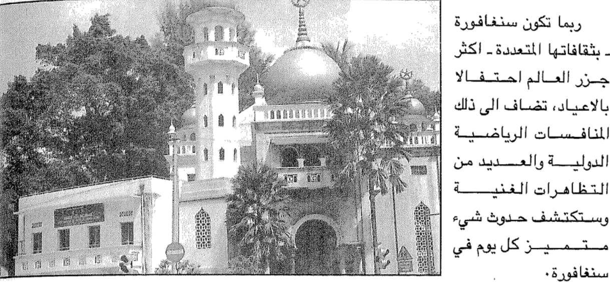
«للرحلة صلة»

سنغافورة .. أعياد لا تنقطع

ترجمة واعداد:

الحسان الرزاقي

ـ المغرب ـ



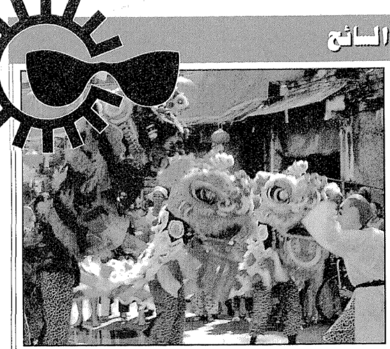
مسجد بسنغافورة

ربما تكون سنغافورة ـ بثقافاتها المتعددة ـ اكثر جزر العالم احتفالا بالاعياد، تضاف الى ذلك المنافسات الرياضية الدولية والعديد من التظاهرات الغنية وستكتشف حدوث شيء متميز كل يوم في سنغافورة.

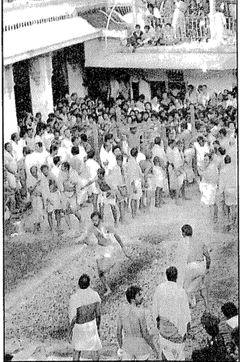
يحتفل هنود الجنوب بعيد الحصاد (البونغال) في معبد «سري سرينيفاسا بيرو مال» الواقع على طريق سيرانغون، ويتميز الاحتفال بالاغاني والصلوات التي تصاحبها اصوات الاجراس الصغيرة والطبول والمزامير واصداء الاصداف البحرية الكبيرة التي ينفخ فيها، بينما يقدم الارز والخضروات وسكر القصب والبهارات الى الآلهة ـ حسب اعتقادهم الوثني ـ.

ويعتبر مهرجان «ثايبوسام» عرضا مدهشا للروح على الجسد، فالخارجون عن اطوارهم يحملون مذابح ثقيلة من الحديد و«الكافاديات على اكتافهم او يشكون اجسادهم بالاسنة الحادة والاسياخ في موكب طويل يمتد ثلاثة كيلومترات من معبد «سري سرينيفاسا بيرومال» الى معبد «سري ثانداير ثاباني» على طريق تانك ، والغريب انه لا يبدو انهم يحسون بالالم ولا تسيل قطرة دم من السنتهم أو من خدودهم التي تخترقها الاسياخ الحادة.

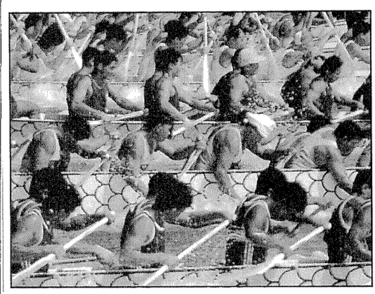
ويعتبر رأس السنة الصينية من اكثر الاعياد حيوية وروعة في سنغافورة، وتقع التظاهرات في كل أرجاء الجزيرة لكنها تتجمع بشكل أساسي في الحي الصيني، وطوال ١٥ يوما تقوم الجالية الصينية باستقبال السنة الجديدة بالفوانيس



ـ التنين أحد معالم عيد رأس السنة الصينية.



ـ المشي على الجمر المتقد، أحد مظاهر الفرح عندهم.



ـ مسابقات التجديف خاتمة مهرجاناتهم.

الورقية والمصابيح وبالموسيقى والرقص التقليدي وبالبسطات الملونة لبيع أدوات الصناعة اليدوية وقطع الحلوى فابحث عن الكتابات التي تعلق في البيوت لجلب الحظ واكتشف البسطات المغطاة بزهور الصفصاف الابيض والليمون والاقحوان.

تحتفل تشينغاي بالسنة القمرية الجديدة بموكب صارخ الالوان لا يمكن نسيانه، وعلى «اوركيد رود» وفي المنطقة المحصورة بين «سكوتس رود» و«دهوبي غاوت» تتوقف حركة المرور لفسح المجال امام الجمهور، وتجلب العربات الزاهية ورقصات الاسد والبهالين ويشيع المصارعون والممثلون على العكاكيز الخشبية والفرق الموسيقية والراقصون الماليزيون والمشاركون الاجانب جوا دوليا للحدث.

ويعتبر رمضان ـ الشهر التاسع من التقويم الاسلامي ـ شهرا للصوم المفروض من طلوع الفجر حتى غروب الشمس عند المسلمين، وهو ايضا من افضل ايام السنة لتذوق الحلويات الماليزية حينما توضع هذه المأكولات المغرية على الاطباق عند حلول الظلام في الاحياء المسلمة كشارع البصرة.

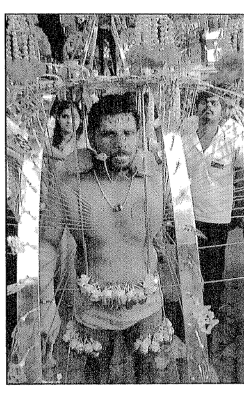
ويطبع «هاري رايا بواسا» (عيد الفطر) نهاية شهر رمضان، وهو الفرصة المختارة لتوثيق الروابط الاسرية في احتفالات خاصة، ويضاء

الحي القديم في جيلانغ بصفة خاصة باكمله وتزين البيوت الماليزية بالفوانيس كما ترتاد البازارات في الشوارع.

وفي عيد ميلاد الامير الثالث يكرم إله طفل - هكذا في معتقدهم - يمتطي «دواليب الريح والنار»، ويحمل سوارا سحريا ورمحا، ويقوم وسطاء خارجون عن اطوارهم بطعن أجسادهم بالخناجر والسيوف، وتراق دماؤهم على طلاسم من ورق اصفر يحتفظ بها المتدينون بحرص شديد، وتقام هذه الطقوس في المعابد الصينية او في اماكن اعدت على عجل في الهواء الطلق.

اما «يوم فيساك» فهو يوم احياء ذكرى ميلاد بوذا - عند البوذيين - ودخوله «النيرفانا» وهي حالة من السكينة - فالرهبان في ثيابهم الزعفرانية ينشدون «السوترا» وغيرهم يصلون ويتأملون في المعابد، والطيور تحرر من أقفاصها وعندما يحل الليل تؤذن مواكب الشموع بنهاية الاحتفال.

ويذهب معتقد صيني إلى أن أبواب الجحيم تفتح على مصاريعها في الشهر السابع من السنة القمرية وان ارواح الموتى تكون حرة في التجول عبر «عالم النور» لمدة ٣٠ يوما، وخلال «عيد الاشباح الجائعة» يقدم الصينيون القرابين ويوقدون الشموع والاوراق المعطرة وعيدان البخور خارج المنازل والمكاتب لتهدئة الارواح المخلوعة والتائهة وخلال شهر، وفي ملتقيات الطرق في الحي الصيني وايضا خارجه في المدينة تقام الولائم تحت الخيام الكبيرة والحفلات الموسيقية والعروض المسرحية (وايانغ) في الهواء الطلق.



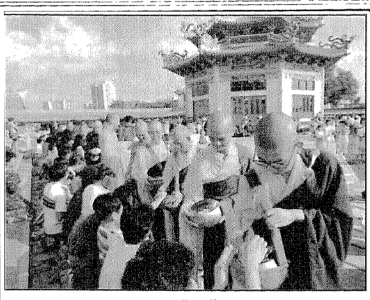
- يقاوم الألم والسهام مغروزة في صدره وفمه.

وفي التاسع من اغسطس (آب) تحتفل سنغافورة بعيدها الوطني «اليوم الوطني» ففي هذا اليوم تتتابع بشكل مؤثر المواكب والالعاب النارية ويستمر كرنفال اليوم الوطني عشرة ايام وهو اكبر التظاهرات التي تتضمن الالعاب والملاهي في سنغافورة وتجذب اكثر من مليون من الناس وفي نفس الفترة يحتفل بـ «سوينغ سينغابور» وهو الطبعة السنغافورية لثلاثاء المرفع او عيد الجعة، ويغلق اوركيد رود في وجه حركة المرور لفسح المجال امام موكب ضخم يعج بنصف مليون شخص من المقيمين والسياح، انه موعد للموسيقى والانوار والرقص طوال الليل.

كل سنة، يكرم مهرجان قوارب التنين شاعرا قديما ورجل دولة صينيا كان قد اغرق نفسه احتجاجا على الفساد السياسي والظلم، وتروي الاسطورة ان الصيادين يتسابقون في محاولة لانقاذه وانهم يقرعون الطبول والصنوج والاجراس بنشاط ويرمون الارز في البحر ليمنعوا الاسماك من التهامه، وأهم لحظات الاحتفال هي مسابقة التجديف العالمية حيث تتواجه فرق الجدافين من عشرين دولة.

ويجري مهرجان كعكة القمر في الليلة الخامسة عشرة للشهر القمري الثامن ويرتبط هذا العيد الصيني بكل انواع القصص الغريبة، وتروي

احدى الاساطير ان الرسائل السرية تخفى في الحلويات المصنوعة على شكل البدر من طرف الوطنيين الصينيين الذين يرومون الاطاحة باسرة يوان المغولية، وكيفما كان اصله فانه يعتبر من اكثر الاعياد طرافة، فالاطفال يتجولون بفوانيس ذات اشكال حيوانية، وفي المساء تعرض الفوانيس الصينية من كل الاشكال ومن كل الاحجام في الحديقة الصينية، وتحشى كعكات القمر بسكاكر غريبة وتوجد في جميع اشكالها بدكاكين الحلوى وفي المخازن الكبرى وفي الحي الصيني.



من الاحتفالات لديهم

كل سنة ، واثناء الحج الى جزيرة كوسو يأخذ الصينيون زورقا الى «جزيرة السلحفاة» (كوسو) لالتماس الرفاهية والسعادة والخصب في معبد «توابيكونغ».

وتكرس الليالي التسع لـ «نافاراثيري» للصلوات الحارة لزوجات الثالوث الهندوسي بينما يسعى الاتباع الى الارتقاء ويبلغ ذروته بالموكب الى معبد «تانك رود» وترافق الصلوات في المعابد الهندوسية كل مساء، الموسيقى الهندية والرقصات التقليدية.

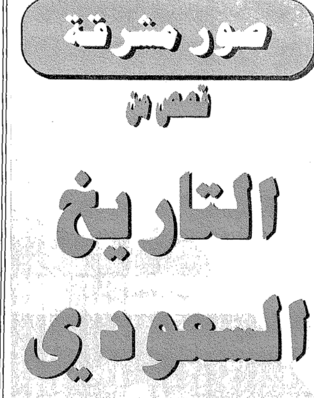


شراء الحلويات استعدادا للعيد

ويعتبر «ثهيميتي» احتفالا سنويا للمشي على النار، وتفزع الجماهير الى معبد «سري ماريامان» على طريق الجسر الجنوبي لمشاهدة المتعبدين الهندوس وهي مندهشة يمشون دون ان تخور قواهم على الجمر المتقد وتبدأ الاحتفالات في الساعة الثانية صباحا حين توقد النيران ويبدأ المشي على النار حوالي الساعة الثانية بعد الزوال.

اما «ديبافالي» او عيد الانوار وهو تظاهرة هندوسية سارة تبرز انتصار النور على الظلمات والخير على الشر، وتقصد المعابد للصلاة لكن عطر الحلوى يملأ معظم المنازل وتزين المعابد والشوارع في الحي الهندي بأشرطة الزينة والانوار والازهار.

(*) هذا المقال مترجم عن كتاب:
Surprenante Singapore, Singapore Tourist Promotion Board, PP: 16 - 19



أمن وعدل:

في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد[١] أتى حاج من العجم ونزل قرب واد تقيم حوله احدى القبائل فَسُرِقَ من الحاج غرارة[٢] فيها من الحوائج ما يساوي عشرة قروش وكانت للعشرة قروش آنذاك قيمة - فكتب صاحب الغرارة إلى الإمام عبد العزيز - إمام الدولة السعودية الأولى - يخبره بذلك، فأرسل إلى رؤساء تلك القبيلة، فلما حضروا عنده قال لهم: إن لم تخبروني بسارق الغرارة وإلا جعلت في أرجلكم الحديد وأدخلتكم السجن، وأخذت نكالا[٣] من أموالكم، فقالوا: ذرنا نصل إلى أهلينا ونسأل عنه ونخبرك، ولم يكن بُدّ من إخباره، فلما أخبروه به، أرسل إلى ماله وكان سبعين ناقة فباعها وأدخل ثمنها بيت المال وجيء بالغرارة لم تتغير، وكان صاحبها قد وصل إلى وطنه فأرسلها الإمام عبد العزيز إلى أمير الزبير، وأمره أن يرسلها الى صاحبها في ناحية العجم.

وفي حادثة أخرى وقعت في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد أيضاً يقال إن رجالا من سُرّاق الأعراب وجدوا عنزاً ضالة في رمال نفوذ السر المعروفة في نجد، وهم جياع وكانوا مقيمين يومين أو ثلاثة في جوع شديد، فقال بعضهم لبعض لينزل أحدكم على هذه العنز، فيذبحها لنا لنأكلها فكُلّ منهم يقول لصاحبه إنزل إليها، فلم يستطع أحد منهم النزول خوفاً من العاقبة على الفاعل، فألحوا على رجل منهم فقال: والله لا أنزل إليها فتركوها وهم في أشد الحاجة إليها[٤].

حق قديم وعدل مقيم:

يحكى أنه في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود خرجت امرأة من أهل بريدة كانت ذات مال وجاه، إلى البرية أيام الربيع، ومعها بعض خدمها، فلما أرادوا الرجوع إلى البلد جنّ عليهم الليل فضلّوا الطريق، فلما قرب الصباح انفردت هي عن جواريها لوقوعهن بين تلال فصادفها رجل سارق ، فيه سمات الخبث والإثم، فقال لها: من أنت؟ قالت: فلانة، وكانت مشهورة بالصدق أيضاً، فلما سمع بها وهو يعرفها بالاسم والصيت، قال لها: أهلا وسهلا، وكان طامعاً بها فلم تجبه إلى أكثر من قولها: انظر مَنْ خلفك؟ فخاف، فالتفت ملياً فلم ير أحداً فقال لها: من ذا الذى ترهبيني به؟ قالت: عبد العزيز آل سعود، فإن كنت عاقلا فلا تطمع ،



إعداد:
عبد الله بن ناصر الحديب
- السعودية -

فأخذ يتملق ويلتمس منها المقاربة حتى غلب على أمرها بأخذ المال الذي معها من الحلي وتخلية سبيلها، فاستغنمت ذلك، وهي عارفه أن المال لا يفوت، فلما بزغت الشمس، عرفت السبيل المفضي بها إلى البلد، فسلكته حتى انتهى إلى بيتها، وكانت ذات زوج فسُئلت عن حالها بالأمس، وسبب التخلف، فقصّت عليه القصة، فما كان منه إلا أن رفعها إلى الإمام عبد العزيز فجعل عبد العزيز يسأل ويتفحص ويبحث ويلح في البحث معلناً ومسراً، وكلما مرت الأيام اقتربت منه المعرفة وكشفت الجريمة عن بعض ملامحها. أما السارق الأثيم فكان كلما مرت الأيام ومرت الشهور والسنين اطمأن وهدأ وأيقن أن الجريمة قد ماتت في أكفان الزمان.

وبعد أربعة عشر عاماً، عرف الإمام عبد العزيز خبر ذلك السارق وأنه ينتمي لقبيلة معروفة في نجد، فأرسل في طلبه، فلما جاءه قال له:

أتدري مالنا عليك من الدين؟

قال: أيها الإمام، إني لم أقترض منك ديناً!

قال الإمام عبد العزيز: بل الحُلي التي سلبتها! فإنها دين يجب أن يؤدى، لكن الرجل حاول المراوغه والاحتيال والكذب، فحاصره الإمام بالأدلة، ولم يزل به حتى خارت قواه فأقرّ بجريمته، فحكم عليه الإمام بردّ مالديه من الحلي.

وضمان ما فُقد منها، ثم أوقع به عقوبة الدّين[٦].

غاليه:

اثناء الحملات العثمانية التي سعت للقضاء على الدولة السعودية الأولى، توجهت حملة سيرها حاكم مصر محمد علي باشا باتجاه «تربه»[٧] في صيف ذلك العام بقيادة ابنه طوسون فعادت هذه الحملة تشكو الحرّ والجوع، وأمّا الحملة الثانية فقد عادت تتحدث عن بدوية باسلة كانت في طليعة العربان تحرضهم على القتال هذه البدوية هي غاليه وقد هاجمت بنفسها جيوش «مصطفى بك» قائد الحملة فهزمتهم شرّ هزيمة[٨]. فتعال لتعرف خبر وقصة غالية:

ولدت غالية في «تربة» قرب مدينة الطائف الواقعة غربي شبه الجزيرة العربية، وعاصرت الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وتغلغلت دعوته في قلبها فبذلت من أجلها الغالي والنفيس ومكثت زمناً تدعو إلى الحق وترك زيارة القبور للدعاء أو التبرك وحذّرتهم من الشرك والخرافة.

وبسبب مناصرتها لدعوة الشيخ لقُبت بـ «غالية البقمية أو الوهابية» وكما هي سُنّة الصراع بين الحق والباطل فقد شن أعداء الحق حربهم علي الدعوة التجديدية المباركة[٩].

يقول محمود فهمي المهندس متحدثاً عن غالية: «لم يحصل من قبائل وعشائر العرب القاطنين بالقرب من مكة المكرمة مقاومة ولا مبارزة أشد مما اجراه عرب البقوم في تربه.. وكان قد لجأ إليها معظم عساكر الشريف غالب، وصارت تربة نقطة تجمع انصار الدعوة المباركة الموجودين في الجهة الجنوبية ـ كما أن الدرعية نقطة تجمعهم في الجهة الشمالية ـ وكان قائد هؤلاء العربان في هذا الوقت امرأة أرملة اسمها غالية كان زوجها أشهر رجال هذه الجهة وكانت على غاية من الغنى والثروة ففرقت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يريدون القتال»[١٠].

«وكانت مائدتها دائماً معدة لكل اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المخلصين الذين يعقد زعماؤهم مجالسهم في بيتها، وبما أن هذه السيدة الكبيرة كانت مشهورة بسداد الرأي

والمعرفة الدقيقة بأمور القبائل المحيطة بها فان صوتها لم يكن مسموعاً في تلك المجالس فقط وإنما كان هو المُتَبَنّى بصفة عامة[١١].

وفي ذي الحجة ١٢٢٨هـ (نوفمبر ١٨١٣م) هاجم طوسون تربة ومعه ٢٠٠٠ نفس ولكن أهلها - الذين كان وجود غالية بينهم يزيدهم حماساً وإصراراً - تصدوا بشجاعة للهجوم، واضطر جنود طوسون إلى التقهقر وتركوا خيامهم وأسلحتهم وقتل منهم ٧٠٠ شخص ومات كثير منهم جوعاً وعطشاً[١٢].

لقد أبلت «تربة» بلاء حسناً في مقاومة العدو.. وتألقت «غالية» بحكمتها وبذلها وتنظيمها للصفوف وتحريضها على القتال حتى لقبت بـ «الأميرة» لم تكتف غالية بتربية الناس وتعليمهم، بل حرضتهم على الجهاد، وضربت لهم أروع الأمثله في التضحية والعطاء[١٣].

وقال مؤرخ مصر «الجبرتي» في حوادث صفر ١٢٢٩هـ: وفي يوم الاثنين الثاني من شهر صفر وصل مصطفى بك أمير ركب الحجاج الى مصر وسبب حضوره أنه ذهب بعساكره وعساكر الشريف من الطائف الى ناحية تربة، والمتأمّر عليها امرأة فحاربتهم وانهزم منها شرّ هزيمة، فحنق عليه الباشا وأمره بالذهاب إلى مصر مع المحمل[١٤] «وقد ذاع اسم غالية في كل البلاد منذ الهزيمة الأولى لمصطفى بك قرب تُربّة. وسرعان ما ضاعف مخاوف الجنود الأتراك منها نفوذها وأهميتها ورووا اسخف القصص عن قواها»[١٥]، واعتقدوا أنها ساحرة وأن لها قدرة على إخفاء رؤساء واتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أعينهم[١٦]. وما إن تسمع جيوشهم باسمها حتى يجبنوا عن القتال، ويعودوا القهقرى، وبدأوا يروون عنها العجائب والخرافات وربما كان رؤساء الجيش الغازي يروجون هذه الخرافات والأكاذيب ليبرروا سبب هزيمتهم ظناً منهم أن هذه الحرب الإعلامية ستكون من صالحهم، ولكن ما حدث كان خلاف ذلك فقد ثبطت هذه الاكاذيب من همم جيشهم، وباتوا في هلع وجبن وخوف وخور عن مقاتلة غالية وجيشها[١٧]. وجاء في حوادث جمادي الأولى ١٢٢٩هـ (٢٤ أبريل ١٨١٤م) من تاريخ الجبرتي ما يلي: وفي اليوم الرابع وصلت هجانه من ناحية الحجاز، وأخبر المخبرون أن طوسون باشا وعابدين بيك ركبا بعساكرهما على ناحية تربة التي بها المرأة التي يقال لها غالية، فوقعت بينهم حروب ثمانية أيام، ثم رجعوا منهزمين ولم يظفروا بطائل[١٨].

وفي مطلع سنة ١٢٣٠هـ جرت معركة «بسْل» المشهورة - مكان قرب تربة - بين الجيش السعودي والجيش الغازي بقيادة محمد علي باشا الذي أقبل بعدد هائل من مصر لما رأى ابنه يتجرع الهزيمة تلو الأخرى وتولى محمد علي القيادة العامة للجيش وتقابل الطرفان الجيش السعودي ثلاثون ألفاً وجيش محمد علي يفوق هذا العدد بكثير علاوة على تفوق جيشه في العدة والعتاد والآلات الحربية، وجرت معركة يشيب لهولها الوليد وانجلت عن انتصار جيش محمد علي وبعد هذا الانتصار بدأ الغزاة بتتبع قادة الجيش السعودي ليتم ترحيلهم إلى القسطنطينية ليتم إعدامهم، وحرصوا أشد الحرص على القبض على غالية، التي كانت قد لجأت بعد الهزيمة إلى إحدى القبائل واختفت بينهم، فراسلها الغزاة وأمّنوها بالوعود وأعطوها المواثيق والعهود لتخرج ولكنها أبدت رفضها، لأنها اعتادت منهم الغدر والخيانة وعدم الوفاء بالعهود، ولأنها توقعت أن مصيرها سيكون مصير العشرات قبلها ممن أعطاهم هؤلاء الغزاة

العهود والمواثيق والأيمان المغلظة ثم غدروا بهم شر غدرة، واختفت غالية واختفى خبرها معها فلا ندري عنها شيئاً بعد ذلك إلا ما ذكره صاحب «الدر المفاخر في أخبار العرب الأواخر» من أنها ذهبت إلى الدرعية وعاشت فيها[١٩] إلا أن هذا الاحتمال غير مؤكد[٢٠].

من خان لك خان عليك:

أثناء حصار الدرعية على يدّ ابراهيم بن محمد علي باشا سنة ١٢٣٣هـ الذي استمر أكثر من ستة أشهر أبدى أتباع الإمام عبد الله خلالها شجاعة فائقة، وتكبدوا - كما كبدوا عدوهم - خسائر فادحة، لكن موقف هؤلاء الأتباع كان يضعف تدريجياً بسبب طول الحصار وما يصل إلى قوات ابراهيم من إمدادات متوالية من جهات مختلفة، وبدأ اليأس يدّب في نفوس بعض المدافعين، فترك جماعة منهم الدرعية ولم تقف الحال ببعضهم عند حد الهروب من الدرعية نجاة بأنفسهم من المصير المخيف، بل إن منهم[٢١] من خرج وانضم إلى ابراهيم باشا وكان من ابرزهم رجل ثار على الإمام عبد الله بن سعود نتيجة خلاف بينهما، ولا شك أن ذلك كان ضربة قاسية للمدافعين السعوديين، إذ أن ذلك الثائر كان يعرف مواطن الضعف في دفاعات الدرعية، ومن المرجح أنه أرشد إبراهيم إلى تلك المواطن فركز نيران مدفعيته عليها[٢٢] ولهذه الخيانة قصة حيث نصح القائد الثائر - بحكم معرفته مواطن الضعف في اسوار الدرعية - قائد الحمله ابراهيم باشا بأن يضع فوهات المدافع على ربوة مرتفعة ومحاذية لاسوار الدرعية وبالفعل عمل ابراهيم بتلك النصيحة ورأى آثارها بتهدم جزء كبير من سور الدرعية - حاضرة الدولة السعودية الأولى - ومكافأة من إبراهيم لذلك الناصح له فقد امره بالمثول أمام المدفع ذاته الذي هدم اسوار الدرعية ثم اطلقت عليه نيران المدفع نفسه لترديه قتيلا، وكان ابراهيم باشا يردد: «من خان لك خان عليك»[٢٣] ويقصد إبراهيم باشا بذلك أن هذا الثائر على الإمام عبد الله بن سعود قد خان قائده وإمامه لذلك فإنه سوف يأتي اليوم الذي يخون فيه ذلك الثائر ويغدر بابراهيم باشا، ولذلك كان مصير ذلك الخائن القتل.

قصر لا يهدم:

بعد أن تم لمحمد بن عبد الله بن رشيد النصر في معركة حريملاء سنة ١٣٠٩هـ على آخر حكام الدولة السعودية الثانية الإمام عبد الرحمن بن فيصل كانت هذه المعركة بمثابة الإعلان عن نهاية تلك الدولة فأمر محمد بن رشيد بهدم قصر الحكم بالرياض[٢٤] الذي كان مقر حاكم الدولة السعودية الثانية - والتفت ابن رشيد إلى أحد أصحابه وقال: أترى هذا البيت يقوم ثانية؟ قال له الرجل مجاملا: لا يا الأمير ولا يوم يبعثون.. وكان ابن رشيد عاقلا حصيفاً فقال: لا يا بعد حيي والله الذي لا إله إلا هو إنه سيقوم وستسمع «لبنة طينة»[٢٥] فتعجب الرجل من ردّ ابن رشيد وقال: وماذا عندك من استنباط؟ قال: يا بعد حيي آل سعود مؤسسون على نية صادقة وعلى دعوة ابن عبد الوهاب وهي المستمدة من أصول الإسلام وتعاليمه[٢٦].

وصدقت توقعات ابن رشيد عندما تمكن صقر الجزيرة الملك عبد العزيز من انتزاع الرياض واستعادتها سنة ١٣١٩هـ من عبد العزيز بن متعب بن رشيد ومن ثم شرع البطل عبد العزيز في بناء ما تهدم من قصور الرياض واسوارها خلال بضعة أسابيع من استعادته لها.

ابن سعود وأهل القصيم:

أثناء معارك الملك عبد العزيز مع خصمه الكبير الأمير عبد العزيز بن متعب آل رشيد في

القصيم اشتد الأمر على أهلها، وقد كانت القصيم مسرح العمليات للمعارك بين ابن سعود وابن رشيد لا سيما وأنها قد شهدت معركة البكيرية، ومعركة الشنانة، وأخيراً معركة روضة مهنا. وأحس الملك في عبقرية نادرة ما يجول في بعض النفوس من التململ وأراد أن يشد أزر القوم بأن يقودهم بقلوبهم وليس بأبدانهم فقط، وأراد الإعذار وتبيين الأمر لهم بأنه ليس في صالحهم أن يتركهم الإمام عبد العزيز ويتولى عليهم الأمير الصارم، فجمع أهل الحل منهم مثل آل أبا الخيل وآل الرشودي، وآل الجربوع، وآل الربدي، وآل الشريدة. وبقية رؤسائهم وقال لهم: «يا أهل القصيم أنا أحبكم ولا أضمر لكم إلا كل خير، وقد رأيت ما فعلت الحروب بنا وبكم وأنا لا أكرهكم على الحروب، وأود الصلح بيني وبين هذا الرجل - يعني ابن رشيد - فأنا عازم على الرحيل وابعثوا من تثقون به منكم ليكلم الأمير عبد العزيز بن رشيد، فان رحل وترككم فهذا والله خير لنا جميعاً، يذهب إلى الجبل - أي جبل شمر - وأذهب إلى الرياض وأنتم أحرار في بلدكم[٢٧]. وقد لقي هذا الاقتراح من الإمام عبد العزيز قبولا في النفوس، وفعلا أرسل أهل القصيم فهد العلي الرشودي - احد الاعيان وكان ذكياً عاقلا شجاعاً - كمندوب لمحادثة ابن رشيد في هذا الموضوع، وذهب إليه الرشودي وكان معسكراً قرب قصر ابن عقيل بعد معركة الشنانة، وما أن وصل الرشودي حتى بادره ابن رشيد قائلا: ماذا تريد يا فهد الرشودي؟ فأجابه قائلا: أيها الأمير نريد منك أن تضع الحرب عنّا ويضع ابن سعود الحرب كذلك وكل يبقى في بلده، فزمجر ابن رشيد وقال: تبقى لي «جبه» يا بعد حيي لينسحب عنكم ابن سعود وأبقى أنا. فقال الرشودي: أخشى أن أهل القصيم لا يريدون ذلك، فصاح: هذا رأيك فقط! وأخذ ابن رشيد يتوعد الرشودي وأهل القصيم، فقام من عنده الرشودي فزعاً وابن رشيد يقول له: والله لو أن الله ولاني عليكم لأفعل كذا وكذا.

ثم عاد الرشودي إلى الملك عبد العزيز فقال له: ما عندك يا فهد؟ قال: أريدك على انفراد، قال: لا، قل ما عندك لقومك علناً فالأمر يهمكم أنتم يا أهل القصيم قبلي، فتحدث الرشودي بما سمع ورأى ثم قال عبد العزيز: هاه يالمسلمين[٢٨]؟ فقالوا بصوت واحد: الآن جد الجد وأنت يا عبد العزيز ونحن معك على السراء والضراء، وعزموا على الحرب بجهد مضاعف في دفع الرجال والأموال حتى تم لهم ما أرادوا[٢٩] وبذلك دخلت القصيم في طاعة الملك عبد العزيز سنة ١٣٢٤هـ حيث قتل في هذه السنه عبد العزيز بن رشيد في معركة روضه مهنا ليسدل الستار عن منافس خطير للملك عبد العزيز في نجد.

يطلب مُلكاً لا تجارة:

يقول الاستاذ: صالح الزمام حدثني والدي محمد الزمام رحمه الله أنه حدثه من يثق به قال: لما فتح جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله الأحساء سنة ١٣٣١هـ وكانت في ذلك الوقت تحت سيطرة الدولة العثمانية وجد مبلغاً كبيراً من المال فأمر خادمه الخاص ويقال له «شلهوب» بأن يوزع المال على الرجال الذين مع الملك في ذلك اليوم، فوزع شلهوب المال وأراد أن يبقى جزءاً منه احتياطاً إذا دعت إليه حاجة يقول شلهوب: فذهبت لأستأذنه في ذلك فغضب ونظر إليّ شزرا وأهوى إليّ برجله فلو أصابتني لقتلتني وقال لي: وزّع المال كله، أتراني أريد الملك أم التجارة لا أم لك؟! فوزعها كلها ولم يبق منها شيئاً[٣٠].

ويروي أن الملك عبد العزيز كان في وقت من

الأوقات في عسرة ضانكة من قلة المال، وفجأة وصلت إليه مبالغ تفوق ما كان يتوقعه فأخذ يفرقها، وكانت ذهبا أحمر، فنظر إليه أحد محبيه وجلسائه نظرة عتاب، وفهم الملك عبد العزيز قصده، فقال له رحمه الله: أردت أن أجرّب نفسي، هل «أقواها» أو «تقواني؟» وأني هل أتغلب عليها وهي تدعوني إلى الامساك أم اغلبها بالانفاق؟[٣١].

صنائع المعروف تقيّ مصارع السوء:

في وقعة الشعيبة التي وقعت سنة ١٣٣٧هـ بين جنود الملك عبد العزيز وقبيلة شمر وكان من بينهم رجل من الويبار يقال له «حداد بن مجلوب» قال: كنت من النفر الذين أصيبوا في تلك المعركة إصابات قاتلة عديدة، ولكن أحياني الله بالرغم من أن الأعداء لم يتركوني إلا وهم يعتقدون أنني في حساب القتلى. والواقع أنني بقيت أياماً في وسط القتلى كواحد منهم بلا شعور ولا إحساس، اللهم إلا شعوراً نسبياً لا أستطيع أن أعبر عنه إلا أن أقول إنه شعور أكمل من شعور النائم وأقل من شعور الإنسان عندما يكون في يقظته الكاملة، وعندما أبلغ هذه الدرجة التي بين النوم واليقظة أشعر كأن إنساناً يحلب ناقتي التي لا أنكرها، فاذا انتهى منها ناولني حليبها الذي لا أذكر بالدنيا طعماً ألذّ منه، وبقيت تلك المدة أنعم بهذا الغذاء إلى أن عاد إليّ إحساسي وشعوري وكامل صحتي، فوجدت نفسي أشبه ما يكون بالمرء الذي استيقظ بعد رقاد طويل، وعند ذلك ذهبت أفكر في سرّ حليب هذه الناقة التي كنت أسقى حليبها عندما كنت في تلك الحالة الخطرة وإذا بي أذكر أنها ناقتي التي وهبتها لأيتام توفي والدهم وهو لا يملك من حطام الدنيا درهماً، فذهبت ووهبتهم هذه الناقة فظلوا يشربون حليبها.. وهكذا زاد إيماني بالله بأنه لا يضيع أجر المحسنين ومن تلك الحادثة إلى يومنا هذا آليت على نفسي أن لا أدخر وسعاً من فعل الخير ما استطعت إليه سبيلا[٣٢].

دهاء ملك:

في إحدى الليالي كان الملك عبد العزيز ساريا نحو أحد أعدائه، ومعه ثلّة من جنده، وكان راكبا فرسه، ومستعدا لأي طارىء أو مفاجأة تحدث، وعثر على رجلين من رجال البادية على جمل لهما، فأوقفهما وسألهما عن الجهة التي يقصدانها، والجهة التي أقبلا منها، فأخبراه، فلم يقتنع بما قالا، وشعر بفطنته وتجربته أنهما غير صادقين، وأنهما بما قالا يغطيان عن الجهة الحقيقية التي قدما منها، والجهة الحقيقية التي يقصدانها. ففاجأهما باتهامهما أنهما «سبور لعدوّه»[٣٣] فأنكروا، فانتزع أحدهما من مكانه، ودكه بين يديه على سرج الحصان وذهب به بعيدا حتى أخفاهما الظلام. فسمع أصحابه طلق نار مرتين من مسدس، وبعد لحظات عاد عبد العزيز، وأهوى لينتزع الثاني، فانهار، وأقر بالحقيقة. وأخبر أنه وزميله كانا في مهمة تجسس لعدو الملك عبد العزيز، وأنه في المكان الفلاني. فسأله الملك عبد العزيز: ما اسم زميلك الذي انتزعته من خلفك قبل قليل؟ قال: فلان. قال الملك عبد العزيز ناده. فناداه فجاء يجري، ولم يكن أصيب بسوء. وقد استعمل الملك عبد العزيز هذه الخدعة ليقر هذا بما لم يقرا به من قبل وأوهم هذا أنه قتل زميله، وأنه سوف يلحقه به، ونجحت كما رأينا وقد أبقاهما الملك عبد العزيز معه. وقال لهما إنه سوف يُغير على عدوه هذه الليلة، فإن وجد أنهما صادقان فيما أخبرا عن محّل عدوه، فسوف يُخيرهما بين أن يذهبا أو يلتحقا بخدمته هو وإن تبين له أنهما كاذبان فسوف ينالهما عقابه[٣٤].

مقتلة حواشيش :

في سنة ١٣٢٣هـ وبعد معركة البكيرية بشهور يمم عبد العزيز بن متعب بن رشيد أطراف بريدة بقواته ونزل «روضة مهنا» وهي مرعى خصيب ممرع تسيم فيه الابل والأنعام كما يقصدها فقراء القصيم والمعوزون يأخذون الاعشاب والحشائش يرتزقون ببيعها في المدن والقرى، حتى اذا نزلها ابن رشيد - وهو ممتلئ غيظاً وحنقاً من توالي الهزائم عليه وخسائره الفادحة في الحرب وتمكن خصمه منه - وجد بها أربعين كهلا فانياً من الفقراء العاجزين، ومع بعضهم اطفال لا يتجاوز أكبرهم العاشرة من عمره، أتوها كعادتهم يحصدون الحشائش ويبيعونها وينفقون ثمنها على أنفسهم، وكانوا من أهل القصيم - والقصيم قد دخلت تحت طاعة الملك عبد العزيز - فما كان من ابن رشيد إلا أن أمر رجاله أن يأتوه بهم ووقفوا بين يديه وبيد كل منهم منجله يحصد به والمكتل يضع فيه الحشائش، وقد عرف هؤلاء المساكين مصائرهم من معاملات رجال ابن رشيد القاسية وأذاهم اياهم فوجموا، كما انتفض بعضهم هلعاً، وأجهش الاطفال بالبكاء والتوسلات.. فلم يلن ابن رشيد لبكائهم، ولم يرق قلبه لادمعهم.. لقد أتى بالاربعين الطاعنين في السن ورصدهم على أبعاد متساوية وجزّ رؤوسهم، كما قتل أولئك الأطفال الابرياء، واذ أتى دور شيخ بيّض الدهر مفرقه، وتيقن أنه لا محالة قتيل نظر إلى ابن رشيد بعينين مكدودتين، ودمعة حزن واشفاق تنحدر على وجنتيه المتجعدة وأمسك بطفله وقال: أيها الأمير، أفعل بي ما تريد وابق على هذا الصبي، فان وراءنا أيامى لا يعولهن غيرنا! فما كان جوابه إلا رأس الطفل يتدحرج على الأعشاب.. رأى الشيخ ما حل بفلذة كبده، فما كان منه إلا أن انبجست عيناه الغائرتان بالعبرات الحارة وتحركت شفتاه الضامرتان بألفاظ تمتم بها، فجذبه ابن رشيد بتلابيبه جذبة قوية ظن منها ان روحه انتزعت منه انتزاعا وهوى السيف على عنقه فسقط على الأرض ودمه يسيل عليها[٣٥].

لم يلتذّ ابن رشيد بنوم من يوم تلك المذبحة حتى يوم مصرعه.. فكان يهب فزعاً صائحاً من نومه كأنما يتراءى له الشيخ والطفل والشهداء في أيديهم البواتر والرماح يسددونها إلى مقتله أو يخزونه بالابر، أو يضعونه في سفود ثم يضعونه على جاحم يتضرم[٣٦].

مكث ابن رشيد على هذا الحال سنة كاملة يتعذب قلبه وروحه فلا يهنأ بطعام ولا يجد للنوم سبيلا وتنقضي سنة ١٣٢٣هـ وتطل السنة التالية، وفي ليلة الثامن عشر من صفر من سنة ١٣٢٤هـ تدور معركة «روضة مهنا» بين الملك عبد العزيز وعبد العزيز بن متعب بن رشيد ويُقتل في هذه المعركة ابن رشيد، وتشاء عدالة السماء أن لا يموت ابن رشيد إلا في الموضع الذي قتل فيه اولئك الابرياء الكهول فارتمى جسده فوق الصعيد الذي حصدهم فيه، وكذلك جزاء الظالمين[٣٧].

الهوامش:

(١) هو الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولد سنة ١١٣٣هـ حكم الدولة السعودية الأولى بعد وفاة والده الإمام محمد بن سعود - مؤسس الدولة السعودية الأولى - سنة ١١٧٩هـ وكان عبد العزيز تلميذاً للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان لعبد العزيز ثلاثة من الابناء هم الإمام سعود، وعبد العزيز وعمر، توفي الإمام عبد العزيز سنة ١٢١٨هـ رحمه الله.

(٢) الغرارة: عبارة عن كيس مصنوع من شعر المعز توضع فيه الحوائج.

(٣) النكال: هي غرامة مالية من نقد أو بهيمة الأنعام.

(٤) الشيخ عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ط ٤، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، الجزء

الأول، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩.

(٥) المقصود به الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود.

(٦) مؤلف مجهول، لمع الشهاب تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ص ٥٢، ٥٣ ، وكتاب عبد العزيز سيد الأهل، «داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب»، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م، ص ١١٨ ، ١١٩.

(٧) تقع بوادي تربة بمنطقة مكة المكرمة على دائرة عرض ١٣َ ، ٢١ْ شمالا وخط طول ٣٩َ ، ٤١ْ شرقاً.

(٨) أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته مؤسسة دار الريحاني، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م ص ٨٢.

(٩) مجلة الأسرة، شوال ١٤١٥هـ ـ مارس ١٩٩٥م ، العدد ٢٠.

(١٠) محمود فهمي المهندس، البحر الزاخر في تاريخ العالم واخبار الاوائل والاواخر، الجزء الأول، المطبعة الاميرية ببولاق، ١٣١٢هـ، ص ١٨٣.

(١١) الرحالة جوهان لودفيج بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض.

(١٢) خير الدين الزركلي، الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، آيار ـ مايو ١٩٨٠م، الجزء الخامس، ص ١١٥.

(١٣) مجلة الأسرة، شوال ١٤١٥هـ ـ مارس ١٩٩٥م، العدد ٢٠.

(١٤) العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والاخبار، دار الجيل، بيروت، الجزء الثالث، ص ٤٧٧.

(١٥) الرحالة جوهان لودفيج بوركهارت، مرجع سبق ذكره، ص ١٤١.

(١٦) خير الدين الزركلي، مرجع سابق الذكر ١١٥/٥.

(١٧) مجلة فواصل، فبراير ١٩٩٦م، العدد ٢١.

(١٨) الجبرتي، مرجع سبق ذكره، ٤٥٣/٣.

(١٩) إن أشد ما يعجب منه القارىء حينما يعلم أن مؤرخي نجد والحجاز لم يترجموا لغالية ولم يذكروا شيئا من أخبارها ـ وللأسف ـ حتى قال الزركلي: «لم أجد في كتب مؤرخي نجد والحجاز ذكراً لصاحبة الترجمة»، وممن حفظا تاريخ غاليه وبطولاتها المؤرخان المصريان الأول: عبد الرحمن الجبرتي في كتابه «تاريخ عجائب الاثار» والثاني: محمود فهمي المهندس في كتاب «البحر الزاخر»، كذلك تحدث الرحالة السويسري جوهان بوركهات عن غالية، أما الرحالة الفرنسي موريس تاميزية فقد ذكرها في نص مقتضب مفيد.

(٢٠) مجلة فواصل، فبراير ١٩٩٦م، العدد ٢١.

(٢١) يذكر ابن بشر أن هناك عدداً من القادة الذين انضموا لابراهيم باشا، ومنهم رئيس الخيالة في الدرعية.

(٢٢) د. عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، مطابع الشريف الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، الجزء الأول، ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢٣) رواية شفوية عن ناصر بن محمد الحديب.

(٢٤) يقع قصر الحكم القديم في قلب مدينة الرياض على ساحة الصفاة من الجنوب، وهو قصر آباء الملك عبد العزيز وأجداده ومنذ أن تولى جلالته الحكم والقيادة، سكن في القصر المذكور هو وعائلته بعد تعديله وإصلاح ما لزم إصلاحه آنذاك.

(٢٥) يقصد بها ما يردده العمال من غناء اثناء البناء مع المعلم للحث على سرعة البناء وانجازه خاصة حين يتم صف اللبن وبناء الجدار.

(٢٦) صالح محمد الزمام، نوادر من التاريخ، شركة مطابع نجد التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، الجزء الرابع، ص ٥٥، ٥٦.

(٢٧) تكشف لنا كلمة الملك عبد العزيز هذه عن حنكه سياسية رائعة هذا من جانب، ومن جانب آخر يمنح أهل القصيم «حق تقرير المصير في بلادهم» تحقيقاً لحرية الرأي واقرار مبدأ العدل.

(٢٨) أراد الملك عبد العزيز بذلك أن يتبين رأي اهل القصيم بعد مقابلة الرشودي لعبد العزيز بن رشيد.

(٢٩) صالح محمد الزمام، نوادر من التاريخ، الجزء الثالث، ص ١٥٨، ١٥٩، كما وردت القصة ذاتها مع اختلاف يسير في كتاب «صقر الجزيرة» المجلد الأول الجزء الثاني ص ٣٦٤ ـ ٣٦٨.

(٣٠) صالح الزمام، نوادر من التاريخ ، الجزء الأول ص ٤٨.

(٣١) أي بُني، د. عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، مطبعة سفير، الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٥٢.

(٣٢) صالح الزمام، نوادر من التاريخ ، الجزء الرابع ص ١١٢ ، ١١٣ ، و«من شيم العرب» فهد المارك، المكتبة الأهلية، بيروت، الجزء الثاني ص ٢٩٢ ، ٢٩٣.

(٣٣) هم الذين يتقدمون الجيش لسبر حالة العدو قبل الهجوم عليه.

(٣٤) أي بُني، مرجع سبق ذكره ص ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨.

(٣٥) لقد رنّ دوي هذه المذبحة في الآفاق، ووردت صداها جزيرة العرب كلها، فقد هزت مشاعر القبائل العربية سواء من يسكن منها الصحراء أو المدن والقرى وأصبحت تُعرف مذبحة الروضة باسم «مقتلة حواشيش» كما يسميها البدو حتى أن جماعة من رجال ابن رشيد قد انفضوا من حوله لكي لا يكونوا على مقربة من الظالم ينظرون أعماله الوحشية ولا يستطيعون نصحه أو منعه.

(٣٦) نظم الأستاذ خالد بن محمد الفرج في ملحمته أبياتاً رائعه تصور مقتله حواشيش.

(٣٧) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، ص٥، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٣٧١ ـ ٣٧٦.

الحكمة وينابيعها

الحكمة مرتبة فوق المعرفة، وهما مع ذلك مرتبطان ارتباط الشعاع بمصدر الضوء.

الحكمة مجالها النظر في الحقائق الكلية واكتشاف جواهرها من طريق الحواسِّ الباطنة، وأما المعرفة فميدانها فحص الجزئيات التي لا سبيل إلى حصرها، ولا قُدرة لمخلوق على الإحاطة بها.

يقول الغزالي:

«الحكمة حالة للنفس بها تدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الإختيارية» وقد يبدو بشيء من التأمل أن هذا التعريف ليس بكاف من حيث إن الحكمة ليست مجرد حالة نفسية تقف عند حد الإدراك النفسي وذلك أن أحوال النفس من شأنها التغير، والحكمة من طبيعتها الثبات في طريق نشدان الكمال الذي يقتضيه إحكام القول وإتقان العمل.

وإذا كانت الحكمة تجمع بين القدرة على إدراك الحق والصواب وبين الاستعداد النفسي للعمل بهما، فإن المعرفة سعي إرادي غايته اكتشاف المسائل الغامضة ومحاولة تفسيرها، فهي بمثابة المشي في طريق مجهول، وأما الحكمة فوصول إلى غاية الطريق.

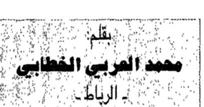
تشترك الحكمة في جذرها اللغوي مع ألفاظ أخرى هي امتداد لها ودوران في فلكها، ومن هذه الألفاظ: الحُكم، والإحكام، والتحكم، والحكمة (بفتح الحاء والكاف)، وهي اللجام.

فالحُكْمُ قوامُه إنعام النظر في شيئين أو عدّة أشياء متعارضة بقصد استخلاص وجه الحق والصواب من تعارضها، ولا يكون الحكم صحيحاً إلا إذا انبنى على الإنصاف وسلامة التمييز ودقة الترجيح مع التبصر والأناة.

والإحكامُ غايتُه منع اختلال الفعل بسد الثغرات وشد حبال الربط تجنباً لعوارض النقص والضعف والتفكك.

وأما التحكم فسبيله امتلاك القدرة على التصرف القويم في الأشياء القابلة للانفلات والتشتت.

والحَكَمَةُ (بفتح الحاء والكاف) المراد منها ضبط وتيرة السير، وتوجيه حركته نحو غاية مقصودة بلا جماح ولا تعثر.


بقلم: محمد العربي الخطابي
- الرباط -

الحكمة تعطي بالصمت أكثر مما تعطيه بالكلام وبيان ذلك أن صاحب الحكمة مجبول على

التأمل، مدفوع بفطرته إلى الغوص في عمق الحقائق، طويل النفس في التنقيب عنها والتقاط جواهرها، وهو يزن الأشياء كلها بميزان القلب والعقل، ولذلك نراه يطيل الصمت ويجدُ في اللغو آفة تضعف التفكير وتقطع حبل التدبر، وربما أورثت الشك وزعزعت اليقين.

الحكمة شعبتان: شعبة تنطلق من كمال العقل، وشعبة تنبثق من فضيلة النفس، فإذا اجتمعتا في إنسان بانت له الحقائق، واستقر في وجدانه اليقين، واقتدت بسيرته وعمله الخلائق.

الخشية رأس الحكمة، والعدل نبراسها، والجمال صورتها، والمحبة مادتها، وإشاعة الخير والفضيلة مطلبها. فمن خاف الله أحبه الله، وأدخله في زمرة أوليائه، وجعل بينه وبين طغاة الإنس حجاباً مستورا، ووهبه القوة حتى لا يخاف في الحق أحداً من دونه.

ومخافة الله إقرار بوحدانيته، وتسليم بمشيئته ومطلق تدبيره، واهتداء بشرائعه ورضا بقضائه وقدره، وإنصاف لذوي الحقوق من خلقه حتى ينتشر العدل ويعم الأمان.

الحكمة من الله إبداع دائم، وآيات بينات لا ينقطع سناؤها ولا يخبو نورها، فهي تتوالى على مخلوقاته وتنتشر كالنجوم النيرات في عوالمه، فعيون تبصرها فتهتدي ، وعيون يصيبها العماء دونها فتضل، وقلوب تستوعبها فتعلوها السكينة، وقلوب تغفل عنها فيلفها الظلام.

{أفمن يمشي مُكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم} (الملك/٢٢).

مصدر الحكمة هو الخالق - عز وعلا - فمنه تنبثق أنوارها وتسري في عوالم ملكه كي تستقر في نفوس من يشاء من خلقه «يؤتي الحكمة من يشاء» فإذا نفذ نورها في قلب بشر تفتحت بصيرته، واستقام فعله حتى لا يرى إلا الحق، فإذا رآه اطمأنت نفسه إليه، وسار على هديه، وعمل على نشره. يقول الحق - سبحانه: {وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون} (الأعراف/ ١٨١)، فهؤلاء هم أهل الحكمة، وقد أوتوا خيراً كثيراً.

وإذا كان مصدر الحكمة واحداً فإن لها مع ذلك ينابيع تجري بإذن مؤتيها لترويها وتتعهد غرسها بالسقي والترطيب كي ينمو ويزدهر. فمن ينابيعها الجارية: الحق، والخير، والعدل، والإحسان، والبر، والمحبة، والسماحة، والرضا، والذِّكر.

الحكمة مطلوبة لذاتها ولما تؤدي إليه من صلاح وسعادة، وهي من أجل ذلك عزيزة المنال، ومثلها كمثل شجرة يتيمة يانعة الزهر طيبة الثمر، نابتة وسط غابة موحشة تعمرها الضواري المتربصة بفريستها آناء الليل وأطراف النهار. فكيف الوصول إلى شجرة الحكمة إذا كان هذا مَثَلُها وكان الطريق إليها محفوفاً بالمخاطر، مفروشا بالأشواك، محجوباً عن إدراك البصر؟.

عالمنا الاسلامي والعربي على امتداده يزخر بنماذج بشرية مثلت القدوة في الاداء والعطاء من اجل الدين والوطن والأمة.. وهم باعمالهم تلك نماذج يقتدى بها.. وعطاءات مخلصة رائعة ينبغي النسج على منوالها.. وهذه الشخصيات وأمثالها ينبغي ألا تُغيَّب وراء ضبابيَّة النسيان ونكران الجميل.

هذه الاعلام ينبغي الكشف عنها.

أعلام.. وأعمال:

أبو العباس أحمد المقري

من (روضة الآس) إلى (نفح الطيب)

من أعلام الفكر العربي في الجزائر أثناء عهدها العثماني (٩٣٠ - ١٢٤٦هـ/ ١٥١٤ - ١٨٣٠م) شخصية متميزة فكريا، توزع هواها بين أقطار العروبة مشرقا ومغربا، ولد في الجزائر، وهام بالمغرب الأقصى كما كبر وجده بالحجاز، وأحب (دمشق) وأهلها. والقاهرة ورجال علمها، حيث لقي ربه، وفي نفسه حنين إلى وطنه الأول (الجزائر) وشوق الرحلة إلى (دمشق) التي حالت دونها المنية، بعد ما ارتوى صدره من أريج الأرض الطاهرة في البقاع المقدسة.

إنه العلامة الأديب اللامع: أحمد المقري (٩٨٦ - ١٠٤١هـ/ ١٥٧٨ - ١٦٣١م) صاحب عملين فكريين جادين، بدأ بأولهما حياته في التأليف. وهو كتاب «روضة الآس العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس»[١] وكان الثاني خاتمة مؤلفاته، عشية وفاته، وهو كتاب «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب»[٢].



بقلم: **د. عمر بن قينة**
معهد اللغة العربية وآدابها
جامعة الجزائر

والمقري من أسرة علم بالجزائر، عاشت في قرية (مقرة) شرق مدينة (المحمدية) أي (المسيلة) حاليا، بنحو ثلاثين كيلومترا، وهي لا تزال تنطق هكذا (مقرة) حتى اليوم، بسكون القاف، فشيوع نسبته إليها اليوم بفتح على

تشديد القاف «المقري» خطأ لا مبرر له، غير جهل بضبط النسبة إلى القرية المذكورة حتى في كتابات باحثين جزائريين منذ أوائل هذا القرن، مثل (الحفناوي) الذي بقي مترددا فقال: «المقري بفتح الميم وتشديد القاف .. وقيل بفتح الميم وسكون القاف لغتان .. قرية من قرى تلمسان»[٣] أو (الزاب) فنقل مكان القرية من جنوب الجزائر الشرقي إلى غربها.

انتقل جد (أحمد المقري) الأعلى من (مقرة) قرب (المسيلة) إلى (تلمسان) وبها برز علماء أجلاء في الأسرة، من بينهم عم (أحمد) العلامة (سعيد المقري) وفيها ولد المؤلف (أحمد بن محمد المقري) المكنى (أبا العباس) سنة (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) ودرس، على أمثال عمه السالف الذكر. وفي وقت كانت (الرحلة) إلى (العلم) من مكملات التكوين العلمي.

انتقل المقري إلى (فاس) سنة (١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م) للدراسة، حيث لفت أنظار رجال العلم والسياسة، ومنهم الشيخ (ابراهيم بن محمد الآيسي) الذي اصطحب (المقري) من (فاس) إلى (مراكش) حيث قدمه للسلطان (أحمد المنصور الذهبي) الذي أجله، كما أعجب (المقري) به، مثلما طرب للجو العلمي في (مراكش) ورجاله، ولم يكد يعود إلى (تلمسان) سنة (١٠١١هـ/ ١٦٠١م) حتى شرع يبرح به الشوق إلى (فاس) ومناخها العلمي الزاخر، فسافر إليها سنة (١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م) إماما ومفتيا وخطيبا ذا مكانة مرموقة، غير أن هناءه وراحته نغصهما عليه الجو السياسي، في الصراع بين أبناء السلطان (أحمد المنصور) على السلطة، بعد وفاته (١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م) فقرر الرحيل تاركا أسرته بمدينة (فاس) في رمضان (١٠٢٧هـ/ ١٦١٨م) متجها نحو الحجاز، لأداء فريضة الحج، فمر بوطنه، وتونس برا ثم إلى (مصر) بحرا، ومنها إلى الحجاز، فوصل (مكة) المكرمة في ذى القعدة (١٠٢٨هـ/ ١٦١٩م) فاعتمر، ثم حج، وفكر في الإقامة، التي حالت دونها عوائق أشار إليها ولم يحددها، فعاد إلى (مصر) في شهر محرم (١٠٢٩هـ/ ١٦٣٠م) حيث أعاد الزواج من (مصرية) وشرع يدرس في الأزهر.

ومن (مصر) شرع يكرر رحلاته إلى البقاع المقدسة، فقال سنة (١٠٢٩هـ/ ١٦٣١م) عن زيارته (مكة المكرمة) و(المدينة المنورة) و(بيت المقدس) أنه زار مكة «خمس مرات وحصلت بالمجاورة فيها المسرات، وأمليت فيها على قصد التبرك دروسا عديدة.. ووفدت على طيبة المعظمة ميمما مناهجها السديدة سبع مرات، وأطفأت بالعود إليها بالأكباد الحرار، واستضأت بتلك الأنوار.. وأمليت الحديث النبوي بمرأى منه عليه الصلاة ومسمع.. ثم أبت إلى مصر مفوضا لله جميع الأمور، ملازما خدمة العلم الشريف بالأزهر المعمور .. فتحركت همتي .. للعود للبيت المقدس وتجديد العهد بالمحل الذي هو على التقوى مؤسس فوصلت أواسط رجب وأقمت فيه نحو خمسة وعشرين يوما بدا لي فيها بفضل الله وجه الرّشد وما احتجب، وألقيت عدة دروس بالأقصى والصخرة المنيفة، وزرت مقام الخليل ومن معه من الأنبياء ذوي المقامات الشريفة»[٤].

ومن هناك اتجه إلى (دمشق) حيث سرَّ كثيرا بأرضها وإنسانها، فدرَّس (البخاري) ولقي الإعجاب وحظي بتقدير عوضه ما عاناه في (مصر) فقرر الانتقال إليها من مصر بتشجيع من رجال دمشق أنفسهم فعاد إلى مصر للانتهاء من تحرير (نفح الطيب) وتصفية شؤونه فيها على نية السفر إلى (دمشق) لكن الأجل أدركه في (مصر) سنة (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) وروحه في (دمشق) التي قال فيها أعذب المشاعر، كمشاعر

الحنين إلى وطنه، وهو القائل فيها «الاعتراف بالحق فريضة ومحاسن الشام وأهله طويلة عريضة، ورياضه بالمفاخر والكمالات أريضة، وهو مقر الاولياء والأنبياء، ولا يجهل فضله إلا الأغمار الأغبياء»[٥].

وخلال رحلة الحياة الذاتية والروحية والعلمية، وجد (المقري) في (المغرب الأقصى) أولا وفي (المشرق العربي) ثانيا المناخ العلمي الصحي الذي فتق مواهبه الأدبية، وإمكاناته العقلية، فأثر في الحياة الدينية، خصوصا في (فاس) و(دمشق) وأنجز ما يقرب من ثلاثين كتابا، من بينها كتابان دلالتهما مهمة تعبيرا عن ميوله، وصلاته الفكرية أولهما كما سبقت الإشارة: «روضة الآس العاطرة الأنفاس» وثانيهما: «نفح الطيب».

بالكتاب الأول افتتح (المقري) حياته الفكرية والأدبية، وقد جاء من وحي المحيط العلمي الصحي الذي عاشه في (فاس) و(مراكش) فاختلط بعلماء البلد وفقهائه وسياسييه، وأعجب بهم، كما أعجبوا به، فشرع يكتب كتابه هذا في (فاس) بعد لقائه بالسلطان المغربي (أحمد المنصور) للتعريف بمن لقيهم من علماء المدينتين (فاس) و(مراكش) ليكون الكتاب هدية للسلطان في النهاية.

شرع يكتب عمله وهو في (فاس) وتابعه بعد عودته إلى (تلمسان) سنة (١٠١١هـ) لكنه حين عاد بالعمل جاهزا إلى (فاس) سنة (١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م) كان السلطان المغربي، قد لقي ربه قبل ذلك بسنة فبقي الكتاب هدية للمكتبة العربية في أكثر من ثلاثمئة وخمسين صفحة عن رجال الحاضرتين المغربيتين الذين بلغ عددهم أربعا وثلاثين شخصية، وتكفل بالسهر على طبعه وإخراجه إلى الناس، الأستاذ: (عبد الوهاب بن منصور) مشكورا.

أما كتابه (نفح الطيب) فقد ختم به حياته العلمية، وأنجزه في (مصر) سنة (١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) فقامت عليه شهرته بمادته وأسلوبه، أما المحرض على تأليفه فهو المحيط العلمي (الدمشقي) حين كان (المقري) هناك سنة (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م)؛ فلمس لدى القوم شغفا علميا، وودا صافيا طاهرا استحوذ على فؤاده، فيذكر أن حديثه لهم عن (الأندلس) و(لسان الدين بن الخطيب) جعل أحد علمائهم (ابن شاهين) يطلب منه تأليفا في الموضوع «كنا في خلال الإقامة بدمشق المحوطة، وأثناء التأمل في محاسن الجامع والمنازل والقصور والغوطة، كثيرا ما ننظم في سلك المذاكرة درر الأخبار الملقوطة، ونتفيأ من ظلال التبيان مع أولئك الأعيان في مجالس مغبوطة، نتجاذب فيها أهداب الآداب، ونشرب من سلسال الاسترسال ونتهادى لباب الألباب.. ونستدعي أعلام الأعلام، فينجر بنا الكلام والحديث شجون، وبالتفنن يبلغ المستفيدون ما يرجون، إلى ذكر البلاد الاندلسية، ووصف رياضها السندسية.. فصرت أورد من بدائع بلغائها ما يجري على لساني، من الفيض الرحماني، وأسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السلماني.. ما تثيره المناسبة وتقتضيه، وتميل إليه الطباع السليمة وترتضيه من النظم الجزل في الجدّ والهزل.

فلما تكرر ذلك غير مرّة على أسماعهم لهجوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة إجماعهم، وعلق بقلوبهم، وأضحى منتهى مطلوبهم، ومنية آمالهم وأطماعهم .. فطلب مني المولى أحمد الشاهيني إذ ذاك، وهو الماجد المذكور، ذو السعي المشكور أن أتصدى للتعريف بلسان الدين في مصنف يعرب عن بعض أحواله وأنبائه وبدائعه وصنائعه ووقائعه مع ملوك عصره

وعلمائه وأدبائه»، فحاول (المقري) الاعتذار لكن صاحبه يلح فلم يقو على رد طلب ملح لعزيز، فأقدم على عمله، وكله عزم وحزم، فقدم للمكتبة العربية مرجعا هاما وتحفة أسلوبية ذات تميز عربي، ببيانها على لسان أحد أبناء الضاد في (الجزائر) خصوصا، وفي المغرب العربي عموما.

فكان (المجلد الأول) عن (الأندلس) تاريخا ومدنا وإنتاجا، وطوائف وفتحا، وأعلاما، في السياسة، والفكر والدين والشعر والأدب، (في ٧٠٤ صفحة).

وكان (المجلد الثاني) عن بعض «من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق» فشمل نحو (٣٠٧ شخصية) بينما ضم (المجلد الثالث) «بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق».

والحصيلة أكثر من (٤٧٥ شخصية) ويتلاحق ذلك في معظم صفحات (المجلد الرابع)، أكثر من (٧٠٠ شخصية) متبوعة بحديث عن «تغلب العدو على الأندلس واستغاثة أهلها معاصريهم لإنقاذها» في أكثر من (مئتي صفحة).

ثم يستأثر (لسان الدين بن الخطيب) بثلاثة مجلدات: (الخامس) و(السادس) و(السابع) عن أسلافه، ونشأته، ومشائخه، وصلاته بالملوك والأكابر، مع جملة نماذج مطولة من إنتاجه؛ نثرا وشعرا ثم أولاده، وبعض صلاته الأخرى المختلفة.

وقد أفرد المحقق والناشر (المجلد الثامن) للفهارس المختلفة ذات النفع الكبير بالنسبة للباحثين عربا وأجانبا.

فالكتاب صورة أدبية فكرية سياسية قومية للأندلس التي أنجبت رجالا واستقطبت أعلاما فبنت لها مجدا أتلفه (ملوك الطوائف) فسحقوه تحت (حوافرهم) صراعا على المواقع و(المغانم).

لقد أحب (المقري) الأندلس وأدبيها (ابن الخطيب) كما أحب (دمشق) وأهلها، مثل هيامه الروحي بالبقاع المقدسة مهبط الرسالة المحمدية مثلما بقي الشوق مقيما فى نفسه إلى وطنه (الجزائر) التي تنفس هواءها وهواها، مثل (فاس) التي وضعت قدميه على طريق المجد عالما فقيها مصنفا أديبا.

فكان علما عربيا، بحس قومي تغلغل في أعماقه، وأنجز أعمالا خدمت أمته وعبرت عن إمكانياته، وظروف عصره سياسيا، وأدبيا.

فإن بقي أول عمل له (روضة الآس) إحدى الخطوات الأولى الناجحة له في معاجم الأعلام، فإن آخر عمل له (نفح الطيب) صورة متوهجة، حية، لآخر الأنفاس في (الأدب الجزائري) قبل أن يتدحرج نحو الهاوية في عصر (الظلمات) كما هو صورة في الوقت ذاته لمستويات الكلمة الشعرية في الأندلس بهذا الفيض من النماذج التي أشبع بها المؤلف صفحات (النفح) التي بلغت أربعة آلاف وثمانمئة وخمسين صفحة (٤٨٥٠ص) وهو تراث مشترك بين جناحي الوطن العربي (مشرقه ومغربه) له كله على (المقري) فضل، كما لهذا على وطنه الأكبر جميعه دين، في تقدير جهده، المقرون بالحب والإخلاص للذين يعطون أوطانهم بسخاء، من دون منٍّ ولا أذى.

الهوامش:

(١) مطبوعات القصر الملكي ، تقديم الأستاذ: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).

(٢) من أهم طبعاته، الطبعة اللبنانية ، في ثمانية مجلدات، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

(٣) ابو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط٢، ص٥٨، المكتبة العتيقة، تونس، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٤) أحمد المقري، نفح الطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، ج:١، ص ٥٦ - ٥٧.

(٥) المرجع نفسه، ص ٦٨.

قراءات في التراث:

قراءة جديدة .. لنص قديم

والتحق المقريزي في شبابه بعدد من الوظائف الحكومية فعمل أول ما عمل وهو في الثانية والعشرين من عمره موقعا بديوان الإنشاء ثم تنقل في وظائف أخرى فعين نائبا من نواب الحكم عن قاضي القضاة الشافعي - أي قاضيا - ثم خطيبا بجامع عمرو وبمدرسة السلطان حسن وإماماً بجامع الحكم ومدرسا للحديث بالمدرسة المؤيدية.

وفي سنة ٧٩١هـ اختاره السلطان برقوق محتسبا للقاهرة والوجه البحري وقد ولي هذه الوظيفة وعزل عنها أكثر من مرة. يقول السخاوي: «وحمدت سيرته في مباشراته».

وفي عام ٨١٦هـ سافر المقريزي إلى دمشق في صحبة السلطان الناصر فرج بن برقوق وعاد معه وعقدت أواصر الصداقة بينه وبين الأمير يزبك الدوادار ونالته منه دنيا على قول الشيخ السخاوي في كتابه «الضوء اللامع في اعلام القرن التاسع».

تقي الدين المقريزي من أشهر مؤرخي الإسلام وقد افتتن الباحثون العرب والأجانب بكتابه الفريد «الخطط والآثار» الذي سمي أيضا بالخطط المقريزية. وقد ولد المقريزي واسمه تقي الدين أحمد بن علي سنة ٧٦٦هـ في حارة برجوان بالقاهرة، وحارة برجوان تنسب إلى الوزير برجوان الذي كان يعمل في بلاط العزيز ثم في بلاط ابنه الحاكم ثم أحدث برجوان من الأخطاء ما دفع الحاكم إلى قتله. أما سبب تسمية المقريزي فذلك نسبة إلى حارة المقارزة في مدينة بعلبك. وقد تربى المقريزي في كنف جده لأمه ابن الصائغ الحنفي وقد كان في بداية دراسته العلمية حنفيا ثم تحول الى المذهب الشافعي شأن كثير من أهل الكنانة: وقد درس العلم وتأثر بصديقه وأستاذه ابن خلدون ولعل تأثره بذلك الرجل هو الذي وجهه إلى علم التاريخ.

وكان السلطان برقوق قد عرض عليه مرارا أن يوليه قضاء دمشق ولكنه أبى وفي عهد ابنه وُلّي النظر على أوقاف القلانسي والبيمارستان النوري بمدينة دمشق، وقام في نفس الوقت بالتدريس في عدد من مدارسها، وبخاصة في المدرستين الأشرفية والإقبالية وقضى بمدينة دمشق عشر سنوات عاد بعدها إلى القاهرة فعزف عن الوظائف الحكومية من ذلك الوقت ولزم داره حيث توفر على القراءة والدرس والتأليف.

وقد خرج إلى مكة في صحبة أسرته سنة ٨٣٤هـ لأداء فريضة الحج وجاور هناك نحو خمس سنوات شغل فيها بالتدريس والتأليف كذلك ثم عاد الى داره بحارة برجوان فلزمها الى آخر حياته يكتب ويؤلف في علوم مختلفة وبوجه خاص في علم التاريخ حتى نبغ فيه وبز أقرانه ومعاصريه من

بقلم: **د. طاهر تونسي** جامعة الملك عبد العزيز - جدة -

مؤرخي القرن التاسع الهجري.

وللمقريزي مؤلفات عديدة وانتاج تاريخي خصب وكثرة انتاجه تجعل القاريء يعتقد أن المقريزي كان ممتشقا قلمه على الدوام. فمن مؤلفاته العظيمة «الخبر عن البشر» و«إمتاع الأسماع بما للرسول من الابناء والحفدة والمتاع».. و«الدرر المضيئة في تاريخ الدولة الاسلامية» أما مصر فكان نصيبها من المقريزي النصيب الأوفر.

فقد تناول التاريخ العمراني لمصر في كتابه العظيم «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» وقد أرخ في هذا الكتاب للمدن المصرية الهامة وما كان يكتنفها من خطط وحارات ودروب وأزقة وأسواق وما كان يتناثر فيها من دواوين ودور وقصور للحكمة والعلم.

يقول المقريزي في مقدمته: «وكانت مصر هي مسقط رأسى وملعب أترابي ومجمع ناسى ومغنى عشيرتي وموطن خاصتي وعامتي. ولازلت منذ شَدَوْتُ العلم وأتانى منه ربي الفطانه والفهم، أرغب في معرفة أخبارها وأحب الإشراف على الاغتراف من آبارها وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها فقيدت بخطى في الأعوام الكثيرة وجمعت في ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب، إلا أنها ليست بمرتبه على مثال ولا مهذبة بطريقة ما نُسج على منوال، فأردت أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الخالية».

وبعد أن أرخ لمصر جغرافيا وعمرانيا توجه نحو التاريخ السياسي لمصر فألف فيه. وقد قسم المقريزى جهوده الى ثلاثة أعمال تاريخية هامه. أما عمله الأول فهو كتابه «عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط» وهو كتاب مفقود أرخ فيه لمصر منذ الفتح الإسلامى إلى نهاية الدولة الإخشيدية. ثم توجه بيراعه الخلاب إلى العصر الفاطمى فألف «إتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا» ثم انصرف في أخريات أيامه الى تأليف مؤلفات صغيرة أشبه بالرسائل منها كتابه «النزاع والتخاصم فيما بين بنى أميه وبنى هاشم» ورسالته «ذكر ما ورد في بنيان الكعبة المعظمة» و«ضوء الساري فى معرفة أخبار تميم الداري» و«الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك» و«البيان والإعراب فيمن نزل أرض مصر من الأعراب».

وسنقلب معا كتابه «إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا» وقد قام بتحقيقه الأستاذ الكبير والمحقق السكندرى الشهير جمال الدين الشيال. والأستاذ الشيال معروف لقراء التاريخ الإسلامي فهو يعد في الرعيل الأول من أساتذة التاريخ الإسلامي شأنه شأن نظيره الآخر الدكتور حسن ابراهيم حسن صاحب التصانيف الكثيرة في التاريخ الإسلامي.

وقد قام الاستاذ الدكتور جمال الدين الشيال بتحقيق مخطوط «الذهب المسبوك بذكر من حج من الملوك» ومخطوط «إغاثة الأمه بكشف الغمه» للمقريزى. ومن اعظم أعمال الدكتور الشيال في مجال التحقيق التاريخى تحقيقه لمخطوط ابن واصل «مفرج الكروب في تاريخ بني أيوب» ومن مؤلفاته كتابان أولهما: «أعلام الاسكندرية» وقد ترجم فيه لنفسه و«تاريخ دمياط» وليت احد الباحثين يجمع لقراء العربية ما تناثر من مقالاته التاريخية فى شتى الصحف والدوريات.

أما تحقيق الاستاذ الشيال لمخطوطة «إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا» فقد أصدرته لجنة إحياء التراث الاسلامي في ذكرى القاهرة الألفية.

وقد قدم للتحقيق شيخ المحققين محمد ابو الفضل ابراهيم مقدمة قال فيها «وكانت الدولة الفاطمية من أعظم الدول التى عاشت في مصر أكثر من قرنين وكان لها تاريخ حافل ولخلفائها في

الحضارة أثر بعيد منهم الذين اسسوا القاهرة المعزية فكانت قبة الإسلام وحاضرة الأنام ومنارة للمعارف والآداب كما أقاموا دور الكتب والخزائن وجلبوا اليها الكتب والأسفار وأرصدوا لها الأموال واعدوا لطلاب المعرفة القوام والنساخ وهوت اليها افئدة العلماء من شتى الجهات ينهلون العلم من أعذب مورد وأصفاه، هذا إلى ما كان لهم من أثر فى بناء المساجد والقصور والبساتين في جنبات القاهرة على ضفاف النيل وما تجردت له همتهم في اعداد الجنود وانشاء الأساطيل تجوب المياه، فضلا عما كان لهم من عادات في المواسم تميزت بها دولتهم ومازالت بحياتنا الإجتماعية إلى اليوم». لقد كان تاريخ الدولة الفاطمية موزعا في كتب التاريخ والأدب والعقائد ممتزجا بغيره من تاريخ الدول إلى أن جاء الإمام المقريزى أحمد بن على فجمع شتاته وضم ما تفرق منه وأضاف إليه ما اجتمع لديه من ثمرات مطالعاته وما تهيأ له من المناصب التي تولاها ووضع هذا الكتاب الذى أسماه «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا» أدارة على تاريخ من ملك القاهرة من الخلفاء وعلى جملة أخبارهم وسيرهم وجعله حلقة من سلسلة كتبه التى وصفها فى تاريخ مصر والقاهرة. والمقريزى شيخ مؤرخى الاسلام وفارس هذه الحلبة غير معارض في كل ما ألف وصنف وفي جميع ما نقل وروى مما جعل كتبه المصدر الأصيل في تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها وخططها وآثارها ومعارفها وفنونها وآدابها وعلمائها وأعيانها.

وقد سبق للمستشرق هو جو برنز أن قام بنشر هذا الكتاب سنة ١٩٠٩م عن نسخة ناقصة مخطوطه محفوظة بمكتبة جوتا بألمانيا، وهي النسخة الوحيدة التي كانت معروفة في ذلك الحين. وفي سنة ١٩٤٥ قام الدكتور الشيال باعادة نشر هذه النسخة. ومع مضى الأيام وتتابع البحث وجد من هذا الكتاب نسخة أخرى كاملة محفوظة بمكتبة سراى أحمد الثالث باستنبول فجد معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في تصويرها ثم قام الدكتور الشيال باعادة تحقيق الكتاب عليها مرة ثانية بعد أن أضاف إلي جهده السابق مزيدا من التحرير والتحقيق وشرح المصطلحات والتعريف بالأعلام ما شاعت له معارفه التاريخية ومكانته العلمية واطلاعه الغزير الوافر.

وقد تحدث الدكتور الشيال عن النسخة الكاملة المخطوطة بمكتبة سراي أحمد الثالث بقوله: «المخطوطة الكاملة الموجودة في مكتبة سراى أحمد الثالث رقم ٣٠١٣ هي النسخة الوحيدة من هذا الكتاب في العالم. وقد كتبت بقلم تعليق، ونقلت من نسخة المؤلف الخاصة المكتوبة بخطه كما نص على ذلك في اكثر من موضع بالمخطوطة وفي نهاية الكتاب وقد تم نسخها سنة ٨٨٤هـ (أي بعد وفاة المقريزى بتسع وثلاثين سنة فقط) على يد محمد بن أحمد الجيزى الأزهري.

وكتاب «اتعاظ الحنفا» يؤرخ للدولة الفاطمية كلها مبتدئا بذكر ثبت كامل واف لأولاد على بن أبى طالب من نسل الحسن والحسين وتتبع الأسماء في هذا الفصل أمر شاق عسير. وعرض بعد ذلك المقريزى لمشكلة النسب الفاطمى ولهذا الفصل أهميته إذ أن المقريزي من المؤرخين القلائل الذين أيدوا النسب الفاطمى مثله في ذلك مثل ابن خلدون وعمارة اليمنى. ومنهجه في عرض القضية منهج منطقي.

فقد نقل أقوال الطاعنين في النسب كابن النديم وأخى محسن وأثبت أنهما ينقلان عن ابن رزام وأنه أول من أشاع قصة انتمائهم إلى عبد الله بن ميمون بن دلعبان الثنوى القداح ثم فند أقوال الطاعنين مستعينا بأقوال المؤرخين الآخرين المؤيدين للنسب مضيفا إليها براهينه الخاصة.

ومشكلة النسب الفاطمى مشكلة قديمة حديثة

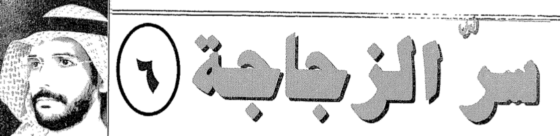
شغلت كل من تعرضوا للتاريخ الفاطمي من عرب ومستعربين من قديم حتى اليوم. وأرخ المقريزي بعد ذلك لقيام الدولة الفاطمية في المغرب فتحدث عن جهود الدعاة الأوائل كأبي سفيان والحلواني وعن رحلة ابن عبد الله الشعبي من اليمن إلى المغرب وجهده في التمهيد لاقامة الدولة ثم انتقال عبيد الله المهدي من سلميه بالشام إلى المغرب.

وفي فصل قال أرخ المقريزي للخلفاء الفاطميين الأربعة الذين حكموا في المغرب وفصل الحديث عن الصعوبات التي اعترضتهم - وخاصة ثورة أبي يزيد - وعن الجهود التي بذلوها لتدعيم أسس الدولة الجديدة كانشاء المهدية عاصمتهم الجديدة ومد فتوحهم غربا إلى المحيط الأطلسي. ثم تحدث المقريزي عن الفتح الفاطمي لمصر وتأسيس مدينة القاهرة وبناء الجامع الازهر وعرض للخطر القرمطي الذي كان يهدد شعب مصر وقتذاك فعقد فصلا طويلا أرخ فيه للقرامطة وتحركاتهم وحروبهم على حدود مصر وفي جنوبي الشام على عهدي الخليفتين المعز لدين الله والعزيز بالله.

وأفرد المقريزي بعد ذلك لكل من الخليفتين - المعز والعزيز فضلا. والمعز والعزيز هما بلا شك أعظم خلفاء الفاطميين. ونقتطف من كلام المقريزي هذا النص الهام الذي يؤرخ فيه لمقتل مؤسس الدولة الفاطمية أبي عبد الله فيقول: «وكان سبب قتله أن المهدي لما استقامت له البلاد باشر الأمور بنفسه وكف يد أبي عبد الله فقال ابو عبد الله للمهدي: لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كتامه آمرهم وانهاهم لأني عارف بعاداتهم لكان ذلك أهيب لك عند الناس. ثم علم أبو عبد الله أن المهدي قد تغير عليه فاتفق مع أخيه بجامعه على المهدي ودخلوا عليه مرارا فلم يجسروا على قتله ونقل ذلك إلى المهدي من رجل كان يوافقهم على ما هم فيه ثم يأتي المهدي فيخبره فأخذ المهدي في تفريق القوم في البلاد، وكان كبيرهم أبا زاكي فسيره واليا على طرابلس وكتب إلى عاملها سرا بقتله عند وصوله فلما وصل أبو زاكي قتله العامل وأرسل برأسه إلى المهدي فأمر حينئذ بقتل جماعة وأعد رجالا لأبي عبد الله وأخيه أبي العباس فلما وصلا إلى قرب القصر حمل القوم على أبي عبد الله فقال: لا تفعلوا فقالوا له: إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك.. فقتل هو وأخوه في اليوم الذي قتل فيه أبو زاكي وذلك يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ٢٩٨هـ بمدينة رقاده وصلى عليه المهدي وقال: رحمك الله يا أبا عبد الله وجزاك الله خيرا بجميل سعيك.

ويتحدث عن المعز لدين الله الفاطمي فيقول: «واجتمع للمعز بمصر مالا يجتمع لأبائه فهزمت القرامطة في أيامه مرارا: مرتين في البر على باب مصر ومرتين في البحر وما تم عليهم هذا قط منذ ظهور أمرهم وأقيمت له الدعوة يوم عرفه في مسجد ابراهيم عليه السلام وبمكه والمدينة وسائر أعمال الحرمين ولم تهزم له رايه. وتتابعت له الفتوح ونصبت الستائر على الكعبة وعليها اسمه ونصبت له المحاريب داخل الكعبة وعليها اسمه. وكان المعز عالما فاضلا جوادا على منهاج ابيه في حسن السيرة وانصاف الرعية».

أما عن العزيز بالله يقول المقريزي: «كان أسمر طوالا أصهب الشعر أعين أشهل عريض المنكبين شجاعا حسن العفو والقدرة لا يعرف سفك الدماء حسن الخلق قريبا من الناس بصيرا بالخيل وجوارح الطير محبا للصيد تعرَّف به حريصا على صيد السباع خاصة وكان المثل يضرب بأيام العزيز في مصر لأنها كانت كلها اعيادا وأعراسا.. ثم تحدث عن الحاكم بأمر الله وعن الخلفاء الفاطميين الذين خلفوه حتى نهاية الحكم الفاطمي التي يصفها وصفا بليغا وكيف تم سقوطها على يد أسد الدين شيركور وابن أخيه يوسف بن شاذي الشهير بصلاح الدين الأيوبي.



سرّ الزجاجة (٦)

بقلم: د. عبد الرزاق فراج الصاعدي
الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة -

المنتحي والمتنحوي:

نشرت تعقيباً على الشيخ العلامة أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في ملحق الأربعاء بجريدة المدينة (١٤١٧/٨/٨هـ) فأشار علي بعض الزملاء أن أنشر المقال في مجلة أدبية متخصصه كالمنهل أو المجلة العربية أو مجلة الفيصل أو المعرفة؛ لتتحقق فيه صفة المرجعية، فقلت إن ذلك متحقق في ملحق الأربعاء الذي يطلع عليه كثير من القراء.

ثم وصلت إليّ رسالة من قارئ من مصر يذكر فيها أنه اطلع على كلمة الشيخ أبي عبد الرحمن في المجلة العربية وعنوانها «كفى يا صاعدي» ويودّ هذا القارئ أن يعرف رأيي في تلك المسألة اللغوية الدقيقة.

فرأيت إعادة نشر المقال في مجلة المنهل ليطّلع عليه القراء الكرام في الوطن العربي الكبير من خلال «سر الزجاجة» ولأتمكن من إصلاح بعض الأخطاء الطباعية غير المقصودة التي وقعت فيه حين نشره.

وأرجو أن يعلم الشيخ الجليل أنني أهدف في كل ما أكتب إلى الرقي بهذه اللغة الشريفة، وتحبيبها إلى الناس وبيان أصولها إن لزم الأمر، وأرى أن الحوارات العلمية النزيهة تسهم في تحقيق ذلك، وهي فن علمي قديم كان يأخذ شكل الردود، خلّف لنا مؤلفات علمية نفيسة، كنقض الهاذور لأبي على الفارسي، والرد على سيبويه للمبرد، والانتصار لسيبويه لابن ولاد، وفرحة الأديب للأسود الغندجاني، وهو ردّ على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه، ومثل ذلك كثير جداً قديماً وحديثاً، وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

وليسمح لي الشيخ الكريم أن أطلع من سألني من القراء على تلك الكلمة، أما رأيي في كلمة الشيخ الأخيرة المنشورة في المجلة العربية التى كان عنوانها «الرمي في الهواء» فسيأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى.

فأقول وبالله التوفيق:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى.

أما بعد: فإني أعلم - كغيري - أن الشيخ أبا عبد الرحمن بن عقيل «محمد بن عمر» ظاهري المذهب، حزمي النهج والعواطف، إن هش بش، وإن سخط عبس وبطش، وأن لديه من البلاغه والأسلوب ما يستطيع به إقناع القارئ بالشيء وضده، ولا أزيد فيه عن قول ابن قتيبة في الجاحظ: إنه أشد الأدباء تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم، وتصغير العظيم حتى يصغر، ويبلغ به الاقتدار أن يعمل الشيء ونقيضه (تأويل مختلف الحديث ٨١).

وأعلم أن أبا عبد الرحمن - كغيره من الناس - يُشجّ ويُبْري، ويعرف وينكر، وله طعمان: أرْيٌ وشَرْيٌ، وكلا الطعمين قد ذاق كلٌّ - كما قال الشنفري.

وأعلم أنه مغرم بالغرائب والمبتدعات، وهو القائل: «أما بعد؛ فيا أيها الناس: إن من أمتع مبتدعاتي - ويا ما أكثرها (؟!) - أن تكون مقدمة

كتابي في أثنائه، وبعد فصلين من فصوله (القصيدة الحديثة وأعباء التجاوز ٧).

وهو مع ذلك طود شامخ في اللغة والأدب، وقد أثرى الساحة بكتبه ومقالاته، فقرأت كثيراً منها منذ أن توقد في قلبي حب اللغة والأدب، واستفدت مما فيها، وقد شرّق الشيخ وغرّب وأصعد وانحدر، وأخذتُ عليه أشياء في أصول اللغة وفروعها، أوشكت أن أخرجها في كتاب، ثم تراجعت إشفاقاً على نفسي، أما مذهبه الفقهي وسائر اجتهاداته فهو شأنه الخاص.

فيا أيها الشيخ الفاضل الذي نحترمه؛ ليس لك أن تلزمني برأيك الخاص، أو ما تختاره من غرائب الآراء والأقوال، إنما يلزمني ويلزمك ما استقر من مقاييس اللغة، وما قرره الجمهور من علماء العربية المتقدمين والمتأخرين، وليس لنا أن نخالفهم أو ننقض ما استقر إلا بالحجة والبرهان.

فاسمح لي - أيها الشيخ الكريم - أن أوجز لك مفهومي المتواضع في مسألة: (المتنحي والمتنحوي) ثم أعلق على بعض ما جاء في مقالتك الأخيرة (المجلة العربية: العدد ٢٣٤) سائلا المولى - عز وجل - أن يريني وإياك الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

فأقول: اسم الفاعل مما زيد فيه تاء في أوله وضعّفت عينه مثل: تأدّب وتفقّه يأتي على وزن (المتفعّل) فيقال: المتأدّب والمتفقّه، ويأتي من الرباعي المزيد بتاء في أوله من نحو تدحرج وتبعثر على وزن (المتفعلل) أو ما ألحق به، فيقال: المتدحرج والمتبعثر. ومما ألحق به: المتجلبب من تجلبب، وأصله (جلب) ثم ألحق بالرباعي بزيادة باء ثانية، فقالوا: جلبب، ثم زيدت التاء في أوله، ومثله: المتسعود من (تسعود) والواو للإلحاق.

ولاسم الفاعل أقيسة أخرى لا حاجة لذكرها هنا، وأنت تعرفها أيها الشيخ.

فاسم الفاعل مما نحن فيه هنا إما (المتفعّل) وإما (المتفعلل) الأول خاص بالثلاثي والثاني خاص بالرباعي وما ألحق به، وكلمة «النحو» كلمة ثلاثية، واسم الفاعل منها قبل الزيادة: (الناحي) وبعد زيادة التاء والتضعيف: (المتنحّي) مثل: المتأدّب والمتفقّه والمتبحر والمتعلم والمتديّن، كل ذلك ثلاثي الأصل.

فالمتنحي هو الوجه في اسم الفاعل من ذلك الفعل المزيد، مع أن المتنحوي - وهو الوجه الذي تختاره - قد يصح على وجه من وجوه اللغة، وهو الإلحاق، إلا أنه سماعي يحفظ ولا يقاس عليه إلا عن بعض النحاة، وخصه بعضهم بالضرورة، قال ابن يعيش في (شرح المفصل ٧/ ١٥٥): «وهذا القبيل من الإلحاق مطرد ومقيس حتى لو اضطر ساجع أو شاعر إلى مثل ضربب وخرجج جاز له استعماله، وإن لم يسمعه من العرب».

وهذا يعني أن (المتنحّي) هو الأفصح، وأنت تقول إن الصواب هو (المتنحوي) وتنكر (المتنحّي) في هذا المعنى، أي الذي يتكلّف النحو ويتعاطاه، وتصرّ على ذلك في مقالتيك الاثنتين، ومع ذلك تنكر الإلحاق في العربية، مع أنه مخرجك الوحيد فيما ذهبت إليه.

واسمع لي - أيها الشيخ الفاضل - بأن أبيّن القارىء الكريم وجه الإلحاق في قولك (المتنحوي) ليكون على بيّنة من خلافنا هذا.

فأقول أولا: إن الإلحاق وسيلة من وسائل اللغة في صوغ أفعال جديدة ذات دلالات متجددة، ويكون الفعل الملحق عادة ثلاثياً، فيزاد حرفاً ليلحق بالرباعي المجرد، أو يزاد حرفين ليلحق بالرباعي المزيد بحرف، أو يزاد ثلاثة أحرف، مثل جهور وبيطر وشملل الأصل: جهر وبطر وشمل.

وأقول ثانيا: إن (المتنحوي) اسم فاعل من فعل ثلاثي ملحق بالرباعي، وتقديره مع فعله: (تَنَحْوَوَ) بواوين - فهو (المتنحوو) ثم قلبت الواو الثانية في الفعل ألفاً لعلّة صرفية معروفة، فأصبحت الكلمة

(تنحوى) على وزن (تفعلل).

وهذه الألف قلبت ياء في اسم الفاعل لكسر ما قبلها، فقالوا: المتنحوي، فإن جئت بها نكرة قلت: متنحو، حذفت الياء كما تحذفها في: داع وقاض وغواش.

وقد يجوز وجه آخر في الإلحاق، وهو أضعف من سابقه، وذلك أن يكون فعل المتنحوي ملحقاً بالرباعي بزيادة الألف مثل: سلقى، من قولك: سلقاه على ظهره، فيكون وزن الفعل (تنحوى) إن صح هذا التوجيه: (تفعلى) واسم الفاعل منه المتنحوي - أيضاً - ووزنه (المتفعلي).

ولولا وجه الإلحاق لقلت لك إن المتنحوي كلمة عامية، ونظيرها من كلام بعض العامة: المتخطوي، يريدون: المتخطي، ولو تدبرت ذلك - أيها الشيخ الكريم - لوجدت أن المتنحوي كلمة لا نظير لها في فصيح الكلام مما اعتلّ لامه كالنحو والدلو، أما المتنحّي من النحو فلها نظائر لا حصر لها؛ لأنها هي القياس، ومن ذلك قولهم من الدلو: تدلى فهو المتدلي وليس المتدلوي، ومن البدو: تبدّى فهو المتبدى وليس المتبدوي ومن اللهو: تلهى فهو المتلهي وليس المتلهوي، ومن العلو: تعلّى فهو المتعلّى وليس المتعلوي، ومن التربية: تربّى فهو المتربي، وليس المتربوي، وكذلك تفشى الخبر فهو المتفشي وليس المتفشوي، وتعنّى فهو المتعنّى وليس المتعنوي، وتصدّى للأمر فهو المتصدّي وليس المتصدوي، وتعرّى فهو المتعرّي وليس المتعروي، وتغشى فهو المتغشّي وليس المتغشوي، وغير ذلك كثير جداً يخرج في كتاب.

ولذا يقال من النحو على قياس كلام العرب: تنحى الأستاذ وتعمّق في النحو فهو المتنحّي وليس المتنحوي، إلا على ذلك الوجه الضعيف إن صح.

وقد ورد في مقالتك - أيها الشيخ - كلمات تحتاج إلى بيان أو تعليق، فمنها:

١ - **تقول:** «وكرّر عبارة: يا بني .. يا بني.. ولا أدري من أين جاءت هذه البنوة؟!»

فأقول: ورد هذا في حوار كان الخطاب فيه موجها لي أنا دون غيري، ولم أعنك بها إطلاقاً، ويبدو أنك تعجّلت في الفهم.

٢ - **تقول:** «قولي (المتنحوي) مأخوذ من (النحو) الفن العلمي القائم بذاته، فهو اشتقاق اسم من فعل، وأسميه اشتقاقاً على مذهب القوم، وإلا فهو تحوّل إلى صيغة، والصيغ غير مشتقه... الخ».

وهذا امتداد لرأيك في الاشتقاق إذ تقول في كتابك (اللغة العربية بين الواقع والمثال ص ١٦): «أما الألفاظ فليس فيها مشتق؛ لأن كل الصيغ وضعها العرب بدءاً ، فليس ضارب مشتق من ضرب».

فأقول: هذا قول ضعيف - أيها الشيخ الجليل - وأنت مسبوق فيه، قال السيوطي في (الهمع ٢١٣/٢): «وزعم قوم من أهل النظر أن الكلم كله أصل وليس منه شيء مشتق من غيره».

وقد ردّ الشيخ محمد الطنطاوي هذا الرأي، وأشار إلى ضعفه في كتابه (تصريف الأسماء ٤١) وذكر أنه لا يحتاج إلى تعليق، وأنه مدفوع بأن الصلة بين الكلم العربية محسّة وثيقة اللفظ والمعنى، فلابد من اعتبار الأصالة فيها والفرعية، والتعويل على هذا القول قاض بانفكاكها وعدم ارتباطها، ثم قال: «فالحق أنه في غاية الهزال».

وهذا إمام العربية ابن فارس يقول في (الصاحبي ٥٧): «أجمع أهل اللغة - إلا من شذ منهم - أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض».

٣ - **تقول:** «قولي (المتنحوي) لا علاقة له بالمتنحي بمعنى المبتعد، لأني لا أريد معنى الابتعاد وإنما أريد معنى النحو الفن العلمي».

فأقول: مهما يكن المراد فإن القياس هو القياس، وإنّ تصريف اسم الفاعل لا يتبع ما في الكلمة من معان متعددة، وإنما يتبع قياساً لفظياً،

فينظر في لفظ الكلمة وبنائها، فمهما كان معنى كلمة «النحو» فإن اسم الفاعل منها يأتي - عند زيادة التاء - على وزن المتفعل، فيقال المتنحي وليس المتنحوي.

٤ - **تقول:** «.. لأن المشتق يستقل عن المشتق منه ويكون له عالمه الاشتقاقي الذي يؤخذ منه مباشرة..»

فأقول: ما رأينا هذه القاعدة من قبل، فمن قالها أيها الشيخ؟ إن كنت أنت صاحبها فأرجو أن تفصّلها لتعميم الفائدة.

٥ - **تقول:** «كيف يطلب الأخ الصاعدي من العرب أن يوجد في كلامهم: المتنحوي (هكذا) وهم لا يعرفون في سليقتهم فناً اسمه النحو، وإنما هو مصطلح ثقافي طرأ على أميتهم كالفاعل والحال والمجاز».

فأقول: لم أطلب منهم ذلك أبداً، وإنما أطلبه مني ومنك ومن كل من يتكلم بلسان العرب ويريد أن يشتق اسم الفاعل من «كلمة» النحو عند زيادة التاء في أولها أن يقول: المتنحّي قياساً على كلام العرب، ويبدو أنك نسيت أنك اشتققت ذلك باختيارك، ولكنك اخترت الوجه الضعيف.

٦ - **تقول:** «أسألك بالذي خلقك فسوّاك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك: في أي مصدر وجدت أن النحو - الذي هو الفن العلمي القائم - له فعل مسموع بإجماع العلماء، وهو نحا ينحو نحواً..».

فأقول: وجدت ذلك في معاجم اللغة، وهو نحا ينحو نحواً وناحية، وهو فعل قديم في اللغة، ومنه اشتق علم النحو، ولهذا قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مخاطباً أبا الأسود في نشأة النحو: «انحُ هذا النحو» (ينظر معجم الأدباء ٤/ ١٤٦٧) وقال له أيضاً مرة أخرى: «ما أحسن هذا النحو الذي نحوته».

قال ياقوت معلقاً على هذا: «فلذلك سمي نحواً» (معجم الأدباء ٤/١٤٦٧).

وقال الخليل في (العين ٣/٣٠٢): «وبلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية فقال للناس: انحوا نحو هذا فسُمِّي نحواً».

وقال ابن فارس في (المقاييس ٥/٤٠٣): «النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد. ونحوتُ نحوه. ولذلك سمي نحو الكلام؛ لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به».

هذا جواب ما سألتني بالله عنه، وأنا أقول لك الآن: أسألك بالذي خلقك فسوّاك فعدلك أن تفسّر لي - على مذهبك - كيف جاءت تلك الياء في (المتنحوي) مع بقاء الواو؟ وأن تزن لي الكلمة.

٧ - **تقول:** «إن المشتق - وهو علم النحو - عالم آخر له فعله الخاص يجوز لنا أن نحدثه حسب أصول التصريف منذ استجدَّ الاصطلاح عليه في لغة العرب».

فأقول: ما هذا الفعل؟ لو أحدثته - أيها الشيخ - حسب أصول التصريف - كما تقول - لما اختلفنا هنا فيه وفي اسم الفاعل منه؛ لأن القياس طريق واحد، نلتقي فيه شئنا أم أبينا.

٨ - **تقول لي:** تشبثك بالإلحاق بالرباعي تشبث طالب لا يفقه من اللغة إلا ما لقّنه الأستاذ في مراحل الطلب، فحفظ العبارة بلا فقه..»

فأقول: صدقت أنا تلميذ لجميع أساتذتي في الجامعة - حفظهم الله - ولن أنسى فضلهم عليّ وما حفظته عنهم يغنيني إن شاء الله.

٩ - **تقول:** «والواقع أنه ليس هناك أصل اسمه الإلحاق بالرباعي».

فأقول: إنكارك الإلحاق بالرباعي من تلك الغرائب.

واعلم - أخيراً أيها الشيخ - أن الخطأ لا يحطّ من قدرك ولا يُنقص من علمك، فكل إنسان يؤخذ منه ويردّ إلا صاحب ذلك القبر [صلى الله عليه وسلم] ومن يسلم من التقصير وسوء الفهم والعثرة والزلة؟!!

كبرياء الحرمان

للشاعر: **يس قطب الفيل**
- مصر -

فى ظلمة البوادى
أبحرتَ
لم تدع صدى
ولا استكنتَ
فوق راحة المدى
ولا استرحتَ
في مسيركَ الطويلْ
يا عابر السبيلْ
تحسَّس الطريقَ
.. لا تغامرْ ..
.. إياك أن تقامر
أو تنسف المعابرْ
فما تراهُ
إن يكن سرابْ
يقود للعذابْ
أو كانت البوادى
بداية البداية
في رحلة العناد
فقد تعود مُكْرَهاً
إلى عنائك القديم
متشحاً بألف كبرياء
.. فلم تزلْ ..
وما تزالُ وجبة
أو نصف وجبة
فى كل عام ..
خير من الطعام
ألف مرة
على موائد اللئامْ.

النخلة : تمرها .. غذاء ودواء

أوراق زوجية

ابو عواد / ام عمرو

رسالة الى السيدة الجميلة

نداء الشجر



النخلة: تمرها .. غذاء ودواء

بقلم: أ.د. سامية محمد مصطفى عامر
- مصـر -

النخلة شجرة من الفصيلة النخيلية كثيرة في بلاد العرب، ولا سيما الحجاز والعراق ومصر، ويزرع لثمره المعروف بالبلح (Date) أو التمر، أو للزينة، مفرده نخلة وجمعه نخل ونخيل[١].

الاسم العلمى للنخيل فينكس داكتيليفيرا (Phoe-nix dactylylifera) والشجرة معمرة، يبلغ طول ساقها نحو ٣٠م. وتتوجها أوراق ريشية كبيرة، بقواعدها عدة أشواك حادة، ونخيل البلح ثنائي المسكن، أى أن الأزهار المؤنثة تحمل على نبات، والمذكرة على نبات آخر ويخصب بنقل عراجين من النخلة المذكرة ووضعها بين عراجين كبائس النخلة المؤنثة عقب انشقاق الأغريض وبروزها منه، وتكون ثمار البلح خضراء، ثم تتحول إلى اللون الأصفر أو الأحمر، ثم ترطب فيصير الأصفر بنيا والأحمر مسودا[٢]. وثمر النخل له أسماء متعددة حسب مراحل نضجه فيسمى بسراً ما دام غضا طريا، ويدعى بلحاً ما دام أخضر، وتمرا حينما يصير يابساً. ويتراوح طول البلحة بين ٢ر٥ - ٥ر٧ سم والبلح غذاء رئيسى لسكان البوادى والواحات[٣].

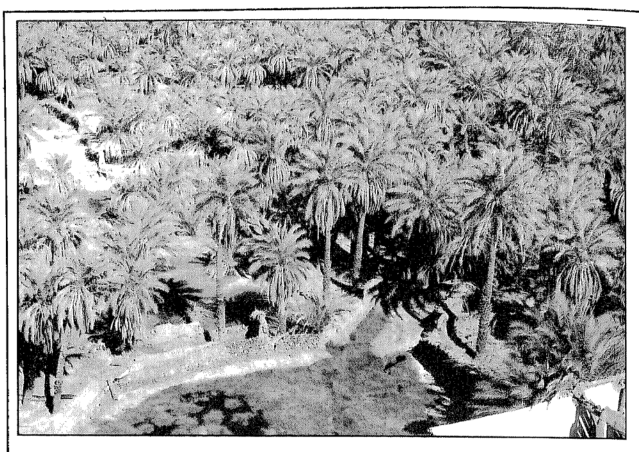
ونخلة البلح تكاد تكون الشجرة الوحيدة التى يستفاد من كل جزء منها، فبينما ثمارها تحتوى على معظم المركبات الغذائية الأساسية من كربوهيدرات وبروتينات وفيتامينات وأملاح معدنية، فإن جذوعها وسعفها تستخدم فى العديد من الصناعات الريفية وحديثا أمكن صنع ألواح من الخشب المضغوط من سعف النخيل[٤].

منزلة النخلة في الديانات السماوية المختلفة:

لقد حظيت النخلة بالتكريم من الله عز وجل والتفرد والتمييز على بقية الزروع، ومن سمات تميزها ذكرها فى القرآن الكريم فى عشرين آية في مواضع مختلفة فى ست عشرة سورة، وقد احتلت مكانة سامية في جميع الأديان السماوية، فنجد اليهود يطلقون على بناتهم اسم تامار - من التمر - تشبيها لهن بالنخلة، لتمتع النخلة بالخصوبة، والقوام المشوق، والطعم الحلو[٣] وفي المسيحية شهدت هذه الشجرة وحدها دون سائر المخلوقات ميلاد المسيح عيسى عليه السلام وكان ثمرها غذاء ودواء.. وسكينة للنفس.. وقرة عين للسيدة مريم ابنة عمران.. أليس هذا أكبر دليل على تميزها.. ونيلها الشرف الرفيع، فليس من الشجر، شجرة أكرم على الله من شجرة حَنَّ جذعها إلى رسول الله {صلي الله عليه وسلم} لما فارقه: شوقا إلى قربه وسماع كلامه[٥].

وهذا ما ذكره القرآن الكريم فى قول الله عز وجل فى سورة مريم: (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متُّ قَبْلَ هذا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسيا. فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سَرِيّاً، وهُزِّى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. فكلي واشربي وقرى عينا} (الآية/ ٢٣ - ٢٦)[٦].

وفي الصحيحين، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «بينا نحن عند رسول الله {صلي الله عليه وسلم} (جلوس): إذا أتى بجمار نخلة، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: إن من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم: لا يسقط ورقها: أخبرونى: ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادى. فوقع فى نفسى: أنها النخلة ، فأردت أن أقول هى النخلة، ثم نظرت فإذا أنا أصغر القوم سنا: فسكت فقال رسول الله {صلي



الله عليه وسلم}: هى النخلة. فذكرت ذلك لعمر. فقال: لأن تكون قلتها أحب إلى من كذا وكذا(١٠) وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله {صلي الله عليه وسلم} «بيت لا تَمْرَ فيه جياعٌ أهله» أخرجه أحمد فى مسنده (١٨٨/٦). وفي الصحيحين، عن عبد الله بن جعفر: رأيت رسول الله {صلي الله عليه وسلم}: «يأكل القثاء بالرطب» أخرجه ابن ماجة (٣٣٢٥)، وفي سنن أبى داود عن أنس، قال: كان رسول الله {صلي الله عليه وسلم} «يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن رطبات فتمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء» أخرجه أحمد فى مسنده (١٦٤/٣). وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - {صلي الله عليه وسلم} «إن فى العجوة العالية شفاء» أخرجه مسلم عن عائشة (١٦١٩/٣). وروى عن سلمة بنت قيس قالت: قال رسول الله {صلي الله عليه وسلم} «أطعموا نساءكم فى نفاسهن التمر فإن من كان طعامها فى نفاسها التمر خرج ولدها حليما»[٨].

الإحتياجات البيئية الملائمة لنمو أشجار النخيل:

١ - درجة الحرارة:

تعتبر الحرارة من أهم العوامل المحددة لانتشار النخيل وإثماره بحالة إقتصادية. وهي العامل المحدد لتحديد المناطق الملائمة لزراعة الأصناف المختلفة، واختيار ما يناسب كل منطقة منها. ويحتاج النخيل بصفة عامة إلى درجة حرارة مرتفعة - كل أشهر الصيف لانتاج ثمار جيدة على اختلاف أصنافه فالأصناف الطرية مثل الزغلول والسماني والحياني والأمهات وبنت عيشة يحتاج درجة حرارة تزيد عن ٢٧°م.

والأصناف النصف جافة مثل السيوى (الصعيدى) والعمرى والعجلانى إلى درجة حرارة تزيد عن ٣٠°م بينما الأصناف الجافة مثل السكوتي (الإبريمى) والبرتمودة - الجنديلة - الملكابي تحتاج لدرجة حرارة أكثر من ٣٢°م[٤].

ب - الرطوبة الجوية والرياح:

يحتاج النخيل إلى جو جاف خال من الرطوبة والأمطار خلال فترتي التلقيح ونضج الثمار للحصول

على إنتاج جيد. وتتمتع أشجار النخيل بالقدرة على مقاومتها للرياح لمرونة جذوعها وقوة تثبيت جذورها الكثيفة في التربة إلا أنه قد تسبب الرياح والعواصف الشديدة في سقوط النخيل الطويل والضعيف. كما أنها تعيق عملية التلقيح، كما قد تضر الرياح المحملة بذرات الرمال التمر وخصوصا فى طور الرطب وتقلل درجته التجارية، ولذا يجب تغطية السباطات في المناطق التى تتعرض لهبوب عواصف شديدة كما في الواحات[٤].

التربة المناسبة وماء الري وطرق التكاثر:

تنمو أشجار النخيل في جميع أنواع الأراضى، وإن كانت التربة الخفيفة والرملية هي المفضلة، كما ينجح النخيل في الأراضى الملحية والقلوية وذات المستوى المائي الأرضي المرتفع، ويعتبر توفر مياه الري عاملا هاما للتوسع في زراعته حيث يتوقف نجاح النخيل إلى حد كبير على إعطائه كفايته من الماء، على الرغم من أن النخيل يتحمل الجفاف بالمقارنة بأشجار الفاكهة الأخرى. ويتكاثر النخيل بالبذرة والفسائل، وتعتبر طريقة التكاثر بالفسائل هي الطريقة المثلى للحصول على أصناف مشابهة تماما للأمهات المأخوذة منها، وتفصل هذه الفسائل من جوار الأم بعد اكتمال نموها وبلوغها الحجم والسن المناسب[٤].

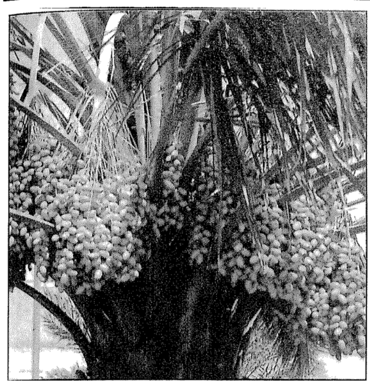
الأصناف:

يعرف فى العالم عدد كبير من أصناف البلح يزيد عددها على ألفي صنف ويوجد بمصر أصناف عديدة أهمها من الناحية التجارية:

١ ـ أصناف البلح الرطب: مثل الزغلول، السماني، الحياني، الأمهات، بنت عيشة.

٢ ـ أصناف نصف جافة: مثل العمري، العجلاني ، السيوي.

٣ ـ أصناف جافة: مثل السكوتي ، الملكابي ، الجنديلة[٤].



القيمة الغذائية والتركيب التحليلي للتمر والرطب:

يحتوى البلح على المركبات الآتية:

١ ـ السكريات: يحتوى البلح على سكر الجلوكوز والفركتوز والسكروز وتصل نسبة السكريات في البلح إلى ٧٥٪.

٢ ـ الألياف الخام: تتراوح نسبة الألياف في البلح ما بين ٢ ـ ٤٪ على أساس الوزن الجاف، وتتكون هذه الألياف من البكتين واللجنين والسليلوز ولهذه الألياف دور هام فى تقليل كثير من الأمراض مثل سوء الهضم والإمساك.

٣ ـ البروتينات والأحماض الأمينية: تتراوح نسبة البروتينات فى البلح ما بين ٥ر١ ـ ٢٪ كما يحتوى البلح على الأحماض الأمينية الأساسية (essential amino acid) وهي التى لا يستطيع الجسم تصنيعها مثل الليسين (Lysine) والليوسين (Leu-cin) والفالين (Valine)، والأرجنين(Arginine)، والهستدين (Histdine) كما يحتوى أيضا على الأحماض الأمينية غير الأساسية مثل الأسبارتك ، والبرولين، والسيرين.

٤ ـ الدهنيات: تتراوح نسبة الدهون في البلح من

* والجدول التالي يوضح القيمة الغذائية لمائة جرام من البلح الجاف:

العنصر	النسبة بالجرام	العنصر	النسبة بالجرام
ماء	٢٠ جرام	بروتين	٢ر٢ جرام
دهون	٦ر٠ جرام	كربوهيدرات	٧٥ جرام
ألياف	٤ر٢ جرام	فيتامين ا	٦٠ وحدة دولية
فيتامين ب١	٠٨ر٠ ملليجرام	فيتامين ب٢	٠٥ر٠ ملليجرام
حمض نيكوتينيك	٢ر٢ ملليجرام	كالسيوم	٦٥ ملليجرام
فوسفور	٧٢ ملليجرام	حديد	٢ر١ ملليجرام

وتعطى كل ١٠٠ جرام من البلح الجاف ٢٨٤ سعراً حراريا [٨].

٢٢ر٢ - ٤٢ر٧٪ ويحتوى البلح أساساً على الأحماض الدهنية ذات السلسلة الطويلة مثل أوليك ، والبالمتيك.

٥ - الأحماض العضوية: مثل حمض الفوسفوريك والستريك.

٦ - الفيتامينات: تنقسم الفيتامينات الموجودة في البلح إلى فيتامينات ذائبة فى الماء مثل مجموعة فيتامين (ب) المركب وفيتامين (ج)، وفيتامينات ذائبة فى الدهن مثل فيتامين (أ)، وفيتامين (د) وتصل نسبة فيتامين (أ) إلى ٦٠٠ وحدة دولية/ كيلو جرام من البلح.

٧ - العناصر المعدنية: مثل الكالسيوم والبوتاسيوم والكبريت والماغنسيوم والصوديوم والكلور والحديد. ويعتبر البوتاسيوم هو أكثرها وأوفرها. وقد وجد أن ارتفاع نسبة البوتاسيوم وانخفاض نسبة الصوديوم مناسب جدا للمرضى الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم.

٨ - الإنزيمات: يحتوي البلح علي بعض الإنزيمات التي يحتاج إليها الجسم في إتمام كثير من العمليات الكيمائية. ومن هذه الإنزيمات: إنزيم الأنفرتاز والإنزيمات البكتينية والإنزيمات المحللة للسليلوز[٧].

التمر غذاء كاف ودواء شاف لكل أمراض العصر:

١ - التمر يقوى الرحم:

يقوى التمر الرحم خاصة عند الولادة، حيث ثبت عن البحوث الحديثة أن له تأثيرا منبها (stimulant) لحركة الرحم وزيادة فترة انقباضه، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى مريم بأن تأكل البلح فيغذيها من جهة، ويزيد من انقباض الرحم بانتظام من جهة أخرى فتضع وليدها بسهولة وبعد مرور أربعة عشر قرنا من الزمان على نزول القرآن الكريم تكشف الأبحاث الطبية أخيرا عن آثار الرطب التى تعادل آثار العقاقير الميسرة لعملية الولادة، والتى تكفل بسلامة الأم والجنين معا، ولانقباض الرحم بعد الولادة، ويعود الرحم إلى حجمه ومكانه الطبيعي قبل الحمل .. حقا إنه الإعجاز العلمي في القرآن[٧، ٨].

٢ - التمر مهدىء للأعصاب:

للتمر تأثير مهدىء للأعصاب، وذلك بتأثيره على الغدة الدرقية، ولذلك ينصح الأطباء بإعطاء الأطفال والكبار العصبيين ثمرات من التمر في الصباح من أجل حالة نفسية أفضل.

وقد أثبتت الدراسات الطبية مدى تأثير الغذاء على سلوك الأطفال، حيث إنه بإعطاء الأطفال ذوى

السلوك العدواني أطعمة تحتوى على التمر، أحدث ذلك تحسنا كبيرا في سلوكهم حيث تحولوا تماما من سلوك المشاغبة والعدوان إلى أطفال هادئين ذوى سلوك مهذب.

وقد يرجع التوتر العصبي للأطفال إلى نقص عنصر الحديد في الغذاء مما يسبب نقص بعض الإنزيمات بالمخ، وتوفر عنصر الحديد في البلح أو التمر يساعد على عدم نقص هذه الإنزيمات التى لها علاقة وثيقة بوسائل الإرسال العصبي [٧، ٨].

٣ - البلح منبه للأمعاء:

البلح مفيد في تقوية العضلات المعوية، حيث يساعد في علاج حالات الإمساك، ويرجع السبب في ذلك إلى احتواء البلح على الألياف النباتية التى تعمل على تنبيه حركة الأمعاء[٧].

٤ - التمر يعالج فقر الدم (الأنيميا):

نظرا لإحتواء التمر على نسبة عالية من الحديد فإنه يمكن استخدامه في علاج حالات فقر الدم وخاصة عند الأطفال والتى يكون سببها نقص عنصر الحديد. وقد وجد أن منقوع التليو مع عسل البلح مفيد لعلاج حالات الأنيميا[٧، ٨].

٥ - التمر غذاء للنفساء:

والرطب غني جدا بعنصرى الحديد والكالسيوم، لذلك فضله الله تعالى للنفساء وأمر السيدة مريم العذراء أن تتناوله في فترة النفاس، وكمية عنصرى الحديد والكالسيوم الموجدين بالرطب كافية جدا وهامة لتكوين لبن الرضاعة، وتعويض الأم عما ينقص منها بسبب الولادة أو الرضاعة، والحديد والكالسيوم أيضا عنصران حيويان هامان فى نمو الطفل الرضيع، حيث يعتبران من أهم العناصر الداخلة في تكوين الدم ونخاع العظام[٧، ٨].

٦ - التمر مع اللبن غذاء الرشاقة:

يستطيع الإنسان أن يعيش على التمر مدة طويلة من الزمن، حيث إنه غني بالمادة السكرية، وهي موجودة في البلح فى صورة سهلة الهضم والامتصاص والتمثيل بالجسم. والاقتصار في الغذاء على البلح يؤدي إلى النحافة، أما إذا تناوله المرء مع قدح من اللبن فإنهما يكونان معا غذاء كاملا من جميع الوجوه، حيث يقوم اللبن بتعويض النقص الموجود في البلح من البروتين والدهون. وكثير من البدو يعيشون على التمر المجفف ولبن الماعز، وصحتهم أجود ما يكون، ونادرا ما يصابون بالأمراض الخبيثة أو المزمنة، وقليلا ما تشاهد البدانة بينهم[٧، ٨].

٧ - التمر يعالج السعال ونزلات البرد:

المستحضر السابق من منقوع التليو وعسل البلح يفيد أيضا فى علاج السعال المصحوب بتقلصات، كما أن المشروب المحضر من غلي أزهار الزعتر وأوراقه مع البلح يفيد في السعال الديكى ونزلات البرد[٧].

وقد وصف التمر كعلاج للسعال والبلغم والتهاب القصبة الهوائية وذلك بعمل شراب مكون من ٥٠ جراما من التمر، ٥٠ جراما من الزبيب، ٥٠ جراماً من التين المجفف، ٥٠ جراماً من العنب ثم يغلى على النار ويشرب. كما أن عصير الليمون بعسل البلح (الدبس)، مشروب ناجح له أثر فعال فى حالات نزلة البرد[٧].

٨ - منقوع البلح مدر للبول وملين للأمعاء:

وترجع هذه الخاصية إلى قدرة البلح على تنبيه عضلات المسالك البولية والأمعاء وقد أشاد قدماء المصريين باستخدام البلح فى أمراض المثانة والمعدة والأمعاء[٧].

٩ - استخدام البلح كمضاد للحموضة:

نظرا لأن التمر غني بالأملاح المعدنية القلوية كالكالسيوم والبوتاسيوم فهو خير ما يأكل لمعادلة الحموضة الموجودة بالمعدة، وكذلك لأنه يخلف رماداً قلويا بعد هضمه وتمثيله، وعلى ذلك فإن التمر خير ما يأكل لمعادلة الحموضة التى تتولد من أكل البروتينات المركزة كما هو الحال في السمك والبيض[٧، ٨].

٩ - التمر يزيد من القدرة الجنسية:

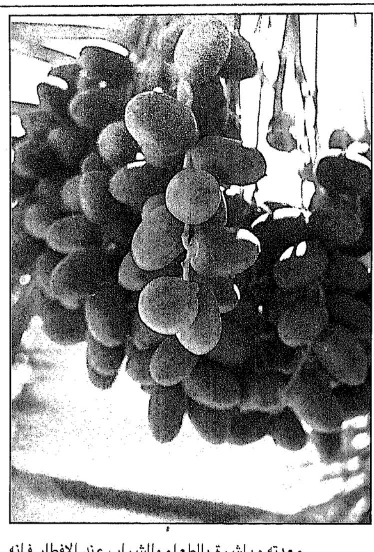
كثيرا ما يوصف التمر لزيادة القدرة الجنسية،

وفي الطب النبوي حيث يقول ابن قيم الجوزية أنه يزيد في الباه ولا سيما مع حب الصنوبر[٥] ويمكن تفسير ذلك بناء على العوامل الآتية:

- يحتوى التمر على الحامض الأمينى الأرجنين وهو من الأحماض الأمينية التى يؤدى نقصها فى طعام الذكور إلى حدوث نقص فى تكوين الحيوانات المنوية.

- يحتوى التمر على فيتامينات (أ) ، (ب) المركب وهي من الفيتامينات الضرورية لتقوية الأعصاب.

- يحتوى التمر على العديد من المعادن مثل الماغنسيوم الذى يعمل على تهدئة الأعصاب، والبوتاسيوم الذى يعمل على تنظيم الإرسال العصبي وإنقباض العضلات[٧].



١١ـ التمر يقوى البصر والرؤية:

التمر مصدر جيد لفيتامين (أ) (A) لذلك فهو يحفظ رطوبة العين وبريقها، ويقوي البصر والرؤية، ويهديء الأعصاب[٨].

١٢ ـ التمر إفطار لطيف للصائم:

كان رسول الله {صلي الله عليه وسلم} يفطر على رطبات قبل أن يصلى، وفي إفطار النبي {صلي الله عليه وسلم} على الرطب أو التمر تدبير لطيف جدا، وذلك لأن الصوم يخلى المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى الأعضاء. ولما كانت المواد السكرية أسرع شيء وصولا إلى الكبد وأحبه إليها، ولا سيما إذا كان رطبا فيشتد قبولها لها، فتنتفع به وتسارع بحرقه وإرسال الطاقة الناتجة عنه إلى الأعضاء والمخ، فالثابت طبيا أن السكر والماء أول ما يحتاج إليهما الصائم بعد فترة الصوم، لأن نقص السكر في الجسم يسبب ضيق الخلق واضطراب الأعصاب، ونقص الماء في الجسم يسبب قلة مقاومته وضعفه، وذلك بعكس الصائم الذى يملأ معدته مباشرة بالطعام والشراب عند الإفطار فإنه يحتاج إلى ثلاث ساعات أو أكثر حتى تمتص أمعاؤه السكر، وعلى هذا تبقى عنده أعراض ذلك النقص ويكون كمن واصل صومه أو كما قال الشاعر العربي القديم:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول[٧، ٨]

طلع النخل:

في القرآن الكريم والطب النبوي:

ذكر الله عز وجل الطلع في ثلاث مواضع، الأول فى سورة ق: ١٠ {والنَّخْلَ باسقات لها طلعٌ نضيد}، والثاني فى سورة الشعراء: ١٤٨ حيث يقول سبحانه وتعالى {ونخل طلعها هضيم}، والثالث فى سورة الأنعام: ٩٩ {ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانية}[٦].

وطلع النخل: ما يبدو من ثمرته في أول ظهوره. وقشره يسمى الكفرى و(النضيد): المنضود الذى قد نضد بعضه على بعض. وإنما يقال له نضيد: ما دام فى كفراه. فإذا تفتح فليس نضيد. وأما (الهضيم) فهو: المنضم بعضه إلى بعض. فهو كالنضيد. وذلك يكون قبل تشقق الكفرى عنه.

والنخل باسقات: أي طوال شاهقات أما تفسير {ومن النخل من طلعها قنوان دانية} فقنوان جمع قنو مثل صنو وصنوان وهي عذوق الرطب «دانية» أى قريبة من المتناول كما قال على بن أبي طلحة الوالبى عن ابن عباس (قنوان دانية) يعنى بالقنوان الدانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض رواه ابن جرير.

وقد قال امرؤ القيس في ذلك:

فأتت أعاليه وأدت أصوله

ومال بقنوان من البسر أحمرا[٩]

والطلع نوعان: ذكر وأنثى. و(التلقيح) هو: أن يأخذ من الذكر - وهو مثل دقيق الحنطة - فيجعل فى الأنثى وهو التأبير. فيكون ذلك بمنزلة اللقاح بين الذكر والأنثى.

وقد روى مسلم فى صحيحه، عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، قال: «مررت مع رسول الله {صلي الله عليه وسلم} فى نخل، فرأى قوما يلقحون فقال: ما يصنع هؤلاء؟

قالوا: يأخذون من الذكر، فيجعلونه في الأنثى. قال ما أظن ذلك يغنى شيئا، فبلغهم فتركوه، فلم يصلح. فقال النبي {صلي الله عليه وسلم} إنما هو ظن فإن كان يغنى شيئا فاصنعوه. فإنما أنا بشر مثلكم، وإن الظن يخطيء ويصيب. ولكن: ما قلت لكم عن الله عز وجل، فلن أكذب على الله».

طلع النخل ينفع من الباه، ويزيد في المباضعه، ودقيق طلعه إذا تحملت به المرأة قبل الجماع. أعان على الحمل إعانة بالغة، وهو في البرودة واليبوسة، فى الدرجة الثانية، يقوى المعدة ويجففها، ويسكن ثائرة الدم مع غلظة وبطء هضم.

ولا يحتمله إلا أصحاب الأمزجة الحارة. ومن أكثر منه فإنه ينبغى أن يأخذ عليه شيئا من الجوارشات الحارة. وهو يعقل الطبع، ويقوى الأحشاء والجمار يجرى مجراه، وكذلك البلح والبسر. وإكثار منه يضر بالمعدة والصدر، وربما أورث القولنج وإصلاحه: بالسمن أو بما تقدم ذكره[٥].

في الطب الحديث:

وقد أظهر الطب الحديث أن طلع النخل يحتوى على ١٧٪ من سكر القصب، ٢٢٪ بروتين، ٥٤٪ كالسيوم، بالإضافة إلى وجود نسبة عالية من فيتامينات (ب) ، (ج)، وأملاح الفوسفور والحديد.

وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أنه مقو للجسم، لوفرة المواد الدسمة فيه كما أنه يحتوى على هرمون (الأيسترون) الذى ينشط المبيض، وينظم دورة الطمث، ويساعد على تكوين البيضة فى الأنثى. كما استطاع العلماء فصل الروتين، التى يتكون منها عقار يقوي الشعيرات الدموية في جسم الإنسان ويحفظها من الإنفجار، وبذلك يمنع النزف الداخلى الذى يصيب مرضى الضغط والسكر[٣].

وما زالت الأبحاث العلمية تجرى لسبر أغوار النخلة المشرفة.. وصدق رسول الله {صلي الله عليه وسلم} حيث قال عنها إنها كالرجل المؤمن: كله خير ظاهره وباطنه[٥].

الهوامش:

(١) أنظر المعجم الوسيط جـ ٢ ط٣ ص ٩٤٦.

(٢) نقلا عن الموسوعة الثقافية - مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ مطابع دار الشعب ١٩٧٢.

(٣) أنظر التداوى بالأعشاب والنباتات - عبد اللطيف عاشور - ص ١٣٧ ، ١٣٨ مكتبة ابن سينا.

(٤) نشرة وزارة الزراعة واستصلاح الأراضى - مركز البحوث الزراعية - الإدارة المركزية للارشاد الزراعى نشرة رقم ٧٦ - ١٩٨٩، ص ٣-٨.

(٥) نقلا عن الطب النبوى لشمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى ابن قيم الجوزية ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، دار إحياء الكتب القديمة.

(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقى - دار الحديث، القاهرة.

(٧) نقلا عن أسرار العلاج بالفواكه والخضروات، د. وفاء عبد العزيز بدوى ص ٤٩ ، ٥٥ ، مكتبة ابن سينا.

(٨) أنظر الأطعمة القرآنية غذاء ودواء - د. محمد كمال عبد العزيز ص ٤٧، ٥١ مكتبة القرآن.

(٩) تفسير القرآن العظيم - للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى جـ٢ ص ١٥١ - دار الجيل - بيروت.

(١٠) أنظر تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب - داود بن عمر الأنطاكى ص ٩٦، دار الفكر للطباعة والنشر.

نداء الشجر

صالحه الزين - مكة المكرمة -

تحت أضواء القمر الخافتة تجلس أمل بالشرفة تنظر إلى الأفق البعيد، حول الشرفة فروع أشجار تشبثت جذورها بتربة حديقة المنزل، بعض من نسمات تداعب أغصان الأشجار ويصدر عن أوراقها أصواتٌ تُسمع، أمل نداءات وصفية وليست إسمية.. يا وحيدة .. يا وحيدة.

تنفخ رئتيها بالهواء ثم تلفظه من فمها عبر شفتيها أول أكسيد ساخن، تتحسس يدها بحثاً عن ساعة لا وجود لها حول معصم يسراها. تتمتم (حتى لو عرفت كم الساعة ما الفائدة من هذه المعرفة إذا لم تتوج بعمل ينتظرني.. الساعات كلها واحدة)، تسرح، تفكر في ساعات أيامها.

كل يوم تستيقظ، تقوم بواجباتها المنزلية، تعتني بنفسها وابنتها وبيتها تنتظر زوجها، تقطع ساعاتها بالقراءة، تلك القراءة إحدى عدوى زوجها، فهو لا يكره فيها سوى شيئين القراءة والصمت همست في نفسها (متى كانت القراءة مذمة؟ والصمت أليس راحة)؟

فبالصمت تحجب عنه ما قرأت أي أن الفلسفة التي يكرهها الرجال في النساء المثقفات بعيدة عنه. تتذكر أمل أنه دائماً عندما يتحدث إلى ضيف أو بالهاتف تسمعه يقول: (أنا زوجتي مانيكان. فهي من أجمل النساء وأنظفهن؟ مطيعة وهادئة لكن الحياة معها أشبه بالعيش داخل الثلاجة صيفاً وشتاء فهي لا تعرف سوى كلمة نعم، حاضر، طيب، ولا يكون خاطرك إلا زي العسل. بنت ناس ومتربية.

وبالرغم من أنها تغيظني بالنظر في الكتب والقراءة على النظر في وجهي والتحدث إليَّ إلا أنها ليست كباقي النسوة اللواتي يفخرن بما تذخر به عقولهن من معرفة وعلم وثقافة.

يبدو لي أنها تدخل ما في الكتب من معلومات إلى عقلها رهينة لا تسمح لها بالخروج إلا بفدية معينة. ولكنها لا تطلبها. ليتني أعرف ما فدية ما بعقلها لفديته.. فقط للتحدث .. وتتعالى ضحكاته مع الطرف الآخر.

وعندما اقترب موعد زواج أخته، كل النساء اكتسين بأحلى الحلل إلا هي، واستعجب وقال لها حينها: دائما أشعر أنني زوج الكمبيوتر .. ولم يحدث يوماً أن كمبيوتراً طلب فستان سهرة ولا حتى قرصاً ممغنطاً (ديسك) ما أغباني أشعر أن شفتيك مشنقة تقع على فوهة ثغرك تشنق الكلمات فور ولادتها .. حالة «وأد» يعني.

يخرج ويتركها ويترك كلماته كسكين يرسم خطوطاً سوداء حول عنقها دونما قتل.

عاودت نسائم الهواء مداعبتها لأوراق الشجر وعاود الشجر نداءاته لها يا وحيدة..

قطع على ورق الشجر تجريح روحها الساهرة صوت طفلتها - ماما لم أستطع النوم.

صدمت هذه الطفلة أمها، فهذه الطفلة التي لم تتجاوز العاشرة تأرق.. تباً للأرق.

قالت الطفلة:

- ماما بسام إبن الجيران عندما رفضت اللعب معه وفضلت الرسم خبأ علبة الألوان فرسمت بالقلم الرصاص، خطف كراستي وقال لي رسمك أسود كنفسك السوداء.

وضعت الطفلة رأسها على صدر أمها وقالت بصوت كله مرارة وعينان تخنقهما الدموع.

- صحيح يا ماما أنا نفسي سوداء.

صُدمت أمل؛ تُرى من علّم بسام بأن الأنفس ألوان. من ذا الذي يفتح مدارك طفل صغير على خبث الدنيا وكيدها. ظلت أمل تربت على طفلتها. فقد كانت تظن حتى لحظات قلائل. من عُمر الزمن أن الأرق مرض معد يصاب به الإنسان عن طريق الإيحاء.

كانت أمها عندما تعبر عن أرقها تقول (لم أستطع النوم من شدة الغيظ).

تعمق داخل نفسها أن الأرق والقهر والحزن والإحباط توائم أربعة ينامون في مهد الليل ويتغذون بأعصاب البشر ودموعهم كأن أي ندب في بساط الحياة الإنسانية كفيل بتغيير كيمياء الجسم مما يفقد الإنسان القدرة على النوم.

وقد أخفت أرقها عن كل من حولها خوفاً عليهم من العدوى ولكن يبدو أن الأرق مرض وراثي لأن الطفلة أرقتها كلمة فهي ورثت الأرق عن أمها وقد ورثته أمها عن جدتها.

لكن لا ، جدتها لم تكن تأرق كانت تتوهم.

عندما كانوا يجتمعون حول الجدة يتحدثون ويتندرون ويضحكون، كانت الجده تشاطرهم أحاديثهم وهي ممددة على الأريكة.

وبعد دقائق كانوا يسمعون صوتاً أشبه بصوت مضخة الماء التالفة ثم يكتشفون بعد ذلك أن الجدة كانت تشخر.

وبعد نصف ساعة شخير يفاجئون بها تشاركهم أحاديثهم فيظنون أنها قد استيقظت وانتهى نومها.

ثم يسمعون صوتاً أشبه بصوت الخلاط الكهربائي.. نامت الجدة وبعد ثلاث أو أربع ساعات تعتدل على الأريكة وتتنهد بحرقة (آه .. لست أدري ما بي لم أذق للنوم طعماً)، جدتها توهمت وأمها تأصل في نفسها ذلك الوهم حتى اضحى أرقها مرضاً لا تذهبه إلا المهدئات.

أما هي تكابد مع الليالي سهراً وحزناً بدون مهدئات. ولكن ماذا عن طفلتها هل ستسير في نفس الطريق. الذي وضعت قدمها على أوله في هذه الليلة التي تضاعف فيها حزن أمل على نفسها وطفلتها أم ماذا؟.

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

٨٦٨ - أبو عواد:

إن غالبية الذين جرّبوا الصدق مع زوجاتهم أجمعوا على أن (الكذب) معهن أفضل!! نتيجة مخالفة للأسف لما ينبغي أن يكون عليه المسلم.

٨٦٨ - أم عمرو:

لا يمكن أن يكون الكذب أفضل من الصدق بأي حال من الأحوال في أي ظرف من الظروف. علينا ان نتعلم ونعلم أبناءنا وبناتنا أن الصدق ولا شيء غيره هو السبيل إلى بناء الثقة والحفاظ عليها بين الزوجين. عندما نواجه مشاكلنا بصدق نصبح جزءاً من الحل بدلا من بقائنا جزءاً من المشكلة.

٨٦٩ - أبو عواد:

يُخْطيء من يعتقد أن الطلاق له ضحية واحدة هي المرأة. بسبب أن العصمة بيد الرجل بينما في واقع الحال أن الزوج هو الآخر ضحية للطلاق والسبب هو المرأة التي لم يجد ضالته معها مما اضطره للبحث عن السعادة مع غيرها.

٨٦٩ - أم عمرو:

في الحقيقة ضحية الطلاق ليس الزوج أو الزوجة. بل هم الأولاد الذين ينكسرون مع انكسار الأسرة وتظل الكسور والشروخ معهم طوال حياتهم مهما حاولنا جبرها.

٨٧٠ - أبو عواد:

أعرف أرامل ضربن أروع الأمثلة في الايثار والتضحية حين رفضن الزواج من رجل ثان حتى يتفرغن لابنائهن من الزوج الأول.

وأعرف رجالا تزوجوا من أرامل فكانوا لا يقلون عنهن عطفاً على ابنائهن من الزوج الآخر. لكنني لم أجد من يؤخر زواجه خشية أن يخسر تربية ابنائه كما لم أجد زوجة أباً كانت رحيمة بابناء زوجها من غيرها وفيما يكون زوج الأم غالباً محل تقدير ابناء امهم.. فان زوجة الأب غالباً لا تكون محل تقدير ابناء أبيهم.

وبصرف النظر عن الحالات الفردية فإن المسألة ظاهرة لا يختلف عليها اثنان.

٨٧٠ - أم عمرو:

إذا بحثنا وراء اسباب تكيف زوج الأم مع ابناء زوجته نجد حكمة حواء التى تعرف كيف تقرب زوجها من ابنائها وتعزز كل سلوك طيب يقوم به الزوج نحو هؤلاء الأبناء. لعل آدم يتعلم هذا الدرس من حواء.

٨٧١ - أبو عواد:

الزوج غالباً ما يعبر عن حبه لزوجه من خلال موقف يقفه معها أو مع أحد أقربائها وليس كلمات جوفاء يضحك بها عليها. لذا أرجو ألا تنتظري مني أن أبادلك الرد على هذا السيل من الاطراء إلا في حدود الشكر على المشاعر النبيلة فيما أنا أعبر عن حبى بطريقتي التي أمهرها بالأعمال لا بالاقوال. المعذرة سيدتي.

٨٧١ - أم عمرو:

التعبير عن الحب والرعاية أفضل بالأعمال منه بالأقوال ولكنى اعتقد انه من الضرورى قرن الأعمال ببعض الأقوال فالكلمة الطيبة نور للعيون ودفء للقلوب وزاد للرحلة الطويله.

٨٧٢ - أبو عواد:

إن مزاحك معي أمام الأولاد أمر لا أحبذه كثيرا، لا بأس من الملاطفة أو الاستظراف الذي يظل في حدود الممكن والمعقول. فعلى طاولة مكتبي لابد أن تبقى بعض الاوراق مكفية تظل حدود الثقة والصراحة بيننا قاصره عن اعطائك الحق في استطلاعها من باب الاحترام

والتقدير بالوقوف عند حد معين لا ينبغي تجاوزه.

٨٧٢ـ أم عمرو:

لا توجد حدود لا ينبغي تجاوزها بين الزوج وزوجته فيما يخص أمور الأسرة، الوضوح والصراحة ضرورة حتمية لأمان الأسره وليحلم كل من الزوج والزوجه وحده اذا أراد ليلاً وهو نائم.

٨٧٣ـ أبو عواد:

إن أفضل صباح عندي هو الذي استيقظ منه على صوتك وأنت تملئين أرجاء المنزل شدوا كالبلابل الجميلة وقد هيأت ما يلزم من قهوة الصباح وفطور الصغار وكم أشعر بالاحباط عندما أستيقظ وأجد الصغار يعبثون تخريباً وتكسيرا في المنزل وأنت تملئينه شخيرا عقب ليلة أديت فيها كل أنواع السلام الملكي والجمهوري لجميع محطات الإرسال قبل اقفالها.

٨٧٣ـ أم عمرو:

المرأة التى تجلس أمام محطات التلفزيون والإذاعه حتى تقفل امرأة تبحث في كلمات المذيع والمذيعة عما يؤنس وحدتها التى غالباً ما تكون ناتجة عن المعيشة مع تمثال اسمه الزوج.

٨٧٤ـ أبو عواد:

إن الزوجة التي يأكل زوجها بالمطعم ويطعمها منه ويغسل ملابسه خارج المنزل لا يحق لها من وجهة نظري شغالتين بالمنزل.. والواحدة ربما كانت كثيرة عليها..!!

٨٧٤ـ أم عمرو:

ان الحديث عن الزوجة كبديلة للشغالة والعكس حديث قاصر ومضلل وضار. اعمال البيت يجب ان توزع على كل افراد الأسرة كل بحسب حجم وقته وجهده وانشغالاته خارج البيت. لابد ان نعلِّم اولادنا ان الأسرة تنجح اذا عمل افرادها بروح الفريق. واذا بقى بعد ذلك عمل لا نجد من نوزعه عليه هنا ينبغي ان نبحث عن من يساعد فى تأديته.

٨٧٥ـ أبو عواد:

احترام الزوجة لأهل زوجها شرط أساسي لحمله على احترام أهلها.. وفي كل الاحوال الزوجة الواعية هي التي تهيم حباً بأهله ليظل دائم التعلق بأهلها.

٨٧٥ـ أم عمرو:

عندما يتزوج رجل من امرأة يكتسب كل منهما أسرة جديدة عليه أن يرعاها ويحافظ عليها كما يرعى أسرته الأولى على أن يبدأ الإثنان من نقطة بداية واحدة هي عقد الزواج.

٨٧٦ـ أبو عواد:

على الزوجة التي لا ترى في زوجها إلا انتفاخ محفظته أن تعيد النظر في حياتها معه!!

٨٧٦ـ أم عمرو:

الزوجة التى لا ترى فى زوجها إلا انتفاخ محفظته، يكون ذلك راجعاً لانتفاخ اوداجه حتى غطت على عقله وقلبه. ولابد ان نتوقع من كل فقاعه انتفخت فوق طاقتها ان تنفجر.

٨٧٧ـ أبو عواد:

السيدة العصرية هي السيدة التي تكون انسانية بمعنى الكلمة ، وليس من تتفنن في موديلات الفساتين وتسريحات الشعر وصرعات التفاهاتبشتى صورها وأشكالها.. فكم من سيدة تبدو عصرية لكنها فى داخلها اكثر من انسانة همجية فالانسانية تنبع من القلب ولا تشع من فصوص الماس أبدا يا سيدتي.

٨٧٧ـ أم عمرو:

السيدة العصرية هي التى تحصل على قدر من التعليم والثقافة يجعلها تثق في نفسها كإنسانة بدون زينة او فساتين او مجوهرات. ويصبح رضاها عن نفسها هو معيار صحتها النفسية وليس رضا الآخرين بما فى ذلك الزوج. حيث ان رضا الإنسان عن نفسه هو البداية الصحيحة لرضا الآخرين عنه وليس العكس.

رسائل إلى الحبيبة من الهمشري

محمد عبد الواحد حجازى
مصر

* هو الشاعر محمد عبد المعطى الهمشرى (يوليو ١٩٠٨ ـ ١٩٣٨).
* من أعلام شعراء الرومانسية في الشعر العربي الحديث.
* تأثر على شعراء الرومانسية الأوربيين (وردزورث، وكيتس، وشلر).
* كانت رومانسيته ثمرة طبيعية للحضارة المصرية والمجتمع المصري.
* حظى باحترام وتقدير شعراء الرومانسية في العالم العربي.
* نشأ في مدينة السنبلاوين - محافظة الدقهلية، ثم رحل الى القاهرة.
* أحب الحسناء جتًّا، وكانت من مدينته .. كان يطيب له أن يدللها باسم «توحة».

حبيبتى عطر شبابى .. جتًا:

فى آخر ليلة التقينا فيها لم أدر إن كان لقاء وداع أخير، أم لقاءاً على أمل الغد القريب.. أم أن الغد سوف يتمرد علينا .. لقد رأيتك تنظرين إليَّ بنظرات مرتاعة ثكلى شتت خواطرى.

أجل، جعلتنى أغص برجْز القلق الحاد الذى كاد يفقدنى القدرة على الوعى الصائب والإدراك السليم.. قلق ممض من نظرات لك حيرتنى وشتت خواطرى.. كنت فيها السائل والمجيب .. وكنت أنت فيها الدهشة والمفاجأة ، واليأس والأمل، والشك واليقين.

نعم، في آخر ليلة التقينا فيها كانت لك نظرات ألهبت في وجدانى هواجس ما كنت أتصور أن ترد على ظني.. تركتنى وحدى والليل يلفنى؟ لا .. لا، بل الليل يؤنسنى ويحنو علي ويأسى لحالي.. فلم أجد سواه أبثه أشجانى وهواجسي وأوهامي فهمست إليه قائلا:

أيهـا الليل أتينا نشتكى
فاستمع شكوى الحزانى المتعبين
هدّنا الحزن وأضنانا الأسى
وبرانا الوجد في دنيا الشجون
قد شكوناك وجئنا نشتكي
لك شيئا فى خيال الذاهلين
إننى يا ليل أحكى غنوة
فنيت فيك على مر السنين

واستحالت فى البلى قبّرة
تتغنى فى دجى وادى المنون
إننى يا ليل أحكى حزمة
من شعاع فى سماع العالمين

حبيبتى، عطر شبابى .. جتًا:

وها أنا ذا فى رسالتى هذه أسأل بلسانك، لا، بل أسأل بقلبك.. لا، بل أسأل بروحك .. لماذا؟ إحساس غائر في وجداني يخيفني ويفزعني.. كيف أنجو من عذابه؟ فأجبت قائلا: يا حبيبتى جتًا:

عانقينى في الدجى اقتربى
إننى أفزع مما تفزعين
قربى خدك .. ضمنى إلى
صدرك الحانى.. الثمي هذا الجبين
إنما نحن كركب ضل في
تيه صحراء بقوم تائهين
قد نسينا كل ما كان لنا
وتركنا في غد ما سيكون

حبيبتي
عطر شبابي .. جتًا:

وكان السؤال الثانى الذى وشت به نظراتك: هل تحب حبي؟ هل يشبه حبى سائر الحب؟

فأجبت قائلا: أما أن أحب حبك فهذا مما لا يحق لك أن تسألى عنه لأنك تعلمينه علم اليقين.. وتنبئك عنه الليالى والسنون. ولا يحق لك أن تسألى عنه لأن فيه سخرية من حبى لك. فكيف أذن لك فؤادك بأن تعبثى بى .. تسألين عن حبك يا «جتًا»، ما مكانته عندى؟

لقد كان مثل النسيم الخفي
يُخشى ولا يرتئيه البصر

وكان السؤال الثالث الذى وشت به عيناك إيشاء المستنكر الشاك مزاج غريب من الإدلال بالجمال ومزاج غريب من خوف السلوان والهجران لا، لا ياحبيبتى أتمنى ألا تكون تلك الظنون قد مرت ببالك فلو أنها سرت إليك لا قدر الله لكان ذلك هو العذاب الأليم والهم المقيم والشجن الذى لا ينقطع .. لا .. لا .. يا حبيبتى «جتًا»:

لا نال قلبي مناه
إن كان قلبي سلاكا
أنت الذى تتجنى
معذبا مضناك
فما لقيتك إلا

كـمـا التـقى جـفناك
يـا ذاهـلا عـن غـرامي
تـدلـلا رحـمـاك
خلقت جـسـمي طريحـا
لا يسـتطيع حـراكـا
لـكـنـه مـن هـواه
يـطـيـر حين يـراكـا

تسـألني عـيناك: هل أحبك؟ نعم يا حـبيبتي.. وتسـألني عـيناك: وهل حبك يشبه حب المحبين؟ لا يا حبيبتي، وهل يحب الناس الدنيا على شاكلة واحدة؟ لكن حبي لك هو حب الدنيا كلها بنورها وسحرها وجمالها.. الدنيا بكل ألوان الحلاوة فيها.. فكوني يا حبيبتي كما تشائين فلا أملك إلا أن أحبك:

فـلـو تحـولـت نـوراً
لكان طرفي احـتـواكـا
ولـو تحـولت خـمـرا
لكان ثغري احـتـسـاكـا
ولـو تحـولت روضـا
وقـد نشـرت شـذاكـا
لكنتُ فـيـه فـراشـاً
أرف حـول سـنـاكـا
وكنت قـضـيت عـمـري
أحـسـو رحـيق جناكـا

حبيبتي، عطر شبابي .. جتًا :

وسـألتني عيناك: هل تعود ليالي الشُّهيِّد حيث جنان الرياض الراتعات مع النجيمات في خمائل من الظلمة الساجية؟ .. أجل يا حبيبتي «جتا» لكم أتمنى أن تعود تلك الليالي إلينا أو نعود نحن إليها:

يـاليـالي بـالشهـيد عـودي
مـحـسنات كـمـا قـضـيت عـذابا
وأريني السـرور منك سـلافـا
وكـمـا كنت فـارجـعي أكـوابا
وامـلأي الكأس لا تـخـافي عـذولا
وامـزجي بالسـرور فـيـه شـرابا

حبيبتي، عطر شبابي .. جتًا :

وسـألتني عيناك في التمـاع دهائي: هل سيعاودك الحنين إلى «نوسـا البحـر»، أجمل مغاني النيل وكأنه لم يعشق سواها فأسبغ عليها من فيء نعمائه ما تعشقه العين من جنان الطبيعه وهى في سخائها العبقري.

سـألتني عـيناك: هل سيعاودك الحنين إلى «نوسـا البحـر»؟ هل سيعاودك الحنين إلى حبي؟.. أجل يا حبيبتي، قلبي في حنين لهيف إلى حبك.. ... في شوق إلى نسمة من عطرك تحيي فيَّ بواعث الحياة .. إيه يا «نوسا» إيه يا «جتًا» .. إيه يا «توحة».

منك الجـمـال ومني الحب يا نوسـا
فـعللي القلب إن القلب قـد يئـسـا
يا حـبـذا نسـمـة من «توحـة» خطرت
أطالت النفسُ من أسـبـابـهـا النفـسـا
أضـمـهـا ضـم مـشـتـاق به خـبـل
قـد رام كـتـم هوى أحـبـابه فنسـا

ولسوف يدعوني جمالك حيثما طوفت بي الآفاق أو شغلتني شواغل الحياة.. فلا تبخلي عليَّ بلمحة منك تسعدني وتريح قلبي وتكفكف من دموعي:

هذا جـمـالك يدعـوني لأعـشـقـه
لكن ثغـرك يا دنيـاي مـا ابـتـسـا
الله يشـهـد أني حين أذكـركم
أذيل دمـعـا على الخـدين مـحـتـبـسـا

حبيبتي، عطر شبابي .. جتًا:

وسألتني عيناك سؤالا محيراً فالإجابة عليه لا نهائية .. إنها في كل ملمح بديع من ملامح الطبيعة والكون والحياة.. فأنت حلم منوَّر .. وأنت عطر مجنَّح .. وأنت كل الحياة..

أجل،

أنـت حـلـم مـنـوَّر ذهـبـي
طاف في أفق عـالم مـسـحـور
وتجلى على غـيـاهـب روحي
بجناح من الضـيـاء البـشـير

* * *

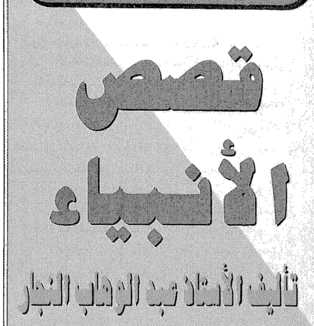
أنت عطر مـجـنح شـفـقـي
فـاح الروح في همـود الذهـول
قـد سـرى في الخـيـال طيب شـذاه
من زهـور في شـاطـيء مـجـهـول

حبيبتي عطر شبابي .. جتًا:

لو سألتني عما أعانيه الآن لقلت لك خاطر غريب فرغم شبابي وبهجتي واقبالي على الدنيا بكل الشوق والحب إلا أنني أحس كأن وجودي بغير معنى.. فهل هذا إيذان برحيل لا أوبة معه؟

أجل يا دنيا:

أرى صـفـحـة الآمـال قد ضاق أفـقـهـا
ولاح علي اليـأس البـعـيـد مـديدا
لقـد عـشت في دنيـا الخـيـال مُعَذباً
فـيـا ليت شـعـري هل أموت سـعـيـدا؟



بقلم: أ.د. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

أحدث هذا الكتاب عند صدوره رجة علمية، وظلت الصحف اليومية تتحدث عنه بأقلام كتابها بين معارض ومؤيد، لأن مؤلفه الكبير قد تعرض لتفصيل حيوات الأنبياء في حرية علمية، لا تعرف الركون إلى المسلمات المتوارثة عن الحشويين ممن يبالغون في سرد الإسرائيليات، ويحاولون أن يفسروا على ضوئها آيات من كتاب الله وهي منها بمكان بعيد، ثم تمخض النقاش المستطيل عن قوة الباحث المؤلف، وسديد براهينه، وهذا ما نفصله الآن:

كان الأستاذ عبد الوهاب النجار من خيرة الطبقة التى اقتدت بالأستاذ الإمام محمد عبده في مصر، إذ كان مع الأستاذ المراغى والسيد محمد رشيد رضا والأستاذ مصطفى عبد الرازق والشيخ عبد العزيز جاويش من أبرز تلاميذ هذه المدرسة التي تستضيء بنور العقل فيما تكتب وقد أصدر النجار عدة مؤلفات في تاريخ الاسلام إذ كان أستاذا لهذه المادة بالجامعة المصرية القديمة، وقد طبع منها كتابه (الخلفاء الراشدون) عدة طبعات، أما محاضراته الذائعة فى جمعية الشبان المسلمين التى كان وكيلا لها وأما مقالاته المتشعبة المتوالية في الأهرام والبلاغ والمقطم والرسالة ومجلة الشبان المسلمين ومن قبلها المؤيد واللواء والجريدة أيام شبابه الأول فأكثر من أن تحصر وقد اختاره الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى للتدريس بقسم الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين، فجعل من همه أن يبدأ بتحرير قصص الأنبياء في دروسه، لأنهم أصدق الدعاة، ومثلهم العليا، فألف كتابه عن هؤلاء وفاجأ الناس بتحقيقات لا عهد لهم بها، والرجل صارم الحجة، واضح الدليل في كل ما يكتب وقد صدق الشاعر الكبير الأستاذ على الجارم حين قال في وصفه:



له حُجَجٌ يسميها كلاما ... وما هي غير أسياف تُسلّ

إذا فاضت ينابعه خطيبا ... علمت بأن ماء البحر ضحل

يذلّ له شموس القول طوعا ... ويستخذى له المعنى المُدلّ

بيان مشرق اللمحات زاه ... وقول صادق النبرات فصل

وآيات ترى فيها (ابن بحر) ... يصول كما يشاء ويستدل

يفلّ شبا الخصومة حيث كانت ... برأي كالمهنّد لا يُفلّ

* وهذا وصف يغنينى عن سرد ما أعلمه من

قوة الجدل لدى النجار، ومن إحاطته الوافية بكل ما يتعرض له من مسائل الأدب والفقه والتاريخ وابن بحر هو الجاحظ، وهل بعد أن يُشبّه الجارمُ النجار بالجاحظ مزيد لثناء!؟

وحين ظهر هذا الكتاب مطبوعا بأيدى الطلاب ضاق به بعض من يتشددون في اتباع ما ورد بكتب التراث، وكتبوا الى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان عميد كلية أصول الدين راجين أن يوقف تداول الكتاب بين الطلاب فسارع العميد بتأليف لجنة علمية من كبار أساتذة الكلية لدراسة الكتاب، ثم كتابة تقرير مفصل عنه مع الرد على كل ما جاء به من آراء منقودة لا تستقيم، وقامت اللجنة بواجبها العلمى فعكفت عدة أشهر على فحص الكتاب وأعضاؤها بعدُ ممن يرون التمسك بالسائد الذائع دون لجوء إلى التجديد المبتكر، فكتبوا تقريراً يتضمن بعض النقاط التاريخية التي لم تصادف ارتياحهم العلمى، وهم بعد محمودون لأنهم صدروا عن منطق يرونه الصحيح دون سواه، وقد قرأ الأستاذ اللبان تقرير اللجنة، وقدمه إلى المؤلف البحاثة ليرد عليه بما يوضح منحاه، فقام الأستاذ بجهد مشكور في بيان ما اتجه إليه من تفكير يخالف الاتجاه السائد، ولم يحتد في النقاش كما احتد أعضاء اللجنة فى بعض ما كتبوه، وهذا مما يُحمد له، وقد استشهد في هذا المجال بقول الشاعر:

هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت

وهي روح طيبة يجب أن تحتذى من أهل العلم، ومن حظ الدارسين أن النجار أصدر الطبعة الثانية مشتملة لتقرير اللجنة مع تقرير لجنة أخرى قامت بهذا الغرض دون أن يسقط حرفا واحدا، وشفع ذلك بنقده العلمي الصريح، فأصبح الكتاب بهذه الوثائق معرضا رائعا للرأى الحر والنقاش الهادف، وقدّم للقارىء ما يجعله حكما عدلا إن كان من الفاقهين، ولو سلك كل منقود مسلك الأستاذ النجار من ناقديه، لوضح الصواب دون لجاج، بعيدا عن مناحى المهاترات، وبقراءة الكتاب بنقداته وردوده، تعلم أن المؤلف قد سجل ما لحظه من تراكم الاسرائيليات الخاصة بأنبياء الله في كتب المفسرين والمحدثين ورجال التاريخ، مع شيوع هذه الاسرائيليات لدى كثير من الناس وكأنها علم إسلامى أصيل، لأن الذين فسروا القرآن في نطاقها قد أفهموا قراءهم أن هذا التفسير لا يخرج عن محيط المأثور من كلام الله وسنة الرسول، وهذا موضع الخطر العظيم، وكان المؤلف دقيقا كل الدقة حين وضع الأصول المنهجية التى اتبعها في دراسته، وقد حددها في هذا النطاق.

١) إن العقل ركن المعتقدات الأول، فما أوجبه كان واجبا، وما أحاله كان محالا، وما أجازه كان جائزا.

٢) إذا عارض الخبر العقل وجب تأويل الخبر بما يزيل هذا التعارض.

٣) إذا كان رواة الخبر آحادا فلا يصلح أن يكون دليلا على ثبوت الأمور الاعتقادية، لأنها لا تثبت إلا بالدليل القاطع، وخبر الآحاد ظنيٌ لا قطعي.

٤) أن الخبر الوارد عن النبي المعصوم إذا كان قطعي الثبوت والدلالة فهو حجة قاطعة على ما تضمنه وأما القرآن فلا خلاف على حجيته الصريحة.

٥) ما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية، وكان منقولا بطريق النقل المتواتر، ويمكن صرفه عن ظاهره، كان بها، وإلا فيحمل على أنه كان قبل البعثة، أما إذا كان النقل بطريق الآحاد فهو مردود.

٦) إنكار المعجزة الثابتة بنص قطعي الثبوت كُفْرٌ، أما الإسرائيليات فلا حَرَج فى مخالفتها وإنكارها.

٧) كتب العهد القديم والجديد يُقبل منها ما كان موافقا للقرآن. وما خالفه باطل، وما كان القرآن

ساكتا عنه فلا نقطع بكذبه أو صدقه، ويجوز الائتناس به.

٨) أقوال المفسرين ليست حجة قاطعة فيما نصت عليه بل هى أوجه يجوز حمل القرآن عليها، أو مخالفتها.

هذه هي الأسس التى ارتكز عليها الأستاذ في تحقيقاته، ولها أصول في كتب السابقين والمحدثين، ولكن بعض زملائه من أساتذة الكلية لا يتفقون على صوابها، ومن هنا دار النقاش! وقد كان من القررات الأساسية لدى من عارضوه أن آراء السلف لا تَقْبَلُ التعديل، وأن مخالفة الأستاذ النجار لبعض هذه الآراء تتطلب التصحيح، وإذا كان النقد قد تشعب حتى شمل ست عشرة نقطة علمية، فإن محاولة تلخيصها نقدا وردا مما لا تتسع له كلمة موجزة عن الكتاب، وكي لا أحْرمَ القارىء من الوقوف على منهجين متعارضين في التفكير العلمى فإنى سأختار مثالا واحدا لقضية علمية دار حولها الجدل بين الأستاذ ومعارضيه، ولعل ذلك يدفع الدارس الجاد إلى استيعاب كل ما دار، بمراجعة الكتاب فيما بعد الطبعة الأولى، وهى مُتعة لذيذة يحرص عليها من يعشقون تصاول الآراء، وتناطح الأفكار.

أما القضية التى اخترتها من بين القضايا المتعددة، فهي ما ذكره الأستاذ النجار عن رحلة إبراهيم عليه السلام الى مصر، إذ تعرض المؤلف إلى ما نقله الرواة من رحلته إلى مصر في عهد ملوك الرعاة المعروفين بالهكسوس، وما كان من طمع الملك الهكسوسي في سارة «زوجة الخليل، وادعائه عليه السلام أنها أخته كي يسلم من شره، وهذا كله جاء في التوراة، نقله الأستاذ ليتولى تفنيده، دون أن يذكر ما دار حول ذلك من روايات الآحاد في كتب الحديث، ليكون التفنيد للمصدر الأول وحده دون أن يمس الكتب الإسلامية في شيء، وهو صنيع يتمشى مع خطة المؤلف، لأنه لا يعتمد الأحاديث المروية عن الأحاد ولم تثبت بنص قطعى متواتر، إذ قرّر في شروطه التى التزم بها عدم الركون إلى أحاديث الآحاد إذا كانت مما يصطدم مع الرأى، ولكن اللجنة الناقدة رأت في تجاهل هذه الأحاديث ذللا خطيرا، وأفاضت فى تسطيرها برواياتها المختلفة، وكان أول ما بدأت به رواية أبي هريرة[١] عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: لم يكذب ابراهيم عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، اثنتين فى ذات الله وهما قوله: إنى سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم، وواحدة فى شأن سارة فانه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها، إن علم هذا الجبار انك امرأتي غلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، لأنك أختى فى الإسلام، ولا أعلم في الأرض مسلما غيرى وغيرك، فلما دخل أرضه علم الجبار بها، فأرسل إليها فأتى بها، فلما دخلت عليه، لم يتمالك أن بسط يده عليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: دعي الله أن يُطلق يدى ولا أضرك. ففعلت فأطلقت يده، ودعا الذى جاء بها فقال له: لقد أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضى، وأعطاها هاجر. هذا نص من أحاديث متشابهة في المعنى والمضمون أفاضت لجنة الرد فى سردها، منكرة على المؤلف كل الأنكار أن يترك هذه الأحاديث، ويعتمد الى رواية التوراة، ثم شاءت أن تلتمس له بعض التعليل فرأت الأمر لا يخرج عن أربعة احتمالات هي:

١ - أن يكون المؤلف لم يقف عليها، وذلك مستبعد من أستاذ فاضل يدرِّس في كلية أصول الدين لطلبة الوعظ والإرشاد.

٢ - أن يكون المؤلف قد وقف عليها، ورأى فيها مطعنا يخرج بها عن دائرة الاحتجاج، ولو صح ذلك لوجب عليه فى رأى اللجنة أن يذكر مطعنه بأدلته.

٣ - أن يكون قد وقف عليها ولم يعلم فيها مطعنا، غير أنه لا يراها مما يتخذ مصدرا للأحداث التاريخية.

٤ - أن يكون قد وقف عليها، ولم يعلم فيها مطعنا غير أنه سها عن ذكرها.

وهذه احتمالات عقلية افتراضية فحسب، لأن المؤكد أن المؤلف الكبير قد درس جل ما جاء في التراث عن ابراهيم، وفي مقدمته ما جاء في الأحاديث، لذلك سارع بالرد الجهير قائلا: إنه يعرف هذه الأحاديث ويعلم أنها تسند الكذب الى نبيّ كريم، وهو أمر يمس العقيدة، وقد قال صاحب الفتح جـ ٨ ص ٤٣١، إن الأحاديث إن كانت في مسائل علمية يكفى في الأخذ بها بعد صحتها إفادتها الظن أما إذا كانت في العقائد فلا يكفى فيها إلا ما يفيد القطع متناً وإسنادا، وعلى ذلك فلا تصلح تلك الأحاديث أداة لتقرير كذب إبراهيم عليه السلام، لوجوه كثيرة استطرد النجار في ذكرها ناقلا ما يدل على صدقه من مثل قول الله عز وجل {واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا} (مريم/٤١) ومثل قوله تعالى: {إن إبراهيم كان أمّة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم} (النحل/ ١١٩ - ١٢٠) ومعقبا على ذلك بآراء الثّقات من المفسرين، ثم انتقل الى القاعدة العلمية التى توجب رد الحديث إذا كانت روايته آحادا، وفيه نسبة العامى أو الكذب للأنبياء مسجلا ما قرره العصام فى شرح العقائد النسفية بعد أن ذكر وجوب اتصاف الأنبياء بالصدق حيث قال: إذا تقرر هذا فما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية، فما كان منقولا بطريق الآحاد مردود وإلا فمحمول على ترك الأولى أو قبل البعثة.

ثم نقل نصوصا أخرى تُعَضِّدُ رأى العصام، وجاء بالفلج الواضح حين انتهى إلى قول الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره الشهير عن ابراهيم عليه السلام: «وأما قوله عن سارة إنها أختى، فالمراد أخته في الدين وإذا أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير نسبة الكذب إلى الأنبياء عليهم السلام، فحينئذ لا يحكم بنسبة الكذب إليهم إلا زنديق» ثم جهر الفخر الرازى برد الحديث ونسبته الى بعض الحشوية ممن يخبطون في الرواية خبط عشواء، وكأن الأستاذ عبد الوهاب النجار قد اغتبط بمظاهرة الفخر إياه فقال تعقيبا على رأيه فى رد الحديث ما نصه[٢]: «إن لى سلفاً في رد الأحاديث الناطقة بكذب إبراهيم - نزهه الله على ذلك - وهو الفخر الرازى، وقد حاول حضراتهم - يريد أعضاء لجنة المناقشة الحط من هذا القول، لأنهم متى زيفوا كلام الرازى فقد زيفوا رأيي، وأكبر ظني أنهم لو لم يجدوا كلام الرازى مطابقا لما أوردته، ما خطر ببالهم هذا الخاطر، وآية ذلك أنهم يعلمون أن الفخر الرازى قال بذلك قبل أن أكتب كتابي ولم ينشط أحد منهم للرد عليه كيلا تضل الأمة». هذا مثال للنقاش الجاد حَوْل كل الاعتراضات التى تقدمت بها اللجنة الناقدة وذلك يعنى أن الأستاذ النجار قد فتح بابا جديدا في كتابه التاريخ النبوي لرسل الله، وقام بمعوله هادماً ما تراكم من الاسرائيليات حول هؤلاء! وكان الظن بمثل هذا الكتاب القيم أن يقابل بالترحيب، وإذا كان من نقد فلابد أن يحاط بالتقدير والاحتفال، ولكن الله أراد بهذه الضجة أن تخدم سير المرسلين، فقد أورثت الكتاب ذيوعاً وانتشارا، وأصبح المرجع الأول في سير الأنبياء، وقد رجع إليه كل من ألفوا في تاريخ النبوات من بعده، وهذا يدل على أن المنطق الصحيح يشق طريقه للعقول مهما اعترضته العقبات، وإذا كانت للأستاذ النجار مؤلفات أخرى ذات تحقيق وبحث فإنها لم تبلغ من الذيوع مبلغ كتابه عن الأنبياء، مما يجعلنا نتساءل ألا يمكن أن ينتشر الكتاب الجيد بين القراء دون ضجيج! لقد عرفت من المؤلفين من يحث بعض أصدقائه على تجريح مؤلفه ليعقبه الرد فالرد. فيترك ذلك صدى كبيرا، وهو مسلك لا أرتضيه.

الهوامش:

(١) قصص الأنبياء - الطبعة الرابعة ص ٨٥ وما بعدها.

(٢) قصص الأنبياء - الطبعة الرابعة ص ٩٢.

من المناقشة ينبثق النور:

مع الدكتور عبد المحسن القحطاني في كتيبه بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر (٣-٥)

بقلم:
أحمد سالم باعطب
- جدة -

خطوات المنهج:

عند قراءتي لهذا الكتاب لم أعثر على خطوات مكتوبة حددها المؤلف ليسير على ضوئها حتى يبلغ هدفه، لا مسلسلة تسلسلا عدديًا ١، ٢، ٣، ٤ أو تسلسلا أبجديًا أ - ب - ج - د ، لكنني لن أهضم الدكتور حقه، فقد نثر عقد هذه الخطوات بين سطور الصفحات الأولى غير عابىء بنظمها في سلك الأعداد أو خيط الحروف الأبجدية.

فقد ترك للقارىء أن يجمع شتاتها إن شاء بالكيفية التي يراها مناسبة إذا رغب في ذلك، وكأنني به يرى أن علم العروض علم دسم لا يسهل هضمه في عصرنا الحاضر، لأنه من العلوم التي لا تستطيع المدارك أن تستوعبها بسهولة ويسر، ولنا في الأقدمين أمثلة على ذلك.

ومن الأمثلة التي حملتها بطون كتب التراث ما يلي:

المثال الأول: في كتاب ابن القطاع المسمّى «البارع» تحقيق الدكتور أحمد محمد عبد الدائم بالصفحة التاسعة من الطبعة الأولى ورد «أنّ الأصمعي أراد أن يتعلم العروض على يد الخليل بن أحمد فتعذر ذلك عليه فقال له الخليل:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ

المثال الثاني: وفي «الكافي» للخطيب التبريزي تحقيق الحساني حسن عبد الله بالصفحة الخامسة بالسطر الحادي عشر ورد ما يلي: «غفر الله للجاحظ تصريحه بأنّ العروض علم مستبرد».

المثال الثالث: قال ابراهيم بن سيار بن هانيء البصري أبو اسحاق النظام: «إنّ دوائر الخليل لا يحتاج إليها غيره»، ورد هذا القول في الصفحة الخامسة من كتاب «الكافي» للخطيب التبريزي بالسطر السادس عشر.

وكل هذه الأقوال لا تقلل من منزلة الخليل بن أحمد، ولا تنقص من قيمة العروض شيئا ويمكن للقاريء اللبيب أن يتعرف على خطوات منهج الدكتور كلها أو بعضها من خلال قراءة متأنية لما ورد في الصفحات الأولى من كتابه، فقد بين في سياق حديثه أنه سيكون «منصفا في معالجة القصائد التي وصفها البعض بالشذوذ أو الاضطراب في الوزن، وأنه لن ينتصر لعروضي دون آخر، ولن يؤيد توجها ويرفض آخر».

وقد عرج الدكتور في الصفحة السابعة عشرة من كتابه إلى معنى الشذوذ عند العروضيين،

والشذوذ كمصطلح لغوي فقال: «إنَّ الشاذ عند العروضيين يختلف تماما عن الشاذ عند النحويين، فهما مصطلحان مختلفان في المعني، فـ «الشاذ» في العروض ليس ضد القاعدة المتسقة، وإنما معناه - فيما أحسب - عدم اضطراده وشيوعه، فلندرته حكم عليه بالشاذ، ولو استعمل العروضيون مصطلح «الندرة» لكان أقرب إلى عدم توسع المتلقي في تفسير معنى «الشذوذ» الذي قد يتجه إلى كونه «وزنا مضطربا، وهذا ما لم يقصده العروضيون فيما أخال»·

ولقد سبق أن أشرت في مقال لي نُشر بملحق الأربعاء الصادر يوم ٣٠ ربيع الأول عام ١٤١٧هـ بالصفحة الحادية والعشرين بالسطر السابع من العمود الرابع إلى كلمة «الشذوذ» في العروض فقلت: «إنَّ كلمة الشذوذ كلمة نابية، يجب أن نغلق أمامها الأبواب حتى لا تلج رياض الأدب فتفسد نقاء هوائها»·

إنَّ اقتراح الدكتور القحطاني باستخدام كلمة الندرة بدل الشذوذ اقتراح سديد ينمُّ عن حسٍّ أدبيٍّ رفيع، وليت الذين يهتمون بعلم العروض أن يحاولوا إقناع الغير بالعمل على أن يأخذ هذا الاقتراح مكانه في الذيوع والانتشار·

في نهاية الصفحة السابعة عشرة تحدث الدكتور عن مفاهيم الشذوذ الخمسة كما يراها عند دارسي العروض فقال: «غير أنه - أي الشاذ - مصطلح لم يستقر عند دارسي العروض فتناولوه على خمسة مفاهيم» ثم بيَّن تلك المفاهيم بالتفصيل·

مناقشة النصوص:

بدأ الدكتور القحطاني مناقشة النصوص التي رصدها من قبل، وتعهد بأن يناقشها حسب عدد الأبيات، وأشار في مستهل حديثه أنه سيبدأ بمناقشة البيت ثم البيتين ثم الثلاثة، ثم المقطوعات فالقصائد ، ولقد صدق وأوفى بما وعد، فبدأ بمناقشة ثلاثة أبيات من بحر المتدارك جاءت متناثرة في كتب العروض، وهي أبيات لم يُعرفْ قائلوها، وإنما أوردها العروضيون ضمن مؤلفاتهم للاستشهاد بها وقد تكون من نظم العروضيين أنفسهم نظموها ليحققوا بها تأسيس قاعدة·

أول هذه الأبيات:

جاءنا عامر سالما صالحا
··· بعد ما كان ما كان من عامر

وثانيها:

إن الدنيا قد غرتنا ·
·· واستهوتنا واستلهتنا

وثالثها:

أبكيت على طلل طرباً
··· فشجاك وأحزنك الطَّلَلُ

فالبيت الأول للاستشهاد به على المتدارك السالم، والبيت الثاني للاستشهاد به على المقطوع ضربا وعروضا وحشوا من المتدارك التام، والبيت الثالث للاستشهاد به على المتدارك المخبون ضربا وعروضا وحشوا·

وقد أشير إليها في بعض الكتب أنها من نظم الخليل بن أحمد وعند مناقشة الدكتور لاختلاف نغمات القوافي نتيجة ما يطرأ عليها من العيوب ذكر أن العروضيين استكرهوا من تلك العيوب «السناد» وفسر السناد بقوله «اختلاف حروف أو حركات ما قبل حروف الروي» وهذا القول على إطلاقه لا يشمل جميع أنواع السناد وهي : سناد الاشباع، وسناد الردف، وسناد التأسيس، وسناد التوجيه، وسناد الحذو· «يراجع الكافي للخطيب التبريزى تحقيق الحساني حسن عبد الله صفحة ١٦٤» وعلل الدكتور سبب اعتبار السناد عيبا من عيوب القافية بقوله: «محافظة على المقطع الصوتي» وهذا قول صحيح لأن اختلاف الحركات غير المتناسقة كالضمة والفتحة، أو الكسرة والفتحة تسبب خلخلة في النغمات الموسيقية مما يشعر القارىء باضطراب في الوزن· وضرب الدكتور مثلا للسناد بسناد الاشباع وهو تغير حركة

«الدخيل» والدخيل حرف «يأتي بين الروي والتأسيس» والتأسيس ألف يأتي قبل حرف الروي بحرف صحيح والمثال الذي ضربه لسناد الإشباع سليم. على أن هناك خلافا بين العروضيين في جواز بعض أنواع السناد.

وسلامة نية سعادة الدكتور عبد المحسن تجعله يحسن الظن بكل شيء إلى درجة أنه يضع ثقته فيه، ويسلمه أمره، ومن ذلك أنني عند قراءتي لكتيبه في طبعته الأولى وقعت عيني على بعض الأخطاء ودونتها، وتوقعت أن يكون الدكتور قد قام بتصحيحها في الطبعة الجديدة، ولكنه لم يفعل خشية أن يثير غضب المصححين فتركها على علاتها. ولنقرأ من تلك الأخطاء قوله في الصفحة الحادية والعشرين بداية من السطر السابع: «وآخر يكون حرف الدخيل واوا في بيت ، وياء في بيت، فيشعرُ القارىء أن الحركة اختلفت تبعا للحرف مع أنه ساكن في كليهما «خمُوشا» و«قُرَيْشا»».

وهذا القول من بدايته إن لم يكن خطأ مطبعيا فهو قولٌ جانبه الصواب، فحرف الدخيل لا يكون واوا ولا ياء ولا ألفا وإنما يكون حرفا متحركا، لكن حروف المد الثلاثة الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها تصلح أن تأتي إردافا، والردف هو حرف المد الذي يأتي قبل الروى، كما أن الواو الساكنة المفتوح ما قبلها، أو الياء الساكنة المفتوح ما قبلها يعتبر كل منهما «ردفا» لأنهما «حرْفا لين» وحرفا اللين يعتبران حرفي مد ولكن هناك فرق تُبيِّنُه أحكام المد الطبيعي واللين في علم التجويد، والدكتور أعلم بذلك مني في هذه النقطة.

وأما البيتان اللذان استشهد بهما الدكتور وهما:

عبد شمس أبي فإن كنت غضبى
فاملئي وجهك المليح خُمُوشا
نحن كنَّا سكانها من قريش
وبنا سميت قريشٌ قُرَيْشا

* وكذلك البيتان اللذان وردا في مطلع الصفحة الثانية والعشرين لعبيد بن الأبرص وهما:

فإن يكُ فاتني ومضى شبابي
وأصبح عارضي مثل اللُّجَيْن
فقد ألِجُ الخباء على عذاري
كأنَّ عيونهُنَّ عيونُ عِينِ

* فإن البيتين الأولين والبيتين الأخيرين يمثلان سناداً واحداً هو سناد الحذو و«الحذو» هو حركة الحرف الذي يأتي قبل الردف كما مثل لذلك الدكتور.

ثم تطرق الباحث إلى سناد الردف وأصاب في اعطاء المثال الصحيح، ولكنه رجع بنا القهقرى إلى العصور الأولى عصور النوابغ والأفذاذ الذين يفهمون الكلمة ومعناها وهي «طائرة» أي قبل أن تطرق أسماعهم، في حين أننا نعيش اليوم في زمن لا نستطيع فيه أن نتقبل الكلمة قبل أن نبحث عن معناها إلا إذا جيء بها في طبق به من المقبلات والمشهيات والمتبلات حتى نقبل عليها ونتذوقها حرفا حرفا، فماذا نصنع إذا قدم لنا الدكتور هذه الجملة «فالجمع بين «تُوصه» و«تَعْصه» ضمٌ يؤول إلى واو وفتح بعده حرف ساكن»، وأخشى أن تكون هذه الجملة من مخزونات الدكتور وجاء بها ليختبر مداركنا ومعارفنا ونحن نعيش في الزمن الرديء كما قال شاعرنا «عمر أبو ريشه» - رحمه الله - في أحد أبياته ما يمثل هذا المعنى.

وكان يكفي الدكتور أن يعلِّمنا أنَّ سناد الردف هو: أن يأتي بيت به ردف ثم يأتى بعده بيت لا ردف به.

والدكتور بهذه العبارة يذكرني ببيت الفرزدق الذي عجزنا معشر طلاب الثانوية حينما كان أستاذنا في البلاغة والنصوص يدرسنا التعقيد المعنوي في الشعر، والبيت:

وما مثله في الناس إلا مُمَلَّكا
أبو أمِّه حيٌّ أبوه يُقَاربه

* فلم يستطع أي منا أن يتوصل إلى المعنى الحقيقي.

والبيتان اللذان أثارا هذه المشكلة هما:

إذا كنت في حـــاجـــة مُرســـلا
فـــأرسل حكيــمـــاً ولا تُوصـــه
وإن بـاب أمـــــر عليك التـــوى
فـــشـــاور لبـيـــبـــاً ولا تَعْصـــه

* وقد تنازع نسبتهما إليه أكثر من شاعر فابن رشيق في العمدة الجزء الأول صفحة ١٦٨ ينسبهما إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه، وفي الكافي ذكر أن البيتين ينسبان إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر أو لصالح بن عبد القدوس، وفي الوافي وهو نسخة طبق الأصل من الكافي للخطيب التبريزي غير أن الوافي تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، بينما الكافي تحقيق الدكتور الحساني حسن عبد الله، وقد أضاف الوافي إلى عبد الله بن معاوية وصالح بن عبد القدوس شاعرا ثالثا ينتسب إليه البيتان وهو الزبير بن عبد المطلب.

وترك الدكتور الحديث عن سناد التأسيس وسناد التوجيه ولو قام الدكتور بشرح سناد التأسيس لكان في ذلك خير لأن سناد التأسيس أشبه بسناد الردف. وبعد أن استوفى الباحث معالجة السناد كعيب من عيوب القافية يحدث خلخلة في النغمات، تحدَّث عن البحور المتشابهة، وخلال حديثه عنها تطرق إلى الدوائر التي تجمع بينها. وبعد أن قام الدكتور بمناقشة آحاديات الأبيات أو ثنائياتها أصدر حكمه عليها بقوله في السطر العاشر من الصفحة التاسعة والعشرين: «لذا ظلت هذه الأبيات تشكل استقلالية لنفسها لكنها لا تلتئم مع نص شعري متعدد الأبيات».

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى دراسة عدد من القصائد التي دارت حول صلاحيتها الشكوك، وابتدأ بقصيدة امرئ القيس اللامية ومطلعها:

عــيناك دمــعــهــمـــا ســجـــال
كـــأن شــــأنيـــهــمـــا أوشــــال

والواقع أن هذه القصائد وقعت في بداية حياتها في قبضة الرفض والشذوذ ثم ما لبثت أن رأت بصيصاً من ضوء الانفتاح عليها، فقد هيأ الله لها قضاة من نقاد الشعر حريصين على البحث والتقصي لاظهار الحقيقة جلية واضحة، وكان من بين أولئك صاحب هذا الكتاب الدكتور عبد المحسن فراج القحطاني الذي صرف جهدا كبيرا في ترصد هذه القصائد ومتابعتها حتى استطاع أن يقف على كثير من الجوانب التي سهلت إلحاقها بالبحور القريبة، وكانت بائية امرئ القيس أولى تلك القصائد، وهي قصيدة أبياتها سبعة عشر بيتا قام بتقطيعها عروضيا الدكتور فتبين له أن عشر أعاريض منها مقطوعة مخبونة إذا اعتبرنا أن الأبيات جميعها من مجزوء البسيط وأن عروضين مطويتان، وثلاث أعاريض مقطوعة وأن عروضا واحدة تامة وأخرى مقطوعة مخبونة محذوفة، وهكذا نجد أن أعاريض القصيدة تشكلت، لكن غالبيتها جاءت مقطوعة مخبونة على وزن «فعولن» وبيَّن الدكتور عند معالجته هذه القصيدة آراء عدد من النقاد حولها ومنهم الدكتور حسين نصار والدكتور شوقي ضيف والدكتور همَّل.

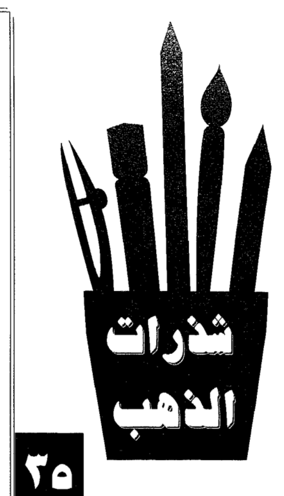
أما أضرب هذه القصيدة فكانت أكثر وحدة فجاءت على وزنين أحدهما ضرب مقطوع «مفعولن» وعدد الأبيات التي جاءت أضربها مقطوعة ستة أبيات، وجاءت أضرب أحد عشر بيتا على وزن «فعولن» مخبونة مقطوعة.

وأشار المؤلف أن لامية امرئ القيس تشبه إلى حد كبير بائية عبيد بن الأبرص والتي مطلعها:

أقفر من أهله ملحوب ... فالقطبيَّاتُ فالذنوبُ

* ولما كانت أبيات قصيدة عبيد بن الأبرص تبلغ ما يزيد على خمسين بيتا فقد آثر الدكتور أن يعد لها بحثا مستقلا ضمه فيما بعد إلى بحثه السابق وأصدر هذا الكتيب، وسأحاول المرور به لأقف على ما فيه من فوائد علمية وعروضية، وفي الحلقة القادمة، سيتناول المقال مناقشة الدكتور لقصائد أخرى تدخل دائرة القصائد المشرَّدة».

«الدراسة موصولة»



٢٠٩ ـ شاعر محسود:

كان صاعد بن الحسن البغدادي قد رحل من العراق الى الأندلس، وحظى بمودة المنصور بن أبي عامر سيد البلاد وحاكمها المطاع، فحسده بعض أدباء الحاشية وأرادوا الوقيعة به، فصادف أن جلس المنصور في ساعة صفو، بين ندمائه ومستشاريه، فقدمت إليه وردة في غير أوقات الورد، ولم يستتم فتح أكمامها، فقال صاعد بن الحسن مرتجلا:

أتتك أبا عامر وردة
يُذكّرك المسكَ أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصرٌ
فغطت بأكمامها راسها

* فسرَّ بذلك المنصور، وكان ابن العريف حاضرا، فحسده، وقال: هذان البيتان لغيره، وقد أنشدنيهما بعضُ البغداديين لنفسه بمصر، وهما عندى فى ظهر كتاب بخطه، فقال له المنصور اذهب وائت به، فخرج ابن العريف وركب مسرعا حتى أتى مجلس ابن بدر، وكان أحسن زمانه بديهة، فوصف له ما جرى، فقال لساعته هذه الأبيات، ودس فيها بيتي صاعد:

غدوت إلى قصر عبّاسة
وقد جدّل النوم حرّاسها
فألفيتها وهى في خدرها
وقد صرع السكر أنّاسها
فقالت أسار على هجعة
فقلت بلى، فرمتْ كاسها
ومدّت يديها إلى وردة
يُحاكى لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر
فغطت بأكمامها راسها

* فسار ابن العريف بها، وكتبها على ظهر كتاب بخط مصري، ومداد أشقر، ودخل بها على المنصور، فاشتد غيظه على صاعد، وقال للحاضرين! غداً أمتحنه، فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد، ولم يبق في مكان لى عليه سلطان.

فلما أصبح دعا به، وأحضر طبقا عظيما صُوِّرت فيه رسوم مختلفة من الورود والجواري، ومن فوق الرسوم سقائف تحمل بعض التحف، ومن تحتها بركة فيها ماء قد ألقيت فيها اللالىء مكان الحصباء، وفي البركة ثعبان يسبح، وطلب منه أن يصف الطبق بما فيه، وساعدت البديهة صاعداً، فوصف الطبق بما فيه وصفاً رائعا كان محل الدهشة والاستغراب، فعَظُم مكانه في عين المنصور، وأمر له بألف دينار، ومائة ثوب، ورتب له في كل شهر ثلاثين دينارا، وكمد حاسده ففارق مجلس المنصور حزينا، قاتل الله الحسد!

د. أبو حسام ـ المنصورة ـ

٢١٠ ـ مع البحتري:

قال البحتري: دخلتُ مجلس أبي سعيد محمد بن يوسف ومدحته بقصيدتي التي مطلعها:

أألفـاق صبٌ من هوى فـأفـيـقـا
أم خـان عـهـدا أم أطاع شـفـيـقـا
إن السلُوّ كـمـا علمتُ لراحـة
لو كـان قلبى للسلوّ مُطيـقـاً

* فسرَّ أبو سعيد بالقصيدة وقال: أحسنت والله يا فتى، وكان فى مجلسه رجل رفيعُ القدر عند أبي سعيد، وهو ذو ذاكرة حادة تحفظ القصيدة من سماعها لمرة واحدة، فأراد أن يكبت البحتري فقال له: أما تستحي منى يا فتى؟ هذا شعر لى تنتحله وتنشده فى حضرتى، فقال له أبو سعيد: أحقا ما تقول، قال نعم، وقد يكون سمعه فسبقنى به إليك وزاد فيه، ثم اندفع الرجل يروى كثيرا من أبيات القصيدة، فسكتُّ متحيرا لا أدرى ماذا أقول، وسمعتُ أبا سعيد يقول: يا فتى، قد كان فى قرابتك وودّك ما يغنيك عن هذا، فجعلت أحلف له بكل محرجة من الأيمان أن الشعر لي، وما سبقنى إليه أحد، ولا سمعته منه ولا انتحلته، فلم يُصدقني، وقُطع بى حتى تمنيت لو ساخت بي الأرض، وقمت منكسر البال أجُرُّ رجلي، فما جاوزت المنزل حتى خرج غلمان أبى سعيد ينادوننى فردوني، فأقبل عليّ الرجل، وقال الشعر لك يا بني، ما قلته وما سمعته إلا منك، ولكنى ظننت أنك تهاونت موضعى فأقدمت على الإنشاد بحضرتى في مجلس أبي سعيد، وأنا شاعره المفضّل، وكان عليك أن تستأذني قبل الإنشاد. ولكنك لم تفعل، وأنا رجل أحفظ الشعر بمجرد إنشاده فرأيت أن أعلمك كيف احترامك للكبير! ثم ضمَّني وعانقني وأقبل يقرظني، ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به.

ولي تعليق، حيث تنسب بعض الروايات الحادثة لأبى تمام ، على أنه هو الذى أحرج البحترى كما جاء في الأغانى وأنا أستبعد هذا، لأن لقاء البحترى لأبى تمام لأول مرة كان بحمص وقد أوصى به، وكتب إلى أهل معرة النعمان يُزكّيه، فكان لتوصية أبي تمام فعلها في إكرام البحترى .. فلا يرجح أنه فعل ذلك بمجلس أبى سعيد ببغداد.

٢١١ ـ مقلب مهجري:

روى الأستاذ ميخائيل نعيمه الأديب المهجرى الكبير هذه الأطروفة في كتابه عن جبران خليل جبران، قال ما فحواه: عزمتْ جريدة السائح المهجرية أن تصدر عددا ممتازا يضم أقلام البارزين من أدباء المهجر واحتشدت لذلك احتشاداً كبيرا، وقد تلقت فيما تلقت قصيدة رائعة للشاعر المهجري الشهير رشيد أيوب وقد أعجب بها رئيس التحرير، وقرأها لميخائيل نعيمه فصادفت تقديره، وأسمعها بالتليفون لجبران فقرظها تقريظا كبيرا..

وتصادف أن جاءت من دمشق جريدة ألف باء السورية، وبها حيّز أبيض لم يُطبع فيه كلام، حيث حذفت الرقابة أيام الحرب العالمية الأولى ما كان مكتوبا فى هذا الحيّز فبقى مكانه فارغا، وقرأ الأستاذ نعيمه الجريدة الدمشقية ورأى المكان الفارغ، فأوعز للأستاذ عبد المسيح حداد رئيس تحرير جريدة السائح، أن يطبع فى هذا الحيز قصيدة رشيد أيوب، بنوع من أنواع الحبر المناسب للجريدة السورية، حتى كأن القصيدة قد نشرت من قبل في الجريدة على أن يكون التوقيع باسم شاعر آخر، ثم يفاجأ الشاعر رشيد أيوب بهذه التهمة التى تلحقه، إذ يُعتبر سارقاً لا محالة.

يقول الأستاذ نعيمه بعد أن شرح المكيدة بالتفصيل الوافى، يقول ببعض التصرف:

«وما دخل رشيد أيوب، واحتل كرسيّه، وسند رأسه بكفه، حتى بدا مساعد السائح ومعه العدد السوريّ، وأخذ يقرأ ما بها من الشعر، فهب رشيد

أيوب عن كرسيه، وبالرغم من سنيه الخمسين وثب وثبة واحدة، واختطف الجريدة من القارىء ، فما وقعت عينه على العمود الذى يحمل أبياته حتى جمد في مكانه وقد جحظت عيناه، وامتقع لونه، واستولت الدهشة على كل عضلاته، وكانت لحظة لا توصف، لكنها لحظة اشرقت بعدها أسرّة رشيد أيوب، وعادت نظّارته إلى عينه من فوق جبهته، ومشى الدم فى عروق وجهه، والتفت إلى عبد المسيح مقهقها وقال: آه يا ثعلبان، هذا دَبَكٌ! هذا احتيال لقد بلغت فى فنّك مبلغا هو العبقرية بعينها» والدّبك عند المهجريين هو المقلب الكيدي!.

ثم جاء جبران، فأخبره نعيمة بالحادث على أنه سرقة، لا احتيال مدبر، فجعل يضرب كفا بكف وقال مندهشا: عجباً يا أخى كيف ينتحل رشيد أيوب مثل هذه الأبيات، وقد نظم فى حياته ما هو أحسن منها بكثير، أيمكن أن يكون قد نظمها من قبل، وبعث بها إلى جريدة ألف باء السورية فقال له نعيمه: مستحيل يا جبران، اذ لا علاقة بين رشيد وجريدة ألف باء؛ فقال جبران: أيصل توارد الخواطر الى هذا الحد؟ فقال نعيمه مستحيل.

وبعد أيام ظهرت الحقيقة، واعترف ميخائيل نعيمه وعبد المسيح بالمكيدة معتذرين لرشيد أيوب.

٢١٢ - مقلب مصري:

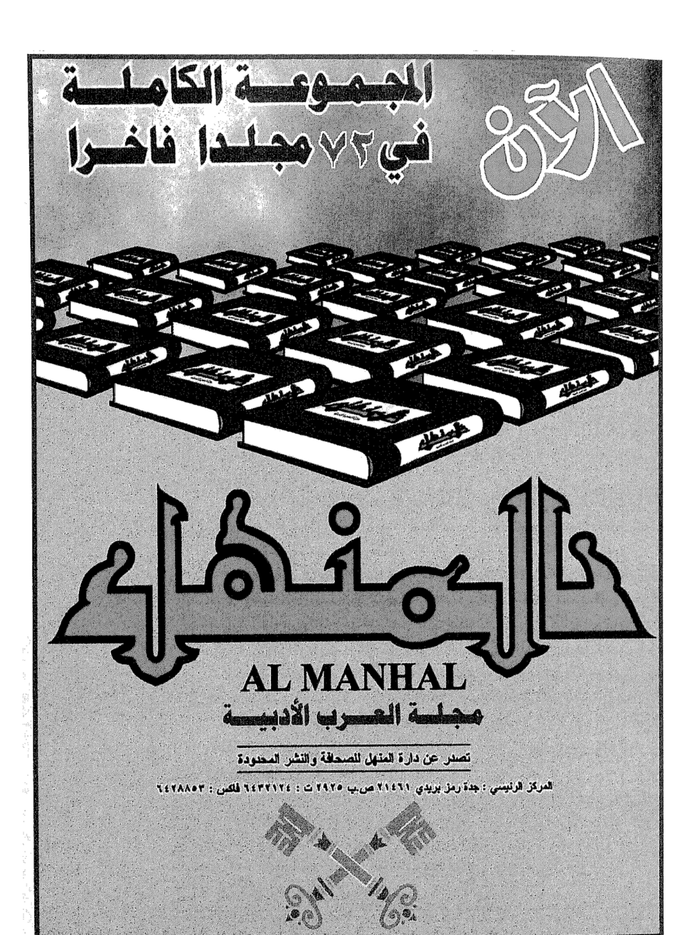
طرحت بعض المجلات الأدبية ، على الشعراء مسابقة أدبية ذات جوائز مادية مغرية، وتقدم للمسابقة الشاعر المتواضع الأستاذ فرحات عبد الخالق، وأخذ يترقب النتيجة أملا في الفوز، وعلم بذلك صديقه الشاعر الأستاذ محمود غنيم وكان زميله بدار العلوم ثم فى التدريس بإحدى المدارس الابتدائية حينئذ، فأعمل حيلته فى خديعة الأستاذ فرحات، بأن أحضر ورقة تحمل اسم المجلة فى أعلاها، وكانت لديه من قبل، وكتب بها خطابا هذا نصه:

بعد التحية، فيسر المجلة أن تبشركم بالفوز فى مضمار المسابقة، وتهنئكم بهذه المناسبة، وترجو أن ترسلوا صورتكم الشمسية لتصدّر بها قصيدتكم التى ستنشر فى العدد القادم، وتقبلوا فائق الاحترام، ثم عمل الأستاذ غنيم على أن يكون الخطاب صادراً من القاهرة، وعليه الختم البريدي الذى يدل على ذلك، فأعطاه لمن أرسله من العاصمة.

وجاء الخطاب الى الشاعر المسكين يحمل اسم المجلة مطبوعا فى صدره، وفي إيجازه الدقيق ما يدل على جدّية الموضوع، وكلّ الدلائل تُوحي بالتصديق، فطار فرحا لزملائه بالمدرسة، وأخذوا يهنئونه بالسبق، واقترح الأستاذ محمود غنيم أن يقيم لهم الشاعر الفائز مأدبة غذاء تحدثاً بنعمة الله عليه، فوافق عن سماح، وعجّل بالدعوة في اليوم التالى، فهرع إليه نفر من خاصته، وكلهم فرح مستبشر بما نال الشاعر من فوز أدبى يفوق المكسب المادي، وفيهم من ألقى كلمة بهذه المناسبة تلتها كلمات، وتعجل فرحات الشاعر المصور ليسرع فى مهمته فيُعجّل بإرسال الصورة للمجلة، وجال بذهنه أن يذهب شخصيا للقاهرة كي يسلم الصورة، وربما كانت مناسبة سارة لقبض المكافأة المالية، وأصبح الأمر جدا لا يحتمل المزاح، وكان الشهر شهر أبريل، فتقدم إليه من يخبره أن المسألة لا تخرج عن المزاح وأن السبب يرجع إلى مزاولة الكذبة المعهودة فى إبريل، واضطرب الشاعر مغيظا، وقاطع الأستاذ غنيم أمدا طويلا، ثم التأمت الجراح بعد أمد!

٢١٣ - من شعر ابن الرومي:

لك مكرٌ يدبّ فى القوم أخفى
من دبيب الغضاء فى الأحشاء
أو مسير القضاء في ظلم الغيب
إلى من يريده بالتواء
أو من السرّ فى ضمير محبّ
أبته عقوبة الإفشاء



كلمات للحياة

بقلم:
سعد البواردي

** تعجبت لذلك الخائب قاصر النظر الذي آثر أن يعرّج على مشعوذ يشتكي له سقمه.. وعلى مقربة منه أرقى المصحات وانجحها علاجاً.
الخائب هنا يتمثل في أولئك الذين نزعوا الى سنّ قوانين وضعية تحكم تصرفات مجتمعاتهم .. وحركات حياتهم بدلا عن الدساتير الشرعية التي جاءت بها الرسالات السماوية.. وجاء من أجلها الرسل نهجاً للحياة .. وعقيدة للسلوك .. وروحاً للعمل وإذكاء للأمل.. وهي التي لم تغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصتها..
إنهم تماماً أشبه بذلك الخائب المفلس في تفكيره الذي اختار سبيل الشعوذة على يقين العقل .. فلم يبرأ له سقم .. ولم تسلم له شكوى .. أيا كانت الوصفات .. وأيا جاءت الصفات لأنه حاد عن جادة الصواب والحق .. والحق أحق ان يُتبع.

** (التنبلة) قنبلة تهدد حركة السعي. أي سعي بالتراجع والضمور..
أخطر أسبابها ما يعمد إليه البعض من الآباء الأثرياء وقد أغدقوا وأغرقوا أبناءهم بصنوف من العطايا دون جهد منهم يبذل ولا سعي يشعرهم بأن العطاء حتى ولو جاء منهم إنما يأتي على قدر العمل.
إن اتكالية مغرقة في بلادة حسها .. وتحجراً في ارادة في الطموح تنشأ عن ذلك يتحول معها الفرد الى عالة مرفوضة اجتماعياً.. بل وعائق مفروض بغباء أمام دولاب البناء .. والعطاء.
ليس عيباً أبداً أن نفهم أبناءنا .. أن نلجم فيهم شهوة النزعة الى الكسل والتراخي إمساكا للعصا من وسطها فلا نمنحهم إلا الضرورة عند الضرورة.. دافعين من خلال التوازن المدروس بطاقة شبابهم نحو معترك العمل حتى ولو كانوا في غنى عن أية محصلة مادية بناء على ما يملكه الآباء.



المهم إيقاظ روح الرغبة الفاعلة لديهم .. وطرد خرافة ان العمل المتواضع الشريف بموقعه أو بمرتبه لا يتناسب ووضعهم الاجتماعي أو الأسري الأكبر شهرة.
العصاميون هم الذين يشقون طريقهم .. ويحققون ذواتهم من خلال السعي الدؤوب.. ويخطون سطور حياتهم بالعرق والجهد الذاتي المتواصل دون الاعتماد على محصلة الغير.
أما العظاميون فهم (التنابلة) الذين لا روح لديهم.. ولا ريح لهم .. إنهم أشبه بالفقاعات أو الزبد الذي ما إن يطفو على السطح حتى يختفي دون أن يحس به أحد. أو يأسى عليه أحد.
{فأما الزَّبد فيذهبُ جُفاء .. وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}.

** جاء السؤال على النحو التالي:
- إلى متى نظل نحن العرب والمسلمين لقمة سائغة.. هينة لينة في فم قوى

الاستكبار والاستعمار التي تحكم هذا العالم.. وتتحكم في مصائر شعوبه؟!
وجاء الجواب على النحو التالي:
ـ بعد خراب «البصرة» ـ يا حسره ـ أطبقت المأساة بكل ثقلها .. وأوشكت ان تسدل الستار على ما تبقى لنا من قيمة.. حتى مجرد انعقاد مؤتمر قمة عربي لم يعد في الامكان من اجل تدارك ما يمكن تداركه.
الصومال تحترق ـ افغانستان تحتضر ـ لبنان تحصد عناقيد الغضب ـ الباكستان تتفجر ـ الشيشان تنزف ـ البوسنة بعد النزيف تخويف وتسويف ـ ليبيا محاصره ـ اطفال الرافدين يموتون ـ السودان يتمزق ـ الجزائر على فوهة بركان ـ سوريا تطوّق ـ كشمير تنهشها حراب الهندوس ـ نيجيريا فتحت عليها النيران ـ الكيان الفلسطيني الموعود مهزوز معزول ـ مصر لم تبرأ بَعْدُ من جراح صدماتها وصداماتها المؤسفة .. لقد قلمت أظفارنا نحن العرب.. ولا أقول انيابنا إذ ليس لنا انياب.. جميعاً تتعرض للاهتزاز والابتزاز حتى تلك الدول التي مدت لها جسوراً واهنة مع تل ابيب لن تبرأ من عضة الافعى السامة.. انها ايضا هدف التركيع. والتطويع.. والإذلال.. طال الزمن أو قصر..
قال شاعرنا الحكيم:

تأبى العصي إذا اجتمعن تكسراً
وإذا انفردن تكسرت آحادا

ولأن عصيّنا لم تجتمع تكسرت واحدة بعد الأخرى..
قال الحكيم ايضا:

من حُلقت لحيـة جـار لـه
فليسكب الماء على لحيتـه

أكثر من لحية واحدة حُلقت.. وأكثر من لحية سوف تحلق لتلحق بسابقتها إن لم نستيقظ.. (أحداث قديمة إلا أنها متجددة).
** أروع مشهد تتكحل به عيناي في عالم مهموم بمشاكله .. مكلوم باحباطاته.. إنه صورة ابتسامة عذبة بريئة على وجه طفل لم يرضع بعد لبان الخديعة.. والمكر.
** في كلمات ثلاث يمكن اختصار مأساة «قانا»
ـ المعركة اسرائيلية ـ السلاح والمكافأة امريكيان ـ الضحايا لبنانيون أبرياء.
مقبرة المجارزة في قانا شاهد واضح فاضح على جريمة العصر النازية الجديدة.
** بالعقل وحده نملك أن تكون لنا صفات ملائكة.. دون عقل يمسك بزمام العاطفة ويلجمها يتحول البشر الى ما يشبه الحيوانات المتصارعة داخل أسوار الغابة.
** حين لا نرضع الحب لبانا. ونسقيه لأطفالنا ولغيرنا فإن ثدي الحقد والكراهية سوف يفتح صنابيره ليحرقنا ويغرقنا معاً..
** أسعد الناس حياة أكثرهم خشية من الموت.
** اللهم اذا كانت قوتي مصدر ضعف لإرادتي. وشك ليقيني .. وانهزامية لشجاعتي على مقاومة الباطل فانزعها مني لأنني غير جدير بتلك القوة.



يسر أرامكو السعودية ممثلة في إدارة العلاقات العامة ان تقدم تهانيها الحارة الى الأطفال الفائزين في مسابقتها السنوية الثامنة عشر لرسوم الأطفال ، وتتقدم بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في المسابقة وذويهم ومدرسيهم وكل من شجعهم وحثهم على المشاركة في هذة المسابقة . وكان ما يربو على ستة الآف لوحة قد تلقيناها من مختلف أنحاء المملكة . والشركة إذ تكرر شكرها وتهانيها للفائزين ، يسعد ها أن توجه الدعوة مرة اخرى إلى جميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعلن عنها قريباً ان شاء الله . وفيما يلي اسماء الأطفال الفائزين بجوائز المسابقة لهذا العام :

الاسم	المدرسة	المدينة
أحمد الشيخ أحمد	متوسطة سعيد بن المسيب	عرعر
أحمد حميل مسلم باخشوين	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
أحمد حجاج العروي	مدرسة الملك خالد الإبتدائية	ينبع البحر
أحمد متولي محمد الغنام	مدرسة قيس بن عاصم المنقري الإبتدائية	الطائف
أحمد محمد يحيى الغامدي	مدارس دار الفكر	جدة
أحمد هادي أحمد علي	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
أحمد وليد شحادة	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
أسامة عبد الحميد الشناوي	متوسطة الإمام أبي حنيفة	عرعر
أسامة عبد الوهاب الحواج	النموذجية الأهلية للبنين	الدمام
أشرف خيري عابدين	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
أفنان مشاري سليمان بلغنيم	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
الجازي نبيل حمد الشميمري	مدارس الرواد الأهلية	الرياض
الحسن يحيى النعمي	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
أماني عبد الرحمن منيع الغفيلي	مدارس الرواد الأهلية	الرياض
أمل محمد مسفر الشهراني	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
أمل نبيل فياض	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
أنس سمير البيات	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
آية زهير غيدو الحكيم	مدارس الرياض للبنات	الرياض
آية صلاح محمد القريوتي	مدارس الفيصلية الأهلية الإسلامية	الخبر
باسل نزار علي العوامي	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
بدر عبد الرحمن محمد الناصر	مدارس الرياض للبنين	الرياض
بسمة حسن علي اللهيبي	معهد الأمل	مكة المكرمة
بشاير حمد موسى آل موسى	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
بندر أحمد النعمي	مدرسة عبد الله بن مسعود الإبتدائية	رجال ألمع
بهاء أبو غنيم		الرياض
تركي عبد الله أحمد بجاد	متوسطة مدر العوص	رجال ألمع
جابر هلال المبارك	النابغة الذبياني	سيهات
جمال زيني الساعاتي	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
جمال عبد الستار إبراهيم	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
جسام إبراهيم كتب خانة	مدارس البراعم الإبتدائية	ينبع الصناعية
حلا مازن الطباع	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
حمدي خالد إسكندر	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
حمود فرحان الصليبي	مدرسة عمر بن عبد العزيز	طريف
حميد شاهر عباس الرويلي	أسامة بن زيد الإبتدائية	عرعر
خالد أحمد يحيى	متوسطة مدر العوص	رجال ألمع
خالد تركي الحربي	مدرسة عمار بن ياسر الإبتدائية بالهفوف	الأحساء
خالد سعيد العبد الجبار	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
خالد سهل عبد الجواد	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
خالد عبد الرحمن آل حميدان	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
خالد عبد الناصر المحمود	مدارس روضة جدة النموذجية	جدة
خلود محمد سالم باخشوين	مدارس دار الفكر	جدة
خليفة محمد آل هزاع	مدارس التهذيب الأهلية	سيهات
خليل سلمان أحمد بزرون	مدارس التهذيب الأهلية	سيهات
دانية صلاح عبد الجواد القريوتي	مدارس الفيصلية الإسلامية الأهلية	الخبر
راشد حمد راشد القزيع	مدرسة العيون الإبتدائية	العيون
رحاب ياسر عثمان	المدرسة الأولى الإبتدائية	ينبع
رحمة إبراهيم الزهراني	معهد الأمل	مكة المكرمة
ريان محمد حسن حجي	روضة جدة	جدة
ريم رياد بيرقدار	مدارس اليمامة الأهلية	الرياض
ريم عبد العزيز الذكير	مدارس الرياض للبنات	الرياض
ريم فهد عبد العزيز السدحان	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
ريما إسماعيل محمد طلبه	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
سارة مساعد عساف العساف	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
سعيد محمد سعد الدين المغربي	مدرسة الإمام نافع لتحفيظ القران الكريم	ينبع الصناعية
سلطان تركي عبد الله التركي	مدارس الرياض/روضة	الرياض
سلطان خالد أحمد	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
سلطان سمير العنزي	الفارق المتوسطة	عرعر
سلطان علي محمد الشارخ	مدارس الرياض للبنين	الرياض
سلطانه مبارك عبد الله المبارك	مدارس الرياض للبنات	الرياض
شروق أحمد محمد بكر	مدرسة الزهور	الخفجي
طارق إبراهيم حمود العنزي	إدارة التعليم بعرعر	عرعر
طارق محمد عبد الرحمن العثمان	الإبتدائية الثانية	الحريق
طارق محمد عودة	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
طلال فايع أحمد عسيري	مدرسة الأبناء الإبتدائية السابعة	تبوك
عادل سالم بن زقر	مدرسة عبد الله بن مسعود الإبتدائية	جدة
عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن	متوسطة الملك فهد	الطائف
عبد الرزاق حسن قحطان الرويلي	متوسطة عثمان بن عفان	عرعر
عبد العزيز خالد محمد القحطاني	مدارس الرياض للبنين	الرياض
عبد العزيز عبد الرحيم شاهين	واحة المعرفة الأهلية	عرعر

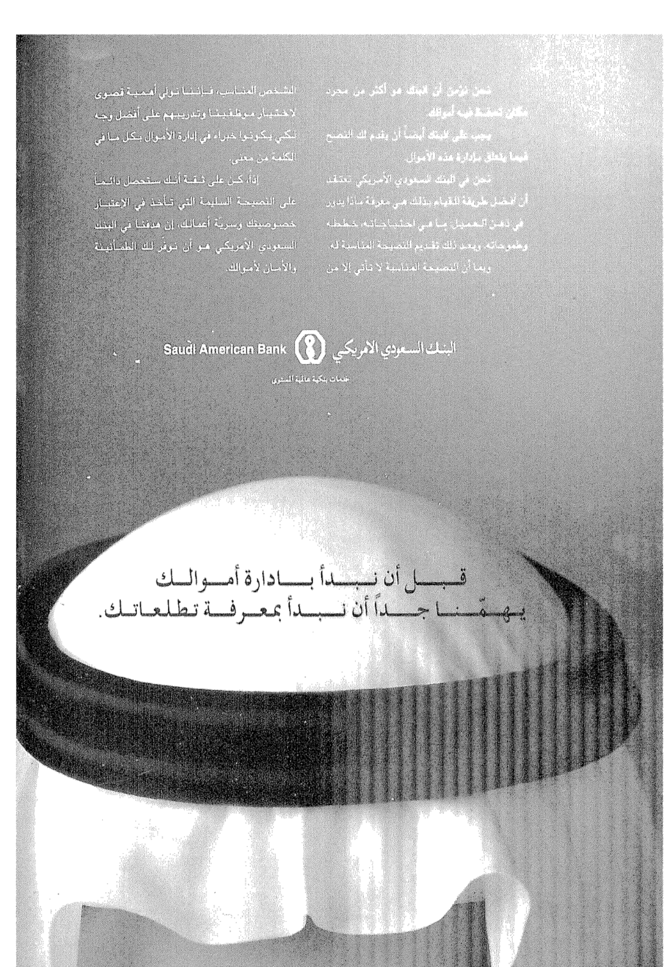
SAUDI ARAMCO

(PRS - 8 - 97)

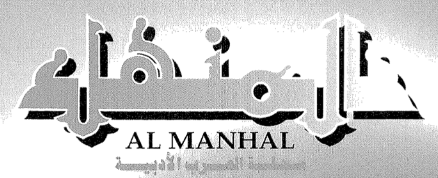
بمسابقة رسوم الأطفال السنوية

للعام 18 على التوالي

عبد العزيز محمد المويس	مدرسة الخالدية/الجمعة	الجمعة
عبد الله أحمد محمد النملة	مدارس الرياض للبنين	الرياض
عبد الله خالد عبد الله الملحم	مدارس الرياض للبنين	الرياض
عبد الله طاهر مررا	أكاديمية رحيمة	الظهران
عبد الله عبد المحسن عبد الله التويجري	مدارس جامعة فهد للبترول والمعادن	الظهران
عبد اللة عبد المعين آل عبد الحي	النموذجية الأهلية للبنين	الدمام
عبد الله علي العامري	مدرسة الأبناء الإبتدائية السابعة	تبوك
عبد الله فاروق محمد كوشى	مدارس الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
عبد الله محدي عبد العزيز الباجوري	مدارس الرياض للبنين	الرياض
عبد المجيد حمود مصيان الرويلي	مدرسة أحمد بن حبنل	طريف
عبد المحسن سعد الغانم	مدرسة الجزيرة الإبتدائية	الجبيل الصناعية
عبد الوهاب أحمد محمد معرف	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
عساف صالح محمد العساف	مدارس الرياض للبنين	الرياض
علاء مصطفى المدني	مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع	الخبر
عماد إبراهيم ناصر الشاوي	النموذجية الأهلية للبنين	الدمام
عمر أحمد محمد الريات	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
عمر عبد الله الملاح	مدرسة عمار بن ياسر الإبتدائية بالهفوف	الأحساء
عمر معن مريود	النموذجية الأهلية للبنين	الدمام
عيسى محمد أحمد عسيري	مدرسة الأبناء الإبتدائية السابعة	تبوك
فارس عبد الله عثمان الفارس	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
فارس محمد فهيد الشمري	مدرسة الأبناء الإبتدائية السابعة	تبوك
فاطمه عيسى أحمد العيسى	مدارس الرواد الأهلية	الرياض
فاطمه حسين القحطاني	مركز سمو الأمير سعود بن نايف لتأهيل الإناث	الدمام
فجر سليمان عبد الله الخراشي	مدارس الرياض للبنات	الرياض
فهد بن نايف بن عبد العزيز آل سعود	مدارس الرياض للبنين	الرياض
فهد حمد إبراهيم الحرقان	مدارس الرياض للبنين	الرياض
فهد عبد اللطيف الزبير	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
فهدة خالد ناصر الشثري	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
فيصل خالد الحايك ناجي	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
فيصل خالد محمد الرشيد	مدارس الرياض للبنين	الرياض
فيصل عثمان الجربوع	مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عرعر
كفاح غسان عبد الفتاح عودة	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
لمى جمال جوهر الجوهر	مدارس الرود الاهلية	الرياض
لولوة إبراهيم عمر المواش	المدرسة الثالثة	الأفلاج
ماجد أحمد هلال الحديدي	المتوسطة الدار الحمراء/بني سعد	الطائف
ماجد علي محمد حجوري	متوسطة مدر العوص	رجال ألمع
محمد بادي جوبان الرويلي	أحمد بن حنبل الإبتدائية	طريف
محمد جمال اليحيى	مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع	الخبر
محمد حسن أحمد بارفيل	مدرسة عقيل بن أبي طالب	الرياض
محمد حسن النعمي	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
محمد حسن محمد الكنس	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
محمد حسين الهراع	مدرسة الحريق الثامنة	الحريق
محمد درويش شهدا	النموذجية الأهلية للبنين	الدمام
محمد رجب محمد أحمد	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
محمد عادل النعيم	مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع	الخبر
محمد عبد الحميد الأنصاري	مدرسة الملك خالد الإبتدائية	ينبع البحر
محمد عبد العزيز التركي	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
محمد عبد الكريم فوزي موسى	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
محمد عبد الله الملاح	مدرسة عمار بن ياسر الإبتدائية بالهفوف	الأحساء
محمد عبد الله حمد الراشد	مدارس الرياض للبنين	الرياض
محمد علي السماعيل	مدرسة فلسطين الإبتدائية	الدمام
محمد فهد محمد بن معمر	مدارس الرياض للبنين	الرياض
مشاعل مقبل الشمري	مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع	الخبر
معاد برهان عبده قاسم	مدرسة الملك خالد الإبتدائية	ينبع البحر
منال حسن الجويد	مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع	الخبر
منصور سعد الهاجري	مدارس السعد الأهلية	الخبر
منيرة محمد عبد العزيز النافع	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
مي سليمان محمد السعيد	مدارس الرواد الأهلية	الرياض
نايف البطين	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
نايف سالم صالح الحازمي	عمرو بن عبد العزيز الإبتدائية	طريف
نبيلة متولي محمد الغنام	بواسطة والدها.مركز ومدرسة سلاح الإشارة	الطايف
نجد خالد عبد الله الدهيش	مدارس الرياض / روضة	الرياض
نداء عبد الرحيم صالح منصوري	مناهل أبها الأهلية	أبها
نوال محمد عبد الله المنتشيري	معهد الأمل	مكة المكرمة
هادي تركي إبراهيم الرفيدي	متوسطة مدر العوص	رجال ألمع
هاني محمد طه عبسى	مدرسة الملك خالد الإبتدائية	ينبع البحر
هبة الله أحمد محمد محرم	مدرسة أروى بنت عبد المطلب	المبرز
هدى عبد اللطيف محمد بحيري	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
هديل شيبه أحمد حسن	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
هيفاء عبد الرحمن سعود العجاجي	مدارس الرياض للبنات	الرياض
هيفاء عزالدين ساوي علي	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
وائل محمد حسن الشيخ	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
ولاء سمير عبد الظاهر الغنيمي	مدارس الفيصلية الإسلامية الأهلية	الخبر
وليد عبد العزيز كرم	مدرسة الملك خالد الإبتدائية	ينبع البحر
وليد علي أحمد جيلان	متوسطة مدر العوص	رجال ألمع
وليد محمد مريع القحطاني	مدرسة الأبناء الإبتدائية	تبوك
ياسر سعيد القحطاني	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
ياسمين مازن أحمد الخالد	مدارس الفيصلية الإسلامية الأهلية	الخبر
يحيى أحمد النعمي	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
يزيد ثامر محمد الشبيلي	مدارس الرياض للبنين	الرياض
يزيد عبد الكريم السليم	مدرسة الحسن بن هيثم الإبتدائية	عرعر



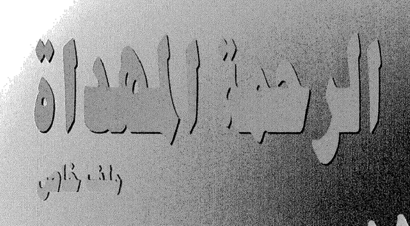
نحن نؤمن أن البنك هو أكثر من مجرد
مكان لحفظ أموالك
يجب على البنك أيضاً أن يقدم لك النصح
فيما يتعلق بإدارة هذه الأموال
نحن في البنك السعودي الأمريكي نعتقد
أن أفضل طريقة للقيام بذلك هي معرفة ماذا يدور
في ذهن العميل بما في احتياجاته، خططه
وطموحاته. ويعد ذلك تقديم النصيحة المناسبة له.
وبما أن النصيحة المناسبة لا تأتي إلا من
الشخص المناسب، فإننا نولي أهمية قصوى
لاختيار موظفينا وتدريبهم على أفضل وجه
لكي يكونوا خبراء في إدارة الأموال بكل ما في
الكلمة من معنى.
إذاً، كن على ثقة أنك ستحصل دائماً
على النصيحة السليمة التي تأخذ في الاعتبار
خصوصيتك وسرية أعمالك. إن هدفنا في البنك
السعودي الأمريكي هو أن نوفر لك الطمأنينة
والأمان لأموالك.
البنك السعودي الأمريكي
Saudi American Bank
خدمات بنكية عالية المستوى
قبل أن نبدأ بإدارة أموالك
يهمّنا جداً أن نبدأ بمعرفة تطلعاتك.



مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٤٢) المجلد (٥٩) العام [٦٣] الربيعان ١٤١٨ هـ / يوليو واغسطس ١٩٩٧ م

رعاية القواعد وتغيير الفتوى





أبو زيد يكفر الغزالي



كم وددنا ألا نتجاوزها



المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

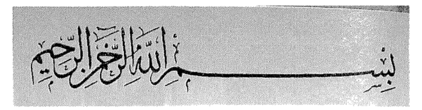


ربيع الاول

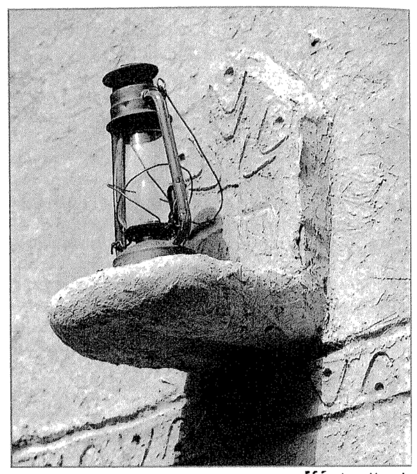
في هذا الشهر الميمون، أذن الله بأن يطلع في هذا الاقليم من جزيرة العرب في بلد الله الحرام؛ بدر منير، ليضيء بنوره الساطع الذي هو قبس من نور الله جل وعلا، ارجاء العالم؛ فكانت ولادة سيدنا «محمد» رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في أحد ايام هذا الشهر الاغر، ألا وهو يوم الاثنين، وما أن استكمل {صلى الله عليه وسلم} أربعين عاما من عمره المبارك حتى بعثه الله الى الناس بشيراً ونذيراً، برسالة عامة، يبلغها للناس عامة؛ لاصلاح معاشهم ومعادهم، هي رسالة التوحيد الخالص والهدى الوضاء؛ والنور البهيج، والدعوة الى مكارم الاخلاق، والى التآلف والتآزر على الخير والحق والفضيلة، والتحالف على محو الشر والباطل والرذيلة. واستمر الرسول {صلى الله عليه وسلم} في جهاده المقدس، في تبليغ رسالة ربه العالية باللسان أولا ثم بالسنان، ففتح الله بهذا النور الوضاء قلوبا غلفاً وآذاناً صما وأبصاراً عمياً، ثم انتشر ضياء هذه الرسالة بسرعة أدهشت العالم؛ هي سرعة انتشار النور، فغشي العالم نور لامع جذاب، منبعث من سمو الايمان والاحسان، فاطمأن الناس واستبشر العالم بعد التجهم وسار في طريق السمو والكمال، أجيالا تلو أجيال فلا غرو إذن أن يتذكر المسلمون والعالم أجمع باستهلال هذا الشهر الاغر ذكريات المجد ومعاني الثبات والتضحية والاقدام.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ربيع الأول ١٣٥٧هـ/ مايو ١٩٣٨م



لقطة الشهر

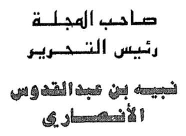


دولاب الحياة يَمُرّ سريعا ، مواكبا التطور الحضاري ، إلا أن جذور الماضي لاتزال تسري في دمائنا ، دليل على التمسك بالتراث الحضاري .

الشـارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.


طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر – جدة
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ – فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦



مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها .



غلاف العدد



العدد: (٥٤٢)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)





منهليات

(أمْ على قلوب أقفالها)

هالة من النور والضياء انتظمت سماء مكة المكرمة.

إنه الوحي ، ورسالة السماء..

وكفار قريش على أرض (مكة المكرمة) يُدَبِّرون ، ويديرون المكائد للقلة المسلمة..

يسومونهم سوء العذاب..

يسوِّقون الأكاذيب والأضاليل والبهتان، عن الدين الجديد ورسول الدين الجديد.

ورسول الدين الجديد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بالأمس قبل الرسالة والوحي كان عندهم الصادق الأمين..

وكان عندهم موضع البشر والفال الحسن..

وعندما جاءهم بالحق من ربهم قالوا عنه ما لا يصدقه عقل سويّ متزن..

هكذا الكفر، أكاذيب لا تنقضي عجائبها، وافتراءات لا تنتهي، وضلالات سابحة في ظلمات فوقها ظلمات.

كفار قريش، لو أعطوا عقولهم مساحة حرّة للتفكير الحر، ولو أعطوا قلوبهم مساحة حرة للتروي والتفكر لعقلوا الأمر..

ولكن، «على قلوب أقفالها».

هذا عاقلهم وأوسع مداركهم، الوليد بن المغيرة، في رحلة لاقناع محمد [صلى الله عليه وسلم] بالرجوع الى دين آبائه أو هكذا كان ظنهم.

جلس الوليد إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] وسمع منه، وأسمعه جزءاً من القرآن الكريم، أمام هذا الاعجاز الرباني اضطر الرجل لقول شهادة الحق (إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق.. إنه يعلو ولا يُعْلَى عليه).

هكذا، في لحظة صدق مع النفس قال الوليد.. ولما رجع إلى قومه وأحاط به أركان الضلال، في هذه اللحظة (إنَّه فكَّر وقدَّر. فقُتل كيف قدَّر. ثم قُتل كيف قدَّر. ثم نظر ـ ثم عبس وبسر ـ ثم أدبر واستكبر، فقال إن هذا إلا سحرٌ يؤثر إنْ هذا إلا قول البشر..)

هكذا الكفر، ظلمٌ وظلمات، وإنكار للحق وإن استيقنته أنفسهم.

«أفلا يتدبرون القرآن أمْ على قلوب اقفالها».

ليتهم وقفوا عند كفرهم ..

تتبعوا رسول الهدى، والرحمة المهداة ليأسروه أو يقتلوه.

تتبعوا المسلمين بالقتل والتعذيب..

«أفلا يتدبرون القرآن أمْ على قلوب اقفالها».

رئيس التحرير



الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

في هذا العدد

الفهرس

أقلام:

أ. د. يوسف القرضاوي
د. محمد علي البار.
أ. د. يوسف الكتاني.
أ.د. سيد رزق الطويل.
أ.د. عبد الرحمن الانصاري.
د. خليل المعيقل.
أ.د. عبده بدوي
محمود قاسم.



تعليق وتعقيب:

(فضلا عن ..)

البحث اللغوي من الأمور التي تكتنفها مشكلات كثيرة في هذا العصر، ولا مجال هنا لبحث ذلك فهو يحتاج لبحث مُفرد، ولكن أشيرُ إلى بعضها، فمنها اتساع مجال البحث بصورة عظيمة بحيث لا تكاد تجد من يمكنه الاطلاع على جميع مصنفات هذا العلم لتكتمل له جوانب البحث من كُتُب نَحْو ومعجمات وتفاسير ودواوين شعر وكتب أدب وشروحها، وحتى مع القدرة والصبر على هذا البحث، فمن الصعب توفير كل ما يحتاجه المرء من المراجع، وحتى إن توفرت، فليست مُيَسَّرة البحث فقد تحتاج إلى عمرك كله لاستقصائها، هذا إن كان عمرك كافيا!!.

والمعجمات وحدها مشكلة المشاكل، ولن نتكلم عن تحرير ما فيها من تصحيف وتحريف، ولا نتكلم عن ذكرها لبعض جوانب المادة دون بعض، ولا نتكلم عن ذكرها لأشياء في غير مظانها.

وإنما نتكلم عن بُعْد هذه المعجمات عن المثقف العربي، ومن ثمَّ فقد أحجمت دور النشر عن طبعها وتحقيقها، اللهم إلا بعون من جهة تريد نشر التراث دون الكسب المادي.

ولا أتحدث عن المعجمات المشهورة كالقاموس واللسان، وإنما أتكلم عن أمثال «تهذيب الأزهري» و«عباب الصغاني» و«جاسوس الشدياق» ونحو ذلك مما يحتاجه الباحث اللغوي.

وهذه المقدمة - على طولها - ضرورية لألتمس العذر لنفسي قبل غيري في قصور المادة العلمية وعدم استيعابها مهما بذلت من جهد واستفرغت من وسع.

وبعد:

فقد أمتعنا الشيخ (أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري) ببحثه عن قولهم (فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار) المنشور في [المنهل العدد رقم ٥٣٩ لشهر ذي الحجة ١٤١٧هـ الموافق لشهر ابريل ١٩٩٧م، في الصفحات (٨٦ - ٨٩)] وبعد قراءاتي له كان لي بعض الملاحظات أثبتها في هذا المقال.

فَبَدْأة بَدْأة نجد الشيخ لم يستوعب النظر في المعجمات المشهورة، فقد أفاد الفيومي في مصباحه فوائد عظيمة، قال[١]:

«قال قطب الدين الشيرازي في [شرح المفتاح]: اعلم أن «فضلا» يستعمل في موضع يستبعد فيه الأدنى ويراد به استحالة ما فوقه، ولهذا يقع بين كلامين متغايري المعنى، وأكثر استعماله أن يجيء بعد نفي.

وقال شيخنا أبو حيان الأندلسي نزيل مصر المحروسة أبقاه الله تعالى: ولم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب، وبسط القول في هذه المسألة وهو قريب مما تقدم».

وقد يلتمس العذر للشيخ بأن المقام يضيق عن استيعاب النقول على أن ما فاته من ذلك ليس مما يُنْقص بحثه.

ولكننا نلمح في أثناء كلامه ما يدل على أنه يذهب إلى لحن هذا الاستعمال في العربية، لإصراره على رد كل الوجوه الإعرابية في كلام ابن هشام، إما لأنها بعيدة وإما لأنها لا تطابق مراد المتكلم، وهذا صواب، ولكنه ينسحب على مراد المتكلم، وهو «الأولوية» أيضا، فكل تقدير نقدره على أن معنى (فضلا) هو الأولوية سيكون بعيدا مثل بُعْد التقديرات المذكورة.

وكذلك فهناك تقدير آخر فات ابن هشام، وهو الذى أفهمه من قول القائل (فضلا عن)، وهو: لا يملك درهما؛ فضلا عن ذكر الدينار، أي: «لا يملك درهما» ثم يقول: أكتفى بقولى «درهما» عن ذكر الدينار، وليس هذا التقدير بمتكلف، ولا هو بمناف لمهيع كلام العرب، بل كلامها مليء بمثل هذا التوسع في القول.

ولم يبين الشيخ - ربما لضيق

المقام ـ تاريخ استعمال هذا التركيب مع أن البحث عنه في كلام الأدباء قد يلقي الضوء على بعض وجوه صحة المعنى والمبنى، فربما وجد له شاهد يحتج به أو يستأنس به على أقل تقدير لا سيما إذا لم يعرف عن علماء اللغة أن أحدهم أنكر مثل هذا التركيب.

وقد اجتهدت في البحث عن هذا التركيب في كتب الأدب فوجدت ما يشهد له، فقد قال ابن المقفع[٢]: «وألا تكون دبَّاغاً ولا حجَّاماً لعاميٍّ فضلا عن خاصٍّ خدْمَة الملك».

وابن المقفع متوفى سنة ١٤٥هـ أي في عصر الاحتجاج اللغوي!! بل إن ابن خالويه قال في كتاب ليس[٣]: «حدثنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحنا إلا قوله: العلم أكثر من أن يحاط بالكل منه فاحفظوا البعض».

وهذا سند صحيح عن الأصمعي، ويؤخذ من ذلك شيئان:

الأول: أن كلام ابن المقفع صحيح لغة أو على الأقل يستأنس به في اللغة، لأن الاستثناء يخرج الكلام عن كونه مجاز تغليب.

الثاني: أن الأصمعي متشدد في اللغة، لأن هذه المسألة الوحيدة التي أنكرها على ابن المقفع أجاز استعمالها كثير من العلماء، قال الأزهري[٤]: النحويون أجازوا الألف واللام في بعض وكل وإن أباه الأصمعي.

قلت: وقد جمعتُ شواهد في ذلك ومنها قول سحيم[٥]:

رأيت الغني والفقير كليهما
الى الموت يأتي الموت للكل معمدا

وقول المرقش الأصغر[٦]:

شهدت به عن غارة مسبطرة
يطاعن بعض القوم والبعض طوحوا

وقول مجنون ليلى[٧]:

لا يذكر البعض من ديني فينكره
ولا يحدثنى أن سوف يقضيني

وليس المجالُ مجال بحث ذلك، ولكن المراد أن هذا الذي استنكره الأصمعي على ابن المقفع موجود في كلام العرب، وهذا مما يزيد الثقة بكلامه ولا شك، وقد تتبعت كتاب «كليلة ودمنة» وكتاب «الأدب الكبير» وكتاب «الأدب الصغير» لابن المقفع فلم أجد في واحد منها لحنا متفقا عليه، بل كل ما استنكر فيه، يترجح جوازه بعد البحث والفحص.

وهناك شاهد شعري من العصر العباسي، وهو قول صريع الغواني مسلم بن الوليد[٨]:

أطرق لما أتيت ممتدحا
فلم يقل «لا» فضلا على «نعم»

وليس مرادي من ذكر هذه الشواهد إثبات صحة هذا التركيب بالقطع ولكني إنما أعرض ما بلغه جهدي من البحث.

وختاما أقول إنه كان ينبغي للشيخ أن يذكر بديلا عن التركيب الذي أنكره، وقد فكرت طويلا في هذا البديل حتى وجدته، وهو كلمة «بَلْهَ» بمعنى «دَعْ».

قال كعب بن مالك:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا
قدما ونلحقها إذا لم تلحق
تذر الجماجم ضاحيا هاماتها
بَلْهَ الاكف كأنها لم تخلق

يقول:

هي تقطع الهام فدع الأكف، أي هي
أجدر أن تقطع الأكف[٩].

وقال أبو زيد:

حمال أثقال أهل الود آونة
اعطيهم الجهد مني بَلْهَ ما أسعُ

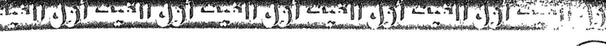
أي أعطيهم مالا أجده إلا بجهد، دع ما أقدر عليه وأسعه فهو أجدر أن أعطيهم[١٠].

وفي النهاية أشكر الشيخ على جهده، وأسأله مزيدا من البحوث المفيدة في دقائق اللغة.

الهوامش:

(١) المصباح (ف ض ل) ص ٤٧٦.
(٢) كليلة ودمنة (باب الفحص عن أمر دمنة) ص ٢١٧.
(٣) المزهر للسيوطي (٢/١٥٨).
(٤) لسان العرب (ب ع ض).
(٥) رسالة الغفران ص (٤٥٦).
(٦) مجلة مجمع اللغة العربية المصري (صفر ١٤٠٤هـ ـ ص ١٦٦).
(٧) أزاهير الفصحى في دقائق اللغة ص ١٢٤.
(٨) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٨٣٣.
(٩) لسان العرب (ب ل هـ).
(١٠) السابق.

أبو عبد الرحمن السالمي
ـ مصر ـ



فنون

بينالي الشارقة الدولي للفنون

تظاهرة تشكيلية عربية تمنح التفاؤل بمستقبل اكثر اشراقاً للفن التشكيلي في الوطن العربي

خاص بالمنهل من (عبد الرحمن السليمان)

افتتح سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة بدولة الامارات العربية المتحدة مؤخراً بينالي الشارقة الدولي الثالث للفنون في مركز الأكسبو بإمارة الشارقة وسط حضور عربي ودولي كبير احتفى بهذه المناسبة، آملا منها تحقيق المزيد من الإنجازات التى تفتقدها الساحة التشكيلية في الوطن العربي وذلك عبر التوصيات التي رفعها الفنانون المشاركون في الندوة الدولية الموازية بعد أربعة أيام من الجلسات نوقشت فيها «الشعرية البصرية».



الكتور سلطان القاسمي مع احد اعمال البينالي

تجاوزت أعمال البينالي (ألفاً وخمسمئة) عمل فني قدمها ٣٦٩ فناناً وفنانة من أقطار العالم كافة. وقد شكلت لجنة تحكيم برئاسة الفنان العربي مروان قصاب باشي وادوارد لوسي سميث وأسعد عرابي وجونسون تسونج زونج ودومينك تينو وعلى اللواتي وحسن شريف وطلال معلا. ومنحت اللجنة الفنان الفلسطيني جيفر الخالدي جائزة البينالي الكبرى والفنان عبد اللطيف الصمودي/ سوريا الجائزة الأولى «تصوير» والفنان ثائر هلال/ سوريا الجائزة الثانية تصوير والفنان عبد الرحمن السليمان/ السعودية الجائزة الثالثة «تصوير» ومنحت جائزة النحت للاماراتي حسين شريف والثانية لفتحية معتوق وجائزة التنصيبات لعماد بوزيد. ومنحت جائزة الحفر لسوزان ماتنيرو والثانية لرجوه بنت علي ونوهت اللجنة بأعمال عدد من المشاركين.

تضمن البينالي عروضاً شخصية لأعمال تسعة من الفنانين من بينهم محمد المليحي/ المغرب، سلوى شقير/ لبنان، يوسف احمد/ قطر، عبد القادر الريس «الامارات» ، وقد كرم البينالي هؤلاء الأربعة في خطوة تقديرية لدورهم في حركة الفن التشكيلي المحلي والخليجي والعربي. وقدمت عروض فردية لراشد دياب/ السودان، عبد العزيز عاشور/ السعودية، محمد عبلة/ مصر، سعاد العطار/ العراق، أندريه كوستر/ ألمانيا، أنو شيروان بيكسيان/ طاجكستان، بيلج الكور من تركيا وجورج كارسكو من بوليفيا ومحمد احمد ابراهيم من دولة الإمارات العربية المتحدة.

تضمن البينالي عروضاً وتجارب بصرية، واستضاف عدداً من الفنانين طيلة أيام الإفتتاح تمّ خلالها تنفيذ عدد من التجارب البصرية الشيقة.

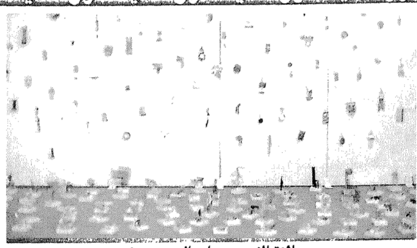
وتُوّج بينالي هذه الدورة بالندوة الدولية الموازية للبينالي التي أقيمت لأربعة أيام، كانت على جلسات صباحية ومسائية وكانت إضافة هامة يعززها وجود رائع لباحثين ونقاد وفنانين من الوطن العربي، ودول العالم قدموا أوراقهم ومداخلاتهم حول عنوان الندوة «الشعرية البصرية» وخلصت الندوة الدولية الموازية إلى طرح عدد من التوصيات الهامة من بينها:

(إيلاء المصطلح النقدي التشكيلي العربي أهمية خاصة في الندوات

الدولية الموازية في دورات البينالي القادمة، الحرص على ترجمة البحوث المقدمة أو ملخصات عنها إلى العربية والفرنسية والإنجليزية، السعي إلى التنسيق بين البيناليات العربية على الصعيد الفني والنظري والتنظيمي والإعلامي، التشجيع على تحقيق التكامل بين الفنون، العمل على وضع كتاب شامل عن الفن العربي المعاصر كتجربة رائدة قبل نهاية هذا القرن باحتضان من امارة الشارقة، إصدار مجلة عن التشكيل في الوطن العربي على أن يتولى اصدارها بينالي الشارقة.

ونشير إلى أنه واجهت الندوة الدولية إشكالية في الترجمة من العربية إلى لغات أخرى، والعكس خاصة مع وجود مشاركين من غير العرب. كما تواجه البيناليات العربية - كما أشارت إحدى توصيات الندوة - إشكالية التوقيت فيما بينها حيث يقام بينالي القاهرة الدولي في أواخر ديسمبر، وبينالي الشارقة مع بداية إبريل وبينالي المحبة باللاذقية السورية خلال يوليو. وهي فترة متقاربة جداً. في عام واحد. أما على مستوى التأليف فتوصية الندوة تأتي ولا تزال الجهود التى بُذلت في التأليف على المستوى العربي محدودة جداً وقاصرة عن الشمول. ومخلوطة ولا تخلو من الأخطاء أو الحشو. وعلى مستوى المجلات المتخصصة فلا توجد منها سوى «الحياة التشكيلية» التي تصدر عن وزارة الثقافة السورية بشكل غير منتظم ومحدود على مستوى المشاركة والتوزيع، خاصة مع توقف مجلة تعتبر هامة حملت عنوان (فنون عربية) صدرت من لندن ولم تتجاوز أعدادها العشرة.

دائرة الثقافة والاعلام بحكومة الشارقة هي الجهة المنظمة والراعية



جائزة النحت من اعمال حسين شرين



جانب من ندوة البينالي

للبينالي الذي يرأسه وينسق له مدير عام الدائرة عبد الرحمن حسن عبيد وينوب عنه هشام المظلوم مدير ادارة الفنون بالدائرة. وقد شكلت لجان تنظيمية واعلامية ولجان فرز وإعلامية ومالية وتنسيق وعلاقات عامة ونشر وغيرها قامت هذه اللجان بدور كبير لإنجاح هذه التظاهرة الدولية الكبيرة وتم إصدار عدد من المطبوعات من بينها:

الدليل الضخم للبينالي وقد تضمن اكثر من ٣٥٠ عملا فنياً وتضمن تعريفات بالمشاركين ولجنة التحكيم، وغيرها. وصدرت كتيبات عن الشعرية البصرية إحداها مقتطفات لأوراق الندوة الدولية. منها كتيب بعنوان «في الشعرية البصرية» وآخر بعنوان «شكل الذاكرة» ومحتويات الإصدارين دراسات حول موضوع الندوة لنقاد وباحثين وفنانين عرب وأجانب. من الإصدارات كتيبات «أدلة» حول التجارب البصرية والمعارض الشخصية وكروت لأعمال بعض المشاركين وإصدارات أخرى.

ختاماً تأتي مبادرة بينالي الشارقة الدولي للفنون وكما تقول دائرة الثقافة والاعلام في تقديمها عن البينالي أنه «في إطار نشر الوعي الثقافي والارتقاء بمستوى الإدراك الفني خاصة في مجال التشكيل على نحو يعزز التواصل بين الفنان والجمهور، والتأكيد على تطور الحركة التشكيلية.

المسابقة الأدبية السابعة للنادي الأدبي في المنطقة الشرقية

يعلن نادي المنطقة الشرقية الأدبي عن مسابقته الأدبية السابعة

مجالات المسابقة:

١ - الشعر: قصيدة في أي مجال من مجالات الشعر.

٢ - القصة: قصة قصيرة تتوافر فيها مقومات الإبداع القصصي.

٣ - قراءة تحليلية نقدية لقصيدة أو قصة قصيرة، مع إرفاق نص القصيدة أو القصة التي تناولتها القراءة (يشترط أن تكون القصيدة أو القصة مكتوبة باللغة العربية الفصحى).

شروط المسابقة:

١ - المسابقة مفتوحة للشباب والشابات من السعوديين وغيرهم من المقيمين في المملكة العربية السعودية، شريطة ألا يقل عمر المتسابق أو المتسابقة عن ثمانية عشر عاماً، ولا يزيد على ثلاثين عاما.

٢ - يشترط أن تكون الأعمال المقدمة مكتوبة باللغة العربية الفصحي، ولم يسبق نشرها، ولم يسبق فوزها في مسابقة أخرى.

٣ - لا يجوز للمتسابق أو المتسابقة أن يتقدم في أكثر من مجال.

٤ - لا يجوز للمتسابق أو المتسابقة أن يتقدم بأكثر من عمل في المجال الواحد.

٥ - الأعمال التي ترد إلى النادي يجب أن تكون مطبوعة على الآلة الكاتبة، وأن يرسل الأصل مع صورتين.

٦ - جميع الأعمال التي ترد إلى النادي لا تعاد إلى أصحابها.

٧ - الأعمال الفائزة تصبح من حقوق النادي ولا يجوز نشرها لغيره.

٨ - تسلم الأعمال المقدمة للمسابقة إلى إدارة النادي مباشرة، أو ترسل إليه على صندوق البريد ٨٤٣٨ - الدمام الرمز البريدي ٣١٤٨٢ بعد أن يكتب الاسم والعنوان كاملا على الظرف. كما يجب أن يكتب عليه عبارة (مسابقة نادي المنطقة الشرقية الأدبي السابعة).

٩ - ترفق بالأعمال المقدمة للمسابقة صورة من البطاقة الشخصية أو الإقامة وشهادة الميلاد ولن ينظر إلى الأعمال التي لا ترفق بها صور هذه الوثائق.

١٠ - آخر موعد لقبول الأعمال المقدمة نهاية شهر جمادى الآخرة ١٤١٨هـ ولن ينظر إلى الأعمال التي تصل بعد هذا التاريخ.

جوائز المسابقة:

يخصص لكل مجال من مجالات المسابقة ثلاث جوائز على النحو التالي:

الجائزة الأولى: ثلاثة آلاف ريال.

الجائزة الثانية: ألفان وخمسمائة ريال.

الجائزة الثالثة: ألفا ريال.

مصادر التراجم السعودية:

صدر حديثا عن مكتبة الملك فهد الوطنية وفي إطار السلسلة الثالثة التي تختص بنشر البيليوجرافيات والكشافات والفهارس تحت رقم (٣٠) كتاب «مصادر التراجم السعودية.. دراسة توثيقية وقائمة ببليوجرافية مشروحة» لعلي السليمان الصوينع.

ويشتمل الكتاب على ستة فصول أولها فصل تمهيدي تناول منهج الحصر الببليوجرافي بينما تناول الفصل الثاني انواع واشكال مصادر المعلومات المحصورة إلى جانب وصف سماتها العامة وطريقة تنظيمها وأشكال مصادر المعلومات.

الفصل الخامس يتناول موضوع التراجم السعودية في الدوريات مع الإشارة إلى أبرز الكشافات الفردية والشاملة ثم يأتي الفصل السادس الذي يقع في صلب هذا العمل بل هو غايته حيث تم حصر أكثر من ثلاثمئة مصدر من مصادر التراجم المتنوعة التي تم الاطلاع عليها وحصرها مرتبة حسب اسم المؤلف ثم وصف محتوياتها بمستخلصات موجزة.

وينتهي الكتاب بالكشاف الشامل الذي يساعد على تتبع محتويات العمل كلها واسترجاعها بالعنوان أو المؤلف أو الموضوعات العامة والدقيقة التي لها صلة بمصادر التراجم السعودية.

أما الفصل الثالث فهو دراسة توثيقية موجهة لمعالجة مصادر التراجم من ناحية التنظيم والاسترجاع في أنظمة المكتبات ويستعرض الفصل الرابع أبرز مصادر المعلومات البيليوجرافية العامة والمتخصصة مع سرد بعض كتب التاريخ التي تتناول ملوك المملكة وتاريخها.

ويأتي إصدار الكتاب انطلاقا مما تمثله التراجم والسير كونها تعد أهم مصادر المعلومات الشخصية التي يحتاجها الباحثون والإداريون والقارىء العادي على حد سواء، ولهذا نجد ان التراجم تعد من أكثر مصادر المعلومات استخداماً في المكتبات ومراكز المعلومات على اختلاف أنواعها.

سرقات :

في عدد شهر ذي الحجة ١٤١٧هـ/ الموافق لشهر ابريل ١٩٩٧م وفي الصفحتين (الثانية عشرة والثالثة عشرة) من نفس العدد نشرت المنهل رسالة عن سرقات (كامل محمد محمد عويضة).

وهنا ننشر رسالتين خاصتين بسرقات (كامل محمد محمد عويضة) الرسالة الأولى من الاستاذ الدكتور محمد رجب البيومي حيث ادعى (عويضة) ان الدكتور محمد رجب البيومي راجع بعض كتبه، والأخرى من الاستاذ فرج مجاهد عبد الوهاب الذي وقف على مجموعة كتب مسروقة ادعى سارقها (عويضة) بمراجعة الدكتور محمد رجب البيومي لها. «المنهل»

فإلى الرسالتين:

أخي الأستاذ نبيه الانصاري..

سلاما وحبا .. وبعد..

فتلميذي وصديقي الأستاذ فرج مجاهد من أدباء مصر، وهو يتابع الحركة التأليفية على نحو شمولي، وقد وقف على مأساة تتعلق بي حين وجد إنسانا يجعلني دون أن أعلم شيئا مراجعا لكتب في علم النفس، وقد سبق أن نشرت المنهل مقالات لكاتب مغربي هو الدكتور (صادق العماري) تفضح سرقاته. فلابد أن تكون هذه الكتب مسروقة أيضا، فرجائي التكرم بنشر ما يرسله إليكم الأستاذ فرج مجاهد إقرارا للحق ودفعا لتهمة قد يلصقها بي من لا يعرف حقيقة الأمر.

ولكم جزيل الشكر.. وتفضلوا فائق الاحترام.

أخوكم محمد رجب البيومي

سرقات لا سرقة واحدة

سبق أن أرسلت إلى المنهل الأغر كلمة موجزة عن كتاب في علم النفس نُسبت مراجعته زورا إلى الدكتور محمد رجب البيومي، ولم أكن أدرى أن سلسلة تتضمن عشرة كتب، سرقت بهذا الطراز، ونُسبت مراجعتها للدكتور محمد رجب البيومي، وقد دهش استاذنا الدكتور البيومي ، وأرسل إلى بعض المجلات ما يدل على تبرئته، وأوصاني أن أُلحقَ تعليقي السابق بمجلة المنهل برسالة أخرى تتضمن بعض أسماء هذه الكتب المسروقة.

وأقول المسروقة لأن مجلة المنهل قد نشرت مقالين خاصين بأنواع من هذه السرقات التي قام بها المؤلف المزعوم الشيخ كامل محمد محمد عويضة (راجع المنهل عدد رمضان/ شوال ١٤١٥هـ عدد ٥٢١ وما قبله).

أما الكتب التي تبرأ الدكتور محمد رجب البيومي من مراجعتها، فلم أستطع الحصول إلا على بعضها ومنها:

(أ) سلسلة علم النفس:

- علم النفس الصناعي.
- سيكولوجية العقل البشري.
- علم نفس الشخصية.
- سيكولوجية الطفولة.

سلسلة علم النفس

سيكولوجية الطفولة

إعداد
كامل محمد محمد عويضة

مراجعة
أ. د محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

- مبادىء الطب النفسي.
- علم النفس بين الشخصية والفكر.

(ب) سلسلة الأعلام من الفلسفة:

وهي أكثر من كتاب ، مع ملاحظة أن كل الكتب نشرتها دار الكتب العلمية في بيروت بلبنان.

وهذه المسألة لا أدرى كيف يواجه الجمهور الأدبي أدوارها الشائنة، إذ يسطو ناسخ على كتب الناس وينشرها باسمه.. ويفتري على الدكتور محمد رجب البيومي فيجعله مراجعا، والحمد لله أن هذه الكتب ليست في تخصص الدكتور البيومي وهو النقد والبلاغة، كما ليست تنتمي إلى ما يكتب من فصول في التاريخ الإسلامي والدعوة الدينية والصحوة الفكرية المعاصرة.

وهذا إحقاق للحق .. فأرجو نشر هذا التعقيب سريعا ليأتي بثمرته المفيدة.

فرج مجاهد عبدالوهاب - مصر -



فضائيات العالم العربي

العالم أصبح قرية صغيرة، صغيرة

ما يحدث لتوّه في أقاصي العالم، يسمعه ويشاهده كل العالم..

رغبة الناس في السماع والمشاهدة لمتابعة أخبار الآخرين أصبحت متاحة، ومشروعة..

ويبقى شيء غاية في الأهمية والدقة.

ماذا نُسْمعُ العالم عنّا..؟! بل قبل هذا ماذا نُسْمعُ أنفسنا في الداخل..؟! على اتساع أماد عالمنا الإسلامي والعربي؟!

هل نعيد بثّ ما لدينا من أفلام وتمثيليات وأغان، وملُهيات أصبحت مكرورة وممجوجه ومُملّة.. بل غاية في السفه لا تخدم غرضاً ولا تقيم معوجاً ولا تبني فضيلة ولا تزيل منكراً..!!

هل نلهي أنفسنا عن قضايانا الكبرى (التحضر - التقدم - الحرية - التصنيع - الأخلاق - المثل الرفيعة ... الخ ... الخ).

بشيء من اللهو والطرب تناله أنفسنا..؟!!

بكل ميادين الرياضة .. من كرة القدم الى الهوكي؟!

ثم ماذا نُسْمعُ العالم عنّا؟!

هل نبث إليه هذا القدر الوافر من عدم احترام النفس وتقدير التراث..؟!

أم نعيد إليه بث بضاعته، بكل جملها ومفرداتها؟!

بطبيعة الحال، لا تذهب بنا عتمة الصورة إلى درجة غمط الناس حقهم.

كلا.. هناك برامج غاية في الإفادة..

برامج في الاجتماع وقضاياه، في الدين، في السياسة، في العلوم والمخترعات، في الأدب والثقافة، في الفكر والمعرفة،

ولكن..؟!!

ضع خارطة البرامج المقدمة يومياً على مدى أربع وعشرين ساعة.. ضعها أمامك وانظر فيها جيداً، جيداً جداً..

والآن دوّن بقلمك..

هذه البرامج التي يمكن أن تكون جادة ويفيد منها المشاهد، ترى كم بلغت مساحتها في هذه الخارطة..؟!!

الإرسال الفضائي أصبح إرسالا رسالياً إلى حد كبير جداً.. الفضائيات رسالة مفتوحة لكل المشاهدين في كل العالم، بكل أجناسهم ولغاتهم وأمزجتهم.. حتى الأغنية رسالة.. نعم، حتى الاغنية رسالة.. أليست هذه (الأغنية) ثقافة قوم، وتراث قوم، وفكر قوم؟؟.

إذن، أوروبا لا تلهو .. بل هي منطقية كل المنطق فيما تقدم لقومها وشعبها، لان هذه حياتهم وهذا سلوكهم وتلك منهجية حياتهم..

أما نحن .. نلهو ..!!

نعم، نلهو !!

انها بضاعتهم بكل بصماتها نعيد تسويقها لأنفسنا.

معذرة سادتي..

لنعد قراءة الخارطة من جديد.. ولنكن اكثر جداً.. ولنكن صرحاء مع أنفسنا.

إذن، فلنعد الصياغة ثانية.

السماني كمال الدين ـ جدة ـ

وجهة نظر :

الديمقراطيات، نسمع، ونرى، ونقرأ عنها العجب.. مضمون المصطلح يشير إلى قيام أمة راقية، وحضارة راقية..

أمة تحترم الرأي الآخر، لا تنقصه من حقه شيئاً، ولا تضطهده بسبب من أسباب حياته، في معتقده، أو عرقه، أو قناعاته.. العقل فيها موفور القدر، يفكر - يتمذهب - يكتشف - يخترع - يصنع ... الخ.

الحرية فيها مكفولة، طلقة الجانب، لا حجر ولا مصادرة.. كل هذه معان جميلة، لقيام حضارة نابهة ذكية .. وإن كان ينقصها ضوابط (الروح).

هذا في مجال التنظير، وهي مرحلة لابد من تجاوزها الى التطبيق والعمل.. في جانب التطبيق على يد الحكومات الأوربية وامريكا نجد هذه (المعاني الراقية) قد أخذت شكلين متناقضين متنافرين تمام التناقض والتنافر.. في داخل أوروبا وأمريكا نجد هذه الديمقراطيات مطبقة بحرفية تصل الى حدٍّ الجنون في الحريات. وبطبيعة الحال، ومن المفترض بداهة ان تكون العقلية الديمقراطية، هي العقلية الديمقراطية في كل مكان وزمان من غير تبدل أو تغير. بنظرة عامة لكبريات القضايا في العالم، نجد تعامل (رعاة الديمقراطية وحقوق الانسان) في العالم مع هذه القضايا قد تحول وتبدل إلى تعامل (رعاة البقر).. يتعاملون مع الآخر بقدر وافر من التعالي والكبرياء والأنفة.. كأنما هذا الآخر ليس بشراً .. وبالتالي ليس له الحق في التمتع بمخصصات حقوق البشر. امريكا مثلا تستخدم حق النقض (الفيتو) لمجرد محاولة إدانة اسرائيل في مذبحة (قانا) في جنوب لبنان!!! تفرض حظراً جوياً واقتصاديا على شعوب بكاملها لمجرد خلافات سياسية. تأمر دُوَلا لها سيادتها بأن لا تبيع أسلحة لدولة ما..!! ثم تضع مجموعة من دول العالم تحت بند (خرق حقوق الانسان)!!

وأوروبا ليست بأحسن حالا من أمريكا.

هكذا .. حقوق الانسان، مصانة موفورة لشعوبهم، مهانة منتزعة من الآخر الذي لا يستحقها ، برأيهم.

محمد النعمان - السودان -

تواصل :

الأستاذ / رئيس التحرير ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وجزاكم الله خيراً على الاعداد التى ارسلتموها لي ؛ ولدي بعض الاقتراحات أرى بكل تواضع انها مفيدة، مع العلم مراسلكم طالب مغترب يدرس في قسم الدراسات العليا الادب الغربي..

باب كتب واصدارات ارى ان يكون في كل عدد ، مع التوسع فيه وان يشمل بعض الاصدارات التي تصدر في الدول العربية، مع كتابة عنوان دار النشر بالكامل لافادة القارىء، وتسهيل اتصاله بدار النشر للحصول على هذا الكتاب..

مع اضافة او زيادة اللقاءات الصحفية الثقافية والفكرية والادبية مع رواد الحركة الثقافية والادبية في العالم العربي، نظراً لأهميتها وأهمية ما تتناوله من مواضيع مختلفة متابعة المهرجانات الادبية متابعة دقيقة وكتابة روبرتاج عنها، وما تناولته.. وكذلك الملتقيات، متابعة الرسائل الجامعية - الماجستير والدكتوراه المناقشة في داخل المملكة وخارجها وخاصة القيمة منها، وكتابه تلخيص عنها ومحتواها والجامعة التي نوقشت فيها هذه الاطروحة.

الاشتراك مع ناد أدبي أو جمعية ثقافية لاقامة ندوات فكرية وثقافية وان تكون هناك مسابقة سنوية لمجلة المنهل، وأن تكون الجائزة رمزية - أو مالية وان يتم الاعلان عن محتوى المسابقة.

محمد عبد الهادي

المنهل:

نشكر لكم هذا التواصل الطيب مع مجلتكم المنهل .. ونقدر لكم هذه المقترحات الطيبة .. وبتصفحكم لاعداد المنهل تجدون كثيرا منها قد نُفِّذ فعلا.. مثل الاصدارات والرسائل الجامعية والندوات والمسابقات حيث اجريت مسابقات في القصة القصيرة والمسرحية ذات الفصل الواحد والشعر.

ونأمل التوسع في بعض هذه الأبواب حسب الخطة المقترحة للمجلة.

نكرر لكم الشكر على تواصلكم..

رسالة :

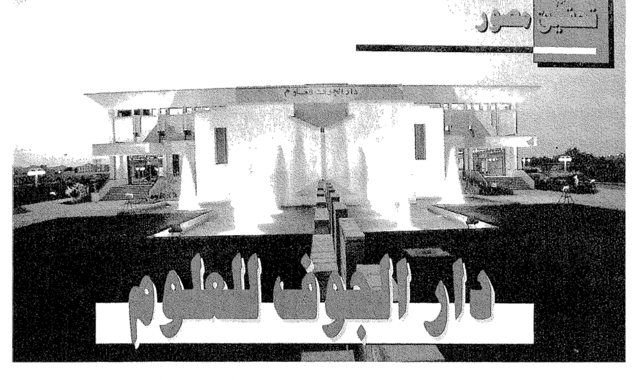
الاستاذ رئيس التحرير ..

أخط إليكم عبر هذه السطور رسالتي وكلي أمل أن تبقى مجلة المنهل بهذا المستوى بل وأفضل لأن مسؤولية القلم والفكر باتت اليوم مسؤولية كبرى أمام التحديات الثقافية التي تواجه أمتنا. إن وجود مطبوعة عربية إسلامية على هذا المستوى قادرة أن تجذب القارىء العربي وتساهم في محو أميتنا الثقافية لهي أمنية غالية في زماننا هذا.

محمد أسامة سليمان - سوريا -

المنهل:

نرجو أن نكون عند حسن الظنّ دائما ..



دار الجوف للعلوم

***في المملكة العربية السعودية إلى جانب الجهد الحكومي الملحوظ والمقدر في تنمية المناطق بشرياً واقتصادياً واجتماعيا وعلمياً وفكريا، إلى جانب هذا الجهد يقوم جهد شعبي مساند، يتناول عطاءات المناطق بالتعريف والتحليل والكشف.. أو يقوم الجهد على ابراز الجوانب الثقافية والتراثية في المناطق، من صناعات بدوية، وتراث يتناول تقاليدها وعاداتها وأعرافها وفنونها.. وقد يقوم هذا الجهد الشعبي الخيري على إنماء الحركة التعليمية والعلمية والثقافية والسياحية في المنطقة.. وانماء الحركة الاجتماعية بعامة، من حيث رعايتها وتوجيهها نحو الأفضل والامثل.**



اعداد:
يوسف أبو عواد
- الجوف -

هذا الجهد الخيِّر نجده قد انتظم كل ربوع المملكة العربية السعودية.. ويرجع هذا لطبيعة الروابط الاجتماعية المتميزة، وروح الابداع والتجديد، وهذا يرفده من ورائه وفرة اقتصادية ساعدت كثيراً على استمرارية هذه الجهود الخيرة من الافراد والجماعات.

وفي المملكة العربية السعودية مالا نستطيع احصاؤه من الجمعيات والجوائز والمؤسسات الخيرية التى انتظمت كل ربوع المملكة، جاء انشاؤها من قبل افراد أو جماعات رأوا تسخير جهدهم ومالهم وفكرهم لنفع المجموع في الداخل والخارج.

ومن هذا الجهد المبارك الخيِّر نجد: جمعيات البر الخيرية، جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، جوائز التفوق، جمعيات العلوم والثقافة والأدب.. جمعيات

ومؤسسات التنمية الفكرية والعلمية والاجتماعية.

و(مؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري الخيرية بالجوف) تأتي ضمن هذه المنظومة الهادفة إلى دفع الحركة الثقافية والفكرية، التاريخية والاثرية، الى جانب ابراز واظهار عطاءات المنطقة في تراثها وتقاليدها وفنونها.

وفي هذه الصفحات يسعدنا أن نكون برفقة قارىء المنهل في ضيافة (مؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري الخيرية بالجوف) في هذا اللقاء الذى اجراه مندوب (المنهل) مع الدكتور سلمان بن عبد الرحمن السديري رئيس المجلس الثقافي في المؤسسة، لنتعرف على أهداف وغايات هذه المؤسسة، ومن خلال هذه المقابلة، نقضى ساعات ممتعة في ربوع الجوف، و(ربعها).. عاداتهم وتقاليدهم.. أنسهم ومرحهم كرمهم واريحيتهم.. صناعاتهم.. فنونهم.. آثارهم.. ونوثق هذه الأخيرة بمحاضرتين القيتا ضمن الفعاليات الثقافية للمؤسسة يجدهما القاريء في صفحات تالية من هذا العدد..



- د. سلمان بن عبد الرحمن السديري.



- جمهرة من ضيوف الأسبوع الثقافي في الجوف.

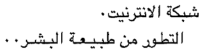
* البداية، كانت في عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٢م حيث أنشأ الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري مكتبة عامة سعياً منه للمشاركة في دعم الثقافة في منطقة الجوف.

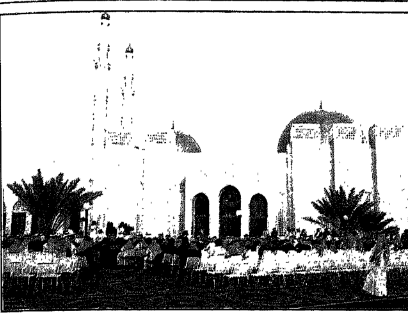
ولما كان إنماء ودفع الحركة الثقافية في المنطقة يمثل الهاجس الاكبر للأمير عبد الرحمن فقد ركز جهده في تطوير هذه المكتبة لتمثل نقطة



قصة حركية تراثية في حفل اسبوع الجوف

الارتكاز لـ (دار الجوف للعلوم) الذي أصبح المسمى الرسمي للمكتبة.. وجاء هذا بعد جهد كبير من التطوير، لقد اصبحت المكتبة تحوي ٧٥,٠٠٠ كتاب.. أدخلت في خدماتها أحدث أساليب التقنية الحديثة للمكتبات، مع ارتباطها بمراكز المعلومات الأخرى فى المملكة عن طريق مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، وكذلك عن طريق شبكة الانترنيت.





ـ جامع الرحمانية التابع لمؤسسة السديري يحتضن إحدى فعاليات الاسبوع الثقافي.

التطور من طبيعة البشر..

والشخص الذي يركز اهتمامه في شيء محدد الأهداف والغايات يبقى همه الأول وشغله الشاغل تطوير هذا العمل وتجويد الأداء فيه.

من مكتبة ، الى (دار الجوف للعلوم) ثم يستقر كل ذلك ليكوِّن (مؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري الخيرية) .. وجاء إنشاء المؤسسة بأمر ملكي كريم بتاريخ ١٤٠٣/٩/٩هـ.. وبمساعدة كريمة من حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله.

المؤسسة أهدافها وغاياتها:

جاءت المؤسسة امتداداً لجهد سابق تمثل في المكتبة ودار الجوف للعلوم.

ولتكون مسيرتها أوفر عطاء، وأدق أداء، لحركة الثقافة والتراث وخدمة المجتمع، فقد قام نظام تأسيسها واضح المعالم ليشمل كل هذه التوجهات الخيرية.. إذ من أهداف هذه المؤسسة:

١) تطوير خدمات (دار الجوف للعلوم) لتصبح مركزاً للبحث العلمي والأدبي تتوفر فيه وسائل الدراسة والبحث.

٢) تولي ادارة المكتبة الواقعة في سكاكا الجوف التي أنشأها المؤسس سنة ١٣٨٣هـ والمعروفة باسم (دار الجوف للعلوم) والعمل على تطوير خدماتها لجعلها مركزا للبحث العلمي والأدبي تتوفر فيه وسائل الدراسة والأبحاث العصرية.

٣) العمل على حفظ التراث الأدبي والأثري في منطقة الجوف وانشاء متحف لهذا الخصوص والقيام بدعم الدراسات ونشر المعلومات المتعلقة بمنطقة الجوف.

٤) المساهمة في دعم النهضة العلمية في منطقة الجوف والعمل في كل ما من شأنه رفع مستوى الفرد فيها ثقافيا وصحيا واجتماعيا واقتصاديا.

٥) انشاء مجلة شهرية في منطقة الجوف وفقا للنظام.

٦) انشاء دار للحضانة وروضة للأطفال ومسجد جامع ومستشفى في مقر المؤسسة ـ في سكاكا.

٧) العمل على احياء (أسبوع الجوف) في وقت مناسب من كل سنة والقيام خلاله باقامة سباق الهجن ومسابقة المزارعين ومعرض سجاد الجوف.

تلك هي الخطة العامة للمؤسسة الخيرية، وهذه

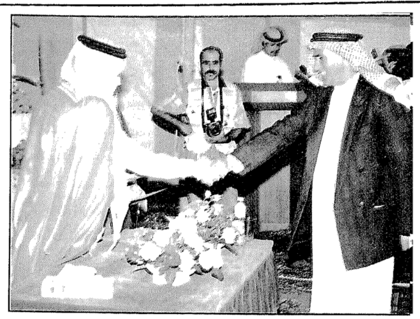
أهدافها.. أما في ميدان التنفيذ لهذه المشروعات والخطط والبرامج، فإنا نجد ونلمس عملا موفوراً، وجهداً مبذولا، في كل المجالات.. (المحافظة على التراث - البحث والتنقيب عن الآثار - الندوات والمحاضرات والأمسيات - التنمية البشرية - تطوير المجتمع) وغيرها الكثير من معطيات هذه المؤسسة.

في مجال الآثار، باعتبارها ميراث الاجداد السالفين، الحاكية عن أساليب تعاملهم مع الحياة، والمسجلة لتاريخ المنطقة فقد شكلت المؤسسة لجنة تحت اسم (لجنة العناية بالآثار) تضم في عضويتها الاكاديميين من أصحاب التخصص والمهتمين بالآثار والتراث، وتقوم هذه اللجنة باعداد دراسات لترميم الآثار.. وفي هذا المجال أقامت المؤسسة مجموعة من الندوات والمحاضرات لتوضيح المعالم الأثرية للمنطقة.. ويدعم هذا العمل متحف المؤسسة بما يضم من قطع أثرية للمنطقة.. أما الحركة الثقافية فان لها نصيب الأسد - كما يقولون - في هذا العطاء المتميز.

(أسبوع الجوف الثقافي) تظاهرة ثقافية وحضارية تقيمها المؤسسة كل عام بالتعاون مع إمارة منطقة الجوف ويحضرها المهتمون من رجال الفكر والعلم والثقافة من أنحاء المملكة.

يشتمل الاسبوع على مجموعة من الفعاليات الثقافية والتاريخية اضافة الى معرض السجاد والمصنوعات اليدوية في المنطقة، وعروض الفنون التراثية لمنطقة الجوف.

في هذا الاسبوع توزع جائزة الامير عبد الرحمن السديرى للتفوق العلمي، وجائزة التفوق



- حفل توزيع الجوائز.

في صناعة السجاد .. ويشمل الاسبوع الثقافي مسابقة للمزارعين.. ويقام في هذا الاسبوع معرض الكتاب، ومعارض فنية ومعرض للصور الفوتوغرافية.

وفى مجال النشر قامت المؤسسة في السنوات الأولى لانشائها بنشر ديوان القصائد لمعالي الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري مطبوعا ومسجلا على أشرطة كاسيت، وكذلك كتاب الجوف وادي النفاخ وهو عن تاريخ منطقة الجوف في الماضي والحاضر كما صدرت في العام الماضي ترجمة انجليزية مزيدة ومنقحة لكتاب الجوف وادي النفاخ بعنوان **The Desert Frontier of Arabia Algawf Through the Ages** وخصص المؤلف ريع هذه الكتب للصرف على مكتبة (دار الجوف للعلوم). كما تقوم المؤسسة بترجمة كتب الرحالة الذين قدموا للمنطقة وبلغ عدد ما ترجم منها حتى الآن أربعة كتب وهي متاحة للباحثين في المجموعة الخاصة بدار الجوف للعلوم. ويصدر عن المؤسسة ملف ثقافي نصف سنوي، صدر منه حتى الآن أحد عشر عددا. وتعد المؤسسة حاليا لنشر أول كتاب ضمن

مــشــروع لنشــر الكتب التي موضوعها منطقة الجوف.

وتهتم المؤسسة اهتماما كبيرا بجميع ما يتعلق بمنطقة الجوف من كـتـابات وصـور ووثائق وغيرها، وحيث إن ما كتب عن المنطقة يتمثل بشكل رئيسي في كتابات الرحالة الأوروبيين، وهي كتابات لم تختص منطقة الجوف بالذات بل ضمن أجزاء أخرى من الجـزيرة والبـلاد العـربيـة المجاورة، فقد خصصت المؤسسة مجموعة خاصة بشبه الجزيرة العـربيـة وتتضـمن هذه المجـموعـة معظم كـتب الرحـالة الذين زاروا المنطقـة، وخـرائط قـديمة وصورا قديمة تحكي قصة توحيد المملكة على يد جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله، ووثائق وطوابع نادرة وصـور الأمـراء الذين تعـاقبـوا على امـارة منطقة الجوف، وصـورا لمخطوطات نـادرة وبعض المخطوطات وكتبا أخرى.



ـ مقتنيات تراثية في متحف المؤسسة.

منذ قـيام المؤسسة في عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٢م وحتى العام الماضي ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م بلغ عدد الندوات والمحاضرات التى نفذتها (مئة وأربعة عشرة) وهـذه الأعمـال تم نشـر الكثيـر منهـا في اصـدارات خـاصـة، وبعـضـهـا نشـر في مـجلة المؤسسة المسماة (الجوبة).. صدر أول عدد منها في ١٩٩٠م.. و(الجـــوبة) ملف نصف سنوي متخصص في قضايا الأدب والثقافة.

المرأة نصف المجـــتـــمع، وهي الأم والأخت والزوجـة، لا شك لهـا دورها الفـاعل والمؤثر في تشكيل الأجـيـال وتوجـيـه حـيـاتهم.. من هذا المنطلق يكون الاهـتـمـام بهـا وبدورها اكـثـر ايجـاباً.. وأخذاً بهذا المفهوم فإن المؤسسة قد اهتمت بجانب المرأة وأعطتها حقها الواجب من الرعـاية والتـثـقـيف ، بل والمشـاركـة في مـعطيـات المؤسسة الثقافية والفكرية.

لهذا فان للمرأة حضورها الايجابي الكامل في فـعـاليـات هذه المؤسـسـة ، وتنقل إليـهـا أعـمـال وفـعـاليـات الاسـبـوع الثـقـافي عن طريق الدائرة التلفزيونية المغلقة، اضافة إلى أن المرأة لها قسم خـاص بهـا في المؤسـسـة، ولهـا مـجلس ثقـافي مماثل.

والقسم النسائي يشرف اشرافاً مباشراً على روضـة ومـدارس الرحـمـانيـة للبنات وهي احـدى أهداف المؤسسة التى تمَّ انشاؤها مبكراً.

وفي هذا الاطار أيضـا فـقـد تم تنفـيـذ جـامع الرحمانية الى جوار دار الجوف للعلوم، وانشئت روضة الرحمانية للاطفال، ومدارس ابتدائية للبنين والبنات.

كل مؤسـسـة خـيرية، تعمل في مـجـال العمل الاصـلاحي العـام لابد أن تكون لهـا رؤيتـهـا المستقبلية التى تحمل آمالها وطموحاتها الهادفة إلى غد اكثر عطاء، في ميادين عملها وعطائها.

ومؤسسة الامير عبد الرحمن السديري تحمل

من الرؤى المستقبلية ما يجعل المنطقة أرحب مجالا في الازدهار والنمو والتفوق.. واظهار معالم منطقة الجوف بكل الوسائل المتاحة.

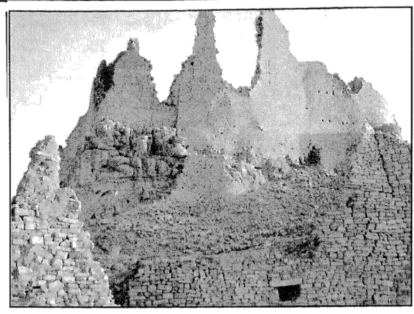
وتحقيقا لهذا الغرض السامي فإن المؤسسة قد وزعت أعمالها حسب مجالاتها المتنوعة إلى لجان متخصصة، والى جانب هذا فانها تفتح باب العضوية للراغبين في الانتماء لعضوية جماعة (أصدقاء دار الجوف للعلوم).. وكذلك عضوية النشاط الثقافي مفتوحة للراغبين.

وهؤلاء جميعاً تمدهم المؤسسة بالمعلومات الوافية من كتيبات وأشرطة كاسيت وأشرطة فيديو لأهم الندوات واللقاءات والمحاضرات.. وهذا عمل جليل يفيد منه الراغبون في عضوية هذه المؤسسة الخيرية.

بقي أن نعرف شيئاً عن تمويل أعمال وفعاليات هذه المؤسسة، بحيث يعتمد تمويلها أساساً على المؤسس الأمير عبد الرحمن السديري، وأبناؤه وبناته.

ولاستمرارية هذا العطاء الكبير فإن الاستثمار هو الضامن، لهذا فقد أقامت المؤسسة فندق النزل، وساهمت في رأسمال مصنع مياه الجوف الصحية.. إضافة إلى مجموعة من الاستثمارات الاخرى الحالية والمستقبلية.

مؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري الخيرية في الجوف هي واحدة من مجموعة المؤسسات والجمعيات الخيرية الكثيرة المنتشرة في ربوع هذا الكيان الكبير، وفي ربوع هذا الوطن العزيز. كلها تؤدي دورها الفاعل في تنمية المجتمع، ورعاية الفكر والثقافة والعلم.. وهي لا شك



- قلعة مارد بدومة الجندل.

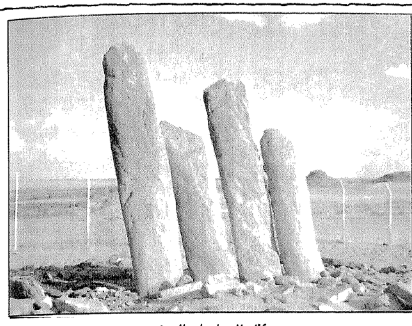
تجربة مثلى تُحتذى، تجربة انتجتها أريحية أبناء هذا البلد المعطاء.

الجوف.. وادي النفاخ :

الجوف لغة هي المطمئن من الأرض أي ما اتسع واطمأنّ فصار كالجوف، وسميت بهذا الاسم لوقوعها في منخفض من الأرض، ومن أسمائه أيضاً الجوبة كما سميت الجوف بـ «باب نجد» وفي كتاب المستشرق الفنلندي جورج أوجست فالين المعروف باسم (عبد الولي) في كتابه (صور من شمال جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر) يقول عن منطقة الجوف «الناس في الجوف كما في جميع أنحاء المملكة، يلقنون منذ الصغر أصول الدين وشعائره والكتابة والقراءة منتشرتان بينهم أكثر مما هي عليه في المدن العربية التي كانت خاضعة آنذاك للحكم العثماني، وأهل الجوف يشهد لهم بأنهم مضاييف كرماء ومهذبون مع الغريب، أما عن خيرات هذه المنطقة فيرى الكاتب «عبد الولي» أن تمر الجوف من أطيب أصناف التمر، ونكهته تفضل على تمر البصرة وبغداد، وبه وبتمر تيماء يضرب المثل،

فجميع أصنافه جيده وتعد من أطيب الأصناف.

وسكان الجوف يعتقدون كما جاء على لسان الرحالة أن مدينتهم في وسط الدنيا، والواقع أن المسافات التي تفصلها عن الصحراء المحيطة بها أي أقرب الأراضي المزروعه تكاد تتماثل.



- آثار الرجاجيل بالجوف.

والجوف - وادي النفاخ - أحد الأسماء التي أطلقها غير الجوفيين، والموقع الجغرافي لهذه المنطقة قد أكسبها مكانة هامة منذ القدم كطريق للتجارة بين الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر. ومازال موقع المنطقة يحتل مكانة مرموقة كمنطقة حدودية بوجود منفذ الحديثة بها على الحدود الأردنية كأكبر منفذ بري في الشرق الأوسط. وتقدر مساحة منطقة الجوف ٢٥٨٠٠٠ كم٢ يقطنها زهاء ٢٨٠٠٠٠ نسمة واكبر مدنها سكاكا - القريات - دومة الجندل والأخيرة حملت اسم الجوف قديما. ومركز الشويحطيه بالجوف يعتبر وفقاً للكشوفات الأثرية الحديثة أقدم منطقة تجمع سكني بالجزيرة العربية وربما العالم قاطبة.

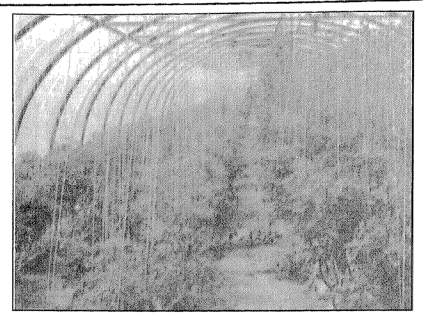
والزائر لمنطقة الجوف يلفت انتباهه آثارها التاريخية التي تقيم الدليل والحجه على الماضي العريق لهذه المنطقة وأهم هذه المعالم: مسجد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وحصن مارد بدومة الجندل الذي قالت فيه الزباء عبارتها المشهورة عندما استعصى الحصن عليها، «تمرّد مارد وعزّ الأبلق» والأخير حصن بتيماء. وسوق دومة الجندل الذي ما تزال بعض آثاره قائمه حتى الآن يعد أول سوق للعرب وكانت تفد إليه القبائل طيلة شهر ربيع الأول من كل عام من كافة أنحاء الجزيرة العربية والعراق وبهذه المدينة متحف متميز يحتوي على العديد من المخطوطات والمقتنيات الأثرية التي تنقل الزائر إلى تلك الحقب التاريخية ليستحضر بها ويعيش معها ماضيها العريق.

وفي مدينة سكاكا هناك (قلعة زعبل) و(تل الساعي) و(بئر سيسره) وعلى مقربة من المدينة وإلى الجنوب منها آثار (الرجاجيل) وهي عبارة عن أعمدة صخرية ضخمة يزيد طول الواحد منها على ثلاثة أمتار ويقارب عددها الخمسين عموداً. وهناك بمحافظة القريات (قلعة كاف/ تل الصعيدي) وغيرها من الشواهد الأثرية هنا وهناك.

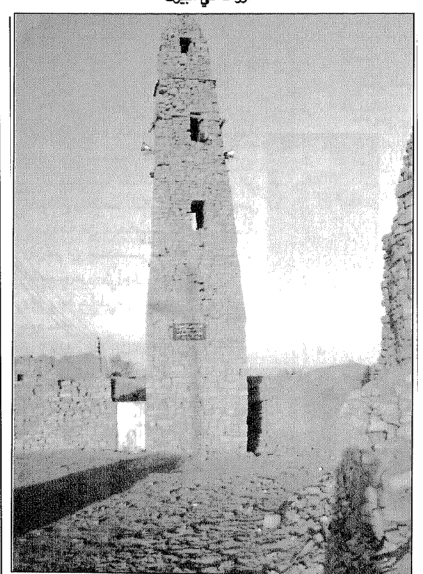
ومنطقة الجوف إلى جانب أهميتها كمنطقة رعويه هامه بها العديد من المحميات للحياة الفطرية، ومركز لأبحاث تنمية المراعي والثروة الحيوانية تعتبر أحد اكبر المراكز على مستوى العالم العربي فهي تكتسب أهمية زراعية خاصة، ابرز من فرصها لتكون سلة الغذاء بالمملكة

ملاءمة جوها وخصوصية تربتها وغزارة وعذوبة مياهها لا سيما في موقع «بسيطا» حيث المشاريع والشركات الزراعية العملاقة، ومنطقة الجوف شأنها شأن سائر مناطق المملكة تشهد نهضة حضارية على مختلف الميادين حيث آلاف المنشآت التجارية وعشرات المصانع، وتشهد المنطقة فيما تشهده من نهضة شاملة حركة تجارية وصناعية نشطة وبها العديد من الفرص التي تنبيء بمكانة اقتصادية مرموقة. وصناعة السياحة بها ستكون رائجة للمستثمر والزائر لاتساع مساحة التاريخ وشواهده بالجوف وحيث الماء والخضرة والوجه الحسن للجوفيين الذين لا يقل احتفاءهم بزائرهم عن اعتدادهم بمنطقتهم.

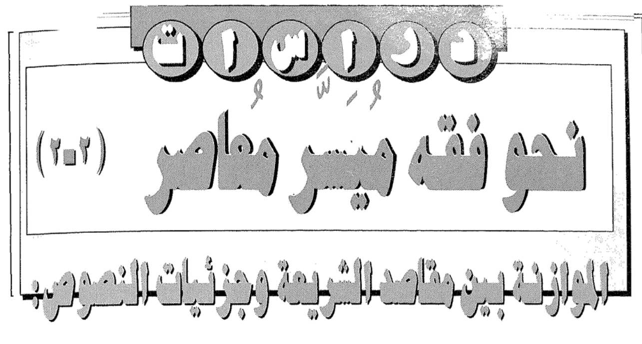
ويعد مركز تأهيل المعاقين في الجوف الذي انشأه الامير عبد الرحمن السديري عام ١٤١٦هـ ثاني اكبر مركز بعد مركز جمعية الاطفال المعاقين في الرياض. وهذا العمل يأتي ضمن منظومة العطاءات الثرة التي تشكل حاضر الجوف الزاهر في خط مواز ومناظر لماضيها العريق وتاريخها المجيد.



الزراعة في البيوت



ـ مسجد عمر بن الخطاب بدومة الجندل.



بقلم المفكر الاسلامي الكبير
أ.د/
يوسف القرضاوي

ومن التيسير اللازم: الموازنة بين أمرين مهمين: مراعاة مقاصد الشريعة الكلية، ومراعاة النصوص الجزئية. فمن المعروف أن هناك مدارس ثلاثا في هذه القضية، طرفين ووسطا.

١ - المدرسة الأولى التي تأخذ بظواهر النصوص الجزئية، وتغفل المقاصد الكلية للشريعة، وهم الذين أسمهم (الظاهرية الجدد).

٢ - المدرسة الثانية التي تنظر الى المصالح والمقاصد الكلية مغفلة النصوص الجزئية من محكمات القرآن والسنة، وتزعم أن عمر بن الخطاب عطل النصوص من أجل المصالح، وهو زعم خاطيء رددنا عليه في موضعه.

٣ - المدرسة الثالثة الوسطية، التي تنظر الى النصوص الجزئية في ضوء المقاصد الكلية، فلا تهمل هذه ولا تلك، بل تجمع بينها في توازن واتساق.

وقد قرر المحققون من علماء الإسلام أن أحكام الشريعة إنما شرعت لمصالح العباد في المعاش والمعاد، سواء أكانت هذه المصالح ضرورية أم حاجية أم تحسينية.

ودليل ذلك كما قال الإمام الشاطبي - هو استقراء الشريعة والنظر في أدلتها الكلية والجزئية فليس ذلك مقصورا على نص واحد، أو واقعة خاصة، بل الشريعة كلها دائرة على ذلك.

وذكر الشاطبي قاعدة مهمة هي: أن الأصل في العبادات - بالنسبة الى المكلف - التعبد دون الالتفات الى المعاني، وأصل العادات (المعاملات) (الالتفات إلى المعاني) وأقام على ذلك أدلة ناصعة لا يتسع المجال لذكرها هنا.

والخلاصة: أن مقاصد الشريعة انما هي جلب الخيرات والمصالح للناس، ودرء الشرور والمفاسد عنهم، وهذا ما ركز عليه الشاطبي، في (موافقاته) وجعل العلم به والتفقه فيه سببا للاجتهاد، لا مجرد شرط له.

وهذا ما يتضح لنا في فقه الصحابة - رضي الله عنهم - وخصوصا الخلفاء الراشدين والعبادلة، ومعاذا، وغيرهم، فانهم لم يغفلوا المقاصد في فقههم وفتاواهم.

وهذا هو سر توقف عمر - رضي الله عنه - ومن معه في قسمة ارض السواد، وعدم توزيعها على الفاتحين، ووقفها على أجيال المسلمين، وفي هذا

قال: عمر لمن خالفه من الصحابة: «أخشى أن يبقى آخر الناس لا شيء لهم»[١٩] وقال: «إني أريد أمرا يسع أول الناس وآخرهم» كما رواه أبو يوسف في الخراج وأبو عبيد في (الأموال) وغيرهما[٢٠]، وكذلك موقف عثمان في التقاط ضالة الابل. مع ورود الحديث في النهي عن التقاطها[٢١]. وموقف علي في تضمين الصناع قيمة ما يهلك في أيديهم من أشياء وقوله: «لا يصلح الناس الا ذاك» مع أن الأصل أن يدهم يد أمانة.

ويسير في هذا الاتجاه موقف معاذ في قبوله المنسوجات اليمنية، بديلا للذرة والشعير وغيرهما من الحبوب في الصدقة، وقوله في ذلك: «ايتوني بعرض ثياب - خميص أو لبيس - في الصدقة مكان الذرة والشعير، فانه أهون عليكم وخير لأصحاب النبي بالمدينة»[٢٢] وسيأتي الحديث عن ذلك.

* ضرورة معرفة المقاصد لدارس الشريعة:

وأود أن أؤكد أن معرفة المقاصد والعلل للأحكام الشرعية ضرورة لابد منها لمن يريد أن يدرس الشريعة، ويتعرف على حقيقة مواقفها واسرارها. ولا بد له من إطالة الدراسة والتأمل في ذلك قبل أن يثبت أو ينفي أن للشريعة مقصدا أو حكمة في هذا الحكم أو ذلك. والا وقع في الخطأ المؤكد، ونفى حيث يجب الاثبات، أو أثبت حيث يجب النفي.

وقد تكون الحكمة أو المقصد الشرعي المتوخَّي من وراء الحكم واضحاً جليا، وهذا لا إشكال فيه، وقد يدق ويخفى، إلا على أهل البصيرة الراسخين في العلم، الذين ينظرون إلى الأحكام نظرة شاملة مستوعبة يجمعون بها بين المتفرقات، ويدركون بها حكمة الشرع فيما أمر ونهى، وفيما أبطل وأجاز.

إن الجهل بمقصد الحكم الشرعي قد يدفع بعض الناس إلى إنكاره، لاعتقاده بأن الشارع لا يشرع شيئا إلا لمصلحة الخلق، أفرادا وجماعات، فإذا لم يتعلق بالحكم مصلحة معتبرة، أو كان منافيا للمصلحة، اعتبر ذلك دليلا على أنه ليس بحكم شرعي وإنما هو مما أدخله الناس في الشريعة بالاجتهاد والتأويل.

وقد يستدل هنا بقول ابن القيم الذي نقلناه من قبل: «الشريعة عدل كلها، رحمة كلها، حكمة كلها، مصلحة كلها»... الخ.

أضرب لذلك بعض الأمثلة حتى يتضح الموضوع.

* قضية ميراث البنات والعصبات:

فقد أثار الصحفي الشهير الاستاذ أحمد بهاء الدين قضية شغلت الناس، وهي ميراث البنت أو البنات من أبيهن المتوفى، حيث إن الحكم الشرعي المعروف هنا هو: أن للبنت الواحدة نصف التركة وللبنتين فأكثر الثلثين، واذا كانت هناك زوجة كان لها الثمن، أو أم فلها السدس والباقي للعصبة. وأخذ هذا الحكم وحده منفصلا عن سائر الأحكام الأخرى المرتبطة به، وفي ظل الأوضاع الحالية القائمة عمليا على أساس الاسرة الضيقة المنفصلة عن العصبة والأرحام، والذي لا يفكر أحدهم في قريبة - أخيه أو عمه - إلا يوم يموت، ويدع تركة، ويكون له فيها نصيب! أقول: أخذ هذا الحكم الجزئي بهذه الصورة يظلم الشريعة، ويفوت على الناظر معرفة الحكمة المقصودة من وراء هذا الحكم من أحكام الميراث.

إن الشريعة تعمل على إيجاد الأسرة الموسعة الممتدة المتواصلة، التي تضبط صلاتها شبكة من الأحكام، تجعل بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.

بعض هذه الأحكام يتعلق بنظام النفقات، حيث يلزم الموسر بالنفقة على قريبه المعسر، وبعضها يتعلق بالولاية، وبعضها يتعلق بالمسؤولية الجنائية في تحمل الديَّة ونحوها، وبعضها يتعلق بالإرث. وهي أحكام يكمل بعضها بعضا.

وكما أن القريب يمكن أن يرث من أخيه المتوفى - أبي البنات - فيغنم، فهو يمكن أن يلزم بالنفقة على بنات أخيه، فيغرم. والعدل أن يكون المغنم بالمغرم[٢٣].

• الأكل باليمين:

ومثل آخر هو الأكل باليمين، أو الشرب باليمين، وتشديد السنة النبوية في ذلك، حتى جاء في الحديث الصحيح: «لا يأكل أحدكم بشماله، ولا يشرب بشماله، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله»[٢٤]، وفي الحديث المتفق عليه: «سم الله وكل بيمينك»[٢٥].

وفي حديث آخر: أنه {صلى الله عليه وسلم} دعا من أمره بالأكل باليمين، فقال: لا استطيع فقال: «لا استطعت» وما منعه إلا الكبر[٢٦]. فمن الناس من زعم أن هذه عادات تختلف فيها الشعوب والأقوام، ولا صلة للدين بها. ولا يعنى الدين أن تأكل باليمين أو بالشمال.

وهذا ليس بصحيح في هذه القضية خاصة.

قد يصح هذا في شأن الأكل على الأرض أو على منضدة، باليد مباشرة أو بالمعلقة والشوكة، ونحو ذلك، مما هو أقرب إلى العادات المحضة، ولذا لم يرد فيه أمر ولا نهي. أما مسألة الأكل والشرب باليمين، فتختلف عن ذلك، وللدين فيها قصد أكيد، لذلك جاء فيه الأمر والزجر والتشديد.

ومن مقاصد الدين في ذلك:

١ - **إقامة آداب مشتركة تميز الأمة المسلمة من غيرها**، وتجسد وحدتها العملية في تقاليد وأعمال يومية متكررة. وهذا ما تحرص عليه الأمم العريقة، وتغرسه في عقول أبنائها بالتربية والتثقيف.

٢ - **تخصيص اليمين بالطيب والمحمود من الأعمال** كالأكل والشرب والمصافحة، والمضمضة، ونحوها، في حين تكون الشمال للأعمال الأخرى مثل الاستنجاء.

٣ - **تثبيت فكرة التيامن في كل الامور**، التي دعا اليها النبي {صلى الله عليه وسلم} ، ومارسها بالفعل، فقد كان يحب التيامن في كل شيء: في تنعله وترجله وطهوره، وللأستاذ محمد اسد في كتابه «الاسلام على مفترق الطرق» بحث قيم في بيان أهمية الآداب المشتركة التي جاءت بها السنة المحمدية، ينبغي الاطلاع عليه. ففيه نفع كبير[٢٧].

مما يجب تأكيده هنا:

أن تقرير مقاصد الشريعة وتأكيدها، ينافي ما ذهب اليه بعض الفقهاء من تجويز (الحيل) في بعض الأحكام التي تستوفي صورتها الشكلية في الظاهر، ولكنها لا تحقق مقصد الشارع من شرعيتها.

وقد استدل الإمام البخاري على إبطال الحيل بالحديث المشهور: «إنما الاعمال بالنيات، وإنما لكل امريء ما نوى»، كما استدل بما جاء في أحاديث الصدقة: «لا يفرق بين مجتمع، ولا يجمع بين متفرق، خشية الصدقة».

ففي زكاة الأنعام كالغنم مثلا، اذا كان هناك اثنان يملك كل منهما أربعين شاة، فقد ملك نصابا فعليه فيه شاة، فإذا خلطا غنمهما، لم يجب عليهما إلا شاة واحدة، حسب مقدار الواجب في الغنم. فلا يجوز هذا الخلط أو الجمع إذا كان المقصود منه تقليل الواجب في الصدقة. كما لا يجوز للعامل على الصدقة أن يفرق بين المجتمع والمخلوط من الغنم، ليوجب فيه زيادة.

وقد ألف شيخ الاسلام ابن تيمية كتابا سماه «إقامة الدليل على بطلان التحليل» وهو الذي جاء فيه الحديث: «لعن الله المُحَلِّل والمُحَلَّل له» وأطال النفس فيه في بيان إبطال الشرع للحيل، ومنافاتها للمقاصد، كما أطال تلميذه العلامة المحقق ابن القيم في بيان ذلك بالأدلة الشافية في أكثر من كتاب من كتبه، وخصوصا في «اعلام الموقعين عن رب العالمين» وفي «إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان».

وقد نسب إلى الإمام أبي يوسف أكبر اصحاب أبي حنيفة أنه يجيز الحيلة في التهرب من الزكاة، كأن يأتي في آخر الحول، ويهب المال لامرأته أو ابنه مثلا، ثم يستوهبه منها مرة أخرى، وبهذا لا يستكمل النصاب شرط الحول، فلا يجب فيه الزكاة!

وقد رددنا على هذا في كتابنا «فقه الزكاة» وبينا أن أبا يوسف نص على عكس ذلك في كتابه الشهير «الخراج» الذي ألفه للخليفة الرشيد، وقال فيه: «لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر منع الصدقة، ولا إخراجها من ملكه إلى ملك جماعة غيره، ليفرقها بذلك فتبطل الصدقة عنها.. ولا يحتال في إبطال الصدقة بوجه ولا سبب»[٢٨].

وذهب الحنابلة والمالكية إلى تحريم هذه الحيل دينا، وإبطال أثرها قضاء وقانونا، وهذا هو الصحيح[٢٩].

ملاحظة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال:

ومن جوانب التيسير اللازمة والمهمة: مراعاة تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والاحوال والعوائد، وعدم الجمود على المسطور في الكتب من أقوال، كانت تمثل زمنها، وهذا ما نبه عليه المحققون، وقامت على صحته الادلة الشرعية.

ولعل أشهر من كتب في ذلك، وذاعت عبارته في الآفاق، هو الامام ابن قيم الجوزية، في كتابه الشهير (اعلام الموقعين) الذي عقد لذلك فصلا ممتعا، بدأه بقوله: «هذا فصل عظيم النفع جدا، وقع - بسبب الجهل به - غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل اليه، ما يعلم أن الشريعة الباهرة - التي في أعلى رتب المصالح - لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد، في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها ومصالح كلها، وحكمة كلها.

فكل مسألة خرجت عن العدالة الى الجور، وعن الرحمة الى ضدها، وعن المصلحة الى المفسدة، وعن الحكمة الى العبث، فليست من الشريعة، وان أدخلت فيها بالتأويل»[٣٠].

ومما ذكره هنا عن شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية: انه مر على جماعة من التتار في دمشق، وهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم بعض أصحابه فقال الشيخ رحمه الله: دعهم، فانما حرم الله الخمر، لأنها تصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، وهؤلاء تصدهم الخمر عن سفك الدماء، ونهب الأموال.

ونلاحظ في كلام الامام ابن تيمية هنا أمرين، كلاهما غاية في الأهمية:

الأول: تغير فتواه بتغير حال المفتى في أمرهم.

الثاني: مراعاة مقاصد الشريعة في التحريم والتحليل، وعدم الوقوف عند ظواهر النصوص وحدها، فهو سكت عن المنكر، مخافة منكر أكبر منه.

وما أحوج الذين يدّعون الانتساب إليه وإلى مدرسته في عصرنا إلى أن يحفظوا كلمته هنا ويعوها، حتى لا يجمدوا على الظواهر، ويغفلوا المقاصد والأسرار.

وقد حكوا عن الامام ابي محمد بن أبي زيد القيرواني، صاحب (الرسالة) المشهورة في الفقه المالكي، وأحد أعلام العلم والعمل في عصره، أنه اتخذ كلبا لحراسة داره، وقد كانت في طرف المدينة، فلما انكر عليه بعض الناس ذلك قائلا له: كيف تتخذ كلبا للحراسة، ومالك قد كرهه؟! فقال: لو كان مالك في زماننا لاتخذ أسدا ضاريا!

وحياتنا المعاصرة - بما فيها من تعقيدات ومشكلات لا تتناهى، كثير منها لم يخطر ببال السابقين من علمائنا - تحتاج من فقيه اليوم أن يقابلها باجتهاد جديد، بعضه انتقائي، وذلك فيما اختلف فيه علماؤنا من قبل واختيار بعض الأقوال الملائمة منه، في ضوء الأدلة والاعتبارات الشرعية. وبعضه انشائي ابداعي، وذلك في المسائل الجديدة التي لم يعرفها الفقه القديم، وما أكثرها.

فلابد أن يكون الفقه مادة حية مرنة، تتسع لكل حاجات العصر، وتغيرات الحياة المتجددة.. واذا كانت الشريعة - بنصوصها المحكمة، وقواعدها الكلية، وأحكامها القطعية - ثابتة لا تتغير، فإن الفقه - الذي يعكس فهمنا البشري لها، واستنباطنا الأحكام من أدلتها التفصيلية - يتغير بتغيرنا نحن البشر: زمانا ومكانا وحالا. ويجب أن يظهر هذا التغير اذا عرضناه في صورة تأليف أو فتوى أو

قضاء. ففرق ما بين الشريعة والفقه: ان الشريعة وحي الله، والفقه عمل العقل الاسلامي في ضوء الوحي.

وإذا كان كثير من الخلاف بين أبي حنيفة وصاحبيه: أبي يوسف ومحمد قيل فيه: إنه اختلاف عصر وزمان لا اختلاف حجة وبرهان، وإن الامام لو رأى ما رأياه لقال بما قالاه - مع قرب الزمن بينهما - فكيف وبيننا وبين عصور الاجتهاد قرون وقرون؟!.

وكذلك كان للشافعي مذهبان: قديم قبل وصوله الى مصر، وجديد بعد استقراره في مصر، وقد رأى فيها ما لم يكن رأي، وسمع ما لم يكن سمع، بالإضافة إلى نضج السن والتجربة، فغير اجتهاده في كثير من الأمور. وأصبح مألوفا أن يقال: قال في القديم، وقال في الجديد.

هذا وقد ظلت الحياة في عصورهم ساكنة لا يكاد يتغير لاحقها عن سابقها، الا قليلا فكيف وعصرنا الحديث قد تغيرت فيه شئون الحياة عما كانت عليه، تغيرا كبيرا بل هائلا وسريعا، امتد طولا وعرضا، وعمقا، وشمل شؤون الفرد والأسرة والمجتمع والعالم في أموره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادارية والدستورية وعلاقاته الدولية.

ولو افترضنا أحدا من أهل القرون الماضية - بل من أهل القرن الماضي فقط - بعث من قبره، ورأى ما نحن عليه اليوم، لأنكر كل شيء في حياة الناس ولاتهم نفسه بالجنون، أو اتهم الناس كلهم بالجنون.

وهذا التغير الجذري يقتضي فقها جديدا، واجتهادا جديدا، يتحرك بحركة الحياة، ولكن لا ينزلق معها.. بل يضبطها بشرع الله وحكمه، «ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون».

ومن أسباب تغير الفتوى في زمننا توافر معلومات لنا لم تتوافر لعلمائنا السابقين، فهم بنوا حكمهم على ما كان لديهم من علم. ونحن نعتقد انهم لو توافر لهم ما توافر لنا من معلومات لغيروا رأيهم، وافتوا بما نفتي به الآن، كما اننا لو كنا مكانهم، وعشنا في زمانهم، لحكمنا بما حكموا، فليس من السهل أن يتجاوز الانسان مكانه وزمانه.

أضرب لذلك مثلا، أقصى مدة زمن الحمل:، فقد ذكر بعض الفقهاء أن اقصى زمن الحمل سنتان، وذكر بعضهم اربع سنوات، وبعضهم خمس سنوات.. الى سبع سنوات. وما أدلتهم في ذلك؟ استدل بعضهم بقول عائشة رضي الله عنها: لا يبقى الحمل في بطن أمه أكثر من سنتين، ولو بفركة مغزل. ولا أدري مدى صحة سند هذا القول وثبوته عن عائشة؟ وبفرض أنه صحيح الثبوت، فماذا يعني؟

قالوا: انه موقوف له حكم المرفوع؟ فلابد انها سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك مما لا مجال للرأي فيه. وهذا كله غير مُسلَّم، فهذا مما يتسع فيه المجال للرأي، ولهذا اختلفت فيه الآراء اختلافا كبيرا، وعائشة بنت هذا على ما سمعته وعرفته من أقوال النساء حولها. والجزم بأنها لابد أن تكون سمعت ذلك من الرسول المعصوم دعوى بلا برهان.

ولهذا لما قيل ذلك للامام مالك، وأن أقصى الحمل سنتان، قال: سبحان الله! من يقول هذا؟ هذه جارتنا امرأة محمد بن عجلان، امرأة صدق، وزوجها رجل صدق، حملت ثلاثة أبطن في اثنتي عشرة سنة، تحمل كل بطن أربع سنين[٣١].

فاستدل امام دار الهجرة بما تقوله النساء: وهو معذور في تصديق هذه المرأة وأمثالها، ما دامت معروفة بالصدق، ولم يكذبها أحد ممن حولها.

والمرأة معذورة أيضا، انها في الواقع ليست كاذبة، ولكنها متوهمة، تتوهم انها حامل وهي غير حامل، وهذه حالة معروفة مشهورة للطب الآن، وتتكرر كثيرا، ويسميها الأطباء المختصون (الحمل الكاذب) وهو شيء تظهر على المرأة فيه كل أعراض الحمل المعروفه، من انتفاخ البطن، والشعور بالغثيان والقيء، وتقلص عضلات البطن ونحوها، بما يشبه حركة الجنين في البطن، يظهر

ذلك كله مع وجود الرغبة الشديدة في الحمل، والشوق اليه والتعلق به، فيحدث ذلك كله حالة جسمية ونفسية كحالة الحامل الحقيقية تماما. ولكن بالكشف عليها الآن بأدوات الكشف الجديدة من اللمس والتحليل والتصوير بالأشعة ونحوها، يجزم الطبيب المختص أنها غير حامل قطعا.

والعجيب هنا أن المرأة قد تظل على هذه الحالة سنة أو سنتين مثلا، ثم يشاء الله أن تحمل في نهاية المدة حملا صادقا، فتظنه امتدادا للحمل الكاذب، وتحسب المدة كلها على هذا الحمل، وتلد بعد سنتين أو ثلاث أو أربع، فيصدقها الناس، وأن دعواها من أول الأمر لم تكن كذبا وزورا.

ماذا كان يمكن أن يفعل الفقيه وهو يسمع هذه القصص تحكى له من هنا وهناك من أناس ثقات عن نسوة صالحات؟

رعاية المقاصد وتغير الفتوى:

وهنا ملاحظة مهمة وهي: ارتباط رعاية العلل والمقاصد - التي شرعت لها الأحكام - بما قرره علماء الأمة منذ عصر الصحابة، من وجوب تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعرف والحال. بل بدأ هذا منذ عهد النبي {صلى الله عليه وسلم} . ولهذا كان النبي {صلى الله عليه وسلم} يقبل من بعض أصحابه ما لا يقبل من البعض الآخر، ويسامح أهل البادية فيما لا يسامح أهل الحضر، كالأعرابي الذي بال في المسجد.

ولهذا فرض زكاة الفطر من الأطعمة، لأنها كانت أيسر على المعطي وأنفع للآخذ، ولو كلفهم بدفع النقود لكلفهم عسرا.

وكان يأمرهم بإخراجها بعد صلاة الصبح وقبل صلاة العيد، لسهولة ذلك عليهم ومعرفتهم بالمحتاجين وقربهم منهم، لقلة العدد، وبساطة المجتمع.

وفي عهد الأئمة أجاز بعضهم إخراجها من منتصف رمضان أو من أول رمضان، كما أجازوا إخراج غالب قوت البلد، وإن لم يكن من الأطعمة المنصوص عليها.

بل أجاز عمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة وأصحابه وآخرون إخراج قيمة الطعام من النقود، بل رجح بعضهم ذلك إذا كان أنفع للفقراء. وحجتهم أن النبي {صلى الله عليه وسلم} أمر بإغنائهم عن السؤال في يوم العيد، والإغناء يتحقق بإعطاء القيمة كما يتحقق بإعطاء الطعام، وربما كان الإغناء بالقيمة أولى وأوفى[٣٢].

وفي بعض الأحوال في عصرنا كالمدن الكبرى مثل القاهرة واستانبول وغيرها يكون إخراج الحبوب كالقمح والشعير، منافيا لمقصد الشارع تماما، لأنه لا ينتفع به ولا يتحقق به إغناء في ذلك اليوم، ويضطر إلى بيعه بأبخس الأثمان، إن وجد من يشتريه منه! مع ما فيه من حرج على المعطي ايضا.

ولقد كان العلامة ابن القيم موفقا في عبارته، حين جعل الذي يتغير بتغير موجباته هو الفتوى وليس حكم الشرع، فالحكم لا يتغير، وانما الفتوى - وهي تنزيل الحكم على الواقعة - هي التي تتغير.

إن عمر - رضي الله عنه - حين أبى أن يعطي الزكاة قوما كانوا من «المؤلفة قلوبهم» في عصر الرسول وقال: «إن الله أعز الاسلام وأغنى عنهم» لم يغير بذلك حكما شرعيا ولم يعطل نصا قرآنيا، كما قد يفهم بعض الناس، **ولكنه غير الفتوى بتغير الزمن والحال عن عهد الرسول،** فلم يعد عيينة بن حصن، ولا الأقرع بن حابس وأضرابهما من الطامعين، ممن يحتاج الإسلام ودولته إلى تأليف قلوبهم، بعد أن انتصر على أكبر دولتين في الأرض: فارس والروم! ولم يكتب الرسول {صلى الله عليه وسلم} صكا لهؤلاء يبقيهم مؤلفة إلى الأبد، والمؤلف هو الذي يرى الإمام تأليفه، فإذا لم ير تأليف شخص أو أناس بأعيانهم، أو لم ير التأليف مطلقا في عهده، لعدم الحاجة إليه، أو لأن هناك مصارف أهم منه، فهذا من حقه، **ولا يكون ذلك إسقاطا لسهم المؤلفة إلى الأبد،** كما فهم بعض الحنفية وغيرهم، ولا تعطيلا للنص، كما ظن بعض المعاصرين، فإن عمر والأمة كلها لا تملك تعطيل نص صريح من كتاب الله، ولكنه رأى

مصلحة المسلمين في عصره، أن يسد الطريق على الطامعين في أموال الزكاة باسم التأليف، ولم يرد عنه ما يمنع من التأليف وإعطاء المؤلفة عند الحاجة واقتضاء المصلحة[٣٣].

إن عمل عمر هذا مثال جيد لاعتبار المصلحة المرسلة، وسد الذريعة إلى المفسدة، وهو مثال جيد كذلك لتغير الفتوى بتغير الأزمان والأحوال.

ومما غير عمر فيه الفتوى بتغير الحال: زكاة الخيل، فقد جاءه أناس من الشام يريدون إعطاء الزكاة منها، فتردد في ذلك، لأنه أمر لم يفعله الرسول ولا أبو بكر، ثم جاء أنه أوجب الزكاة في الخيل في قصة يعلى بن أمية وأخيه، حين وجد الفرس يبلغ ثمنها مائة ناقة! مستدلا بقياس الأولى، وهو نوع من مراعاة المقاصد والمصالح والعدل الذي قامت عليه الشريعة.

ومن الأمثلة التي تذكر هنا من تغير الفتوى بتغير المكان والحال: أن معاذ بن جبل حين بعثه الرسول {صلى الله عليه وسلم} الى اليمن وأمره أن يأخذ الزكاة من أغنيائهم ويردها على فقرائهم، كان مما أوصاه به «خذ الحب من الحب، والشاة من الغنم، والبعير من الابل» ولكن لم يفهم هذه الوصية إلا أنها تيسير على الناس، وأن هذا ما يطالبون به، فلما وجد الايسر عليهم أن يدفعوا القيمة رحب بذلك، لما فيه من الرفق بهم، والنفع لمن وراءهم بالمدينة، عاصمة الإسلام، إذا فضل شيء عنهم وأرسله إلى هناك، ففي خطبة معاذ باليمن قال: «ائتوني بخميس أو لبيس (ملابس من صنعهم) آخذه منكم مكان الذرة والشعير فإنه أهون عليكم وأنفع للمهاجرين بالمدينة[٣٤].

فاعتبار المصلحة ورعاية مقصد الشارع من الزكاة هو الذي جعل معاذا ـ وهو أعلم الصحابة بالحلال والحرام كما في الحديث[٣٥] يؤثر أخذ القيمة «ثياب يمنية» بدلا من الحبوب، مع ما يظن من مخالفته ظاهر الحديث الآخر، وما كان لمعاذ أن يخالف حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو الذي جعل اجتهاده في المرتبة الثالثة بعد الكتاب والسنة. ولكنه أدرك مقصود الحديث فلم يتجاوز به موضعه. ولهذا اشترط الأصوليون في المجتهد: أن يكون عالما بمدارك الأحكام ومقاصد الشريعة، وأن يكون ايضا عالما بمصالح الناس في عصره. وهذا حق فإن من حصل كثيرا من العلم ووسائل الاجتهاد، ولكنه يعيش في برج عاجي، أو صومعة منعزلة، غافلا عن مصالح المجتمع ومفاسده، وما يدور في العقول من أفكار، وفي الأنفس من نوازع، وفي الحياة من وقائع وتيارات.. مثل هذا ـ على علمه ـ لا يعد من أهل الاجتهاد والفتيا والحكم في شريعة الاسلام.

وهذا يوجب على رجال الفقه في عصرنا أن يفحصوا الكتب القديمة، لينتقوا منها ما يصلح لزمنهم وبيئتهم، ويدعوا ما كان معبرا عن زمن انقضى، وبيئة تغيرت، وعرف انتهى، لانها ارتبطت بعلة لم تعد قائمة، والمعلول يدور مع علته وجودا وعدما.

يقول الإمام القرافي في كتابه (الاحكام):

«ليس كل الأحكام ـ يعني الاجتهادية ـ يجوز العمل بها، ولا كل الفتاوي الصادرة عن المجتهدين يجوز التقليد فيها، بل في كل مذهب مسائل، إذا حقق النظر فيها، امتنع تقليد ذلك الإمام فيها»[٣٦].

«إن استمرار الاحكام التي مدركها العوائد ـ مع تغير تلك العوائد ـ خلاف الاجماع، وجهالة في الدين[٣٧].

وقال في كتابه «الفروق»: «فمهما تجدد من العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك!.. والجمود على المنقولات ابدا ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين، والسلف الماضين[٣٨].

«كل شيء أفتى فيه المجتهد فخرجت فتياه على خلاف الإجماع أو القواعد أو النص أو القياس الجلي السالم عن المعارض الراجح لا يجوز لمقلده أن ينقله للناس، ولا يفتي به في دين الله تعالى، فان هذا الحكم لو حكم به حاكم لنقضناه، وما لانقره شرعا بعد تقرره بحكم الحاكم أولى أن لانقره شرعا إذا لم يتأكد، فلا نقره شرعا، والفتيا

بغير شرع حرام، فالفتيا بهذا الحكم حرام، وإن كان الإمام المجتهد غير عاص به، بل مثابا عليه، لأنه بذل جهده على حسب ما أمر به، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإن اصاب فله أجران»[٣٩].

فعلى هذا يجب على أهل العصر تفقد مذاهبهم، فكل ما وجدوه من هذا النوع يحرم عليهم به. ولا يعرى مذهب من المذاهب عنه، لكنه قد يقل وقد يكثر، غير أنه لا يقدر أن يعلم هذا في مذهبه إلا من عرف القواعد، والقياس الجلي، والنص الصريح، وعدم المعارض لذلك، ولذلك يعتمد على تحصيل اصول الفقه، والتبحر في الفقه، فإن القواعد ليست مستوعبة في أصول الفقه، بل للشريعة قواعد كثيرة جدا عند أئمة الفتوى والفقهاء، لا توجد في كتب أصول الفقه أصلا، وذلك هو الباعث لي على وضع هذا الكتاب لا ضبط تلك القواعد بحسب طاقتي»[٤٠].

وإذا كان هذا القول في شأن الأقوال والفتاوي الصادرة عن الأئمة المجتهدين، فما بالك بأقوال المقلدين، وفتاوي المتأخرين؟!!

ولقد اكد القرافي ايضا وبعده ابن القيم، وبعدهما ابن عابدين - بناء على اعتبارات شرعية ذكرناها من قبل - أن لتغير العرف والزمن والحال أثرها في تغير الفتوى وتكييف الاحكام.

وكل هذا يؤيد وجهة نظرنا، في وجوب فحص الأقوال المروية، وخصوصا فيما عدا العبادات، أي في الشئون المدنية والتجارية والإدارية والجنائية والدولية ونحوها - حتى يتكون لنا فقه معاصر جديد مبني على دراسة عميقة قائمة على الموازنة والترجيح.

أما الاعتراض علينا بأن باب الاجتهاد قد اغلق بعد القرن الرابع أو الثالث أو الثاني فهو اعتراض مردود، لأن الذي فتح باب الاجتهاد للأمة هو رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فلا يملك أحد بعد ذلك سده كائنا من كان.

يقول سلطان العلماء الإمام عز الدين بن عبد السلام:

«وقد اختلفوا متى انسد باب الاجتهاد؟ على أقوال، ما أنزل الله بها من سلطان قيل: بعد مائتين من الهجرة، وقيل: بعد الشافعي، وقيل بعد الأوزاعي وسفيان! وعندهم أن الارض قد خلت من قائم بحجة الله ينظر في الكتاب والسنة، ويأخذ الأحكام، وألا يفتي أحد بما فيهما إلا بعد عرضه على قول مقلده، فإن وافقه حكم وأفتى، وإلا رده! وهذه أقوال فاسدة، فإنه إن وقعت حادثة غير منصوص عليها، أو فيها خلاف بين السلف، فلابد فيها من الاجتهاد من كتاب أو سنة. وما يقول سوى هذا إلا صاحب هذيان»[٤١].

الهوامش:

(١٩) البخاري مع الفتح (١٣٨: ٦ و ٨: ٣٤٤) وذكره يحيى ابن آدم في الخراج بتحقيق أحمد شاكر ص ٤٤.

(٢٠) الخراج لأبي يوسف ص ٢٣ ، ٢٤ ط السلفية والأموال ص ٥٨ ، ٥٩ ط السنة المحمدية.

(٢١) انظر: كتابنا: شريعة الاسلام ص ١١٦ - ١١٨ طبعة (دار الصحوة) الثانية.

(٢٢) رواه البخاري معلقا مجزوما به في كتاب الزكاة من صحيحه عن طاوس، ووصله يحيى بن آدم في الخراج برقم (٥٢٦) والبيهقي في السنن الكبرى (١١٣:٤) وانظر: فقه الزكاة (٨٥٣/٢) وما بعدها (الطبعة الحادية والعشرين) مكتبة وهبة.

(٢٣) انظر: كتابنا «مدخل لدراسة الشريعة الاسلامية» ص ٨٢ وما بعدها.

(٢٤) رواه مسلم بمعناه عن جابر (٢٠١٩) وعن ابن عمر (٢٠٢٠).

(٢٥) متفق عليه عن عمر بن أبي سلمة. (اللؤلؤ والمرجان: ١٣١٣).

(٢٦) رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع (٢٠٢١).

(٢٧) فصل «روح السنة» وانظر كتابنا «كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط» نشر دار الوفاء - القاهرة.

(٢٨) الخراج لأبي يوسف، ص ٨، ط. السلفية.

(٢٩) انظر فقه الزكاة، جـ٢ ، ص ١٠٧٨ وما بعدها.

(٣٠) اعلام الموقعين: جـ٣ ص ١٤ - ١٥.

(٣١) رواه البيهقي في سننه (٧:٤٤٣).

(٣٢) من أراد التوسع في الموضوع فليراجعه في باب (زكاة الفطر) من كتابنا (فقه الزكاة).

(٣٣) راجع هذا المبحث بتفصيل في «باب مصارف الزكاة» فصل «المؤلفة قلوبهم».

(٣٤) راجع هذا المبحث بتفصيل في فقه الزكاة «باب طريقة اداء الزكاة» فصل اخراج القيمة.

(٣٥) رواه الترمذي (٣٧٩٣) عن أنس: «أرحم أمتي بأمتي ابو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر.. وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» وقال الترمذي: حسن صحيح، كما رواه ابن ماجه (١٥٤).

(٣٦) ص ١٢٩ ط حلب بتحقيق عبد الفتاح أبي غدة في جواب السؤال التاسع.

(٣٧) المصدر السابق ص ٢٣١.

(٣٨) الفروق جـ١ ص ١٧٦ ، ١٧٧.

(٣٩) رواه الشيخان من حديث عمرو بن العاص (اللؤلؤ والمرجان: ١١١٨).

(٤٠) الفروق جـ ٢ ص ١٠٩ - ١١٠.

(٤١) انظر: قواعد الاحكام في مصالح الأنام.

الغـــزالى وافتـــ

في كثير من كتابات الدكتور نصر أبو زيد «اجتراء» غير مألوف على كثير من رموز الأمة الإسلامية٠٠ والحديث عن «رموز للأمة» لا يعني إضفاء القدسية على بشر أيا كان دوره وموقعه في تاريخ الإسلام٠٠ ففي الإسلام لا قدسية لغير الله وآياته٠٠ ولا عصمة لغير الرسل، عليهم السلام، وحتى عصمة الرسل فهي فيما يبلغونه عن الله، فالعصمة من ضرورات «الرسالة» وليست امتيازا للجانب البشري المجتهد في الرسل والأنبياء٠

لكن لكل دين وفلسفة ووطن وجهاد وأمة «الرموز» التي تمثل «المثل» و«المنارات» الحافزة لأجيال الأمة على الاستباق على طريق الخير والتقدم الذي برزت على دربه هذه «الرموز» فالذين يعرفون قدر الدين وعظيم نعمته، يعرفون أقدار الجيل النبوي الفريد الذى رفع القواعد لهذا الدين، فغيّر وجه الدنيا وحول مجرى التاريخ ٠٠ والذين يعرفون قدر الوطن والوطنية، يجلون رموزها الذين وهبوا حياتهم لتحرير الأوطان وتقدمها٠٠ والذين يعرفون قيمة العدالة الاجتماعية، يقدرون أبطالها حق قدرهم٠٠ وهكذا في كل الميادين٠

أفكار مثيرة للجدل (٧-٨)

بقلم المفكر الاسلامي:
أ٠د٠ محمد عمارة

أما نصيب حجة الإسلام الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥هـ/ ١١٥٨ - ١١١١م) من اجتراء وافتراء الدكتور نصر ٠٠ فإننا سنكتفى فيه أيضا بالنظر في أربعة مواضع، ضمنها أربعة مطاعن في الغزالى ومشروعه الفكرى، الذى لا يزال فاعلا حتى الآن في إحياء علوم الدين، لتحيا بها علوم الدنيا عند المسلمين٠

١ - يدعي الدكتور نصر على حجة الاسلام الغزالى أنه قد حصر الدين الاسلامى واختزله في الهروب من الدنيا، والخلاص الفردى والنجاة الأخروية٠٠ فعنده، أن «تصور الغزالى لغاية الدين ووظيفته تنحصر فى الخلاص الفردى والنجاة في الآخرة»[١]٠

ولست أدري، هل قرأ الدكتور نصر المشروع الفكرى العملاق والمتعدد الميادين، والمتوازن فى المقاصد والغايات، الذى أبدعه الغزالي؟٠٠ أم أنه قد اقتنص عبارات للزهد وأهدر السياق الذى جاءت فيه؟٠٠ إن الغزالى مشروع فكرى يمثل ظاهرة مجسدة للعصر الذى عاش فيه، ومن «الخفة الفكرية» اختزال مقاصده على هذا النحو الغريب٠٠ ولو أن الدكتور نصر قرأ للغزالى قراءة الباحث عن الحقيقة، البرىء

اءات نصر أبو زيد

من سوء النية، لعلم أن الرجل لم يقف فقط عند الدعوة إلى تأسيس «الدنيا» على «الدين»، بل لقد أبصر أن صلاح الدين وإقامته مرهونان بصلاح الدنيا، وبتوافر الأمن الانسانى فيها على مختلف الحاجات.. فهو الذي يقول: «**إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا.. ونظام الدين، بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات، من: الكسوة، والمسكن، والأقوات، والأمن.. ولعمرى!** من أصبح آمنا فى سربه معافا فى بدنه، وله قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.. فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل، وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة؟.. فإذن، بان أن نظام الدنيا، أعني مقادير الحاجة، شرط لنظام الدين»[٢]!.

هل قرأ الدكتور نصر، ووعى هذه الكلمات التى تؤسس نظرية لعلاقة الدين بالدنيا، وتأسيس صلاح الدين على صلاح الدنيا، وجعل نظام الدنيا شرطا لنظام الدين؟!.

٢ ـ ولأن الدكتور نصر سيء الظن بالوسطية الاسلامية، فلقد جمع فى كتابته عن الغزالى بين القول بتأسيس الغزالى «للوسطية فى مجال الفكر والفلسفة»[٣]، وبين ركام من الإجتراء على الغزالى .. فهو الذى وجه الضربة القاضية للعقل، وقاد الأمة والخلافة والعصر إلى التفكك والانهيار!.. «ثم جاء أبو حامد الغزالى ووجه للعقل الضربة القاضية، وليس من الغريب أن يكون العصر الذى شهد خطا الغزالي وأنصت إليه هو عصر الانهيار السياسى والتفكك الاجتماعى، وسيطرة «العسكر» على شئون الدولة، وهو العصر الذى انتهى بسقوط بغداد والقضاء على الشكل الرمزى الأخير للدولة الاسلامية[٤]!.

هكذا، وفى كلمات معدودات، أهال الدكتور نصر على حجة الاسلام الغزالى كل ركام التخلف والانحطاط الحضارى والتفكك السياسى والاجتماعى والهزيمة العسكرية أمام الأعداء .. الأمر الذى جعل هذه الكلمات «مجمعا لكم هائل من الأخطاء»!.

أ ـ فهل حقا وجَّه الغزالى الضربة القاضية للعقل.. أم أنه الذى طعَّم الأشعرية بجرعة من العقلانية جعلتها ـ تحل فى تمثيلها للعقلانية الاسلامية الوسطية ـ محل تيار الاعتزال؟، فيقيم دعائم العقلانية الجامعة ـ بالوسطية ـ بين «العقل» و«الشرع»، الرافضة «للحشوية[٥] ـ الظاهرية» و«لغلو» الفلسفة والاعتزال.

ولو أن الدكتور نصر قرأ تراث الغزالي في العقلانية الإسلامية المؤمنة، وحسنت نيته، لتردد قبل أن يخط قلمه هذا الاجتراء والافتراء .. بل لو وعى مقاصد الغزالى من هذا النص الذى سنضرب به المثل على مقام ومعنى العقلانية عند الغزالى، لما قال هذا الذى قال.. يقول أبو حامد: «**إن أهل السنة قد تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول، وعرفوا أن من ظن من الحشوية وجوب الجمود والتقليد، واتباع الظواهر، ما أتوا إلا من ضعف العقول وقلة البصائر. وأن من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة فى تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع، ما أتوا إلا من خبث الضمائر. فميل أولئك إلى التفريط، وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم**

والاستبداد من الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد، ملازمة الاقتصاد، والاعتماد على **الصراط المستقيم، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم. وأنّى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر مناهج البحث والنظر، ولا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر، [صلى الله عليه وسلم]، وبرهان العقل هو الذي عُرِف به صدقه فيما أخبر؟ وكيف يهتدي للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر؟.**

هيهات ! قد خاب على القطع والبتات، وتعثر بأذيال الضلالات، من لم يجمع بتأليف العقل والشرع هذا الشتات. فمثال العقل: البصر السليم عن الآفاق والآذاء. ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء. فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء، المستغني بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء، فالمعرض عن العقل، مكتفيا بنور القرآن، مثاله: المتعرض لنور الشمس مغمضا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور[٦]»!

إنها كلمات موزونة بميزان الحكمة العالية، تؤسس نظرية العقلانية الاسلامية، الجامعة بين نور العقل ونور الشرع، والتي تنكب طريقها الأغبياء!.

ب ـ ثم .. **من علّم الدكتور نصر أن عصر الغزالي هو عصر «سيطرة العسكر على شئون الدولة الاسلامية»؟**.. إن سيطرة العسكر بدأت في عهد المتوكل العباسي (٢٠٦ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٢١ ـ ٨٦١م).. أي قبل عصر الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١١١م) بنحو ثلاثة قرون؟!.

جـ ـ **ومن قال للدكتور نصر إن «سقوط بغداد» هو أثر من آثار الغزالي؟!**.. وبغداد قد سقطت (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) بعد قرن ونصف من عصر الغزالي!.. وكان سقوطها ـ كما يعلم الذين يعون التاريخ ـ إلى جانب أمراض التراجع الحضاري الذاتية ـ بسبب تحالف الغزوة الصليبية [٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م] مع جحافل التتر ضد عالم الاسلام.

لكن يبدو أن أحقاد الدكتور نصر على صاحب (إحياء علوم الدين) قد جعلته يتخلى حتى عن «الجدل المادي الماركسي» الذي لا ينسب الظواهر الكبرى إلى عامل واحد دون سواه.. فقادته الأحقاد إلى تحميل الغزالي كل كوارث التاريخ الاسلامي!.

٣ ـ ويتخلى الدكتور نصر ـ في «هجائه» للغزالي ـ عن الحد الأدنى من دقة الباحث في تحليله للنصوص ـ رغم تيه الماركسيين به، «كأحسن من يحلل النصوص»؟!.. فيسير مع «الخطأ الشائع» الذي زعم مروجوه عداء أبي حامد للسببية وارتباط الأسباب بالمسببات، فيقول: لقد «انتهى الغزالي إلى إهدار قوانين السببية، ومن هنا جاء الاعتقاد الخطير الذي ساد الخطاب الديني في الثقافة العربية: أن النار لا تحرق، وأن السكين لا تقطع، وأن الله هو الفاعل من وراء كل الأسباب[٧].. فكانت ضربة الغزالي للعقل، من زاوية تفكيك العلاقة بين الأسباب والنتائج، أو بين العلل ومعلولاتها[٨].

ونحن نسأل الدكتور نصر:

في الثقافة التي سادت «الخطاب الديني» ـ على حد تعبيره الأثير ـ ماذا يقول الإنسان الذي احترق منزله؟

ـ النار أحرقت المنزل؟ .. أم: ـ الله أحرق المنزل؟!..

ـ وماذا يشتري «القصّاب ـ الجزار» ليقطع اللحم؟ ـ أيشتري سكينا؟ ـ أم يرفع إلى السماء طالبا من الله قطع اللحم؟!.

إن مأساة الدكتور نصر ـ أحسن الماركسيين تحليلا للنصوص ـ أنه لم يستطع التمييز بين عبارة: «أن الله هو الفاعل من وراء كل الأسباب».. وبين عبارة: «أن الله هو الفاعل دون كل الأسباب».. **ففعل الله سبحانه وتعالى، من**

وراء كل الأسباب، عقيدة إسلامية لا خلاف عليها بين أحد من المؤمنين بالإسلام، وهي لا تعني إلغاء عمل الأسباب، ولا إلغاء علاقة الأسباب بالمسبِّبات، وإنما تعني - مع عمل الأسباب في المسبَّبات، والارتباط بينهما - في العادة - قدرة الخالق، سبحانه، على الفعل وراء هذه الأسباب - التي هي مخلوقة له - بوقف عمل هذه الأسباب التي خلقها، وباستبدالها بأسباب أخرى، إذا هو أراد خرق العادة وتغيير المعتاد.

ولو قرأ الدكتور نصر، ووعى ما كتبه الغزالي في السببية، لابتعد بنفسه عن مزالق هذا «الخطأ الشائع» - الذى أشاعه المستشرقون، أصحاب النزعة الوضعية والمادية.. والذى تلقفه تلامذتهم فى بلادنا - وإلا فأين هو «إهدار قوانين السببية» فى قول الغزالي: «إننا نسلم أن النار خُلقت خلقة إذا لاقاها قطنتان متماثلتان أحرقتهما، ولم تفرق بينهما إذا تماثلتا من كل وجه. ولكنا مع هذا، نجوِّز أن يلقى شخص فى النار فلا يحترق، إما بتغير صفة النار أو بتغير صفة الشخص، فيحدث من الله تعالى أو من الملائكة صفة في النار تقصر سخونتها على جسمها بحيث لا تتعداها، وتبقى معها سخونتها، وتكون على صورة النار حقيقتها.. أو يحدث فى بدن الشخص صفة، ولا يخرجه عن كونه لحما وعظما، فيدفع أثر النار»[٩].

فالنار سبب موجب للإحراق.. لكن الله سبحانه وتعالى، قادر - وهو الخالق لها ولإحراقها - على تغيير صفتها، أو تغيير صفة الذى نلقيه فيها.. وذلك بخلق سبب جديد يفعل فعلا جديدا.. فالسببية - عند الغزالي - قائمة أبدا وفاعلة دائما، إن فى الأحوال المعتادة، أو فى الأحوال غير المعتادة، التى لها هى الأخرى أسبابها وقوانيها.

تلك هي حقيقة موقف الغزالي - وكل علماء الاسلام وفلاسفته - من السببية.. إذا نحن امتلكنا، بحق، القدرة على تحليل النصوص!.

٤ - وأخيرا.. فمن كان يتصور أن يصل الاجتراء بالدكتور نصر حامد أبو زيد - الذى يستلهم المادية الجدلية الماركسية فى التفكير والتفسير والتحليل للقرآن، والنبوة والوحي، والعقيدة والشريعة - على النحو الذى قدمنا - **من كان يتصور أن يبلغ الاجتراء «بفتى المادية الماركسية» إلى حد «تكفير» حجة الاسلام أبى حامد الغزالي؟!.**

أي والله!.. وإلا فليقدم لقرائه تحليلا للنص الذى كتبه عن الغزالي، وقال فيه: «إن تصورات الغزالي كلها - رغم ما لقيته بعد ذلك من شيوع وانتشار - تعارض المقاصد الأولية للوحي والشريعة معا[١٠].

فإذا كانت «تصورات الغزالي كلها» [لاحظ «كلها»] «تعارض المقاصد الأولية للوحي والشريعة معا» فهل يبقى له حظ من الايمان بالوحي والشريعة - أي الإسلام؟!.

إن الدكتور نصر - وأنا معه - قد اشتكى ويشتكى من بعض الذين حكموا عليه بالكفر والردة عن الاسلام.. فهل وعى أنه عندما يبيح لنفسه تكفير حجة الاسلام الغزالي، إنما يعطي أمضى أسلحة التكفير لخصومه.. مع الفارق الشاهق بين «المحلل الماركسي للنصوص» وبين «حجة الإسلام»!.

ويا ليته قد قرأ ووعى كلمات الغزالي عن «أن التكفير: خطر، لا يسرع إليه إلا الجهال»!.

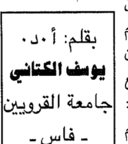
الهوامش:

(١) مفهوم النص ص ٢٧٩.
(٢) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٣٥، طبعة القاهرة - مكتبة محمود على صبيح - بدون تاريخ.
(٣) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص٥.
(٤) نقد الخطاب الديني ص ٦١.
(٥) الحشوية: فرقة منسوبة إلى «الحشو» الذى لا قيمة له - لعجزهم عن فقه ما وراء ظواهر النصوص.
(٦) الاقتصاد في الاعتقاد ص ٢، ٣.
(٧) نقد الخطاب الديني ص ٤٠.
(٨) المرجع السابق ص ٦١.
(٩) تهافت الفلاسفة ص ٦٧، ٦٨، طبعة القاهرة ١٩٠٣م.
(١٠) مفهوم النص ص ٣٣٦.



تهل في شهر ربيع الانور - ذكرى حبيبة إلى الأمة الإسلامية عزيزة على المسلمين جميعا يهتبلون للقياها، ويستبشرون لمقدمها، ويسعدون بها، تلك هي - ذكرى المولد النبوي الشريف الذي تعطرت الأكوان بميلاده، وازدهرت بوجوده، وانتصرت ببعثته، وابتهجت الدنيا كلها بميلاده السعيد فكان ميلاد النبوة والرسالة، وميلاد القيم والمثل العليا، وميلاد النور والايمان، وميلاد رائد حقوق الانسان، إنه نبي الرحمة ورسول الأمة، سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

خاتم النبيين



بقلم: أ.د.
يوسف الكتاني
جامعة القرويين
- فاس -

وقد رأيت في هذه المناسبة الخالدة أن أقدم لشباب المسلمين نبذة مختصرة موجزة عن حياته الشريفة، ليلموا بفصولها، ويعرفوا جوانبها، فذلك بعض الواجب عليهم قِبَلَ نبيهم ورسولهم الأكرم عليه السلام.

نسبه الشريف:

هو سيدنا محمد الطيب المبارك بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قُصَي بن زيد، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن قيس، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.

مولده ونشأته:

وقد وُلِدَ {صلى الله عليه وسلم} في عام الفيل من الأصلاب والعواتك والفواطم الشريفة، وذلك يوم الاثنين لعشر خلون من شهر ربيع الأول كما تحدث عن نفسه: «إنما خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء لم أخرج إلا من طهره»[١].

وقد ظهرت لمولده علامات وبشارات، منها أنه ولد مختونا مسرورا، ووقع حين ولد وهو جالس على الأرض بيده، ورأت أمه عند ذاك كأن شهابا خرج منها أضاءت له الأرض، وأنشد عبد المطلب يوم مولده قائلا:

الحمد لله الذي أعطاني
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان
أعيذه بالبيت ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من غمر ذي شنان
من حاسد مضطرب العنان[٢]

فتولاه جده عبد المطلب وسماه محمدا، لأن والده توفي قبل مولده، وأرضعته أولا ثويبة أياما، ثم تولت إرضاعه حليمة السعدية وأخذته معها إلى بلادها في بني سعد بن بكر، ولما بلغ أربع سنين أتاه الملكان فشقا بطنه واستخرجا علقة سوداء وطرحاها، وغسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب، وقال أحد الملكين للآخر: «لو وزن بأمته كلها لوزنهم» ولم تمر سنة حتى رأت حليمة معجزة أخرى، إذ شاهدت غمامة تظلله، إذا وقف وقفت،

وإذا سار سارت، فأفزعها ذلك، فقدمت به إلى أمه التي لم يبق معها سوى ست سنوات حتى توفيت، فأخذه جده عبد المطلب ورعاه، وضمه ورَقَّ عليه، وكان يقربه منه ويدنيه، ويجلسه على فراشه، ووَكَّل حضانته لأم أيمن، غير أنه لم تمض سنتان على وفاة أمه حتى توفي جده وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب، وكان يحبه حبا شديدا لا يحبه ولده، ولا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج معه إذا خرج، وكان يقول له: إنك لمبارك إذ كان الصبيان يصبحون رمضا شعثا، ويصبح رسول الله دهينا كحيلا[٣].

ولما بلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اثنتي عشرة سنة خرج به أبو طالب إلى الشام في عير التجارة، فرآه بحيرا الراهب وتنبأ له بالنبوة وأوصى به عمه ليحفظه فعاد به إلى مكة.

وشبَّ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه، ويحوطه من أمور الجاهلية ومعايبها، لما يريد به من كرامته، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما وأمانة، وأصدقهم حديثا، وأبعدهم من الفحش، وما رئي ملاحيا ولا مماريا أحدا حتى سماه قومه الأمين[٤] ثم خرج بعد ذلك إلى الشام في تجارة خديجة وقد بلغ من العمر خمسا وعشرين سنة، وظهر الملكان مرة أخرى يظلانه من الشمس حتى بهر ذلك ميسرة غلامه، وراهبا رآه ينزل تحت شجرة فقال: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي وهو آخر الأنبياء[٥].

زواجه من خديجة وأولاده:

كانت خديجة بنت خويلد امرأة شريفة حازمة، ذات كرامة وخير، من أعظم أهل قريش شرفا، وأكثرهم مالا، فلما رجع الرسول من تجارتها بالشام غانما رابحا، وقد رأت الغمامة تظلله وهو قادم عليها، فأرسلت إلى رسول الله من يدعوه لخطبتها، فقبل الرسول عليه السلام، وذهب في عمومته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي يومئذ بنت أربعين سنة.

وكان أول من ولد لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة قبل النبوة القاسم، ثم ولد له زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم ولد له في الاسلام عبد الله فَسُمِّي الطيب والطاهر، وأمهم جميعا خديجة بنت خويلد[٦].

ولما رجع {صلى الله عليه وسلم} من الحديبية أهداه المقوقس القبطي صاحب الاسكندرية مارية القبطية ولدت له غلاما سماه إبراهيم، عقَّ عنه شاة يوم سابعه، وحلق رأسه، ثم دفعه إلى أم سيف لترضعه، وكان يزوره ويحنو عليه حتى قال أنس بن مالك: ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[٧] وكان إبراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة، فكان يأتيه ونجيء معه فيدخل البيت فيأخذه ويقبله، غير أنه ما لبث أن توفي ولم يتعد ستة عشر شهرا[٨].

نبوة رسول الله وعلاماتها:

عن العرباض بن سارية قال سمعت النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: «إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم من ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت» وقال: «كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث»[٩].

وقد ظهرت لنبوته علامات كثيرة قبل المبعث وبعده: منها أنه ولد مختونا مسرورا، ومنها أنه عندما كان يسير تظلله غمامة، ومنها تطهير الملكين ونزع المضغة السوداء من قلبه وهو صغير، ومنها أنه كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا قالت السلام عليك يارسول الله، ومنها أنه ما شكا - صغيرا ولا كبيرا - جوعا ولا عطشا كما تحدثت أم أيمن[١٠].

وفي حديث أنس أن الصحابة احتاجوا إلى الماء ليشربوا ويتوضأوا فلم يجدوه، فأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بقدح رحراح، فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه

العيون، فشربوا، وكانوا ما بين السبعين إلى الثمانين[١١].

ومنها حادث سراقة بن مالك الذي لحق النبي في طريقه إلى الهجرة ليؤذيه: فدعا النبي {صلى الله عليه وسلم} أن ترسخ قوائم فرسه فرسخت فقال: يا محمد أدع الله أن يطلق فرسي فأرد عنك فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} «اللهم إن كان صادقا فأطلق له فرسه» فخرجت قوائم فرسه[١٢].

مبعث رسول الله وما بعث به:

بُعِثَ رسولُ الله {صلى الله عليه وسلم} فى الأربعين سنة من مولده إلى الأحمر والأسود، أي الى الإنس والجن كما قال: أرسل الى الناس كافة، وبه خُتِمَ النبيون، وبُعِثَ بالحنيفية السمحة، وبُعِثَ رحمةَ مهداة لرفع قوم ووضع آخرين، وليتمم مكارم الأخلاق، فعن أبي هريرة قال، قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»[١٣].

وقد نُبِّيء رسول الله في يوم الإثنين من شهر رمضان، إذ بدأ تنزُّل الوحي عليه بواسطة جبريل وهو يتحنث في غار حراء، وكان أول ما أُنْزلَ عليه «إقرأ باسم ربِّك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربُّك الأكرم الذي علَّم بالقلم، علَّم الانسان ما لم يعلم»[١٤] ثم تتابع تنزُّل الوحي عليه في مدة ثلاث وعشرين سنة، منها ثلاثة عشر سنة بمكة، وعشرة بالمدينة[١٥] وكان آخر ما نزل: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا»[١٦].

دعاء رسول الله الناس إلى الاسلام:

أمر الرسول أن يصدع بما جاء من عند الله، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو إلى الله، فكان يدعو أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفيا، ثم انتقل إلى الدعوة جهرا، فاستجاب له من هداه الله، وأعرض عنه من شاء الله، فعاب آلهتهم، فعادوه، وضايقوه في دعوته.

ولم يعبأ النبي بمضايقتهم، وتابع نشر دعوته حتى كثر المؤمنون به وبالاسلام، وخشيت قريش ظهور الاسلام، وجلوس المسلمين حول الكعبة، فأرسلوا إليه عمه أبا طالب ليكلمه أن يترك آلهتهم، وتسفيه ما هم عليه، ويتركوه لدعوته فقال الرسول: «أرأيتم إن أعطيتكم هذه هل أنتم معطيَّ كلمة إن أنتم تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم» فقال أبو جهل إن هذه لكلمة مربحة نعم وأبيك لنقولنها وعشر أمثالها قال: «قولوا لا إله إلا الله» فاشمأزوا ونفروا منها وغضبوا وقاموا[١٧].

الهجرة إلى الحبشة:

ولما اشتدت مضايقة قريش للمسلمين، وكثر عليهم أذاها، أذن لهم الرسول أن يتفرقوا فى الأرض، وأشار إلى الحبشة، فهاجر إليها من المسلمين سرا أحد عشر رجلا وأربع نسوة، ووجدو لدى ملكها العون والأمان، وكان ذلك في السنة الخامسة من المبعث[١٨] ثم كانت بعدها هجرة ثانية إلى الحبشة عندما ازدادت مضايقة قريش للمسلمين وفتنتهم لهم في دينهم، فأذن لهم الرسول للخروج مرة ثانية، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلا، وثمانية عشرة امرأة، وبقوا هناك يعبدون ربهم، وينتظرون أمر نبيهم حتى سمعوا بهجرته إلى المدينة التحقوا به مسرعين[١٩].

خروجه إلى الطائف والإسراء والمعراج:

ولبث النبي عليه الصلاة والسلام بمكة يدعو إلى ربه مسفها آلهة قريش، وما هم عليه من ضلال إلى أن كانت السنة العاشرة من المبعث، حيث حلت به مصيبتان: وهما وفاة عمه أبي طالب، وزوجته خديجة، فلزم بيته، وأقل الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال، فخرج إلى الطائف

ومعه زيد بن حارثة، وبقي بها عشرا لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فلم يجيبوه، وخافوا على أبنائهم، فأغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة، فلجأ إلى حائط يدعو ربه من كفران العشير والبعيد بدعائه المشهور «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين» ثم عاد راجعا إلى مكة[٢٠].

وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سأل ربه أن يريه الجنة والنار، وقبل حادث الهجرة بسنة تقريبا، وفي ليلة من الليالي ورسول الله قائم في بيته آتاه جبريل بالبراق، وأسري به إلى بيت المقدس، فصلى بالأنبياء إماما ثم عرج به إلى السماوات سماء سماء، فلقي فيها الأنبياء، حتى انتهى إلى سدرة المنتهي، ورأى آيات ربه الكبرى، وفُرضَت عليه الصلوات الخمس، ونزل جبريل فصلى برسول الله {صلى الله عليه وسلم} الصلوات في مواقيتها[٢١].

دعاء رسول الله الأوس والخزرج:
كان مفتاح النصر:

وقد لبث عليه الصلاة والسلام بمكة يدعو القبائل إلى الله، ويعرض نفسه عليهم كل سنة، بمجنة، وعكاظ ومنى، أن يؤوه حتى يُبلِّغ رسالة ربّه ولهم الجنّة، ولم تستجب له أية قبيلة منهم، حتى أراد الله إظهار دينه، ونصر نبيه، وإنجاز وعده، فساقه إلى هذا الحي من الأنصار، وانتهى إلى نفر منهم وهم يحلقون رؤوسهم، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا وأسرعوا، وآمنوا وصدقوا، وآووا ونصروا وواسوا، وتواعدوا على لقائه في الموسم المقبل، وكانوا ستة أو ثمانية، ثم قدموا الى المدينة فدعوا قومهم إلى الاسلام، فأسلم من أسلم ولم تبق دار من دور الانصار إلا فيها ذكر من رسول الله عليه الصلاة والسلام[٢٢].

وفي العام المقبل لقي الرسول اثنى عشر رجلا وهي العقبة الأولى، عشرة من الخزرج، واثنان من الأوس، فأسلموا وبايعوا، ثم عادوا ومعهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن[٢٣] ثم لما حضر الحج كانت العقبة الثانية، خرج أصحاب الرسول الذين أسلموا للقائه بمكة، ولقيهم بمنى وسط أيام التشريق، وكانوا سبعين رجلا معهم امرأتان وتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله، ورغبهم في الاسلام، فبايعوه، ثم عادوا جميعا إلى المدينة[٢٤].

الهجرة إلى المدينة:

طابت نفس رسول الله بعد بيعة المسلمين في العقبة الثانية، إذ جعل الله له بهم منعة، وقوما أهل حرب وعدة ونجدة، فجعل البلاء يشتد بالمسلمين من المشركين، وزادوا من تضييقهم عليهم ونالوا منهم حتى اشتكى أصحابه، واستأذنوه في الهجرة فأذن لهم قائلا: «قد أُخْبِرتُ بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها»[٢٥] فأخذ المسلمون ينسلون مهاجرين إلى الله ورسوله أرتالا، ونزلوا على الأنصار في دورهم، فآووهم ونصروهم، وواسوهم حتى خرج المسلمون جميعا إلى المدينة، ولم يبق إلا القليل منهم بمكة، فخافت قريش خروج الرسول عليه السلام وتآمروا على قتله، لكنه استطاع أن يهاجر صحبة أبي بكرالصديق، حيث اختفى عن أعين قريش في غار ثور أياما[٢٦] ثم رحل هو وصاحبه ودليلهم في حماية الله وفي الطريق مروا بخيمة أم معبد فسألوها تمرا أو لحما يشترون، فلم يصبوا عندها شيئا إلا شاة خلفها الجهد عن الغنم، فمسح الرسول ضرعها فدرت، فشربوا حتى ارتووا وتركوها أحسن مما كانت[٢٧] وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعونه ولا يرونه يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به
فأفلح من أمسى رفيق محمد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ضرع الشاة مزبد[٢٨]

وتجمع المسلمون في المدينة ينتظرون قدوم رسول الله عليه الصلاة والسلام، الذى حل بقباء أياما إلى أن كان يوم الجمعة، فجمع من كان معه من المسلمين وهم يومئذ مائة، ثم رحل الى المدينة وأقام بدار أبي أيوب الأنصاري سبعة أشهر، ومازال هذا النشيد العظيم الذى استقبلت به الأنصار رسول الله يرن في آذاننا منذ صغرنا، والذي نتمنى أن يصبح نشيد أطفالنا في المدارس.

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع[٢٩]

بناء المسجد النبوي.
والمؤاخاة بين المهاجرين والانصار:

كان أول عمل قام به الرسول بعد وصوله المدينة المؤاخاة بين المهاجرين والانصار على الحق والمواساة في دار أنس وكانوا حوالي مائة ما بين مهاجر وأنصاري.

ثم اشترى أرضا ليتيمين من الأنصار ليتخذها مسجدا، فأمر بها فبنيت باللَّبن، وسقفت بالجريد، واشترى الرسول مع أصحابه في البناء وهو يقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره
فاغفر للأنصار والمهاجره[٣٠]

وكانت قبلته إلى بيت المقدس، ومازال النبي يدعو ربه أن يصرف وجهه نحو الكعبة، فمازالوا يُصلّون قِبَلَ بيت المقدس سبعة عشر شهرا، إلى أن استجاب الله لرسوله وتحولت القبلة نحو الكعبة، ونزل في دلك القرآن قائلا: {قد نرى تَقَلُّبَ وجْهكَ في السماء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قبلة ترضاها، فَوَلِّ وجهك شطر المسجد الحرام}[٣١]، فكان المسجد النبوي ثاني مسجد في الإسلام بعد مسجد قباء الذي أسس على التقوى. وإثر ذلك بشهر نزل فرض شهر رمضان وزكاة الفطر ثم صلى الرسول صلاة عيد الفطر بالمصلى قبل الخُطبة، وَصلَّى صلاة العيد يوم الأضحى وأمر بالأضحية[٣٢].

غزوات الرسول وجهاده فى سبيل الله:

وقد غزا الرسول عليه السلام عدة غزوات من أجل نصرة دين الله، كانت أولاها غزوة بدر التي أعز الله فيها الاسلام وأهله، وهزم الكفر وجنده، كانت في رمضان من السنة الثانية للهجرة[٣٣] ثم تتابعت غزواته وجهاده الى أن كان يوم النصر يوم فتح مكة[٣٤] الذي أتم الله به نعمة الاسلام، وتوحدت الجزيرة العربية تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، مصداقا لقوله تعالى: {إذا جاء نصرُ الله والفتح ورأيت النَّاس يدخلون في دين الله أفواجا فَسَبِّح بحمد ربك واستغفرْه إنه كان تَوَّابا}[٣٥].

رسل الرسول وكتبه إلى الملوك. دليل على عالمية الاسلام:

عندما رجع الرسول من الحديبية في السنة السادسة، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب لهم كتبا، إذ خرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وكان ممن كتب إليهم داعيا إلى الإسلام النجاشي، وقيصر، وكسرى والمقوقس صاحب الاسكندرية والحارث الغسانى وهوذة الحنفي[٣٦] وقد أسلم من هؤلاء الستة النجاشي والمقوقس والحارث إذ هداهم الله إلى الاسلام[٣٧] ثم تتالت رسل النبي وكتبه إلى بقية الملوك والزعماء والقادة، مما يميز دعوة الاسلام

بالعالمية والعمومية خلافا لغيره من الأديان السابقة عليه، مصداقا لقوله عليه السلام: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»[٣٨] وكان من نتائج تلك السفارات وفادات العرب وغيرهم على رسول الله مبايعين بالاسلام.

أوصاف الرسول وأخلاقه:

عندما أخبرت أم معبد زوجها لدى عودته بخبر مرور رسول الله بهم، وما كان من أمر الشاة العجفاء، قال لها: صفيه لي يا أم معبد، قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، متبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثلجة، ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشعاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل، أزج أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود، لا عابث ولا مفند[٣٩].

ووصفه أبو هريرة فقال: (ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كأن الشمس تجري في جبهته، وما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كأنما الأرض تطوى له، كنا إذا مشينا نجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث)[٤٠].

ووصفه علي كرم الله وجهه فقال: (لم يكن بالطويل الممغط، ولا بالقصير المتردد، كان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط ولا السبط، كان جعدا رجلا، ولم يكن بالمطهم ولا المكلثم، وكان في وجهه تدوير وكان أبيض مشرباً، أدعج العينين، أهدب الأشفار، أجرد، ذا مسربة، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت معا، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفا، وأجرأ الناس صدرا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس بذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهه هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله {صلى الله عليه وسلم}[٤١].

وقال الحسين: سألت أبي عن دخول النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله، وجزءا لأهله، وجزءا لنفسه، ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة والخاصة، ولا يدخر عنهم شيئا.

وذكر مجلسه فقال: مجلس حلم وحياء، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخَّاب في الأسواق، ولا فحَّاش ولاعيَّاب ولا مداح، ولا يقبل الثناء إلا من مكافيء[٤٢].

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه فقال: كان رسول الله، {صلى الله عليه وسلم} يخزن لسانه إلا مما يعينهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، أو قال ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويولِّيه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويُحَسِّنُ الحسن ويقويه، ويُقَبِّح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا ، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجوز الذين يلونه من الناس، خيارهم أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة.

قال قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه؟ قال: كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، دائم البشر، سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب، يتغافل

عما لا يشتهي، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا ولا يُعَيِّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ولا يقبل الثناء إلا من مكافيء، ولا يقطع عن أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام[٤٣].

وسئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن خلق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالت: كان خُلُقه القرآن[٤٤].

ثم سُئلت عن أخلاقه فقالت للسائل: ألست رجلا عربيا تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن القرآن خلقه، ومن هنا كان {صلى الله عليه وسلم} أحسن الناس خلقا، وكان يقول: «إن خيركم أحسنكم أخلاقا» ويدعو: «اللهم كما حسنت خلْقي فَحَسِّن خُلُقي».

وخدمه أنس عشر سنوات فقال: خدمت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عشر سنين فما رأيته قط صافحه إنسان فنزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينصرف، وما قال لشيء صنعته لم صنعت كذا، ولا قال: ألا صنعت كذا وكذا، ولقد شممت العطر فما شممت ريح شيء أطيب ريحا من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، ولا أصغى إليه رجل فَنَحَّى رأسه حتى يكون هو الذي يتنحى عنه. فلما فتحت مكة بالاسلام، ودخلها الرسول وصحبه مكبرين مهللين، حطموا الأصنام، ورفعوا الصوت بالأذان من أعلى الكعبة، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأكمل الله تنزل القرآن، وانتشر دين الله، قبض الله نبيه ورسوله وتوفاه إليه، وعمره ثلاث وستون سنة، لتتم بذلك النبوة، وتكمل الرسالة، ويعم التوحيد جميع العالمين.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

الهوامش:

(١) سيرة ابن هشام ١/١٥٨ ـ ودلائل النبوة ٢٤ ـ كما رواه الطبراني.
(٢) سيرة ابن هشام ١/١٥٩ ـ الروض الأنف ١/١٠٧ ـ سبل الهدى ١/٤٣٧.
(٣) سبل الهدى ١/١٧٨.
(٤) سيرة ابن هشام ١/٢١٠.
(٥) المصدر السابق ١/٢٠٣ ـ سبل الهدى ٢/٢٣١.
(٦) سيرة ابن هشام ١/٢٠٢ ـ الروض الأنف.
(٧) مسند الامام أحمد ٣/١١٢.
(٨) سيرة ابن هشام ١/٢٠٢ ـ ابن سعد ١/١ و٨٥ زاد المعاد ١/٤٩.
(٩) ابن سعد ١/٩٦، المسند ٥/٢٦٢. الوفا ١/٣٦. سبل الهدى ١/٩٨.
(١٠) سيرة ابن هشام ١/٢٥٠، ابن سعد ١/١٥٧. الروض الأنف.
(١١) جوامع السيرة النبوية ص ٢٩.
(١٢) الرياض النضرة للمحب الطبري ١/٧٢ ـ سبل الهدى ٣/٣٥٤.
(١٣) حديث متواتر صحيح أخرجه الشيخان عن أبي هريرة.
(١٤) سورة العلق ـ الآيات الخمس.
(١٥) الرحيق المختوم للمباركفورى ص: ٥٢١ و ٥٢٢.
(١٦) سورة المائدة ـ الآية/٣.
(١٧) رواه أحمد والبيهقى عن الأشعث بن سليم عن رجل ـ سيرة ابن كثير ٢/١٥٦.
(١٨) سيرة ابن هشام ١/٣٤٤ و ٣٥٠ سبل الهدى ٢/٤٨٥.
(١٩) المصدر السابق ١/٣٥٣ ـ طبقات ابن سعد ١/٢٠٧.
(٢٠) ابن سعد ١/٢١١ ـ سبل الهدى ٢/٥٧٧ والحديث رواه الطبراني.
(٢١) دلائل النبوة ١٧٤ ـ سبل الهدى ٢/٣٩٨ ـ عيون الأثر ١/١٤٠ و ٤٤٤.
(٢٢) سيرة ابن هشام ٢/٣٨ سبل الهدى ٣/٢٦٧.
(٢٣) سبل الهدى ٣/٢٦٩ ـ ٢٧١.
(٢٤) سبل الهدى ٣/٢٧٧ و ٢٧٨.
(٢٥) ابن سعد ١/٢١٠ ـ سبل الهدى ٣/٣١٣ والحديث رواه الترمذي.
(٢٦) ابن سعد ١/٢١٤ ـ سبل الهدى ٣/٣٣٦.
(٢٧) الروض الأنف ٢/٨٢ أسد الغابة ١/٣٧٧ النهاية ١/١٣٤.
(٢٨) نهاية الأرب ١٦/٣٣٧ سبل الهدى ٣/٣٤٩.
(٢٩) رواه البيهقي عن عائشة ـ سبل الهدى ٣/٣٨٦.
(٣٠) ابن هشام ٢/١١٤ و ١٢٤ الروض الأنف ٢/١٨ سبل الهدى ٣/٣٨٦.
(٣١) سورة البقرة ـ الآية ١٤٤.
(٣٢) صحيح البخاري ٢/٤ ـ ٦ و ٢٢٥ و ٢٢٦.
(٣٣) سبل الهدى ٤/١٧ و٢٠.
(٣٤) المصدر السابق ٤/١٨.
(٣٥) سورة النصر.
(٣٦) ابن هشام ٤/٢٥٤ ابن سعد ١/٢ ـ ١٥ ـ ابن كثير ٤/٢٦.
(٣٧) جوامع السيرة النبوية ٥٤ ـ ٥٦.
(٣٨) حديث صحيح رواه السائب بن يزيد.
(٣٩) منال الطالب لابن الأثير ص ١٧٢، طبقات ابن سعد ١/٢٣٠.
(٤٠) طبقات ابن سعد ١/٤٢٢ و ٤٢٣ ـ دلائل النبوة ٣/٢٢٧ و ٢٣٠.
(٤١) الشمائل لابن كثير ٥٠ ـ ٥٦ الخصائص الكبرى ١/١٨٨، ١٩٠.
(٤٢) منال الطالب ص ١٩٩.
(٤٣) الشمائل للترمذي ١/٣٩ و ٥٣.
(٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه.



جاء في الحديث الشريف عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين. رواه البخاري.

الإيمان وكماله في محبة النبي

{صلى الله عليه وسلم}

بقلم:
عبد الله محمد أبكر
- جدة -

فقوله: لا يؤمن أحدكم: خطاب يشمل الموجودين ومن بعدهم من المولودين وفي رواية مسلم (عَبْدٌ) وفي رواية غيرها (أَحَدٌ) أي - لا يكمل إيمان أحد - بدلالة رواية ابن حبان - لا يبلغ عَبْدٌ حقيقة الإيمان والمعنى لا يعتد بإيمانه، وفي رواية عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي {صلى الله عليه وسلم} وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء الا من نفسي فقال له {صلى الله عليه وسلم} لا والذى نفسي بيده حتى أكون أَحَبّ إليك من نفسك فقال عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال {صلى الله عليه وسلم} الآن يا عمر: أي الآن في هذا الزمان قد استقمت إيمانا وتكملت إيقاناً. وحصل الجواب. بالآن أي عرفت ونطقت بما يجب. وقال الحافظ في الفتح: أي لا يكفى ذلك لبلوغ الرتبة العليا حتى يضاف إليه ما ذكر.

ثم قال الحافظ فعلى هذا فجواب سيدنا عمر أولا كان بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالإستدلال أن النبي {صلى الله عليه وسلم} أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة.

والمراد بالحب هنا ليس الحب الطبيعي المتابع لهوى النفس. فإنه معلوم أن محبة الانسان لنفسه من حيث الطبع أشد من محبة غيره. وكذا محبة ولده ووالده أشد من محبة غيرهما، وهذا الحب ليس بداخل تحت اختيار الشخص بل خارج عن حد الإستطاعة فلامؤخذة، لقوله سبحانه {لا يكلف الله نفسا إلا وُسْعَها} بل المراد الحب العقلي الاختياري الذى هو إيثار ما يقتضى العقل رجحانه، وإن كان على خلاف الطبع ألا ترى أن المريض يكره الدواء المرّ بطبعه ومع ذلك يميل إليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضي عقله لما علم أو ظنّ أن صلاحه فيه وكذلك - المؤمن، إذا علم أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته وعقباه وتيقن أنه عليه الصلاة والسلام أشفق الناس عليه وألطفهم إليه، وحينئذ يرجح جانب أمره بمقتضى عقله على غيره وهذا أول درجات الإيمان. وأما كماله فهو أن

يصير طبعه [illegible] أعقله في حبه له {صلى الله عليه وسلم}.

وقوله: الناس أجمعين أي سائر الخلق عموماً حباً اختيارياً يوجب إكراماً له عليه الصلاة والسلام، وإجلالا في مقام الاحترام واختياراً يوجب محبة رسول الله ورضاه على محبة المخلوقين مما سواه.

يفهم من هذا كله أن إيمان الشخص لا يكمل - بل لا يحصل إلا بمحبة النبي {صلى الله عليه وسلم} فوق محبته لكل الناس ومن كل شيء، ولا إيمان لمن لا محبة له، وقد وردت أحاديث كثيرة في شأن الايمان. منها قوله {صلى الله عليه وسلم} : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به، وقوله: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وقوله: والله لا يؤمن. قيل من يارسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه، - أي شره - وقوله: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقوله: لا يشرب الخمر حين يشربها أى الرجل وهو مؤمن.. الى غير ذلك من الأحاديث الواردة في عدم الايمان وتحققه وثبوته أو نفي كماله، أو انتزاعه أو وجود حلاوته.

أما الإيمان الأول والأصلي يحصل به {صلى الله عليه وسلم} وبما جاء به ومما جاء به.. الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وأما مسألة الكمال البشري وما يتبعه فنعتمد فيه الى قوله {صلى الله عليه وسلم} في الحديث الشريف الوارد عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال - قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية ابنة مزاحم، ومريم ابنة عمران، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (رواه الامام أحمد وغيره)».

لأنه قيل: مريم مع سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وعائشة رضي الله عنها مع سيدنا القائد {صلى الله عليه وسلم}، ومعلوم أن سيدنا محمداً {صلى الله عليه وسلم} أفضل من عيسى ومن جميع الانبياء عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فهو {صلى الله عليه وسلم}، إمامهم وأمامهم، فمن كان مع سيدنا وحبيبنا محمد {صلى الله عليه وسلم} أفضل ممن هو مع غيره، فالأمر إذاً إمامة وتبعية، ومن هذا الباب جاء تفضيل سيدتنا عائشة رضى الله عنها على سائر النساء، وإن فى ذلك خلاف، والتفضيل لا يقتضي انتقاص الآخرين، ولا ننسى أن السيدة عائشة أحب الناس الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، ومن الرجال سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومن هؤلاء الرجال الكمل الطبقة الأولى من الصحابة الكبار، وفى مقدمتهم الخلفاء الأربعة، والبقية من العشرة المبشرة، وأصحاب الشجرة. وأهل أحد وبدر الكبرى.

فكل هؤلاء كُمَّل بلا شك ولا ريب. كمال فى الدين والإيمان وكمال فى المحبة والاتباع، كمال فى تأدية الحقوق والقيام بالواجبات كمال في الطاعة له {صلى الله عليه وسلم} الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وَحْيٌ يوحى، ومن يُطع الرسول فقد أطاع الله - كيف لا إيمان ولا كمال فيهم وهم الذين مدحهم الله بفضل معية الرسول {صلى الله عليه وسلم}: يقول سبحانه {محمد رسول الله والذين معه} كيف لا وهم صفوة الخلق بعد الانبياء والمرسلين عليهم صلوات الله أجمعين، كيف لا وهم السادة القادة من جميع الأمم، كيف لا ومنهم الزوجات الطاهرات السيدات من نساء العالمين، كيف لا وكلهم تشرفوا برؤية الحبيب {صلى الله عليه وسلم} وجالسوه في مجالسه وعاشروه، وملؤوا أعينهم منه {صلى الله عليه وسلم} هيبة منه وإجلالا وحياءا، كيف لا كمال وقد نظر هو {صلى الله عليه وسلم} إليهم بالعين الرحيمة نظرة الأب إلى أبنائه، بالرحمة والشفقة نظرة من قيل في حقه: (حريص عليكم بالمؤمنين

رؤوف رحيم) نظرة من قيل فيه: (ما زاغ البصر وما طغى) لا شك أنه نظر حفيف ونظيف وشريف. فليته خصني برؤية وجهه، زال عن كل من رآه العناء، كيف لا، وهو القائل (طوبى لمن رآني أو رأى من رآني)، أو رأى من رأى من رآني لا شك إنها الرحمة المجردة: كيف لا وهو {صلى الله عليه وسلم} مصدر الرحمة، في قوله تعالى {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} ويقول هو {صلى الله عليه وسلم} عن نفسه: أنا الرحمة المهداة، والهدية تختلف وتمتاز عن العطية.

فاذا كانت هذه الكماليات كلها في صحابته رضوان الله عليهم أجمعين بل فى من هم أدنى منهم درجة وأنزل رتبة، فاذا كان كذلك، فما بالك به وبما فيه هو {صلى الله عليه وسلم} أليس من البديهة أن يكون هو {صلى الله عليه وسلم} الإنسان الكامل الحقيقى المتجلى بالكمال البشرى والانسانى.

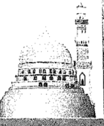
ولو قلنا أنه {صلى الله عليه وسلم}: هو الأكمل والأفضل، وهو كذلك، فلو قلنا ذلك، لفاتنا أن ندرك من كنه حقيقته الذاتية المعنوية التى من أنوارها وتجلياتها أوصافه الخلقية الحسية التى جاءت فى الشمائل الشريفة (في كتاب الترمذى) وهذه الأوصاف في حد ذاتها وعلى ظهورها قد بلغت الكمال الأبلغ فليس ثمة شيء صورة ومعنى في الكون كله أكمل منه {صلى الله عليه وسلم} بل جميع المخلوقات، فهو الأفضل على الإطلاق، وناهيك عن الخوض في الكمال المعنوى، فذلك حديث فى شرحه طول، والطول فيه تقليل كيف لا وهو الذى يقول: في نفسه وعنها: (إني على علم من الله علمنيه) ويقول أيضا: (أدّبني ربي فأحسن تأديبي) ولا مانع من أن يكون هذا الأدب والتأديب زائد على ما ورد في القرآن الكريم والذى كانت السيدة عائشة تقول فيه كان خُلُقُهُ القرآن، والقرآن كلام الله، فما المانع من أن يكون هذا وذاك: والمورد واحد، وهو {صلى الله عليه وسلم} يؤكد لنا ذلك بقوله «إنى لست كهيئتكم أبيت عند ربى يطعمني ويسقين» إنها الخصوصية، وما النبوة إلا الأسرار، إذاً..!

فعلى المرء المحبة الصادقة والاتباع القويم والايمان الكامل بهذا النبي الكريم {صلى الله عليه وسلم} وبما جاء به، والمرء مع من أحب (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) (ومن يُطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء وحَسُنَ أولئك رفيقا)، فنعم هذه النتيجة من المعية القويمة النافعة والمعية: في الآخرة تقتضى معية سابقة في الدنيا، إما حساً أو معنى فأنت إذا أحببت في الدنيا ومحبوبك هذا ممن أحبه الله في الدنيا بسبب الطاعة، وهيأ له فى الآخرة من الاكرام والانعام ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كل ذلك نتيجة المحبة - فأنت بمعيتك هذه وبمحبتك تصل إلى الأعلى والأرقى، ما توفرت التقوى منك،فكن على مراد مولاك، وكن مع الذين قال الله فيهم وأمر: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا لله وكونو مع الصادقين} كن مع الذين يحبونه ويحبهم.

وجاء في الحديث الشريف «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» وجاء أيضا: قوله {صلى الله عليه وسلم} «لا تصاحب إلا مؤمنا» الحديث، وكلها أحاديث صحاح ومن صاحب أو أحب أو جانس أو إلى غير ما وصف له الحبيب {صلى الله عليه وسلم} من الأوصاف فهو بشأنه أبصر وكل إناء بالذى فيه ينضح.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يقر أعيننا برؤية الحبيب {صلى الله عليه وسلم} يقظة ومناما في الدنيا والآخرة.

وأن يجعلنا معه في جنات النعيم، ويرزقنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطنا، وان يصدق فينا محبته بالقول والعمل ويجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة سيد أحبابه.



اكتسب المجتمع الإسلامي خيريته وسموه بهذا القدر الكبير من الأخلاقيات، والسلوكيات، والقيم والفضائل، التى حكمت العلاقات، ووجهت الروابط والصلات بين أفراده، بحيث يعطي كل فرد قدره، وينزل المنزلة التى يستحقها. وينال التقدير والتوقير الذى وصّت به الشريعة السمحة، ودعا إليه الكتاب الحق والسنة الهادية. ومن الأسس التى يقوم عليها مبدأ التوقير في الإسلام: مقام النبوة، وكبر السن، ومقام العلم بالقرآن، وحق الضعيف والمرأة، ومقام الإمارة.

التوقير من معالم المجتمع الإسلامي

بقلم: أ.د. **السيد رزق الطويل**
عميد الدراسات الاسلامية
- جامعة الأزهر -

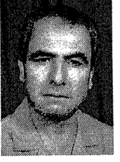
وهذا المبدأ يرتكز على الحديث الشريف، الذى يرويه ميمون بن شعيب عن السيدة عائشة رضي الله عنها؛ إذ مر بها سائل فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة، فأقعدته فأكل، فقيل لها فى ذلك، فقالت: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] «أنزلوا الناس منازلهم»[١].

وكأن السيدة عائشة أحست من هيئة الرجل أن له شأنا يتطلب شيئا من توقيره وإبعاده عن المهانة التى قد تلحق به لحاجته وسؤاله، وهذا مدى من التكريم لا يدركه إلا ذوو الحس الإيماني، وأولو الألباب من الناس.

وقد علمنا القرآن الكريم أن مقام النبوة يفرض ألوانا من التكريم والتوقير لمكانهم عند الله، ومكانتهم الأخلاقية والسلوكية فى دنيا الناس، وينالها من حذا حذوهم من أهل التقوى والصلاح، يحدثنا الله تبارك وتعالى عن المثوبة التى ينالها من أطاعوا الله ورسوله، فيقول سبحانه: [ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا][٢].

وفى مقدمة من دعا رب العالمين لتوقيرهم خاتم الرسل محمد [صلى الله عليه وسلم]: لقد انتقد القرآن الكريم وفد بنى تميم الذين أزعجوا النبي [صلى الله عليه وسلم] في قيلولته في غير تجمل أو تلطف وقد وصفهم بعدم التعقل؛ لأن القول الحسن ثمرة العقل الواعي، وفى بداية هذا العقاب للوفد التميمى دعا رب العالمين عباده المؤمنين إلى غض الصوت في مجلس رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، فما بالك عند النداء والمخاطبة، حتى تصف الآية من يغضون أصواتهم فى مجلس النبي بأنهم أصحاب عقول محصتها التقوى، لهم عند الله مغفرة وأجر عظيم، يقول سبحانه [يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم، وأنتم لا تشعرون. إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم، إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم][٣].

إن الآيات أخذت على بني تميم أمرين في التعامل مع النبي الكريم:



أولهما: أنهم لم يتخيروا وقت اللقاء، فجاءوا فى فترة من النهار يخلد الإنسان فيها الى الراحة.

ثانيهما: ارتفاع أصواتهم في النداء، وهذا أمر لا يليق بمقام النبوة أن يجهر الإنسان أمامه بالقول كما يفعل مع الآخرين، بل لابد من أناة في الحديث، وترفق في الخطاب، وأدب فى النداء، كما قال سبحانه: [لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم][٤].

وتتوالى توجيهات النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى الأمة الإسلامية لتأخذ نفسها بهذا اللون مع علماء الأمة، وذوي الرأى ، وأولي الألباب فيها، وذوى الشيبة من كبارهم الذين ابيضت لحاهم في الإسلام، كل هؤلاء لهم حق التوقير، وواجب الترقق، وأن نشعرهم بالبر، ونعطيهم حق المكانة التى تبوءوها إن كان من ذوى الإمارة والسلطان، وأما الضعيف فنعينه ليقوى، واليتيم نأخذ بيده ليشتد، والمرأة نساعدها على تعففها وتصونها، وعندما تنجح في ذلك فإن مجتمع المسلمين يأخذ صورته الصحيحة، فيكون مجتمع القيم، والحقوق المصونة، والأدب الكريم الذي يكتمل به إيمان المؤمنين.

ولنقف وقفة متدبرة أمام بعض التوجيهات النبوية في هذا الصدد.

يكرم النبي {صلى الله عليه وسلم} أهل الفطنة، والفقه، وأصحاب العقول الراشده فيأمر بأن يكونوا في الصف الأول، وأقرب الناس إليه في الصلاة، روى أبو مسعود عقبة بن عمرو البدرى أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان يقول عند قيامه للصلاة: «ليلنى منكم ذوو الأحلام والنهى»[٥].

ووضعهم فى هذا الموضع ليس مجرد تكريم بلا موجب، ولكن لأنهم أقدر على مواصلة الصلاة، وتحمل عبء الإمامة إذا حدث للإمام شيء، وكذلك لهم القدرة على تذكيره إذا نسي في التلاوة، أو سها عن عمل من أعمال الصلاة.

وتوقير الصغير للكبير مطلب إسلامى، كما أن رحمة الكبار للصغار قيمة إسلامية تربوية تشيع الرفق والمودة فى المجتمع، وقد نبه النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى ذلك فى أحاديث عدة من ذلك ما رواه عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»[٦].

وعبارة الحديث تؤكد خطورة هذه الفضيلة؛ إذ أن الحديث يعنى أن المخالفين لها قد تخرجهم عن ساحة الفضائل الإسلامية.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: ما أكرم شاب شيخا لسنِّه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه»[٧].

وفى هذا الحديث تذكير للصغار بمستقبل آت لا ريب فيه، تكبر سنهم ويفتقدون التوقير الذى ضنوا به على أسلافهم.

بل إن هناك نصا نبويا آخر يعد هذه الفضيلة من باب إجلال المولى جل وعلا وتعظيمه روى أبو موسى الأشعري أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم، وحامل القرآن الكريم غير الغالى فيه، والجافى عنه، وإكرام ذى السلطان المقسط»[٨].

وهنا يشير هذا الحديث بجانب توقير الكبار، وإكرامهم إلى أصحاب العلم بالقرآن، الملازمين لتلاوته وتدبره وفهمه من غير غلو وشطط؛ إنهم من خير الناس قال ذلك النبى {صلى الله عليه وسلم} فى حديث له: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

كما يشير الحديث إلى حق السلطان العادل فى التوقير والتكريم ما دام يقوم في الناس بالحق والقسط؛ ولذا عندما تحاور الصحابة حول لقب الخليفة عمر بن الخطاب أيقولون: خليفة خليفة رسول الله، فيطول بهم الكلام، ويطول أكثر مع من يليه؟!! فقال أحدهم: نقول: يا عمر، فقال: إذن تهضمونني حقي!! فقال: أنتم المؤمنون، وأنا أميركم، فقولوا: يا أمير المؤمنين، وارتضى الصحابة ذلك، بُعْدا عن التكلف وحفاظا على حق الأمير.

ورعاية المرأة والطفل تدخل فى هذا الإطار، أتذكر موقف موسى عليه السلام من ابنتي شيخ شعيب، وهما يذودان أغنامهما، يقول لهما موسى عليه السلام: «ما خطبكما، قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء، وأبونا شيخ كبير فسقى لهما»[٩].

ليت شعري ما لي أرى هذه الفضائل غربت من آفاق مجتمعنا، فالشباب الأقوياء يزاحمون الشيوخ الضعفاء والنساء في الحافلات، ويحتلون المقاعد، والكبار يعانون الزحام وآلام الوقوف ومتاعبه؟ وأين توقير العلماء وأهل القرآن؟!! إن وسائل الإعلام تسرف في السخرية بهم وامتهانهم فيما تُقدِّم من أفلام ومسلسلات.

وتقدير الرؤساء وذوى السلطان قيمة غيبها نفاق الانتهازيين والوصوليين لكن الإسلام يدعو الأمة إلى احترامهم، وإنزالهم منزلتهم، كما يدعو إلى نصحهم وتقويمهم إبعادا لهم عن الانحراف والشطط، حرصا على أمن المجتمع المسلم وسلامته.

الهوامش:
(١) رواه مسلم وأبو داود معلقا، وقال الحاكم فى كتابه معرفة علوم الحديث: حديث صحيح.
(٢) سورة النساء/ ٦٩.
(٣) سورة الحجرات/ ٢ ـ ٥.
(٤) سورة النور/ ٦٣.
(٥) أخرجه مسلم.
(٦) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي.
(٧) رواه الترمذي وقال حديث غريب.
(٨) حديث حسن رواه أبو داود.
(٩) سورة القصص/ ٢٣.





رحمة للعالمين

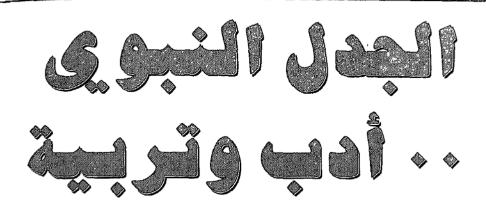


شعر: د. محمد محسن
عضو رابطة الأدب
الإسلامي العالمية

أمـــحـــمـــدُ : يا رحـــمـــة الرحـــمن
ومـــحـــبـــة تنســـاب في شـــرياني
ومـــحـــرر الكون الأســـيـــر بشـــرعـــة
علـويـة منظـومـــــة الأركـــــان
يا خـــيـــر قُوّاد البـــريَّة كلهـــا
ومـــــحـــطـم الأصـــنـام والأوثـان
مـــدحـــوا مـــروءتهُ الأحـــبَّة والعـــدا
نـورا أضـــاء مـــســاحـــة الأزمـــان
قـــالوا وقـــال الله في خلق النبيِّ
عظيـــمـــة في مـــحكم القـــرآن
الصـــادق الورعُ الأمين، صـــفـــاتُه
تســـرى هُدى في ســـائر الأكـــوان
هاجـرت فـاجـتـاح البـسـيطة بشـرها
وتفـتـحت مـخـضـرة الأغـصـان
قـــد جـئت شـرَّفت المدينة داعـيـاً
لـله والتـــوحـــيـــد والإيمان
فـتـغـيـر التـاريخ والكون اهتـدى
امـا الضـلال فـقـشـه الطوفـان
سـبـحـان من أسـرى بخـيـر عـبـاده
ليـلا إلى الحـرم الشـريف الثـانى

فــــوق البــــراق أراه مـن آيـاتـه
مــالا يجــول بخــاطـر الإنســان
هـذا إمــام المرسلين ســمــا إلى
أعلى ســمــاوات وأعظـم شــان
في ليلة القــدر الأمين وقــد أتى
بـالـوحي يـتـلـو أوّل الـقــــرآن
«إقــرأ وربُّك» خــالق العلم الذى
بكتــابـه أهـداه لـلإنســان
فــهـداه من حـقب الظلام إلى السنا
وهـداه مـن جــهـل لخـيـر بيــان
وهـداه للصلوات بعــد شــهـادتين
وللزكــا والصـوم في رمـضـان
والحج للبـيت الحــرام فــريضـة
لمن اسـتطاع بعـزمـه المتـفـاني
يا قــائد الغــر الرســول المصطفى
وهـدايـة مـن ربـنـا الـرحـــمـن
المسـجـد الأقـصى يئن وقـدسـه
تشكو اليـهــود لربهـا الديان
تعـوى ســرايـيـفـو ولا تلقى سـوى
شــرك اليــهــود وسطوة الطغـيـان
الدين في كل البـلاد مـحــاصـر
والثلج والنيـران في الشـيـشـان
ندعـو النصيـر لكي يعـيد فـتـوحنا
كي نسـتـعـيـد مـسـاجـد الجـولان
ندعــو القــدير بأن يقـيل عـثـارنا
بجــهـــادنـا ويقــوة الإيمـان





الجدل النبوي .. أدب وتربية

بقلم: د. **عبد الرحمن طالب**
المعهد الوطني العالي للحضارة الاسلامية - الجزائر -

المضمون اللغوي لمادة الجدل:

يبدو أن الجدل يطلق في الأصل اللغوي على معنيين حسيّين:

أحدهما: الشد والفتل والإحكام. وقد جاء في مفردات الراغب[١] «جدلت الحبل أي أحكمت فتله، وجدلت البناء أي أحكمته».

ثانيهما: الإلقاء والإسقاط على الجدالة التي هي الأرض الصلبة، جاء في أساس البلاغة[٢] «جدله، أي ألقاه على الجدالة».

وعلى كلٍّ سواء أكان الجدل مستمدا من الفتل والشد أم من الصراع والإسقاط، فالمهم أنه يطلق على المشادة الكلامية التي تهدف إلى تحقيق الغلبة لما اعتنق من مذهب، ولما اتخذ من رأي، وإلحاق الهزيمة بالمخالف.

يقول محمد التومي[٣]: «وإذا اعتبرنا المنازعة الكلامية جدلا استنادا على المعنى الأصلي الأول فذلك؛ لأن كل واحد من المجادلين، إنما يعمل على شد رأيه وإحكامه؛ بما يقدمه من أدلة تأييدية، وبما يكشف عنه من وهن في رأي خصمه.. وإذا اعتبرنا التسمية على المعنى الثاني فذلك؛ لأن كل واحد من المجادلين، إنما يجتهد في استجماع قواه العقلية، بإبراز المؤيدات وإظهار الشواهد، لبيان وجاهة ما التزم به من مذهب، وما اعتنقه من مبدأ قصد تبكيت خصمه ومباهتته».

الجدل عند العقلاء وعند المعاندين:

الجدل عند العقلاء مناقشات هادئة تتوجه إلى العقل، وتطالبه بالنظر والتدبر، وتخاطب الحواس تدعوها إلى استخدام ما حولها من كون وأنفس للوصول إلى تقرير الحق، ولكن الجدل عند المعاندين خصام ونزاع، ومراء وعناد، وإثارة شُبه، وإشاعة ومغالطات، وإعراض وتملص باستعمال أساليب لا يقرها منهج، ولا يرتضيها منطق؛ لعدم استنادها على سلطان من كتاب، ولا على برهان من عقل، ولبعدها عن الموضوعية، وانغماسها في الذاتية ومقتضيات الهوى، وعدم تخلصها من المنفعة المصلحية، إذاً، الجدل نوعان: ممدوح ومذموم.

الجدل الممدوح:

الجدل الممدوح هو ما سلكه الأنبياء الكرام، عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، من طرق بيانية في سبيل نشر ما كُلِّفوا به من دعوات، وخاصة ما كانوا يقومون به من مناظرات؛ ومحاورات ومناقشات، يعرضون فيها ما تيسر

لهم من بيّنات، وما نزل عليهم من وحي، وقد كانوا يجادلونهم بالحسنى.

الجدل المذموم:

الجدل المذموم عند الله ورسوله وصالحي المؤمنين العقلاء هو:

١ - جدل يقصد به تغطية الحقيقة وتغييبها، بدل إظهارها والدفاع عنها. قال الله تعالى[٤]: {ويجادل الذين كفروا بالباطل ليُدْحضُوا به الحق}.

٢ - جدل بدون حجج قاطعة، لم يرتكز على المستندات الثابتة من عقل متبصر، ونقل متفحص. وقد ذم الله هؤلاء الأقوام الذين يجادلون بدون سلطان، أي بدون برهان، ووصفهم بالكبر فقال[٥]: {إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إنْ في صدُورهم إلا كبْرٌ ما هم ببالغيه}.

٣ - جدل لأسباب ذاتية، مثل سيطرة العادات والتقاليد، فالمجموعة البشرية إذا ألفت بنفسها الى العادات الجارية في الأوساط التي تعيش فيها، تصبح ترى أن المتعة كل المتعة في مسايرة ما عليه المجتمع الذي هو أحد أفراده، قال الله تعالى حكاية عنها[٦]: {إنا وجدنا آباءنا على أُمَّة وإنَّا على آثارهم مُهتدون}.

دور الجدل في التربية:

- عندما يُجادل الوثني والكافر ليخرجا من الظلمات إلى النور تربية.

- عندما يزحزح المسلم المسرف على نفسه من ضباب الذنوب إلى نور الطاعة والهداية تربية.

- عندما يُرقى المسلم إلى معارج المخلصين، ويزاحم بعمله الذين سبقت لهم الحسنى تربية وترقية.

وهذه العمليات كلها تتم بأساليب تربوية نص عليها القرآن، واستعملت في السنة النبوية، وستأتي منها نماذج مختارة.

نماذج من أحاديث الجدل:

١ - الجدال مع حصين في وحدانية الله تعالى:

ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني قصة حصين الذي ذهب يجادل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له الرسول[٧]:

- ياحصين كم تعبد من إله؟

- قال: سبعا في الأرض وواحدا في السماء.

- فقال: إذا أصابك الضر من تدعو؟

- قال: الذي في السماء.

- قال: فإذا هلك المال من تدعو؟

- قال: الذي في السماء.

- قال: فيستجيب لك وحده وتشركهم معه؟ أرضيته في الشكر أم تخاف أن يُغلب عليك؟

- قال: ولا واحدة من هاتين. قال: وعلمت أني لم أكلِّم مثله.

- قال: يا حصين أسلم تسلم.

- قال: إن لي قوما وعشيرة فماذا أقول؟

- قال: قل: اللهم إني أستهديك لأرشد أمري، وزدني علما ينفعني.

فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم.

كان السيد حصين - رضي الله عنه - ذا حصافة في الرأي، يُرْسَل من قِبَل الناس للمهمات الكبرى فينجح في حلها، ولذا اختارته قريش ليجادل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وذهب معتمدا على ذكائه، وحسن تجاربه، ولكن ما إن بدأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يسأله: كم تعبد من إله؟ من تدعو؟ أرضيته في الشكر أم تخاف أن يُغْلب عليك؟ حتى غُلب على أمره، وارتُجَّ عليه، وسُقط في يده، وعلم أنه لم يكلم في سالف أيامه رجلا مثل رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، لا من حيث العلم الحق، ولا من حيث الجدل الهادف الصائب.

ولما علم الرسول {صلى الله عليه وسلم} توَقُّفَ المجادل عن اقتناع دعاه إلى الإسلام. ولما تعلل السيد حصين بكونه ذا قوم وعشيرة، وقد أرسله قومه إليه ليجادله، فماذا عساه أن يقول لهم إذا رجع إليهم، لم يجبه الرسول {صلى الله عليه وسلم} عن سؤاله، وإنما أرشده إلى ما هو أهم، فقال له قل: «اللهم إني أستهديك لأرشد أمري، وزدني علما ينفعني»، وهذا من باب قوله تعالى[٨]: {يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج}. قال الشيخ سليمان[٩]: «السائلون سألوا ما بال الهلال يبدو دقيقا، ثم يزيد حتى يمتلىء نورا.. سألوا عن سبب اختلاف القمر في ذاته فأجيبوا ببيان فائدة هذا الاختلاف، إشارة إلى أن هذا هو الذي ينبغي أن يُسأل عنه» وكذلك كان جواب الرسول {صلى الله عليه وسلم} للسيد حصين، فبدلا من أن يلقنه جوابا لقومه، علَّمه دعاء هاما، فيه كل الخير والهداية، وما إن نطق السيد حصين بالدعاء حتى هداه الله إلى الإسلام، وخرج مقتنعا بما فعل. وهذا هو الجدل الهادف. وأثر التربية فيه أوضح من الشمس، يتجلى ذلك في انسلاخ السيد حصين المجادل من ثوب الكفر القاتم، وارتداء لباس الإيمان الناصع.

٢ ـ طلب الترخيص في الزنا:

كان الزنا متفشيا في الجاهلية، ولكن لم يكن كل الناس زناة، كما أن العفة والزواج النظيف كان موجودا، ولكن لم يكن كل الأشخاص أعفاء ومتزوجين، ولما جاء الإسلام حرم الزنا والمخادنة والاستبضاع، وترك الزواج الفطري المتعارف عليه، وثمَّة فتى لمّا علم بحرمة الزنا جاء يترخص الرسول {صلى الله عليه وسلم} في الزنا كقضية استثنائية؛ لأنه رأى أن الاستثناءات في الأحكام موجودة في الإسلام، وهذه القصة التي جاءت في أسلوب جدليٍّ لطيف، رواها أبو أمامة فقال[١٠] «إن فتى من الأنصار أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مَهْ مَهْ. فقال: ادْنُه، فدنا منه قريبا، قال فجلس.

قال: أتحبه لأمك؟

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال: أفتحبه لابنتك؟

قال: لا والله يارسول الله، جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم.

قال: أفتحبه لأختك؟

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم.

قال: أفتحبه لعمتك؟

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم.

قال: أفتحبه لخالتك؟

قال: لا والله ، جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

قال: فوضع يده عليه قال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء».

لم يكن الفتى ليلتفت إلى الزنا بعد هذا الجدل الهادف الهادىء؛ لأن الرسول {صلى الله عليه وسلم} عندما قال له أول الأمر: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم كأنه قال للفتى حيث أنك لا تحبه لأمك، فالناس أيضا لا يحبونه لأمهاتهم، وإذا كان ذلك كذلك فكيف آذن لك به، وكيف ترضاه لنفسك، لأن المزني بها هي لشخص آخر أمٌّ، أو بنت، أو أخت، أو عمة، أو خالة أو مَحْرم من محارمه. ولما غلب على أمر الفتى بالاحتكام إلى العقل، واقتنع بالجدل المنطقي الذي ليس

فيه سباب، ولا إهانة ولا إزعاج؛ علم بأن الزنا ليس من المروءة بمكان، ولمّا علم الرسول {صلى الله عليه وسلم} بشهامة الفتى وغيرته على حريمه، تحقق بأنه ليس بديوث؛ لأنه لم يرض الفساد لمحارمه، وحينذاك دعا له بالمغفرة والطهارة والحصانة، فصادف الدعاء استعداد الفتى لذلك، وقبل الله الدعاء، وكانت النتيجة العفة عن المحرمات.

وفي هذا الحديث تربية فاعلة، تفيد في التربية والتعليم معا، لما فيها من التدرج في الجدال من الأقرب الحميم التي هي: الأم أو البنت، إلى الأوسط المحترم التي هي الأخت، إلى ما بعده، وهي العمة والخالة، وكأنه {صلى الله عليه وسلم} يقول له: هذا الذى تطلب الرخصة فيه، فإنك بشهادتك هذه لا ترضاه لنفسك، فكيف ترضاه لغيرك؟

٣ ـ نزعه عرق:

من شهامة المرء الغيرة على حريمه، فلا يرضى أن تصاب محارمه بأذى في عرض أو جسم، والغيرة شعبة من شعب الإيمان، لكن الشك في عفة الحريم من دون سلطان بيِّن ، قد يؤدي بصاحبه إذا جهر به إلى اللعان، وحل العصمة الزوجية إلى الأبد، إذا كان القذف مُنصبا على الزوجة، أما إذا كان القذف موجها إلى غير الزوجة، فالجزاء هو حد الفرية ثمانين جلدة، قال الله تعالى[١١]: {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم، والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين}.

وفي الحديث الموالي غيرة وشكٌ من رجل لم يفصح بالقذف، وبعد جدال منطقي اقتنع المرتاب، ورجع إلى زوجته مرتاح الضمير. وفي الحديث النبوي عن سيدنا أبي هريرة ـ رضي الله عنه[١٢] ـ أن رجلا أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال يارسول الله، إن امرأتي ولدت غلاما أسود.

فقال: هل لك من إبل.

قال: نعم.

قال: فما ألوانها؟

قال: رمك.

قال النبي {صلى الله عليه وسلم} أربَّما جاءت بالبعير الأورق؟

قال: يارسول الله نعم.

قال: فأين ترى ذلك؟

قال: أراه نَزَعَه عرْق.

فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} وهذا نزعه عرق.

هذا الرجل الذي استنكر بقلبه ولده، وهو ضمضم بن قتادة، والسبب في الاستنكار هو اختلاف الألوان بين الأب والولد، فالأب السائل كان أبيض، والولد وُلد أسود. ولما قال للرسول {صلى الله عليه وسلم} «إن امرأتي ولدت غلاما أسود» علم قصده وإن لم يصرح بشيء، لا قذفا ولا تهمة، وبدلا من أن يقول له الرسول {صلى الله عليه وسلم} لأول وهلة: قد يأتي الولد مخالفا لأبيه في اللون من دون برهان، استدرجه بأربعة استفهامات من محيط بيئته التي يعيش بين جنباتها، من الإبل الرمادية اللون التي تلد أحيانا البعير الأسود، ولما اعترف السائل بأن

هذا الاختلاف في اللون موجود في الإبل، بسبب وجود هذا اللون في الأصول البعيدة لهذا البعير، أقره الرسول {صلى الله عليه وسلم} على هذا العلم، ونبهه إلى أن الغلام الأسود الذي استنكره هو الآخر نزعه عرق، وجاء أسود؛ لأن شخصا ما من أجداده الأبعدين كان يحمل هذا اللون. وهنا اقتنع السائل وقرت عينه بولده، ورجع معترفا بولده، مبرئا ساحة زوجته، كان ذلك بفضل الجدل النبوي المنطقي الهادئ.

٣ ـ الاستئذان في الدخول على الأم:

كل عاقل يعلم بأنه من اللياقة والأدب، الاستئذان في الدخول على الناس في بيوتاتهم، ولكن قد يغفل المرء أحيانا فيظن الاستئذان خاصا بالأباعد، أما المحارم والأقارب فلا داعي للإعلام بالدخول عليهم، وهذا موضع الحديث الآتي.

عن عطاء بن يسار أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سأله رجل[١٣]:

فقال: يارسول الله أستأذن على أمي؟

فقال: نعم.

قال الرجل: إني معها في البيت.

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} استأذن عليها.

فقال الرجل: إني خادمها.

فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة؟

قال: لا.

قال: فاستأذن عليها.

تكرر السؤال من الرجل ثلاث مرات، من أجل توضيح مقامه من أمه، إنه ابنها، ويسكن معها، ثم هو مع هذا وذاك خادمها تحتاج إليه في كل حين، ولم يكن الرجل يسأل أو يجادل حبًّا في الجدل، أو معاندا للحق، إنما كان يريد أن يظهر مقامه من أمه، من كونه ابنها ويسكن معها ويخدمها.

وقد تكرر الجواب من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بوجوب الاستئذان على الأم في المرتين الأوليين، بدون ذكر علة الاستئذان، وفي المرة الثالثة أظهر سبب الاستئذان على شكل استفهام: أتحب أن تراها عريانة؟ وهنا تجلت التربية النبوية في هذا السؤال المحرج المخجل، ووقع الاقتناع.

والاستئذان كما يجب على الأم يجب على ذوات المحارم كلهن: البنت، الأخت، العمة، الخالة، الجدة، بنت الأخ، بنت الأخت، وهكذا لأن العلة واحدة. أما الزوجة أو الأَمَة التي يحل النظر إلى عورتها، فلزوجها أو سيدها الدخول عليها بدون استئذان.

والجدل النبوي هنا أفاد السائل إفادة تربوية أخلاقية عظمى، وأحدث في نفسه مروءة وأدبا مع أُمِّه؛ إذ الانسان مهما كان حميما أو قريبا أو صديقا يكره أن تُرى سوءته، وما سميت العورة سوءة إلا لأنه يسوء المرء اكتشافها.

٥ ـ مع كل إنسان شيطان:

علمُ الناس بوجود الشيطان قديم، يرجع إلى زمن خلق أبينا السيد آدم عليه الصلاة والسلام، ولكن كون الشيطان موجودا مع كل إنسان، هذا هو الذي يجهله كثير من الناس، ولذا تعجبت السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ واستفهمت لما قال لها رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «أقد جاءك شيطانك»؟

وفي الحديث عن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت[١٤]: «خرج النبي {صلى الله عليه وسلم} من عندي ليلا فغرتُ عليه، فجاء فرأى ما أصنع.

فقال: مالك يا عائشة أغرت؟

قلت: وما لي لايغار مثلي على مثلك؟

فقال: أقد جاءك شيطانك.

قلت: يارسول الله أو معي شيطان؟

قال: نعم.

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: نعم.

قلت: ومعك يارسول الله؟

قال: نعم ولكن ربي أعانني حتى أسلم.

وقع بين السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وبين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} استفسار، بسبب ما شاهده الرسول من اضطراب وقلق عند السيدة عائشة، فسألها الرسول {صلى الله عليه وسلم} عن قلقها، وهل نشأ ذلك عن غيرة؟ فأجابت باستفهام: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ ولكن الرسول {صلى الله عليه وسلم} لم يُقرها على ما فعلت، ولمح في سؤاله إلى أن ما عملته قد يكون من وسوسة الشيطان، وهنا اغتنمت السيدة عائشة الفرصة؛ لتسأل عن كون الشيطان موجودا معها ومع كل الناس؟ ثم تجرأت وسألت - قصد الإفادة - مرة أخرى عن إمكان وجود الشيطان مع الرسول {صلى الله عليه وسلم} نفسه أيضا، فأجابها نعم، ولكن الله أعانني عليه حتى أسلم (بضم الميم) من شره، وروي حتى أسلم (بفتح الميم) أي حتى أضحى شيطاني مسلما فلا يوسوس لي بشر. وهنا ينقطع الجدل، وتستسلم الزوجة الطاهرة راضية مرضية اقتناعا بالأمر الواقع.

٦ - إنما الجهاد للدين:

الجهاد أنواع: جهاد للدعوة الإسلامية، جهاد للغنيمة، جهاد للسمعة، جهاد للرياء، وفي الحديث[١٥]: «جاء رجل إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». إذاً الأنواع الثلاثة المسؤول عنها كلها باطلة ولا تسمى جهادا، وبقي الجهاد الخالص لوجه الله الذي لا يراد منه إلا نصر الإسلام، ولكن هناك نوع آخر من القتال غمض شأنه على بعض الصحابة، فسأل عنه الصحابي مقداد بن الأسود - رضي الله عنه - فقال[١٦]: «قلت يارسول الله، أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أفأقاتله يارسول الله بعد أن قالها؟

قال: لا تقتله.

فقلت: يارسول الله إنه قطع يدي.

قال: لا تقتله ، فإن قتلته ، فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال: «الصحابي مقداد سأل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن قضية خطيرة، كافرٌ محارب يقطع يد مسلم، ثم يعلن الإسلام بعد اليأس من النجاة، ويجيبه الرسول {صلى الله عليه وسلم} بعدم شرعية القتل؛ لأنه أعلن الإسلام، ولكن السيد مقداد يتعجب من هذا الأمر، فيجادل للتأكد من فهم الفتوى فيقول، إن الكافر كان محاربا، وقد قاتلني فقطع يدي فعلا، ويجيبه الرسول {صلى الله عليه وسلم} بما معناه إن قتلته بعد إسلامه صار دمك مباحا بالقصاص، كما أن دم الكافر مباح بحق الدين، فوجه الشبه إباحة الدم وإن كان الموجب مختلفا؛ لأن الشارع - عليه الصلاة والسلام - ليس له غرض في إزهاق الروح، بل في الهداية والإرشاد، فإن تعذرت بكل سبيل تعيّن إزهاق الروح، لزوال مفسدة الكفر من الوجود.

والتربية في هذا الحديث أن الجهاد أو التأديب لا يكون لغرض الانتقام والتشفي، ولا

العصبية والحمية، ولا لنيل شيء من متاع الدنيا: مسؤولية كانت أو مالا، والشخص بمجرد نطقه بالشهادتين هو أخ مسلم، لا يُقتل ولا يُخذل، وله ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما على المسلمين من الواجبات.

نماذج أخرى من الحجاج بالمنطق الفطري:

النماذج التي قدمت في الأحاديث السابقة، كان فيها جدال بيْن اثنين، ولكن النماذج التالية ليس فيها جدال ولكنها أحاديث قدمها الرسول {صلى الله عليه وسلم} لسامعيه، بحجة المنطق الفطري والوجداني الذي يملك النفس من قريب ويقنعها حتى لا تجد سبيلا لإطالة اللجاج.

١ ـ حديث الفطرة:

عن الصحابي أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[١٧]: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، ثم يقول: اقرأوا[١٨]: «فطرة الله التي فطر الناس عليها» فأبواه يُهوِّدانه، أو ينصرانه، أو يُمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها، قالوا يارسول الله، أفرأيت من يموت صغيرا؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين».

في هذا الحديث يأخذ البيان قضية الفطرة من القرآن الكريم، فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالمولود يولد سليم الفطرة، مهيأ لما يلقن له من خير أو شر، فينقله أبواه إلى دينهما؛ بما يبثان في قلبه من ألوان العقيدة والسلوك، مثله مثل البهيمة التي تولد مستجمعة الخلق، سليمة القرون، كاملة الأعضاء، فيتناولها صاحبها بالجدع أو الوسم فيغير ويشوه ما كان بريئا من العيب، وبهذا الاستفهام التقريري يكون الجواب تصديقا وإذعانا ملزما بالاقتناع.

٢ ـ جمرة الغضب:

روى أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ حديثا للرسول {صلى الله عليه وسلم} هذا طرف منه[١٩]: «ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن أحسّ بشيء من ذلك فليلصق بالأرض». المؤمن الحق لا يحتاج إلي دليل من الرسول {صلى الله عليه وسلم} لأنه الصادق الأمين، ولكن الرسول {صلى الله عليه وسلم} يعطي الدليل أحيانا لمخاطبيه من دون طلب؛ حتى يقتنع عقله بعد ما كان قد اطمأن قلبه. وليعلمهم ـ كيفية تبيين الدعوة الإسلامية ـ بالأدلة والبراهين المقبولة. ولهذا وبعد ما قدم التشبيه البليغ الذي صيّر فيه الغضب جمرة محرقة، أقام دليلا منطقيا محسوسا، وهو احمرار العينين، وانتفاخ الودجين. وأرشد إلى علاج هذا الغضب القاتل الذي لا ينشأ عنه إلا الفساد، بالجلوس إلى الأرض «فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض». فالجلوس يقلِّل من الهيجان والاضطجاع يذهبه، وفي حديث الصحابي أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه[٢٠]: «أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع.

٣ ـ غض البصر:

عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت[٢١] كنت عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} احتجبا منه، فقلنا يارسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه»؟.

الشرع الإسلامي أمر بغض البصر عن الأجنبي والأجنبية، قال الله تعالى[٢٢]: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم}.. وقال[٢٣]: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن}. ولكن لمّا دخل الصحابي ابن أم مكتوم على زَوْجَتَي الرسول {صلى الله عليه وسلم} لم تحتجبا منه، بعد نزول آية الحجاب التي تقول[٢٤]: {وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب}. فأمرهما الرسول {صلى الله عليه وسلم} بالاحتجاب، فأجابتا بأن الداخل عليهن أعمى لا يبصر، ولا يعرف الزوجتين الطاهرتين، فنبههما الرسول {صلى الله عليه وسلم} إلى ما غفلتا عنه، وهو أن الله تعالى لمّا أمر بغض البصر، أمر الرجل والمرأة معا، وهذا التنبيه والارشاد جاء عن طريق الاستفهام «أفعمياوان أنتما»؟ «ألستما تبصرانه»؟ الحجة جاءت منطقية لا تقبل اللجاج، ولا تسمح به، واقتنع العقل السليم بهما، بعد ما ثلج الصدر لذلك، إنه المنطق السليم الشافي، والأدب الرباني، الذي تلقاه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من ربه، وأصبح له سلوكا عمليا بين المؤمنين. وتأثر به الصحابة رضوان الله عليهم فمشوا على منهجه القويم.

خلاصة أثر الجدل في التربية:

أول ما يلفت الانتباه في الجدل هو:

- ان التربية فيه تؤخذ عن اقتناع وارتياح.
- إما لكون الجدل فيها جاء عن حسن تسلسل الاستفهامات، وتعددها وترقيها.
- وإما لكون الحجاج فيها جاء بحجة المنطق الفطري والوجداني، الذي يملك النفس من قريب ويقنعها، فلا تستطيع اللجاج وتستسلم للحق.

وأحسن دليل على أثر الجدل في التربية وإفادته، ما وجد في تلك النماذج المعروضة آنفا:

إسلام الحصين، وإسلام خبيب، عفة الفتى عن الزنى، اعتراف المتشكك بولده الأسود، وتبرئة ساحة زوجته، رضى الولد البار بالاستئذان على أمه، الاقتناع بفطرة المواليد، ضرر الغضب ومعالجته، غض البصر عن الأجانب حتى ولو كان المنظور إليهم عُمْياً، لقد استسلم الصحابة - رضوان الله عليهم - في كل ما ذكر، لواقع الأمر المنطقي، الذي يُثلج الصدر، ويريح الضمير، ويطمئن إليه القلب السليم.

الهوامش:

(١) حسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات مطبعة الحلبي/١٣٨١ مادة جدل.

(٢) محمد بن عمر الزمخشري، اساس البلاغة، بدون ذكر المطبعة ولا تاريخ الطبع.

(٣) محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس/ ١٤٠٠ هج صفحة ٧.

(٤) سورة الكهف، الآية/ ٥٦.

(٥) سورة غافر، الآية/ ٥٦.

(٦) سورة الزخرف، الآية/ ٢٢.

(٧) ابن حجر، الإصابة، مطبعة محمد مصطفى، مصر/ ١٣٥٨ هج الجزء ١ ص ٣٣٧.

(٨) سورة البقرة الآية/ ١٨٩.

(٩) سليمان بن عمر الشهير بالجمل، الفتوحات الإلاهية، المكتبة التجارية الكبرى، بدون تاريخ، الجزء الأول، صفحة ١٥٢.

(١٠) ابن حنبل، المسند، الجزء الخامس، صفحة ٢٥٧.

(١١) سورة النور، الآيات/ ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩.

(١٢) الإمام أحمد المسند، الجزء الثاني، صفحة ٤٠٩، البخاري، الصحيح، كتاب الطلاق، الباب ٢٥.

(١٣) الإمام مالك، الموطأ، كتاب الجامع، باب الاستئذان، الحديث الأول.

(١٤) الشيخ منصور علي ناصف، التاج الجامع للأصول، الجزء الخامس، صفحة ٢٣٣، والحديث رواه الإمام مسلم.

(١٥) الامام البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، الباب ١٥.

(١٦) الإمام البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، الباب ١٢.

(١٧) الإمام البخاري، الصحيح، كتاب القدر، الباب ٣ وكذا الإمام مسلم، الصحيح، كتاب القدر، الحديث ٢٤.

(١٨) سورة الروم، الآية ٣٠.

(١٩) الإمام الترمذي، الجامع، كتاب الفتن، الباب ٢٦، وكذا ابن حنبل، المسند، الجزء الثالث صفحة ١٩ - ٦١١.

(٢٠) الحافظ المنذري، الترغيب والترهيب، الجزء الرابع، صفحة ٢٢٩. وقال رواه أبو داود، وابن حبان في صحيحه.

(٢١) محمد بن علاء الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين للإمام النووي، باب تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية، مطبعة الحلبي، مصر، بدون تاريخ الطبع، الجزء الرابع، صفحة ٤٧٨.

(٢٢) سورة النور، الآية ٣٠.

(٢٣) نفس المصدر السابق، الآية ٣١.

(٢٤) سورة الأحزاب، الآية ٥٣.



أحس رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بوعكة المرض الذي ألمَّ به في اواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة وجعلت الآلام تشتد وطأتها عليه يوماً بعد يوم، وتمكنت الحمى منه، وتصعدت حرارتها في سائر أعضائه حتى أن عمر بن الخطاب دخل عليه وهو محموم، فوضع يده عليه فقبضها من شدة الحر، وبدأت قواه تتلاشى شيئاً فشيئاً حتى حل الاجل ووقع المحتوم يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول.

رثاء المصطفى في الشعر

محمد جمعة العودات - الاردن -

ولحق بجوار من اختاره واصطفاه، وتسرب النبأ الفادح من البيت المحزون وفزع المؤمنون لهذا النبأ، وأظلمت آفاق المدينة، وكادت تزيغ أبصار من فيها من المؤمنين، وافقد الهلع كثيراً من المسلمين وعيهم، فلا يدرون ماذا يفعلون، فدخلوا على النبي عليه الصلاة والسلام في بيت عائشة، ينظرون اليه فقالوا: كيف يموت وهو شهيد علينا ونحن شهداء على الناس، فيموت ولم يظهر على الناس؟ لا والله ما مات، ولكنه رُفع كما رُفع عيسى بن مريم، وليرجعن. وتوعدوا من قال أنه مات، ونادوا في حجرة عائشة وعلى الباب: لا تدفنوه؛ فإن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] لم يمت.

وأقبل أبو بكر فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل بيت عائشة فيمم رسول الله وهو مسجي ببرده، فكشف الثوب عن وجهه، فاسترجع، فقال: مات رسول الله. ثم تحوَّل من قبل رأسه فقال: وانبياه، ثم حدّر فمه فقبل جبهته، ثم سجاه.

ثم خرج الى الناس في المسجد، وقام فيهم خطيباً فأقبل الناس اليه، ثم قال: اما بعد: فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تبارك وتعالى: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عَقِبَيْه فلن يَضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين}. فلما تلاها ابو بكر أيقن الناس بموت النبي [صلى الله عليه وسلم] حتى قال قائل من الناس: فو الله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت، حتى تلاها أبو بكر، فإنما هي في أفواههم.

وعم الناس الحزن ولفَّهم الأسى، فضجت اجواء المدينة بالنشيج والبكاء، وارتفعت اصوات الشعراء في أرجاء المعمورة، معبرة عن مشاعر أصحابها الحزينة، مفصحة عن لوعة أفئدتهم. وقد وردت إلينا صور كثيرة من هذه الاشعار الباكية الحزينة.

والشعر الذي بين أيدينا من مراثي الرسول يجمع بين شعر العاطفة الخاصة، المعبرة عن شعور الشخص، وبين شعر الرثاء العام، المعبر عن عظم المصيبة في فقده، وخسارة الامة بفراقه.

وخير ما يمثل النوع الاول قصيدة السيدة فاطمة، فهي تقطر أسى وحزناً، وتنفجر عاطفة ولوعة، فكل بيت فيها يقطر دمعاً بل دماً، فالحزن يجري في قلبها وفؤادها، ويتمثل في حركاتها وسكناتها بل في كل بيت من أبيات قصيدتها:

قد كنت ذا حمية ما عشت لي
أمشي البراح وكنت أنت جناحي
فاليوم اخضع للضعيف وأتقي
منه وأدفع ظالمي بالراح
يارب صبرني على ما حل بي
مات النبي وانطفا مصباحي

* وقد حاول بعض الشعراء عبثاً تسليتها

وتصبيرها، لعلها تخفف من تلك اللوعة، وتطفيء بعض النيران الملتهبة بين جنبيها، فخاطبتها هند بنت أثاثه بقولها:

أفاطم فاصبري فلقد أصابت
مصيبتك التهائم والنجودا
وأهل البر والابحار طراً
فلم تخطىء مصيبته وحيداً

* وقد أحسن حسان في تصوير ما أصابه عند فقد رسول الله، فصور حاله بأنه أصبح بعد فقده وحيداً في صحراء قاحلة يكاد يقتله الظمأ بعد أن كان في ماء ونهر فقال:

يا أفضل الناس إني كنت في نهر
أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

* وصور غنيم بن قيس المازني اثر فقد الرسول في نفسه فقال:

ألا لي الويل على محمد
قد كنت في حياته بمقعد
وفي أمان من عدو معتد

* اما الصديق - رضي الله عنه - فقد ضاقت عليه الديار، ووهنت منه العظام، ودفن حبه وبقي منفرداً وهو حسير:

لما رأيت نبينا متجدلا
ضاقت عليَّ بعرضهن الدور
وارتعت روعه مستهام واله
والعظم مني واهن مكسور
أعتيق ويحك إن حبك قد ثوى
وبقيت منفرداً وأنت حسير

* وتفنن الشعراء في النوع الثاني من الرثاء، وهو تبيان أثر فقده على المجتمع والناس، واجادوا في صوره، فأبدت السيدة صفية بنت عبد المطلب تخوفها مما سيحل بالمسلمين من الاضطراب إثر فقده فقالت:

لعمرك ما ابكي النبي لفقده
ولكن لما اخشى من الهرج آتيا

* أما أبو الهيثم بن التيهان فانه كنى عما أصاب المسلمين من ذل لفراقه بقوله:

لقد جدعت اذاننا وانوفنا
غداة فُجِعْنا بالنبي محمد

* وحاول الشعراء أن يشركوا العوالم الطبيعية رزء المصاب، فهي تحس وتتألم لفراقه، فانكسفت الشمس، وخبا البدر، وتزعزعت الآطام، وانهدت الجبال، واقتلعت النخيل كما يقول ابو ذؤيب الهذلي:

كسفت لمصرعه النجوم وبدرها
وتزعزعت اطام بطن الا بطح
وتزعزعت اجبال يثرب كلها
ونخيلها لحطب مفدح

* وفي رثاء السيدة فاطمة شاركت الطبيعة ايضاً فأغبرت آفاق السماء، وكورت الشمس، واظلم النهار، واضطربت الارض:

إغْبَرَّ آفاق السماء وكورت
شمس النهار واظلم العصران
فالارض من بعد النبي كئيبة
أسفاً عليه كثيرة الرجفان

* وشاركت الارض المسلمين في مصيبتهم، فمالت جوانبها ومادت تحت أرجل المسلمين في رثاء ابي سفيان بن الحارث:

لقد عظمت مصيبتنا وجلّت
عشية قيل قَدْ قُبِضَ الرسولُ
واضحت ارضنا مما عراها
تكاد بنا جوانبها تميل

* وأوضحت هذه المراثي ما سوف يتبع فَقْدَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) من انقطاع الوحي الذي كان يتنزل على قلبه الشريف، فكعب بن مالك أكد أن فقده يعني انقطاع الوحي الذي كان يهبط عليه في حياته، وما دام محمد عليه السلام قد انتقل الى الرفيق الاعلى ، فلا امل بعد ذلك اليوم في هذا النور الذي كان يعم الكون ويشمل العالمين:

ألا أنعي النبي إلى من هدى
من الجن ليلة اذ تسمعونا
لفقد النبي إمام الهدى
وفقد الملائكه المنزلينا

* واتى حسان على هذا المعنى بعد أن مَهّد له بالحديث عن فداحة الرزء وعظم المصيبة، فقال:

وهل عدلت يوماً رزية هالك
رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم
وقد كان ذا نور يغور وينجد

* وتطرق ابو سفيان بن الحارث الى هذا المعنى في مرثيته ايضاً فقال:

فــقـــدنا الوحي والتنزيل فـــينا
يروح به ويغـــدو جـــبـــرئيل

* وتعديد الخصال وتسجيل المناقب من السبل التي سلكها معظم من رثى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فذكروا مناقبه، وعددوا فضائله، ونشروا محامده، وهو ما يسمى بالتأبين، ولكن جميع هؤلاء الشعراء تحدثوا بسيرة جديدة لم تكن تعرفها الجاهلية فيها المجد والتقوى والايمان، وفيها الخير والبر والوفاء، وبهذه المآثر والمناقب الجديدة كانت فاجعة الاسلام والمسلمين عند فقد الرسول الكريم عليه السلام.

فهذا كعب بن مالك يلح على عينيه ان تبكيا رسول الله بدمع منهمر:

يا عين فـــابكي بدمع ذرى
لخـــيـــر البـــرية والمصطفى
على خـــيـــر من حـــملت ناقـــه
واتقى البـــرية عند التـــقى

* وبكت السيدة اروى بنت عبد المطلب فيه البر والرحمة والهدى، فقالت:

ألا يارســـول الله كنت رجـــاءنا
وكنت بنا براً ولم تك جـــافـــيـــا
وكنت بنا رؤوفـــا رحـــيـــمـــا نبـــينا
لبـيك عليك اليوم من كـــان باكـــيـا

* وحسان اكثر الشعراء ايثاراً لهذه الطريقه، فقد اطال في عرض شمائله الكريمة وخصاله الحميدة:

إمـــام لهم يهـــديهم الحق جـــاهداً
مـعلم صـدق ان يطيـعـوه يسـعـدوا
عـــفـــو عن الزلات يقـــبل عـــذرهم
وان يحـسنوا فـالله بالخـيـر اجـود
ومـا فـقـد الماضـون مـثل مـحـمـد
ولا مـــثله حـــتى القـــيـــامـــة يفـــقـــد

* واستعان شعراء هذه المراثي في رثائهم للرسول بالبكاء، فطالما طلبـوا الى اعـينهم ان تنجـدهم بالدموع، والى مآقيهم ان تسعفهم بالبكاء، فنثروا الدموع الغزار.

* واستهلت هند بنت اثاثه مرثيتها بقولها:

الا يـــا عـــين بكـــي لا تمـــلـــي
فـــقـــد بكر النعي بمن هويت

* ولم يكتف الشعراء بما صبت أعينهم من دموع، وما تفجر في مآقي المسلمين من بكاء، وانما حاولوا ان يشركوا جميع الكائنات والموجودات معهم في البكاء، فهذا حسان بن ثابت يذكر بكاء السماء والارض فيقول:

يبكون من تبكي الســمـــوات يومـــه
ومن قـد بكتـه الارض فـالناس اكـمـد

* واشرك عامر بن الطفيل الارض والسماء في البكاء ايضاً فقال:

بكت الارض والســـمـــاء على النور
الذي كـــان للعـــبـــاد ســـراجـــاً
من هـدينا بـه الى ســـبـــيـل الحق
وكنا لا نعـــرف المنهـــاجـــاً

* واشرك مروان بن ذي عمير الهمداني جبريل مع الارض والسماء فقال:

إن حـــزني على الرســـول طويل
ذاك مني على الرســـول قليل
بكت الارض والســـمـــاء عليـــه
وبكاه خـــديمهُ جـــبـــريل

* وحاول الشعراء من خلال هذا الرثاء تأكيد هدايته لهم وانه مصدر النور والاشراق، فشبهوه بالضياء تارة، وبالبدر المتلألىء حينا، وبالسراج الوهاج حينا آخر.

فهذه هند بنت أثاثة تذكر هذه الاوصاف في رثائها فتقول:

قـــد كنت بدراً ونوراً يســـتـضـــاء به
عليك تنزل من ذي العـــزة الكتب

* وأكدت السيدة صفية هذه الاوصاف فشبهته بالسراج المنير:

وســـراجـــاً يجلو الظلام منيـــراً
ونبـــيـــاً مـــســـدداً عـــربيـــاً

* ولم ينس من رثى رسول الله من الشعراء، أن يخصوا نبيهم بالدعاء والصلاة والتبريك والتسليم خلال رثائهم له.

فحسان يتوجه الى الله سبحانه أن يصلي وملائكته والطيبون على حبيبه فيقول:

صلى الإله ومن يحف بعـــرشـــه
والطيـــبـــون على المبـــارك أحـــمـــد

* وتدعو له اروى بنت عبد المطلب بالسلام والجنان:

عليك من الله الســـلام تحـــيـــة
وادخلت جنات من العـــدن راضـــيـــاً

* وخصه عبد الله بن سلمه الهمداني بالسلام كلما

هبت الريح وأزال النور الظلام، فقال:

فـعليـــه الســـلام مـــا هبت الريح
ومــــــــــدت جـنـح الـظـلام نـوار

* وسلكت السيدة صفية هذه الطريقة فبلغته سلامها وسلام ربه كل بكرة وعشاء فقالت:

فـــعليك الســـــلام منـا ومن ربك
بـالروح بـكرة وعـــــشــــــيــــــاً

* واستنزلت عليه رحمة الله وسلامه، وحسن ثوابه فقالت:

رحــــمــــة الله والســــلام عليــــه
وجـــــزاه المليك حــــسن الثــــواب

* وترضت عنه في الدنيا والآخرة ودعت له بالجنان الخالدات فقالت:

رضي الله عنه حـــيــاً ومــيــتـــاً
وجـــــزاه الجـنـان يـوم الخـلـود

* وتمنى هؤلاء الشعراء أن يفدوا رسول الله بكل ما يملكون، بأنفسهم وأهليهم والمسلمين، فقالت السيدة صفية:

ليت يـومي يكون قـــبلك يومـــاً
انضج القلب للحـــرارة كـــيــــا

* أما سيدنا أبو بكر فإنه تمنى أن تقوم القيامة بعد فقده، وألا يرى بعده مالا ولا ولداً فقال:

ليت القـيـامـة قـامت بعـد مـهلكه
ولا نـرى بـعـــــده مـــــالا ولا ولـداً
نفـــسي فـــداؤك من مـــيت ومن بدن
مـــا أطيب الذكـر والاخـلاق والجـسـدا

* وتمنى في مرثية أخرى أن لو غيب من قبل أن يروع بفقد صاحبه عليه الصلاة والسلام:

ياليـتني من قـبل مـهلك صـاحـبي
غــيـبت في جــدث عليٍّ صــخـــور

* وتمنت السيدة فاطمة لو صادفت الموت قبل أن يصل إليها نعي الرسول وغيبته الكثبان فقالت:

فليت قـــبلك كـــان الموت صــادفنا
لما نـعـــيت وحــــالت دونك الكثب

* وأخيرا فما دام الموت حقاً ، فلا مناص من التسليم لله سبحانه، والرضا بقضائه في رسوله، ولكن أنّى للمسلمين أن يطيقوا فراق ربيع قلوبهم ومن تغلغل حبه في كل ذرة من أجسادهم، أنّى لهم أن يصبروا عن النور الذي غمر أفئدتهم والسعادة التى ملأت عقولهم.

إن لقاءه أصبح حلم كل شاعر، ومصاحبته أمل كل مسلم ومسلمة، فتمنوا أن يجمعهم الله به يوم القيامة، ليسعدوا بجواره، ويأنسوا بقربه فقال حسان:

يارب فـــاجــمــعنا مــعــاً ونبــينا
في جنة تثني عــيـــون الحـــســـد
في جنة الفــردوس فــاكــتـبـهـــا لنا
ياذا الجـــلال وذا العــــلا والســـؤدد

* ولم يتمن ابو بكر الصديق الموت الا ليكون مع الحبيب المهتدي عليه السلام:

فكيف الحـيـــاة لفـــقـــد الحـــبـــيب
وزين المعـــــاشـــــر في المشــــهـــــد
فـليـت المـمـــــــــات لـنـا كـلـنـا
وكنا جـــمـــيـــعـــاً مع المهـــتـــدي

وأخيرا نود أن نسجل بعض الملاحظات على هذه المراثي، وهي:

(١) شيوع المقطوعات التي قد تهبط احياناً الى البيت الواحد، وربما يكون مرد ذلك الى أن كثيرا من شعر هذه المراثي قد امتدت اليه يد الضياع، والا فليس من الممكن أن يرثي شاعر رسول الله ببيت واحد، أو بيتين فقط.

(٢) مساهمة المرأة المسلمة بالقسط الاكبر والنصيب الاوفر من هذه المراثي، ونحن لا نستكثر ذلك على المرأة المسلمة، فمعروف أن المرأة أدق حساً وأرق شعوراً من الرجل في مثل هذه الاحداث والمناسبات وكتاب - مراثي شواعر العرب - يصور مدى ما قدمت المرأة العربية في هذا الميدان.

(٣) انفراد بعض المصادر المتأخرة بإيراد بعض هذه المراثي، مثل الذخائر والاعلاق الباهلي ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، مما جعلنا متيقنين بأن هذه الكتب اخذت عن مصادر لم تصل الينا، ولو وصلت لقدمت لنا ثروة شعرية كبيرة، في هذا الباب وغيره.

(٤) إغفال الطبري لجميع هذه المراثي مع توسعه في أخبار الرسول [صلى الله عليه وسلم] ، وايراده الشعر المناسب لجميع الاحداث التاريخية، وقد تابعه في ذلك ابن الاثير في الكامل، بينما اقتصر ابن هشام في سيرته على مراثي حسان فقط.



لم يترك المصنفون والباحثون قديماً أو حديثاً جانباً من جوانب سيرة الهادي {صلى الله عليه وسلم} إلا وكتبوا عنه وبحثوا فيه، فقد كتب الكثير عن مولده {صلى الله عليه وسلم} ونسبه، ودلائل نبوته، وسيرته، وأفعاله، وأخلاقه ومناقبه، وشمائله، وأحكامه، وأقضيته، وتفسيره، وجوامع كلمه، ومعجزاته، وما مُدح به، وغير ذلك[١].

المزاح في حياة الرسول

{صلى الله عليه وسلم}

إياد فرعون- سوريا -

ورغم ثراء مكتبة السيرة وغناها بالمؤلفات والدراسات التي غطت أدق تفاصيل حياته {صلى الله عليه وسلم} فإن هناك جانباً أحسب أنَّه لم يأخذ حقه من الدراسة والبحث، وأعني به المزاح في حياة الرسول {صلى الله عليه وسلم} فلطالما تساءلت: هل كان الرسول {صلى الله عليه وسلم} يمزح مع أصحابه؟ وهل كان يتقبل مزاحهم ودعابتهم؟ وكيف كان هَدْيُهُ في ذلك اللون من ألوان السلوك الاجتماعي؟.

الرسول {صلى الله عليه وسلم} والمزاح:

لم يكن الضحك والمزاح من الأمور المستهجنة أو المذمومة عند العرب، بل كانوا على العكس من ذلك فهم أكثر الشعوب شغفاً بالضحك والفكاهة، وقد انعكس هذا الشغف على لغتهم وآدابهم، إذ كانت العرب - كما يقول ابن إسحاق «إذا مدحت رجلا قالت: هو ضحوك السنِّ، بسَّام العَشيات هشٌّ إلى الضيف، وإذا ذمَّته قالت: هو عبوس الوجنة جهم المُحيَّا كريه المنظر»[٢].

وفي الأسماء التي شاعت بين العرب مبرزة المكانة المميزة للضحك نذكر: بسَّام، وضحَّاك، وبشر، وبشير، وفرحان فإذا كان للضحك هذه المنزلة عند عامة العرب فكيف بمن كان معلماً للبشرية وأسوة حسنة في السلوك وقدوة صالحة في الخلق؟

تعقبت هذا الموضوع في كتب السيرة، ولفتت نظري عناية أصحاب السيرة بمزاح الرسول {صلى الله عليه وسلم} حيث أفرد بعضهم أبواباً خاصة لمزاحه {صلى الله عليه وسلم} كما صنع ابن الجوزي في «الوفا

بأحوال المصطفى» والقسطلاني في «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» والحلبي في السيرة الحلبية.

كما لا يخلو كتاب من كتب الأدب من الإشارة إلى بشر الرسول ومزاحه، نذكر من هذه الكتب: نثر الدر للآبي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري والمستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي.

كما درج مصنفو كتب أدب الفكاهة على تصدير كتبهم بالحديث عن مزاحه {صلى الله عليه وسلم} كما صنع ابن الجوزي في «أخبار الظرّاف والمتماجنين» والحصري في «جمع الجواهر في الملح والنوادر».

ولعلَّ أوَّل من كتب في هذا الموضوع بشيء من التوسع والتفصيل هو محمد الغزي (المتوفى سنة ٩٨٤هـ) حيث ألَّف كتاباً طريفاً جمع فيه كلَّ ما أثر عن الرسول {صلى الله عليه وسلم} من إباحة المزاح والترخيص فيه، وما روي في مزاحه {صلى الله عليه وسلم} مع أصحابه، كما تعرَّض في كتابه هذا الذي عنونه بـ«المُراح في المُزاح» لمزاح بعض الصحابة الذين اشتهروا بالظرف والدعابة، وتعقب أخبار التابعين والعلماء والفقهاء الذين عُرفوا بالمرح وحبِّ الفكاهة[٣].

وتجمع كلُّ تلك الكتب والمؤلفات على حبِّه {صلى الله عليه وسلم} للمزاح وتقبله للدعابة، إذ أنَّ الصورة التي نستخلصها من مجمل تلك الكتابات هي صورة النبي دائم البشر، ضحوك السن الذي «يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويؤنسهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ، ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره»[٤].

وقد وصفه أصحابه بحبِّ المزاح، فهذا عبد الله بن الحارث يصفه بقوله: «ما رأيت رجلا أكثر مزاحاً من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[٥]، وعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان النبي {صلى الله عليه وسلم} من أفكه الناس[٦]، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: كانت في النبي {صلى الله عليه وسلم} دعابة[٧].

وقد أثر عنه {صلى الله عليه وسلم} قوله: «روِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإنَّ القلوب إذا كلَّت عميت»[٨].

فالدعوة إلى الضحك والمزاح إذن ليست دعوة إلى أمر مستنكر أو مذموم كما قد يعتقد البعض، فهذا رسولنا وقدوتنا {صلى الله عليه وسلم} لم يعرف العبوس والتجهم طريقاً إلى وجهه الشريف، بل كان دائم البشر ضحوك السن، يمازح أصحابه ويداعبهم، يتفكه حيناً، ويطرب للفكاهة حيناً آخر، وفي ذلك حكمة بالغة لمسها الزرقاني عندما قال: «فلو ترك {صلى الله عليه وسلم} الطلاقة والبشاشة ولزم العبوس لأخذ الناس أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء، فمزح {صلى الله عليه وسلم} ليمزحوا»[٩].

ومن هنا فقد ذهب أغلب الفقهاء إلى استحباب المزاح طالما روعيت فيه آدابه وشروطه الشرعية، وقد سُئل سفيان الثوري: المزاح هجنة؟ فقال: بل سنة لقوله {صلى الله عليه وسلم}: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقا»[١٠].

أما ما ورد عن الرسول {صلى الله عليه وسلم} في ذمِّ المزاح والنهي عن المداعبة فقد

حمله الفقها- على الإفراط والمبالغة حتى في ساعات الجد أو على المزاح المبني على الكذب واختلاق الأمور، أو المزاح الخبيث، والدعابة السمجة التي تجرح النفس، وتخدش الحياء وتورث البغضاء والقطيعة بين البشر، فكل ذلك منهي عنه بلا شك، أما المزاح الذي نعنيه في هذا المقام فهو ذاك اللطيف البريء الذي لا يجرح ولا يؤذي، ولا يتخذ الكذب مطيَّة ووسيلة، مزاحٌ ينهل من هدي الرسول {صلى الله عليه وسلم} القائل: «إني لأمزح ولا اقول إلا حقا».

والقائل أيضاً: «إن الله لا يؤاخذ المزَّاح الصادق في مُزاحه»[١١].

ولهذا نجد أن المزاح المروي عنه {صلى الله عليه وسلم} كله من نوع الكناية أو التورية.

ومن ذاك أن امرأة من الأنصار أتت النبي {صلى الله عليه وسلم} فقالت يارسول الله ادعُ الله أن يدخلني الجنة، فقال لها: «أما علمت أن الجنة لا يدخلها عجوز؟» فبكت، وفي رواية فصرخت، فتبسم الرسول {صلى الله عليه وسلم} وقال لها: «لست يومئذ بعجوز، أما قرأت قوله تعالى: «إنَّا أنشأناهنَّ إنشاءاً فجعلناهنَّ أبكاراً، عُرُباً أتراباً»[١٢].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: احملني، فقال له النبي {صلى الله عليه وسلم}: «إني حاملك على ولد الناقة» فقال: يارسول الله ما اصنع بولد الناقة؟ إنَّه لا يحملني فقال الرسول {صلى الله عليه وسلم}: «وهل تلد الابل إلا النوقُ!!»[١٣].

دعابة الرسول {صلى الله عليه وسلم}:

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أحسن الناس خُلُقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير، وكان له نُغر يلعب به، فمات، فدخل النبي {صلى الله عليه وسلم} ذات يوم فرآه حزيناً، فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نُغره، فقال: يا أبا عمير ما فعل النُّغَير؟[١٤].

والنُّغير تصغير نُغر وهو فرخ العصفور.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهراً كان يهدي للنبي {صلى الله عليه وسلم} الهدية من البادية، فيجهزه الرسول {صلى الله عليه وسلم} إذا أراد أن يخرج، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: «إنَّ زاهراً باديتنا ونحن حاضروه» وكان النبي {صلى الله عليه وسلم} يحبه، وكان رجلا دميماً فمشى {صلى الله عليه وسلم} يوماً إلى السوق فوجده قائماً يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال الرجل: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي فجعل لا يألوا ما ألصق ظهره بصدر النبي {صلى الله عليه وسلم} حين عرفه وجعل النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: من يشتري العبد؟ فقال: يارسول الله إذن والله تجدني كاسداً، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: «لكن عند الله لست بكاسد، أو قال: لكن عند الله أنت غال»[١٥].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: خرجت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بعض أسفاره وأنا جارية لم احمل اللحم بعد ولم ابْدُن، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعاليْ حتى

أسابقك، فسابقته فسبقته فسكت عني ، حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس: تقدموا، فتقدموا: فقال لي: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك ويقول: «هذه بتلك»[١٦].

وعن خوَّاب بن جبير قال: نزلنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مرَّ الظهران (اسم موضع قرب مكة) فخرجت من خبائي، فإذا نسوة يتحدثن فأعجبنني، فرجعت فأخرجت حلة لي فلبستها، ثم جلست معهنَّ، فخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: «أبا عبد الله ما يجلسك إليهن؟» فلما رأيت رسول الله هبته واختلطت، فقلت: يا رسول الله جمل لي شرد، وأنا ابتغي له قيداً، قال: فمضى رسول الله وتبعته، فألقى إليَّ رداءه ودخل الأراك فقضى حاجته وتوضأ، ثم جاء فقال: أبا عبد الله ما فعل شرادُ جملك؟ ثم ارتحلنا، فجعل لا يلحقني في منزل إلا قال لي: «السلام عليك يا أبا عبد الله، ما فعل شرادُ جملك؟».

فلما رأيت ذلك تعجلت إلى المدينة واجتنبت المسجد ومجالسة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما طال ذلك تحيَّنتُ ساعة خلوة المسجد فخرجت إلى المسجد وقمت أصلي، فخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من بعض حُجَره، فجاء فصلى ركعتين خفيفتين، وطوَّلت رجاء أن يذهب عني، فقال: «طوِّل ابا عبد الله ما شئت أن تطوِّل فلست قائماً حتى تنصرف» فقلت في نفسي: والله لاعتذرنَّ إلى رسول الله ولأبرِّئنَّ صدري، فلما انصرفت قال: السلام عليكم أبا عبد الله، ما فعل شرادُ جملك؟ فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت، فقال: «رحمك الله» ثلاثاً ثم لم يعد لشيء مما كان[١٧].

الهوامش:

(١) راجع: معجم ما ألِّف عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للدكتور صلاح الدين المنجد لتقف على ثراء مكتبة السيرة النبوية وتنوع مواضيعها.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣٨١/٦.

(٣) يذكر الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه «معجم ما ألف عن رسول الله» أسماء ثلاثة كتب أخرى - غير المراح في المُزاح - تبحث في مزاح الرسول {صلى الله عليه وسلم} وهي:

- بيان صفة مزاح النبي {صلى الله عليه وسلم} لعلي بن سلطان القاري.

- شفاء السقام في نوادره عليه الصلاة والسلام لشعبان بن محمد الآثاري.

- مزاح النبي للزبير بن بكار.

لكن هذه الكتب شأن كثير من الكتب والمصنفات الأخرى لم تصل إلينا.. راجع ص ٢١٤ من الكتاب المذكور.

(٤) القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٣٥٢/٢.

(٥) ذكره ابن الجوزي في الوفا بأحوال المصطفى ٤٤٥/٢، وقد رواه الترمذي بلفظ «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}».

(٦) قال العراقي: رواه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس ووجد في بعض نسخ مسند البزار زيادة مع نسائه.

(٧) الوفا بأحوال المصطفى ٤٤٩/٢.

(٨) ذكره السيوطي في الجامع الكبير بلفظ: ساعة وساعة وقال: رواه الديلمي عن أنس.

(٩) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية: ٢٧٣/٤.

(١٠) رواه الطبراني عن ابن عمر باسناد حسن والخطيب عن أنس، وفي رواية عن أبي هريرة أنه قال: قالوا: يارسول الله إنك تداعبنا: قال: «نعم، وإني لا أقول إلا حقا» رواه احمد والترمذي.

(١١) ذكره ابن الجوزي في الوفا من حديث عائشة: ٤٤٩/٢.

(١٢) قال الزرقاني: رواه الترمذي وابن الجوزي موصولا عن أنس ، ورواه الحسن مرسلا تارة باسقاط أنس وتارة وصله بذكر أنس، وقد رواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر من حديث عائشة.

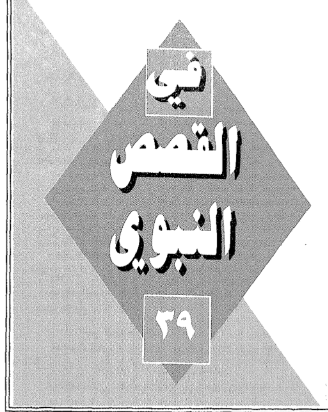
(١٣) رواه أبو داود والترمذي وأحمد والبخاري في الأدب المفرد.

(١٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(١٥) قال ملا علي القاري في شرح المشكاة: رواه صاحب المصابيح (أي البغوي) في شرح السنة، وكذا الترمذي في الشمائل، وابن حبان وصححه، وزاد الحافظ ابن حجر في الاصابة: الامام أحمد.

(١٦) رواه النسائي وابن ماجة.

(١٧) قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوَّات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات.



قصور الجنة وغرفها وخيامها:

في اللغة العربية يطلق القصر على البيت الضخم الفخم المبني من الحجارة أو نحوها، ويجمع على قصور، قال تعالى: {تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنّات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا}.

وقصور الجنة أجَلّ وأعظم مما هو في مفهوم اللغة حيث أوضحت السنة مفهوم القصر في الجنة في رواية عن الحسن قال[١]: سألت عمران بن حصين وأبا بكر - رضي الله عنهما - عن تفسير هذه الآية (ومساكن طيِّبة) فقالا: على الخبير سقطت، سألنا عنها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: (قصر من لؤلؤ في الجنة، في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء، فى كل بيت سبعون سريرا، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون، على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لونا من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة، فيعطي الله - تبارك وتعالى - المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله)، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب مع اختلاف فى الرواية وبعض اللفظ.

وحين نقول إن معاجم اللغة تعجز عن الإحاطة بوصف قصور الجنة، فإننا ننظر إلى قول الحق - تبارك وتعالى - {فلا تَعْلَمُ نفس ما أُخفيَ لهم من قُرّة أعْيُن}.

فالقصر بالصفة المتقدمة مما لم تره العيون ولا سمعته الآذان ولا خطر على قلوب البشر، لولا ما جاء في القصص النبوى عن صفات قصور الجنة وغرفها.

نقل القرطبي عن ابن وهب قال: أخبرنا ابن زيد عن أبيه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[٢]: «إنه ليجاء للرجل الواحد بالقصر من اللؤلؤة الواحدة، في ذلك القصر سبعون غرفة، في كل غرفة زوجة من الحور العين، في كل غرفة سبعون بابا، يدخل عليه من كل باب رائحة من رائحة الجنة سوى الرائحة التى تدخل عليه من الباب الآخر).

وروى الترمذي عن بريد بن الخصيب قال: أصبح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فدعا بلالا فقال: (يا بلال بما سبقتني إلى الجنة؟ فما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل عربي فقلت أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، قلت أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا من أمة محمد، قلت: أنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فقال بلال: يارسول الله، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابنى حدث إلا توضأت عنده،

ـة ونعيمها (٣)

ورأيت أن لله - تعالى - على ركعتين، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (بهما) هكذا نقل القرطبي السبق لبلال والقصر لعمر.

ونقل ابن قيم الجوزية[٣] عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن مغيث بن سمي قال: إن في الجنة قصورا من ذهب، وقصورا من فضة، وقصورا من لؤلؤ، وقصورا من ياقوت وقصورا من زبرجد. وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها.

وغني عن البيان أن القصر يشتمل على أنواع من الغرف، وقد يطلق الجزء ويراد به الكل كما جاء في قول الله تعالى: (أولئك يُجْزَوْن الغُرْفَةَ بما صبروا).

والغرفة في اللغة: العُلِّيَّة: وهي الحجرة في الطبقة الثانية من الدار وما فوقها، وتجمع على غُرف، وغرفات، كما في القرآن الكريم: (وهم في الغرفات آمنون) وكما قال تعالى: {لكن الذين اتقوا ربهم لهم غُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مَبْنِيَّة}.

يقول ابن قيم الجوزية[٤] فأخبر أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء، بل تتصور النفوس غرفا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض، حتى كأنها ينظر إليها عيانا، ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية، أي لهم منازل مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها.

وقد وصف القصص النبوي غرف الجنة وصفا حقيقيا ودقيقا معجزاً لا يتأتى إلا لنبي معصوم لا ينطق عن الهوى. ولا شك أن هذا البيان، وهذا الوصف الفريد هو توضيح وتفسير لما أجمله القرآن الكريم. وعندما نقف على التعبير البياني الذي جاء في القصص النبوي، ندرك مدى تأثيره وأثره في اللغة العربية واعطاء النماذج الأسلوبية والبلاغية لأئمة البيان الذين نهلوا من هذه اللغة الشاعرة.



بقلم:
أ.د. عبد الباسط احمد على حمودة
- مصر -

ومن ذلك القصص ما رواه الترمذي[٥] عن عبد الرحمن بن اسحاق، عن النعمان بن سعد عن على قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «إن في الجنة لغرفا، يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: يارسول الله لمن هي؟ قال: لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام».

وروى الطبراني عن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن في الجنة غرفا، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام).

وقد تقدم في درجات الجنة قصة رويت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذى نفسي بيده، رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين».

وأورد البيهقي قصة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «إن في الجنة لغرفا، فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها، قيل لمن هي يارسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام، وواصل الصيام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى والناس نيام، قال: وما طيب الكلام؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ فإنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومعقبات. قيل: وما وصال الصيام؟ قال: من صام شهر رمضان، ثم أدرك شهر رمضان فصامه، قيل: وما اطعام الطعام؟ قال: من قات عياله وأطعمهم، قيل: وما إفشاء السلام؟ قال: مصافحة أخيك وتحيته، قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: صلاة العشاء الآخرة».

وتوضح قصة نبوية أخرى بعض صفات غرف الجنة. فعن جابر بن عبد الله قال: قال النبي {صلى الله عليه وسلم}: «ألا أحدثكم بغرف الجنة؟ قال: قلنا : بلى يارسول الله بأبينا أنت وأمنا، قال: إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله، يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم واللذات مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، قال: قلنا: يارسول الله لمن هذه الغرف؟ قال: لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام، قال: قلنا : يارسول الله ومن يطيق؟ قال: أمتي تطيق ذلك. وسأخبركم عن ذلك، من لقى أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام، فقد أدام الصيام، ومن صلى صلاة العشاء الأخيرة في جماعة، فقد صلى الليل والناس نيام، اليهود والنصارى والمجوس».

ومن القصص النبوي في وصف غرفات الجنة ما نقله القرطبي[٦] عن الترمذى الحكيم عن سهل بن سعد عن النبي {صلى الله عليه وسلم} في قوله - تعالى: (أولئك يجْزَوْنَ الغرفة بما صبروا) وقوله: (وهم في الغرفات آمنون) قال: (الغرفة من ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، أو درة بيضاء، ليس فيها فصم ولا وصل، وإن أهل الجنة ليتراءون الغرفة منها كما تتراءون الكوكب الشرقي أو الغربي فى أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما).

وفى قصة مروية عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن المتحابين في الله - تعالى - لعلى عمود من ياقوته حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة، يضيء حُسْنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا، يقول أهل الجنة بعضهم لبعض: انطلقوا بنا حتى ننظر إلى المتحابين في الله - عز وجل - فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم أهل الجنة كما تُضيء الشمس أهل الدنيا، عليهم ثياب خضر من سندس، مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله - عز وجل -).

وينقل القرطبي[٧] عن صاحب عيون الأخبار قصة مرفوعة عن علي، رضي الله عنه، تصف حال المتقين منذ خروجهم من قبورهم حتى دخولهم الجنة. جاء فيها : (فينطلق بهم إلى قصور من فضة، شرفاتها من ذهب، يرى ظاهرها من باطنها من النور والرقة والحسن قال: فيقول أولياء الله عند ذلك يارضوان: لمن هذا؟ فيقول: هذا لكم، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلولا أن الموت يرفع عن أهل الجنة لمات أكثرهم فرحا، قال ثم يريد أحدهم أن يدخل قصره، فيقول له رضوان: اتبعني حتي أريك ما أعد الله لك، قال: فيمر به فيريه قصوراً وخياما، وما أعطاه الله، عز وجل، قال: ثم يأتي إلى غرفة من ياقوتة، من أسفلها إلى أعلاها مائة ذراع، قد لونت بجميع الألوان على جنادل الدر والياقوت، وفى الغرفة سرير طوله فرسخ فى عرض مثل ذلك، عليه من الفراش كقدر خمسين غرفة بعضها فوق بعض، قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فذلك قوله - عز وجل: {وفرش مرفوعة} وهى من نور والسرير من نور..}.

وجاء في القصص النبوي عن صفة بيت المؤمن فى الجنة بما يزيد من نعيم أهل الجنة وكرم الله لهم في دار الخلد، من ذلك ما روي عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال[٨]: (دار المؤمن في الجنة درة مجوفة ، في وسطها شجرة تنبت الحلل ويأخذ بإصبعه، أو قال بإصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان) وعنه أيضا: (إن دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة فيها أربعون بيتا، في وسطها شجرة تنبت الحلل، فيذهب فيأخذ بأصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان).

هذه صورة حقيقية لقصور الجنة ودورها وغرفها، وهي كما قلنا لا تستوعبها معاجم وفقه اللغة، ولا يمكن لخيال البشر أن يقع على هذه الصور، ومن هنا ندرك أثر وتأثير القصص النبوي في الفن الأدبى والفن المعمارى لدى المسلمين، وأثر ذلك على الأمم الأخرى التى نقلت عن الحضارات الإسلامية.

وتحدث القصص النبوي عن خيام الجنة. وأصل الخيمة بيت يتخذه الأعراب من الثياب أو عيدان الشجر، وتجمع على خيام وخيمات. وهذا المعنى اللغوى يختلف عما ورد في القرآن الكريم والقصص النبوي، فحين قال الله تعالى: {حور مقصورات في الخيام} عنى بالبيوت المصنوعة من اللؤلؤ المجوف ذات الأبواب الكثيرة والمساحات الواسعة نقل عن أبى الدرداء[٩] (الخيمة لؤلؤة واحدة، لها سبعون بابا كلها من در) وعن ابن عباس: (الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب).

قال ابن قيم الجوزية: وهذه الخيم غير الغرف والقصور، بل هى خيام في البساتين وعلى شواطىء الأنهار. وقال ابن أبي الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد عن أبى الحوارى قال: سمعت أبا سليمان قال: ينشأ خلق الحور العين إنشاء، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام.

وجاء في القصص النبوي في الصحيحين[١٠] عن أبى موسى الأشعري، عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «إن للمؤمن في الجنة الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا» وفي لفظ: «في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا، فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن» وفي لفظ آخر (الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلا، فى كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون) وللبخاري وحده فى لفظ: (طولها ثلاثون ميلا).

وقد تحدث القصص النبوي عن المادة التى بُنيت منها هذه الغرف، والقصور والبيوت فهي: لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران وبعض القصور والبيوت والغرف في بعض الجنات: لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء، وحشيشها الزعفران. وبعض البيوت - كبيت خديجة رضي الله عنها، من قصب أو من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت لا صخب فيه ولا نصب، وأرض الجنة مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة.

سلالم للارتقاء للدرجات:

نعنى بالسلالم التى مفردها (سُلَّم) بضم السين وفتح اللام المشددة الوسيلة التى يرتقى عليها، ويسمى معراج، وهي مقسمة إلى درجات مفرد درجة وهى المرقاة من مراقى السلم، وتطلق الدرجة على المنزلة من منازل الرفعة. ويطلق على السلم مصعد وهو ما يوصل من طابق إلى طابق.

وقد سبق الحديث عن القصور والغرف المبنية والدرجات العليا في الجنة والارتفاع الشاهق في الخيام. قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: {لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية}: أخبر - عز وجل - عن عباده السعداء، أن لهم غرفا فى الجنة، وهى القصور أي الشاهقة طباق فوق طباق، مبنيات محكمات مزخرفات عاليات.

وقد وضح القصص النبوي وفصل في درج الجنة، ففي قصة عن ابن عباس[١١] رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «درج الجنة على عدد آي القرآن، لكل آية درجة، فتلك ستة آلاف ومائتا آية وستة عشر آية، بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض، وينتهي به إلى أعلى عليين، لها سبعون ألف ركن، وهي ياقوتة تضيء مسيرة أيام وليالي). وقالت عائشة - رضي الله عنها : (إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة، فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن).

وقد قدمنا في قصص درجات الجنة مجموعة من الروايات، ونزيد هنا في هذا المقام ما ذكره ابن وهب قال: أخبرني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أنه سمع عتبة بن عبيد الضبي يذكر عمن حدثه، أن رجلا أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله، كم في الجنة من درجة؟ قال: (مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أول درجة منها دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من فضة، والدرجة الثانية دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ذهب، والدرجة الثالثة دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد، وسبع وتسعون درجة لا يعلم ما هي إلا الله).

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم).

وفي القصص النبوي مكانة صاحب القرآن في الآخرة وعلو منزلته في الجنة، حيث يصعد إلى أعلى الدرجات بقدر ما يقرأ ويرتل من القرآن الكريم، ففي قصة خرجها أبو داود عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها).

وعن ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه).

ونقل ابن كثير[١٢] عن الامام أحمد في رواية عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، فإن حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها) قالوا يارسول الله أفلا نخبر الناس؟ قال: (إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أو تنفجر أنهار الجنة).

وفي مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام) وقال ابن عفان (كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تخرج الأنهار الأربعة، والعرش فوقها، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس) وفي بعض الروايات: (الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام).

فرش أهل الجنة ولباسهم:

لا بأس من الاستئناس بتعريف الفرش من خلال ما جاء في معاجم اللغة العربية، لعل ذلك يوضح الفرق بين ما يخطر على الفكر وما يتعارف عليه الناس وبين ما يفسره القصص النبوي.

فالفرش: يعني الفضاء الواسع من الأرض، وفرش الشيء: بسطه عليها، ويقال ذلك في الصغير الخفيف من النبات والحيوان.

ولكن مفهوم الفرش في الجنة يختلف عن ذلك كل الاختلاف. من ذلك ما جاء في قول الله تعالى[١٣] {وزرابي مبثوثة} قال ابن عباس: الزرابي: البسط ومعنى مبثوثة أي ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها. وجاء في تفسير قوله تعالى:

{متكئين على فرش بطائنها من استبرق} هو ما غلظ من الديباج أو الديباج المزين بالذهب. وقال عبد الله بن مسعود: هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر؟ وقال مالك بن دينار: بطائنها من استبرق وظاهرها من نور جامد.

ونسوق قصة نبوية تصف في إجمال بعض مظاهر الجنة، ففي رواية عن أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (ألا هل من مشمر للجنة، فإن الجنة لا حصر لها، هي ورب الكعبة: نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة، في محلة عالية بهية؟ قالوا: نعم يارسول الله، نحن المشمرون لها، قال: (قولوا إن شاء الله) قال القوم: إن شاء الله.

وجاء في قصة رواها أبو سعيد الخدري[١٤] - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} في قوله تعالى :{وفرش مرفوعة} قال: ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام.

وفي قصة عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن الفرش المرفوعة؟ فقال: لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف.

ومما يتصل بفرش الجنة ما جاء في قول الله تعالى: {متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان} وقوله تعالى: {فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة} وقد نقل ابن قيم الجوزية[١٥] أن الرفرف: رياض الجنة، والعبقري: عتاق الزرابي، وأهل المدينة يقولون: هي البسط، وأما النمارق فهي الوسائد. قال الكلبي: وسائد مصفوفة على الطنافس، وزرابي بمعنى البسط.

وقيل في معنى (متكئين) أي مستندين على وسائد خضر من وسائد الجنة (وعبقري) أي طنافس ثمينة ثخينة مزخرفة، ينسج فيها بسط منقوشة بلغت غاية الحسن.

وجاء في رواية عن أسماء بنت أبي بكر[١٦] - رضي الله عنها - عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة، فيها فراش الذهب، كأن ثمرها القلال، يعني سدرة المنتهى).

ويوضح القصص النبوي لباس أهل الجنة وحليهم من الذهب والفضة والحرير المحلى بالدر والياقوت والزينة والترف الذي لا يقدر على وصفه وتفصيله إلا عن طريق السنة المطهرة. ففي الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه[١٧] قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (قال الله - عز وجل - أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون}.

وقد أفرد ابن قيم الجوزية بابا تحدث فيه عن لباس أهل الجنة وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم. وجاء فيه عن أبي الدنيا عن كعب قال: (إن لله - عز وجل - ملَكا منذ يوم خلق يصوغ حُلي أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة، لو أن قلبا من حلي أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس، فلا تسألوا بعد هذا عن حلي أهل الجنة) وعن أشعث عن الحسن قال: (الحلة في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء).

وفي قصة نبوية عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده، عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم).

وتصف قصة أخرى حال أهل الجنة في الحلي والزينة وهي عن أبي هريرة[١٨] رضي الله عنه - قال: إن أبا أمامة حدث أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حدثهم وذكر حلي أهل الجنة فقال: (مسورون بالذهب والفضة، مكللون بالدر، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج

الملوك. شباب مرد مكحلون) وتبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء.

وروى الإمام مسلم قصة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر).

ومن القصص النبوي الذي يجري بطريقة الحوار، فيه السؤال والجواب، والتشوق إلى تقييد الفوائد ، وفيه السرد والوصف الدقيق الذي يشهد على حرص أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على نقل كل ما جاء عنه بأمانة وعناية لم تعرفها البشرية من قبل.

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا محمد بن أبي الوضاح، حدثنا العلاء بن عبد الله بن رافع، حدثنا حنان بن خارجة عن عبد الله بن عمر قال: (جاء أعرابي حرمي فقال: يارسول الله أخبرنا عن الهجرة؟ إليك أينما كنت، أم لقوم خاصة، أم إلى أرض معلومة إذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس، فسكت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يسيرا ثم قال: أين السائل؟ فقال: ها هو ذا يارسول الله، قال: الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر، فقام آخر فقال: يارسول الله أخبرني عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا؟ قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تضحكون من جاهل يسأل عالما، فسكت النبي {صلى الله عليه وسلم} ساعة، ثم قال: أين السائل عن ثياب أهل الجنة؟ فقال: هاهو ذا يارسول الله، فقال: لا بل يشقق عنها ثمر الجنة) ثلاث مرات.

وفي معجم الطبراني عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن من كوكب دري في السماء، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحللها، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء).

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، قال قلت يارسول الله وما النصيف؟ قال: الخمار).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن الرجل ليتكيء في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه، فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام، ويسألها من أنت؟ فتقول: أنا المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا، أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها التيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب).

ومن القصص النبوي الذي يصف لباس أهل الجنة ما روى عن يحيى بن كثير عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال:[١٩] (ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى، فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء، أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن).

وعن خالد الزميل أنه سمع أباه قال: (قلت لابن عباس ما حلل الجنة؟ قال: فيها شجرة فيها ثمرة كأنه الرمان، فإذا أراد له الله كسوة انحدرت إليه من غصنها، فانفلقت عن سبعين حلة، ألوانا بعد ألوان، ثم تنطبق ترجع كما كانت).

وعن أبي سعيد[٢٠] عن رسول الله {صلى الله

عليه وسلم} أن رجلا قال له: يارسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك، فقال: طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني، فقال له رجل: وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها) قال أبو هريرة: (دار المؤمن في الجنة لؤلؤة، فيها شجرة تنبت الحلل، فيأخذ الرجل بأصبعه - وأشار بالسبابة والإبهام - سبعين حلة، ممنطقة باللؤلؤ والمرجان) وقال كعب: (لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه، وما حملته أبصارهم).

وعن أنس بن مالك قال: (أهدى أكيدر دومة[٢١] إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} جبة من سندس، فتعجب الناس من حسنها، فقال: لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا).

ونقل القرطبي[٢٢] أن عطارد بن حاجب أهدى لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثوبا من ديباج، كساه إياه كسرى، فاجتمع إليه الناس، فجعلوا يلمسونه ويعجبون ويقولون: يارسول الله، أنزل عليك هذا من السماء؟ فقال: (ما تعجبون! فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا. يا غلام اذهب بهذا إلى أبى جهم وجئنا بأنبجانيته).

ويقص علينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن أهل الجنة توضع على رءوسهم التيجان بعد أن يلبسهم لباس الوقار والكرامة. ففى مسند الإمام أحمد عن أبي بريدة عن أبيه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان وأنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة، حين ينشق عنه قبره، كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك فيقول له القرآن: أنا الذى أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين، لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ، هدرا كان أو ترتيلا).

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق} أي لباس أهل الجنة فيها الحرير، ومنه السندس وهو رفيع الحرير، كالقمصان ونحوها مما يلى أبدانهم، والاستبرق منه ما فيه بريق ولمعان، وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس.

ونقل ابن كثير[٢٣] ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (تبلغ الحلة من المؤمن حيث يبلغ الوضوء).

وعن ابن عباس أنه قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وفروعها من ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم.

«**للحديث صلة**»

الهوامش:

(١) القرطبي: التذكرة ص ٥٤٣.
(٢) المرجع السابق ص ٥٤٤.
(٣) حادى الأرواح ص ١٨١.
(٤) المرجع السابق ص ١٧٨.
(٥) المرجع السابق ص ١٧٩.
(٦) التذكرة ص ٥٤٠.
(٧) المرجع السابق ص ٥٧٩.
(٨) التذكرة ص ٥٨٢.
(٩) ابن قيم الجوزية: حادى الأرواح ص ٢٥١.
(١٠) المرجع السابق ص ٢٥٠.
(١١) التذكرة ص ٥٣٨.
(١٢) النهاية في الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٢٦.
(١٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٠٣.
(١٤) المنذري: الترغيب والترهيب جـ٤ ص ٥٣٠.
(١٥) حادى الأرواح ص ٢٤٧.
(١٦) منتخب كنز العمال ص ١١١.
(١٧) حادى الأرواح ص ٣١٩.
(١٨) المصدر السابق ص ٢٤٠.
(١٩) المصدر السابق ص ٢٤٢.
(٢٠) المرجع السابق ص ٢٤٣.
(٢١) أكيدر: ملك دومة الجندل.
(٢٢) التذكرة ص ٥٣١.
(٢٣) النهاية في الفتن جـ٢ ص ٣٢٣.

شعراء من التراث: (٢)

عَبْدَةُ بن الطبيب (ت نحو ٢٥هـ)

بقلم:
أ.د. عبده بدوي
كلية الآداب
جامعة الكويت

كان شاعراً مجيداً غير مُكثر، وهو ينتمي إلى تميم، وكانت في الجاهلية يقال لها: عبد تيم، وتَيْمُ صنم كان لهم يعبدونه، وقد تألق شعره في الجاهلية، ووصل إلى مدى كان يُقدِّره الكثيرون، ومما يروى في هذا أنه اجتمع مع الزبرقان بن بدر، والمخبّل السعدى وعمرو بن الأهتم، وقد هيَّأُوا مجلساً، ونحروا جزوراً، واشتروا خمراً ببعير، وجعلوا يشوون، ويأكلون، ويشربون، فقال بعضهم: لو أن قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطرتم، فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم فطلع ربيعة بن خدار اليربوعي فَسُرّوا به، وحكموه، فقال: أخاف أن تغضبوا فأمنوه من ذلك.

فقال للزبرقان: أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل، ولا ترك نيئاً فينتفع به، وقال لعمرو: أما أنت فإن شعرك كبرٌ ودحبر، يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر قصر البصر.

وقال للمخبل: وأما أنت فشعرك قصَّر عن شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم.

وقال لعبدة: وأما أنت فإن شعرك كمزادة أحكم خرزُها فليس تقصرُ ولا تمطر[١]، ومما يحفظ له في فترة الجاهلية أنه رثى قيس بن عاصم التميمي في قصيدة مشهورة جاء فيها:

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحما
تحيَّةُ من أوليته منك نعمة
إذا زار عن شَحْط بلادك سلّما
فما كان قيس هُلكه هُلكُ واحد
ولكنه.. بُنيانُ قوم تهدَّما

فقد وصل في البيت الثالث إلى ما سمى أرثى بيت قالته العرب[٢].

ولقد كان من الذين دخلوا الاسلام في وقت مبكر، ولكنه لم يحتك بالرسول عليه الصلاة والسلام، والرِّجال الأول، إنما كان احتكاكه في الفترة التى تميزت بالفتوح في عهد عمر - رضي الله عنه - ، وبالقادة الذين انطلقوا لمجاهدة الفرس[٣]، وفي هذه الفترة رأيناه يقول قصيدة مشهورة رحبة رويت في المفضليات وتبلغ واحداً وثمانين بيتاً، وإلى قصيدة أخرى تبلغ أبياتها الثلاثين، وقد حيّرت هذه القصيدة الرّواة إلى حدّ اعتبارها قصيدتين، ذلك لأن فيها حديثاً عن حرب المسلمين مع الفرس، وفيها حديث عن الشراب، ويبدو أنه قالها في مرحلتين من العمر، فقد كان فى المرحلة الأولى يتحدث عن الهرب بالحب، وفي المرحلة الثانية يتحدث عن الهرب بالشراب، وفي ضوء هذا كان النسيج واحداً، وكانت الصّور هي الخطوط الرئيسية للقصيدة التي عرف بها، وفي الوقت نفسه وضع فيها كل

قدراته:

هل حبلُ خولة بعد الهجر موصول
أم أنتَ عنها بُعَيْد الدار مشغول؟
حلَّت خويلة في دار مجاورة
أهل المدينة فيها الدِّيك والفيل
يقارعون رؤوس العُجم ضاحية
منهم فوارس لا عزل ولا ميل
وقد غدوتُ وقرن الشمس منفتق
ودونه من سواد الليل تحليل
إذ أشرف الديك يدعو بعض أسرته
لدى الصباح وهم قوم معازيل
إلى التجار، فأعداني بلذته
رخو الأزار كصدر السيف مشمول
حتى اتكأنا على فرش يزينها
من جيِّد الرُّقْم ازواج تهاويل
فيها الدجاج وفيها الأسد مخدرة
من كل شيء يرى فيها تماثيل
في كعبة شادها بان وزينها
فيها ذبالٌ يضيء الليل مفتول
لنا أصيص كجذم الحوض هَدَّمه
وطء العراك لديه الزِّق مغلول
والكوب أزهرُ معصوبٌ بقُلَّته
فوق السياع من الرَّيحان أكليل
لما نزلنا نصبنا ظل أخبية
وفار باللحم للقوم المراجيل[٣]

٠٠ وقد عاش في هذه الفترة محاربا شجاعا[٤] وفي الوقت نفسه كان يستمتع بحياته، ويمرح ما وسعه المرح، ولكن الأيام كانت تمضي به بعيداً، وكانت ترغمه على الجد، وعلى التعبير عن العالم الذى يعيش فيه، ومن هنا رأيناه يعيش على التذكر، وعلى ذكر الديار، فيقول على نحو ما جاء في المنازل والديار[٥]٠

وذكرنيها بعد ما قد نسيتها
ديار عليها وابل متبعِّق
وقفتُ بها والشمس دون مغيبها
قريباً فهاج الشوق من يتشوق
قليلا فلما استعجمت عن جوابنا
تَعَزَّيت عنها والدموع ترقرق
فلا الدار تدنيها لنا غير فينة
ولا حُبُّها عن شاحط النأى يخلق!

ثم لما أسن ورابه بصره رأيناه يقدم وصية لأبنائه:

ولقد علمتُ بأنّ قصرِى حفرة
غبراء يحملنى إليها شرجع[٦]
فبكى بناتي شجوهُنّ، وزوجتي
والأقربون إليَّ ، ثم تصدَّعوا
أبنى إنى قد كبرتُ، ورابنى
بصرى، وفيَّ لمصلح مستمتع
فلئن هلكتُ لقد بنيت مساعياً
تبقى لكم منها مآثر أربع
أوصيكم بتقى الإله فإنه
يُعطي الرغائب من يشاء ويمنع
وببرٍّ والدكم، وطاعة أمره
إن الأبرّ من البنين الأطوع
إن الكبير إذا عصاه أهلُه
ضاقت يداه بأمره ما يصنع
ودعُوا الضغينة لا تكن من شأنكم
إن الضغائن للقرابة توضع
واعصوا الذى يُزْجي النمائم بينكم
مُتَنَصِّحا ٠ ذاك السمام المنقع[٧]

وهي قصيدة طويلة، وقد علّق على بعض أبياتها الجاحظ، فقال: وهذا الشعر من غُرَر الأشياء، وهو مما يحفظ[٨] كما استشهد

البحتري به، على ما جاء في النمائم[٩]، ومما يتصل بهذه القصيدة تركيزه على قضية الزمن والانسان في قوله:

إذا الرجال ولدت أولادها
واضطربت من كبر أعضاؤها
وجعلت أسقامها تعتادها
فهي زروع قد دنا حصادها[١٠]

* وقد احتج له بعض رجال اللغة على شرح بعض الكلمات، ثم إن البلاغيين قد اهتموا به، واستشهدوا بقوله:

والمرء ساع لأمر ليس يدركه
والعيش شُح وإشفاق وتأميل

* على ما يسمى بصحة التقسيم[١١]، كما استشهد ابن رشيق له فى باب الرجز والقصيد[١٢]، وَعُدَّ في الذين أكدوا لعلم البديع.

وأخيراً فإذا كان قد قيل: إنه كان عبداً أسود، وأنه كان في البدء من لصوص الرّباب، فإن قضية سواده لم تشغله في شعره، فقد كان على ثقة بنفسه، كما أنه كان من الذين تمتعوا بحياتهم، فقد جمع بين الجهاد تحت راية الإسلام، والجهاد تحت راية الاستمتاع بالحياة، حتى ولو كان هذا الاستمتاع مناقضاً للمفاهيم الإسلامية، ولقد حفظ له أنه كان يترفع عن الهجاء، فالذين أخذوا عليه أنه كان لا يحسن أن يهجو قيل لهم: إنه ما أبى من عي، ولكنه كان يترفع عن الهجاء، ويراه صنعة، كما يرى تركه مروءة وشرفاً، ولعل أجمل ما قيل فيه أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه: أيّ المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر كأنها القشرة الملتزقة ببياض البيض، وقال آخرون: مناديل اليمن كأنها نور الربيع، فلم يوافق عبد الملك على هذا وقال: بل مناديل أخى بنى سعد، عبدة بن الطبيب.

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية
وفار للقوم باللحم المراجيل
وردٌ وأشقرُ ما يؤنيه طابخه
ما غيَّر الغليُ منه فهو مأكول
ثُمَّتَ قُمْنا إلى جُرْد مُسوَّمة
أعرافُهُنَّ لأيدينا مناديل[١٣]

المهم أنه كان يستحضر صور المدركات الحسية عند غيبتها عن الحواس، دون التصرف فيها بزيادة، أو نقص، أو تغيير، أو تبديل، وذلك كاستحضار صورة حديقة رأيتها من قبل.. وإلى اختلاف الناس في الإدراك الحسي يرجع اختلافهم في التصور، والقدرة على التصوير[١٤]، وقد كان سعيد بن جبير يقرأ الآية «أكاد أخفيها» ويستشهد بقول عبدة بن الطبيب:

يخفي التراب بأظلاف ثمانية
فى أربع مَسّهُنَّ الأرض تحليل[١٥]

** وأخيرا فإذا كان لابد من وقفة عند قصيدته اللامية المشهورة، فالمعروف أنها تمثل إحدى ذرى توسيع البنية التوليدية، وأن الزخرفة ملأت كل شريحة من شرائحها، ثم إنَّ البنية التوليدية تتبطن النص بدقة دون أن تنحرف، وهكذا تكون في النهاية قد وصلت بالبنية التوليدية إلى ذروتها من التنامى في كل مكوناتها، وهي

بهذا التصعيد تجسد رؤيا أعمق احتدامية، وأعنف مجابهة، فهي تضع الحيوية في مقابل الذبول، وتُفَجِّر الانسان والحيوان بالطاقة في سياق الموت، في مقابل العلاقة المتوترة مع المرأة[١٦].

الهوامش:

(١) الإصابة ٢/١٠٠، الموشح ١٠٨.

(٢) الأغاني ١٨/١٦٣، الشعر والشعراء ٢/٦١٣ والذي قال هذا عمرو بن العلاء في ديوان المعاني ٢/١٧٥.

(٣) شعر الفتوح الأسلامية ، النعمان عبد المتعال القاضي ١٨٠.

(٤) شرح اختيارات المفضل للتبريزى، تحقيق فخر الدين قباوه ٢/٦٤٣.

(٤) قيل كان في جيش النعمان بن المقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن - معاهد التنصيص ١/١٠٢.

(٥) تحقيق مصطفى حجازى ص ٨٣ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

(٦) الشرجع: الخشب يشدّ بعضه إلى بعض كالسرير يحمل عليه الموتى - المفضليات ١٤٨، ١٤٩.

(٧) من المفضلية ٢٧، معاهد التنصيص للعباسي ١.

(٨) كما احتج برأيه في عدم تعليم الصبي العداوة، الحيوان تحقيق عبد السلام هارون ٤/١٦٨.

(٩) الحماسة ص ٢٤٠ ط١.

(١٠) الوحشيات لأبى تمام ص ١٥٦ ط١.

(١١) جاء في البيان والتبيين أن عمر بن الخطاب أعجب من حسن ما قسم وفصل ١/٢٤١.

(١٢) العمدة ١/١٨٢ ط٥ دار الجيل كقوله:

باكرني بسحرة عواذلي
وعذلُهُنّ خَبَل من الخبل!
يلمنني في حاجة ذكرتها
في عصر أزمان ، ودهر قد نسل

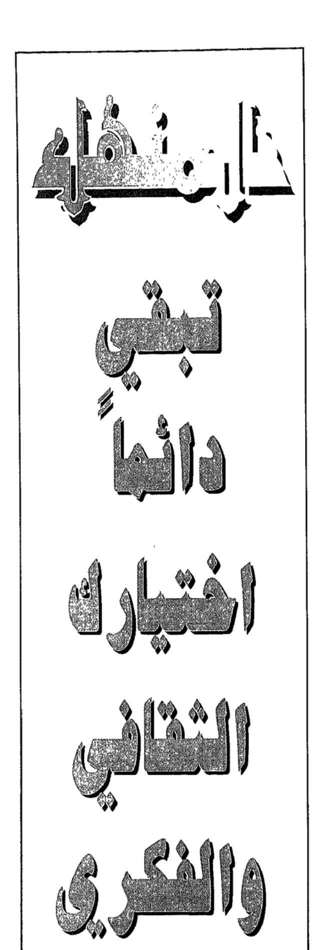
(١٣) يرى ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٢/٦١٤ أنه أخذه من قول امريء القيس:

نمُش بأعراف الجياد أكفنا ... إذا نحن قمنا عن شواء مُضَهَّب.

(١٤) دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر ص ٣٢ ط١.

(١٥) أمالي المرتضى: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ٢٢٣ - دار الكتاب العربي بيروت - ويخفى بمعنى يظهر.

(١٦) الرؤيا المقنعة، د. كمال أبو ديب ص ٤٤٦، ط. الهيئة العامة للكتاب.



حركة الترجمة:

معضلة المصطلح العلمي العربي

«المصطلح اللساني نموذجا»

محمد يحياتن
- الجزائر -

«يجب التساؤل عن اللغة العربية في علاقتها بالانسانية Humanism، على اختلاف الصراعات والظاهرات، إن الامة العربية جائعة ومريضة وجاهلة، فلا غرابة أن تكون لغتها مفككة العضلات هزيلة وضبابية في التعبير»[١] - ما دام أهلها كذلك - أما اللغة العربية في ذاتها فهي قوية ناضجة حيّة.

إن هذا التصدير - على قساوته - يروم في الواقع وضع الاشكالية المعالجة فى صلب اشكالية أكبر، هي اشكالية التخلف والتبعية اللذين عليهما العالم العربي، فاشكالية المصطلح العلمي ليست في المحصلّة سوى وجه واحد لهذه الازمة العامّة.

والحال إن اشكالية المصطلح العلمي، من جهة أخرى، ترجمان للمنزلة التي هي عليها كل من الثقافة والعلم، فلئن كنّا لا ننتج ما نأكل إلا بنسبة قليلة، فإننا في الوقت عينه لا ننتج المعنى او لنقل بأننا لسنا منتجي معرفة. فنحن في كل الاحوال، والحق يقال، مستهلكون، والمقصود بالاستهلاك ههنا هو استهلاك المعارف المختلفة الوافدة علينا، أما الاستهلاك السيء فمعناه عدم الاحاطة بهذه المعارف وتمحيصها.

وفضلا عن هذا، يجب الاعتراف بفداحة التقصير من حيث قلة مواكبتنا للتطور العلمي الحاصل في العالم، لا سيما في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية كاللسانيات على سبيل المثال التي نزعم اننا نعرف حالها فى الوطن العربي. فعندما نستقرىء واقع تدريس اللسانيات في بلداننا، فاننا نلاحظ دونما عناء، بأن مدارس برمتها ونظريات برأسها حديثة لم تلج بعد حياض معاهدنا وجامعاتنا، من ذلك مثلا نظرية الحديث أو التلفظ كما يسميها البعض واللسانيات التداولية ونظريات الخطاب. وهذا بالطبع مما يجعل تدريسنا الجامعي موسوما بالتخلف. وهذا الذى قدمناه يصدق بطبيعة الحال على التخصصات العلمية الأخرى.

وهذا التقصير الفادح في مواكبة المعارف المختلفة مردّه إلى:

أ - ضعف حركة الترجمة في العالم العربي:

عندما نمعن النظر في مدونة ما ترجم إلى العربية على جميع الاصعدة، نجد ان ما تُرجم هزيل جدا. وهنا يحضرنى ما ذهب اليه زميلنا المغفور له عمّار بلّحْسن من أن واقع الترجمة في العالم العربي لا يساوي البتة ما كان عليه من نشاط وازدهار على أيام المأمون مؤسس بيت الحكمة، حيث كان وزن الكتاب المترجم

** اللغة تضعف بضعف أهلها.
** التبعية تولد الانهيار في كل المجالات.

الكتب المترجمة	المترجمون \ المكان
- دي سوسير: محاضرات في اللسانيات العامة	- أربع ترجمات: تونسية، لبنانية، مغربية عراقية.
- أ. مارتيني: مباديء في اللسانيات العامة	- ترجمتان: سورية وتونسية.
- ر. بارت.: مبادىء في علم الادلة	- محمد البكري ، المغرب.
- ج. مونان: مفاتيح الالسنية	الطيب البكوش، تونس.
- ج. مونان: تاريخ اللسانيات -	بدر الدين قاسم، سوريا .
- ب . جيرو: علم الدلالة -	منذر عياشي، سوريا .
- ف. أرمانفو: المقاربة التداولية -	سعيد علوش، المغرب.
- ك. لي فوك وآخرون: قضايا اللسانيات العامة	- المنصف عاشور، الجزائر.
- ر. هدسون: علم الاجتماع اللغوي	- محمد عبد الغني، العراق.
- فندريس : اللغة -	محمد الدوافلي ومحمد الخصاص، مصر.
- ج. كانتينو: دروس في علم أصوات العربية	- صالح الفرماوي، تونس.
- ن. تشومسكي: البنى النحوية	- يوسف عزيز، المغرب.

ذهبا![٢].

ولكي نقيم الدليل على هذا الضعف، حسبنا أن نعرض ههنا نتائج احصائنا للكتب المترجمة في مجال اللسانيات:

تعليق: الحصيلة كما هو واضح هزيلة: ١٢ كتابا، علماً بأن جلّها هي من قبيل المصنفات العامة التي تنهض بالتعريف بأهم المفاهيم اللسانية العامة. وفي هذا الباب، لابد من الاشارة إلى عدم انتشار الكتاب العربي عبر الاقطار العربية، وهذا من شأنه أن يتسبب في اهدار الجهود: فالكتاب الواحد قد يترجم ترجمات عديدة.

وهذا الذى قلناه عن اللسانيات يمكن أن يصدق على الفلسفة. وهنا لا مفرّ من الاستشهاد بأهل الفلسفة، فأهل مكة كما يقال أدرى بشعابها.

يقول د. محمد وقيدي، الاستاذ بجامعة محمد الخامس بالرباط ما يلي:

«.. لقد قلنا إن شرط الترجمة لا يوجد بما فيه الكفاية وندلل على قولنا بالإشارة إلى أن عددا من كبار الفلاسفة (...) غير حاضرين باللغة العربية، ولا يمكن أن نتصور حوارا فلسفيا فعالا في غياب هذه النصوص، كما لا يمكن أن نتصور في غيابها وجود تعليم فلسفي جاد»[٣].

ويقـول في مكان آخـر عن حـضـور الفـلاسـفـة المعاصرين لنا بأنهم:

«ليسوا بأكثر حظا من سالفيهم برغم صفة المعـاصـرة التي تربطنا بفكرهـم. هناك لا شك مجهود يستحق التقدير قام به بعض المترجمين لكن ما هو موجود من المترجمات لم يخضع إلا لاستراتيجيات ثقافية عامة.. نجد في الزمن المعاصر أيضا فلسفات لم تأخذ عنايتها من المترجمين إلى اللغة العربية مع أنه كان لها التأثير القوي على مسيرة الفكر الفلسفي المعاصر مثل نيتشه وهيدجر وهابرماس وبرانشفيك كما لم تحظ بما تستحقه من أهمية الفلسفات التي فكرت أساسا في الثورات العلمية المعاصرة: كارل بوبر، الكسندر كوئير، جورج كانغيلام وتوماس كوهن وغيرهم»[٤].

ب ـ منزلة الثقافة والبحث العلمي في العالم العربي:

بالاضافة إلى ما قدمناه أعلاه، لابد كذلك من الإقرار بأن منزلة الثقافة والبحث العلمي غير خليقة بأن تُفضي إلى النهوض بهما، ذلك لأننا لا نزال ننظر إليهما على أنهما من قبيل الكماليات في حين أن الدول المتطورة ـ على تطورها البيّن ـ ما فتئت ترصد الأموال الهائلة لترقية البحث العلمي على جميع الأصعدة. وفي هذا الباب بالذات، يجدر بنا أن نقف قليلا عند التقرير الهام الذى اصدرته منظمة اليونسكو في سنة ١٩٩٤ حول واقع البحث العلمي ومنزلته في الحركة التنموية في العالم. وما يهمنا منه الارقام التى وردت فيه والتى تتعلق بنسبة الدخل القومي العام المرصودة للبحث العلمي:

- اليابان: ١ر٣.
- الولايات المتحدة الامريكية: ٨ر٢ .
- الاتحاد الاوربي : ٢.
- اوربا الوسطى والشرقية : ٧ر١.
- اسرائيل : ٧ر١.
- كندا : ٤ر١.
- نيوزيلندا.
- استراليا ونيوزيلندا الجديدة : ٢ر١.
- الاتحاد السوفياتي سابقا : ١ر١.
- الصين : ٨ر.
- الهند: ٨ر.
- أمريكا اللاتينية : ٤ر.
- الشرق الأدنى والاوسط : ٤ر.
- المغرب العربي : ٣ر.

لسنا ـ فيما نعتقد ـ بحاجة إلى التعليق على هذه الارقام[٥].

٢ ـ في معضلة المصطلح العلمي:

لقد بدا لنا المدخل السابق هاما، ذلك أن مشكلة المصطلح ترجمان لأزمة التخلف التى نحن عليها. لكن يا ترى ماذا عسانا أن نضيف إلى مئات المقالات والدراسات التي عنيت بهذه الاشكالية؟ اننا والحق يقال لا نزعم بأننا سنقدم الحلول الشافية لها ، لكن حسبنا أن نشدد على أمرين نخالهما أساسين:

(أ) ـ ضرورة التخلص من التناول الحرفي العفوي الذي يَسمُ العمل الاصطلاحي العربي في جميع المجالات والاختصاصات.

(ب) ـ مسألة المصطلح العلمي ليست حكرا على اللساني، فلابد من اشراك المستعملين في شحذ المصطلحات، وهذا يعني وضع البعد السوسيولساني في الحسبان.

العنصر الأول:

ماذا نعني بضرورة التخلص من العمل العفوي الحرفي؟ نقصد بذلك أن العمل الاصطلاحي غالبا ما يقتصر على العمل الفردي المعزول، ومباشرة المصطلحات العلمية ونقلها بالنظر إليها ككلمات، مع ما يترتب عن ذلك من الذهول عن المحتوى المعرفى الخاص الذى

** حركة الترجمة اليوم هزيلة وضعيفة.
** محدودية انتشار الكتاب العربي أضعف الافادة منه.

تنطوي عليه، وهذا ما جعل د. عبد القادر الفاسي فهري يتحدث عن «غياب تمثل نظري للقضية المصطلحية»[٦].

ومعنى هذا أن كثيرا من الأعمال المصطلحية تنسى أو تتناسى بأن المصطلح العلمي انما يندرج في صلب نسق معرفي ومفاهيمي يشد بعضه بعضا، وأن المحتوى المفهومي للمصطلح انما يستمد من هذه المنظومة الكلية، وحتى لا يظل كلامنا على هذا النحو من التجريد، لابد من إيراد بعض الامثلة.

أ - نظرية الـ e'nonciation:

ترجمها البعض بنظرية التلفظ، وهي عندنا ترجمة غير صائبة، لأن المترجم ههنا انما احتفل بالمعنى الأول الذى توحي به كلمة (e'non-ciation) وفاته أن المفهوم الدقيق الذى يرمي إليه صاحبه انما هو الحديث من حيث هو تحويل اللغة إلى خطاب يؤثر من خلاله المتكلم على المخاطب بشكل من الاشكال. نعتقد أن لفظ الحديث اكثر دلالة من التلفظ.

ب - re'pertoire verbal :

مصطلح من المصطلحات التى يكثر تداولها في مجال صناعة تعليم اللغات وعلم الاجتماع اللغوي، ويعني مجموع الموارد اللغوية التي يتوفرها عليها الفرد (مثلا كأن يكون مالكا للعامية والفصحى ولغة أو لغات أجنبية) وقد نقله البعض إلى العربية بـ: السجل اللغوي، وهو نقل أخرق لأن المترجم ههنا أيضا نظر إلى re'pertoire من حيث معناه المتداول الشائع أي ذلكم الدفتر الصغير الذى تدوّن فيه بعض المعلومات. ونقترح أن يُنقل إلى العربية بـ: الرصيد اللغوي أو الذخيرة اللغوية كما اقترح ذلك استاذنا الجليل د. عبد الرحمن الحاج صالح[٧].

العنصر الثاني:

أي البعد السوسيولساني، وهو عنصر مهمّ لانه من خلاله ينظر إلى المصطلح من حيث بعده الاستعمالي التداولي، فاللغة - أيا كانت - استعمال قبل ان تكون بنية مجردة. وهذا ما دفع بعض الاختصاصيين إلى القول: «إن الاعمال التوحيدية (أي التى تسعى إلى توحيد المصطلحات) لا يمكن أن تؤتي ثمارها اذا غضت الطرف عن واقع الممارسات اللغوية وشروط انتاج الخطاب»[٨].

ومعنى هذا لابد من العمل الاصطلاحي أن يضم إلى جانب اللسانيين والمختصين في المصطلحات المستعملين الحقيقيين بقصد الاستشارة واثراء العمل الاصطلاحي.

الهوامش:

(١) د. محمد عزيز لحبابي: أن نكون أو لا نكون تلك هي المشكلة، مجلة الاصالة ، الجزائر، العدد ١٧ - ١٨، ١٩٧٤، ص ٢٣٣.

(٢) عمّار بلحسن، عودة النص، حول ترجمة الادب، جامعة وهران، ص ٣.

(٣) د. محمد وقيدى، الترجمة بوصفها ضرورة ثقافية، جريدة السلام ، الجزائر، بتاريخ ١٩٩٥/٢/١٦، الصفحة الاخيرة.

(٤) د. محمد وقيدي، المرجع السابق.

(٥) مجلة Jeune Afrique ، العدد ١٧٥٩، من ٢٢ الى ١٩٩٤/٩/٢٨، ص ٥٠.

(٦) د. عبد القادر الفاسى فهري، اللسانيات واللغة العربية، الكتاب الثاني ١٩٨٥، ص ٢٣٠.

(٧) F. Laroussi et L. Guespin, Glottopol: Tique et standard: sation terminologique, La Basque des Mots n' 1989, P.8

لماذا نكتب للأطفال:

الرديء .. يأكل الجيد

وليس المقصود بعالم الاطفال هو ذلك الجسد الصغير الذى يتوج به الصغار، ولا علامات الزغب الذى ينتشر في الاجساد، ولكن هو ذلك الشعور الانسانى البالغ البراءة الذى يقوم فى الاساس على رفض عالم الكبار، أو الدخول فيه، ولذا فأنا اتعامل مع الطفولة باعتبارى لم أبلغ بعد سن النضج الحسي.

ولذا فإن العلاقة بين ما نكتبه، وبين مشاعرنا الخاصة يجب أن تكون متكافئة، ومتسقة معا. ومن المهم أن أعبر هنا عن انتباذى لعالم الكبار، وهروبى منه الى عالم الصغار.

فاللغة بين الكبار تقوم على المصلحة، والرغبة الشديدة والاعجاب بالذات على حساب الآخرين، وما رأيته من لغة يستخدمها الكبار من أجل اثبات ذواتهم ماديا، ومعنويا، ومن أجل تأمين مستقبلهم، أو مستقبل أبنائهم يدفع المرء الى أن يتقوقع فى عالم الطفولة، شاء أم أبى. وعلى سبيل المثال فكل هذه الجرائم البشعة التى يرتكبها الكبار إنما سببها أنهم يشعرون بعدم الأمان، ويحاولون شراء المستقبل بأى ثمن. وهذه الجرائم البشعة هي من ضمن لغات الكبار، أما الصغار فهم لا يرتكبونها واذا فعل بعضهم ذلك فبوحي من الكبار.

وعالم الكبار، الذى نرغم على الدخول فيه، من حقنا أن ننعزل عنه، اذا اتيحت لنا الظروف أن نفعل، وقد وجدت ذلك فى الكتابة للاطفال، ولا تعني الكتابة هنا هي الجلوس أمام المكتب، وملء الصفحات البيضاء بكتابات ساذجة، ولكن هو تفريغ البراءة التى في الذات إلى الآخرين سواء في صورة قصص، أو حكايات، أو معلومات، ثم معاودة قراءتها،

لماذا نكتب للأطفال؟

بالنسبة لي فالاجابة بالغة البساطة، فأنا لا أكتب للاطفال الآخرين الا بعد أن أكتب لهذا الطفل الذى بداخلي، والذى لا أسعى إلا أن أدفنه وسط السنين التى تطاردنى وتجعلنى أكبر سنا يوما وراء يوم، وفي الفترة الأخيرة بدأت بعض الشعيرات البيضاء تزحف على الرأس. أي بما يعني أن هناك انفصالا ما لابد أن يتولد بيولوجيا بين تركيب الجسم، وبين الأيام والسنين التى تمر، وبين عالم الاطفال.

محمود قاسم - مصر -

** عالم الصغار .. براءة كم وددنا ألا نتجاوزها.

** توقف عن الكتابة للأطفال متى ما غادرك الطفل الذي بداخلك.

** المصلحة والاعجاب بالذات، مصطلحات لم ترحل إليها الطفولة بعد.

كأن آخر هو الذى كتبها، وفي الكثير من الاحيان تراجع بروفات هذه الكتب، فنشعر بنفس مشاعر الصغار. كما أن الكتابة للاطفال هى التى قربت منى اطفال يأتون أجيالا بعد أجيال ويتجددون دائما، نلتقى بهم فى المحاضرات، والندوات، والحدائق، وفي أماكن عديدة، نتناقش معهم ونحاورهم، ونعايشهم، فيمتد عمرنا الطفولى، أكثر. ويقصر عمرنا الناضج. والغريب أننى لا أقرأ الكثير من كتاب الاطفال، والسبب بسيط، ان أغلبهم محترف كتابة، وهو ايضا كبير يكتب للاطفال. ولذا فلست في حاجة الى أن أقرأ ما كتبه الكبار، بقدر ما أنا فى حاجة ماسة لأن أطالع ما يبدعه الصغار. هؤلاء الذين يعيشون في صيرورة، فسرعان ما يكبرون، ويحاولون قدر الامكان طرد الطفل البرىء من دواخلهم، فترى بعضهم يحاول تدخين السجائر، أو اطلاق زغب شاربه، للتأكيد على رفض طفولته، والهروب منه، فهو يتعجل أن يكون كبيرا دون أن يدرى أنه يدخل على مراحل الخطر بكل حذافيره، وهو مساق الى ذلك سوقا.

الكتابة هي في المقام الأول معايشة، دخول الى عالم الصدق، وسط زيف مكثف يحوطنا في كل مكان، وعندما يجلس الكاتب الى أوراقه، ويمسك قلمه، فإنه ينسلخ من أشياء كثيرة يحاول أن يطردها، وهناك بعض الكتاب يتقمصون هذه المتاعب والمعاناة من أجل الكتابة عنها. وبالنسبة لي فالكتابة نوع من اللذة الجماعية، أمارسها وأنا بالغ السعادة، التقي في لحظاتها بذاتي، وبالآخرين وأكتب ما يدفعه القلب إلى القلم، وأحاول أن أرتفع عن المستوى الحسي الذى أشعر به، ويسعى إلى أن يغلبني.

والسؤال هو ماذا نكتب للاطفال، ولماذا نكتب؟

لابد أن يتذكر المرء وهو صغير حكايات داخل ذاته، ابتدعها، أو خلقها له آخرون، فعاش فيها لبعض الوقت قبل أن ينسلخ منها، وفى طفولتنا ذلك الخيال الواسع بأنك محور الكون، وأن هذا العالم إنما خلق لسعادتك ولتسليتك، وهناك ذلك الشبح الذى يأتي إليك عبر الجدران، فيقوم بأخذك معه الى آفاق بعيدة، يجعلك تفعل أشياء ليست في مقدورك، كأن تطير بدون جناحين، أو أن تسبق طائرة نفاثة، أو أن تتناول العشاء مع نجم شهير أنت تحبه. وأشياء كثيرة.

وهذه الحكايات والتخيلات كثيرا ما تتفق مع ما يرويه لك الكبار أحيانا، وأيضا مع ما تعيشه مع الصغار من أمثال، فالواقع حولك.. أما .. الخيال فرائع، وعلى الصغير أن يصدق كل شيء. ان يصدق أن بطل الحكايات الاسطورية هو أكثر حقيقة من الاشخاص الذين يحيطونك.

ولذلك تصير صداقة وإعجاب بين أبطال الطفولة، وبين الصغار أكثر مما ستصير بين الاطفال من نفس السن على سبيل المثال. فهل يتذكر أحد منا صديق المرحلة الاولى من طفولته بنفس القدر الذى يتذكر به حكايات ألف ليلة وليلة، وأم الغولة، وأسماء كثيرة أخرى.

وأروع ما فى هذا العالم هو سرعة تصديقه، ولماذا لا نصدق ومفردات الكذاب، بكل أشكاله، لا تعرف طريقها إلينا حتي تلك المرحلة، والغريب أننا نبدأ في الابتعاد عن كل هذا العالم بنفس الدرجة التى نتعلم بها أساليب الكذب، تلك العادة المحببة جدا للكبار.

لماذا لا ندع للصغار عالمهم؟ ولكنه نداء مستحيل، فبيوتنا ضيقة، وحوارينا أكثر ضيقا، وزحاما، وقرانا مزدحمة بالصغار والكبار، والاسمنت الذى حل مكان الارض الخضراء، واذا شاهد الصغار التليفزيون، فانهم حتما سيكبرون، فالتمثيليات والافلام مليئة بالحديث عن مشاكل الكبار.

وعليه فان الصغار محاطون دائما بمشاكل الكبار في كل مكان، وهم مرغمون على هذا، ويستعذبونه، وفي الصيف، هذه الأعوام الاخيرة، انقلبت الامور في حياتنا تماما، فالصغار يجلسون أمام شاشة التليفزيون حتى ساعة متأخرة من الليل، أما الكبار، فعليهم أن يناموا مبكرا من أجل اللحاق بأعمالهم في الصباح. أليس هناك انقلابا أشد والكثير من البيوتات لم يعد لاصحابها قدرة على ارغام ابنائهم على النوم مبكرا، وضاع زمان حدوتة ما قبل النوم تماما.

اذن، فالكتابة للاطفال تستلزم أن يكون الكاتب نفسه طفلا في روحه وفى احساسه وان يحمل هما هو الاحتفاظ بدرجة عالية من البراءة



للاطفال. ولكن حتى ما نرى الاطفال يحبونه يكشف أننا فى خطر داهم، فكُتب العنف، والمطاردات والجواسيس تملأ المكتبات، ويزداد الاقبال عليها، ومؤلفوها هم كتاب، وهناك فرق هائل بين الاديب والكاتب، الاديب يحمل على عاتقه رسالة، ويعبر عن واقعه، وواقع الحياة التى يعيشها القراء، أما الكاتب فهو أشبه بكاتب يجلس أمام احدى المصالح الحكومية، يملأ صفحة بيضاء، طلب أو خلافه، كي يأخذ أجره. ليس له رسالة، ولا هدف، وكل ما يهمه هو ارتفاع نسبة التوزيع، وهل هناك هدف سام فى أعمال كتاب من طراز موريس لبلان، واجاثا كريستى، والافعال الرئيسية في الكتابات التى يقدمونها للبشر هي: «ذبح، قتل، طارد، اختلس، سرق، اشتبه، وأفعال أخرى بالغة السوء والقسوة».

زحفت هذه الافعال في السنوات الاخيرة الى عالم الاطفال، ملأت كتب من هذه النوعية ادراجهم، وقد لا يكون من حقنا أن نعترض،

ولكن في بعض البيوت، فإنك لن تجد سوى هذا النوع فقط من العناوين والكتب. أي أن بضاعة الافعال السابقة قد طردت الافعال النبيلة مثل «طمح، حلم، افتدى، أخلص، أنقذ، أحب، وغيرها».

ونحن ككتاب أطفال، وجدنا أمورنا تسوء، فالناشرون يسعون الى مبيعات أعلى، واذا فإنهم يطلبون منا دوما أن نكتب لهم قصص الالغاز، وهى روايات بوليسية تعتمد على الغموض والمطاردات، والقتل، وأشياء أخرى عديدة، وكيف لكاتب يكره كل ما كتبته آجاثا كريستي وموريس لبلان، وشرلوك هولمز، وجورج سيمنون، أن يجد نفسه يكتب روايات بوليسية أو الغازاً.

الروايات البوليسية مصنوعة في المقام الاول كي يتسلى بها ركاب القطارات الذين يسافرون لساعات، وعليهم التعامل مع الثقافة، بنفس المنطق الذى يقوم به شخص بشراء كيس فيشار، أو كيس لب يتناول حباته وهو يشاهد فيلماً فى دار سينما، هو يرى أن السينما تسلية، واللب وسيلة من وسائل التسلية، أي أن الاثنين متفقتين معا.

وكتابة الالغاز هى جريمة كبرى في حق الاطفال، ومع ذلك طلب منا الناشرون أن نقدم لهم الالغاز، لانها تباع، وأنا أعترف أن لي مجموعة روايات في دار الشروق تحت اسم «الغاز الشروق» اقترحها المهندس ابراهيم المعلم. للحق هو اراد عمل «الغاز» وترك لى حرية الموضوع، فابتدعت شخصية «حب حب» ليكون تانتان العربي، مغامراً أكثر تطورا، لديه الكومبيوتر صاحب المعلومة، والذى يتتبع الاحداث الكبرى في العالم، مؤتمر قمة الارض، زلزال القاهرة، اوليمبياد ١٩٩٢، كأس العالم

**** وهو في الثلاثين من عمره ينبغي أن يكون طفلا وهو يكتب للاطفال.**

**** الكبار ينامون مبكراً والصغار يسهرون.**

١٩٩٤، الاتجار في الاسلحة النووية في الدول المنشقة عن الاتحاد السوفيتى، ظهور قراصنة البحر في نهاية القرن العشرين فى شرق آسيا، ومجابهة كل تخلف بالكومبيوتر.

البداية كانت مع سيدة ذكية، ماما جميلة كامل. كانت في عام ١٩٨٦ رئيسا لتحرير كتاب الهلال للاولاد والبنات، طلبت أن اقوم بتبسيط رواية «آلة الزمن» لهربرت جورج ويلز، ولما قرأتها بالفرنسية اكتشفت أنها تمجيد للتاريخ الانجليزى. فقررت كتابة رواية للاطفال فيها تمجيد للتاريخ المصرى، وكان أول كتاب لى «مغامرات آلة الزمن العجيبة» الذى حمل اثنين من الاطفال الى خمس أزمنة عربية هى زمن طرد الهكسوس، وزمن كليوباترة، وزمن التأميم عام ١٩٥٦، والقاهرة المعاصرة، وقاهرة المستقبل.. وقد بدا الكتاب محاولة أولية في اخراجه وان كان يضن قصصا من التاريخ

* أقحمنا الصغار في مشاكل الكبار فغادرتهم القراءة.

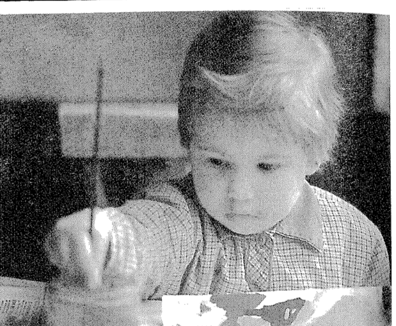
** كتابة الألغاز جريمة في حق الأطفال.

القديم والمعاصر والمستقبلى، وأذكر أن بطلي القصة علاء ودعاء (وهو الاسم المفضل لدي إنه اسم وحيدتي)، قد رحلا الى بور سعيد عام ١٩٥٦، من اجل المشاركة في صد العدوان الثلاثى، وقد تم رسم جمال عبد الناصر بنفس الروح الذى قدم به محفوظ عبد الرحمن فيلمه «ناصر ٥٦»، بما يعنى أننا جميعا عشاق لتلك المرحلة الزمنية سواء من عاش فيها، أو سمع أو قرأ عنها. وقد كنت فى السابعة من عمرى فى تلك المرحلة وهاجرت اسرتنا من الاسكندرية الى أبي حمص.

وبعد عام، أى في ١٩٨٧ طلبت منى ماما جميلة أن أعد كتابا عن المخترعات الحديثة باسم «حكايات غيرت الدنيا» تتبعت فيه عشرة من العلوم الهامة، وذلك من خلال رسوم ستريس، بالاضافة الى قصة خيالية، تدور في اطار أحد هذه العلوم، فلو تحدثنا مثلا عن الانفاق العملاقة كإنجاز علمي، فهناك قصة اطفال تدور في كوبرى الانفاق، أى أن الكتاب قد جمع بين تبسيط العلوم، والقصص المؤلفة.

وعندما تقدمت بكتابي الثانى هذا الى جائزة الدولة لم أكن أتوقع أن يفوز بالجائزة، وفي مرحلة الانتظار غير المتعمدة، كنت قد قدمت في نفس السلسلة كتابا ثالثا تحت عنوان «أجمل حكايات البحر» وقدمتنى زميلتى آمال خطاب الى دار نهضة مصر، فاقترحت عليهم أن نحكي للاطفال قصص افلام السينما الشهيرة فى مجموعة كتب تحمل اسم «أجمل حكايات الدنيا»، وتمت الموافقة على المشروع، وانتهيت من صياغة الكتاب الاول «أوليفرتويست»، ويضم خمسة افلام فرنسية وبريطانية، وأمريكية، وقد قام الناشر بتوزيع مسودات من الكتاب على اطفال وكبار، وابلغنى المدير الفنى آنذاك أن الجميع اتفق على جمال الاسلوب، والطريقة المثيرة في الحكى وشد انتباه القارىء، وبينما نحن نستعد للطباعة، تم اعلان اسمى كفائز بجائزة الدولة التشجيعية، كنت آنذاك فى التاسعة والثلاثين، ولم أكن أتوقع الجائزة بهذه السرعة، كنت أتصور أن علي أن انتظر عشر سنوات، أو عشرين، وربما أكثر، ولا أحصل عليها. كنت اتمشى فى بهو دار الهلال، عندما تابعنى محمد الشاذلى وسألنى: هل انت محمود محمود قاسم فعلا، وألقى علي بالخبر، وكانت فرحة العمر، ولا أنكر أننى استثمرت هذا النجاح دوما، وهذا الوسام، ليس فقط بالعمل على نشر المزيد من الكتب، ولكن لتحسين اسمى، وعملى، وحتى لا أحبط أبدا، وكان همى هو النشر قبل أن احصل على النقود، وكم غلبنا الناشرون في المال، ولكننا كسبنا بنشر كتب هى أهرامنا بعد وفاتنا.

أكتب هذا المقال في نهاية سبتمبر ١٩٩٦، أى

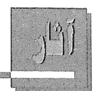


معظم رواياتي مثل «لماذا» ١٩٨١، «الثروة» ١٩٨٣، و«وقائع سنوات الصبا» ١٩٩٤، «زمن عبد الحليم حافظ» ١٩٩٦، «أيام الشارلستون» ١٩٩٧، كما انني وضعت شعارا «لكتبي» اجمل حكايات الدنيا هو «أنا طفل كبير. اكتب لاصدقائي الصغار وأنا في الاربعين».

ليس مطلوبا من المرء وهو يكتب عن تجربته في الكتابة أن يحدد مؤلفاته، فالغريب أن الكثير من مؤلفات الاطفال تضيع في الزحام، يتم استهلاكها بسرعة، ولا يوجد نقاد يتابعون هذا الابداع، والرديء الكثير موجود في المكتبات في مواجهة القليل الجيد. ولذا مطلوب من الكاتب التركيز على فكره، واهتماماته، وأنا أحب الابداع، وتعددت فيه، من تأليف الى اعداد، وحاولت الاستفادة من اتساع الخيال، وتعاملت مع مخيلتي بمنطق الاسفنج الذي يتشرب المزيد من السوائل (الخيال) ولكن اهتمامي الاساسي هو المعرفة، وقد مزجت اعمالي بين المعرفة، والتخيل، وكرهت الروايات البوليسية سواء للكبار أو الصغار، ولكنها منتشرة، وتكاد تكون الثقافة الاوحد لدى الكثيرين، وقد ضيق علينا هذا النطاق، نطاق التواجد، ونطاق القراءة، وقد ساعدت مثل هذه الروايات في تسطيح الرؤى لدى الجيل الجديد، ولذا فأكثر كتاب الاطفال اليوم يواجهون ثقافة بديلة سيئة في مقابل ثقافتهم الجيدة، وذلك رغم الازدهار غير المسبوق في عالم ادب وكتب الطفل.

بعد عشر سنوات وأشهر من بدايتي ككاتب اطفال، لا شك أن تجربتي مع الاطفال أكثر اثمارا من أنشطتي الاخرى، فاذا كانت كتبي الهامة هي موسوعاتي، ورواياتي، فان مساحة الصداقات الواسعة التي كسبتها ككاتب اطفال في المكتبات التي اقوم بزيارتها، أو هؤلاء الذين يتصلون بي، أو يزورونني هي أهم وأكثر اتساعا من كل أنشطتي الاخرى، لقد نجحت في استرجاع طفولتي، من خلال هذه الانشطة واكتشفت كم هو سيء عالم الكبار، وكم هو رائع عالم الصغار، ورحت أحاول أن أكون مثل «أوسكار» بطل رواية «الطبلة الصفيح» لجونتر جراس، قررت أن أظل طفلا، ولكن كل من حولي يعاملونني كأنني كبير.

والمشكلة الآن أنني مشدود الى عدة اتجاهات، الكبار يجذبونني لعالم البالغين، والصغار يفتحون لي ابواب البراءة، وجسدي يحاول أن يشيخ رغما عن أنفي، اقترب من الخمسين، فأنا من مواليد عام ١٩٤٩، وأنا أسير لكل من يعاملني كما يرى. ولكن طفولتي هي المفضلة، وقد نجحت في تجسيد طفولتي في



«منطقة الجوف في آثار عصور ما قبل الاسلام للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري..»
«الآثار الاسلامية للدكتور خليل ابراهيم المعيقل»
هاتان المحاضرتان القيتا ضمن أعمال (ندوة تاريخ وآثار منطقة الجوف)، وكانت واحدة فعاليات الأسبوع الثقافي الذي تقيمه مؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري كل عام..
ونسعد بنشر المحاضرتين لتعميم الفائدة.
المنهل

منطقة الجوف في آثار عصور ما قبل الاسلام

بقلم أ.د./ **عبد الرحمن الطيب الأنصاري**
- الرياض -

الجزيرة العربية بكاملها ما هي الا متحف للتاريخ بآثارها وتراثها وحضارتها. ولكن عجلة التطور وعجلة التنمية تجعل عالم الآثار في حزن دائم ذلك أنه يحتار بين أن يشارك في هذه التنمية وبين أن يقبض بعجلة التاريخ لكي ينقطع فيستمتع هو ويترك الآخرين يعيشون بطريقتهم الخاصة. تلك معضلة كبيرة يعيشها كل عالم آثار.

ولكن دائماً أقول للناس هل حقيقة أن البقاء للأفضل، وأن الانسان الحاضر أولى بالحياة؟ وكيف يكون لنا هذا التطور وهذه التنمية دون بصيرة من أمر الماضي؟.

في هذه الأمسية سمعت كلمة قالها الدكتور زياد السديري وهي (أن الانسان لابد أن يرتبط بجذوره ولابد أن يرتبط بتاريخه) فوقعت مني موقعاً خاصاً.

إننا ندعو بكل حرص على أن نربط الانسان في الجزيرة العربية بجذوره وتاريخه، لأن عصر نهضتنا دخل علينا بكل خلفياته الحضارية ففقدنا كثيراً جداً، في مأكلنا وملبسنا وحياتنا وكل ما كنا قد ورثناه من ماضينا، فكيف يمكن أن نعيد للانسان توازنه بين هذا وذاك؟ والتوازن عملية صعبة في مجتمع معقد له بريق شديد وقوي. والاقتصاديون قد لا يعرفون كثيراً مما ندعوا اليه،

ولكنا مع ذلك نُصرّ ونضغط علّنا نستطيع أن نترك للأجيال القادمة شيئاً يفخرون به ويعتصمون به.

وما من شك في أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتراث الاسلامي الخالد عصمة لكل مسلم ولكل عربي، ولكن هذه العصمة يجب أن تكون مرتبطة بالتاريخ أيضاً ليكون هناك توازن بين الروح والعقيدة وبين الوطن وكل شيء له صلة بالأرض وما يفخر به الانسان في ماضيه وما يفخر به في مستقبله.

الجزيرة العربية كما قلت مليئة بالآثار ومليئة بالتاريخ، في كل مكان تذهب إليه تجد التاريخ يقول لك: أنت كنت هنا، وكان لك ابداع وكانت لك حضارة، وبالتالي يجب أن تحاول أن تصطبغ بالصبغة التي يمكن أن تجعل لك لونا وطعماً ونكهة خاصة تختلف عن بقية الأمم في داخل الجزيرة العربية وفي خارج الجزيرة العربية وفي العالم كله لانك ابن الجزيرة العربية.

الجزيرة العربية لها تاريخ طويل عريق منذ آلاف السنين منذ عصور ما قبل التاريخ، ولعل دومة الجندل ولعل الجوف أكبر شاهد على العمق الحضاري في الجزيرة العربية. إن منطقة الشويحطية شمال سكاكا تعود إلى أكثر من مليون سنة، كان الانسان يعيش في هذه المنطقة قبل أكثر من مليون سنة، وتلك آثاره واضحة، ولعلها من أقدم الآثار في هذه المنطقة العربية. وللأسف فإن هذه المناطق جار عليها الزمن ولكن ادارة الآثار، وكذلك الآثاريون استطاعوا أن ينقذوا ما أمكن إنقاذه ومعرفته من فترات تاريخية كادت أن تذهب، ولا ريب أن كثيراً منها قد ذهب.

منطقة الجوف الأثرية هي (ثيرمومتر) الحضارة في الجزيرة العربية، أو هي ساق الشجرة التي غرست في الجزيرة العربية، ويمكن من خلال هذا الساق أن نعرف - من خلال الدوائر التي في الشجرة - الفترات التاريخية التي في الجزيرة العربية، والجيولوجيون يعرفون ذلك ويستطيعون من خلال هذه الدوائر في ساق الشجرة تحديد عمرها.

عمر الحياة الانسانية في الجزيرة العربية أكثر من مليون سنة على الأرض ومنطقة الجوف أكبر شاهد على ذلك. ثم بعد ذلك نجد مراحل مختلفة.. أبرز فترة تاريخية يمكن أن يشهدها الانسان ويستمتع بها هي منطقة تسمى الرجاجيل وهي عبارة عن مكان فسيح وفيه أنصاب، هذه الأنصاب تتكون من مجموعات كل مجموعة يتراوح عددها ما بين نصبين إلى خمسة أو ستة أنصاب، وتمثل قاعدة كل مجموعة من الأنصاب حدوة حصان في فلاة من الأرض، هذه النماذج من الآثار لا يمكن أن يوجد مثلها وبتاريخها في الجزيرة العربية الا في هذه المنطقة التي تسمى الرجاجيل ويعود تاريخها الى الألف الرابع قبل الميلاد، وهذا التاريخ المتواضع وضع لها قياساً على ما هو موجود ببريطانيا مما يسمى «ستون هنجز» الموجودة بالقرب من لندن ويعود تاريخها الى الألف الثالث قبل الميلاد فقياسا على أن الحضارة بدأت في الشرق وأنها تشبه تلك الموجودة في بريطانيا أعطيت هذا التاريخ، وهو تاريخ في رأيي أقل مما يجب أن تؤرخ به.

ولكن علماء ما قبل التاريخ لم يستطيعوا بعد أن يجروا التنقيبات اللازمة التي تحدد الفترة التاريخية الحقيقية للمنطقة بما تطمئن إليه النفس. ثم بعد ذلك تجد الكثير من مظاهر الحياة، سنشاهد كثيراً من الآثار الغنية التي تركها انسان الجزيرة العربية وتركها انسان

الحروف في هذه المنطقة. وهذه الآثار لا يزيد عمقها التاريخي عن الألف الثالث قبل الميلاد. أي أن الانسان في هذه الجزيرة كان يعيش بكل أفراحه وأتراحه أينما تكون الماء وتكون الخضرة وتكون الحياة.

وبالمناسبة فإن هذه المنطقة من أكثر المناطق خصباً في الجزيرة العربية خاصة أنها الطرف شبه النهائي لوادي السرحان وتقع في الجرف الذي يلتقط المياه والذي ترى فيه اخضرارا واضحاً أينما ذهبت في هذه المنطقة.

دخلتْ هذه المنطقة بعد حوالي الألف الثالث قبل الميلاد في مرحلة تاريخية، ونقصد بالمرحلة التاريخية تلك الفترة التي بدأ فيها الانسان يكتب، عندما بدأ الانسان يكتب.. بدأ التاريخ، بدون كتابة لا تاريخ حتى في مجاهل افريقيا، حتى في مجاهل أمريكا الجنوبية، قبل أن يبدأ الانسان في الكتابة حتى لو قبل ٦٠٠ سنة هو لا زال في مرحلة ما قبل التاريخ ، التاريخ هو الكتابة.

عندما بدأ الانسان يكتب في وادي الرافدين وفي وادي النيل بدأت حركة التاريخ فيهما. ولكن نحن لا نعرف حتى الآن متى بدأ الانسان يكتب في الجزيرة العربية، متى بدأ الانسان يؤرخ في الجزيرة العربية، تلك الفترة من الفترات العويصة أو نقطة من النقاط الصعبة التي لم يستطع العلماء أن يحددوها حتى وقت متأخر بالنسبة للجزيرة العربية، نعرف متى بدأ يؤرخ في بلاد الشام ووادي النيل ولكن بالنسبة للجزيرة العربية لا نعرف متى كان ذلك، ولكن من خلال الكتابات الموجودة في جنوب الجزيرة العربية استطعنا أن نضع تاريخاً مبدئياً ورغم شكنا فيه إلا أنه من المحتمل أن يكون الانسان في الجزيرة العربية بدأ يكتب منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد وربما بعد ذلك، لكن المشكلة التي تواجهنا هي أن الكتابة في جنوبي الجزيرة العربية بدأت متكاملة، والانسان عندما يبدأ يكتب لابد أن يمر بمراحل في محاولاته حتى يستطيع أن يصل إلى هذه النماذج الجميلة من الحروف والأشكال الهندسية، المربعة - المستطيلة - المعينات وغيرها.

ما هي المراحل التي مر بها الانسان العربي حتى وصل إلى هذا التكوين الكامل والأبجدية المتكاملة في الجزيرة العربية؟.

من المعتقد أن شمال الجزيرة العربية كان هو الموطن، لماذا؟ لأنا وجدنا حضارة جنوب الجزيرة العربية حضارة متكاملة، اذن أين كانت البدايات التي بدأ انسان الجزيرة العربية يسجل فيها تاريخه ويقوم بأدواره الحضارية؟.

في اعتقادي أن هذه المنطقة هي التي تقع شمال «رملة عالج» حتى تيماء والعلا والحجر حتى خليج العقبة، وفي وادي رم في الاردن تلك كانت هي المنطقة أو المناطق التي شهدت بدايات الحضارات الأولى. في مطلع النصف الأول من الألف الأول ق.م كانت هناك ملكات في شمال الجزيرة العربية وتعرفنا على خمس أو ست منهن كن يحكمن في شمال الجزيرة العربية لم نجد ملكة واحدة في جنوب الجزيرة العربية. هؤلاء الملكات كن يحكمن في فترة تسبق نشأة الممالك في جنوب الجزيرة العربية. نشأت الممالك المعروفة في جنوب الجزيرة العربية حسب آخر تحديد زمني في القرن الثامن قبل الميلاد على خلاف بين المؤرخين وربما بعد ذلك. في حين نجد أن الملكات في شمال الجزيرة يعود تاريخهن الى حوالي القرن التاسع قبل الميلاد. كنا نجد ملوك آشور وبابل يأتون الى شمال الجزيرة العربية في حملات متلاحقة لغزو هذه المنطقة، ويهدمونها ويأسرون ملكاتها ويأخذونهن بأقفاص

من ذهب ويطوفون بهن في شوارع نينوى في العراق ثم بعد فترة من زمن يعدن إلى أماكنهن ثم يأتون في حملة أخرى.

وقد سجلت الألواح الآشورية حوالي ست أو سبع غزوات متوالية من ملوك آشور وبابل الى الجزيرة العربية.

لماذا الجزيرة العربية؟ لماذا شمال الجزيرة العربية ومن وادى الرافدين؟.. التجارة.. الرزق.

شمال الجزيرة العربية وشمال غرب الجزيرة العربية كان هو عنق الزجاجة للاقتصاد التبادلي بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها فكان من قبض على دومة الجندل قبض على كل القرى الموجودة بعدها. لذا كانوا يقولون إذا سقطت دومة الجندل سقطت كل القرى الموجودة حتى يثرب وهذا ما حصل فعلا. لذلك نجد أن الآثار الموجودة في دومة الجندل هي من أقوى الآثار، ولذلك سميت الجندل (دومة الجندل) والجندل هو الصخر أي بنيت من الصخر لتكون هي الخط الاول للدفاع عن التجارة في الجزيرة العربية.

عندما جاء (نبونيد) في القرن السادس قبل الميلاد دخل دومة الجندل ثم اتجه الى تيماء وقتل عشرين ألفا من رجالها وبنى قصره وعاش عشر سنوات ووصل الى يثرب كما يزعم - وكانت يثرب ضمن المستعمرة البابلية في ذلك الوقت - واستمر عشر سنوات ثم لظروف سياسية في العراق عاد اليها. عندما قبض على دومة قبض على يثرب لأن الاقتصاد اليثربي هو شريان حياة الجزيرة العربية. ولذا نجد أن هناك صراعاً بين وادي الرافدين ووادي النيل للقبض على طريق التجارة في الجزيرة العربية.

فإذا ما توقفت حملات وادي الرافدين جاءت حملات مصر، ولكن حملات مصر التى سجلت وعرفت حتى الآن جاءت متأخرة في الفترة البطلمية خلال القرن الثالث قبل الميلاد وما بعده.

إذ كان هناك صراع بين الأدوميين وبين الأنباط من جهة وبين حكام وادي النيل في ذلك الوقت من جهة أخرى.

لعلكم تتصورون معي أن مدينة هذا هو حجمها السياسي والاقتصادي في شمال الجزيرة العربية، لابد أنها كانت من الثراء ومن القوة ما يمكنها أن تصمد أمام هجمات الآشوريين والبابليين. ولذلك ففي اعتقادي أن منطقة الجوف بكاملها (دومتها والمدن الأخرى فيها) كانت تعج بالحركة الاقتصادية والتجارية والثقافية أيضا. ولذلك فما وجدناه من كمية من الكتابات المسجلة من الفترة التاريخية سواء أكانت كتابات بالقلم المسند أم كتابات نبطية أم كتابات القوافل، تعطينا معلومات عن الحياة الاجتماعية والثقافية التي كانت موجودة في هذه المنطقة. إن الشيء الذي حاولت بسطه أمامكم الليلة ما هو إلا معلومات حاولت أن ألخصها عن فترة ما قبل الميلاد. أما عن فترة قبيل الاسلام أو فترة ما بعد الميلاد فقد كانت دومة الجندل أيضاً منطقة استراتيجية في الصراع الدولي بمسمى ذلك العصر. ولذلك نجد أن سوق دومة الجندل هي من الأسواق المهمة، فعندما تكون القوة في ميزان المناذرة كانت كنده هي التي تسيطر على السوق ويمثلها.. السكونيون، وإذا كان العكس كانت قبيلة أخرى مثل كلب هي التي تسيطر على السوق. ولذلك كان السوق الذي يستمر حوالى شهر في دومة الجندل محل قوة وسطوة، من يبدأ أولا؟ من يأخذ الرسوم؟ من يبيع ويشتري قبل الآخر؟ كل هذه الأشياء تأتي حسب القوة السياسية الموجودة في ذلك العصر.

ففي تصوري آن القبائل العربية كما كانت تتنافس في سوق عكاظ لابد أنها كانت أيضا تتنافس في سوق دومة الجندل.

ودومة الجندل بحكم أنها على الحدود كانت تجرى فيها بعض الأشياء التي لم تكن مستحبة كثيراً عند العرب ولكنها سجلت. وهي مظهر من مظاهر الانفتاح في ذلك العصر. ومن الأشياء التي ذكرت في دومة الجندل أيضاً أنها نقلت الكتابة وتطورت فيها دون بقية بلاد العرب ثم علمت أهل مكة كيف يكتبون. وهذه مما تذكر ضمن مفاخر دومة الجندل أي أنه عن طريقها تعلم المكيون الكتابة. وعلى الرغم من علامات الاستفهام التي توضع وبشدة على هذه المقولة الا أننا يمكن أن نقول لابد أن يكون سكان دومة الجندل أو سكان الجوف كانوا يكتبون ويقرأون، وهذا ما تدل عليه الكتابات المسجلة على سفوح الجبال وعلى الصخور وكأن ليس همهم الا أن يكتبوا وليس هم الأخرين الا أن يقرأوا.

إن مقولة أن أهل دومة الجندل كانوا يقرأون ويكتبون شيء نسلم به، وأما أنهم علموا أهل مكة ذلك فهذا ما نتوقف عنده من هو ذلك الشخص الذي علم أهل مكة؟ هو بشر بن عبد الملك شقيق الأكيدر الذي ذهب إلى الحيرة في العراق وتعلم الخط العربي من أهلها، ثم أتى إلى مكة وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي. رآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. فسألاه أن يعلمهما الخط.

هنا نقف. سفيان بن أمية وأبو قيس بن عبد مناف يسألان بشر بن عبد الملك أن يعلمهما الخط، يجب أن نتساءل أولا هل هناك معاصرة بين الاثنين؟ هذا ما يجب أن نتحقق منه.

الشيء الآخر سفيان بن أمية سيد من سادات قريش يطلب من عربي يأتي من شمال الجزيرة العربية أن يعلمه الخط كيف يكون هذا وخاصة أن مكة قد وصلت إلى أوجها الاقتصادي وأوجها المالي وأوجها الفكري إذ لابد أن تكون في ذلك العصر قد استخدمت الكتابة. ولذلك كان النبي الأمي ومعجزته الانتساب للأمية في مجتمع يقرأ، هو مجتمع قريش.

فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ثم أراهما الخط فكتبا. وفي ذلك قال شاعر من دومة الجندل موجها كلامه إلى أهل مكة معرباً عن فضل أهل دومة الجندل عليهم من جهة تعليمهم الكتابة:

فلا تجحدوا نعماء بشر عليكمو
فقد كان ميمون النقية أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو
من المال ما قد كان شيئا مبعثرا
وأتقنتموا ما كان من المال مهملا
وأطمنتم ما كان منه منفراً
فاجمعتم الأقلام عودا وبدأة
وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتم عن مسند الحي حميراً
وما زبرت في الصحف أقبال حميرا

البيت الأخير: هذا مهم جداً رغم ما فيه من افتئات، معنى ذلك أن مكة إلى فترة قصي كانت تكتب الخط الحميري أما ما بعد قصي فقد بدأت تكتب بخط الشمال. من أين جاءها خط الشمال؟ هذه قصة أخرى:

مما يبدو لي أن الأنباط الذين سقطوا تحت سيطرة الرومان سنة ١٠٦ ميلادية نزحوا للجنوب فوجدوا في مكة والكعبة موئلا لهم من سطوة الرومان الذين ضموا كل منطقة القرى

العربية حتى يثرب إلى ما أسموه: المقاطعة العربية وتمت سيطرة الدولة الرومانية.

أي أن الأنباط هربوا إلى داخل الجزيرة العربية، ولاذوا بمكة والبيت ومكة لا تستطيع أن تصل إليها أيدي الرومان لبعدها ولما حباها الله به من أمن واطمئنان لمن يلوذ بالبيت. فوجد الأنباط في مكة حمى لهم. ومن هنا انتقلت الكتابة (وكان الأنباط شعباً مثقفاً ومتعلماً) إلى مكة وانتقلت الكتابة إلى الطائف والى غيرها من المناطق وقبل ذلك كما يقول هذا الشاعر كانت مكة تكتب بالخط الحميري (الخط المسند) لا أريد أن أطيل كثيراً لكن هناك بعض الأشياء التي يمكن أن أقولها، وإن كنت أود ترك فرصة للنقاش.

في دومة الجندل (قصر مارد) من القلاع الحصينة في الجزيرة العربية، وأقدم ما وجد فيه من آثار يعود الى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد وأحدث ما فيه يعود إلى بداية المملكة العربية السعودية، أي أنها شريحة من شرائح التاريخ المتسلسل منذ ذلك العصر حتى الآن.

لو أتيتم قبل خمسة عشر عاما لوجدتم دومة الجندل غير ما هي عليه اليوم. كانت مدينة متكاملة بها سوق من أجمل الأسواق زال كثير منها، وقد حفرت فيها ادارة الآثار وأظهرت فيها نمطا من الأنماط المعمارية النبطية التي نفتقر لها في الجزيرة العربية.

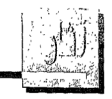
في دومة الجندل مسجد، يقول الناس عنه هنا أنه لعمر بن الخطاب، ولكنني أضع أكثر من علامة استفهام حول هذه التسمية وحول هذه النسبة. هل جاء الى هنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ عمر بن الخطاب لم تذكر له رحلة الا عندما ذهب الى بيت المقدس وعاد، عندما ذهب الى بيت المقدس ذكر المؤرخون الطريق الذي اتبعه، أما كيف عاد فهذا ما لم يذكره المؤرخون.

عودة عمر بن الخطاب من بلاد الشام الى المدينة لم تذكر في كتب المؤرخين. النمط المعماري الموجود لا يختلف عن النمط المعماري الموجود في المدينة المنورة ولا في مكة المكرمة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولا بعده هذا النمط من المآذن لم يعرف الا في دمشق.. الا في بلاد الشام عندما بدأ الأمويون يضاهون معابد النصارى في بلاد الشام فبنوا المآذن. اذن هذه المئذنة هل هي مئذنة؟ وهذا المسجد هل هو لعمر بن الخطاب أم عمر آخر؟

كنا نقول إن مدائن صالح هي مدائن نبي الله صالح، حتى جاء الشيخ حمد الجاسر وأثبت أن المسمى (صالح) ليس هو نبي الله صالح وانما هو وال من ولاة العباسيين كان في وادي القرى فسميت هذه المدائن باسمه ومن المعروف أن الاسم التاريخي لها هو الحجر.

وأنا أميل أن يكون هذا (العمر) هو عمر غير عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أو وال من الولاة الذين جاءوا الى هذه المنطقة خلال العصر العباسي أو اسم قبيلة كانت تسكن دومة وبُنيَ هذا المسجد ونُسبَ اليها فسمي مسجد عمر. الناس يقولون مسجد عمر وليس عمر بن الخطاب ولا ندري. ولعله نسبة الى بني عمرو الذين كانوا يسكنون الدومة حتى عصر قريب، وهذا هو الأقرب للقبول.

ولذلك لابد أن تعمل معاول الآثاريين في معرفة الطبقات التاريخية لهذه المئذنة أو لهذه الصومعة والمسجد بالحفر في داخله والحفر حوله حتى نعرف متى بنيت تماماً. وهذه المئذنة غير الملتصقة بالمسجد أيضا يجب أن يحدد تاريخها بشكل جيد.



الآثار الاسلامية في منطقة الجوف

بقلم:
د/ خليل بن ابراهيم المعيقل
الرياض

تعد منطقة الجوف من المناطق الأثرية المهمة في شمال الجزيرة العربية، ويعود تاريخ المنطقة لعصور سحيقة في القدم، بل ان هذه المنطقة تحتضن أقدم موقع استوطنه الانسان في الجزيرة العربية وذلك موقع الشويحطية الذي يعود تاريخه لأكثر من مليون سنة. يضاف الى ذلك عشرات المواقع الأثرية التي تعود لعصور ما قبل التاريخ المختلفة. اما خلال العصور التاريخية التي أكدت مراحل الاستيطان المختلفة التي شهدتها المنطقة خاصة خلال الألف الأول قبل الميلاد وحتى بداية البعثة النبوية، هذه المواقع الأثرية وما تحويه من شواهد بارزة فوق سطح الأرض أو أخرى مندثرة ومطمورة تعكس مرحلة تعد من أهم مراحل ازدهار الحضارة والرقي والتي تزامنت مع تطور واتساع النشاط الاقتصادي وحركة القوافل البرية التي كانت منطقة الجوف احدى أهم المحطات الرئيسة على مسار تلك القوافل. معظم الشواهد الأثرية تعود لهذه المرحلة حيث ازدهرت المدن الرئيسية في المنطقة واتسع عمرانها وازدادت أهميتها السياسية والاقتصادية مما انعكس ذلك على عملية حماية وتأمين هذه المدن عن طريق بناء القلاع والأسوار والتي لازالت بقاياها قائمة في كل من دومة الجندل وسكاكا.

مع بداية التاريخ الاسلامي كانت منطقة الجوف من أهم الواحات الواقعة في شمال الجزيرة العربية وكانت مركزاً رئيساً للقبائل العربية. أهمية هذه الواحه تنبع أولا من موقعها الاستراتيجي في نقطة وسط بين المراكز الحضارية المختلفة، جنوب وادي الرافدين وبلاد الشام من جانب ومنطقة وسط الحجاز من جانب آخر. ثانياً كونها أحد أهم المراكز التجارية في شمال الجزيرة العربية.

يضاف إلى العاملين السابقين عامل آخر يتمثل بتلك الخصائص والمقومات التي تمتاز بها المنطقة من وفرة المياه الجارية والأراضي الصالحة للزراعة وقيام حرف وصناعات محلية تلبي حاجات هذا المجتمع المتنامي، لذلك استطاع الانسان في هذه المنطقة استغلال حركة قوافل التجارة التي تتوقف في المنطقة وقام بتزويد هذه القوافل بما تحتاجه من مياه ومؤن وتبادل مع أفراد هذه القوافل منتجاته بأخرى يحتاج إليها، ومع مرور الوقت تطور دور دومة الجندل لتصبح واحدة من أهم أسواق العرب في الجاهلية.

خلال بداية الدعوة الإسلامية كانت منطقة الجوف خاضعة فعلياً لسلطة دولة الغساسنة التي كانت بدورها تحت هيمنة الامبراطورية

البيزنطية. وهذا ربما يكون الدافع الذي جعل بعض الجغرافيين المسلمين يعدون دومة الجندل شامية حيث نجد الواقدي يشير إلى غزوة الرسول {صلى الله عليه وسلم} لدومة الجندل على أنها أول محاولة للرسول {صلى الله عليه وسلم} والمسلمين لفتح الروم.

اهتمام الرسول {صلى الله عليه وسلم} بمنطقة الجوف جاء مبكراً حيث قاد بنفسه {صلى الله عليه وسلم} غزوة كانت موجهة ضد دومة الجندل وخرج الرسول {صلى الله عليه وسلم} وصحبه في الخامس والعشرين من ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة وعاد من دومة الجندل إلى المدينة في العشرين من شهر ربيع الآخر من نفس السنة.

غزوة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تعد أطول غزواته {صلى الله عليه وسلم} من حيث بُعْد المسافة وكان من أهداف هذه الغزوة كما أشار إليها الواقدي رغبة الرسول {صلى الله عليه وسلم} أن يقترب من حدود الشام لأن دومة الجندل تعد تابعة لبلاد الشام، هذا ربما يفزع الامبراطور البيزنطي. كذلك ذكر سبباً آخر لهذه الغزوة يتمثل في وجود جمع كبير من الناس في دومة الجندل وكان هؤلاء يعتدون على التجار المتجهين نحو المدينة. سار رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نحو دومة الجندل وكان معه دليل من بني عذرة يسمى مذكور، ولما دنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من دومة الجندل وأصبح على مسافة مسيرة يوم أو ليلة ذهب دليله مذكور يستطلع المنطقة المحيطة بدومة الجندل وعندما عاد أخبر الرسول {صلى الله عليه وسلم} بخبر القوم.. وعندما وصل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} دومة الجندل ونزل بساحتهم لم يجد بها أحداً ومكث بها أياماً وعاد إلى المدينة، أحداث هذه الغزوة التي أوردها الواقدي بالتفصيل تؤكد أن الهدف الرئيسي لهذه الغزوة هو العمل على فتح الدولة البيزنطية، وقد تحقق هذا الهدف بوصول الرسول {صلى الله عليه وسلم} إلى دومة الجندل ، لذا يعتقد أن هذه الغزوة تمثل مقدمة لاحتكاك المسلمين المباشر مع الروم (البيزنطيين) في السنوات التالية في غزوة تبوك.

بعد سنة تماماً من غزوته {صلى الله عليه وسلم} إلي دومة الجندل أرسل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على رأس سرية إلى دومة الجندل كان هدفها دعوة أهل دومة الجندل للاسلام، بعد وصول ابن عوف إلى دومة الجندل مكث ثلاثة أيام يدعوهم للاسلام وفي اليوم الثالث استجاب أحد شيوخهم الأصبغ بن عمرو الكلبي للاسلام وقد كان نصرانياً وأسلم معه نفر من قومه، كتب عبد الرحمن بن عوف إلى الرسول {صلى الله عليه وسلم} كتاباً يخبره بذلك ويستأذنه الزواج منهم، رد عليه الرسول {صلى الله عليه وسلم} كتاباً يأمره بالزواج من تماضر بنت الأصبغ، ففعل عبد الرحمن وأتى بها المدينة وولدت له أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، يتضح من سياق وأحداث هذه السرية أنها كانت موجهة إلى دعوة أهل دومة الجندل للاسلام ولم يكن لها أهداف سياسية أو عسكرية.

في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة وخلال غزوة تبوك بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خالد بن الوليد من تبوك على رأس أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك ملك دومة الجندل، كان هدف هذه السرية أكيدر صاحب دومة الجندل، وهذا اتضح من تعليمات الرسول {صلى الله عليه وسلم} التى وجه بها خالد بن الوليد للظفر بأكيدر حياً واحضاره إلى

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} استطاع خالد أسر أكيدر بن عبد الملك وقدم به المدينة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الذي صالحه على الجزية وكتب له ولأهل دومة كتاب صلح وأورد نصه الواقدي، هذه السَّريَّة حققت الهدف الذي بعثها الرسول {صلى الله عليه وسلم} من أجله وهو خضوع دومة الجندل تحت سلطة الدولة الإسلامية.

خلال خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه نقض أكيدر ملك دومة الجندل العهد ورفض دفع الجزية التي كان يؤديها لرسول الله {صلى الله عليه وسلم}، لذلك بعث أبو بكر الصديق عياض بن غنم على رأس سرية لفتح دومة الجندل، لكن هذه السرية لم تستطع تحقيق هدفها بسبب الأعداد الكبيرة من القبائل التي وفدت لنصرة دومة الجندل. ونظراً لهذا الوضع كتب أبو بكر الصديق كتاباً لخالد بن الوليد الذى كان بعين التمر يأمره بالتوجه صوب دومة الجندل لمساعدة عياض بن غنم، وباتجاه خالد نحو دومة أحدث خللا في تحالف القبائل العربية التي وفدت لنصره أهل دومة، لأن أكيدر عندما علم بمسيرة خالد حاول اقناع القبائل العربية بالتصالح بدلا من الحرب لخوفه من الهزيمة المحققة على يد خالد بن الوليد، وهذا ما حدث فعلا حيث استطاع خالد وعياض هزيمة الجمع، وفتح حصن دومة الجندل وقتل من فيه من الرجال، وبذلك طويت صفحة من تاريخ المنطقة ودخلت منذ تلك اللحظة تحت سلطة المدينة المنورة والدولة الإسلامية، وقد أحدث هذا الفتح تغيراً ملحوظاً في أوضاع المنطقة التي دانت بالإسلام وأصبحت جزءاً مهماً من أراضي الدولة الإسلامية، بعد هذا التاريخ سكتت المصادر الإسلامية عن ذكر دومة الجندل حتى سنة ثمان وثلاثين، وهي السنة التي اجتمع فيها الحكمان بدومة الجندل للنظر في قضية خلاف علي ومعاوية رضوان الله عليهم.

وقد اختلفت المصادر في مكان التحكيم ففي حين تذكر معظم المصادر أن دومة الجندل هي المكان الذي اجتمع فيه الحكمان ترى أخرى أن موقع أذرح في جنوب بلاد الشام هو موضع التحكيم، من خلال استعراض الآراء المطروحه خاصة تلك التي تتعلق بموقع دومة الجندل المتوسط الذي يقع على مسافات متساوية من دمشق والكوفة وبالنظر لموقع أذرح القريب جداً من دمشق فانه من غير المتوقع أن يرضى عليّ بارسال أصحابه إلى منطقة نفوذ معاوية، وبالتالي فان هذا يجعل دومة الجندل المكان المناسب من حيث موقعها الجغرافي المتوسط وكذلك حيادها السياسي.

بعد أحداث قضية التحكيم صمتت المصادر عن ذكر أية معلومات عن دومة الجندل وهذا الوضع ينطبق على عدد كبير من المستوطنات والمدن الواقعة في الجزيرة العربية وكان هذا محصلة لانتقال مركز السلطة السياسية من داخل الجزيرة العربية إلى خارجها وأصبح الاهتمام منصباً فقط على الحرمين الشريفين وما عدا ذلك لم يهتم الكتاب بتتبع التاريخ المحلي للمدن والمستوطنات الداخلية.

الآثار الاسلامية في المنطقة:

تمثل الآثار التي تعود للعصور الاسلامية المختلفة أبرز آثار المنطقة، حيث إن معظم الآثار البارزة فوق السطح تعود للعصور الاسلامية باستثناء قلعة مارد التي انشئت قبل الاسلام وظلت مستخدمه معظم العصور الاسلامية حتى وقت قريب جداً. كثافة الآثار الاسلامية وتنوعها جعلت المنطقة من أهم المناطق الأثرية الاسلامية

في المملكة العربية السعودية وأصبح لهذه المواقع الأثرية مكانة مميزة وبارزة في أوساط الدارسين والمهتمين في الآثار الاسلامية.

تتميز الآثار الاسلامية بعدة ميزات أهمها تنوع هذه الآثار حيث تحتوي المنطقة على عدد من المساجد الأثرية أبرزها مسجد عمر بن الخطاب الذي يعد من أقدم المساجد الأثرية وأهمها في المملكة العربية السعودية. كذلك هناك مدينة دومة الجندل القديمة التي تعتبر من أهم المدن العربية الاسلامية في المملكة نظراً لأنها حافظت على أبرز خصائص المدينة العربية القديمة وكذلك نظراً لطبيعة الجزء المتبقي من المدينة والذي لازال قائماً في وضع جيد يعكس لنا نمط تخطيط المدينة القديمة وعلاقة هذا التخطيط بالظروف البيئية والمناخية، أما في مدينة سكاكا فلا زالت أجزاء بسيطة من بقايا المدينة الاسلامية باقية وهذه تتمثل في قلعة زعبل المطلة على المدينة من الجهة الشمالية، يضاف إلى ذلك قصر صغير يقع إلى الغرب مباشرة من قارا وهو قصر القدير الذي يعود بناؤه إلى سنة ٥١٨هـ.

أما الآثار الخطية التي تعود للعصر الاسلامي فتتمثل بعدد كبير من النقوش العربية التي يفوق عددها المئة، هذه النقوش تنتشر في مواقع مختلفة من المنطقة ويؤرخ أقدمها لسنة ١٢١هـ.

مدينة دومة الجندل الاسلامية:

قبل أن نتطرق للآثار الاسلامية في دومة الجندل لابد أن نشير إلى نقطة مهمة جداً يغفلها كثير من الدارسين للمدن الاسلامية في الجزيرة العربية ، هذه النقطة تتمثل بمدى تأثر المدن الاسلامية في الجزيرة العربية بالمدن القديمة خاصة في حالة استمرار المدينة في كلا العصرين كما هو وضع دومة الجندل، نشأت المدن العربية القديمة وتطورت عبر قرون عديدة استطاع الانسان خلالها التكيف مع الظروف المختلفة المحيطة به، هذه الظروف انعكست على وضع المدن من الناحية التخطيطية والمعمارية، حيث استطاع الانسان أن يطور نماذج تخطيطية تتلاءم مع ظروف المكان وبالتالي فان تطور المدن مع تلك الظروف ساعد على الوصول إلى نمط لتخطيط المدينة العربية القديمة تغلب فيه الانسان على ظروف المناخ الصعبة، هذا التخطيط لم يتغير كثيراً خلال العصر الاسلامي بل إن كثيراً من مقومات ذلك التخطيط ظهرت في تخطيط المدينة الاسلامية مع اضافة بعض التعديلات فيما يتعلق بعلاقة المسجد بالتكوينات المعمارية الأخرى ونمط تخطيط المنازل الذي تأثر بتعاليم الدين الاسلامي الذي حدد علاقة الجوار واستقلالية المسكن وحماية أسراره. هذا الوضع ينطبق على تخطيط مدينة دومة الجندل في عصورها المختلفة.

يعتمد تخطيط مدينة دومة الجندل على منطقة مركزية يتوسطها مسجد عمر بن الخطاب وتحف بها قلعة مارد من الجهة الجنوبية، أما المنطقة السكنية الرئيسة فتقع إلى الشمال والغرب من المسجد ويمثلها حي الدرع، الذي لازالت أجزاء كبيرة منه قائمة، أما الجزء الآخر من المنطقة السكنية فيقع إلى الشرق من قلعة مارد في تلك المنطقة التي تتخللها تلول أثرية وآبار مياه هذا الجزء من المدينة مندثر ويظهر على السطح بقايا لمساكن تمتد لمسافة بعيدة باتجاه الشرق ويتوسط هذه المنطقة بقايا مسجد أثري صغير.

الأجزاء الأخرى من مدينة دومة الجندل تقع ضمن حدود سور دومة الجندل الذي يماثل وضع المدينة (يثرب) قبيل الهجرة النبوية، حيث كان نمط الاستيطان عبارة عن أحياء متفرقة صغيرة

الحجم، كان بتوسط [illegible] ـزارع النخيل التي تنتشر في الوقت الحاضر في الجهات الغربية والشمالية والشرقية.

قلعة مارد في العصر الإسلامي:

أثبتت المصادر التاريخية والأدلة الأثرية أن قلعة مارد التي يعود بناؤها إلى عصر ما قبل الاسلام استمر استخدامها خلال العصور الاسلامية المختلفة، وقد أشارت المصادر الاسلامية أن خالد بن الوليد خلال مرحلة فتح دومة الجندل قام بكسر باب القلعة بسيفه، وكان هذا الحدث نهاية للشرك والضلال وبداية لدخول منطقة الجوف في الدولة الاسلامية.

آثار القلعة المعمارية تشير إلى مراحل بنائية مختلفة مرت على القلعة كان آخرها الترميم الذي قام به ابن شعلان في حدود سنة ١٩٢٢م، وإن استخدام القلعة في العصور الاسلامية لم يغير كثيراً من وضع القلعة وتخطيطها وربما خضعت القلعة خلال تلك المراحل إلى الصيانة الدورية وإعادة الترميم وهذا يتضح من الأجزاء السفلية وبعض الجدران العلوية خاصة في الجهة الغربية التي تأكد أنها من بقايا عمارة عصر ما قبل الاسلام.

المساجد الأثرية في دومة الجندل:

تحوي دومة الجندل مسجدين قديمين الأول مسجد عمر بن الخطاب والثاني مسجد أثرى مهدم يقع إلى الشرق من قلعة مارد في وسط المنطقة السكنية المندثرة، يضاف إلى هذين المسجدين مسجد ثالث متأخر يقع داخل المبنى الملحق بقلعة مارد ويحمل كثيراً من السمات التخطيطية والمعمارية لمسجد عمر بن الخطاب، إلا أن هذا المسجد متأخر جداً.

مسجد عمر بن الخطاب:

يقع مسجد عمر بن الخطاب في وسط مدينة دومة الجندل القديمة ملاصقاً لحي الدرع من الجهة الجنوبية، ويعد من المساجد الأثرية المهمة إن لم يكن من أهمها على مستوى المملكة، وتنبع أهمية المسجد من عدة نقاط، الأولى تخطيط المسجد الذي يمثل استمرارية لنمط تخطيط المساجد الأولى، حيث إن هذا التخطيط يذكرنا بتخطيط مسجد الرسول {صلى الله عليه وسلم} في المدينة في مراحله الأولى وكذلك يشبه تخطيط المساجد الأولى التي بنيت في مدن الأمصار في كل من البصرة والكوفة والفسطاط، كذلك تبرز أهمية هذا المسجد من محافظته على نمط تخطيطه بالاضافة إلى أن المسجد لم يتعرض لإعادة بناء أو توسعة كبيرة كما حدث لكثير من المساجد في العالم الاسلامي، تخطيط مسجد عمر يعتمد على مسقط مستطيل الشكل تقريباً أطواله ٥ر٣٢ × ١٨م، يتكون المسجد من رواق القبلة الذي يحتل حوالي ثلثي مساحة المسجد، حيث تبلغ المساحة المغطاة من المسجد ٥ر٣٢ × ٢ر١٠م ويتخلل هذا الرواق ثلاثة صفوف من الدعامات الحجرية موازية لجدار القبلة، يتكون الصف الأول القريب من جدار القبلة من عشر دعامات بينما يتكون الصف الثاني والثالث من تسع داعامات.

يتوسط جدار القبلة حنيتان متشابهتان تمثلان المحراب والمنبر والمحراب الواقع على يسار المنبر أكبر حجماً من المنبر، اتساع فتحته ٨٠ سم وعمقه ١٥ر١م، بينما المنبر اتساعه ٦٥ سم وعمقه ١م ، يعلو المحراب والمنبر عقد مثلث مكوّن من كمرتين حجريتين مستندتين على بعضهما البعض بزاوية ٦٠ درجة، يتكون المنبر من درجتين وجلسة ويتصل بالمحراب عن طريق فتحة مستطيلة في الجدار الفاصل بينهما.

تنتشر علي طول واجهة جدار القبلة تجاويف

مربعة استخدمت لحفظ المصاحف والكتب الدينية. الواجهات الداخلية لجدران رواق القبلة غطيت بطبقة من اللياسة الطينية والأجزاء السفلية من هذه اللياسة طليت بطبقة من الجص.

استخدم في تغطيات المسجد سقف مستو يتكون من خشب الأثل الذي يعلوه سعف النخيل المغطى بطبقة طينية خضراء اللون.

تقع مئذنة المسجد في الركن الجنوبي الغربي للمسجد وتبرز عن مستوى جدار القبلة، قاعدة المئذنة مربعة الشكل طول ضلعها ٣م وجدرانها الحجرية تضيق إلي الداخل كلما ارتفعت إلى الأعلى حتى تنتهي بقمة شبه مخروطية، يبلغ ارتفاع المئذنة الحالي ٧ر١٢م. وقد شيدت المئذنة بكاملها من الحجارة. وتتكون المئذنة من خمسة مستويات، المستوى الأرضي والذي يمثل قاعدة المئذنة ويتكون من بناء حجري مصمت يخترقه من المنتصف ممر ضيق يؤدي إلى مدخل المنطقة السكنية، يعلو هذا المستوى أربعة مستويات أخرى يتخللها سلم حجري داخلي يتكون من ألواح حجرية محمولة على طنف حجرية تبرز عن مستوى المئذنة الداخلي. يتوقف السلم الحجري عند المستوى الثاني. أما المستويان العلويان فالوصول إليهما عن طريق سلسلة من الأحجار التي تبرز عن مستوى الجدار الداخلي. يمكن تحديد المستويات عن طريق فتحات النوافذ التي تتخلل جسم المئذنه في الاتجاهات الأربع.

تاريخ بناء المسجد ونسبته إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من القضايا التي لم تحسم لأننا لا نملك الدليل القطعي على ذلك.

دخول الجندل تحت لواء الدولة الاسلامية الناشئة في وقت مبكر واسلام عدد كبير من سكانها يجعل وجود مسجد ضرورة ملحة وبالتالي فان نسبة المسجد إلى الخليفة عمر بن الخطاب ربما لم تأت من فراغ، إلا أن المصادر الاسلامية لم تذكر شيئا عن ذلك، وبالتالي سوف تظل هذه القضية تثير المزيد من الأسئلة حتى يتسنى قيام أعمال حفر داخل المسجد قد تمدنا بأدلة مادية تحدد تاريخ بناء المسجد ومراحل استخدامه خلال العصور الاسلامية.

مسجد أثري يقع إلى الشرق من قلعة مارد:

يقع هذا المسجد إلى الشرق مباشرة من قلعة مارد في منتصف ساحة مكشوفة تتخللها تلول أثرية وبقايا مبان مهدمة، لاحظ كاتب هذا المقال في إحدى زياراته لدومة الجندل وجود بقايا كتله معمارية تمثل جزءاً من مبنى تهدمت أجزاؤه الأخرى وعند مشاهدة هذه الكتله المعمارية من جهتها الشمالية اتضح أنها تمثل جزءاً من جدار قبلة لمسجد، يتوسط هذا الجدار محراب ومنبر مشابه تماماً لمحراب ومنبر مسجد عمر.

بقية جدار القبلة وتفاصيل المسجد الأخرى مهدمة بالكامل ولم يبق منها إلا بئر قديمة يظهر أنها كانت تقع ضمن جدران المسجد وربما في احدى زوايا صحنه، إن طبيعة الجزء المتبقي من المسجد تؤكد بما لا يدع مجالا للشك قدم هذا المسجد الذي كان يخدم المنطقة السكنية المهدمة المحيطة به من جميع الجهات.

تحديد تاريخ بناء هذا المسجد لن يكون ممكناً حتى يتم حفر المسجد والمنطقة المحيطة به.

بقايا المدينة القديمة (حي الدرع):

الجزء المتبقي من المنطقة السكنية لمدينة دومة الجندل الاسلامية يتمثل الآن في حي الدرع الواقع إلى الشمال من قلعة مارد والملاصق لمسجد عمر بن الخطاب. يقع حي الدرع في وسط دومة الجندل القديمة وتحيط بالحي من الجهتين الشمالية والشرقية مزارع النخيل، بينما

تقع سوق المدينة القديمة إلى الجنوب الغربي من المباني القائمة، هدم سوق المدينة من أجزاء من حي الدرع الغربية والجنوبية قبل أكثر من عشرين عاماً ومساحة الأجزاء التي هدمت من المدينة القديمة تمثلها الساحة المكشوفة الواقعة إلى الجنوب الغربي من مسجد عمر، لذلك فمساحة الحي الحالي صغيرة قياساً الى وضع الحي قبل عملية الهدم.

منشآت الحي المعمارية القائمة تعود للعصر الاسلامي الوسيط لكنها في الوقت نفسه تقوم فوق طبقات أثرية وأساسات مبان مبكرة يعود بعضها لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد، والحفريات الأثرية التي تمت داخل هذا الحي أكدت وجود أدلة أثرية تحت مستوى أساسات المباني الحالية تعود لعصور ما قبل الاسلام، وهذا يؤكد استمرار سُكْنَى المدينة خلال العصور التاريخية المختلفة وما هذه المباني القائمة الا استمرار لمدينة دومة الجندل المبكرة.

في هذه الدراسة المختصرة سوف نركز فقط على الخصائص التخطيطية والمعمارية لما تبقى من مدينة دومة الجندل الاسلامية حيث تشير الأدلة الأثرية إلى أن نمط التخطيط وعناصر العمارة المتمثلة في هذا الحي هي الصفة الغالبة على وضع مدينة دومة الجندل بكاملها كما تظهر بوادر ذلك في بقايا منشآت معمارية تقع إلى الشرق من قلعة مارد وتحمل سمات تشابه تلك التي نراها في حي الدرع.

مداخل الحي:

مساحة حي الدرع وتوسطه تفرض وجود عدد من المداخل التي تسهل حركة السكان باتجاهات مختلفة، لذلك ربطت المنطقة الوسطى من الحي بعدد من المداخل التي تؤدي إلى أجزاء المدينة المختلفة.

من خلال وضع الحي القائم هناك ثلاثة مداخل:

الأول: يقع في الجهة الجنوبية بالقرب من مئذنة مسجد عمر، وهو المدخل الرئيسي للحي الذي يربط مساكن الحي بمنطقة السوق والمسجد والقلعة، كان هذا المدخل يمر عبر جسم مئذنة المسجد باتجاه مدخل ذي عقد دائري لازال قائماً في الوقت الحاضر.

المدخل الثاني: يقع في منتصف الواجهة الشرقية للحي في نهاية ممر ضيق يتجه من الميدان الأوسط باتجاه الشرق ويؤدي إلى مزارع النخيل الواقعة شرق الحي.

المدخل الثالث: يقع في نهاية ممر ضيق يتجه من الميدان الأوسط شمالا ويؤدي إلى مزارع النخيل الواقعة شمال الحي.

الشوارع الضيقة والأزقة:

تمثل الشوارع والأزقة الملتوية والضيقة أهم ملامح مدينة دومة الجندل القديمة، هذه الخاصية تشترك فيها معظم المدن القديمة في الجزيرة العربية وكانت إحدى المؤثرات التي فرضتها الظروف المناخية على تخطيط المدينة.

جميع شوارع وأزقة حي الدرع ملتوية وضيقة ويتراوح عرضها بين ٥ر١ - ٥ر٢م تقريباً تزيد وتنقص في بعض الأماكن ، الممر الرئيسي في الحي هو الممر الذي يربط المدخل الجنوبي (الأول) بالميدان الأوسط ذي العقود، الميدان الأوسط مثل النقطة المركزية في الحي الذي ربط بأربعة أزقة ضيقة تربط أجزاء الحي المختلفة بالمنطقة المركزية. تصميم هذه الممرات والأزقة بهذا الوضع له ميزات بيئية واجتماعية وأمنية.

الميدان الأوسط :

يقع الميدان الأوسط في قلب حي الدرع ويمثل القلب بالنسبة للحي مساحة هذا الميدان ليست كبيرة، الجزء المغطى من الميدان بمجموعة من

العقود نصف دائرية مدببة تبلغ مساحته ١٢ × ٦م. تعلو هذا الميدان ثلاثة عقود متوازية باتجاه شمال جنوب، تحمل هذه العقود سقفاً مستوياً من خشب الأثل وسعف النخيل كما تصطف على جانبي هذا الميدان مصاطب حجرية استخدمت للجلوس كما يظهر من اسطحها الملساء، يرتبط بهذا الميدان أربعة ممرات تربط أجزاء الحي المختلفة.

منازل حي الدرع :

حي الدرع أهم الأحياء السكنية القديمة بدومة الجندل، ويتكون هذا الحي من مجموعة كبيرة من المنازل ذات أحجام مختلفة. يعتمد نمط تخطيط هذه المنازل على وجود فناء أوسط أو فناءين أمامي وخلفي تفتح عليهما وحدات المنزل المختلفة. تتكون منازل حي الدرع في غالبها من دورين وفي حالات محدودة من ثلاثة أدوار، الدور الأرضي يقسم إلى قسمين، غرفة الاستقبال الرئيسية (المجلس) خاصة بالرجال ويتقدمها عادة فناء صغير الحجم ويفتح هذا الفناء على أحد الممرات أو الأزقة التي تتخلل الحي القسم الثاني من الدور الأرضي خصص لأهل الدار، وغالباً ما يتكون هذا الجزء من غرفة أو غرفتين ومطبخ معزول ومستقل في معظم الحالات، تفتح غرف هذا الجزء على ساحة خلفية كبيرة، الدور العلوي يحتوي على عدد محدود من الغرف بعضها خصص للاستخدام الصيفي وهذا يظهر من عدد النوافذ واتساعها وكبر حجم الداخل. يتقدم هذه الغرف فناء علوي مكشوف محاط بجدران بارتفاع قامة الانسان.

مدينة سكاكا في العصر الاسلامي :

أكدت الأدلة الأثرية التي وجدت في مدينة سكاكا وفي محيطها مراحل الاستيطان التي مرت بالمدينة والتي تبدأ من قرون عديدة تسبق الاسلام. عثر على بعض الأدلة الأثرية مثل وجود كسر من فخار فترة العصر الحديدي المتأخر (القرن الخامس قبل الميلاد) حول قلعة زعبل، اضافة إلى بئر سيسرا التي يعتقد أنها تعود للعصر النبطي (القرن الثالث قبل الميلاد - القرن الثاني الميلادي) يضاف إلى ذلك عدد كبير من النقوش الثمودية والنبطية التي تنتشر في مدينة سكاكا والمناطق القريبة منها. كل هذه الأدلة تؤكد أن مدينة سكاكا كانت مركزاً سكنياً مهماً في تلك المرحلة وتؤكد كذلك أن الاستيطان في المدينة لم ينقطع حتى العصر الحالي.. بقايا المدينة القديمة اختفت ولم يصل إلينا منها سوى قلعة زعبل وهذا كان محصلة لعدة أسباب منها الاستمرار السكني في المدينة الذي أدى إلى هدم المباني في عصور مختلفة وكان لضعف مادة البناء المستخدمة وهي اللبن والطين دور كبير في زوال المباني بعكس مدينة دومة الجندل التي حافظت على أجزاء من مبانيها التي شيدت من الحجارة.

أشار ياقوت الحموي الذي توفي سنة ٦٢٦هـ إلى مدينة سكاكا وذكر أنها احدى القرى التي منها دومة الجندل وذكر أنه كان يحيط بسكاكا سور كما لدومة الجندل لكن سور دومة الجندل أكثر تحصينا. هذه الاشارة تعد أقدم ما وصلنا عن سكاكا في العصر الاسلامي، ولا شك أن لهذه المعلومات أبعاداً كثيرة يمكن أن نبني عليها بعض الآراء حول وضع المدينة خلال العصور الاسلامية المبكرة. فالاشارة لوجود أسوار لمدينة سكاكا في نهاية القرن السادس الهجري تؤكد أن المدينة كانت مزدهرة معمارياً لأن الأسوار غالباً ما تنشأ في مرحلة ازدهار المدن وتوسعها عمرانياً مما يجعل حماية هذه المنشآت أمراً ملحاً. والآثار المعمارية فيها اختفت تماماً ربما

نتيجة لتلك الظروف التي أوردناها أعلاه.

قلعة زعبل :

تقع قلعة زعبل في الطرف الشمالي لمدينة سكاكا، وتقف فوق قمة مرتفع صخري معزول تطل على مدينة سكاكا الواقعة إلى الجنوب منها، يرتفع مستوى القلعة عن الأرض المحيطة بمقدار ٢٥ متراً، وهذا الارتفاع جعلها موقعاً مهماً حيث استخدمت القلعة للمراقبة والدفاع عن المدينة.

شيدت قلعة زعبل من الحجر الرملي والطوب اللبن بطريقة غير متقنه مقارنة مع عمارة قعلة مارد. ومخطط القلعة يأخذ شكلا غير منتظم حيث اتخذ مسقط القلعة شكل قمة المرتفع الصخري. طول القلعة ٥٠ متراً وعرضها يتراوح بين ١٧ ،٢٠ متراً. تحف بأركان المبنى أربعة أبراج دائرية أكبرها البرج الملاصق لمدخل القلعة الواقع في الواجهة الجنوبية. أما التكوين الداخلي للقلعة فيتكون من ساحة مكشوفة تحيط بها الأسوار والأبراج الأربعة. في منتصف الساحة من الجهة الشمالية توجد غرفة وحيدة منفصلة ذات مسقط شبه دائري، هذه الغرفة بنيت فوق مرتفع صخري صغير أعلى من أبراج القلعة إلى يسار المدخل وملاصقة للسور الداخلي توجد غرفة مستطيلة ذات مدخل يفتح باتجاه الشمال ويقع على جانبي هذا المدخل نافذتان.

القلعة محاطة بسور خارجي، يتصل بالأبراج. أساسات هذا السور والتي شيدت من الحجر الرملي حتى ارتفاع ١م ، أما الأجزاء العلوية من الأسوار فاستخدم في بنائها الطوب اللبن. ارتفاع أسوار القلعة ٢ ـ ٢٫٨٥م وسماكة جدرانها ٦٠ ـ ٧٠ سم.

يصعب تحديد تاريخ بناء القلعة بشكل دقيق في غياب دليل مادي أو نص كتابي يحدد بشكل قاطع تاريخ البناء. الأدلة الأثرية التي وجدت حول القلعة والتي يعود أقدمها للقرن الخامس قبل الميلاد، اضافة إلى عثور كاتب المقال على أنماط من الفخار العباسي في سفح المرتفع الصخري الذي تقوم عليه القلعة، هذه الأدلة تشير الى احتمالية إرجاع تاريخ القلعة ليس فقط للعصر الاسلامي المبكر بل ربما لعصر ما قبل الاسلام.

قصر القدير إلى الغرب من قارا :

يقع هذا القصر إلى الجنوب من سكاكا وإلى الغرب مباشرة من قارا بني القصر على الحافة الشرقية لسلسلة الجبال الواقعة غرب قارا. المبنى صغير جداً وغير منتظم مساحته حوالي ٧ × ٥ر٦م يتكون مخطط المبنى من برج كبير يقع في الجزء الشمالي الغربي وآخر صغير يقع في الركن الجنوبي الشرقي تنحصر بين البرجين مساحة مكشوفة يقسمها جدار أوسط إلى قسمين. بنيت جدران المبنى على سفح صخري، تبلغ سماكة هذه الجدران ٣٠ ـ ٤٠ سم وارتفاعها يتراوح بين ٨٠رم ـ ٢م. المدخل الوحيد للمبنى يوجد في الواجهة الجنوبية الشرقية ويمكن الوصول إلى مدخل المبنى عن طريق درج شيد محاذياً لسطح الجبل. استخدم في بناء هذا القصر أحجار رملية مجلوبة من الجبال المحيطة وبني بطريقة بدائية غير متقنة.

أهمية هذا المبنى تنبع من وجود نقش كتابي يؤرخ لهذا البناء وجد على أرضية صخرية تقع مباشرة إلى شمال المبنى بمسافة حوالي أربعة أمتار. قراءة هذا النقش كالتالي:

١ ـ قام حماد بن كعب في عمارة هذا البيت.
٢ ـ سنة ثمنية عشر وخمسمائة.
٣ ـ وكتب بريك بن جبر غفر الله له ذنوبه.
٤ ـ أول يوم من المحرم.

يؤرخ هذا النقش بناء القصر لليوم الأول من شهر محرم سنة ٥١٨هـ وحدد الشخص الذي قام بانشاء هذا المبنى وهو حماد بن كعب.

المبنى مهم جداً لكونه يحمل نصاً تأسيسياً، وهو المبنى الوحيد في المنطقة الذي يؤرخ بشكل قاطع. وإلى الشمال من المبنى وعلى مسافة ٢٠٠م تقريباً لوحظت بئر قديمة وإلى الشمال منها توجد بعض الأساسات الحجرية التي تنتشر على مساحة محدودة، أما الفخار الملتقط من هذا الموقع يشير الى فترة القرن السادس - السابع الميلادي مع وجود بعض كسر الفخار الأموي. هذه الأدلة أقدم بكثير من البناء القائم.

الآثار الخطية (الكتابات الاسلامية) :

تنتشر في منطقة الجوف أعداد كبيرة من النقوش الاسلامية المبكرة في مواقع مختلفة من المنطقة، وقد تم تسجيل أكثر من ١٢٠ نقشاً معظمها يتركز في قارة النيصة غرب مويسن وجبل الحماميات، والقرعاء غرب سكاكا، وموقع القدير غرب قارا. معظم هذه الكتابات دونت بالخط الكوفي البسيط. تقسم هذه النقوش حسب مضامينها إلى أربع مجموعات. المجموعة الأولى تحوي مضامين ذات صبغة دينية مثل طلب المغفرة والرحمة واعلان الشهادة. المجموعة الثانية عبارة عن نصوص ذات صبغة تجديفية المجموعة الثالثة عبارة عن نقوش تذكارية. أما المجموعة الرابعة فهي عبارة عن نقوش تأسيسية تؤرخ لمبنى. وأقدم هذه النقوش وأهمها نقش مؤرخ لسنة ١٢١هـ وهذه النقوش مهمة في دراسة تطور الكتابة العربية خلال العصر الأموي.

نقش من قارة النيصة:

عثر على هذا النقش على الواجهة الصخرية الغربية لقارة النيصة إلى الغرب من قصر مويسن. يتكون هذا النقش من تسعة أسطر وكتب بخط كوفي بسيط ومؤرخ بسنة ١٢١هـ. يعد هذا النقش أقدم النقوش العربية المؤرخة التي وجدت في منطقة الجوف.

قراءة النقش :

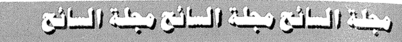
١ - بسم الله الرحمن الرحيم.
٢ - اللهم اغفر للاحارث.
٣ - بن صاغر ما تقدم من ذ.
٤ - نبه وما تأخر امين ثم ا.
٥ - مين رب محمد وا.
٦ - برهيم رب العلمين و.
٧ - كتب في وحدة و.
٨ - عشرين وماية سنة.
٩ - ان الحكم لله.

المصادر والمراجع:

البلاذري، الامام ابي الحسن.
فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ الحموي، ياقوت.
معجم البلدان، بيروت، دار صادر، دار بيروت ١٣٧٤م.
الجاسر ، حمد
في شمال غرب الجزيرة ، الرياض، دار اليمامة ١٣٩٠هـ
السديري، عبد الرحمن بن أحمد.
الجوف - وادي النفاخ، الجوف، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية.
ابن سعد.
الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، دار بيروت ١٣٧٦هـ .
الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير.
تاريخ الرسل والملوك، حققه م.ج. دي جوج، ليدن، ابريل، ١٩٦٤م.
المعيقل ، خليل بن ابراهيم.
«مسجد عمر بن الخطاب بدومة الجندل» مجلة جامعة الملك سعود (الآداب «١») المجلد السادس، ١٤١٤هـ، ص ١٩٥ - ٢١٦.
المعيقل ، خليل بن ابراهيم.
«نقشان عربيان مبكران من سكاكا «مجلة الدارة»، العدد الثالث، السنة التاسعة عشرة ١٤١٤هـ.
«الاستيطان الحضاري في منطقة الجوف منذ أقدم العصور» الجوبة، العدد الأول نوفمبر ١٩٩٠م.
ابن هشام، ابي عبد الملك بن هشام المعافري.
السيرة النبوية لابن هشام، قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرءوف سعد، القاهرة، مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون، ن.د.
الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد.
كتاب المغازي حققه مارسدن جونس، لندن، مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦م.

King, G.R.A Mosque Attributed to UMar b. al-Khattab in Dumat Al - Jandal inal - gawſ, Saudi Arabia, Gras" 2, (1978) 109 - 23.
The Historical Mosques cf Saudi Arabia, London and Now York , Longman, 1986.
Al - Muaikal, K.i.
Study of The Arachacology of The Jawf Region, Riyadh, King Fahd National Library Publications, 1994
Wallin, G.A.,
Travel in Arabia (1845 and 1848) Cambridge Falcon Oleander, 1979.





٩٩

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقرىء الملامح ويرسم اللوحة



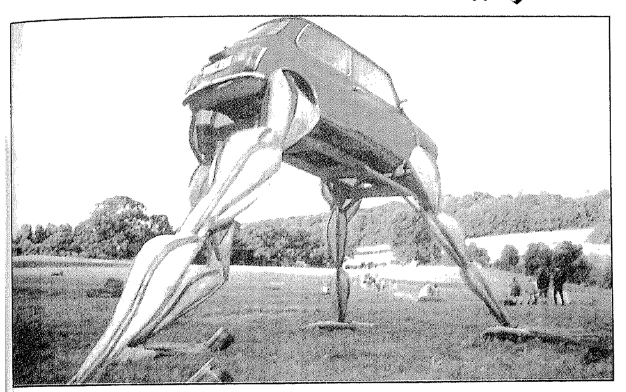


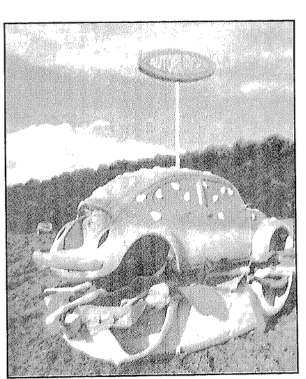


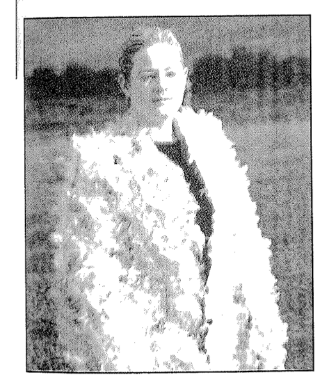
في هذا العدد من

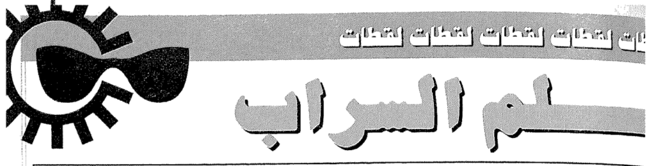
السائح

البيئة .. الحـ

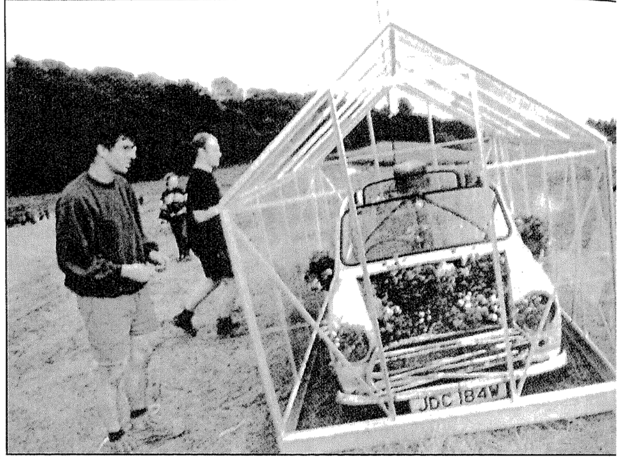








حلم السراب



في المدن الكبرى في كل أنحاء العالم أصبح الناس يحلمون باستنشاق هواء نقي غير ملوث بعوادم السيارات، وأدخنة المصانع.

الهواء النقي، والجو الهادىء الخالي من الضجيج، والانوار الساطعة.. إنه الحلم الاكبر الآن.. وما فتيء الإنسان يأسف علي شيء صنعه بيده أسفه على صناعة الضجيج والتلوث.

وفي محاولة لتقريب (حلمه) الجميل هذا إلى نفسه صنع الانسان صنعاً (موازياً) أسماه (أصدقاء البيئة).

إنها محاولة لإصلاح ما أفسده الانسان نفسه.. ولعله ينجح.. وإلا - على أقل تقدير - لينام في ظل هذا الحلم الجميل.

هذا الذي نراه، معرض فني لـ (أصدقاء البيئة) استخدموا فيه كل ابداعاتهم الفنية للتعبير عن مدى سخطهم على تعديات الانسان على البيئة.

والمناسبة هي أن إحدى الوكالات البريطانية كانت قد بدأت في انشاء المرحلة الثانية لاحدى الطرق السريعة، فكان هذا المعرض لتذكير الناس بأخطار السيارات.

ولعل أطرف ما في هذا المعرض هذا (البيت الزجاجي) الذي يقيم في داخله أناس وزهور وسيارة، في تعبير صريح لهروب الانسان من هذا الجو القاتل ليحتمي في هذا البيت الزجاجي.

الهدوء.. الراحة.. الصحة.. هل ستبقى كل هذه مجرد حلم في بيئة نظيفة.. انه الحلم السراب.

السياحة، قراءة ذكية للشعوب ، عاداتهم ، أعرافهم ، تقاليدهم ، في المسكن والملبس والمأكل.. في السلوك والمعاملات .. في الجماعات والافراد. في أديانهم وعقائدهم وطقوسهم .. كل ذلك يعطي صورة حقيقية عن طبائع البشر ومعطيات حياتهم.

هذه حلقات متتالية للأستاذ العبودي، مشاهدات وقراءات وتأملات في شعب فيتنام.

إلى المسجد المبارك :

انتقلنا في وسط المدينة مع شوارع واسعة ذات أشجار باسقة وسوق - جمع ساق - غليظة، ومع الزحام المعتاد من الدراجات ومن الأناسي.

ووسط المدينة مُعتنى به، فالزفت جيد في أرض شوارعه وإن كانت الأرصفة فيها ليست بذاك، ومررنا فوق جسر كبير على نهر (بن دونغ) والنهر نفسه ضخم، ومع ذلك فهو ليس بالنهر الذي أسست عليه المدينة ذاك نهر أكبر منه اسمه (نهر سايقون) سوف يأتي الكلام عليه عندما نصل إليه بإذن الله.

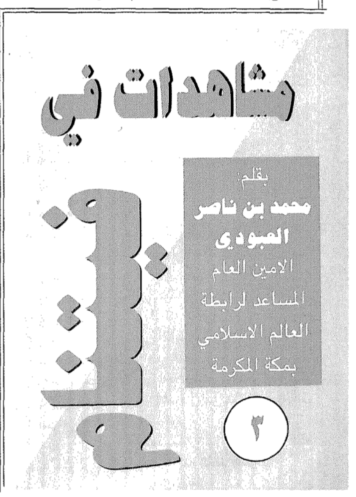
ومع وجود هذا النهر الضخم الذي يشعر بالغنى ووفرة المياه، فإن البيوت التي على ضفافه على عكس ذلك فهي بيوت من الخشب الذي اسود من القدم ومن الصفيح الذي احمر على الدهر حتى صار اللون غير البهيج هو الغالب على الجميع.

وأما البيوت التي خلف هذه البيوت الواقعة على ضفافه فإنها مبنية من الإسمنت أكثرها من طابق أو طابقين، ولكنها غير بهيجة أيضاً فأكثرها قد بهت طلاؤه وذهب رونقه.

نزلنا بعد تجاوز النهر فدخلنا في حي بيوته اسمنتية صغيرة وشوارعه أزقة ضيقة فأوقفنا السيارة ودخلنا نسير على أقدامنا في زقاق من تلك الأزقة حتى وصلنا في رأسه إلى المسجد المبارك وقد كتبوا عليه اسمه بلغة تشامبا ذات الحروف العربية (سوراو مبارك) وبالملايوية بني عام ١٩٦٧م.

وسوراو: عندهم تعني المسجد الصغير مثلما أن الجامع يعني المسجد الكبير الذي تقام فيه الجمعة أو يصلح لأن تقام فيه الجمعة.

ومع ذلك لم ندخل إلى (المسجد المبارك)





ـ الزراعة والخضرة.

مباشرة، وإنما ذهبنا إلى بيت غير بعيد منه وهو لأحد الإخوة المسلمين واسمه (سليمان محيي الدين) وهو نائب رئيس جمعية المسجد.

جلسنا لعدة دقائق ننتظر صاحب المنزل فرأيت في منزله لوحات تشهد على أنه منزل مسلم متدين من ذلك الشهادتان بالعربية بخط جميل، وصورة لمسجدين، وقد ذكروا أن الأخ (سليمان محيي الدين) يشتغل بالتجارة، ثم حضر رئيس جمعية المسجد وهو الأخ (عمر بن محمود) والإمام الحاج يعقوب بن عبد الله وهو متفرغ للإمامة في هذا المسجد وليس له عمل آخر.

بحثنا معهم بعض شؤون المسجد فذكروا أنهم لم يتسلموا أية مساعدة من الخارج إلا ما كانوا يتلقونه من أبناء وطنهم المسلمين المهاجرين في أوروبا وأمريكا، وكلهم من تشامبا.

ثم انتقلنا لرؤية المسجد فوجدناه في غاية الضيق لا يكاد يتسع لعشرين من المصلين، ومع ذلك ذكروا لنا أنه يصلي فيه الجمعة ما بين ٣٠ إلى ٤٠ ولا أراه يتسع لذلك.

وهو في الطابق الثاني من بناء ضيق له درج من الخشب الواقف يشفق من يصعد منه من الإنزلاق أو عدم استطاعته الصعود لا سيما بالنسبة لكبار السن الذين هم المواظبون على الصلاة في العادة، وهذا من العجب. ومن العجب فيه أيضاً أن الإمام كانت في يده لفافة من التبغ وهو يدخن داخل المسجد وفي حضورنا، ونحن ضيوف من مكة المكرمة لم يمنعه ذلك من التدخين، فطلبت منهم بوساطة المترجم الإمام الشيخ محمد يوسف أن لا يدخن أحد في المسجد، لأن الدخان له رائحة كريهة

عندما لا يتعاطاه مثلنا، كما ينبغي أن ينزه المسجد عنه.

وعلى ذكر الدخان لاحظت أن كثيراً من المسلمين مثل غيرهم من سائر الناس هنا يدخنون كثيراً، وقد أثر الدخان في أفواههم لوناً رمادياً غير محبب، وفي صدورهم التي غدت لها فحيح، وفيها سعال شديد، وربما رجع ذلك إلى سوء التغذية مع الدخان الى جانب ما قد يكون في الدخان الذي تنتجه بلادهم من رداءة أو عدم تنقية مما يزيد من ضرره.



ـ من الحدائق العامة في سايقون.

قالوا وهم يأسفون لضيق المسجد: إن بجانبه بيتاً لأحد المسلمين يريد أن يبيعه ونحن في حاجة إليه لتوسعة المسجد ولكن ثمنه غال إنه يطلب ١٥ مليون دونغ. وقد استعظموا ذلك مع أنه لا يزيد على ألف ومائة دولار، فوعدتهم خيراً، ونزلت لأرى هذا البيت فوجدته ضيقاً، ولكن ثمنه بخس فهو لا يتجاوز أربعة آلاف ومائتي ريال سعودية ومساحة البيت ٢٦ متراً مربعاً.

ثم عدنا إلى حيث أوقفنا سيارتنا في الشارع الرئيسي خارج الحي ويسمى هذا الشارع (فام تاهي) ، أما الحي فاسمه (رات أن).

وقد ودعنا الإخوة المسلمون الذين تجمهروا علينا لأنهم عرفوا بقدومنا بسرعة بسبب ضيق الحي وقلة من يأتي إليهم من الأجانب.

ولم أرد الإنصراف عن هذه المنطقة إلا بعد الوقوف على ضفة هذا النهر التي يقع الحي فيها على سوء حالته وحالة أهله من الناحية الاقتصادية.

فذهبنا نسير على أقدامنا حتى ضفة النهر لأن السيارة لا تصل إليها لضيق الطريق بين البيوت وعدم وجود الزفت فيه. فوجدته كما رأيته من فوق الجسر عريضاً ضخماً جمّ المياه ووجدت مجاري المياه الخبيثة الخارجة من البيوت تصب فيه.

وقال لي الشيخ محمد يوسف: إننا لا نشرب منه، إن مياه الشرب تأتي من نهر (داون تاي) خارج المدينة، وأهم ما هو ظاهر فيه هو أن البيوت التي تقع على ضفافه مرفوعة عن الماء بخشب وبعضها نصفها فوق الماء، ونصفها فوق اليابسة، ولكنها كلها مرفوعة بأخشاب عن

الأرض أو عن الماء.

ولمناسبة اعجابي بهذا النهر وغزارة مياهه مع أنه ليس النهر الرئيسي في المدينة قال لي الشيخ محمد يوسف: إنه توجد في منطقة (هوشي منه) عشرة أنهار.

ووقفنا بعد ذلك في شارع اسمه (يان باناك) واقع في حي (تي بانغ) من أجل التصوير وملاحظة الناس، ولأنهم أخبرونا أن أكثر سكان هذا الحي هم من المسلمين.

ولم يضف هذا إلى معلوماتنا إلا تأكيد كون مدينة (هوشي منه) مدينة واسعة، وأنها لو قدر لها أن تخلع عنها قيود الشيوعية فإنها سيكون لها مستقبل اقتصادي باهر.

جامع الأنور :

كان الذهاب بعد ذلك إلى (جامع الأنور)، حيث وقفت سيارتنا في شارع رئيسي غير واسع، دخلنا منه إلى زقاق ضيق لا يتسع لمرور السيارة، ومع ذلك هو في غاية السوء من حيث عدم النظافة والعناية، وتقع عليه بيوت صغيرة من الخشب الرديء سقوفها من القش، وقد تكون لبعضها أساسات من لبن الإسمنت، ومع ذلك كله فهي مهملة إهمالا ظاهرا يظهر ذلك من عدم ترميمها أو إصلاحها مما يدل على الفقر وضيق ذات اليد.

ونفذنا من ذلك الزقاق الضيق إلى زقاق آخر أقل منه ضيقاً. ولكن رأينا فيه ما يدل على أن سكانه من الفقراء وإن لم نكن في حاجة إلى دليل وهي مقادير من قشور جوز الهند التي هي ثمار النارجيل قد نشروها على الأرض لتجف ثم يستعملونها للوقود، وكذلك رأينا فيه حزماً من سعف النارجيل معدة للوقود.

ثم وصلنا الجامع (جامع الأنور) فوجدنا طلبة المدرسة الملحقة به، بل الواقعة في جانب منه وهم يخرجون من المسجد بعد أن أدوا صلاة الظهر وهم بمظاهرهم الإسلامية التى من أهمها عندهم أن يكون على الرأس غطاء من قلنسوة (طاقية) أو نحوها وعلى أساتذتهم قمص عربية طويلة كالقمص التي نلبسها نحن في بلادنا.

واحتجت إلى وضوء فأخذوني إلى مضخة أرضية يدفع الماء منها باليد يرفعها رجل منهم ويخفضها فيصب منها الماء، فصلينا الظهر والعصر جمعاً في المسجد وحدنا.

ثم تأملته بعد الصلاة وهو مستطيل إلا أنه بجميع مساحته لا يعد كبيراً، والمراد بذلك المصلى خاصة، وإلا فإن المسجد كله ليس صغيراً، إذ له أروقة محيطة به، منها رواق تشغله مقاعد للمدرسة الإسلامية، وقد كتبوا على محرابه بخط عربي جيد، (بسم الله الرحمن الرحيم، وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا).

أما سبورة المدرسة فإن عليها كتابة بالحروف العربية قال بعضهم: إنها باللغة الملايوية ولا أدري معنى هذا إلا أن تكون بلغة تشامبا التي يقول بعضهم بوحدة أصلها مع شعب الملايو على اختلاف بين الناس فيما إذا كان أهل تشامبا قد جاؤوا إلى هذه المنطقة الواقعة بين ما يعرف الآن بأنه الحدود بين فيتنام وكمبوديا في أزمان قديمة، أم أن أهل الملايو كانوا طائفة منهم من أهل تلك المنطقة في الأصل، وانتقلوا إلى الملايو بعد ذلك، وقد سبق ذكر ذلك.

علمنا أن عدد المصلين في هذا الجامع يوم الجمعة يتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٠ مصلياً وفي

الأوقات المعتادة ٣٠ مصلياً. والواقع إننا رأينا تصديق ذلك في عدد المصلين الذين حضروا الصلاة بعد الظهر هذا اليوم.

التف علينا طائفة من الإخوة المسلمين وحدثونا أن (الجامع الأنور) هذا بُنيَ بناؤه الحالي في عام ١٩٨٥م وأنه كان في مكانه قبل زمن مسجد صغير، وأنه كان قد جدد في عام ١٩٦٤م. وأخبرونا بشيء مهم هو أنه قبل ٤٥ سنة لم يكن في هذا الحي ولا منطقته أحد من المسلمين من مواطني فيتنام ويقصدون بذلك بالدرجة الأولى المسلمين من أصل (تشامبي) وإنما كان هناك مسلمون من أهل الهند ولكنهم رحلوا عن البلاد.

ثم انتقل المسلمون هؤلاء وسكنوا هذا الحي وعدداً من الأحياء وأمثاله في مدينة (هوشي منه) جاؤوا إليها من منطقة الحدود بين كمبوديا وفيتنام التي هي منطقة تشامبا.

وقد عزموا علينا أن نبقى قليلا عندهم وفرشوا حصيراً على الأرض جلسنا عليه معهم وانتهزت هذه الفرصة للحديث معهم في أمور دينهم وفضل من تمسك به مثلهم رغم الصعاب من قلة الأنصار، ونقص الأموال وضعف الوسائل. وقلت لهم: إنني أرجو أن يكتب لكم أجر القابض على دينه في آخر الزمان الذي قال فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: سيأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر، له أجر خمسين، قال الصحابة: منا أم منهم؟ قال: بل منكم. أي له أجر خمسين من صحابة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكفى بذلك أجراً، بل فخراً وقدراً.

وقد شددت على وجوب تربية أولادهم تربية إسلامية لأنهم عماد المستقبل ولأن ذلك أمانة في أعناقهم.

ثم حدثونا عن المدرسة الإسلامية هذه الملحقة بالمسجد فذكروا أن عدد طلابها ٦٠ طالباً وأنهم يدرسون فيها خمسة أيام في الأسبوع.

وبينما كانوا يتحدثون كان بعضهم يحضرون الشراب المثلج الغالي بالنسبة إليهم وهو الميرندا لأنهم يستوردونه استيراداً كما كانوا يحضرون نوعاً من أنواع الكعك المستدير وهو خاص ببلادهم وسألتهم عن حاجاتهم العاجلة الملحة مما يتعلق بأمور دينهم، فقالوا: إن سكان الحي من الفقراء ولدينا أرض للمسجد نريد أن نبني عليها بناء مستقلا للمدرسة. ولكن المبلغ الذي يحتاجه البناء ضخم جداً، إنه عشرة آلاف دولار!

فأخبرتهم بأننا في رابطة العالم الإسلامي مستعدون لمساعدتهم بالمبلغ كله شرط أن يكتبوا طلبا بذلك مصدقاً من الجمعية الإسلامية في هوشي منه أو يسلموه إلينا الى جانب ذكر الأشخاص المخولين بقبض النقود وانفاقها على البناء، ويجب أن تزكيهم الجمعية الإسلامية لهذا الغرض.

وكنت أنظر إلى موقع المسجد فأجده يقع في ظل ظليل من أشجار باسقة أعلاها أشجار النارجيل وأقصرها أشجار الموز والبابای والعمبة (المانغو).

جامع الاسلامية:

هكذا اسمه، وربما صح تخريج ذلك بكونه جامع الأمة الإسلامية أو الطائفة الإسلامية، ويقع على شارع (تراون هون داو) من حي (نان تن) الذي هو في القلب التجاري من مدينة هوشي منه. تحيط به الحوانيت التجارية الكبيرة



- الدراجات ، المعلم الرئيسي في المدينة.

التي تحولت بعد الشيوعية إلى محلات تبيع البضائع التي توزعها الحكومة أو تبيع أشياء صغيرة لا يؤبه لها، لأن التجارة الخاصة التي تعتمد على التصدير والاستيراد غير موجودة وإنما تقوم بذلك الحكومة. أول ما استرعى انتباهنا عندما دخلناه أن محرابه منحرف عن القبلة قليلا لخطأ في تحديد القبلة عند بنائه، وقد فرشوا سجادة صغيرة تبين الاتجاه الصحيح للقبلة الذي ينحرف قليلا عن اتجاه المحراب إلى جهة اليسار، ومثل هذا الأمر وقع في عدة بلدان وأماكن من العالم لا أراني بحاجة إلى تحديدها وإنما أذكر بهذه المناسبة أن الإخوة المسلمين من أهل سورينام، وهم من أهل إندونيسيا في الأصل قد ظلوا لسنوات طويلة يصلون إلى جهة الغرب لأن قبلتهم في بلادهم إندونيسيا هي الى جهة الغرب، فظنوا وهم من العوام الذين جلبهم المستعمرون الهولنديون إلى سورينام من أجل زراعة السكر وغيره. أن قبلة سورينام كقبلة إندونيسيا وبنوا مساجدهم على هذا الأساس، وبعد أن وصل إليهم عدد من علماء إندونيسيا في الأزمان الأخيرة نبهوهم إلى أن القبلة في سورينام هي إلى جهة الشرق وليست إلى جهة الغرب، فحولوا مساجدهم إلى الاتجاه الصحيح للقبلة، ورأيت حين زرت سورينام أحد المساجد بمحرابين: الأول يتجه إلى الغرب وقد تركوه وهو القديم والثاني يتجه إلى الشرق وهو الحديث، وقد ذكرت ذلك في كتاب (رحلات في أمريكا الجنوبية).

وفيما يتعلق ببناء هذا المسجد كان قد بني في عام ١٩٤٨م ولكنه دمر إبان الحرب التي وقعت في فيتنام الجنوبية آنذاك بين حكومتها وبين عصابات الفيت كونج الشيوعية، ولم يكن تدميره مقصوداً من الطرفين، وإنما وقعت عليه قنبلة فدمرته.

وبناؤه الحالي تم من تبرعات أهل هذه المدينة ومن الإخوة في ماليزيا، وذكروا أنهم يرغبون في بناء طابق ثان فوقه لأنه الآن يضيق بالمصلين لكونه في سوق البيع والشراء وحوله كثير من المسلمين.

وتقع شرقاً منه مدرسة إسلامية أغلقت بسبب قصور النفقة.

مسجد الرحيم :

حان موعد الغداء بعد زيارة (جامع الإسلامية) فذهبنا إلى الغداء في المطعم الإسلامي المعتاد وكان معنا ثلاثة من الإخوة المسلمين أحدهم الشيخ محمد يوسف الذي كان ملازماً لنا للترجمة جزاه الله خيراً.

وكانت قيمة الوجبة لخمسة أشخاص ٥٠ ألف دونج، وذلك أقل من ٤ دولارات أمريكية، وسبب كونه أرخص من الوجبات السابقة أننا لم نطلب فيه شراباً غازيا كالكوكا كولا والميرندا الذي هو غال لكونه مستورداً.



ـ بعض المسلمين في واجهة مسجد نور الايمان.

وبعد الغداء توجهنا إلى (مسجد الرحيم) ويقع في ناحية مهمة من قلب المدينة تحيط به الأبنية المتعددة الطوابق، له بوابة خارجية على الشارع تفضي إلى فناء مكشوف ويصعد منه إلى المصلى الرئيسي بدرج قصير فيصل الداخل إلى رواق بعده المصلى. وقد كتبوا عليه اسمه بالعربية (مسجد الرحيم) وتحته بالإنكليزية (مسجد رحيم أسو سيشن مسك ١٨٨٥).

العرب في هوشي منه :

نوهوا بأنه مسجد للعرب والإندونيسيين والماليزيين وهذا أول مسجد بل أول موضع إسلامي يذكر فيه العرب.

وذلك أن العرب كانوا جالية ذات عدد لا بأس به جاء أغلبهم من جيبوتي حيث الاستعمار الفرنسي إلى فيتنام هذه عندما كانت مستعمرة فرنسية فاشتغلوا بالتجارة وأسس كثير منهم أعمالا تجارية وهم في أغلبهم من أهل اليمن، ولكن عندما استولى الشيوعيون على الحكم في فيتنام وأمموا التجارة هجرها العرب كما هجرها غيرهم من التجار الأجانب.

وقد ذكروا لنا أن عدد العرب في هذه المنطقة من المدينة كان حوالي ٢٠٠ شخص وهم

كانوا غالبية العرب في المدينة.

وقد جاء إلى المسجد مصادفة ودون ترتيب سابق شاب عربي اسمه (منصور بن أحمد صالح) وهو لا يعرف العربية، ولكن كان الحديث معه بوساطة المترجم، قال الشاب العربي: والدي موجود الآن في صنعاء وأمي إندونيسية الأصل، فيتنامية الجنسية تقيم الآن في الولايات المتحدة الأمريكية وتعمل هناك، تعرف عليها والدي ورزق بي منها وكلاهما غادر (هوشي منه) وبقيت فيها وحدي، وأنا الآن أعمل بائعاً متجولا لا يزيد ما أكسبه على لقمة العيش الضرورية.

قال الحاضرون وهو معهم: لم يبق من العرب الآن في (هوشي منه) إلا خمسة أو ستة أشخاص، بسبب صعوبات المعيشة في هذه البلاد.

تجولنا في المسجد مع رئيس الجمعية التي تشرف عليه وهو الأخ (حيدر بن سنون) أصله من الملاينو والإمام علي بن أحمد ماليزي الأصل أيضاً. فوجدناهم قد تأنقوا في زخرفة المسجد وتزيينه، بخلاف المساجد الأخرى ومن ذلك أن أبوابه الداخلية من الزجاج الذي كتبوا عليه بالعربية لفظ الجلالة (الله) واسم الرسول [صلى الله عليه وسلم] (محمد) والشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، كما علقوا بداخله لوحات عربية عديدة.

ويقع على شارع (تام كي كوي) من المنطقة الأولى في هوشي منه (سايقون سابقاً) سألتهم عما إذا كانوا قد تسلموا مساعدة على استمرار تسيير أمور المسجد من الخارج فنفوا ذلك، إلا مساعدة قدمت إليهم من رجل مولود في هذه البلاد أبوه عربي وأمه من تشامبا، وذكروا أنه يعمل الآن في جدة في المملكة العربية السعودية.

ورأيت العمال يعملون في ترميم جانب من المسجد، وكل العمال ليس على أجسادهم إلا (تبان) وهو السروال القصير المعروف الآن باسم (شورت) وليسوا من المسلمين.

وقد أخبرونا أن عدد الذين يصلون الجمعة في المسجد (٥٠) مصلياً وفي الصلوات اليومية ٢٢. وذلك لكون المسلمين الذين كانوا يسكنون قريباً من المسجد في هذا الحي المهم من المدينة وهو حي (رقم١) قد تركوها إلى الخارج، وفي جانب منه مدرسة إسلامية لتعليم الأطفال مبادىء القراءة والكتابة بالعربية فيها ٢٥ طفلا وطفلة. وتفتح بعض البيوت على فناء المسجد الخارجي ذكروا أنها كلها من بيوت المسلمين.

على نهر سايقون :

ذهبنا ظهراً لرؤية النهر الذي سميت المدينة قديماً على اسمه وهو نهر سايقون وهو كبير في عرض النيل، ومع ذلك ليس هو بالنهر الوحيد في هذه المدينة، بل إن منطقتها تحفل بعشرة أنهار كما سبق نقل ذلك.

وتقع أبنية فاخرة متعددة الطبقات على ضفته بينها وبينه شارع الشاطىء الذي لم يكن فاخراً ولا معتنى به، ومن تلك الأبنية فندق ماجستك - أي العدالة - والعدالة في البلدان الشيوعية كالحرية هي اسم بلا مسمى، أو هي موجودة بالنسبة للشيوعيين الحكام محرمة علي غيرهم.

أما الضفة الجنوبية فإنها مناطق شعبية ذات منازل من الخشب الرديء.

وقد تناولنا الغداء اليوم في المطعم الإسلامي الوحيد في المدينة وعجبنا لرؤية سياح أجانب مع

أدلائهم من المواطنين قد حضروا إلى هذا المطعم وهم يأكلون ومعهم مصوراتهم، وذلك رغم كون أثاث المطعم ومظهره لا يغري بذلك، فذكر الإخوة المسلمون أن بعض السياح من غير المسلمين يأتون للأكل في هذا المطعم الإسلامي لنكهة في طعامه متميزة لذيذة ولنظافة الطعام نفسه الذي لا يدخله لحوم لا يأكلها الغربيون مثل لحوم الكلاب التي اشتهر الفيتناميون بأكلها.

ميدان الحرية :

عدنا إلى القلب الفاخر السكني القديم من المدينة، الواقع إلى الشمال من نهر سايقون والجو صحو والشمس حارة رغم كوننا في فصل الشتاء الآن فسرنا مع الشوارع الواسعة المعتادة التي ضاقت على سعتها بآلاف الدراجات.

ويحفل هذا القلب الفاخر أو الذي كان فاخراً من مدينة (سايقون) كما كانت تسمى بالأبنية العالية ذات الطوابق المرتفعة، وبالمحلات التي كان يؤمها المترفون الذين كان الرواج الاقتصادي الموجود في المدينة يغذي ترفهم حتى وصلنا ميداناً واسعاً قد غرس جزء كبير منه بأشجار باسقة ويقع عليه قصر رئيس جمهورية فيتنام الجنوبية في القديم قبل اتحادها مع فيتنام الشمالية ويسمى (جندي كلوب) أي ميدان الحرية.

وكان آخر رئيس للجمهورية سكن في هذا القصر هو انقوين ون تيو، ولا يزال حياً يعيش الآن في كندا.

سوراو نور الاسلام :

وسوراو: تعني المسجد الصغير باصطلاحهم كما سبق أن أوضحنا ذلك، أول ما رأيناه منه اسمه مكتوباً بالعربية (سوراو نور الإسلام).

وجدنا في الاستقبال الإمام حاجي هارون بن علي والمعلم (زكريا بن أبي بكر)، والمراد بذلك معلم الدين الإسلامي بالمدرسة الملحقة بالمسجد ومعلماً آخر اسمه (حاجي محمد أشعري).

وهو مسجد صغير مؤلف من طابقين يقع المصلى الرئيسي في الطابق الثاني، بني المسجد أول ما بني في عام ١٩٦٠م ثم جدد في عام ١٩٧٠م، ويصلي الجمعة فيه - على ضيقه - ٤٠ مصلياً والمغرب والعشاء ١٠ مصلين.

وقد أخبرونا أن المسلمين وصلوا إلى هذا المكان قبيل عام ١٩٦٠م، جاؤوا من منطقة تشامبا الواقعة على حدود كمبوديا بسبب حرب الاستقلال بين الوطنيين الفيتناميين والفرنسيين. ويشتغل أكثرهم بالتجارة. وذكروا أن عدد الأسر التي يمكنها أن تصل إليه يعني أنها تسكن غير بعيدة منه ٢٦٥ أسرة مسلمة، وفيه مدرسة في الطابق الثاني أو السطح، حيث سقفوا جزءاً منه فصار غرفة طولها ٤ أمتار في ٣ أمتار يدرس فيها ٢٥ صبياً و١٤ بنتاً.

ومن طريف ما كتبوه على السبورة بالعربية ما هذا نصه:

«سبت باولى جمادا الأولى ١٤١٢هـ.

الحديث من سفر على البر والبحر فيقرأ هذه الآيات: لا يمسه إلا مطهرون، آمنه الله من موت الفجعة» وتحت ذلك تفسيرها باللغة التشامبية ذات الحروف العربية.

وواضح أن فيه لحناً أفظعه ما وقع في الآية الكريمة: «لا يمسه إلا مطهرون» حيث الصحيح



ـ مدرسة سلوك المتقين.

{إلا المطهرون} بالتعريف.

وقد التف علينا طائفة من الإخـــوة المسلمين أهل الحي واحـضـروا الشـاي الممـزوج بالحليب وهـم أول من رأيتـــهم يفـــعلون ذلك إذ الشـــاي الفيتنامي لا يشرب بالحليب في العادة، وإنما يفعل ذلك الهنود حـيث اعـتـادوا ألا يشـربوا الشاي إلا بالحليب لأن شايهم يكون أسود ثقيلا.

ويقع المسجد على شارع تان ون يو من حي في المنطقة الثـالثـة من هوشي منه التي تقسم الي اثنتي عشرة منطقة.

مسجد حياة الاسلام :

ذكروا لنا أننا سنذهب إلى مسجد (حياة الإسـلام) ولكننا وجـدنا اسـمـه مكتـوباً عليـه بالعربية (مسجد الحياة الإسلامية).

وكان الذهاب إليه وسط خضم من الدراجات التي أخذت سيارتنا تشق عبابها، ورأينا بعضـها عليها الفتيات بالقبعات الفيتنامية العريضة التي تختلف عن القبـعات الصينية الشـهيرة، إلا أن الملاحظ أن القبـعة التي تكون على رأس الفتـاة في مدن الصين وبخاصة في الجنوب يصـحبها غالباً وجـود مظلة واقية في اليد أما هنا فإن المظلات قليلة، ولا شك في أن القبعات العريضة تقوم مـقـام المظلة في الوقـاية من الشـمس ومن المطر الخفيف أيضاً.

وعندمـا رأيت كـثـرة الدراجـات في شـوارع هوشي منه هـذه تذكـرت مـا رأيتـه منذ أيام في شـوارع تيـرانا عـاصـمـة البانيـا حين كنت في زيارتها من قلة الدراجات ومن انعدام السيارات عند المواطنين حتى إن الذي يركب دراجة هوائية يعد من ذوي الحظ العظيم، ولذلك انتشرت عندهم سرقة الدراجات. مثلما انتشرت في لبنان وقت الحرب الأهلية سرقة السيارات.

والمسجد طابقان: الأرضي غرفتان ضيقتان إحداهما اتخذت مستودعاً، والثانية اتخذت مكاناً لفصل دراسي، وجدنا فيه أختاً مسلمة اسمها عائشة بنت حاجي عثمان وهي تدرس ١٧ تلميذاً صغيراً من الجنسين وبجانب ذلك مطبخ ذكروا أنه مكان لإطعام التلاميذ.

وقـد وصلنا إلى المسـجـد مع زقـاق ضـيق فوجدنا المصلى في الطابق الثاني يصعد إليه مع درج واقف من الخشب ينهض من الشارع وليس من داخل المسجـد لأن المسـجـد أضـيق من أن

يتسع له، كما أنه ليس له فناء مكشوف بل هو جميعه ضيق جداً، ولقد عجبت وأنا أحاول أن أحفظ توازني عند صعود الدرج الواقف الذي يبدأ من الزقاق كيف يستطيع كبار السن من الشيوخ والعجائز الصعود للمسجد مع هذا الدرج.

ومع ذلك وجدنا ما كاد يعرقل سيرنا في أعلاه وهو أحذية المصلين التي وضعوها في أعلى هذا الدرج لأنه لا يوجد في المسجد مكان يتسع لها.



ـ من أسواق عطلة نهاية الاسبوع.

وجدنا القوم يصلون العصر، وتصلي بعض النساء خلفهم في مكان مفصول بين الرجال والنساء بستارة خفيفة من القماش.

ذكر لنا الإمام حاجي طيب أن عدد المصلين يوم الجمعة يبلغ أربعين وفي الأوقات المعتادة ١٠ وقليل من النساء، وقد رأينا ذلك وأعتقد أن الذين صلوا خلفه هم أكثر من عشرة. وَشَكَوْا من أن سقف المسجد يحتاج إلى إصلاح بقيمة ١٥٠٠ دولار وذلك ما لا يستطيعونه. وهو يقع في الحي ١٢ من هوشي منه وهو حي ذو بيوت من الإسمنت أكثرها مسطحة السقوف رغم كون البلاد مطيرة، يقتضي القياس أن تكون البيوت فيها ذات سقوف مسنمة، إلا أنني لاحظت أنه لا يوجد فيها أي بيت قد جدد بناؤه أو طلاؤه.

ولا شك في أن حالة هذا المسجد وأمثاله في هذه البلاد تدل على مدى تقصيرنا نحن المسلمين القادرين في الحواضر الإسلامية على مساعدة إخواننا المسلمين في بلاد الأقليات، وإلا فإنهم قد بذلوا كل ما يستطيعونه وذلك جهد المقل أثابهم الله.

وقد قيدت ذلك وقيدت ما تحتاج إليه المساجد في هذه البلاد من تعمير وتوسعة وتأثيث وسوف ندفع ذلك كاملا بإذن الله من رابطة العالم الإسلامي.

ترى الرجل النحيف فتزدريه :

عندما أرى هذا الشعب النحيف القوام، الضعيف الوسائل، المهلهل الثياب، الذي ليس على وجوه أفراده شيء من الوجاهة من جمال أو حتى بياض مع حسن تقاسيم، أكاد أهون من شأنه في نفسي، بل أكاد أزدريه وأحكم بأنه من هذه الشعوب المهملة ـ بكسر الميم ـ المهملة ـ بفتحها ـ التي تسمى نامية ـ وهي لا تنمو ـ وقد تسمى من شعوب العالم الثالث وهي من شعوب العالم التالف، لكنني ما أن أذكر تاريخه القريب وكيف ناضل وصابر حتى هزم دولة كانت عظمى

وهي فرنسا المستعمرة، ثم قارع وقاتل أعظم قوة حربية مالية متفننة في اختراع أدوات القتل والخراب وهي الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تذق ذل الهزيمة وعار الانكسار إلا على يد هذا الشعب الفيتنامي الشجاع الذي كان الأمريكيون يعدونه قزماً يعتقدون أنه يكفي لهزيمته أن يهز العملاق الأمريكي سلاحه في وجهه فينهزم دون قتال.

ما أن أذكر ذلك حتى يكبر في عيني ويكبر حتى تطول قامته القصيرة فتطاول عنان السماء، وتقوى أجسامه النحيلة حتى تصير في قوة أبطال المصارعة، وتنقلب ثيابه المهلهلة حتى تصير دروعاً من حديد قشيب، وحتى دراجاته هذه التي يركبها بديلة من السيارات التي يركبها الأمريكيون تكبر في عيني حتى تصبح أعظم وأجل، بل وأكثر راحة وأناقة من سيارات (الكاديلاك) والروز رويس التي يركبها قوم مهزومون لم يشعروا حتى بعار الهزيمة فتراهم يفخرون بما يركبون وما يلبسون فهم من العز والمجد عارون. لقد ذكرت مراراً وأنا أرى هذا الشعب النحيل، الذي لا يملك إلا القليل قول الشاعر العربي الحكيم:

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتزدهيه
فيخلف ظنك الرجل الطرير

والطرير: الجميل من الرجال، ويزدهيك: يعجبك منظره.

ورغم ما لاقاه الشعب الفيتنامي الشجاع من حروب وكروب منها كرب لا يزال يأخذ بتلابيبه وهو الحكم الشيوعي.. فإنه لا تزال في شفاه هذا الشعب بقايا من ابتسامات استوائية - نسبة إلى سكان خط الإستواء وما قرب منه - عرفنا منها أكثر ما عرفنا ابتسامات الملايين في ماليزيا وإندونيسيا وهي ابتسامات عفوية غير متكلفة.

والشيء الوحيد الذي ينغص من المتعة في السير في هذه المدينة هو كثرة السائلين الملحفين (الشحاذين)، وبخاصة إذا كانوا من الأطفال الذين مرنوا على هذه الأعمال، وما أجدر بهذا الشعب الشجاع، أن ينهى هؤلاء الرعاع عن مثل هذه الطباع.

التحف الرخيصة :

رخص الأسعار في هذه البلاد عام وليس مقتصراً على الطعام والشراب، بل أن ذلك يشمل كل المصنوعات والمنتجات الفيتنامية.

وذلك لرخص الأجور، وضعف الدخول حتى إن المرء ليعجب من ضآلة الأجور، ولا يصدق أنها يمكن أن تكفي لما يسد الرمق فمثلا العامل الماهر يتقاضى راتباً شهرياً متوسطه مائتا ألف دونغ ويساوي هذا ١٤ دولاراً في الشهر. فكيف يعيش هو وأسرته من هذا ا لمبلغ؟

ذكروا لنا أن الغذاء الأساسي للشعب وهو الأرز رخيص جداً، لأنه متوفر لديهم ويصدرون منه مقادير كبيرة وهو محدد السعر لأن الحكومة تبيعه لمن يطلبه بذلك السعر فيباع على المستهلك بسعر ٢٥٠٠ دونغ للكيلو أي أن الدولار الذي صرفناه اليوم بأربعة عشر ألف دونغ فيه خمسة كيلوات ونصف من الأرز، قالوا: وعامة الشعب الذين هم من البوذيين الفقراء يأدمون الأرز بشحم الخنزير، وهو رخيص عندهم لسهولة تربية الخنازير وكونها تأكل القمائم وأوراق الشجر الموجودة بكثرة في هذه البلاد المطيرة، وكذلك السمك رخيص جداً عندهم، لذلك يستطيع

العامل أن يعيش بمثل هذا المرتب الضئيل هو وأسرته عيشة الكفاف. وهذا القول في العمال الذين يؤلفون نسبة كبيرة من الشعب، وأما اخوتنا أئمة المساجد فإن رواتبهم أقل من ذلك بكثير، بل أكثر ضآلة، من ذلك مثلا راتب الشيخ محمد يوسف وهو إمام الجامع الكبير والمرافق المترجم لنا في هذه البلاد هو أقل من دولارين في الشهر إذ يتقاضى من جمعية المسجد ٢٥ ألف دونغ وذلك يساوي أقل من دولارين اثنين، وأكثر أئمة المساجد لا يتسلمون أية رواتب.

ونعود إلى رخص التحف والمصنوعات الوطنية مع التنويه بأن هذا الرخص إنما هو بالنسبة إلى الأسعار العالمية، وبالنسبة الينا نحن الذين نملك أموالا كافية بالعملة العالمية الصعبة ولله الحمد، أما بالنسبة إلى أهل البلاد فإنها غالية لا تصل طاقتهم إلى التفكير في شرائها.

وجدنا محلا كبيراً للتحف تعمل فيه عدة بائعات وبينهن امرأة مسلمة اسمها فاطمة، عرفنا إسلامها من كونها تعرض في متجرها من بين ما تعرضه لوحات إسلامية، منها آيات قرآنية كريمة مكتوبة بالصدف الأبيض، ومناظر لمساجد منقوشة بالصدف أيضاً.

إلى جانب علب وقلائد وسبح بديعة الصنع، رخيصة الثمن مما تنتجه بلادهم، ولديها أيضاً أشياء رخيصة كسبح الكهرمان النقي الأصيل كانوا قد استوردوه من الاتحاد السوفييتي وهو الذي يسميه بعض الناس بالعنبر ويستخرج من بحر البلطيق فالسبحة الواحدة منه بعشرة دولارات أمريكية وكنت اشتريت نظيرتها من متجر حكومي في موسكو بخمسين دولاراً وهي في أوروبا الغربية تباع أغلى من ذلك بكثير، أما اللوحات المطعمة بالصدف فإن الواحدة منها بثلاثة دولارات إلى أربعة حسب حجمها، والعلب الخشبية الصغيرة المطعمة بالصدف بأربعة دولارات إلى خمسة وهكذا.

ومن الطريف في أمر هذا المتجر الكبير الذي هو حانوت معتاد في بلادنا ذو باب واحد أنه ليس خاصاً بشخص واحد وإنما هو مؤلف من زوايا أو أركان لا يفصل بينها أي حاجز، كل ركن أو زاوية فيه لأحد البائعين وهم مختلطون إلا أن لكل واحد منهم بضاعته وخزانته وقد كان في الأصل حانوتاً واحداً كبيراً غير أن الحوانيت الكبيرة التي يملكها أرباب الأموال الكبيرة والشركات قد ذهبت مع مجيء الشيوعية. ولا أشك في أن هذه الأسعار الرخيصة سوف تتغير بعد الانفتاح الاقتصادي على العالم الذي بدأ الآن.

اللغة الفيتنامية :

عاودنا الجولة على الأقدام في شوارع (هوشي منه) وأزقتها القريبة من الفندق فكان أن تكرر عجبي من لغتهم الفيتنامية التي هي لغة فريدة لا ترتبط بلغات المنطقة التي حولها مثلما أن الشعب الفيتنامي شعب فريد في أصله لا يرتبط ـ عنصرياً ـ بالمجموعات البشرية المجاورة له كالصينيين والماليزيين.

صرف الاعانات المالية :

كان موعد الاجتماع ثانية بجمعية مسلمي هوشي منه في الساعة الثالثة ظهراً وذلك لإعطائهم بعض النقود التي خصصناها للمساجد والمدارس في هذه المدينة، وكان الاجتماع بهم الذي مر ذكره اجتماع تعارف وتباحث، وقد رأينا أن نصرف المساعدات المالية للجميع بوساطتها مع تعيين مصارفها، وذلك لكونها جمعية إسلامية معترفاً بها من الحكومة ومن المسلمين وأعضاؤها من العاملين الموثوق بهم.

وقد عقد الاجتماع في مقرهم في الشارع الرئيسي المؤدي إلى المطار فقدمت لهم في البداية هدايا شخصية فيها سجاد للصلاة وسبح - جمع سبحة - ومناظر وصور مكبرة للحرمين الشريفين.

ثم أعطيناهم بحضور الجميع وبعض أئمة المساجد المبالغ المالية بالدولار مقسمة إلى مصارف ثلاثة:

أولها: اعانة للجمعية على تسيير أمورها.

وثانيها: اعانة للأئمة والمدرسين الذين هم المدرسون في المدارس الإسلامية وهي الكتاتيب القرآنية ونحوها.

وثالثها: مبلغ مخصص للإعانة على إجراء الترميمات والإصلاحات العاجلة للمساجد في هذه المدينة.

وقد أخبرتهم أن هذه إعانات رمزية أولية أقدمها من رابطة العالم الإسلامي على أن تتبعها مبالغ كافية وذلك بعد أن نشاهد الأمور على الطبيعة، ونقرر ما تحتاجه المساجد والمدارس والأئمة من مبالغ محددة بإذن الله.

كما أعطيتهم سجاداً صغيراً للمساجد، لأنني لاحظت أن بعضها ليس في محاريبها سجاد.

وكانت جلسة مباركة سُرَّ بها إخواننا المسلمون، وطلبوا المزيد من الزيارات ما بينهم وبين اخوتهم المسلمين في الحواضر الإسلامية لأن إمكاناتهم محدودة في الوقت الحاضر.

وقد اتفقنا معهم أثناء الجلسة على الاستجابة لبعض مطالبهم، ومن ذلك استضافة بعض كبارهم في الحج ودعوة عدد من زعمائهم لزيارة الرابطة، والتعرف على المسؤولين في



- صناعة القبعات عندهم فن رائع.

المملكة العربية السعودية ودعوة جمعيتهم لحضور المؤتمرات والاجتماعات الإسلامية.

وانفقنا ما قبل النوم من الوقت في الجلوس في ميدان ركس الذي يقع عليه فندقنا وهو حديقة فيها المقاعد الحجرية إلا أنها لم تكن كافية للجميع، لذلك رأيت أناسا كثراً منهم يجلسون على ظهور دراجاتهم النارية ومنهم بعض الأسر الذين جاؤوا مع أطفالهم لتمضية جزء من الأمسية في هذا المكان الجميل.

ومن المنغصات فيه كثرة الأطفال وبخاصة من البنات اللائي يعرضن عليك بضائعهن من الطوابع والتذكارات والعملات القديمة من ورقية ومعدنية، ولكنهم يلحون في العرض، ولا ينصرفون عنك إلا بعد أن تبذل مجهوداً كافياً في إقناعهم بعدم رغبتك في الشراء وبأنك لن تستجيب لتوسلاتهم في ذلك، ولابد من أن يشترك في افهامهم عدد من أعضاء جسمك منها رأسك بهزه يمنة ويسرة ويداك بإيماءات تدل على النفي لأن النفي بلسانك لا يغني شيئا.

«المرحلة صلة»

الحرية وقيودها

حينما تهمس في سرك أو تجهر قائلا بلسانك: «أنا حرّ!» فأنت إنما تعرب عن رغبة خفية تتلجلج في وجدانك ولا تكاد تخرج إلى عالم النور إلا بجهد جهيد. فالحرية تولد معك وتمتزج بفطرتك، ثم تتوارى في ثنايا نفسك؛ وما تزال صورتها ترافق أحلامك ، وتحثك على الانطلاق ، وتدعوك الى الصمود أمام التجارب كلما أثقلتك قيود الحياة، فإذا ما أسعفتك الأقدار المتربصة بك، وتنبهت حواسك الباطنة، وعقدت العزم على فك الحبال المشدودة حول بدنك لتبدأ مسيرتك البطيئة في دروب المجهول، فإنك ستواجه بمفردك أشباحاً مخيفة لابد لك من مقاومتها، وحينئذ ستدرك أن الإرادة هي مفتاح الحرية، بل هي عجلتها الدافعة.

أما إذا أفزعتك الأشباح التي تترصدُ لك في منعرجات الطريق، وراعك هولها فقد تتعطل إرادتك وتستسلم؛ فالحرية إنما تتحقق باختيارك، بخلاف العبودية التى تركبُك بإرادة غيرك.

ليس معنى الحرية أن تفعل ما تشاء كما تشاء وفي الوقت الذي تشاء، بل أن تفعل ما ينبغي لك فعله بالطريقة المناسبة وفي اللحظة المواتية؛ وآية ذلك أن تتصرف بأسلوب يوافق النهج الذي يرسمه لك العقلُ المُتزن والحس السليم، لأن الحكمة ربيبة الحرية، بل هي معيارُها ودليلها.

العدل قوام الحرية، فإذا اختل ميزانه وغاب حكمه، وحل الجور محله، انسدت منافذ الحرية، وانتكست ألوية الحق، وتداعت أعمدة المساواة، وانفتحت أبواب الاستبداد والقهر والتسلط.

ومبدأ العدل أن تبدأ بنفسك فتعرف ما لها وما عليها، وآية ذلك أن تأخذ بالحسنى ما هو لك ، وتعطي بالمعروف ما هو لغيرك، فإذا فعلت ذلك استبانت قدرتك على أن تعدل مع الآخرين؛ فإن أظلم الناس الظالم لنفسه الغافل عن حقها؛

ومن فرط في حقه كان أولى بالتفريط في حقوق غيره.

الحرية المثلى إنما تتجلى في قدرتك على التخلص من عبودية المادة، وطغيان الأهواء، وغلبة الشهوات التي تضعف النفس العاقلة، وتميتُ في الضمير أنسجته الحية.

العبودية ليست في كل الأحوال نقيضاً للحرية، فأنت إذا كنت عبداً للخالق وحده، لا تضل عن سبيله، ولا تغفل عن تدبر آياته، ولا تخشى غيره، ولا تلتمس العون والهداية إلا منه، فإنك تدرك بذلك أقصى غايات الحرية، فتتخلص من أسر المخلوقات، لا تعبد صنماً، ولا تنقاد لهوى، ولا

بقلم:
محمد العربي الخطابي
- الرباط -

يقوى على استعبادك إنسان.

أما إذا غلبتك أهواء نفسك، وملت معها في كل اتجاه فإنك تشرف على الهاوية دون أمل في أن ينقذك من الوقوع فيها شيء؛ يقول الحق سبحانه: {أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا} (الفرقان/٤٣).

الطبيعة تعلمك كيف تكون حراً، إذ فيها ألف آية تنير الآفاق أمامك، وتدلك على الطريق؛ فإذا كانت بصيرتك مفتحة، ووجدانك حياً تشربت نفسك معاني الآيات الماثلة بين يديك، وغمرك نور كاشف تمشي به بين الناس.

فأنت ترى النهر كيف تتدفق مياهه وتنساب مندفعة في مجراها لا يثنيها عن تدفقها عائق حتى تدرك غايتها وتبلغ مستقرها.

ثم إنك تنظر إلى البذرة المتناهية في الصغر، تراها تُطرح في أحشاء التربة الهامدة، فتنبعث في صلبها حياة بازغة، وتتحول البذرة إلى نبت يشق الأرض ليظهر فوقها ويرتمي في أحضان الهواء والشمس لا يصده عن النمو والانتشار شيء.

فإذا أنت وجهت بصرك نحو السماء وما فيها من نجوم وكواكب، وما يتعاقب عليها من سنن وظواهر، ثم تأملت عوالم النحل والنمل والطيور والحيتان وجواهر الأرض وسائر ما خلقه الله من شيء مما يقع تحت بصرك أو تدرك وجوده بعقلك أو حواسك فإنك ستجد في ذلك كله حركة منتظمة ودائبة فيها من الإبداع والتجديد والتسبيح ما لا يقدر أحد على وصفه، ولا يقوى عقل على استيعاب كلياته، وبالأحرى جزئياته. {وترى الجبال تحسبُها جامدة وهي تمرُّ مَرّ السّحاب} (النمل/٨٨).

إذا ضاق من حولك فضاء الدنيا فالتمس السعة في رحاب قلبك، وانفذ ببصيرتك في عمق الأشياء لا في مظاهرها الخارجية وحينئذ ستبدو لك الحقائق الكبرى ناصعة جلية لا يعلق بها غبار الشك، ولا يحجبها ظلام الغموض؛ فإذا استقرّ اليقين في قلبك لازمتك السكينة، وواصلت الصعود إلى قمة الحرية لتحلق في أجوائها العالية طليقاً خفيفاً لا يثقلك قيد ولا يصيبك وهن.

الحرية شفافة كالماء الطهور لا حُمرة فيها ولا بياض ولا سواد، وهي إنما تستشف لون الوعاء الذي يحويها وتملأ فراغه.

كل شيء خالص وخال من الشوائب فهو حُرٌّ، فكيف يكون حراً مَنْ رَكِبَه الغلُّ والغرور والضغينة والعُجب والعَمَه وبلادة الحس وانغلاق الفؤاد؟ فهذه كلها قيود تثقل النفس وتميت الضمير فلا يتأتى معها انطلاق ولا انبساط ولا صعود.

الحرية أنشودة الحياة، ونايها المحبة، وأنغامها البِشْر والطمأنينة وانسجام الأضداد؛ فاصنع لنفسك منها لحناً يَصْقل ذوقك، ويُريح سمعك، ويُهَذِّب شعورك، ويرتفع بك في سلّم الأحرار الأبرار

من المناقشة ينبثق النور:

مع الدكتور عبد المحسن القحطاني في كتيبه بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر (٤-٥)

بقلم:
أحمد سالم باعطب
- جدة -

بعد أن انتهى الدكتور من مناقشة قصيدة امريء القيس اللامية ومطلعها:

عيناك دمعهما سجال
كأن شأنيهما أوشال

كما ذكرت ذلك في الحلقة السابقة تناول مقطوعتين للشاعر علقمة بن ذي جدن الحميري إحداهما حائية تتكون من ثلاثة أبيات والأخرى نونية وعدد أبياتها خمسة أبيات ولقد أشاد الدكتور عبد المحسن إنصافا للحق وأهله بعلقمة بن ذي جَدَن الحميري واعتبره من أوائل من نظم مخلع البسيط، وذلك بعد قيامه بتقطيع أبيات المقطوعتين الشعريتين الحائية والنونية وتأكد من مطابقتها لتفعيلات مخلع البسيط.

كما اعترف الدكتور القحطاني لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري بالفضل حيث فسح مجالا لقصيدة «سلْميّ بن ربيعة»[١] وحكم على وزنها بالجواز في حين رفضها ابن السراج الشنتمري[٢] صاحب المعيار، ويوسف بن أبى بكر السكاكي صاحب كتاب «مفتاح العلوم، وبدر الدين محمد الدماميني صاحب كتاب «العيون الغامزة على خبايا الرامزة».

وقصيدة سلْميّ بن ربيعة التي فتح لها الجوهري باب الجواز المطلق تتألف من ثمانية أبيات ومطلعها:

إنَّ شواء ونشوة
وخبب البازل الأمون

قال عنها الدكتور في نهاية الصفحة الثامنة والأربعين: «إذن فقصيدة سلْميّ من مخلع البسيط، عروضه محذوفة السبب «لن» وعلى هذا تكون إحدى صور المخلع» والصحيح أن أعاريض أبيات قصيدة سلْميّ الثمانية مقطوعة مخبونة محذوفة فالحذف جاء بعد القطع والخبن لأن أصل تفعيلة «العروض» مستفعلن فقطعت أي حذف ساكن الوتد المجموع «ن» وتسكين المتحرك قبله وهو اللام فأصبحت مفعولنْ ثم خُبنتْ أى حذف الحرف الثاني الساكن وهو هنا الفاء فأصبحت فعولن مكونة من وتد مجموع وسبب خفيف ولكي

تتحول فعولن إلي «فعل» يجب علينا أن نجري عليها عملية الحذف وهي اسقاط السبب وهو «لن»، وهكذا فإن العروض «فعل» في مخلع البسيط لم تأت إلا بعد اجراء ثلاث عمليات هي القطع والخبن والحذف.

وتعرض الباحث لمقطوعة الأسود بن يعفر وهي خمسة أبيات من مجزوء البسيط، البيت الأول عروضه سالمة والضرب مطوي مذال، والبيت الثاني عروضه مطوية والضرب مطوي مذال، والبيت الثالث عروضه سالمة والضرب سالم مذال، والبيت الرابع عروضه مخبونة والضرب مطوي مذال، والبيت الخامس عروضه حذاءمطوية والضرب سالم مذال، وعروض هذا البيت نادرة وغريبة.

قصيدة طرفة بن العبد:

ثم تحدث الدكتور من بداية الصفحة الحادية والستين عن قصيدة الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد وأبياتها خمسة عشر بيتا فقال: «وتطالعنا قصيدة لطرفة بن العبد لم يلتفت إليها أغلب العروضيين وهي تمثل مرحلة من مراحل المزاوجة أو الجمع في الضرب بين «فَعِلُنْ» و«فَعْلُنْ» وقد أجاز الزجاج تلك المزاوجة أو الجمع».

ولقد تولى الدكتور تقطيع أبيات القصيدة تقطيعا عروضيا ثم أعلن نتيجة ذلك فقال: «جاءت الأبيات كما في الديوان من بحر السريع الذي جمع في ضربه بين «فَعِلُنْ» و «فَعْلُنْ»، فقد جاء الضرب في الأبيات: ١، ٢، ٤، ٦، ٩، ١٥ على وزن «فَعْلُنْ» وجاء الضرب في الأبيات: ٣، ٥، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، على وزن «فَعِلُنْ» ، أما من حيث الأعاريض، فكل الأبيات جاءت أعاريضها على وزن «فَعِلُنْ» باستثناء البيت الرابع عشر فقد جاءت عروضه على وزن «فَعْلُنْ».

ومن يقرأ القصيدة وتقطيعها عروضيا يجد أن جميع أعاريضها مخبولة مكشوفة إلا عروض البيت الرابع عشر فهي صلماء والصلم هو: حذف الوتد المفروق من «مفعولات» ويمثله هنا «لات».

وإذا كان هناك عيب في قافية القصيدة فهو عيب سناد التأسيس في البيت التاسع إذ جاء مؤسسا بينما بقية أبيات القصيدة غير مؤسسة، كما يلاحظ سناد التوجيه في كثير من أبياتها، وسناد التوجيه هو اختلاف حركة ما قبل الروي المقيد بين الضم والفتح والكسر، على أن قليلا من النقاد يجيزون ذلك.

قصيدة المرقش الأكبر:

تناول الدكتور عبد المحسن بعد ما فرغ من معالجة قصيدة طرفة معالجة قصيدة أخرى لشاعر جاهلي آخر هو المرقش الأكبر وقال: «لو اطلع العروضيون على قصيدة المرقش كاملة لحملوها على بحر الكامل لوجود «متفاعلن» في أكثر من بيت من القصيدة» جاء هذا القول في الصفحة الخامسة والسبعين من الكتاب بالسطر الحادي عشر، ثم أكد ذلك في الصفحة السادسة والسبعين حيث قال: «وأنا على يقين لو أنهم - أي العروضيين - اطلعوا على القصيدة كاملة لحملوها على الكامل».

ورأي الدكتور بل حكمه هنا صحيح، ففي عجز البيت السابع تفعيلة سالمة من تفعيلات

بحر الكامل «متفاعلن» وكذلك في عجز البيت الثامن تفعيلة أخرى من نفس الوزن مما يحقق الشرط الذي وضعه العروضيون للتمييز بين السريع والكامل المضمر والشرط كما ذكره الدكتور في كتابه وهو «عند تنازع بحرين تفعيلات أبيات قصيدة ما كبحر السريع والكامل المضمر، فان الفيصل في ذلك هو وجود تفعيلة واحدة من بحر الكامل التام «متفاعلن» فتعد من الكامل وإلا فالقصيدة من السريع.

ومطلع قصيدة المرقش هو:

هل بالديار أن تجيب صمم
لو أنَّ حياً ناطقاً كلَّمْ

- والمرقش هنا هو المرقش الأكبر واسمه ربيعة بن سعد وقيل عمرو بن سعد وسمي المرقش لقوله:

الدار قفر والرسوم كما
رقَّش في ظهر الأديم قلمْ

- ومطلع القصيدة أورده الدكتور القحطاني في كتابه بأربع صيغ مختلفة.

الأولى: بالصفحة ٢٣ بالسطر الرابع على النحو التالي:

هل بالديار إن تجيب صمم
لو كان رسم ناطقاً كلَّم

الثانية: بالصفحة ٧٥ بالسطر الثالث بالصيغة التالية:

هل للديار أن تجيب صمم
لو أنَّ حيا ناطقا كلَّم

- وهذه تكاد تطابق المطلع لولا أن طابع الآلة أبدل حرف الجر (ب) في كلمة «بالديار» بحرف الجر (ل) فصارت «للديار».

الثالثة: ورد البيت بالصفحة السادسة والسبعين بالسطر الثاني بهذه الصيغة:

هل بالديار أن تجيب صمم
لو كان رسما ناطقا كلَّم

- وهنا طابق صدر البيت صدر المطلع لكن العجز في هذا البيت اختلف مع عجز المطلع حيث أبدلت كلمة «أنَّ» في العجز إلى «كان» وكلمة «حيًا» إلى كلمة «رسما».

الرابعة: ورد البيت بالصفحة ٧٧ بالسطر الأول كما يلي:

هل بالديار أن تجيب صمم
لو كان رسمٌ ناطقا كلَّم

- وهنا مازال صدر هذا البيت يساوي صدر المطلع لكن «أنَّ» في عجز المطلع أبدلت «كان» و«حيا» أبدلت إلى كلمة «رَسْمٌ».

وهذه الملاحظة قد لاحظتها عند قراءتي للكتيب في طبعته الأولى وكنت أتوقع عندما علمت بطبعته الجديدة أن يكون الدكتور قد وجه نظر المسئولين بالمطبعة إلى مراجعة ذلك وتصحيح الأخطاء، وأعتقد أن الدكتور ربما وجه نظرهم إلى ذلك ولكن كما يقول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيًا
ولكن لا حياة لمن تنادي

عودة إلى الخلف :

ثم عاد الدكتور برحلتنا معه إلى القهقري فبعد أن تركنا مرحلة الأبيات الأحادية والثنائية والثلاثية وتجاوزنا مرحلة المقطوعات وبدأنا نجابه القصائد وجها لوجه ونسبر أغوارها مع الدكتور ونتعرف على مكامن الدر، ومخابيء السر الذى يفتح لنا الأبواب المغلقة، ويسهل السير على الدروب

المستعصية حتى أصبحنا على مقربة من شاطىء النجاح فإذا به يلوي مقود سيارته ويعود إلى الوراء مسرعا كأنما تذكر شيئا قد نسيه، وخشي أن يأخذ طريقه إلى النسيان التام فعاد بنا إليه فإذا بنا أمام مقطوعات شعرية منها قطعتان لعدي العبادي إحداهما ٦ أبيات والأخرى ٣ أبيات، ولعلقمة خمسة أبيات، ولأمية بن الصلت مقطوعة ذات سبعة أبيات وقد شخَّص الدكتور المقطوعات وتمكن من إدراجها في البحور التي تحمل سماتها، وعالج ما بها من زيادات حتى استقامت واستوت ودخلت مدينة الشعر من أوسع أبوابها.

قصيدة أم السليك :

وردت قصيدة أم السليك في كثير من كتب العروض والقوافي وتناولها النقاد والعروضيون بالتحليل والمناقشة واختلفوا في المسمى العروضي الذي يجب أن تنسب إليه هذه القصيدة فمنهم من يرى أنها من مجزوء الرمل ومنهم من يعدُّها من مشطور المديد وبعضهم عدَّها من مربع المديد، وقبل أن أستعرض لكم الآراء المختلفة في هذه القصيدة التي نسبها الدكتور لأم السليك بينما نسبها ابن القطاع لأخت تأبط شرا أما صاحب الجامع أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي فقد نسبها لأم تأبط شرا، أما صاحب كتاب القسطاس جار الله الزمخشري فقال: «إن البيت (أي مطلع القصيدة) لأم السليك أو لأم تأبط شرا» - أما صاحب العقد الفريد أحمد بن عبد ربه فقد قال في الجزء السادس في الصفحة ١٩٣ ثم كرر القول في الصفحة ٢٦١: «إن اعرابيا خرج هاربا من الطاعون فلدغته أفعى في طريقه فمات فقال أخوه يرثيه:

طاف يبغي نجوة
من هلاك فهلك

- وهذا هو مطلع القصيدة كما أورده الدكتور عبد المحسن في كتابه موضع المناقشة، وهو نفس المطلع الذي أورده صاحب القسطاس بالصفحة ٧٨ لكن مطلع القصيدة عند الجوهري صاحب عروض الورقة بالصفحة ٦٠ جاء هكذا:

ليت شعري ضلة
أيُّ شيء قتلك

- وكذلك ذكره صاحب البارع بالصفحة ١٠٧ على أساس أن كل بيت يساوي شطر المديد المثمن

ليت شعري ضلة أي شيء قتلك
أمريض لم تعُد أم عدوٌّ ختلك

- وبذلك قال صاحب الجامع أيضا:

ليت شعري ضلة
أي شيء قتلك
أمريض لم تعُد
أم عدو ختلك

- ولعموم الفائدة نذكر القصيدة كاملة كما أثبتها الدكتور في كتابه الذي سعدت بقراءته:

طاف يبغي نجوة
من هلاك فهلك
ليت شعري ضلَّة
أيُّ شيء قتلك
أمريض لم تعد
أم عدوٌّ خَتَلَك

أم تـولّى بـك مـــــــا
غــــــال فـي الـدهـر السَّلَكْ
والمـــنـــايـــا رُصَّدٌ
للفـــتـى حـــيث سلكْ
أيُّ شـيء حـــســن
للفــــتى لمْ يكُ لكْ
كـل شـيء قـــاتـل
حـين تـلـقـى أجـلـكْ
طـال مـــا قــــد نلت في
غـــيـــر كـــد أملَكْ
ســـأعـــزُّ النفس إذ
لم يجبْ من ســـألكْ
ليت قلبي ســـاعـــة
صـــبـــرهُ عنك ملك
ليت نفـــسي قـــدمتْ
لـلـمـنـايـا بَدَلَكْ

ـ هذه هي القصيدة التي اختلفت فيها آراء النقاد فالجوهري في كتابه «عروض الورقة» أصرَّ على أنه مربع المديد ويرى أن مسدس المديد هو القديم وأن المثمن محدث وقد أخذ بهذا الرأي كثير، وبهذا الرأي قال جار الله الزمخشري وهو يقول في كتابه عن مربع المديد «جاء لأهل الجاهلية عليه غير شعر ـ أي شعر كثير ـ» ثم يقول: وهو عند الزجاج من مجزوء الرمل المحذوف العروض والضرب».

وأما العروضي فيقول في جامعه: «فهذا من المديد التام ولكنه جاء مصرعا كله ونسبه بعض المشايخ إلى الرمل وهو من الضرب الأخير منه» انظر الجامع صفحة ٦٥.

أما ابن القطاع فيقول في كتابه البارع صفحة ١٠٧ «وقد شذ تام المديد كقول أخت تأبط شرا» فاعتبر كل بيت شطرا من تام المديدة.

هذه آراء بعض النقاد فما رأي الدكتور صاحب البحث؟

يقول الدكتور القحطاني في الصفحة الثالثة والتسعين من كتابه موضع البحث: «حينما لم يجد علماء العروض نصوصا مطردة لمجزوءات بعض البحور لم يدخل ذلك في تقسيمهم، فالمديد أصله:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

وأصله في الدائرة «فاعلاتن فاعلن فاعلاتن/ مرتين» . وهنا نسأل الدكتور ما هو الفرق إذن بين العبارتين «فالمديد أصله» و«أصله في الدائرة» إذا كان كل منهما يمثل ست تفعيلات. إن صحة العبارة الثانية يجب أن تكون «وأصله في الدائرة تفعيلات ثمان هي فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن مرتين».

ثم يتابع الدكتور رأيه فيقول: «ولم يأت له شاهد في الشعر العربي إلا إذا جعل كل بيتين من هذا النص بيتا واحدا كأن يكون:

طاف يبغي نجوة من هلاك فهلك
ليت شعري ضلة أيُّ شيء قتلك

وتكون كل الأبيات مصرعة، وهذا النص يحقق تمام البحر أو سلامة التفاعيل فيه، غير أن المديد لم يرد إلا سداسي التفاعيل».

وهذا اعتراف ضمني من الدكتور بأن مثمَّن المديد على الدائرة لا يمثل إلا وزنا وهميا ليس له على أرض الواقع ما يثبت وجوده، وأن العروضيين يرددون في مؤلفاتهم أن العرب لم يقولوا قصيدة تنطبق عليها

تفعيلات مثمن المديد، وكل ما عرف عنهم هو أن المديد سداسي، وما دام الأمر كذلك فلكل سداسي مجزوء رباعي وهذا ما ذهب إليه أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري وحكم على هذا النص بأنه من مربع المديد.

خاتمة الفصل الأول :

ينتهي الفصل الأول من كتيب الدكتور عبد المحسن فراج القحطاني الموسوم بـ «بين معيارية العروض وايقاعية الشعر» بعرض سريع، أو بملخص لما بذله الدكتور من جهد مشكور في اعداد هذا البحث، واخراجه، وما توصل إليه من نتائج حيث يقول: «وبعد فإنَّ النصوص الشعرية التي وردت في هذا البحث، وتطرق إليها القدامى والمحدثون من العروضيين والنقاد إنما كانت تبحث عن سمة خاصة بها»·

فهل استطاع الدكتور أن يحل كل الرموز التي وقف الكثير أمامها في حيرة كبيرة حتى وصموها بالاضطراب والخلل الوزني؟ يجيبنا على هذا السؤال قول الدكتور «فمنها ما استطاع أن يستقر في مكان موسيقي وُضع له اسم كمخلع البسيط، ومنها ما كان في منطقة ضيقة - كما سبق - ادعاها أكثر من بحر، ومنها ما كان بيتا أو شطرا من بيت لم تستطع الدراسة أن تصنفه في ميزان معروف أو مستقل باسم ثابت له»·

وفي رأيي أن عدم استطاعة الدكتور تصنيف البيت أو الشطر في بحر معين ليس عجزا أو جهلا ولكنه يرى أن ذلك لا يعطي النتائج الصادقة كما تعطيها أبيات القصيدة بأكملها كما أن هناك سببا آخر أوضحه الدكتور في نهاية الخاتمة حيث يقول: «وعلى الدرس العروضي أن لا ينظر لبيت أو شطر مستقلا عن كامل النص، لأن هذا سيؤول بالدرس إلى وجود بحور كثيرة، أو أعاريض وأضرب متعددة في نص واحد، والذي يهم، أن يبحث عن القاسم المشترك في كل نص، لأن المناقشة ستدور حوله»·

«للبحث صلة»

الهوامش:

(١) ورد اسم سُلْميٍّ بن ربيعة في أمالي القالي الجزء الأول صفحة ١١١ وفي كتاب «التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه» لأبي عبيد البكري بالصفحة الثالثة والأربعين قوله «هكذا روي عن أبي علي رحمه الله - سَلْمَى بفتح السين والميم، ولم تختلف الرواة ان اسم هذا الشاعر: سُلْمي بضم السين وكسر الميم وتشديد الياء وهو سلميٍّ بن ربيعة بن زبان بن عامر الضبيٍّ ، غير أنه في هامش الصفحة أورد الجملة التالية: قال سلمان بن ربيعة الضُّبيّ·

وفي الاعلام للزركلي المجلد الثالث صفحة ١١٥ ذكر اسمه سُلمي بن ربيعة الضبي ثم عقب على ذلك بقوله: وفي ضبط اسمه خلاف·

والدكتور القحطاني أورد اسمه في كتيبه بعدة اسماء فتارة كتبه سلمي بن ربيعة - بدون تشكيل - بالياء المعجمة وتارة سلمى (بالألف المقصورة) بن ابي ربيعه كما ورد في السطر السابع من الصفحة السادسة والأربعين وفي نفس الصفحة في السطر الأخير منها أورد اسمه سلمى بالألف المقصورة كما كرر ذكر سلمي بن أبي ربيعة في صفحة ١٧٥ من كتيبه· أما ابن القباع في كتابه «البارع» فقد ذكر اسمه في الصفحة ١١٧ بالهامش «سلمى بن ربيعة» بالالف المقصورة·

(٢) ورد ذكر الشنتريني في كتيب الدكتور عبد المحسن القحطاني عدة مرات نذكر منها صفحة ٧٤، ٧٥، ٨٧ ويقصد بذلك مؤلف كتاب «المعيار في وزن الأشعار والكافى في علم القوافى» غير أن اسمه الصحيح كما أورده مؤلف كتاب نفح الطيب في الجزء الثاني ص ٢٣٨ وهو أبو بكر ابن السرّاج، النحوي - بتشديد الراء - وهو محمد بن عبد الملك بن محمد بن السراج الشنتمري، أحد أئمة العربية المبرزين فيها، ويكفيه فخراً أنه أستاذ أبي محمد عبد الله بن بري المصري اللغوي النحوي، له تواليف منها «تنبيه الألباب في فضل الإعراب» وكتاب في العروض، وكتاب «مختصر العمدة» لابن رشيق وتنبيه أغلاطه·

٣٢

الدكتور



يمثل عبد العزيز الدسوقي قلة من ذوي الرأي الحر، فهو لا يكتب إلا عن اعتقاد جازم، ويقين سديد، لذلك تجد مقالاته النقدية والسياسية جياشة موارة، تحسّ فيها وهج الدم، ونبض العروق، وقد تخالفه أو توافقه، ولكنك تعرف أنه صادق مخلص، لا يستملي غير ضميره، ولا يستمع إلى غير هتاف وجدانه، ومثل هذا الكاتب يعاني أزمة من أصدقائه قبل أن يعانى أزمات خصومه، لأنه حين يندفع إلى معارضة أستاذ عزيز عليه، أو صديق يثق بإنسانيته، يكابد حرجا بينه وبين نفسه، ولكنه يحسم الصراع سريعا بكتابة ما يعتقد، وفي يقينى أن أصدقاءه يعرفون معدنه الحر فيقابلون اعتراضاته بالترحيب، أما معارضوه فيحارون في أمره، لأنهم يحبون المعارض السياسيّ الذي يلجأ إلى الدروب والمنحنيات، ويتثعلب ويتذاءب، أما الشجاع الذي يقف فى الميدان ليقول ما يعتقد فهذا مالا يطيقون دفعه، لأن فيهم خفافيش لا تحب غير الظلام.

نشأ عبد العزيز صاحب رأي وهو في عهد الطلب، وقد فهم في عمره الباكر أن الأدب رسالة لا حرفة، لذلك كان أول كتاب ألفه وهو تلميذ في المعهد الأزهرى عن حياة البطل المفترى عليه أحمد عرابي، إذ آمن بزعامته وعشق بطولته، وقد ساءه ما لقى حينئذ من اضطهاد ظالم، حيث لم ينصفه إلا أفراد معدودون في طليعتهم الأستاذ الأديب محمود الخفيف، فرأى أن يكتب عن هذا البطل الخالد كتابا كان تنفيسا عن أوار حبيس في صدره، وقد جال ببصره في مجتمع ما قبل الثورة حين أصدر كتابه الأول فرأى أن الزعيم أحمد حسين أقرب الزعماء إلى قلبه فآثره بحبه، وظل وفيا لمبادئه، وكتب مؤلفه الثانى في عهد الطلب عنه أيضا، وقد جدت أحوال وتغيرت ظروف، واضطر الزعيم الفدائي إلى الانزواء قانعا ببحوثه الإسلامية، وقصصه الأدبية وتباعد عنه من رأوا الخطوة في هذا التباعد زلفى لمن بأيديهم الائتلاق والذيوع، ولكن عبد العزيز آثر الالتصاق الحميم بأستاذه، فكان يستحثه أن يكتب، ثم إذا ظهر مؤلفه إلى النور سارع بالحديث عنه محللا مدققا، وقد قرأت في مجلة الأديب اللبنانية مقالات تحليلية لآثار أحمد حسين كادت تكون منفردة في ميدانها، لأن المرتزقين لم يجدوا عنه نفعا في اعتزاله، فابتعدوا عن التنويه بآثاره، وقد نهض عنهم عبد العزيز بعبء يرونه ثقيلا ويراه أخف من النسيم.

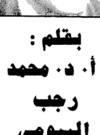
(صلّة وثيقة)

قام الدكتور عبد العزيز على تحرير مجلة الثقافة، فكنت أقرؤها بشغف، ثم رأيت بعد عدة

سنوات من صدورها قصيدة تحت عنوان (رحيل مفاجيء) منشورة باسم شاعرة أخذ اسمها يتردد في ندوات القاهرة، فعجبت أكثر العجب، لأن القصيدة من قصائدى التي نشرتها بمجلتي العربي والأديب في رثاء زوجتى الراحلة، ولم تزد الشاعرة عن أن جعلت ضمير المؤنث مذكراً، وكان مصدر العجب أن القصيدة المسروقة نُشرت في العدد السنوي الممتاز من مجلة العربي وهو عدد يُطبع منه أكثر من مليون نسخة فهو ذائع مشتهر، فكيف يقع هذا السطو دون مبالاة ، ثم جاءنى اعتذار من الشاعرة تعلن فيه أسفها، وتدعونى إلى السكوت دون تعليق حرصا على اسمها، وكتبت للدكتور عبد العزيز أعلمه بما كان، فردّ عليّ بخطاب أعتز به غاية الاعتزاز ، لأنه حدثنى عن نفسى كثيرا بما أجهله عنها، ويعرفه هو بذكائه، وفراسته، ثم دعانى إلى المشاركة في تحرير الثقافة إذ لا يجوز أن تنشر أكثر مقالاتى خارج مصر، ثم لا تظهر في مجلة يقوم على تحريرها! وقد استجبت لدعوته سعيدا مرتاحا، ولكن الدسوقي أصرّ على أن يعلن عن جريمة السرقة إذ أن من حق القراء أن يعرفوا النسبة الصحيحة لأثر أدبي طالعوه، كما أن واجب الردع للسارقين والسارقات جزاء طبيعى، وليس في المسألة هنا قطع يد جزاء بما كسبت، نكالا منه، ولكنه إعلان يحذر من تُسَوِّلُ له نفسه أن يعيد الكرّة غير عابئ بجريرته! وجاء في خطاب تال من الشاعرة يستعطف ويرجو أن أحول دون الإعلان فكتبت ثانية أرجو الدكتور عبد العزيز أن يهمل هذه المسألة فاستجاب على ضيق، وجاءته قصائد أخرى من الشاعرة فواجهها مواجهة قاسية، وأصرّ على أن تكون بمنأى من مجلة الثقافة وهذا حقه الطبيعى فلا نكران.

(مجلة الثقافة)

ظهرت مجلة الثقافة تحمل اسمها الدال على هدفها، فهي استمرار لمجلة سالفة قام على إصدارها فريق من أعلام الفكر الأصلاء، وهم بعد نخبة من كتّاب الرسالة آثروا الانفراد في مجلة خاصة بهم، والرسالة والثقافة معا مجلتان رائدتان تؤصلان تراث العرب وتستقبلان النافع السديد من فكر الغرب، لذلك حرص الدسوقي على أن يكون من محرري الثقافة من بقى من أعلام المجلتين مثل الأساتذة محمود شاكر وطه الحاجرى وعبد الغنى حسن ومحمود البدوى وعباس خضر، وكانت رئاسة التحرير إلهاما صائبا من القدر، لأن الدعوة إلى الحرية في ظل الأصالة والمعاصرة تحتاج إلى مكافح قوي الشكيمة يعيد ما طمسه الانتهازيون على مدى عشرين عاما أو تزيد حين اندست الألغام الناسفة لتدمر الحياة الروحية والسمو الأدبي على أيدى من يسمون أنفسهم بالماركسيين أو الناصريين أو المكافحين ادعاء فقط عن حقوق العمال والفلاحين، وقد احتلوا منابر الإذاعة والصحافة ودور النشر والطباعة ليحاربوا كل اتجاه إسلامي، وليشنوا الحرب على الدين باسم الفن الحـــر، داعين إلى الانحدار الخلقي مباهين بالإلحاد والزندقة، وقد حصروا حرية الفن في تصوير العلاقات الجنسية، وتهوين الرذائل الخلقية، فإذا عرفوا قلما مؤمنا لفّقوا له التهم ووصموه بالرجعية والعمالة، ومن ورائهم ما يسمى بمراكز القوى تشد الأزر، وتمهد السبيل، لأن أصحاب هذه المراكز في حاجة إلى مأجورين يزيفون، وانتهازيين يباركون! كان العبء ثقيلا لا يطيقه غير كاهل قويّ، ولا ينهض به إنسان مجامل يحذر المواجهة الصريحة، فهيأت الأقدار عبد العزيز



بقلم : أ. د. محمد رجب البيومى
- المنصورة -

الدسوقى ليجابه هؤلاء بصراحته الرنانة، وأقول الرنانة عن قصد، لأنه لا يعرف الهمس العاتب، أو التورية ذات الوجهين. وقد تتبع هؤلاء في كتاباتهم المنتشرة على مدى العالم العربي، فكان يعقب على كل مقال يخالف منهج الثقافة، واصطدم بمن يحملون الأسماء المدوية ذات الطبل الناهق، ولهم مكاناتهم العلمية، ومراكزهم الجامعية، وأشياعهم المغرورون، اصطدم بكل هؤلاء وفيهم من بلغ أرزل العمر سنا دون أن يفكر في غده القريب، وقد ارتاع هؤلاء إذ تعودوا على مدى ربع قرن أن يقولوا دون معارضة، وأن يتهموا البرءاء في أمن من أن يجابهوا بالنقد الهادم! كما أن من براعته الفائقة أن عمل على جذب الكبار من أصدقائه السياسيين ليسهموا معه في ميدان الكفاح، فكانت المجلة تحفل بمقالات أحمد حسين وفتحى رضوان وحافظ محمود، وهم أصحاب رسالة قبل أن يكونوا كُتَّابا في الصحف والمجلات! لقد جاء نصرالله والفتح فيما ناضل به الدسوقى على صفحات الثقافة! وهو جهد لن يضيع.

(أساتذة الأدب):

ذكر لي الأستاذ الدسوقى في بعض خطاباته، أنه يلمح توافقا كبيرا بين ما أكتبه ويكتبه، حتى إنه ليقرأ لي ما كان يود أن يقوله كثيرا، وقد أرجعت ذلك إلى اتحاد المنبع الثقافي الذي ارتشفنا منه معا، وقد ذكر فيما كتب عن نفسه أنه تأثر في مطلع حياته الأدبية بالدكتور طه حسين والدكتور زكي مبارك والأستاذ مصطفى عبد الرازق، فكانت آثارهم موضع اهتمامه إلى حد الكلف، ولعلى أكون قريبا منه حين أعلن أنى تأثرت أيضا بالدكتور زكى مبارك والدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين، وأحمد أمين قريب من مصطفى، لأن الذى يقرأ كتاب (تمهيد في تاريخ الفلسفة الاسلامية) للأستاذ مصطفى عبد الرازق يشعر بجو مشابه لجو فجر الاسلام وضحى الإسلام مع فارق لابد منه هو أن مصطفى عبد الرازق يكثر من النصوص، ويعيش في ظلها، أما أحمد أمين فيقرؤها ثم يأخذ منها ما يشاء فيصوغه بأسلوبه تارة، وينقل النص تارة أخرى! والأستاذان عالمان أزهريان نسير على نورهما المضيء، وقد فسح الدسوقى جانبا كبيرا من صفحات الثقافة لدراسة الأعلام الثلاثة، وكان صادقا كل الصدق مع نفسه حين دافع عنهم بإخلاص، دافع عن الدكتور طه معارضا ما كتبه أستاذاه الكبيران أحمد حسين ومحمود محمد شاكر حيث ألح الأول على الحديث عن اتجاه طه حسين المستغرب في شبابه الأول، وانطلق إلى أمور ذات حساسية رأى الدكتور الدسوقى أن أحمد حسين قد تجاوز بعض الحد في سردها، فأقر الحق في نصابه، وعقب عليه أستاذه بما يعد تقاربا والتئاما، لا بعدا وانفصاما! أما الاستاذ شاكر فقد شك في قدرة طه حسين على التذوق الأدبى للنص، وأبدى من الأدلة ما أقام به وجهة نظره، ولكن الدسوقي عارضه حين قرر أن كُتُب طه المختلفة إذا صرفنا النظر عن كتاب (المتنبي) تنطق بقدرة فائقة على تحليل النص الأدبي ترتفع بطه إلى الذروة، كما أذكر فى هذا المجال أنه عارض في رسالته الجامعية (تطور النقد الحديث في مصر) رأيا للأستاذ فتحى رضوان في اتجاه طه الاستشراقى، فأكد في لباقة أن الأستاذ فتحي رضوان لا يريد أن يطلق حكما عاما على أفكار طه حسين كلها. ولكنه يصف المرحلة الأولى من مراحل فكره، وهذا حق.

أما الدكتور زكى مبارك فقد حباه الدسوقى بمقالات جيدة تصوّر ما لقيه من العقوق والجحود، وتحلل مأساته تحليلا يردها إلى أسبابها الصحيحة، كما اختص كتاب وعبقرية الشريف الرضى، بدراسة كاشفة، وواصل الحديث عنه في مناسبات مختلفة، ولم يشأ أن يترك مصطفى عبد الرازق إذ خصه بفصل من رسالة الدكتوراه، وما كان مصطفى عبد الرازق نفسه يظن أنه سيحتل فصلا نابها فى مجال الدراسات النقدية، لولا أن فطن الدسوقى إلى كتاب (البهاء زهير) فحلله تحليلا منيرا يدل على يقظة واعية، وقال فيما قال

إن انشغال مصطفى عبد الرازق بتدريس الفلسفة والفقه وعلم الكلام وتوليه الوزارة ومشيخة الأزهر قد أضعف دوره المنتظر في النقد، وهذا حق، لأن كتاب (من آثار مصطفى عبد الرازق) يحمل من بوارق النقد المبكر ما يهيىء لمستقبل منتظر، وقد حللت هذا الكتاب في بعض أعداد مجلة الثقافة فراسلني الدسوقي مباركا، أما أسلوبه الأدبي فيسمو إلى مستوى بلغاء العصر كالزيات والبشري.

(مقالات الثقافة)

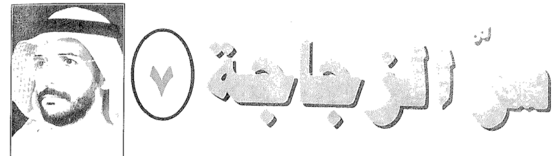
أخذت أتابع بحوثي الأدبية في مجلة الثقافة دون انقطاع، وقد اعتدت أن أرفق كل مقال أرسله للدكتور الدسوقي بخطاب شخصي أتحدث فيه عن مقالات العدد الأخير، وأكثر ما أتجه إليه وجهة النقد، إذ أنا في هذه الرسالة الشخصية أُمَثِّل كاتب السيئات عتيدا، لا كاتب الحسنات رقيبا، وكان ارتياح الدسوقى لهذه النقدات، وتعقيبه عليها في حديثه ومراسلاته دافعا لمواصلتها، ولكنها أصبحت لديه سلاحا ذا حدين؛ إذ أخذ يهددني بنشرها لو توانيت عن مقالات الثقافة، ولو نشرت لأغضبت فريقا أكثرهم في مرتبة أساتذتي، لأن الكاتب كائنا من كان لا يبدع في كل ما يكتب، بل ينحدر حينا وفقا لحالته الخاصة حين كتابة المقال، وربما تعجل فساق الكلام دون أناة فوقع فيما يوجب النقد.

على أن عبد العزيز كان يدعوني لنقده شخصيا، وما كنت أسكت عما أراه موضع نقد، إلا أني كثيرا ما أحترم وجهة النظر المخالفة فلا أشتط في المعارضة، أذكر أني قرأت له في رسالته الجامعية عن حركة أبولو الشعرية رأيا في تجديد مطران الشعري لم يرجح لديّ إذ ذهب إلى أنه ليس بقائد حركة التجديد في الشعر المعاصر تلك الحركة التي تبلورت في ما يسمى بجماعة الديوان ثم ما وليها من الشعر المهجري، وشعر جماعة أبولو، مع أن التاريخ المؤكد يحقق سبق مطران، إذ واصل النشر في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، حين كان شكري والمازني والعقاد في سن الطفولة، ثم شب الثلاثة ليقرءوا إبداع مطران متواليا في الصحف الذائعة، والمجلات الأدبية قبل الجزء الأول في ديوان خاص، فكيف لا يتأثر به نفر من أيفاع المتطلعين إلى السبق الشعري وهم يطالعونه دون انقطاع، قرأت رأى الدسوقي في سبق مطران، فلم أشأ أن أناقشه في مقال جديد، ولكني أخبرته في محادثة عابرة بإدارة مجلة الثقافة أن لي بحثا خاصا بتجديد مطران نشرته منذ عشر سنوات في مجلة (الأدب) ولعلّه فطن إلى ما أريد.

(متابعات)

كان الدسوقي يكتب المقال الافتتاحي بالثقافة، ومعه بحث أدبي مبسوط ينشره في وسط المجلة، ثم يختمها بباب المتابعات، حيث يترصد ما يشذ من الآراء في مجلات العالم العربي، ليعقب بتصحيح قوي، قد ترتفع حرارته فيصبح نقضاً هادما، إذا كان المجال يتطلب الهدم المكتسح، وله في هذه الجولات فروسية ممتازة، لأنه ثبت كالطود في مهب الأعاصير الجارفة، مع احترام مؤكد لأساتذة كبار كالدكتور زكي نجيب محمود، والدكتور/ لويس عوض، والدكتور فؤاد زكريا قد اضطر الى مخالفتهم بالمنطق الملزم، والحُجّة الدامغة، وأذكر أني حاولت أن أكون ذا تعقيبات متواضعة أكتبها بتوقيع (أبو حسام ـ المنصورة) ففسح لي الدكتور الدسوقي مجالا طيبا، وكان من المصادفات أن تابعت أستاذنا محمد عبد الغني حسن في تحقيق مسألة عروضية تتعلق بشعره، فرد الأستاذ ردًا كريما، ولكن الأستاذ الدكتور الدسوقي رجح ما ذهبت إليه، فكان طريفا من الأستاذ محمد عبد الغني حسن أن يعقب على ذلك بقوله: «ماذا أصنع وقد وقعت بين شيخي طريقتين صوفيتين، يريد الطريقة الدسوقية، والطريقة البيومية؟! وأنا وأخي عبد العزيز لا نعرف شيوخ هاتين الطريقتين ، ولكن الاسم نمّام».

إن لعبد العزيز محلّه الكريم لدى من يتبعون أحسن القول، ومن يقدرون معارك الرأي النزيه.



بقلم: د . عبد الرزاق فراج الصاعدي
الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة

٣٦ ـ الجدّ والهزل :

تلقيتُ رسالة من قارىء يقول فيها: أنت تخلط في هذه الزاوية الجد بالهزل ، نراك محتشما جاداً رصيناً في فقرة من فقراتها، ثم لا تلبث أن تتحول إلى الهزل في فقرة أخرى.

فهل تتعمد ذلك؟ ولماذا؟

فأقول للقارىء الكريم: أشكرك أولا على ما جاء في الرسالة من إطراء لا استحقه، وأشكرك على ملحوظاتك القيمة.

وأجيب عن سؤالك بالإيجاب، نعم، أتعمد ذلك؛ لأن المداومة على الجد ثقيلة على النفوس والأبدان، والنفس تحتاج إلى الاسترواح والتفريج عن الهموم وضغوط الحياة المتزايدة.

ومن القراء من يقرأ ليزيح عن نفسه الأكدار، ويتسلى بلذيذ القول وطريفه وغريبه، مما هو في باب الكلام المباح الذي يدخل في فن الأدب.

ومنهم من هو جاد يبحث عن الفوائد العلمية الرصينة.

فأحببت أن أرضي هؤلاء وهؤلاء.

ومن القراء من يقرأ ليزيح عن نفسه الأكدار، ويتسلى بلذيذ القول وطريفه وغريبه، مما هو في باب الكلام المباح الذي يدخل في فن الأدب، ومنهم من هو جاد يبحث عن الفوائد العلمية الرصينة. فأحببت أن أرضي هؤلاء وهؤلاء.

على أنني لا أكتب هذه الزاوية لأحد، فأنا أكتبها لنفسي، ويقرؤها معي أولادي في بيتي، والرجل في بيته كالطفل، يمزح ويمرح، ويلقي عن كاهله إزار الجد، وقد كان سلفنا الصالح يفعل ذلك، فيخلطون الجد بالهزل المباح، ولا سيما في بيوتهم، و(سر الزجاجة) جزء من بيتي، بل جزء من أملاكي الخاصة فأنا أعرف حدودها من جهاتها الأربع، وأعرف شوارعها وأعرف جيراني، فقد أحييتها إحياء شرعياً، ولهذا قطعت عليها «صكاً» دون أن تعلم مجلة المنهل، فهذه الزاوية تخرج بيضاء ناصعة إن تأخرت عن الكتابة في شهر ما.

نعم، هي ملكي أنا وحدي، يقرؤها معي أهل بيتي ولا أريد أن يقرءها أحد غيرنا، ومن قرءها فليستغفر الله، وليعلم أن ذلك من باب التعدي على أملاك الناس وحقوقهم الخاصة!! إلا من أطل إطلالة عابر السبيل، أو أجبره طول السفر أن يستريح فيها.

٢٧ ـ الرد على النحاة:

ظهر ابن مضاء القرطبي (٥١٣ ـ ٥٩٢هـ) في عهد دولة الموحدين في الأندلس، التي كانت تتزعم الثورة على المشرق العربي في الفقه وفروعه، وتدعو للمذهب الظاهري كما يقول المراكشي في (المعجب ٣٥٤) والتي دعا خليفتها الثالث إلى حرق كتب المذاهب الأربعة، فأحرق منها جملة في سائر بلاد الأندلس، كمدوّنه سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي

زيد، ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها كما يقول صاحب (نفح الطيب ٢/٧٢).

وقد تأثر ابن مضاء القرطبي بهذه النزعة، فغدى ظاهرياً في النحو والفقه، وردّ على النحاة جميعا في نظرية العامل وأنكر العامل، ودعا إلى تخليص النحو منه، وما جرّ إليه من ركام الأقيسة والعلل مما يسمى بالعلل الثواني والثوالث.

وهو يتهم النحاة بأنهم لا يعقلون، إذ يقول: «وأما العوامل النحوية فلم يقل بها عاقل، لا ألفاظها ولا معانيها، لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع» ولهذا فلا حاجة إلى العوامل النحوية في النحو في نظره، فدعا إلى حذفها والاستغناء عنها.

وقد صادف كتابه قبولا لدى كثير من المعاصرين في زماننا عند اطلاعهم على مطبوعته التي أخرجها الدكتور شوقي ضيف سنة ١٩٤٧م، فأقبلوا عليه يدرسونه، ويكتبون عنه الأبحاث والمقالات، واتخذه غير طالب في الجامعات العربية موضوعاً لأطروحة علمية عالية.

وأرى أن كتاب «الرد على النحاة» لابن مضاء ليس جديراً بذلك التقدير، فقد جانبه الصواب في إنكاره نظرية العامل، ولم يستطع أن يقدم بديلا لتلك النظرية الفريدة التي قام عليها بنيان النحو العربي عدّة قرون.

وابن مضاء شاذ فيما ذهب إليه كما يقول صاحب (إشارة التعيين ٣٣) دفعه مذهبه إلى ارتكاب ذلك الشذوذ، وتقبله منه من يسعون إلى كل جديد لأنه جديد، وينكرون القديم لأنه قديم، فكتب الدكتور شوقي ضيف كتابا بعنوان «تجديد النحو» لا قيمة له في نظري، وفيه أخطاء جلية في بابي الاشتغال والتنازع وهما البابان اللذان قرأتهما فيه لأنهما عمدة ابن مضاء والأنموذج الذي قدمه في كتابه، ومن أراد أن يتثبت من هذا الكلام فليعد إلى الكتاب، وينظر فيه نظرة الفاحص المدقق، فإن رآني أخطأت الحكم والتقدير فلينبهني مشكوراً.

٢٨ ـ لهجة قديمة:

قطّعه قطّاعا، وكسّره كسّاراً.

هذه لهجة سمعتها مراراً من بعض أهل الجنوب في بلادنا في نواحي جيزان، وظننتها لحناً، لأنهم يأتون بالمصدر من (فَعَّلَ) الثلاثي المضعّف العين، فيجعلونه على وزن (فِعّال) بكسر الفاء وتضعيف العين، فيقولون: قطع الشيء قِطّاعا وكسّره كِسّاراً. والقياس أن يجعلوه على وزن (التفعيل) فيقولوا: قطعه تقطيعاً وكسّره تكسيراً.

ثم تذكرت أنها لغة وقعت في القرآن الكريم في قوله عز وجل: {وكذّبوا بآياتنا كذّابا} وقوله: {لا يسمعون فيها لغوا ولا كذّابا}.

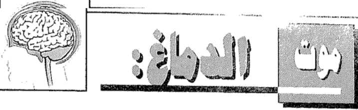
قال الفراء: خفّفها علي بن أبي طالب رضي الله عنه «كذَابا» وثقّلها عاصم والأعمش وأهل المدينة والحسن البصري.

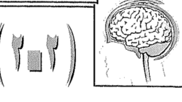
قال: وهي لغة يمانية فصيحة يقولون: كذّبت به كذّابا، وخرّقت القميص خرّاقا، وكل فعّلت فمصدره فعّال في لغتهم مشدد العين (ينظر: معاني القرآن ٣/٢٢٩).

٢٩ ـ قرأت لك:

قال الشاعر العربي بعد أن فارق أرض الأحبة:

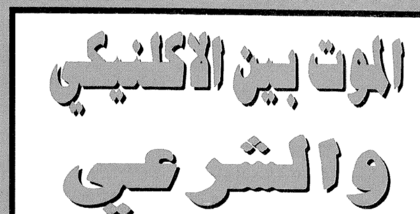
وتلفتت عيني فمذ خفيت
عني الطلول تلفّت القلبُ







بقلم:
د. **محمد على البار**
- مستشار الطب الاسلامي
- عضو مجمع الفقه الإسلامي
- أخصائى الامراض الباطنة
- جدة -



في أيامنا هذه كثر الحديث عن تعريف الموت، ذلك لأن أجهزة ومعدات العناية المركزة الموصلة بجسم مريض الغيبوبة المستديمة قد أحدثت وضعاً جديداً لهولاء المرضى جعلتهم في حالة بين حالتين كما يقولون بين (الحياة والموت) فلا هو حي ينتفع بحياته ولا هو ميت.

وهنا ، تدور مجموعة من علامات الاستفهام حول حقيقة الموت.

هل هو موت الدماغ، أم موت القلب، أم موتهما معاً، أم هو شيء آخر..؟.

لكل هذا نسعد بنشر هذه الدراسة القيمة المقدمة من قبل الاستاذ الدكتور محمد على البار، وهو الى جانب تخصصه العلمي في الطب فهو ايضاً عضو في مجمع الفقه الإسلامي في جدة، ومستشار الطب الاسلامي وله مشاركاته العلمية الجادة في مجال الدراسات الفقهية المتعلقة بجانب الطب. - المنهل -

علامات الموت وتشخيصه عند الفقهاء:

لقد قرر علماء الشرع أن الموت هو مفارقة الروح الجسد الى ما أعدّ لها من نعيم أو عذاب حسب عملها في هذه الدنيا وأن الموت هو انتقال من دار الى دار وليس عدما محضا فالروح باقية لكنها لم تعد تستطيع التصرف في هذا الجسد.

والروح أمر غيبي لا نستطيع أن ندرك كنهه قال تعالى: {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} (الاسراء/٨٥).

قال الامام الغزالي: «الروح هي اللطيفة العالمة المدركة في الانسان. وهو أمر رباني عجيب تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته»(٣١).

وقد جاء في تفسير الامام الشوكاني في تفسير قوله تعالى {ويسألونك عن الروح} الآية.

وقد اختلف الناس عن المسئول عنه فقيل هو الروح المدبر للبدن الذي تكون به حياته وبهذا قال اكثر المفسرين قال الفراء، الروح الذي يعيش به الانسان لم يخبر الله سبحانه به أحدا من خلقه ولم يعط علمه أحداً من عباده.

وانتهى الامام الشوكاني الى أن الروح من جنس ما استأثر الله بعلمه.

وقال الجنيد رحمه الله: «إن الروح شيء استأثر الله بعلمه ولا يجوز لأحد البحث عنه (أى ماهيته وكنهه) أكثر من انه موجود».

وقال الشعراني: «لم يبلغنا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تكلم عن حقيقة الروح مع أنه سئل عنه فنمسك عن الحديث عنها أدبا».

لهذا كله بحث الفقهاء عن العلامات التي تمكنهم من معرفة الموت. وقد استدل الفقهاء على الموت ببعض الامارات وببعض الأحاديث النبوية نذكرها كما جاءت في بحث فضيلة الدكتور بكر ابو زيد رئيس مجمع الفقه الاسلامي بشيء من الاختصار[٣٢].

١ ـ عن أم سلمه رضي الله عنها أن رسول {صلى الله عليه وسلم} قال: إن الروح إذا قبض أتبعه البصر (أخرجه مسلم).

٢ ـ عن شداد بن أوس أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح. وقولوا خيرا فإنه يؤمن على ما يقول أهل الميت (أخرجه أحمد في مسنده).

وعلامات الموت هي: انقطاع النفس، واسترخاء القدمين وعدم انتصابهما، وانفصال الكفين، وميل الأنف، وامتداد جلدة الوجه، وانخساف الصدغين، وتقلص خصيتيه الى فوق مع تدلي الجلدة وبرودة البدن. فإن حدث شك أو مات الشخص فجأة فعلى الشخص الانتظار حتى تتبين العلامات، قال الامام النووي في روضة الطالبين[٣٣] فإن شك بأن لا يكون به علة، واحتمل أن يكون به سكتة، أو ظهرت أمارات فزع أخّر الى اليقين بتغير الرائحة أو غيره».

«وفي حالات الموت بالسكتة والصعقة والخوف والسقوط ونحوها مما قد ينتج عنه الموت المفاجيء يطلب الفقهاء أن ينتظر بالميت احتياطيا حتى تظهر به العلامات المعتبره في غير هذه الأحوال من استرخاء الرجلين وانخساف الصدغين الى آخره ليتحقق الموت»[٣٤].

ولا شك أن هذه العلامات ليست يقينية ما عدا توقف النفس توقفا نهائيا لا رجعة فيه. ولذا اعترف الفقهاء أنفسهم أنهم كانوا يشخصون الموت في حالات لم تمت بعد حتى قال ابن عابدين في ا لحاشية: «إن أكثر الذين يموتون بالسكتة يدفنون وهم أحياء، لأنه يعسر ادراك الموت الحقيقي إلا على أفاضل الاطباء»[٣٥].

وقد نقلنا كلام فضيلة مفتي تونس العلامة الشيخ محمد المختار السلامي في حكم الفقهاء على الجنين الذي لم يستهل صارخا. وكيف انهم اعتبروه ميتا. وكم من ملايين الاطفال عبر ألف عام أو تزيد حكم عليهم الفقهاء بالموت لأنهم لم يستهلوا حياتهم صارخين. بل أن بعضهم لم يعترف بالتنفس ولا بالعطاس ولا بالرضاع!! وإليك ما قال مرة أخرى:

يقول خليل: «ولا سقط ما لم يستهل صارخا ولو تحرك أو بال أو رضع »!!؟!!

وزعم ابن القاسم أن عمر رضي الله عنه عندما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي كان معدوداً في الأموات رغم أنه كان يتكلم ويعهد ويدرك ويحسّ الالام... الخ.

ولا شك أن علامات الفقهاء للموت ستؤدي الى كارثة حقيقية إذا أخذنا بها. ولا شك أن الآلاف سيحكم عليهم بالموت وهم أحياء حسب هذه التعريفات الفقهيه للموت.. وقد أدت تعريفات الموت عند الفقهاء إلى دفن آلاف بل ملايين الاطفال الذين لم يستهلوا صارخين وهم أحياء كما أدت الى دفن آلاف ومئات الآلاف من الاشخاص الذين أصيبوا بالسكتة وكما قال الفقيه ابن عابدين فإن اكثر الذين يموتون بالسكتة يدفنون وهم أحياء.

ولهذا فإن تشخيص الموت لا يترك للفقهاء ولعامة

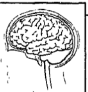
الناس وقد تنبهت الحكومات في العالم أجمع الى ذلك، فأوكلت تحديد الحياة بدءاً وانتهاء إلى أهل الذكر في هذا المجال وهم الأطباء. وقد قال الله تعالى {فاسألوا أهل الذِّكر إن كنتم لا تعلمون}.

ومن الخطورة بمكان أن نأخذ بهذه العلامات البسيطة التي كان الفقهاء يأخذون بها ويعتبرونها علامة للموت مثل استرخاء القدمين وانفصال الكفين وميل الأنف وامتداد جلدة الوجه وانخساف الصدغين، وتقلص الخصيتين الى فوق مع تدلي الجلدة وبرودة البدن. فهذه العلامات جميعا ليست علامة للموت.. بل إن توقف التنفس لديهم وهو علامة هامة للموت قد يكون عارضا ويمكن انقاذ المصاب به.. وقد لا يكون علامة للموت الا إذا استمر وقتا كافيا.

والغريب حقا أن الفقهاء لم يوضحوا كيفية الاستدلال على توقف التنفس كما انهم لم يعرفوا أهمية الدورة الدموية ونبض القلب، ولم يذكرها أحد منهم في تعريفهم لعلامات الموت سوى ما ذكره فضيلة القاضي بمحكمة قطر الشرعية الأولى الشيخ عبد القادر العمارى في بحثه نهاية الحياة من أن بعض الفقهاء المتأخرين اعتبر جسّ العرق الذي بين الكعب والعرقوب وجسّ العرق في الدبر»[٣٦].

وحتى هذه العلامات لا تعتبر علامة على الموت إذ أن المصاب ببعض أمراض الدورة الدموية يفقد النبض من الشريان الموجود بين الكعب والعرقوب (الشريان القصبي الخلفي Posterior Tibial artery).

ولم يكتف الفقهاء بذلك كله بل تحدثوا عن الموت حكما والموت تقديرا. وقسموا الموت الى حقيقي وهو انعدام الحياة إما بالمعاينة (وهو ما تحدثنا عنه فيما سبق) أو بالسماع أو بالبيّنه، والى حكمي وهو أن يحكم القاضي بموت شخص مع احتمال حياته ومثاله المفقود، أو مع تيقن حياته ومثاله المرتد الذي فرّ الى أرض الكفار أهل الحرب. فهؤلاء جميعا تعتد زوجاتهم عدة الموت ويجوز لهن



الزواج وتقسم التركة بالنسبة للمفقود أما المرتد فلا يرثه أهله بل تأخذ الدولة ماله[٣٧].

«والموت التقديري هو إلحاق الشخص بالموتى تقديرا، وذلك في الجنين الذي انفصل بجناية على أمه وهي التي توجب الغُرَّة (تقدر بخمسة في المائة من دية الانسان أو ٥٠ دينار ذهب) بأن يضرب الشخص امرأة حاملا فتُلقي جنينا فتجب الغُرَّة وهي عبد أو أمه، وتقدر بنصف عشر الدية الكاملة[٣٨].

أنواع حركة المذبوح:

وقد فرق الفقهاء بين من وصل الى حركة المذبوح نتيجة عدوان أو افتراس وحش، فإن هذا يحكم بموته وتسرى عليه أحكام الموت وتعتد زوجته وتقسم تركته. ولو اعتدى عليه شخص آخر فذفّف عليه وأجهز فلا يعتبر الثاني قاتلا بل الأول، وانما يحكم على الثاني بالتعزير لامتهانه كرامة الميت.

فرق الفقهاء بين من وصل الى حركة المذبوح نتيجة عدوان أو افتراس وبين من وصل اليها نتيجة مرض. فإن من وصل الى حركة المذبوح نتيجة مرض لا تسري عليه أحكام الموت ولا تقسم تركته ولا تنكح زوجته ويلزم قاتله القصاص.

قال النووي في المنهاج: «ولو قتل مريضا في النزع وعيشه عيش مذبوح وجب بقتله القصاص»[٣٩] قال الشارح لأنه قد يعيش بخلاف من وصل بالجناية الى حركة المذبوح.

قال العلامة عميره في حاشيته على منهاج الطالبين: «وعبارة الامام (أي النووي) لو انتهى الى سكرات الموت وبدت أمارته وتغيرت أنفاسه لا يحكم له بالموت بل يلزم قاتله القصاص»[٤٠].

وقال الزركشي في المنثور في القواعد: «إن المريض لو انتهى الى سكرات الموت، وبدت مخايله لا يحكم له بالموت، حتى يجب القصاص على قاتله»[٤١].

تعليل الاختلاف في الحكم:

ويقول الدكتور محمد نعيم ياسين في تعليل هذا الاختلاف في الحكم بين حالتين متماثلتين: «والذي

يظهر أن هذا الفرق الذي ذكره الزركشي بين الصورتين غير مؤثر في اختلاف الحكم ويدل على ذلك ما صرّح به نفسه وصرّح به غيره من علماء الشافعية، فيما نقلناه سابقا، أن صاحب الفعل الأول لو كان حيوانا مفترسا وأخرج حشوة المقتول وأبانها فإن القتل لا يضاف الى أي صاحب فعل لاحق، مهما كان. واضافة الفعل الاول الى حيوان مفترس لا يختلف من حيث النتيجة عن اضافته الى أي حادث سماوي يوصل الشخص الى النتيجة نفسها كانهيار بيت عليه مثلا ونحو ذلك.

«ولكن المعنى المعقول الذي يمكن أن يفرّق بين الصورتين هو مدى التحقق من وصول الشخص الى الحياة غير المستقرة التي يتيقن من عدم امكان انعكاسها إلى حياة مستقرة. ومظاهر النزع في عهد أولئك الفقهاء لم تكن كافية لتغليب الظن، فضلا عن التيقن، على أن المريض قد انتقل فعلا الى مرحلة عيش المذبوح، كما سمّوه بدليل أن حالات كثيرة يوصف فيها الشخص بأنه وصل الى حالة النزع الأخير ثم يتجاوزها ويعيش الى ما شاء الله.

«وإذا كان هذا هو الفرق الحقيقي بين الصورتين السابقتين، فإنه لا يؤثر على فهمنا السابق لموقف الفقهاء من تحديد زمن الوفاة في مسألة الاشتراك على التتابع في جريمة القتل بل يؤيده»[٤٢].

«ومقتضى كلام الدكتور محمد نعيم ياسين أنه لا فرق بين من وصل الى حركة المذبوح نتيجة افتراس وحش أو اعتداء انسان أو حادث سيارة أو هدم أو غيرها من الحوادث أو نزف في الدماغ لأي سبب إذا أمكن التيقن من التشخيص وأن المصاب قد وصل فعلا الى حركة المذبوح وهو من فقد الادراك والنطق والاحساس والابصار ولم تعد له حياة مستقرة، وإن كان قلبه ينبض والدم يجول في عروقه وكثير من أعضائه لا يزال يعمل، بل لا يزال يتنفس بدون منفسه ولا آلة!!

فإذا كان الفقهاء قد حكموا على مثل هذا الشخص بالموت، وهو مالا يجرؤ الأطباء على فعله فإن تشخيص موت الدماغ بمواصفات الأطباء اليوم أشد بكثير من مواصفات الفقهاء في تعريف الحياة غير المستقرة وحركة المذبوح وما شاكل ذلك.

مفهوم الموت عند الأطباء:

لا شك أن الروح أمر من أمور الغيب. قال تعالى {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي. وما أوتيتم من العلم الا قليلا} (الاسراء/٨٥). وبما أن الأطباء مثل غيرهم من البشر لا يعرفون شيئا عن كنه الروح فإنهم بالتالي لا يستطيعون أن يفهموا حقيقة الموت. فإن الذي لا يعرف سر الحياة لا يعرف سر الموت كما أشار الى ذلك الامام الغزالي.

ويعرف الفقهاء كما أسلفنا الموت بأنه مفارقة الروح للجسد. وبما أن الاطباء لا يستطيعون أن يدركوا من أمر الروح شيئا سوى ما تدلهم عليه النصوص أو اجتهادات الفقهاء، فانهم مثل الفقهاء اتخذوا علامات تدل على الموت. ولا شك أن علامات الموت عند الاطباء أدق وأصدق من تلك العلامات التي اتخذها الفقهاء والتي وقفنا عندها طويلا، وأوضحنا مدى الاضطراب وعدم الوثوق فيها حيث يشخصون ويعتبرون الانسان ميتا وهو لا يزال حيا نتيجة قصور معلومات زمنهم في هذا الباب.

والموت عند الأطباء هو نهاية الحياة في البدن الانساني ولا يعني ذلك موت كل خلية فيه.

وقد جاء في تقرير الاجتماع العالمي الثاني والعشرين للاطباء المنعقد في سيدنى في استراليا عام ١٩٦٨: إن الموت عملية متدرجة على مستوى الخلايا وأن الانسجة تختلف في مدى قدرتها على تحمل إنقطاع الاوكسجين (بحيث تموت خلايا الدماغ، بعد أربع دقائق فقط من انقطاع الترويه الدموية بينما يمكث الجلد والقرنية والعظام فترة تتراوح ما بين اثنتي عشرة وأربعة وعشرين ساعة بدون تبريد. كما يمكن تبريد الخلايا والانسجة

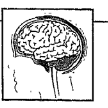
وابقاؤها حية لمدد طويلة. فيمكن مثلا تبريد الحيوانات المنوية وابقاؤها حية عشرات السنين وكذلك اللقيحة والخلايا المولدة لليفين Fibroblasts). ولكن الموت ليس مجرد موت خلايا أو الاحتفاظ بها حيّة في ظروف معينة وانما هو موت الانسان ككل ، وبالتالي عدم القدرة على الاحتفاظ بخلايا جسمه حية.. وهي نقطة اللاعودة مهما بذل الاطباء من محاولات الانقاذ والاسعاف، وسير الجسم في طريق التحلل والانتهاء»[٤٣].

ويعرف قاموس اوكسفورد الموت بطريقتين: عملية الموت (الاحتضار) أو أن الشخص قد مات فعلا[٤٣].

ومن المعلوم أن كثيراً من خلايا الميت وأنسجته تبقى حية لفترة محدودة بعد موت الشخص ككل. وقد لاحظ الأوربيون منذ أزمنة طويلة نمو الشعر بعد الوفاة (يحلقون شعر الميت ويلبسونه أفضل ثيابه ويبقى أياما قبل دفنه) كما انهم قد لاحظوا استطالة اظافره بعد قلمها. كما أن العظم والاوعية الدموية يمكن زرعها في شخص آخر بعد موت الشخص بثمان وأربعين ساعة (دون تبريد) ويبقى الجلد والقرنية صالحة للزراعة لمدة ٢٤ ساعة (كذلك بدون تبريد). وهذا يعني ببساطة أنها لا تزال حية وتستطيع العمل[٤٤].

ويقول الدكتور عصام الشربيني في بحثه المقدم الى ندوة الحياة الانسانية: «إن الموت ليس نقطة واحدة أو خطاً رفيعا، ولكنه عملية لها امتداد يطول أو يقصر ، والناس من قديم يعرفون أن فلانا دخل مرحلة الموت أو بدأ عملية الموت أو في حالة الاحتضار وتتحدث كتب السنّة عما يسنّ عند الاحتضار». وربما كان اللفظ مأخوذا مما في الكتاب الكريم {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه} (البقرة/ ١٣٣) وقوله تعالى: {كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين} (البقرة/ ١٨٠).

ثم يقول: «فالجسم مجموعة من الخلايا والأعضاء والاجهزة تقوم كل منها بوظيفتها، ولها



متطلبات لاداء هذه الوظائف من غذاء أو طاقة أو وسط يحيط بها في توازن دقيق، ويعتمد كل منها في ذلك على الآخر، فإذا اختلت وظيفة عضو أثر ذلك على اداء الأعضاء الأخرى لوظائفها بدرجات متفاوته كما في تشبيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمؤمنين بالجسد: «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (أخرجه مسلم) والخلل اذا لم يتوقف تداعى اليه عضو بعد عضو حتى يحدث الموت»[٤٥].

والغريب حقا أن الفقهاء وعلماء الدين عندما حددوا الموت بخروج الروح من البدن ومفارقتها له جعلوا من صفات ذلك فقدان القدرة على الادراك والاحساس والنطق والحركة الذاتية، وإن بقي الشخص يتنفس أو يجول الدم في عروقه وينبض قلبه وذلك فيما أسموه حركة المذبوح، واعتبروا ذلك الشخص ميتا وتسري عليه أحكام الموت إذا كان سبب وصوله لحركة المذبوح اعتداء شخص على حياته أو افتراس وحش أو حادث (سماوي) مثل هدم أو سقوط في حفرة أو سقوط من حالق أو حادث مروري.

والعجيب حقا أن يقوم الاستاذ الدكتور (كريستوفر باليس) في كتابه أبجديات موت جذع الدماغ «بتعريف الموت بأنه: فقدان الادراك والاحساس والقدرة على الحركة الارادية بالاضافة الى فقدان تام لا رجعة فيه للقدرة على التنفس»[٤٦].

ولا شك أن تعريف الدكتور باليس أدق وأضبط في هذه الناحية من تعريفات فقهائنا الأجلاء. إذ أنهم أهملوا في هذه النقطه موضوع النفس والتنفس مع أنهم انتبهوا له في مواضع أخرى، حتى قال بعضهم أن النَّفْس هي النَّفَس وهي النسيم الداخل والخارج من الرئتين (ذكره ابن القيم في كتابه الروح).

ولا شك أن الجمع بين التعريفين هو الصواب وهو فقدان الادراك والاحساس والارادة والحركة الذاتية بالاضافة الى فقدان القدرة على التنفس..

وينبغي أن يكون كلاهما قد فقد الى غير رجعة.

علامات الموت عند الاطباء :

يعتبر توقف التنفس والقلب والدروة الدموية توقفا لا رجعة فيه علامة هامة وأساسية وفارقة بين الموت والحياة. وبما أن القلب يضخ الدم المحتوي على الاوكسجين (الذي سماه القدماء الروح الحيواني والبخار الذى تنضجه حرارة القلب)[٤٧] الى كل خلية في الجسم فإن توقف القلب والدورة الدموية يعني موت جميع خلايا الجسم ولا تموت هذه الخلايا دفعة واحدة بل بالتدريج وأولها موتا خلايا الدماغ التي تموت بعد انقطاع التروية الدموية عنها بأربع دقائق فقط. وتوقف القلب وحده دون توقف الدورة الدموية لا يعني الموت.

ولكي نزيد هذا المفهوم وضوحا فإن توقف القلب في العمليات الجراحية التي تجرى للقلب (عمليات القلب المفتوح) لا تعني أن هذا الشخص قد مات، رغم أن قلبه يُوقف أثناء العملية لمدة ساعتين أو أكثر، والسبب هو أن وظيفة القلب تقوم بها مضخة تضخ الدم الذي يتجمع من الوريد الأجوف السفلي والوريد الأجوف العلوي بعد أن يمر في جهاز يقوم بوظيفة الرئة ثم يعاد الى الشريان الأورطي الذي بدوره يوزع الدم على بقية أعضاء الجسم.

وفي هذه الحالات رغم أن القلب متوقف والتنفس متوقف الا أن الشخص حي بكل تأكيد.. وذلك لأن الدورة الدموية لم تتوقف ولو لثوان معدودة. والدماغ يتلقى التروية الدموية دون انقطاع.. ووظيفة الرئتين تقوم بها آله أخرى تأخذ ثاني اوكسيد الكربون من الدم وتعطيه الاوكسجين.

وهذا المثال يوضح أن القلب رغم أهميته البالغة للانسان الا أنه يمكن الاستغناء عنه لمدة ساعتين أو ثلاث بواسطة آلة تقوم مقامه.. وكذلك الرئتين.

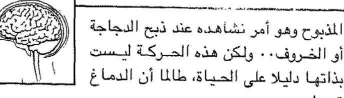
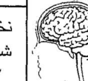
ويمكن كذلك استبدال هذا القلب التالف بقلب شخص آخر (توفي دماغيا)، أو حتى بقلب حيوان آخر.. ولولا عمليات الرفض للجسم الغريب لأمكن استخدام القلوب من الحيوانات لزرعها في الانسان، ولكن عمليات الرفض الشديدة تجعل هذه العملية محفوفة بالمخاطر.. وهناك تجارب متعدده على قلوب الحيوانات (وبالذات الخنزير) ومحاولة تغيير جهازها المناعي بتطعيمها بجينات إنسانية.. وسيتضح مدى نجاح أو فشل هذه التجارب في خلال السنوات القليلة القادمة.

لهذا ينبغي أن ندرك أنه حتى في الحالات التي يُعلن فيها الموت بسبب توقف القلب والدورة الدموية والتنفس الا أن السبب الأول في الوفاة هو انقطاع التروية الدموية عن الدماغ، لهذا إذا أمكن مواصلة التروية الدموية للدماغ حتى مع توقف القلب فإن هذا الشخص يعتبر حيّا، ولكن العكس غير صحيح. أي إذا تهشم الدماغ وبالذات جذع الدماغ الذي فيه المراكز الحيوية (اليقظة، التنفس، التحكم في الدورة الدموية) ومات موتا لا رجعة فيه فإن الانسان يعتبر ميتا رغم أن قلبه لا يزال ينبض بمساعدة العقاقير وبعض الاجهزة، وتنفسه لا يزال مستمراً بواسطة المنفسة (الآلة)، وهذا هو بالضبط ما نعبّر عنه بموت الدماغ.

موت الدماغ:

إن موت الدماغ هو موت الدماغ بما فيه المراكز الحيوية الهامة جداً والواقعة في جذع الدماغ، فإذا ماتت هذه المناطق فإن الانسان يعتبر ميتاً، لأن تنفسه بواسطة الآلة (المنفسه) مهما استمر يعتبر لا قيمة له ولا يعطى الحياة للانسان. وكذلك استمرار النبض من القلب بل وتدفق الدم في الشرايين والأوردة (ما عدا الدماغ) لا يعتبر علامة على الحياة طالما أن الدماغ قد توقفت حياته ودورته الدموية توقفا تاما لا رجعة فيه.

وهذا يشبه تماما ما يحدث عندما تقوم الدولة بتنفيذ حكم الله في القصاص، أو قتل المفسدين في الأرض من مهربي وتجار المخدرات. في هذه الحالة يضرب السيّاف العنق فتتوقف الدورة الدموية عن الدماغ ويموت الدماغ خلال دقائق معدودة (ثلاث الى أربع دقائق). بينما يبقى القلب يضخ الدم لمدة ١٥ إلى ٢٠ دقيقة.. ويتحرك حركة

المذبوح وهو أمر نشاهده عند ذبح الدجاجة أو الخروف.. ولكن هذه الحركة ليست بذاتها دليلا على الحياة، طالما أن الدماغ قد مات.

والأمر ذاته يحدث في الشنق.. فعندما يشنق الانسان تتوقف الدورة الدموية عن الدماغ بينما يستمر القلب في الضخ لعدة دقائق قد تبلغ ربع ساعة الى ثلث ساعة.. وفي هذه الفترة لا شك أن هذا الشخص قد مات رغم أن قلبه لا يزال ينبض وذلك لأن الدورة الدموية قد انقطعت عن الدماغ، وقد مات الدماغ بالفعل.

أسباب موت الدماغ:

إن أهم أسباب موت الدماغ تتلخص في الآتي:

١ - إصابات الدماغ بسبب الحوادث وأهمها حوادث المرور. وهذه الحوادث تمثل خمسين بالمئة من جميع حالات موت الدماغ. وفي المملكة العربية السعودية تمثل حوادث المرور ٦٠ بالمئة من جميع وفيات الدماغ.

وتعتبر حوادث المرور في المملكة ومنطقة الخليج صاحبة الرقم الأعلى في العالم وتبلغ عشرة أضعاف ما هو موجود في الولايات المتحدة وأوربا بالنسبة لكل مائة الف من السكان وفي عام ١٩٩٤م وعام ١٩٩٥ توفي في كل واحدة منهما اكثر من ٣٧٠٠ (ثلاثة آلاف وسبعمائة شخص) أغلبيتهم المطلقة كانت تحت سن الأربعين (اكثر من ٧٥ بالمئة من جميع الحالات)، كما أصيب في حوادث المرور اصابات بالغة أدت الى دخول المستشفى أكثر من خمسة وثلاثين ألف شخص في كل عام.. وهذه أرقام مرعبة جدا جدا جدا وتسبب الاعاقة وإضاعة أثمن وأغلى ثروة لدى الأمة وهي الشباب.

إن هذه الاصابات المروعة ينبغي أن تواجه بحزم ومعالجة جذرية لأسباب هذه الاصابات وأهمها السرعة الجنونية، وعدم استخدام حزام الأمان، والاستهتار وقطع الاشارات الضوئية.. الخ.. ولابد من عقوبات زاجرة رادعة حتى يمكن أن نخفض هذا النزيف في قدرات الأمة وفي شبابها وفي ثروتها.

٢ - نزف داخلي بالدماغ بمختلف أسبابه. وهو يمثل حوالي ٢٠ بالمئة من جميع حالات موت الدماغ.

٣ - أورام الدماغ، والتهاب الدماغ وخراج الدماغ والسحايا.. وتمثل حوالي ٢٠ بالمئة من حالات موت الدماغ.

نكرر القول بأن أهم سبب لموت الدماغ هو حوادث السيارات وللأسف فإن أغلبية المصابين هم من الشباب زهرة هذه الأمة وأهم مصادر ثروتها.

تشخيص موت الدماغ:

يتم تشخيص موت الدماغ حسب الشروط الطبية المعتبرة وأهمها:

١ - وجود شخص مغمى عليه اغماء كاملا.

٢ - لا يتنفس الا بواسطة جهاز المنفسه.

٣ - تشخيص لسبب هذا الاغماء، يوضح وجود اصابة أو مرض في جذع الدماغ أو في كل الدماغ.

٤ - عدم وجود أسباب تؤدي الى الاغماء المؤقت مثل تعاطي العقاقير أو الكحول أو انخفاض شديد في درجة حرارة الجسم أو حالات سكر شديد أو انخفاض شديد في سكر الدم أو غير ذلك من الأسباب الطبية المعروفة التي يمكن معالجتها.

٥ - ثبوت الفحوصات الطبية التى تدل على موت جذع الدماغ وتتمثل:

(أ) عدم وجود الأفعال المنعكسة من جذع الدماغ.

(ب) عدم وجود تنفس بعد ايقاف المنفسه لمدة عشر دقائق بشروط معينة منها استمرار دخول الاوكسجين بواسطة انبوب يدخل الى القصبة الهوائية ومنها الى الرئتين، وارتفاع نسبة ثاني اوكسيد الكربون في الدم الى حد معين (اكثر من ٥٠مم من الزئبق في الشريان).

٦ - فحوصات تأكيدية مثل رسم المخ الكهربائي E E G وعدم وجود أي ذبذبة فيه، أو عدم وجود

دورة بالدماغ بعد تصوير شرايين الدماغ أو بفحص المواد المشعة.

ماذا بعد تشخيص موت الدماغ:

إذا تم التشخيص والتأكد منه بواسطة الفريق الطبي المختص يتم ابلاغ المركز الوطني لزرع الأعضاء كما يتم ابلاغ أهل المصاب.

يحاول فريق المركز الوطني التفاهم مع الأهل في أن يأذنوا باستقطاع بعض الأعضاء الحيوية من متوفاهم لينقذوا بذلك مرضى أوشكوا على حافة الخطر وأحدق بهم الموت. فإذا أذن الأهل بذلك يتم استقطاع الأعضاء الحيوية مثل القلب، الكلى، الكبد وتزرع كل واحدة منها في شخص معيّن يعانى من مرض خطير وفشل لوظيفة ذلك العضو.

وقد استطاعت المملكة العربية السعودية أن تكون سباقة في هذا المجال حيث تم حتى نهاية عام ١٩٩٥م زرع ٧٣١ كلية من متوفين دماغيا كما تم زرع ٦٤ قلبا و٨٤ صماما قلبيا و٩٤ كبدا وثلاث حالات زرع بنكرياس وحالتين زرع رئة.

اما إذا رفض الأهل الموافقة على التبرع فإن الاطباء يوقفون المنفسة وفي خلال دقائق معدودة يتوقف القلب. وقد أفتى مجمع الفقه الاسلامي في دورته الثالثة المنعقدة في عمّان الاردن ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م حيث قرر المجمع أن الشخص يعتبر ميتا إذا تبينت فيه احدى العلامتين التاليتين:

١ - إذا توقف قلبه وتنفسه توقفا تاما، وحكم الاطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

٢ - إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلا نهائيا، وحكم الأطباء الإختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه في التحلل.

وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الانعاش المركبة على الشخص، وإن كان بعض الأعضاء لا يزال يعمل آليا بفعل الأجهزة المركبة.

وقد وافق المجمع الفقهي لرابطة العالم الاسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة (١٤٠٨هـ) على رفع أجهزة الانعاش وايقافها متى تبين بالفحوصات الطبية المؤكدة من قبل المختصين بأن هذا الشخص قد مات دماغيا.

وبهذه الفتاوى ظهر عهد جديد في ميدان الطب. وهو تعريف موت الدماغ طبيا وقبول هذا المفهوم شرعيا. ومن ثمّ انفتح باب زراعة الأعضاء من المتوفين دماغيا، وأمكن انقاذ مئات المرضى الذين يعانون من فشل نهائي لأعضائهم الحيوية الهامة وبالتالى تم انقاذهم بإذن الله تعالى وبفضل التقدم الطبي من موت محقق.

الهوامش:

(٣١) الاحياء ج ٣/ ٤ .

(٣٢) الشيخ بكر ابو زيد أجهزة الانعاش وحقيقة الوفاة بين الفقهاء والاطباء، مجلة مجمع الفقه الاسلامي الدورة الثالثة مجلد ٣، ج٢/ ٥٢٩ - ٥٤١.

(٣٣) روضة الطالبين للامام النووي ج٢/٩٨.

(٣٤) د. محمد الأشقر: نهاية الحياة (ندوة الحياة الانسانية بدايتها ونهايتها) ومنشورة أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي مجلد ٣، ج٢: ٦٦١ - ٦٧١.

(٣٥) حاشية ابن عابدين ج١/ ٥٧٢.

(٣٦) ندوة الحياة الانسانية وهي منشورة في مجلة مجمع الفقه الاسلامي مجلد ٣/ ج٢: ٧١٩ - ٧٢١.

(٣٧) د. وهبة الزحيلي: الفقه الاسلامي وأدلته، دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٩ ج٨/ ٢٥٣.

(٣٨) المصدر السابق.

(٣٩) منهاج الطالبين للنووي ج٤/ ١٠٣ ، ١٠٤.

(٤٠) المصدر السابق.

(٤١) بدر الدين الزركشي: المنثور في القواعد ج٢/ ١٠٦.

(٤٢) د. محمد نعيم ياسين: نهاية الحياة الانسانية في اجتهادات الفقهاء، ندوة الحياة الانسانية والمنشورة ايضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي العدد الثالث ج٢/ ٦٣٥ - ٦٦٠.

(٤٣) Pallis C: Abc of Brain Stem death B M J, 1983

(٤٤) المصدر السابق.

(٤٥) د. عصام الشربيني: الموت والحياة بين الاطباء والفقهاء، ندوة الحياة الانسانية الكويت ومنشورة أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م العدد ٣ ج٢/ ٥٧٣ - ٥٨٧.

(٤٦) Pallis c: ABC of Brain Stem Death Reappraisiny Death 1 - 4 (مصدر رقم ٤٣).

(٤٧) انظر تفاصيل ذلك في كتابي : موت القلب أو موت الدماغ الدار السعودية جدة ١٩٨٦ فصل الروح ٣٧ - ٥٧.

أغنية حب [*]

شعر : لطفي البشر عز الدين

- تونس -

الزَّهْر أندى عبيراً منه قلبانا
والفجر ألطف روحاً منه روحانا
والطير ما هتفت في الروض ساجعة
إلا لتمزج شكواها بشكوانا

* * *

يا حبيبي ما على الأرض سوانا
فادع للأيام أن ترعى صبانا

* * *

أيّ همس حالم الإيقاع نشوان الصّدى
طاف كالفرحة.. كالنجّوى .. كلألاء الندى
حين نادتني وحيّت وهي تلقي لي يدا

* * *

طافت على شاطيء الأحلام حيرتنا
وأوقدت في سماء الحبّ نيرانا
فلا تسل عن أمانينا وغايتنا
فقد نرى من وراء الكون أكوانا

* * *

أيّ دنيا شعشعت أنغامنا
فانطلقنا بين عشق وجنلي

* * *

ثمّ سرنا بين لحن وقلوب شاعرة
نثر الحبّ عليها من رؤاه السّاحرة
وسرى فيها سرى الحلم بعين ساهرة
نحنُ الهوى وهو منّا حيثُ نُنزله
يسري افتضاحاً بعينينا وكتمانا
غَفَتْ على وتر الإلهام نشوتنا
وأستيقظت من عميق اللحن ذكرانا
قلتُ والكون شباب حولْنَا
«أيها العشاق دنيانا هُنَا»

* * *

وغفا اللحن فضمتنا الأماني الغافية
واحتوتنا نشوة سكرى .. ودنيا شادية
مهجة تهتف للحبّ .. وأخرى حانية

* * *

يا حبيبي قد ملكنا الزّمنا
وكتبنا خلفه ليلتنا
فلنملأ الكون أشعاراً وألحانا
حتى نرى الكون كل الكون نشوانا

(*) هذه القصيدة مزجت فيها - عن قصد - بين وزن بحر البسيط، ووزن بحر الرمل.

مكتبات:

العلمُ المعار

[إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعُك للكتب لا ينفع] .

مما لا ريب فيه أن إعارة الكتب أمر مستحب محمود، شريطة أن يكون من يستعير الكتاب يبغي الاستفادة منه، ويحافظ عليه ثم يعيده على وجه السرعة، ولا يؤخره حتى يستفيد منه رواد المكتبة أو صاحبه إذا كان الكتاب أخذه المستعير من مكتبة خاصة.

ولأن الاستعارة فيها فائدة اعتبر السماح باستعارة الكتب من صفات العلماء المحمودة. وهناك في تراثنا عالم يدعى/ الحافظ بن الخاضبة كان محبوباً إلى الناس كلهم، فاضلا، حسن الذكر، لا يأتيه مستعير لكتاب إلا أعطاه له، أو دله عليه.

وكان تيسير الاستعارة داعياً لأن يستغنى بها بعض العلماء، فلم يجدوا من الضرورى أن يشتروا الكتب، أو يبذلوا المال ثمناً لها، ومن هؤلاء أبو حيان الغرناطي الذى يقول: إذا أردت كتاباً استعرته من كتب الأوقاف وقضيت حاجتي.

[ابن حجر في الدرر الكامنه: ٤/٣٠٩]

ولم تكن الاستعاره على أية حال مطلقة تماما في المكتبات الإسلامية، بل وضعت عليها قيود لتنظيم العمل وسيره، ومن ذلك أنه كان من نظام مكتبة القاهرة الفاطمية أنها تعير كتباً للطلبة المقيمين في القاهرة فقط لا غير، كما يذكر محمد فريد وجدى: وهذا يذكرنا بالنظام الإنجليزى المعمول به في أغلب المكتبات البريطانية إن لم يكن كلها، والذى لا يسمح بإخراج الكتاب المستعار من الجزر البريطانية.

[دائرة معارف وجدى ج٤]

وفي مصر الآن يسمح باستعارة الكتاب مدة خمسة عشر يوماً فقط لا غير، إلا أنه يسمح للمستعير بتجديد استعارة الكتاب مرة ثانية، وثالثة حتى ينتهى المستعير من الاستفادة منه، وأن يقدم استمارة عضوية للمكتبة مرفقاً لها ضمانة يوقعها ضامن واحد يعمل في أى مصلحة حكومية يتعهد بسداد ثمن الكتاب إن فقد، وتصدق الضمانة بخاتم الدولة الرسمى.

وفي حالة عدم إعادة المستعير للكتاب تخطر الجهة التي يعمل بها الضامن، وتوقع عليه غرامة مالية مقدارها (٣ أضعاف) ثمن الكتاب، وذلك بعد إنذار المستعير.

ومن خبرتي في العمل بالمكتبات أقول أنه رغم هذا النظام (الروتيني) فإن المئات من الكتب تفقدها المكتبات المصرية سنويا، والمسألة لا تحتاج إلى قانون جديد رادع بقدر ما

اعداد:
اسماء أبو بكر محمد - مصر -

تحتاج إلى وعي مكتبي سليم، وحب حقيقي للكتاب، وإدراك فاهم لآداب الاستعارة.

وفي بعض المكتبات الاسلامية كان يطلب إلى المستعير أن يدفع ضماناً أو ما يطلق عليه الآن (تأمين) ولكن كان يعفى من ذلك بعض العلماء، وأفاضل الناس، لأن المسئولين في تلك الآونة كانوا يقدرون العلم والعلماء، وفي نفس الوقت كان العلماء يحترمون الكتاب، ويعرفون آداب الاستعارة، ويعيدون ما استعاروا إلى المكتبة مع خالص شكرهم وامتنانهم.

ولقد مدح ياقوت الحموى صاحب «معجم الأدباء» و«معجم البلدان» المشرفين على المكتبات ببلدة (مرو) لأنهم سمحوا له أن يستعير مائتي مجلد، دون أن يدفع ضماناً مالياً، وإن كنا نرى أن هذا الكم مبالغ فيه بعض الشيء.

وكثيراً ما كان يحدد وقت للمستعير بحيث يلزمه رد الكتاب دون أي تجاوز عن هذا الوقت المحدد.

وقد سجل العلامة عبد الرحمن بن خلدون في الوثيقة التى أهدى بها كتابه (العبر) إلى مكتبة (القيروان): أنه لا يجوز إعارة الكتاب إعارة خارجية إلا إذا كان المستعير له شخصاً موثوقاً به، وأميناً، على أن يدفع ضماناً مهماً، وأن يرد الكتاب في مدة لا تتجاوز شهرين.

[ابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم: ص١٦٨ - ١٦٩ «بتصرف»]

ومن آداب الاستعارة المتعارف عليها في المكتبات الاسلامية: ينبغى للمستعير أن يحافظ على الكتاب تمام المحافظة، ولا يجوز أن يصلحه بدون إذن من صاحبه، ولا يحشي، ولا يكتب شيئاً في بياض فواتحه، أو خواتمه، أو هوامشه، إلا إذا علم رضا صاحبه عن ذلك تماماً، ولا يعيره لغيره، ولا يدفعه ضماناً لشيء.

وعلى المستعير ألا يطيل مقام الكتاب عنده من غير حاجة له، بل يرده إذا قضى حاجته منه، أو انتهت المدة الى تأذن له بها. ولا يصح أن يحبسه إذا طلبه المالك منه.

[المرجع السابق ذكره. وكذلك دائرة المعارف الاسلامية: ٢ / ١٠٤٧]

كل هذا ينطبق على الكتاب المستعار من شخص، أو من مكتبة خاصة، ولكن في حالة الكتاب المستعار من مكتبة عامة، لا بأس من إصلاحه ممن هو أهل لذلك. وينبغي على المستعير أن يشكر للمعير عونه، ويجزيه خيراً.

ومن أجلِّ صور الإعارات التي قرأت عنها ما رواه (الجبرتي) في كتابه: «عجائب الآثار»: يقول في عام ١١٧١هـ = ١٧٥٧م توفي الحاج/ أحمد بن محمد الشرايبي، وكان من أعيان التجار المشتهرين، وكان بيته في حي الأزبكية (وسط القاهرة) بيت المجد والفخر والعز.. كان في غاية من الغني والرفاهية والنظام ومكارم الأخلاق والإحساس الخاص والعام، ويتردد إلى منزله العلماء والفضلاء وكانت مجالسه مشحونة بكتب العلم النفيسة للإعارة والتغيير، وانتفاع الطلبه، ولا يكتب عليها وقفية، ولا يدخلها في مواريثه، ويرغب فيها، ويشتريها بأعلى الأثمان، ويضعها على الرفوف والخزائن، في مجالسه جميعاً، فكل من دخل بيته من أهل العلم إلى أي مكان يقصد الإعارة أو المراجعة وجد بغيته، ومطلبه في أي علم من العلوم، ولو لم يكن

الطالب معروفا، ولا يمنع من يأخذ الكتاب بتمامه، فإن رده في مكانه رده، وإن لم يرده واختص به أو باعه لا يُسأل عنه، وربما بيع الكتاب عليه، واشتراه مراراً، ويعتذر عن الجاني بضرورة الإحتياج.

[الجبرتي في تاريخه: ١/ ٢٦٥ وما بعدها]

ويجدر بنا أن نذكر أنه وجد بالعالم الإسلامي مكتبات للإطلاع الداخلي فقط دون إعارة خارجية كما هو متبع في بعض مكتبات أوربا مثل المتحف البريطاني في لندن.

ومن الذين فعلوا ذلك في البلاد الإسلامية القاضي/ ابن حيان النيسابوري الذي أوقف كتبه على أهل العلم على شرط ألا يعار كتاب منها إعارة خارجية مهما كانت الظروف.

[المجلة الإسلامية: ٣/ ٢٣٥]

وفي كتابه «الخطط» يقول المقريزي أنه: قد اشترط هذا الشرط نفسه في مكتبة المدرسة المحمودية التى أنشأها/ جمال الدين محمود بن على الذي نص في وثيقة الوقفية على أنه لا يجوز إخراج أى كتاب خارج بناء المدرسة.

وعادة ما كانت بعض المكتبات الإسلامية تتشدد في مسألة إعارة الكتب، أو تمنع خروج كتب معينة، ولا تعيرها، وعلى سبيل المثال: مكتبة الحكمة في نيسابور، ومكتبات الأوقاف، وفي هذه الحالة فالإستفادة من الكتاب والإنتفاع به يقتصر على القيام بنسخ الكتاب داخل خزانة المكتبة.

وكذلك الحال عند بعض الأفراد، حيث يحرمها على المنتفعين دون سبب محدد، حتى إن أحدهم قال: «إذا عانيت الموت ألقيتها في البحر» (يقصد الكتب)!

[السخاوى في الضوء اللامع، بتصرف]

وأحب أن أؤكد هنا أن إحياء الكتب والتشجيع على الإستفادة منها كان من عوامله المهمة ما تعارف عليه المسلمون من استعارة الكتب فترة من الزمن من مالكها، وهذا يمكن المستعير من نقل نسخة من الكتاب لنفسه.

كما أن نظام الإستعارة شجع عليه علماء المسلمين في وقت باكر، قال القاضى وكيع: «أول بركة العلم إعارة الكتب». وعملية إعارة الكتب أو استعارتها كانت منذ القرن الثانى الهجري، فقد قال ابن شهاب الزهرى (ت:١٢٤هـ) ليوسف ابن زيد (تلميذه): «إياك وغلول الكتب، قال: وما غلول الكتب؟، قال: حبسها».

وربما تلطف أحدهم بشعر رقيق لطلب كتاب استعاره من صاحبه، وذلك مثل ما عمل منذر بن سعيد البلوطي، الذى كتب إلى أبي على القالى «صاحب الأمالى» (ت: ٣٥١هـ) يطلب في شعره كتاباً بعنوان: «الغريب المصنف».

وكان أصحاب الكتب المعارة يسمحون بنقل نسخ أخرى للمستعير من الكتاب الذى استعاره، ويعطيه لذلك مدة معلومة، فالقاضي

أبو الوليد الكناني، (كما جاء في الإلماع، ص ٢٢٤) إذا أعار كتاباً لأحد إنما يتركه عنده بعدد ورقاته أياما ثم لا يسامحه بعد ذلك ويقول: «إن كنت أخذته للدرس والقراءة فلن يغلب أحد حفظ ورقه كل يوم، وإن أردته للنسخ فكذلك، وإن لم يكن هذا فأنا أحوط بكتابي، وأولى برفعه منك»•

وعن كتاب «الحضارة الإسلامية» للعلامه/ منز (٣٢٧/١) نعرف أن هناك من كان يضن بإعارة كتبه خوفاً عليها، كان يستنسخ من الكتاب المطلوب إعارته نسخة، ويعطيها للمستعير، ويحتفظ بالأصل عنده، ومثال ذلك القاضي أبو المطرف قاضي الجماعة في الأندلس، الذي كان لا يعير كتاباً من كتبه البتة، وإذا سأله أحد ذلك وألح عليه أعطى الكتاب للناسخ فنسخه، وقابله، ودفعه إلى المستعير• [المرجع السابق]•

وظلت إعارة الكتب من الأمور التى يصف المستفيدون صاحبها بالسمات الحميدة، ففي ترجمة العلامة الحسين بن محمد الطيبي (ت: ٧٤٣هـ) وهو من الذين عرفوا بذلك، وقد وصفه ابن حجر العسقلاني في كتابه «الدرر الكامنه: ٦٩/٢» بقوله: (كان ملازماً لإشغال الطلبة في العلوم الإسلامية بغير طمع بل يجذبهم ويعينهم، ويعير الكتب النفيسة لأهل بلده وغيرهم من أهل البلدان، من يعرف، ومن لا يعرف)•

وربما كانت الإعارة مهمة جداً لإحياء الكتب والتراث بطريقة غير مباشرة، فكثيراً ما كانت تصاب الكتب بنكبات كبيرة كالحرق والتلف للخزانة التى أعيرت منها، ولا يبق من كتب هذه الخزانة الا الكتب المعارة، فيحفظ بها، وتصبح خسارة الكتب غير كبيرة، إذا كان قد قام بنسخها المستعيرون لها من قبل•

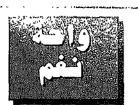
فقد احترقت كتب ابراهيم بن أبي بكر المعروف بالفاشوشة، ولم يبق منها له غير الكتب التي كانت عند الناس في العرض أو العارية منها•

وكذلك العلامة عبد الوهاب بن جعفر الميداني (ت: ٤١٨هـ) الذي كتب بنحو مائة رطل من المداد حين احترقت كتبه وأعادها من جديد، والسبب أنه لا يبخل بإعارة كتبه، سوى كتاب واحد كان لا يسمح به، فاحترق، وقد استحدث نسخاً من الكتب التى نسخت من كتبه سوى ذلك الكتاب المضنون به•

[**لسان الميزان: ٨٦/٤**]•

وأحب أن أحيل القارىء إلى دراسة الدكتور حسن محمد سليمان المعنونة بـ (التراث العربي الإسلامي - دراسة تاريخية مقارنة)، والصادرة في القاهرة سنة ١٩٨٧ (ص ١٧٢ وما بعدها)، وكذلك كتاب (التربية والتعليم في الفكر الإسلامي للدكتور أحمد شلبي) والصادر في القاهرة سنة ١٩٩٢ (الباب الخاص بالمكتبات)• وسيجد القاريء المزيد من التفاصيل حول هذه الجزئية•

هذه أمثلة تبرهن بالدليل القاطع على أهمية الاستعارة في المكتبات الإسلامية، وتؤكد مدى معرفة المسلمين للإستعارة بأصولها وآدابها، وأهميتها في الإستفادة بالكتب، والانتفاع بها



أراك

نوال مهنى
ـ مصر ـ المنيا

أراك فـــيـــورق الشـــجـــر
ويـنـدى قـــــرِيـك الـزهـرُ
وينبتُ في الثـــرى عـــشب
ويـهـــمـى الغـــيثُ والقطرُ
ويكســـو الكونَ اشـــراقٌ
فكل رياضـــه خـــضـــرُ
أراك تـنـيـــر لـي افـــقـى
فـــيـــحـــدو نورك البـــدرُ
فـــفـي عـــينيك أفـــراحي
اذا مـــا جـــئـتَ تزدهـرُ
وفـــيـــهـــا المنبع الصـــافي
فـــيُشـــفى القلبُ والصـــدرُ
ومـنـهـــا الـقـلـب فـي طرب
ومنهـــا الروح تسـتـعـــر
وفي جـــفنيك يا عـــمـــري
يـنوب ويـصـــــدحُ الـوتـرُ
وفي عـــينيك يا قـــدري
بريقٌ صـــاغـــهُ الفـــجـــرُ
وتشـــرق فـــيـهـمـا شـمـسي
ويسكن فـــيـهـمـا القـمـــر
وتضـحك فـــيـهـمـا الدنيـا
وســيل الحب ينـهـــمـــر
وفي عـــينيك أحـــلامي
تـلـوحُ فـــيـكمـنُ الخـطـرُ
فـــأخـــشى نظرة حـــيـرى
كـــســـاها الوجـــدُ والحـــذرُ
أحس الشـــوق يجـــذبنى
فـــادفـــعـــه وأنتـــصـــرُ
فـــحظى منك الهـــامٌ
رواه الشـــعـــرُ والنـثـــرُ



من خلف المشربية

هيام محمد الكيلاني
- الرياض -

١ ـ نشيدي الوطني ..
هو كتاب وحب وعهد
هو معجزة الحرف المغزول بدم وعرق

٢ ـ المستحيل..
لا أترك المستحيل يغوى يقظتي
هل يترك الجندى .. سلاحه؟
لا اترك القهر يقتلع أشعارى
هل تهرب المرأة .. مع الطيف؟
الجندى .. المرأة .. توأمان .. يكفى.

٣ ـ المرأة .. والوليد.
الصمت .. خصام اعتصام .. امرأة.. الصمت عندما لا تتجمل المرأة.. حتى عندما تقف أمام اكثر من فستان ولا تختار.. أو عندما تستمع لقضية مصيرية.. أنثوية.. اهدار للقضية.. أن تبقى المرأة أمام المرآة.
من قال: أن المرأة كل النساء؟ لا .. توجد واحدة .. أو بضعة أخريات. غيرهن.. استثناء .. هن بالذات هن .. قرار نضال استشهاد..
المرأة .. ليست ضحكة ابتسامة .. فموعد..
المرأة .. جميلة، مريم، الخنساء..
المرأة .. الجولان .. فلسطين .. لبنان .. الخليل.

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

٨٧٨ - أبو عواد:

ربما كان الزوج أحوج من زوجته ليسمع منها أبجديات الرومانسية ويحياها والتي عادة ما تكون ثروة وافرة العطاء أيام الخطوبة وفي الأشهر أو السنوات الأولى من الزواج ثم بعد ذلك تتلاشى تدريجياً.. فتصبح أذن الزوج قبل عينه تطرب لها من مصادر خارجية فيشق طريقه في سكة التائهين الباحثين عن السعادة المفقودة في بيوتهم.

٨٧٨ - أم عمرو:

الرومانسيه كالكهرباء تحتاج دائرة مغلقه فإذا توقف المسْتَقْبِلُ عن الرد تنقطع الدائرة ويتوقف الإرسال، وللتائهين من الأزواج نقول:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه ابداً لأول منزل

٨٧٩ - أبو عواد:

اذا لم يترجم حبك الكبير إلى لفتات حانية وأحاسيس معبرة دافئه فماذا يهمني أن لديك كنزا مدفونا لا يكفكف عني دموع العوز والفاقه!؟

٨٧٩ - أم عمرو:

الكنوز لا تخرج من الأرض بنفسها نحن الذين نبحث عنها ونخرجها وكنز الحب تكشف عنه الطمأنينة وتخرجه الثقة ويحفظ انسيابه وتدفقه التعزيز المستمر.

٨٨٠ - أبو عواد:

فقط عندما يجوع الرجل يكون الطريق إلى قلبه من خلال الأطباق الشهية وعندما يستبد به الهيام والوجد أقصر الطرق إلى قلبه تحرير طاقاته وتفريغ صبابته المحمومه.. انما في كل الأوقات فإن الطريق الرئيسي إلى قلبه هو امرأة ناضجة تحاوره بعقلها بمدخلات تحسسه برجولته وتعبر عن أنوثتها.

٨٨٠ - أم عمرو:

للحظة تصورت أن المرأة الناضجة في هذه الورقة تحاور بعقلها عقلاً آخر لأكتشف بسرعة أن الأنوثة تدور في فلك الرجولة كالعادة. فلنكتفي بالأطباق الشهية والوجد والصبابة فلا مكان للعقل هنا!

٨٨١ - أبو عواد:

حب المتزوجين مرض وزوجاتهم يتحملن مسؤولية عدم تحصينهم ضده.

٨٨١ - أم عمرو:

مرض حب المتزوجين من الرجال لغير زوجاتهم لا يمكن التحصين ضده لأنه ليس مرضاً عضوياً ولكنه مرض نفسي ينتج عن اصابة صاحبه بمزيج من النرجسية والطمع.

٨٨٢ - أبو عواد:

كلّما بدت الزوجة أكثر استعداداً لأن تكون أمة مطيعة لزوجها كلما أوشكت أن تصبح سيدته المطاعة وأوشك أن يكون خادمها المخلص.

٨٨٢ - أم عمرو:

ليس في الزواج سيادة ولا خدمة. الزواج مودة ورحمة تنشأ وتترعرع من الشراكة والتكامل والتكافؤ بين زوجين.

٨٨٢ ـ أبو عواد:

الحب بين العاشقين نبش في الدواوين وبين المتزوجين سباق في الميادين.

٨٨٣ ـ أم عمرو:

الحب هو نفس الشيء دائماً مهما تغيرت المرحلة والظروف، إنه العطاء والإيثار المتبادل بين طرفين.

٨٨٤ ـ أبو عواد:

التجديد المستمر عند المرأة يكشف لزوجها عن ملكاتها الأخرى والروتين الدائم يحمله على السأم من عيونها الجميلة!

٨٨٤ ـ أم عمرو:

التجديد مطلوب لكل افراد الأسرة وقديماً قالوا جدد نفسك كل يوم فالأشواك تنمو في الدروب التي لا نسير عليها دوماً، وهكذا حياتنا تحتاج منا دائما الرعاية والجهد لتظل مورقه مزدهرة.

٨٨٥ ـ أبو عواد:

لاءات المرأة وعلو صوتها معاول هدم سعادتها أمام زوجها.

٨٨٥ ـ أم عمرو:

الصراخ والرفض من طرف ما غالباً ما يشير إلى أن الطرف الآخر أصيب بالصم.

٨٨٦ ـ أبو عواد:

جمال المرأة غير المدعوم بمضمون ثمين لا يختلف كثيراً عن أغلفة بعض المجلات التي تصدر أعدادها بوجه جميل ومضمون مقصر!!

٨٨٦ ـ أم عمرو:

نعم ، جمال الشكل يغني ويبقى جمال النفس. اضافة إلى أن جمال الشكل نسبي بدرجة كبيرة.

٨٨٧ ـ أبو عواد:

الكثير من الشعراء والفنانين والمطربين وأدعياء النسب إلى «قيس» و«جميل» و«عنترة» أسهموا بقدر وافر في نقل ثلثي عقل المرأة إلى حقيبة يدها ومرآتها وتركوها بثلثه الباقي تشقى وتشقي الأخرين.

٨٨٧ ـ أم عمرو:

الشعر والفن لغة أناس أكثر شفافية وحساً. لذا فهم يرون ويشعرون بما لا يراه ويشعر به سواهم وبلغتهم نقول لمن ينتقص من عقل المرأة.

رب رام لي بأحجار الأذى ... لم أجد بداً من العطف عليه.

٨٨٨ ـ أبو عواد:

رفع الكلفة بين الزوجين ينبغي أن يبقي على قدر من الرسمية الموجودة بين الأستاذ والطالب والرئيس والمرؤوس؛ وإلا جنت على نفسها براقش!!

٨٨٨ ـ أم عمرو:

الرسمية بين الزوجين تفقد العلاقة الزوجية تلقائيتها وفطريتها التى تجعلها سكناً للنفس تكشف فيه عن نفسها وتسترخى، الرسمية تحرمنا من الصدق مع انفسنا ومع من نشاركهم حياتنا. إن قوس قزح لا يظهر إلا لمن يستطيعون تحمل المطر.

٨٨٩ ـ أبو عواد:

إلى كل انسانة تحرص في الابقاء على زوجها محباً ومطيعاً لها: إياك أن تتوقفين عن العطاء واحاطته دائماً ببالغ الحفاوة والاحترام وإلا فثمن الغرور كبير.

٨٨٩ ـ أم عمرو:

لا توجد زوجة عاقلة وناضجة تريد زوجاً «مطيعاً» ، الطاعة تطلب من الصغار فقط. الزوجة تريد زوجاً تحترمه لأنه يحترم نفسه ويحترمها ويحترم العلاقة التى تربطهما معاً.

رسالة إلى السيدة النبيلة من ابن عبد ربه

محمد عبد الواحد حجازى
مصر

[illegible] بن عبد ربه بن حبيب.

** ولد في مدينة قرطبة بالأندلس في ١٠ رمضان سنة ٢٤٦هـ.*

** عاصر أربعة من ملوك قرطبة:*

أ - محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨هـ).

ب - ثم ابنه المنذر (٢٧٣هـ).

جـ - ثم عبد الله (شقيق المنذر) (٢٧٥هـ).

د - ثم حفيد عبد الله، الأمير عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ).

** أشهر كتبه: «العقد الفريد».. جمع فيه بين فنون الأدب وأخبار المجتمعات العربية.*

** مختارات العقد جاءت معبرة عن شخصية ابن عبد ربه وعن قيمة ذوقه وأصالته الفنية.*

** توفي في ١٨ جمادى الأولى سنة ٣٢٨هـ.*

غادة الأندلس:

بلغتني رسالتك الرقيقة تحمل إليَّ أجمل الأمنيات وأخلص الدعوات في أن يهبني الله الصحة والعافية وطول العمر..

ولقد طلبت مني يا حسنائي أمراً عجبا، طلبت منى أن أجيب على ثلاثة أسئلة تقولين إنها من الحب في الصميم:

السؤال الأول: الآن وقد بلغت الثانية والثمانين من عمرك المديد بإذن الله، فكيف تشعر الآن بالحياة؟ ماذا تريد؟ وماذا تشتهي؟

السؤال الثاني: وأنت في غضارة شبابك، وتفتح قلبك وعينك لجمال الدنيا، أي حسناء شغلتك وشغلت بها؟

السؤال الثالث: هل من الممكن أن تحكى لي طرفاً من تاريخ صبواتك وغزواتك لقلوب العذارى الحسان؟

وغايتي من ذلك يا سيدي هو أن يكون لديَّ مشهد من مشاهد تاريخ الحب فأنت في نظري وتقديري خير ممثل له في تاريخ قرطبة.

وحتى أجيبك يا حسناتي، غادة الأندلس، فإنني والحق أقول إنك قد أثرت أشجاني فأرجعتني إلى فجر صباي، أرجعتني إلى جمال الحياة بأحلى ما فيها من تطلعات وأمنيات.. وبأحلى ما فيها من عذاب وشقاء وضنى وعناء.. وثقي يا حسنائى أنك لم تشقنى أو تثيرى أساي على أيامى

الخوالي، ولكنك أبهجتني حين دعوتنى إلى تذكرها، ودعوتنى إلى تصوير ما كان فيها من معابثات الهوى ونزعات الشباب.

أما عن شعوري بالدنيا والحياة، وماذا أريد منها وماذا اشتهى بعد أن بلغت الثانية والثمانين، فإنني الآن أعاني من أوصاب وعلل جسمية تعتادني الفينة بعد الفينة. وهذا شأن كل كائن حي إذا طالت مدة بقائه ومعاناته لصروف الحياة.. وإنني لأحمد الله على أننى قادر على التفكر، قادر على التعبير.. أجل يا حسنائي:

بليت وأبلتني الليالي بكرها
وصرفان للأيام مُعتوران
ومالي لا أبلى لسبعين حجة
وعشر أتت من بعدها سنتان
فلا تسألاني عن تباريح علتي
ودونكما منى الذي تريانى
وإني بحمد الله راج لفضله
ولي من ضمان الله خير ضمان
ولست أبالي من تباريح علتى
إذا كان عقلي باقيا ولساني
هماما هما في كل حال تلم بي
فذا صارمي فيها وذاك سناني

وعما اشتهيه، فماذا تتصورين أن أشتهي وأنا شيخ فان ضعيف البنية تتعاوره الأوجاع؟ إنما أشتهى شيئا واحداً فحسب هو أن يمد الله سبحانه في عمرى، كي أكثر من توبتى واستغفاري وصلواتي لله سبحانه عساه يشملني بفضل رحمته- وهذا ما يحملنى على أن أقول لكل إنسان:

بادر إلى التوبة الخلصاء مبتدئا
والموت ويحك لم يمدد إليك يدا
وارقب من الله وعداً ليس يخلفه
لابد لله من إنجاز ما وعدا

* ومن هنا يا حسنائي جاء تذكيري للاهين والعابثين والذين يستنيمون للملذات فيعبون منها عبا وينتهبونها انتهابا، أقول الآن لكل لاه عابث ولكل من أسكرته الدنيا وحب الأمل:

أتلهو بين باطية وزير
وأنت من الهلاك على شفير
فيا من غره أمل طويل
يؤديه إلى أجل قصير
أتفرح والمنية كل يوم
تريك مكان قبرك في القبور
هي الدنيا فإن سرتك يوما
فإن الحزن عاقبة السرور
ستُسلب كل ما جمعت منها
كعارية ترد إلى المعير
وتعتاض اليقين من التظني
ودار الحق من دار الغرور

هذه هي شهوتي اليوم من الحياة: توبة وقنوت وتحذير وتذكير.. ولا أريد أن أطيل

عليك في هذا المجال فربما بغضت إليك وربما كدرت في عينيك الدنيا، وأنت زهرة الدنيا وزينتها وبهجتها.

حسنائي، غادة الأندلس:

تريدين مني أن أطرفك بشيء من غزواتي وصبواتي في ميدان العشق والتهيام.. أما عن حسنائي يا غادة الأندلس فهي «ليلى».. ولن أفصح عن شأنها احتراماً لها ولأولادها وربما أحفادها..

أذكر أنها أرهقتني يوما بتساؤلاتها التى كانت تحمل معنى الشك والارتياب في حبي لها. وعلى إثر تلك الشكوك فإنها أعلنت عليَّ حرب الخصام، وكأنما وجدت أن تعذيبي هو خير انتقام مني. فبعثت إليها رسالة أقول فيها:

أنت دائى وفي يديك دوائي
يا شقائي من الجوى وبلائي
إن قلبى بحب من لا أسمي
في عناء أعظم به من عناء
كيف لا، كيف أن ألذ بعيش
مات صبري به ومات عزائي
أيها اللائمون ماذا عليكم
أن تعيشوا وأن أموت بدائي
ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميْتُ ميت الأحياء

ثم قابلتها على غير قصد مني، فقلت لها:

أتقتلنى ظلما وتجحدني قتلي؟
وقد قام من عينيك لي شاهدا عدل

* فلم ترد عليّ ولم تلتفت إليّ.. وما كان من بعض الأوداء إلا أن استفسر مني عن حالي مع ليلاي ونصحوني بأن أنتقم منها فأرد عليها صدوداً بصدود واستهانة باستهانة. فقلت لهم:

أطلاب ذحلى ليس بي غير شادن
بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذحلي
أغار على قلبي فلما أتيته
أطالبه فيه أغار علي عقلي
بنفسي التي ضنت برد سلامها
ولو سألت قتلي وهبت لها قتلي
إذا جئتها صدت حياء بوجهها
فيعجبني هجر ألذ من الوصل
وإن حكمت جارت عليّ بحكمها
ولكن ذاك الجور أشهى من العدل

غادة الأندلس :

بعد أن القيت على مسامع صحبي حجتي وذريعتي ذهبت إلى بيتي.. فلما صرت وحدي حادثت قلبي أعاتبه ويعاتبني:

أقول لقلبي كلما ضامه الأسى
إذا ما أتيت العز فاصبر على الذل
برأيك لا رأيي تعرضت للهوى
وأمرك لا أمري وفعلك لا فعلي
وجدت الهوى نصلا من الموت مغمدا
فجردته ثم اتكيت على النصل

فإن تك مقتولا على غير ريبة
فأنت الذي عرضت نفسك للقتل

* وذات ليلة كنت أمر بقرب قصرها فسمعت غناء أذهب لبى وألهب قلبي ذلك أنه كان صوت حبيبتي.. ثم انقطع الصوت بضع ثوان، بعدها شاهدتها ترش عليّ ماء الورد عناداً منها ومعابثة فكتبت إليها أقول:

يا من يضن بصوت الطائر الغرد
ما كنت أحسب هذا البخل في أحد
لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة
أصغت إلي الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن على سمعي تقلدُه
صوتا يجول مجال الروح في الجسد
لو كان زريابُ حيا ثم أسْمعَه
لذاب من حسد أو مات من كمد

* وبعد ليلة أرسلت إليها برسالة أقول فيها:

.. ..

متى يكون التلاقي؟
يا سقيم الجفون من غير سقم
بين عينيك مصرع العشاق
إن يوم الفراق أعظم يوم
ليتني مت قبل يوم الفراق

* ثم قلت لها: ليتك تحسين بأشواقي.. ليتك ترحمين قلبي!!

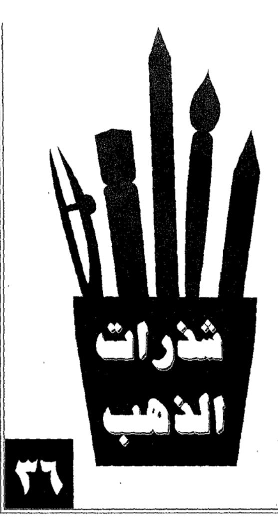
إن بين الضلوع شوقا دفينا
ترك القلب والها مسكينا
يا غزالا يصبي القلوب هواه
وهلالا يغشى سناه العيونا
أنت علمتني الصبابة والبخـ
ـل فصرت البخيل فيك الضنينا

* أما ما كنت أحب أن يكون واقعاً حيا أحياه مع حبيبتي ليلى فهو زيارة طيفها لي.. فقد أفرحني بقدر ما أضناني وأسهدني:

سرى طيف الحبيب على البعاد
ليصلح بين عينى والرقاد
فبات إلى الصباح يدى وساد
لوجنته كما يده وسادي
بنفسى من أعاد إليّ نفسي
ورد إلي جوانحه فؤادي
خيال زارني لما رآني
عدتني عن زيارته العوادي
يواصلني على الهجران منه
ويدنيني على طول البعاد

غادة الأندلس:

تلك بعض مشاهد من أحداث غرامي.. وكيف برح بي الهوى. .وكيف أسعدني. وإنه لشأن الحياة يا حسنائي الصغيرة.. فعيشي حياتك واستمتعي بشبابك واسعدي بحبك..



٢١٤ - طاغية رهيب

د. أبو هشام - المنصورة -

في عهد ستالين كثرت المؤلفات الهاتفة بمجده، والداعية إلى تكريم بطل الحرية والحب ورعاية الفقراء وبعث الرفاهية في روسيا على نحو شامل عام، ثم مات ستالين فانفجر البركان الغاضب يقذف بالحمم الحمراء لتشويهه، وانهالت اللعنات على أسوأ عهد للطغيان، ولم يكن ستالين طاغية عند توليه الحكْم فحسب، بل كان كأفراد عصابته سفاحاً منذ عرفه التاريخ، وتروى عنه هذه القصة[١].

في صباح يوم ١٩٠٧/٦/٢٣م غادرت مكتب البريد التابع لمدينة تفليس بروسيا عربتان مطهمتان يحوطهما نفر مدجج بالسلاح من رجال البوليس، وكانت العربتان تحملان شحنة من المال تقصدان بهما إلى بنك الدولة في الطرف الآخر من المدينة، وسارت العربتان في طريقهما، وكانت الشوارع غاصة بالعابرين من الناس، والجالسين على المقاهي، يتناولون طعام الإفطار، حتى وصلتا إلى مُنْحنًى من الطريق يؤدي إلى شارع فسيح، وقفت عنده امرأة تقرأ صحف الصباح، فما كادت العربتان تقتربان من المرأة حتى طوت الصحيفة، وسمع صوت انفجار مروع اهتزت له أركان المنازل الكائنة بالشارع جميعها، وتلاه انفجارات أخرى بلغ عددها ستة، وامتلأ المكان بالدخان، وصرخ الرجال وصاحت النسوة، وقفزت الخيل في رعب وجنون، وتحطمت نوافذ المنازل في دائرة قدرها ميل من الحادث! وأقبل في تلك اللحظة رجل يرتدي ملابس ضابط من ضباط الجيش، حيث العربة المحملة بالمال، فانتزع الصناديق من أماكنها، وقفز على حصانه، وعاد من حيث أتى بعد أن ألقيت القذائف المدمرة لتحصد الأرواح دون أن يلتفت أحد في هول الكارثة إلى ما يصنع مفجروها الآثمون من نهب شنيع، أما الضابط الذي حمل النقود فقد كان أحد أفراد الشيوعيين، وأما الذين قذفوا القنابل المحرقة فكانوا ستة

يرأسهم طاغية روسيا (من بعد) ستالين، وقد دبر هذه الفظائع ليسلب المال، وكان أثر الحادث المخرب المدمر من الروعة بحيث احتج عليه نفر من الشيوعين أنفسهم، وعقدوا اجتماعا قرروا فيه طرد الطاغية (ستالين) من زمرتهم، ولكن زعيمهم الأكبر (لينين) دافع عنه، وأثنى على عمله الرائع، لإيمانه ببطولته وخدمته لزملائه، فأقر الشيوعيون صواب جريمته، وقالوا إنه قدَّم للحزب أحسن الخدمات لأنه وفر له ما يحتاج من مال يكون ثروة مدخرة لهم في الأزمات.

٢١٥ ـ دكتاتور متسلط

ظن المنخدعون أن روسيا ستنعم بالأمان والحرية بعد سقوط القيصرية، وابتداء حكم الشيوعيين، ولكن الواقع المرير أثبت أن روسيا شاهدت أسوأ العهود في حقبة هؤلاء الطغاة، وقد جرت الدماء أنهاراً على يد (ستالين) ما بين سنتي ١٩٣٦، ١٩٣٨ بدعوى التطهير، ولم يكن التطهير الا استئصالا لكل شخص يحاول معارضة الدكتاتور الرهيب.

يقول الكاتب الأمريكي (هارولدوني) في مجلة «نيويورك مجازين» بعد حديث عن الشيوعية! «روسيا يحكمها رجل واحد، هو جوسيف ستالين، ينفذ إرادته المطلقة بطريقة لم تتح للقيصر في جبروته، بل لم يظفر بها هتلر لأن النظام السوفيتي متوغل في حياة الشعب الداخلية والخارجية، بطريقة لم يسبق لها مثيل في حياة الإنسان، ومن ثم كان من السهل على الكرملين أن يعلن الرأى النهائي في السياسة العالمية، ما بين عشية وضحاها، كما فعل فى الوقت الأخير إذ أعلن فصم العلاقات الروسية، بالأمم الديمقراطية الغربية وارتباطها بألمانيا ـ كان ذلك أول الحرب العالمية الثانية ثم انقلب الى الضد لأطماع عارضة ـ وفي مقدور ستالين أن يتصرف كيف شاء في سياسة روسيا الخارجية ولا يجسر أحد أن يرفع صوتاً ما بمعارضته في حال من الأحوال.

فروسيا وإن كانت تعد نفسها من الناحية النظرية أمة ديمقراطية بعد أن كانت ـ نظريا ـ تُحْكَمُ من قَبْلُ حُكْماً دكتاتوريا، إلا أنها تنتهج النهج الدكتاتوري حين تخضع لحُكم الفرد المتسلط، وتجارب الشيوعيين أكسبتهم علماً بأن الشعب الروسي يجب أن ينقاد، يجب أن يقهر، ويُضيَّق عليه بيد من حديد، فلينين كان دكتاتوراً بعقله وأخلاقه قبل أن يكون دكتاتوراً بقوته وجبروته، وجاء من بعده ستالين فأصبح أشد طغيانا وتجبرا أكثر مما كان لينين، ويرجع نجاح ستالين كحاكم مستبد منقطع النظير في العصر الحاضر، إلى خبثه الزائد، واستهتاره الذى لا حد له.

وقوة البوليس في روسيا هي المصدر الحقيقي لنفوذ ستالين، والبوليس الروسي يقوم على نظام خطير في التجسس وسفك الدماء، وتشجع السلطة الروسية التجسس بين أبناء الشعب، حتى أن الجار في روسيا يتجسس على جاره، والشخص يشي بأفراد

عائلته، وقد تصل بلاغات البوليس الى حد الاختراع، ويضيع بسببها أبرياء كثيرون، إذ كل إنسان في هذا البلد خاضع لستالين، وفي اللحظة التي تقع فيها الشبهة على إنسان يختفي أثره من الوجود، ولا تعوز ستالين الوسائل التي يستحوذ بها على الرأى العام في روسيا فهو يضع يده على الصحافة والإذاعة والمسرح والسينما وكل وسيلة من وسائل التعبير، فإذا أراد أن يطلب كلمة الرأى العام في المساء كانت بين يديه في الصباح دون عناء، واذا نظرنا الى ضحايا هذا المستبد الخطير، وإلى اليد الحديدية التى استولى بها على الشعب الروسي أفراداً وجماعات، أيقنا بأن الحاكم المستبد السابق في عهد القيصرية لم يكن شيئا جوار ستالين.

أقول، والشيوعيون من العرب يعرفون ذلك ويدافعون عنه، وقد انهارت الشيوعية في أوربا، وبقى هؤلاء وحدهم يتحسرون ويبكون لأنهم عملاء خسروا مجال كسب كبير.

٢١٦ - (قصة فتاة)

كان سكرتير اللجنة التنفيذية للمقاطعات الروسية صديقاً حميما لستالين، وموضع ثقته، وهو الذى يختار أعوان الدكتاتور من الإداريين، وبخاصة من السكرتيريين والخدم والسعاة، وكان يقدم لوظائف السكرتارية من تقع عينه عليها من الجميلات ذوات الحسن الخالب، وقد اختار لقراءات ستالين الخاصة في ساعات فراغه فتاة شابة حسناء ذات أصل استقراطي قديم، وكان ستالين يضطجع كل يوم في الصباح قبل أن يباشر عمله الرسمي على أريكة ناعمة حيث تجلس الفتاة أمامه لتقرأ كل ما يريد من صحف أو رسائل كتابية أو برقيات خارجية وبجانبه منضدة تحمل أطباق الحلوى والفاكهة وما يلزم من العقاقير الطبية، وقد أعجب ستالين بقراءة الفتاة، وسرعة فهمها، وجودة تعليقها على ما تقرأ، وعدَّ مجلسها من أسعد أوقاته اليومية، وفي ذات صباح أمر الدكتاتور بقدحين من البُنّ التركي الذي يحبه، وكان من عادتها أن تتذوق أولا ما يقدم لستالين كي يأمن أن يكون الشراب موضع خطر، وحين وضعت السكر في الفنجان كانت عين الدكتاتور تلحظ بيقظة لونا في السكر غير طبيعي، وهو شيء لا يلحظ إلا بتأمل فاحص لا يدركه غير شكاك حذر دقيق، فتركها تشرب قدحها، ثم طلب منها أن تشرب القدح المعدّل، فظهر عليها ما يدل على انتشار السم، فلم يكفه أن تموت بين يديه، ولكنه تعقب أهلها وأصدقاءها، ومن يظن لهم بها أدنى صلة عارضة، فاستأصلهم جميعا بعد تعذيب شاق في السجون، ليعترفوا بما يعلمونه من نوايا الحسناء، فقد يكون لها شركاء فى المؤامرة قطعاً، ولابد أن يصل إليهم جميعا، وقد احتاط حين لم يجد الدليل، فأعدم من يشاع أنه من معارفها، أما صديقه الحميم سكرتير اللجنة التنفيذية للمقاطعات

الروسية فقد أُبْعد من مناصبه وجُرِّد منها تجريداً تاماً، وألقي به في السجن أمداً طويلا، لأنه لم يُحسن الاختيارحين قَدَّم الفتاة لتكون سكرتيرة خاصة للدكتاتور.

٢١٧ـ (شاعر روسي)

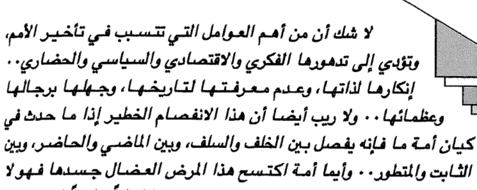
كانت العلاقات تبدو حميمة صادقة بين ستالين والشاعر الروسي الكبير مكسيم جوركي إذ شاركه الكفاح في الماضي السياسي البعيد والقريب، وقد لحظ الدكتاتور أن ما يقدمه الشاعر الروسي في المسرح الكبير بموسكو يحمل نقدات تهكمية لأعوان ستالين، وهم أداته الطيعة فيما يقومون به من انتهاكات ظالمة، كما لاحظ تأثيره الكبير في المجتمع الروسي، ولم يستطع أن يغدر علنا بصديقه الحميم فيزج به في السجن، ويلفق له تهمة الخيانة وهو من أعمدة الشيوعية الذين ناصروها بالدم والفكر والعذاب والنفي، وله شعبيته الهائلة، فأمر بمن يدّس له السم البطيء في طعامه، ولم يكن يسكن معه غير ولده، فاشترك معه فيما يأكل، وتوفي الوالد والابن في وقت مقارب، وخاف الدكتاتور أن تحوم شبهة ما حول وفاة الشاعر الكبير إذا قورنت بوفاة ولده، وكلتاهما كانتا مفاجأتين كبيرتين، فأمر بمحاكمة صُورية للأطباء الذين تولوا علاج الشاعر لأنهم لم يستطيعوا ملافاة الداء قبل استفحاله في رأي من ادعي عليهم ذلك، وانتهت المحاكمة بإعدامهم رمياً بالرصاص وفيهم من قدم السم كيلا يذيع فيما بعد شيئا عن الجرم الفظيع، ودارت الدائرة على المخرج المسرحي الكبير (مايرهولد) الذي كان يخرج مسرحيات جوركي حاملة بعض الانتقادات، وقد توسل للطاغية وهو من أصدقائه الكبار جازماً بأنه كان يلطف كثيرا من المعاني والعبارات، ولولا غضب جوركي المتكرر لما ترك القليل مما ينقد ويشرّح، إذ كان يثور في وجهه كلما خالف النص المكتوب، ويزعم له أنهما فوق المحاسبة والنقد لمكانتهما من الدكتاتور والشعب معا! على أن مكسيم جوركي مع ذلك لم يسلم من نقمه الخاصة لأنه انحرف كثيرا عن صراحته المعهودة أيام لينين، وفي زمان القيصرية السالف، كان الشاعر يحتاط إذن ولم يجده الاحتياط شيئا، بل ساق في طريقه نفراً من الأطباء المساكين.

٢١٨ـ يارسول الله

أتيتَ والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جورا ومسخرة
لكل طاغية في الخلق محتكم
مسيطر الفرس يبغي في رعيته
وقيصر الروم من كبر أصم عمي
يعذبان عباد الله في شبه
ويذبحان كما ضحيت بالغنم
والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم
كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلم

مسك الختام

الثقافة الذاتية .. المنطلق الحضاري



لا شك أن من أهم العوامل التي تتسبب في تأخير الأمم، وتؤدي إلى تدهورها الفكري والاقتصادي والسياسي والحضاري.. إنكارها لذاتها، وعدم معرفتها لتاريخها، وجهلها برجالها وعظمائها.. ولا ريب أيضا أن هذا الانفصام الخطير إذا ما حدث في كيان أمة ما فإنه يفصل بين الخلف والسلف، وبين الماضي والحاضر، وبين الثابت والمتطور.. وأيما أمة اكتسح هذا المرض العضال جسدها فهو لا محالة سيعصف بمراكز القوة والحيوية فيها؛ ويرديها كياناً هامداً لا روح فيه ولا حياة.

من هنا رأينا الأمم الكبيرة، والشعوب الصاحية في كل وقت وحين تحافظ على جذورها الحضارية، وتنطلق من القسمات المحددة لهويتها وشخصيتها في كل ما تأتيه من عمل، وما تقوم به من انجازات .. لقد وعت الشعوب المتقدمة هذه الحقيقة الرائعة، والبسيطة في الوقت ذاته، فمهّدت أمامها أسباب الازدهار، وانداحت لها أساليب النهوض والترقي.



بقلم:
ابراهيم نويري
الجزائر

وليس أدل على كون هذه الحقيقة هي سر كل تقدم أو تغيير إيجابي فاعل، أن أية حركة أستعمارية تتمكن من السيطرة على أية جهة مقهورة في الأرض إلا ونجد أنها تشرع في تنفيذ عملية التبديل الثقافي، وتغيير الخلفية الفكرية التي تتحكم في مقوّمات شخصية المجتمع وهويته الحضارية؛ ومن جهة أخرى فإن هذه الخلفية العقلية المتمايزة هي التي أعيت المشرفين والقائمين على محاولات غرس الكثير من المناهج الاقتصادية والتنموية وغيرها في بيئات غريبة عنها، لأن تلك المناهج وليدة نفسية وعقلية مختلفة في بنيتها التكوينية وخصوصياتها الفكرية عن العقلية والنفسية السائدة في البيئة المراد تغييرها وتنميتها وتحويلها.

هذه القضية الهامة، والتي تحاول الدوائر الاستعمارية المعادية للشعوب،

وخاصة العالم العربي والإسلامي، إخفاءها وحجبها عن الوعي الجمعي، أضحت اليوم تأخذ حيِّزاً محترماً من الاهتمام والعناية، بعد أن صارت قناعة مركوزة لدى الكثيرين من علماء هذه الأمة ومفكريها وخبرائها.

ونحسب أن المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي هو أحد الرواد الذين أسهموا ـ في نتاجهم الفكري والعلمي ـ في التشديد على أهمية وقيمة الثقافة الذاتية في عملية الاستنهاض والإقلاع الحضاري، ومحاولات تخطي سدود التخلف، وعقبات الانحطاط والتردّي الحضاري.

ومن الأمثلة على ذلك نراه يشير في بعض مؤلفاته إلى تجربة برنامج «شاخت» الذي حاول تنمية اندونيسيا، واخراجها من غياهب التخلف.. إلا أن هذا البرنامج أخفق في بداياته الأولى، والسبب بطبيعة الحال عدم مراعاة هذا البرنامج التنموي للخصوصيات الفكرية والحضارية في أندونيسيا، وهي تختلف طبيعة وفطرة وتكويناً عن نظيرتها في ألمانيا، أو العالم الغربي عموماً.

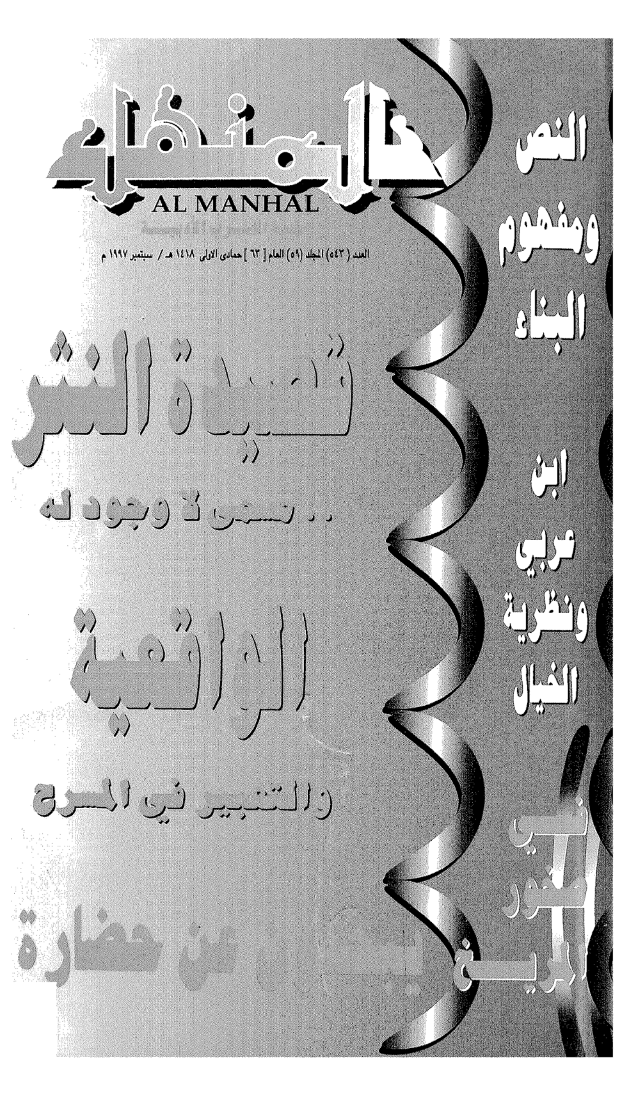
أما فضيلة الشيخ الغزالي (عليه رحمة الله) فيقول عن أهمية هذه الثقافة: «إن الثقافة الذاتية هي التي تصوِّر شخصية الأمة وملامحها الفكرية والنفسية، وتشرح عقائدها التي تنطلق منها، وأهدافها التي تنطلق إليها، وتقاليدها وأخلاقها وشرائعها بدءاً من الأسرة إلى علائقها الدولية.. إن هذه الثقافة الذاتية هي اكسير الحياة للأمة، والمجدّد الدائم لطاقاتها الأدبية والمادية.. ومن هنا اتجه الاستعمار العالمي إلى ضرب هذه الثقافة، وتوهين معاهدها، فإما أجهز عليها، وإما شلّ حراكها وأبقاها صورة هامدة، أو اسماً بلا مضمون».

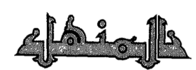
إن الأمل الذي أضحى يحدونا على طريق العودة إلى الذات ليس نابعاً من فراغ أو غرور، وإنما هو أمل يجيء بعد رحلة مرهقة من المتاهات التي عاشتها أمتنا في سبيل البحث عن مسالك ومناهج تتجاوز بها واقعها المتردّي الذي هو حصيلة الحقبة الاستعمارية القاتمة السواد.

بيد أننا لا ننكر ـ ونحن نتشوّف إلى إقلاع حضاري راشد نابع من ذاتنا وأصولنا ـ وجود المحاولات الشرسة التي ما تكاد تختفي إلا لتعود من جديد وبأساليب أكثر حدة وجُرأة ودهاء، وهي تعمل دون كلل، قصد إبعادنا عن منابعنا الحضارية وجذورنا الثقافية.

وذلك حتى يُلقى في روع الأجيال المسلمة المعاصرة، أن النهضة الحقيقية الفاعلة لا يمكن أن تحدث في بلاد العرب والمسلمين إلا بالإعتماد على تجربة الحضارة الغربية!! ولا يخفى أبداً خطر مثل هذه الطروحات لأن الإسلام لم يتنكر يوماً لتجارب الحضارات الأخرى ـ ولم يُعرف في تاريخنا أن المسلمين الاوائل وهم يشيدون الحضارة الاسلامية ضيّقوا على أنفسهم في الأخذ بثمار حضارات الأمم الأخرى.. وانما استوعبوا تجارب الآخرين، وأخضعوها للمعايير الإسلامية الضابطة لأصول حضارتنا.. وهذا بحد ذاته جانب من جوانب التأسيس الإسلامي لمنهجية الثقافة الذاتية.


نجاحك ... نجاحنا


المنهل
AL MANHAL
العدد (٥٤٣) المجلد (٥٩) العام [٦٣] جمادى الاولى ١٤١٨ هـ / سبتمبر ١٩٩٧ م
"قصيدة النثر"
.. مسمى لا وجود له
الواقعية
والتعبير في المسرح
عن حضارة
النص ومفهوم البناء
ابن عربي ونظرية الخيال



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



هذه الصحافة قوة !..

أصبحت الصحافة في عالم اليوم قوة هائلة من قوى الأمم والدول، فحسب حسابها في الداخل، كما يحسب حسابها في الخارج .. هذا اذا كانت الصحافة قوية رائعة في مظهرها وفي مخبرها . في اخراجها وفي تحريرها، وفي سعة مدى انتشارها .. هي قوة في داخل الامة والدولة، وهي سياج لهما مكين يدفع عنهما غوائل الكيد الدولي، ويحيطهما علماً بمجريات الأمور، وبما يحاك في الخفاء وبما ينسج في الجلاء، كما ينقل اليهما الوان التقدم العالمي في شتى اشكالها .

تقوم الصحافة - بالنسبة لداخل الدولة والامة - بمهمة المكيف والموجه والخبير الأمين، بما تنشره من قويم الآراء والمبادىء والاصلاحات على ملايين قرائها في مختلف الانحاء، صباح مساء، وأسبوعاً بعد اسبوع وشهراً عقب شهر .. بأساليب مشوقة باهرة، وبطرق قيمة جذابة، هي لسان الأستاذ ودماغ المفكر وعقل الرائد وراحة الأديب، وجنة الشاعر، وسمع الموظف والعامل، ودعاية التاجر والصانع والزارع، وموئل البائس والمحروم، وكهف المضطهد وملجأ المظلوم، ثم هي - الى ذلك - المنجل الذى يحصد الآراء الهدامة، ويجتث الاخلاق الفاسدة، ويقضي على الجمود الوبيل .

وتقوم الصحافة - بالنسبة لخارج الدولة - بدور المنظار السحرى الذى به تستطيع استكشاف الخبايا، والالمام بالخفايا الدولية، وبذلك يستطيع قادتها ويتمكن ساستها من رسم الخطط، بما فيه صالح بلادهم، وبما يجنب سفينة الدولة الارتطام بصخور الارتباك والاضطراب في المجال الدولى المتشابك المعقد .

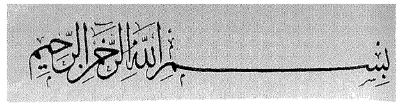
ويقدر سمو الصحافة وعلو شأنها وحريتها وعمقها واتزانها تؤدى مهمتها على الوجه المنشود، لصالح الدولة والأمة، في داخلية البلاد وفي خارجيتها .

والعكس بالعكس، فان الصحافة الضحلة الهزيلة المهلهلة الضئيلة هى صحافة فاقدة التأثير باهتة الألوان لا أصداء لها ولا أضواء .

فعلينا أن نسعى جادين، لتقوية صحافتنا الوطنية قبل كل شيء وان لا تستهوينا مظاهر الدعاية في صحف الخارج آية كانت فان دعاية قوية منبعثة من الداخل ومن منابر صحافة وطنية قوية هى اجدى نفعاً الف مرة ومرة من الاعتماد على صحافة لا نملك من أمرها قليلا ولا كثيرا .

«عبدالقدوس الأنصاري»

ربيع الاول ١٣٧١هـ/ ديسمبر ١٩٥١



لقطة الشهر

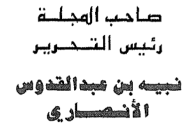


أطفال وصبية ، شردتهم الحروب عن أهلهم وأوطانهم، فاحتملوا من أخطاء الكبار، وحماقاتهم ما لم يحتمله بشر.
إلى متى هذا الدمار !!؟ .. انها علامات استفهام غائرة في أحداقهم.

الشارة

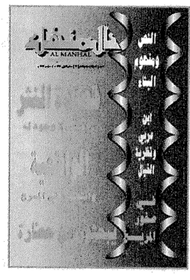
● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦



عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

من كلمات

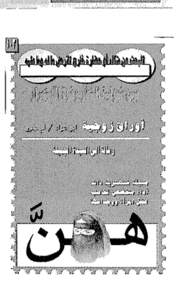
نحن أم الآخر

... (إرهابي - قاتل - متوحش - همجي - متخلف)..
عفواً، ومعذرة، أن صدّرنا هذه الكلمة بهذه الأوصاف القميئة..
لكن .. وبكل أسف، هي واقع صورة العربي والمسلم في الإعلام الغربي عامة ..
الآن .. والسؤال المباشر..
من شوّه تلك الصورة الجميلة للعرب والمسلمين؟!
من رسم لهم هذه الصورة (الكاريكاتيرية) المسوخة المعالم؟!
هل بأيدينا رسمناها؟!
أم رسمها الآخر (مع سبق الاصرار والترصد)!؟
وقبل محاولة تلمس الإجابة، دعونا نسأل أنفسنا..
على جبين الأيام والدهور من نكون..؟
المسلمون والعرب، كانوا على جبين الأيام هالة من نور أضاءت الآفاق.
وحضارة سامقة تقاصرت دونها حضارات الأمم .. وقامة مديدة من العلم والتقى والصلاح.
العرب حملوا راية الإسلام على اكفهم، فتحوا بها الدنيا..
بهذا الاسلام أخرجوا الناس من الظلمات الى النور.. من جور الحكام الى عدل الاسلام.
من القهر والاستعباد، إلى الحرية والانفتاح.. أخلصوا النية فعرجوا على مدارج من نور..
هكذا .. كنا ..
إننا لا نجتر سوالف الأيام دندنات ننام على أكفها، ولكنا نسوق ذكريات تلك الايام النيرة النضرة، ونستحضرها بين أيدينا اليوم لتشهد ما نحن عليه اليوم.
إذن، لنسجل نماذج، فقط نماذج، لما نحن عليه اليوم..
المسلمون في أفغانستان يقتتلون فيما بينهم منذ سنين خلت .. لماذا!!؟
جماعات في الجزائر تذبح الأطفال والنساء والعجزة.. لماذا!!؟
الصومال .. حرب شعواء أتت على الاخضر واليابس لماذا؟.
الفلسطينيون، وما عرف بالحرب الفلسطينية - الفلسطينية.. لماذا!!؟
حتى ان حكام اسرائيل قالوا (الفلسطينيون أنفسهم قتلوا من الفلسطينيين ما لم تقتله الحروب الاسرائيلية).
أما العرب بعامة، فأشلاء مقطعة.. لماذا!!؟
إذن، نرجع لسؤالنا..
من شوّه تلك الصورة الجميلة للعرب والمسلمين!!؟
نحن .. أم الآخر ..!؟

رئيس التحرير

المنهل
Almanhal
مجلة شهرية للادب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٤٣)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)



وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٢٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

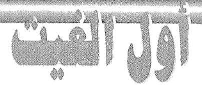
الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

في هذا العدد

الفهرس

أقلام:

د. كمال اسماعيل — محمد حمد الصويغ
د. زياد الحكيم — د. احسان هندي
د. شذى سلمان الدركزلي — د. شريف مفلح
محمد العربي الخطابي — د. احمد محمد غريب



متابعات:

** مجلس الشورى الجديد:

الشورى، واحدة من منطلقات التوجه الإسلامي، وهي أمر ديني بحت، بعيداً عن التمذهب السياسي، وكل أطراف الشورى مأجورون من الله سبحانه وتعالى ما دامت النية صادقة، والتوجه واضحة معالمه.

يقول الله سبحانه وتعالي في قرآنه المجيد مخاطباً رسوله الكريم (وشاورهم في الأمر) ويقول سبحانه (وأمرهم شورى بينهم) حيث يتوجه الخطاب هنا لكل المسلمين باتباع منهجية الشورى في كل الأمور.

والرسول المصطفى [صلى الله عليه وسلم] طبق هذا المبدأ عملا يتّبع من بعده، وسبيلا يقتدى به، إذ يقول عليه الصلاة والسلام (إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه) ويقول (المستشير معان، والمستشار مؤتمن).

ويقول صلى الله عليه وسلم (.. فمن استشار لم يعدم رشداً ومن تركها لم يعدم غيا).

ومعلوم أن (الشورى) هي اعمق منهجية وأداء من (الديمقراطية) التي لا تخلو من ثغرات..

ونظام الشورى في المملكة العربية السعودية أخذ به الملك عبد العزيز آل سعود - عليه رحمة الله - لانه النظام الأمثل، وعليه قام أمر هذه المملكة وطبقه وأخذ به ابناؤه من بعده.

وبالرجوع الى التاريخ قليلا نجد ان الملك عبد العزيز مؤسس هذا الكيان الكبير قد أمر بتشكيل اول مجلس للشورى في ١٣٤٦/١/٩هـ الموافق ١٩٢٧/٧/٩م وتشكل مجلس الشورى الثاني في ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.. وفي ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م أعيدت هيكلة المجلس.

وفي ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م صدر مرسوم ملكي بزيادة عدد اعضاء مجلس الشورى الى عشرين عضوا بدلا من ثلاثة عشر عضوا.

وفي ١٣٧٥هـ أصدر الملك سعود - رحمه الله - مرسوما ملكيا بتشكيل مجلس الشورى، وكان من خمسة وعشرين عضوا.

وإذا ما وصلنا الى خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - نجده يسير على نهج المؤسس في الحرص على الشورى، ومجلس الشورى، ولهذا صدر الامر الملكي السامي في ١٤١٢/٨/٢٧هـ - ١٩٩٢/٣/١م المتضمن نظام مجلس الشورى الجديد، وهو بمثابة تحديث لما هو قائم وتطوير له.

ومجلس الشورى في دورته الأولى كان أنموذجاً رائعاً للاداء الجاد الملتزم من قبل كل اعضائه، وهم من العلماء والمفكرين والمثقفين، ومن أصحاب التخصص في مجالاتهم المختلفة والمتعددة وهذا بطبيعة الحال اكسب المجلس حيوية في الأداء وجدية في أسلوب الطرح والنقاش.

ويأتي مجلس الشورى في دورته الثانية ليكون اضافة جادة لدورته الأولى من حيث المضمون والمحتوى.

وهذا المجلس تمت زيادته الى تسعين عضواً بدلا من ستين عضوا في الدورة الاولى.

وفي هذا يقول خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - «إن زيادة اعضاء مجلس الشورى إلى تسعين عضوا أمر تطلبته دواعي التنمية والحاجة الى زيادة اللجان في المجلس وتنويعها ومقابلة الحاجة الى التخصص والخبرة بين اعضائها».



الملك عبدالعزيز ..
وأول مجلس للشوري

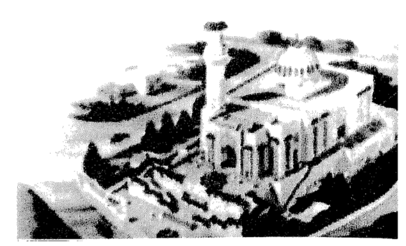


خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز

** جامع ومركز خادم الحرمين الشريفين في جبل طارق:

في ٧١٠م، انتدب موسى بن نصير القائد طارق بن زياد لفتح بلاد الأندلس، وجرد له قوة قوامها (١٢,٠٠٠) جندي.. وكان النصر حليفه.. وكان أول ما نزل عند الصخرة التي سميت باسمه (مضيق جبل طارق).. وتعرف المنطقة الآن كلها بـ (جبل طارق).

ومنذ ذلك الفتح المبارك وحتى يومنا



مسجد خادم الحرمين الشريفين في جبل طارق



سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز
و سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد في أفتتاح المسجد

هذا أصبح لتلك المنطقة مكانة رفيعة في وجدان المسلمين، إذ أصبح الاسلام على مشارف اوروبا .. ويأتي الآن تأسيس وافتتاح مسجد ومركز خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يحفظه الله - في جبل طارق ليعيد عبق التاريخ ويستجيش مشاعر القربى التى كانت، ويظل مركز وصل ديني وعلمي وثقافي وشعوري، يصل الماضي بالحاضر.

فإذا كان سلف المسلمين قد جاهدوا بأنفسهم وأرواحهم، وأموالهم كما جاهدوا بعلمهم وفكرهم إعلاء لكلمة الله سبحانه وتعالى، فقد جاء دور المسلمين الآن ليواصلوا المسيرة المباركة السالفة.

بكل الحق، يأتي الآن (مسجد ومركز خادم الحرمين الشريفين) في جبل طارق ليكون مركز إشعاع، وحلقة وصل.. حلقة وصل بين ماض عاش في الوجدان بكل بطولاته، وحاضر يعاني فيه الإسلام والمسلمين عناء مراً..

ويأتى المسجد والمركز أيضاً حلقة وصل كبرى بين المسلمين وما يحملون من حضارة خيّرة ، وبين الحضارة الإنسانية بعامة.

إنه لقاء الطرح الواعي المدرك لأساسيات الحضارة الإسلامية والتصدر الاسلامي لمناهجية الحياة الكريمة وما ينبغي أن تكون عليه.

أسس هذا الجامع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - باجمالي وصل الى (٣٠) مليون ريال.. في مساحة ٢٠٠ر٥ متر مربع.

هذا المسجد يمثل ملتقى اسلاميا في هذه المنطقة التي تمثل نقطة التقاء بين قارتي أوروبا وأفريقيا.. إلى جانب المسجد الذي خصص فيه مصلى كبير للنساء يظهر المركز الإسلامي والثقافي ويضم مكتبة وقاعة للندوات والمحاضرات، وفصولا للدراسة وملحقات أخرى لتغطي جميع احتياجات ومتطلبات المركز والجامع.

** افتتاح المسجد والمركز:

في ربيع الخير الفائت ١٤١٨هـ - كان افتتاح هذا العمل الاسلامي الكبير- (جامع ومركز خادم الحرمين الشريفين) وكان يوماً مباركا شهده جمع كبير من العلماء والمفكرين وسفراء وقناصل الدول الممثلة في (جبل طارق) وكان في مقدمتهم صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز امير منطقة الرياض وصاحب السمو الملكى الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز المستشار في الديوان الملكى والمشرف على متابعة وتنفيذ جامع ومركز خادم الحرمين الشريفين.

وحضر الحفل حاكم جبل طارق، ورئيس وزراء جبل طارق.

وبعد صلاة أول جمعة في الجامع أعلن عن قيام ندوة ثقافية إسلامية في هذا المركز تعقد كل عام.. والموضوع المختار لندوة هذا العام (مدى اسهام الحضارة الاسلامية في الحضارات الانسانية). وشارك في هذه الندوة العلماء والمفكرون المختصون في الحضارات ودراساتها.

في حفل الافتتاح قال نائب حاكم جبل طارق مايكل روبنسون (ان افتتاح هذا الجامع منطلق لعلاقات قوية ومتينة بين جبل طارق والشعوب الإسلامية والعربية).. (على هذا الموقع الذي اقيم عليه مسجد خادم الحرمين الشريفين وضع طارق بن زياد أسس الاتصال بين اوروبا وبين العالم العربي والإسلامي).

(هذا المسجد سوف يبقى شاهداً

على أريحيتكم وعلى فضل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وجوده وعلامة خالدة على العلاقة الحاضرة والتاريخية بيننا).

ومن الجانب الآخر نجد مسلمي جبل طارق - البالغ عددهم ثلاثة آلاف نسمة من مجموع سكان جزيرة جبل طارق البالغ عددهم (ثلاثون الف نسمه) - نجد مسلمي جبل طارق اكثر ابتهاجا وفرحة وسرورا بوجود هذا المسجد والمركز.. إذ يعدونه فرصة للحوار الحضاري السليم، ويعدونه تصحيحا لصورة الاسلام لدى الغرب.. اضافة للخدمة الدينية التي يجدونها في هذا المسجد.

** ويظل الخير موصولا:

في ربيع الخير أيضاً، وضع صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز حجر الأساس لجامع خادم الحرمين الشريفين في ملقا في أسبانيا ويمثل الجامع مؤسسة إسلامية متكاملة، حيث يضم مركزاً للدراسات والبحوث الاسلامية، وقاعة للندوات والمحاضرات واللقاءات الفكرية والعلمية.. ويشمل المركز (١٦) فصلا دراسيا للنساء وهذه المؤسسة الاسلامية الضخمة تقع في مساحة اجمالية تصل الى ١٢٫٥٩٠ مترا مربعا.. وهو على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله ورعاه - سائلين الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته.

وعن هذا المركز الاسلامي الضخم يقول الحاكم المدني لمحافظة ملقا خورخي كابينا (إنني على يقين بأن هذا المركز الذي تفضل باقامته خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز والذي تضعون أساسه اليوم سيكون أكثر المراكز أهمية في اسبانيا وفي أوروبا).

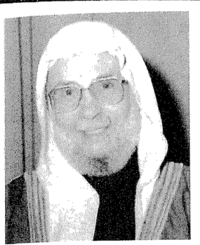
وقال (إن ملقا كانت دائماً حلقة وصل بين الشعوب العربية والاسلامية وبين اوروبا، وعلى شواطئها بنى العرب حضارة عريقة ونقلوا إليها الكرم والجود والمعرفة وأسسوها في اسبانيا وكانت منطلقا الى الأمم كلها).

وتواصلا مع هذا العمل الجليل، وفي هذا الشهر المبارك ايضا افتتح الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشئون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد جامع باوندى الكبير في الكاميرون.. والجامع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بتكلفة قدرها (٥) ملايين دولار.

وبشهادة أهل البلاد أنفسهم إن هذه المراكز الإسلامية ستظل أبداً نقطة التقاء للمسلمين، ومشروع تواصل علمي وفكري مع شعوب المنطقة وبداية بث جديد لروح الإسلام، وتصحيح كثير من الاخطاء والمغالطات التى لصقت بالاسلام والمسلمين بقصد وبغير قصد .. وبهذه المناسبة تجدر الاشارة الى أن المملكة العربية السعودية قد قامت بالبناء أو المساهمة في اكثر من (مئتي) مركز في انحاء العالم الاسلامي، واكثر من (١٣٥٠) مسجداً.

** ملتقيات ودورات:

وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، تأتي قضية الدعوة الاسلامية وبخاصة في الدول الاسلامية ودول الاقليات المسلمة، في مقدمة اهتماماتها.. وهذا العمل بغرض نشر الوعي الاسلامي في اوساط المسلمين، كما يهدف



د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

هذا العمل ايضا الى تدريب الأئمة والدعاة وتأهيلهم بالصورة المثلى ليقوموا باعباء هذه الدعوة الخالدة بين اخوانهم المسلمين في بلدانهم.

وصيف هذا العام حفل بالعديد من الملتقيات والندوات الإسلامية والدورات الدعوية في كثير من بلدان العالم الاسلامي ودول الاقليات المسلمة كما أشار الى ذلك معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشئون الإسلامية والاوقاف والدعوة والإرشاد.

وكان اول هذه الملتقيات في أوغندا، وشارك فيه مئة وعشرون داعية من اوغندا والكمرون وتنزانيا والكونغو وزائير وموزمبيق، وزمبابوي وملاوي وبورندي.. ومؤتمر آخر عقد في باكستان، وشارك فيه مئة واربعون داعية.. ومؤتمر آخر في المانيا شارك فيه مئة داعية من المانيا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والدنمارك والسويد والنمسا وتركيا واليونان وقبرص واسبانيا وجزر الكناري.

وبالتعاون مع مؤسسة البراهيم الخيرية، عقدت دورات وندوات في كل من روسيا، وكازاخستان، ونيروبي وفنزويلا.

** أصيلة .. الحوار مع النفس والآخر:

في مطلع شهر اغسطس ١٩٩٧م الفائت ولمدة خمسة عشر يوماً انعقدت أعمال وفعاليات (أصيلة) في عامها التاسع عشر..
وفعاليات واعمال (منتدى أصيلة) لهذا العام كانت اكثر خصبا وعطاء، في التناول والحوار، وايجابيات الطرح في الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.
لا شك ان الموقع المتميز للمملكة المغربية والمكانة الراقية التي تبوأتها كل ذلك رشحها لتكون جسراً للتواصل بين الشرق والغرب، الشمال والجنوب، جسر تواصل بين الحضارة الاسلامية بكل معطياتها الخيرة وبين حضارات أمم الغرب.
وهذه الخصوصية في الموقع والمكانة نسجت بدورها خيوط الاطروحات العلمية والفكرية والحضارية والسياسية والاجتماعية التي ينبغي طرحها للنقاش والتداول.
ويأتي كل هذا من منطلقين اساسيين:
الأول: عربي - عربي.
الثاني: عربي - اوروبي.
المنطلق الاول: يتمثل في الحوار مع النفس، في مجالات عطائها المعرفي والانساني، إيجاباً وسلباً، وهذه صيغة راقية في تأكيد الهوية الصادقة المثلى.
أما المنطلق الثاني فيتمثل في حوار الحضارات كما يسمى (الحضارة الاسلامية والعربية) و(الحضارة الاوروبية والغربية).. وذلك بهدف التآخي والتعايش السلمي، والتلاقح الفكري والمعرفي والانساني.
منتدى أصيلة لهذا العام كان ثرياً وخصباً، فقد تناول المنتدى اربع



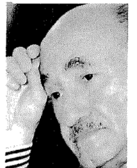
جانب من ندوة أصيلة



الأمير بندر بن سلطان



أ. عثمان العمير



الشاعر بلند الحيدري

ندوات أساسية هي:
١ - العرب والأمريكيون في الاعلام العربي والأمريكي):
وهذه نظمتها جامعة المعتمد بن عباد الصيفية بالتعاون مع جريدة الشرق الاوسط وافتتح فعالياتها صاحب السمو الملكي الامير بندر بن سلطان سفير خادم الحرمين الشريفين في أمريكا.
٢ - (بلند الحيدري وحركة الشعر العربي المعاصر):
نظمها المنتدى الثقافي العربي الافريقي في أصيلة بالتعاون مع مجلة المجلة.
٣ - (العولمه والخدمات الاقتصادية ومستقبل العالم العربي).
٤ - (المدينة الاسلامية والتخطيط الحضري المعاصر).
ومن ايجابيات لقاء هذا العام في أصيلة أن أعلن عن قيام (مؤسسة منتدى أصيله) وهي كما قال عنها الاستاذ محمد بن عيسى - سفير المملكة المغربية في أمريكا - هي مؤسسة ثقافية دولية غير حكومية تهدف الى توفير سبل البحث والتواصل والحوار بين الثقافات والحضارات.
وهي محطة جديدة على الطريق السيار بين الجنوب والشمال والشرق والغرب.. وستوفر هذه المؤسسة شروط التلاقي والعمل الجماعي بين العاملين في حقل العلوم والفنون والآداب من مختلف الثقافات والحضارات والتوجهات والمشارب الفكرية والثقافية والعقائدية والسياسية.
أما الدكتورة عزيزة بناني (عميدة جامعة المعتمد بن عباد الصيفية)

فتحدد لقاءات المفكرين في المنتدى بأنها تشريح لمكونات العلاقات بين الشعوب والسعي الى الاحتكاك الحضاري بينها.

وتجديد اللقاء داخل فضاء ثقافي خصب.. ولقد كان لجريدة الشرق الاوسط دور فاعل في فعاليات هذا المنتدى بمشاركتها ومساهمتها فيه، ويوضح ذلك الاستاذ عثمان العمير رئيس تحرير جريدة الشرق الاوسط بقوله:

(إن مساهمتنا في هذا المشروع الذي نحتفل اليوم بافتتاحه تنطلق من قناعتنا في ضرورة تشجيع ورعاية كافة المؤسسات الحضارية الطموحة التي تخدم المحيط الاجتماعي والبيئة.. وتعمل على تأكيد مفاهيم التقارب والحوار وتخلق الفكر المناسب للأروقة التي يحتاجها التفاعل الثقافي».

افتتحت اعمال (منتدى اصيلة) بندوة (العرب والامريكيون في الاعلام العربي والامريكي) افتتح اعمال هذه الندوة صاحب السمو الملكي الامير بندر بن سلطان.

وجاء في كلمته:

«ان كلامنا بدوره مرتبط ارتباطا عضويا بتقاليده واساليب حياته فأمريكا لا تستطيع ولن تتمكن ابدا أن تعيد صياغة شعوب اخرى على صورتها عندما تكون جذور هذه الشعوب ضاربة في اعماق التاريخ وتنتمي الى حضارات عريقة وبالمثل لا يمكن للشعوب الاخرى أن تغير من امريكا.

وما قد يكون ملتزما بمعايير «الصواب» السياسي ومتمتعا بقيمة رفيعة لدى مجتمع من المجتمعات أو حضارة باكملها كالغرب مثلا، قد يكون في الوقت نفسه امرا دخيلا على ثقافات اخرى عظيمة وعريقة وحضارات تنتشر عبر معظم ارجاء المعمورة، بل قد يكون مصدرا لزعزعة الاستقرار وسببا في هلاك تلك الثقافات والحضارات في نهاية المطاف.

يجب على كل منا ان يتفهم اساليب حياة وتفكير الآخر حتى في الوقت الذي قد يؤكد فيه ويعزز من أساليب حياته وتفكيره. ولكن وكما يحدث في واشنطن بصورة متزايدة يوجد توجه لاصدار التقارير التي تنتقد الآخرين، مع ان الدافع الحقيقي الغالب وراءها هو ارضاء دائرة سياسية اخرى تنشط في الميدان السياسي الخاص بناشريها، ولكن هذا النقد الآتي من جانب واحد لن يستطيع ابدا أن يغير من التيارات السياسية التاريخية الاعمق، والعريضة عرض المحيطات، او أن يبدل احوال الثقافات والحضارات الأخرى الضاربة الجذور.

ولا ينتج في الثقافات الاخرى في اغلب الاحوال عن هذه المناهج في التعامل مع الغير، سوى ردود فعل تأتي بعكس المأمول. وبذلك تعمل هذه المناهج على تعقيد المشكلة لا على حلها. فلتقريب الفجوات الثقافية والدينية وغيرها مما يزخر به عالم اليوم، لا يزال بناء الجسور - لا المواقف المتجمدة او المحاضرات من طرف واحد - هو اكثر السبل اثمارا إن لم يكن السبيل الفعال الوحيد للتعامل مع مثل هذه الجوانب الحساسة». وهذه الندوة كانت اكثر الندوات حساسية وفاعلية، فقد كان النقاش فيها صريحا وواضحاً.. واشترك فيها جمهرة من الإعلاميين والمثقفين والمفكرين وعلماء الاجتماع.

وكان المحور الأساسي ان صورة العربي في وسائل الاعلام الامريكية بخاصة والاوروبية بعامة صورة بالغة السوء. فلمن يرجع هذا؟ هل الاعلام الغربي والامريكي يقصد إلى تشويه صورة المسلمين والعرب لاغراض وتداخلات؟ هل العرب والمسلمون انفسهم كان لهم الدور في تشويه صورتهم لما يصدر من بعضهم من متناقضات؟

هل يرجع الأمر إلى الخلافات الحادة بين العرب، ومردود ذلك على الخارطة السياسية سلبا وايجاباً؟

هل لنقص المعلومات عن العرب كما يقول بعض المحاورين؟ هل يرجع ذلك للخلافات العربية - العربية التى أضعفت كثيراً الصوت العربي؟ لا شك أن كل ذلك، أو شيئاً من كل ذلك كان له الاثر البالغ في تشويه صورة العرب، وصورة المسلمين في الاعلام الغربي. منتدى هذا العام في أصيلة، كان طفرة تجديدية في طبيعة الاداء والعطاء، واستطاع ان يرسخ قيماً طيبة في الحوار، وبخاصة مع الآخر.

أستاذنا.. عند حسن الظن به:

الأخ نبيه بن عبد القدوس الانصاري - حفظه الله.

صاحب مجلة المنهل ورئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد:

تلقيت رسالتكم الكريمة رقم ٢٣٨٦ المؤرخة في ١٤١٨/١/٢٦هـ ومعها ثلاثة أعداد من مجلة المنهل.

(أ.د/ يوسف القرضاوي)

وإني لا يسعني الا أن اشكر لكم كريم خطابكم وما يحمله من كلمات عن شخصي المتواضع، ادعو الله ان اكون اهلا لها، وان اكون عند حسن ظنكم بي.

وفقكم الله وسدد خطاكم ونفع بكم.. مع خالص تحياتي وشكري.

والسلام عليكم ورحمة الله

الجواهري .. الصوت الخالد (١٨٩٩م ـ ١٩٩٧م)

الجواهري، صدى الصوت الذكي، هذا الذي قد بقي .. صوت قوي جهور يتردد في وجدان محبي شعره.. بل، محبي الحرية، وكارهي الظلم، والاستعلاء البغيض.. محمد مهدي الجواهري الشاعر العملاق، ولد في العراق في مدينة النجف في ١٨٩٩م.

منذ أن شبَّ عن الطوق، وعرف الشعر، وجرت كلماته على لسانه، كان واضح الرأي، شديد التمسك برأيه.. ولقد جلب عليه هذا كثيراً من المتاعب في حياته.

وأول مواجهته للمتاعب كانت في عام ١٩٢٧م حيث نظم قصيدة يذم فيها العراق، ويمدح ايران مما ادى الى فصله عن العمل وما كان ليرجع للعمل لولا وساطة من ساطع الحصري مدير المعارف العام آنئذ.

في عام ١٩٢٣ نشر كتيبه (حلبة الأدب) تضمن معارضات لقصائد متنوعة لعدد من كبار الشعراء المعاصرين.

في ١٩٣٠م أصدر جريدة (الفرات) ثم أسماها بعد ذلك (الرأي العام).. في ١٩٤٦ أصدر جريدة (صوت الدستور)، ثم جريدة (الجديد) في عام ١٩٥٣م.. وفي العام ١٩٥٦ هجر العراق الى دمشق حيث اتخذها وطناً له بعد ان غضب عليه النظام في العراق وأوكل إليه فيها تحرير جريدة (الجندي).

وفي سوريا انتخب رئيساً لاتحاد الأدباء ونقيبا للصحفيين.. سافر الى لندن واقام فيها عدد سنين، ثم تركها إلى باريس، ثم الى القاهرة، ثم الى تشيكوسلوفاكيا حيث اقام هناك في مدينة براغ سبعة أعوام.

في ١٩٦٨م عاد الى العراق وانتخب أيضاً رئيساً لاتحاد الادباء العراقيين، ثم اختلف مع الحكومة القائمة آنئذ، فترك العراق الى براغ ثانية حيث أقام فيها مدة ثم رحل الى دمشق واقام فيها حتى وفاته في ١٩٩٧م ودفن في مقبرة الغرباء في السيدة زينب في دمشق.

هذا هو الجواهري، تقلبت به الحياة، ولم يستقر له قرار.. كان طموحاً طموح صاحبه الذى أحبه (المتنبي) وطموحه هذا جلب عليه الكثير من المتاعب والمشاكل.

الجواهري تشرب حب القديم في أزهى عصوره، وفي أدق صوره.. واستطاع بعبقرية الشاعر الفذ أن يوظف هذه التقليدية الشعرية لرسم صورة حيَّة عن حياة جيله وقومه في العراق وامته العربية بعامة.. وظّف شعره لاعلاء قيم الحرية ومحاربة الظلم وأهله والاستعمار والاستعلاء الأحمق بكل أشكاله، لقد كان الجواهري أنموذجاً شعرياً قوياً، ملك شعرية ذكية باذخة.. وتميز شعره بالسلاسة والجزالة وحسن الديباجة وقوة العبارة والمخيلة.

قصيدة الجواهري كثيراً ما أثارت حولها الجدل والخصومة وما يمكن قوله ان شعره امتزج بهموم أبناء وطنه العراق بخاصة، واهله في العروبة بعامة.

الجواهري الشاعر الفذ.. رحمه الله وأحسن إليه .. وبركاته..

(أ.د/ يوسف القرضاوي)

** المنهل:

لأستاذنا العالم الجليل الدكتور القرضاوي نسوق الشكر موصولاً، سائلين الله جلت قدرته ان يسدد الخطى، ويجزل المثوبة، ويكثر النفع.. آملين التواصل العلمي والفكري لأستاذنا الجليل مع مجلته المنهل.

** مع خالص الأمنيات:

الصحافة عشق وهم .. وأمانة كلمة..

وكثيرا ما نردد «كان الله في عون رؤساء التحرير»

ثلاثة من عشاق الصحافة تمّ اختيارهم لتولي رئاسة التحرير في صحيفتين ومجلة اسبوعية..

الدكتور عبد الرحمن بن سعد العرابي الحارثي تولى رئاسة تحرير جريدة (الندوة).

الدكتور أحمد بن عبد الله اليوسف تولى رئاسة تحرير جريدة (سعودي جازيت).

الاستاذ محمد صادق دياب تولى رئاسة تحرير مجلة (اقرأ).

لهم جميعاً خالص أمنياتنا بالتوفيق وسداد الخطى.. وكان الله في عون الجميع

العرابي الحارثي



احمد اليوسف



محمد دياب

** معهد العلوم الإسلامية في أمريكا:

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقوم بجهد كبير ومقدر في حركة نشر الدعوة الإسلامية في قارات العالم، وذلك بانشائها لمجموعة كبيرة من المعاهد الاسلامية التى تقوم بحركة الدعوة

الاسلاميــة وتعليم الدين واللغـة العربية.

وضمن هذا النشاط المتفرد فقد عقد معهد العلوم الإسلامية في امريكا الدورة الشرعية المكثفة للأئمة والدعاة ومسؤولي الجمعيات والمراكز الاسلامية.

وعقدت هذه الدورة في شهر ربيع الفائت ١٤١٨هـ في مدينة بوينس ايرس بالارجنتين.

وأشرف على هذه الدورة الدكتور سليمان الجار الله مدير المعهد. وناقشت الدورة مجموعة من قضايا الاقليات المسلمة وواقعهم وما ينبغي ان يكونوا عليه.

وحضر افتتاح هذه الدورة رئيس مجلس الشيوخ في الارجنتين ومجموعة من اعضاء المجلس وسفير خادم الحرمين الشريفين في بوينس ايرس.

** اللغة العربية في بكين:

المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (ايسيسكو) وفي اطار التعاون مع الجمعية الاسلامية الصينية وجمعية اقرأ الخيرية عقدت في الشهر الفائت دورة تدريبية لمعلمي اللغة العربية والتربية الاسلامية للعاملين في المدارس الاسلامية في الصين، وذلك بغرض رفع الكفاءة العلمية في مجال الدراسات العربية والإسلامية .

ويأتي هذا العمل ايذانا بعقد مجموعة من الندوات والدورات العلمية في الصين، ولتنشيط حركة المسلمين وتعليمهم امور دينهم وربطهم باللغة العربية لغة القرآن الكريم ليكونوا على بينة بأمور دينهم.

** الندوة الفقهية الطبية التاسعة:

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في المغرب بالاشتراك مع مجموعة من المنظمات والمؤسسات الإسلامية ذات الصلة عقدت ندوة بعنوان (رؤية اسلامية لبعض المشكلات المعاصرة) وكان موضوع الاستنساخ البشري قد شغل حيزاً كبيراً من اعمال ومناقشات هذه الندوة.. وتناولت الندوة الموضوع من جوانبه العلمية والتطبيقية والفقهية الشرعية والاجتماعية القانونية.

وتأتي هذه الندوة في محاولة لتقصي جزئيات ودقائق هذا الموضوع لأهميته وخطورته واتصاله المباشر بالانسان وطبيعة علاقاته الاجتماعية والانسانية وتكيفه الفقهي والقانوني والأسري.

ومع التطورات الحاصلة في هذا الموضوع منذ استنساخ جنين بشري بطريقة «الاستتآم» عام ١٩٩٣م، مرورا بالاعلان في فبراير (شباط) الماضي عن استنساخ النعجة «دوللي» بعد زهاء ثمانية اشهر من الكتمان، والاعلان أخيرا عن استنساخ قردين بطريقة اخرى في جامعة أوريغون بالولايات المتحدة، عاد موضوع الاستنساخ الى الواجهة واصبح يطرح نفسه بشكل حاد وعاجل، خصوصا ان هذه التطورات اظهرت بجلاء أن الثقافة المستعملة فى هذا المجال اصبحت وافية باجراء نفس التجربة على الانسان، ومن ثم كانت الحاجة الى استباق الأمر بالتعرف على آثاره المتوقعة ووضع الضوابط الشرعية والقانونية والأخلاقية له. لذلك رأت المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية أن تبادر ببحث الموضوع واعداد الطريق وتعبيده في أفق المؤتمر القادم لمجمع الفقه الاسلامي.

وعمليات الاستنساخ تكتنفها مجموعة من المحاذير ابرزها خلخلة النظام الاجتماعي والأسرى، ونظام القرابات والصلات والمواريث والأنساب، والهياكل الأسرية المتعارف عليها في الشريعة الإسلامية.

وبناء على هذه الاعتبارات رأى بعض العلماء المشاركين في الندوة تحريم الاستنساخ البشرى جملة وتفصيلا، بينما رأى آخرون ابقاء فرصة لاستثناءات اذا ثبتت لها فائدة واتسعت لها حدود الشريعة على أن يتم بحث كل حالة على حدة، وخلال الندوة تم تسجيل ردود فعل الدول الغربية التي تعاملت في مجملها مع الموضوع بحذر شديد، فقد ذهبت بعض هذه الدول الى منع ابحاث الاستنساخ البشري منعا كليا، وذهب بعضها الى عدم دعم هذه الأبحاث من ميزانية الدولة، في حين قام البعض الآخر بتجميد هذه الأبحاث حتى تستكمل دراستها من طرف اللجان المختصة للنظر في عواقبها وآثارها.

وعبّر المشاركون في الندوة عن تخوفهم من سعي رأس المال الخاص وشركات الأدوية العالمية إلى تخطي هذا الحظر في الدول الغربية بتهيئة الأموال واستمرار الأبحاث في دول العالم الثالث واستغلالها حقلا للتجارب البشرية كما جرى في العديد من السوابق وناشدت الندوة الدول الاسلامية بسن التشريعات القانونية اللازمة لغلق الأبواب امام الجهات الأجنبية والمؤسسات البحثية والخبراء الأجانب للحيلولة دون اتخاذ البلاد الاسلامية ميدانا لتجارب الاستنساخ البشري، ودعت الى تشكيل لجان متخصصة في مجال الأخلاقيات الحياتية لاعتماد بروتوكولات الأبحاث في الدول الاسلامية واعداد وثيقة قانون حقوق الجنين.

وأكدت الندوة أن الاسلام لا يضع حجرا ولا قيدا على حرية البحث العلمي اذ هو من باب استكناه سنة الله في خلقه وهو من تكاليف الشريعة. ولكن الاسلام يقضي كذلك بألا يترك الباب مفتوحا دون ضوابط امام دخول تطبيقات نتائج البحث العلمي الى الساحة العامة بغير أن تمر على مصفاة الشريعة لتمرر المباح وتحجز الحرام. فلا يسمح بتنفيذ شيء لمجرد أنه قابل للتنفيذ بل لابد أن يكون خاليا من الضرر وغير مخالف للشرع.

أما مجمع الفقه الاسلامي فقد حرم الاستنساخ البشري.

** *المنهل:*

هذه رسالة محب، تعلّق فكره بالمنهل وهو شاب، وظل يطلع عليها ويراقب صدورها.. بل ظل على اتصال بمجلته المنهل، وسعدنا بأول رسالة منه يطلب فيها بعض الأعداد الخاصة، وشعرنا بجده وصدقه.

وهذه الرسالة على رقتها وجمال أسلوبها، بل وجمال خطها وتنسيقها، فهي تعطي أنموذجا راقياً لشاب شغل وقته بالعلم وطلبه، والاجتهاد في الحصول عليه.

وحسبنا أن تكون تجربته هذه سبيلا لاقتداء الكثير بها من الشباب، فيجعلوا للقراءة الناضجة نصيباً من وقتهم.

والرسالة ننشرها هنا بطولها، ونسعد بما جاء فيها من مقترحات وآراء وضمها صاحبها على استحياء، وسنجعل مقترحاته مكان اهتمامنا باذن الله تعالى.. أما الأعداد المطلوبة فقد سعدنا بارسالها له.

الاستاذ/ نبيه بن عبد القدوس الانصاري ـ حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

هذه الإطلالة المباركة التي تجاوزت الستين عاماً أطال الله عمرها وعمر القائمين عليها، لي مع مجلتكم قصة إن لم أطل عليكم فهي أولا مدرسة تلقيت فيها الكثير من المرتكزات والتقيت عبر صفحاتها مع كبار أدباء وعلماء الأمة شرقا وغربا شمالا وجنوباً، ومن حسن المقال هنا أن أذكر أن أول عدد وقع في يدي من هذه المجلة هو من الجزء ١٢ ذي الحجة ١٣٩٢هـ، ديسمبر/ يناير ٧٢ ـ ١٩٧٣م وهو عدد خاص عن رحلات الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز رحمه الله إلى افريقيا في جهاده المبارك، طالعت ذلك العدد عام ١٤٠٦هـ وكنت حينها في العاشرة من عمري وكان غاية رغبتي حينها التأمل في الصور والاشخاص ثم أخذت أقلد الخطوط الجميلة التي كان يخطها يراع الخطاط البارع خوجه والذي لازلت استفيد من طريقته وخطوطه إلى اليوم، إضافة إلى النخبة من الخطاطين هاشم البغدادي رحمه الله، ويوسف خطاط مجلة الفيصل وغيرهما.

هذا من ناحية البداية مع المنهل، وفي عام ١٤١١هـ خلال حرب الخليج قرأت مقابلة شخصية مع رئيس التحرير شخصكم المبارك في جريدة (عكاظ) تحدثتم خلالها عن مسيرة مجلة المنهل وسرعان ما قفز إلى خاطري ذلك العدد القديم فبحثت عنه في مكتبة والدي حتى وجدته وأخذت أقلب صفحاته في شوق الى الإقتراب من شخصية المجلة بعدما تأكدت من أنها لازالت على قيد الحياة، وليلي الشديد الى الشعر أخذت اقرأ قصائد العدد لـ (محمود عارف ـ ومحمد بن علي السنوسي رحمه الله وأحمد الغزاوي رحمه الله وغيرهم) ثم رجعت ثانية إلى (عكاظ) اتصفحها وأقرأ المقابلة التي شدتني كثيراً وأعادت إلي روحاً ثقافية ومنفذاً مليئاً بالعلوم والثقافة في أوسع ميادينها وعلى غير ميعاد جاء في عدد رجب ١٤١١هـ الذي أوصيت فيه أحد الأصدقاء كأول عدد أحصل عليه شخصيا من مجلتي الرائعة وقد اشتمل كما أشرت سابقا على ما لم أكن أتوقعه (عرض عن الأعداد الخاصة والممتازة للسنوات الماضية وبكميات محدودة فسارعت إلى إرسال مبلغ زهيد من المال اطلب ٣ أعداد منها اذكر أنها (الدعوة والدعاة ـ اللغة والحضارة والتراث ـ الأثر والآثار) وفعلا جاءتني الأعداد المذكورة ولكن بطريقة عجيبة وسر لم أكتشفه إلا بعد أن راجعت صورة الرسالة التي أرسلتها حيث جعلت لي عنوانين أحدهما للمدرسة التي كنت فيها وهي متوسطة فيفاء والعنوان الثاني عنوان احتياطي وهو لمحل تجاري فإن تعذر ارسالها أي الأعداد المطلوبة ـ على عنوان امكن على الآخر حيث أن الإجازة تبدأ والمدرسة ستغلق أبوابها فلا يمكنني الحصول على الرسالة إلا عن طريق المحل التجاري وهو العنوان الثاني، عند ذلك ووفاء منكم وأداء للعلم الذي حملتم أمانته ـ احسبكم كذلك ـ فقد أرسلتم مشكورين نسختين من كل عدد كل نسخة من الثلاثة أعداد على عنوان ولا أنسى ذلك اليوم الذي وصلتني فيه الرسالة إلى المدرسة ولا أذكر هل كانت الأسبق أم الرسالة الأخرى إلى المحل

التـجـاري ـ المهم أن المدير استدعاني وكنت حينها في الصف الثالث المتوسط وعمري يقترب من الخامسة عشرة وكان يراني صغيراً على هذه المجلات فاستدعاني إلى الإدارة وحياني وأراني الطرد الذي يحتوي على الأعداد الثلاثة المطلوبة، وقال: ما الذي بداخل هذا الطرد؟ فرأيت اسم (المنهل) على الظرف فقلت (مجلة المنهل) قال: ماذا طلبت منهم؟ قلت: بعض الأعداد القديمة التي صدرت في موضوعات متخصصة كالتراث والآثار والدعوة، فقال: هل تأذن لي بفتحها؟ قلت: نعم ففتحها وأخذ يتصفحها وأرجعها فى الظرف وناولني إياها وهو يبتسم وقد وعيت من تلك الابتسامة التشجيع والإعجاب، فأخذتها والفرحة تغمرني مرتين الأولى: لوصول هذه الأعداد إلى يدي وزرع الثقة الذي حصدته مجلة المنهل في نفوس عشاقها، والأخرى للمناقشة التي دارت بيني وبين المدير على مرأى ومسمع من بعض الإداريين والمدرسين.

وللعلم فذلك المدير هو الأستاذ والشاعر/ حسن فرح الفيفي الذي تحدثت عنه دراسة في مجلتكم عام ١٤٠٦هـ في أحد أعدادها والدراسة كانت عن الشعر في جنوب الجزيرة ولا يحضرني الآن اسم الكاتب أو رقم العدد.

المهم أن تلك الوقفة التي حظيت بها رسالتى والأعداد التي حصلت عليها شجعتني على المزيد من التواصل فأرسلت اشتراكاً سنويا لمدة سنة عن طريق صديق لي في مدينة الرياض وتواصلت المجلة حتى انتهت سنة كاملة ثم جاءت الوقفة الثانية من (المنهل) وذلك بإضافة سنة ثانية مجاناً ثم بعد ذلك انقطعت عني المجلة ثلاث سنوات أو أربع المهم انى انشغلت بالدراسة وظروف المادة وبدأ الحنين والشوق إلى هذه المجلة يتجدد ولكن ما باليد حيلة ولما قدر الله لي العودة إلى رحاب منهلكم أخذت أحرص حرصاً شديداً على أن لا يفوتني أي عدد بدءاً من العدد ٥٣٤ الربيعان ١٤١٧هـ وحتى رمضان ١٤١٧هـ وشوال وذي القعدة بإذن الله و... الى أن يشاء الله.

أخي نبيه/ لعلي قد أطلت عليك ولكني أرجو المعذرة فهكذا حديث المحبين لا يزداد إلا حرارة وشوقاً عند مخاطبة المحبوب.

ثم كان الشعر:

دفعني ذلك الكم الهائل من شعراء المنهل (محمد حسن فقي حفظه الله ـ بهاء الدين الأميري رحمه الله ـ يس قطب الفيل ـ حسن الأمراني ـ عبد الله سليم الرشيد) وغيرهم ـ دفعوني بإبداعهم إلى اقتحام ساحة الشعر، فبدأت متطفلا وبالتحديد ١٤١١هـ ومستعينا ببعض الألحان التي علقت بذهني من الأناشيد الإسلامية فكتبت ابياتاً مهلهلة تبدأ بموضوع وتنتهي بعشرين، مرة في بحر ومرات أخرى في صحراء!.

حتى بدأت الموهبة تأخذ حيزاً واسعاً من اهتماماتي واكتمل الجنين في السنة الثالثة الثانوية عام ١٤١٤هـ عندما درست العروض وكانت البداية على ورقة الاختبار فجاء أحد الأسئلة يطلب الاستدلال ببيت من الشعر على بحر من البحور وكنت حينها لم أحفظ بعض الشواهد فعزمت على أن اكتب من قريحتي فأخذت المسودة وهي الصفحة الأخيرة من دفتر الإجابة وبدأت أمارس التقطيع على ما كتبت ثم اثبته بعد أن سبقته بكلمة قال الشاعر:!

والمفاجأة: أن درجة الاختبار كانت كاملة وحفظت هذا السر في نفسي إلا من بعض الأصدقاء ولكن ما احزنني أني نسيت تلك الأبيات!. هذا عن المخاض أما الولادة الحقيقية فكانت لقصيدة في حفل المعهد العلمي بعنوان (روضة الشريعة) لم ألقها في الحفل لطولها ٣٢ بيتاً وذلك في المحرم ١٤١٥هـ ثم شاركت بها في مسابقة العمادة بفرع جامعة الإمام في أبها عام ١٤١٦هـ وحازت على المركز الثاني، أقول هذا شهادة لمنهلكم بأنه استاذي ومدرستي ، هذه شهادة مجروحة في جنب (المنهل) ولكن لعلها ترد بعض الجميل.

نبيه عبد القدوس ـ حفظه الله ـ هذه الرسالة عربون إخاء وقطرة من بحر عشق خضته ولازلت في تألق منهلكم غير أن لي عتاباً عليكم سأورده في (اقترحات وملاحظات) ولكن قبل ذكر العتاب أحمد إليكم الله واشكره ثم اشكركم على ما قمتم به نحوي سابقا وعلى ما تبذلونه نحو طلاب الثقافة والمعرفة في شتى ميادينها.

وفي ختام هذه الرسالة هذه اقتراحات وملاحظات أسوقها وفاء ومشاركة في بناء منهلنا المبارك لعل صدوركم تتقبلها وتغفر قسوتها:

أولاً: التطوير الذي وصلت إليه المجلة رائع جداً وإخراج الصفحات والغلاف فوق الممتاز ولكن بقي شيء واحد وهو أن رقم العدد والمجلة والسنة غابوا عن الصفحات كما كان في السابق

ولا يخفى عليكم أهمية ذلك.
ثانياً: وأيضاً لا أدري لماذا اختفت بعض الأبواب الجيدة بل الممتازة من المجلة مثل (ومضات) - (مناقشات ومتابعات) فباب منكم وإليكم لا يفي بالغرض فالإبداع لم يعد يجد التشجيع بعد أن كان في السابق يحظى باهتمام واضح في (ومضات) نرجوا أن يعود قريباً.
ثالثاً: اقترح جعل عدد خاص يتحدث عن (المذاهب الفكرية والأدبية في العالمين العربي والإسلامي).
رابعاً: أدب الرحلات باب واسع في ثقافتنا وله اهتمام كبير حبذا لو استكتبتم أحد مشاهير الرحالة المسلمين لكتابة رحلاتهم مثل الشيخ حمد الجاسر أو العلامة ابو الحسن الندوي أو غيرهما صحيح أن الشيخ العبودي يكتب في ذلك لكن كتاباته منقطعه بعض الأحيان كما أنها تصب في الدعوة في أغلبها وذلك لا غبار عليه ولكن مثلا لو أضفتم إلى ذلك رحلات المؤرخين أو الأدباء الذين يشاركون مع العبودي ويكون منهج الجميع متكاملا فمذكرات ورحلات في الدعوة وأخرى ادبية وتاريخية واستكشافية .. هذا مجرد وجهة نظر.
وختاماً:
هدية الى مجلة المنهل:
هذه هدية عبارة عن مقطوعة متواضعة قد لا ترقى إلى مستوى هذه المجلة الماتعة ولكن اقبلوها على أنها جهد المقل ومحاولة المتعثر، أو فإن لم ترق إلى دخول صفحات المدرسة المنهلية فيمكن أن تفردوا لها مكاناً على مكتب البواب فحسبها أن تكون قريبة من المنهل:

في المنهل العذب المصفى صبوة
فالعشق فيه يرد أنفاس العليل
تاهت قوافي الشعر فيما مدحه؟!
أفاق مجد - في الظلام - هي الدليل
يا موئل العقلاء يا مأوى النُهى
يا راية التأصيل الماضي الأصيل
أحببت فيك مُوارداً ومصادراً
فانعم بحبي واسكن الظل الظليل
بالثابتين[1] - الوحي - عروة أصله
مستمسك فالحق في شرع الجليل
ما إن رسى فوق السطور وزفه
أنصار[*] أحمد إذ به يهوى الصهيل
سطعت على جنباته قمم الذرى
أدباً وفكراً باعهم فيه طويل
قلمي يحاذر أن يزلّ ولوعتي
تأبى الوقوف وتنشدُ الحرف الجميل

طلب أخير..

كما أشرت سابقا فإن اعداد ١٤١٤هـ - ١٤١٥هـ - ١٤١٦هـ.
لم أحصل عليها وأنا الآن أضع أمامكم هذه المشكلة ، لعلكم تجدون لي الحل فإن أمكن أن ترسلوا لي اعداد هذه السنوات منفردة أو مجلدة بدون مقابل فأنا شاكر لكم ومقدر وإن لم يكن ذلك ممكنا فأرجوا إعلامي بتكلفة الحصول عليها مجتمعة حتى نهاية شهر صفر ١٤١٧هـ وايضاً اعلامي بتكلفة الأعداد المتخصصة والممتازة خلال هذه الأعوام وسأكون شاكراً لكم.
وتقبلوا تحياتي واحترامي .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم / عبده بن علي حسن العمري
نيفاء / المعهد العلمي

هوامش:

(١) الكتاب والسنة.
(*) اشارة الى نسب المؤسس وولده المنحدر حسب علمي من (الأنصار) رضي الله عنهم.

الشرك الأصغر:

الخير أمر محمود جهرا كان أم سرا، رآه الناس أم لم يروه، وأعلى درجاته هو ألا يراك أحد عند صنعه؛ ساعتها ينتابك شعور عظيم لو أحس به المراؤون ما أقدموا على الرياء يوما ما.
يشعر المراؤون بسعادة وقتية عندما يصنعون الخير ويثني عليهم الناس، ولكن ينتابهم شعور بالنقص إذا ما صمت المادحون.
أما غير المرائين ممن يصنعون المعروف خالصا لله رب العالمين، يظلون في غمرة من السعادة والرضا تتجدد بتجدد عمل الخير وكلما تذكروا السعادة الغامرة التي لحقت بمن صنعوا لهم الخير.

المراؤون قليلو عمل الخير لأنهم لا يقدمون على فعله إلا كلما سنحت الفرصة للمراءاة، ويقاس فعلهم الخير على قدر ثناء المادحين.
أما غير المرائين فكثير عمل الخير عندهم؛ إذ الخير ينبع من أعماق نفوسهم، فكلما تدفق الخير بداخلهم ظهرت بوادره على أياديهم ناصعة البياض طاهرة من كل دنس أو رجس.

المراؤون ينتظرون (ردّ الجميل) - كما يقولون - علاوة على ما أخذوه من ثناء وتمجيد أثناء عملهم الخير وبهذا فهم يأخذون حقهم ضعفين من غير وجه حق.
أما الصادقون فلا ينتظرون من فعلهم إلا رضا الله - وأنعم به من نعمة - ولهذا فقلوبهم صافية وعقولهم ليست مشغولة - دائما - برد الجميل.
كثر الرياء في زماننا، وهو أكبر دليل على ضعف إيمان صاحبه بل هو الشرك الأصغر بعينه.
تُرى هل وعينا الدرس؟!!

عبد الهادي بلامي - جدة -

استطلاع

البيزرة
الصيد بالص

د. عبد الحميد شقير
- سوريا -

{يسألونك ماذا أحلّ ل[illegible] الجوارح
مكلبين تُعلمونهن مما علمكم الله · فكلوا مما أمسكن عليكم [illegible] اسم الله
عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب} (المائدة/٤)·

قور

عندما سأل أبو جعفر المنصور أبا دلامة عن أحب أنواع الطيور إلى قلبه
قال: أحب الصقر الطويل النفس، الأسود
الجنس، إذا صاد أشبع، وإذا أمات أوجع،
يصيد الكبير ويعفو عن الصغير·
وهذه العبارة تلخص ميزات الصقر الجيد
حتى وقتنا الحاضر·· وهي ميزات يضعها
دائماً في الحسبان هواة الصقور، فهم
يقتنون أنواعاً عديدة من الصقور أحسنها هو
ما كان عظيم الهامة، دامع العين، تام المنسر،
طويل العنق، رحب الصدر، ممتلىء الزور، عريض الوسط، جليل الفخذين،
قصير الساقين، سبط الكف، قريب العقدة من الفقار، طويل الجناحين، قصير
الذنب، غليظ الأصابع، أسود اللسان·

الصقر .. في لغة العرب:

ورد في كتاب «المصايد والمطارد» أن الشاهين والزرق واليؤيؤ والباشق كلها صقور .. وهذا يوضح لنا أن العرب كانوا يسمون كل طائر جارح صقراً .. ويؤكد ظننا هذا ما جاء في كتاب «الصيد والطرد عند العرب» مع أن العرب تسمي كل طائر صيد صقراً ما خلا النسر والعقاب .. ولكنهم بدأوا يميزون الصقر عن غيره.. بل ويضعون لكل نوع من الصقور صفاته واسماءه وخصائصه.

والصقر اسم شائع لأحد أنواع الطيور الجارحة من عائلة «الصقريات» إلا أن المراجع اختلفت في عدد أنواعه.. ففي حين يذكر كتاب «الطيور» من موسوعة «الحياة Lifeâ أن عدد عائلات الصقريات هي خمس وعدد أنواعها ٢٧٤ نوعاً نجد أن «دائرة المعارف العالمية» تقول ان عددها ستون فقط.

أما العرب فقد اختلف علماء الصيد لديهم في عدد الجوارح وأنواعها وأسمائها .. فقد عمد «كشاجم» في كتابه «المصايد والمطارد» إلى تقسيمها الى فصائل لكل منها أنواعها.

إلا أن «القلقشندي» خالف «كشاجم» فأوصل عددها الى خمسة عشر جارحاً .. وحذا حذوه كتاب «الصيد والطرد عند العرب» لكنه أوصل العدد الى نيف وعشرين.

وتقول العرب للصقر: الحر، الأجدل، الأكدر، الهيثم، المضرجي، القطامي، الأسفع، الزهدم. وقد سمي بالأجدل لشدته .. وبالمضرجي لطول جناحيه وكرمه .. وبالقطامي لقطعه اللحم بمنسره.

وكنية الصقر: أبو شجاع، أبو الأصبع، أبو الحمراء، أبو عمران، أبو عوان.

الصيد .. في اللغة العربية:

يقصد بكلمة «الصيد» عند العرب أخذ الحيوان وتَصَيّده وطلبه كما تعني نفس الكلمة صيد البر والبحر أيضاً. وهذا مصداق قوله تعالى: {أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيّارة، وحُرِّم عليكم صيد البر ما دمتم حُرُماً}.

أما كلمة «القنص» فهي بمعنى الصيد، حيث يقال قنص الصيد يقنصه قَنْصاً وقَنَصاً.. واقتنصه وتقنصه أي صاده.. والقنص هو ما اقتُنص.. والقنيص والقناص والقانص هو الصائد.. والقُنّاص جمع قانص.

ولو أننا حاولنا البحث في كتب اللغة عن أي فرق في المعنى بين كلمتي «صيد» و«قنص» لما وجدنا غير أنهما لفظان مترادفان لمعنى واحد.. إلا أن الجدير بالذكر أن شعراء العرب قد استعملوا لفظ «الصيد» لصيد البر والبحر معاً في حين قصروا معنى «القنص» على صيد البر وحده.

وكان للصيد منزلة عالية عند العرب، فكانوا يطلقون عليه اسم «اللذه» وفي ذلك يقول الشاعر:

كأني لم أركب جواداً للذة

ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

الصيد بالصقور عند العرب:

اجمع الباحثون في البيزرة (وهي فن رياضة قنص الطيور والحيوانات الصغيرة بالصقور) على أن أول من صاد بالصقور ودربها كان الحارث بن معاوية بن ثور بن



ـ الشباب تستهويهم رياضة الصيد

كنده، فبينما هو واقف ذات يوم وبجانبه صياد نصب شبكته لاصطياد العصافير، وبعد أن اصطادت عصفوراً، انقض عليه أحد الصقور وأخذ يأكله، وما لبثت أن علقت الحبال بجناحي الصقر، فأخذه الحارث إلى بيته وصار يطعمه ويسقيه، ويحاول تعليمه القنص، وبينما هو سائر مرة بالطريق رأى الصقر حمامة فطار وراءها حتى أمسك بها والتهمها، فأمر الحارث بتعليمه وتهذيبه.. ومنذ هذه الحادثة عرف العرب رياضة القنص بالصقور، فكان أشهر من صاد في فجر الإسلام حمزه بن عبد المطلب عم النبي [صلى الله عليه وسلم].

أما في عهد الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ فلا نكاد نصادف أثراً لصيد أو قنص.. فقد كان الناس في شغل بدينهم عما اعتادوا أن يمارسوا في يوميات دنياهم العادية.

أما في سائر الدول الإسلامية التي اعقبت الخلفاء الراشدين، فقد كان للصقر عندهم منزلة عالية بحيث يكاد لا يخلو قصر خليفة من مكان له به، وكان الصيد بالصقور هواية العديد من الخلفاء وكبار القوم. وأخذت هذه الهواية مكانة خاصة لدى الخلفاء الأمويين الذين عرف عنهم حبهم للصيد، لدرجة أن المؤرخ المسعودي أشار إلى يزيد بن معاوية كعاشق للصيد وكصاحب لعدد كبير من الجوارح والكلاب والفهود. أما هشام بن عبد



ـ طائر الحبارى بين أيدي الصياد

وعادة يخرج الهواة لصيد الحبارى في مجاميع كبيرة لا تقل عن عشرين شخصاً، ويصل عددهم أحياناً الى ستين شخصاً أو أكثر ويتجهون بقافلة من السيارات الى أماكن الصيد. وقد جرت العادة

الملك فقد بلغ من شغفه بالصيد أن جعل للصيد «صاحباً» مثل صاحب الشرطة وصاحب الحسبة.. الخ. وكان «صاحب الصقور» عنده هو «الغطريف بن قدامة الغساني».. وكان البعض يسمونه «صاحب صيد هشام بن عبد الملك» وكان الغطريف مرجعاً في علم فن الصيد في عصره.. وكثيرا ما وردت في كتب الصيد إشارات إليه تقول «قال الغطريف».

أما في العصر العباسي فقد حافظت هذه الهواية على مكانتها حيث كان الخليفة المهدي من أعظم الصيادين والخيالة بين الخلفاء العباسيين، لدرجة أن الشاعر أبا نواس أشار في كثير من قصائده إلى وصف رحلات قنص الخلفاء ووصف الجوارح وهي تنقض على فرائسها.

أما في الوقت الحاضر، فتعد رحلة الصيد بالصقور هواية محببة لأهالي الخليج العربي،

أن يتوزع هؤلاء فرقاً صغيرة في بقع الصيد المحددة، على أن تعود هذه الفرق لتجتمع في المساء في المقر العام حول القهوة والشاي وأحاديث السمر أو لاستقبال البارزين من أبناء المنطقة المجاورة بحيث لا تبقى الرحلة مقصورة على الصيد وحسب، بل تتحول الى مناسبة اجتماعية، بالإضافة الى ما يتخلل ذلك من متع وتسليات.

أساليب صيد الصقور:

هناك العديد من الأساليب والوسائل المعروفة التي يتم بواسطتها اصطياد الصقور نذكر منها:

ـ أخذ حمامة وعلى ظهرها رقعة ذات مخاطف أو أشراك تعلق بها قدما الصقر عند الانقضاض عليها. وإذا استطاع الصقر أن يهرب بالحمامة فلابد له أن يحط بها بعد مسافة قصيرة، فيأتي الصياد ويطرح عليهما ستاراً ويعمد بعد ذلك لالتقاط الصقر.

- وقد يعمد الصياد الى نصب فخ، بأن يضع صقراً صغيراً معصوب العينين حتى نصفهما حاملا ريشاً وأشراكاً، بحيث يظنه الصقر الكبير فريسة فينقض على هذا الطعم ويعلق.



- الصقور المدربة.

- ثم أن هنالك طريقة أخرى للصيد هي غرس شبكة في الرمل وفيها طعم، فيقتحمها الصقر ليجد نفسه عالقاً في الشبكة.

- أما الوسيلة الرابعة فهي مخبأ من سعف نخل فوق تجويف رملي يقيم فيه الصياد وقد مد إلى الخارج خيطاً في رأسه حمامة يحركها قليلا حين يرى الصقر، فينقض عليها الصقر، ويبدأ بنتف ريشها، في حين يأخذ الصياد بشد الخيط نحوه بيده المدفونة في الرمل حتى يصبح الصقر في متناول يده.

ان هذه الرياضة تتطلب الكثير من الصبر ورباطة الجأش. وقد تمر أيام عديدة تبلغ الأسبوعين، قبل أن ينجح الصياد باقتناص الصقر، حتى إذا تحقق هذا النجاح كان على الصياد أن يبادر إلى تغطية الصقر بغطاء من قماش، يسمى عباء، وأن يكمه فوق رأسه، شريطة أن لا يؤذي ريشه. وبحال عدم توفر القماش للتعميه، على الصياد أن يخيط جفني الصقر بتمرير خيط بأعلى الجفن الأسفل وشده فوق رأس الطير لاغماض العين، لان الجفن الأسفل لا الأعلى عند هذا الطير هو الذي يتحرك بعكس الحالة بالنسبة للانسان. وهنا لابد للصياد من اجتناب أذى منقار الطير، أو منسره. أما القطبة فتزول تلقائيا بعد نحو عشرة أيام.

تدريب الصقور:

ورحلة هواة الصيد بالصقور تبدأ عندما يحصل القانص على الصقر سواء بالصيد أو بالشراء، فعندئذ يبدأ تعليمه وتهذيبه.. وسنتناول باختصار طريقة تدريب الصقور .. بادئين بنبذة عن الأدوات المستعملة في ذلك:

١ - المخلاة:

وهي كيس من القماش يعلقها الصقار في كتفه .. وفيها يحتفظ بالحمام الحي الذي يستعمله في تدريب الصقر.. وفيها يحتفظ المدرب أيضاً بسكين نصله حاد وقاطع (كي

يذبح به الصيد عند اقتناص الصقر له) وغير ذلك من حاجياته الخاصة.

٢- البرقع:

ويصنع من الجلد اللين .. وقد يتخذ أشكالا وألواناً جميلة.. وهو عبارة عن نظارة يضعها الصقار على وجه الصقر وبه فتحة صغيرة يخرج منها منقاره. ويثبت البرقع بواسطة «شداده» مصنوعة من نفس الجلد - وهي تمر بأسفل البرقع بشكل دائري وحتى طرفيه - وبها يثبت البرقع على وجه الصقر.

٣- المنقلة:

وهي التي يحمل بها الصقار صقره على يده فتقيه مخالب الصقر الفتاكة. وهي تشبه القفاز (الكفوف) إلا أن الفرق بينهما أن المنقلة مفتوحة من الناحيتين ويستطيع الصقار ادخال يده فيها من الرسغ الى نهاية الزند.. كما أن فتحتها تساعده على إخراج أصابعه منها كي يطعم صقره.. وهناك نوع من الكفوف تكون عادة مفتوحة من ناحية واحدة فقط.

٤- السبوق:

وهو خيط قوي سميك يبلغ ٣٠ سم ويتكون من قطعتين متساويتين طولا.. يربط أحد طرفيه برجلي الطير والطرف الآخر في «المرسل» الذي يكون مربوطاً في «الوكر» أو في «المنقلة». وهي تفيد في عدم تمكين الصقر من الهرب خصوصاً في أيام تدريبه الأولى.

٥- المرسل:

وهو خيط أسمك من السبوق قليلا ويبلغ طوله حوالي ١٢٠سم ويتكون من ثلاثة أجزاء يفصل بينها مشبك من الحديد في منتصفه «صامولة» تدور في كل اتجاه وهي تسمح للصقر بالتحرك في جميع الاتجاهات.. والجزء الثالث من «المرسل» يكون مربوطاً في «الوكر» ومهمة «المرسل» تشبه «السبوق» في المحافظة على الصقر ومنعه من الهرب.

٦- الوكر:

وهو عبارة عن وتد من الحديد مكسو من منتصفه بالخشب المزخرف وقمته اسطوانية الشكل محشوة من الداخل بالقش الطري ومكسوة من الخارج بالمخمل أو الجلد. وهو مجثم الصقر الذي يربطه إليه مدربه للراحة أو النوم.

بعد هذه النبذة عن الأدوات المستعملة في التدريب والصيد ننتقل الى كيفية تدريب الصقور، والتي تبدأ بتغطية عيني الصقر حتى يتعود على صاحبه ويألفه وهو يطعمه، ويأنس صوته.

وقبل أن يرفع المدرب البرقع عن عيني الصقر لابد من التاكد من أنه ألف صوت صاحبه واطمأن لوجود الناس، وبعدها يبدأ التدريب وذلك بربط قدم الصقر بحبل وابتعاد المدرب عنه لمسافة قريبة ومناداته، وعندما يتاكد مساعد المدرب من أن الصقر قد التفت ناحية الصوت، يرفع عنه البرقع بسرعة فيتجه الصقر ناحية صاحبه الذي يعطيه بعض الطعام مكافأة له.. ثم يكرر المران بمسافة اكبر، ويظل ينادي على الصقر، ليبدأ المران الفعلي عند وصوله في هذه المرة إلى يد صاحبه الذي يراوغه وفي يده قطعة لحم مغطاة ببعض الريش على شكل أحد الطيور ومربوطة بحبل في يد الصياد ويحاول الصقر

الامساك بالطائر بينما المدرب يجذب الحبل، حتى يتمكن الصقر في النهاية من الانقضاض على الفريسة، وفي هذه الحالة لابد لمدربه من أن يضع أمامه كل اللحم حتى يشبع تماماً، ثم يأخذه الى الوكر ليستريح!

ويستمر التدريب مرتين يومياً، وبملاحظة التحسن في الانقضاض، يطلق الصقر من دون الحبل ليطارد فريسته حتى يمسك بها، وهنا يكون الصقر قد انتهى تدريبه، وتحول الى طائر يطيع أوامر مدربه بصورة عمياء! ولابد لكل مدرب من أن يهتم بصقره ويرعاه نفسياً وصحياً ويعامله بطريقة تدل على العطف والحب، فيربت على ريشه في حنان، وقد يحدثه، وينظف ريشه باستمرار لحمايته من الأمراض، ويعتني بطعامه ويختاره له حسب مزاج الصقر نفسه، وحتى أثناء الهضم يقف المدرب لملاحظة طريقة هضم الصقر وهل هي سليمة أم أنها تحتاج هي الأخرى لمران خاص.



ـ هواية الصقور عشق لا ينتهي.

وبعد ..

تلك هي الصقور .. وهذه هي رياضة القنص بها .. ووراء هذه وتلك تاريخ طويل لأمة عريقة استطاع أفراد منها ـ على امتداد تاريخها أن يتخيروا من الطيور جوارحها .. ومن الجوارح أكثرها كرامة وعزة نفس .. ومن هذا الطائر، الصقر، استطاعوا أن يسبقوا معاصريهم من الفرس والروم في تدريب الصقور على القنص.. بالهيئة والشكل اللذين يكادان لا يختلفان كثيراً عن هذه الأيام.

معالم ثقافية:

نادي مكة الأدبي واسطة العقد

تشكّل الأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية، احدى المنجزات الحضارية الثقافية البارزة، في العهد السعودي الزاهر.

فلقد استطاعت هذه الأندية، في ظل الرئاسة العامة لرعاية الشباب أن تؤدي دوراً فاعلا في دعم الأدب والأدباء، وفي نشر الوعي الثقافي، وفي احتضان المواهب الواعدة، وفي تزويد المكتبة السعودية بعشرات الاصدارات المعرفية والثقافية والأدبية الهامة.

وتنامى عطاء هذه الأندية ، مع تنامي دعم الرئاسة العامة لرعاية الشباب لها، والتفاف المثقفين والأدباء حولها .. كما تنامى عددها الى اثنى عشر نادياً تغطي معظم مناطق المملكة، بعد أن بدأت بخمسة أندية عام ١٣٩٥هـ.

نادي مكة .. واسطة العقد:

ويعتبر (نادي مكة الثقافي الأدبي) واسطة العقد لهذه الأندية، لقداسة المكان وسبق الزمان .. فهو نادي (أم القرى) بلد الله الحرام، وهو ناد رائد تعدّت رسالته الساحة المحليـة، بحكم تواصله مع ضيوف مكة الكرمة من علماء ومفكري وأدباء الأمة العربية والاسلامية.

تأسيس النادي:

وكان قد صدر قرار تأسيس النادي في (١٣٩٥/٢/٢٩هـ)، بموجب موافقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب، بخطابه الموقّر، الموجّه للأساتذة: محمد حسن فقي، أحمد السباعي، ابراهيم فوده .. ويتضمن الموافقة الكريمة على رغبة الأدباء الثلاثة، بإنشاء ناد ثقافي بمكة

اعداد:
تميم الحكيم
- مكة المكرمة -



- سمو الأمير نايف بن عبد العزيز في ضيافة النادي

(نادي مكة) وعقدان على دروب الفكر والثقافة والأدب



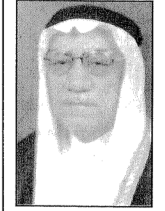
- محمد حسن فقي



- احمد السباعي



- ابراهيم فوده

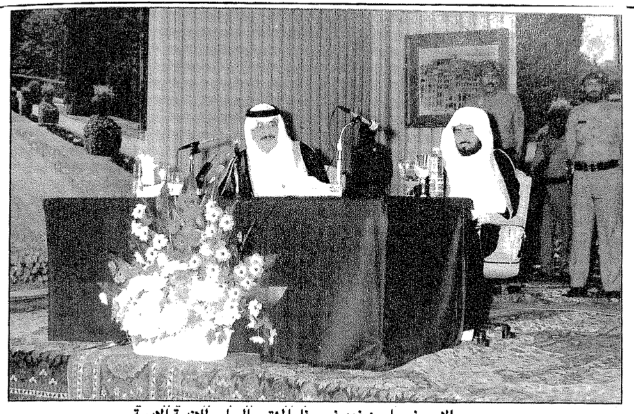


- حسين عرب

المكرمة.

أول مجلس ادارة:

وتمّ في نفس العام تشكيل أول مجلس إدارة للنادي من الأساتذة: الأستاذ/ ابراهيم فوده (رئيساً)، الأستاذ حسين عرب (نائباً للرئيس)، الأستاذ احمد السباعي (عضواً)، الدكتور راشد الراجح (عضواً)، الأستاذ احمد محمد جمال (عضوا)، الأستاذ أحمد السباعي (عضواً)، الدكتور محمود زيني (عضواً وأميناً للصندوق)، الدكتور عبد العزيز خوجه



ـ سمو الامير فيصل بن فهد في حفل المؤتمر السابع للاندية الادبية.

(عضواً)، الأستاذ عبد السلام الساسي (سكرتيراً للنادي).

الهيئة التأسيسية :

أما الهيئة التأسيسية للنادي فكانت مكوّنة من الأساتذة: الأستاذ أحمد السباعي، الأستاذ ابراهيم أمين فوده، الأستاذ محمد حسن فقي، الأستاذ حسين عرب، الدكتور حامد هرساني، الأستاذ عبد الله عريف، الأستاذ صالح محمد جمال، الأستاذ أحمد محمد جمال، الأستاذ ابراهيم الشورى، الدكتور راشد الراجح، الدكتور ناصر الرشيد، الدكتور عبد الله الزيد، الدكتور محمود حسن زيني، الدكتور حسن باجوده، الأستاذ عبد الكريم نيازي، الأستاذ محمد عبد الله مليباري، الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، الدكتور عبد العزيز خوجه، الدكتور عبد اللطيف بن دهيش، الدكتور أحمد شكري، الدكتور اسماعيل حسن عسال، الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، الأستاذ علي أبو العلا، الأستاذ عبد الله الداري، الأستاذ محمد محمود حافظ.

للنادي أكثر من أربعمائة نشاط .. في مختلف القنوات.

مجلس الادارة للدورتين الثانية والثالثة:

وفي (١٣٩٨/٦/١٨هـ) انعقدت الجمعية العمومية للنادي، وانبثق عنها بالانتخاب مجلس إدارة، استمر لدورتين، من الأساتذة :

الأستاذ ابراهيم فوده (رئيساً).

الدكتور عبد الله محمد الزيد (نائباً للرئيس).



ـ سمو الأمير سعود بن عبد المحسن يرعى مسابقة القرآن الكريم.

الأستاذ عبد الله بوقس (نائباً ثانياً للرئيس).

الدكتور محمود زيني (عضواً).

الأستاذ محمد بن شاهين (عضواً وسكرتيراً).

الأستاذ عبد الكريم نيازي (عضواً).

الأستاذ محمد عبد الله عراقي (عضواً وأميناً للصندوق).

وقد اختير الدكتور/ فائق الصواف عضواً بمجلس الادارة بدلا من الأستاذ عراقي الذي استقال لظروف خاصة.

مجلس الادارة العالي:

وبعد انتهاء مدة الدورة الثالثة لمجلس إدارة النادي، قدّم رئيس المجلس الأستاذ ابراهيم أمين فوده (رحمه الله) استقالته من رئاسة المجلس.

وفي (١٤٠٧/٦/٢٣هـ) صدر قرار صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز بتشكيل مجلس إدارة النادي العالي من الأساتذة:

الدكتور راشد الراجح (رئيساً)، الدكتور عبد الله الزيد (نائباً للرئيس).

الدكتور عبد الله نصيف (عضوا).

المهندس عبد القادر كوشك (عضواً).

الأستاذ عبد الله بوقس (عضوا).

الأستاذ حمد الشاوي (عضواً).

افتتاح النادي:

أما افتتاح النادي وانطلاق نشاطاته فقد كان يوم الثلاثاء الموافق (١٣٩٦/٢/٢٣هـ)، برعاية صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب، وحضور جمع من الأدباء والمفكرين والمثقفين، من مختلف أنحاء المملكة.

وقد بدأ النادي نشاطه في مقره القديم المستأجر، في حي أم الجود، ثم انتقل الى



ـ مجموعة من رؤساء الاندية الادبية في مؤتمرهم.

مكانه الحالي بحي العزيزية، الذي أصبح ملكاً له بهدية من سعادة الشيخ سالم أحمد بن محفوظ، وساهم في بعض المنشآت التي أقيمت على أرض النادي سعادة الشيخ ابراهيم الجفالي.

نشاطات نادي مكة في عشرين سنة:

وقد حفلت مسيرة نادي مكة الخيرة خلال العشرين سنة الماضية بنشاطات ثقافية وأدبية مختلفة، من خلال قنوات متنوّعة، كان لها مردود ايجابي على مختلف الأصعدة.. ومن أبرز هذه النشاطات:

اهتمام خاص بتراث مكة المكرمة وتاريخها وجغرافيتها

أولا: النشاط المنبري:

ويتضمن اللقاءات المفتوحة، والمحاضرات، والندوات والحوارات، والأمسيات الأدبية والشعرية.

١ ـ اللقاءات المفتوحة: وعددها (١٧) لقاءاً مع عدد من كبار المسؤولين من أمراء ووزراء وشخصيات بارزة.

٢ ـ المحاضرات: وقد بلغ عددها (٢١٢) محاضرة.. كان من بينها (٧٢) محاضرة دينية، و(٤٥) محاضرة ثقافية، و(٤٤) محاضرة أدبية، و(١٤) محاضرة علمية.

٣ ـ الندوات والحوارات: وعددها (٥٢) في موضوعات ثقافية وأدبية وتربوية واجتماعية مختلفة.

٤ ـ الأمسيات الأدبية والشعرية:



- الاساتذة (علوى طه الصافي - حمد القاضي - نبيه الانصاري) في احدى ندوات النادي.

منها (٤٩) أمسية شعرية، و(١٣) أمسية أدبية.

ثانيا: حفلات التكريم:

وقد بلغ عددها (٣٣) حفلا من بينها (١٢) حفلا خاصاً كرِّم فيها عدد من أعلام الفكر والأدب بالمملكة.. و(٢١) حفلا عاماً لضيوف مكة المكرمة من أعضاء مجالس رابطة العالم الاسلامي، والمسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم، وغيرهم من علماء ومفكري وأدباء العالم العربي والاسلامي ممن يشاركون في المؤتمرات والمجالس المنعقدة في مكة المكرمة.

ثالثا: المعارض:

وعددها (١٣) معرضاً للكتاب، والتراث، والكمبيوتر، والفن التشكيلي، أقيمت جميعها في مقر النادي.

رابعا: المسابقات:

وقد نظم النادي خلال الفترة الماضية (١٤) مسابقة.. من بينها (٩) مسابقات للقرآن الكريم، و(٥) مسابقات ثقافية.

خامسا: الاصدارات:

أصدر (نادي مكة الثقافي) خلال السنوات الماضية (٩٣) كتاباً في مختلف العلوم والفنون والآداب.. وفي مقدمتها:

أ - الكتب الاسلامية: ومن أبرزها (تأملات في سورة الأحزاب)، و(تأملات في سورة المائدة) للدكتور حسن باجودة، (في مدرسة النبوة) للأستاذ احمد محمد جمال، (القرآن الكريم معجزة وتشريع) للأستاذ عبد الكريم نيازي، (العلاقات الانسانية في القرآن الكريم) للأستاذ حمزه فوده، (فقه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في أحكام الاحرام) للدكتور رويعي الرحيلي، (البيوع المنهي عنها نصا في الشريعة الاسلامية) للدكتور علي بن عباس

الحكمي.

ب ـ الكتب المهتمة بتاريخ مكة وجغرافيتها وتراثها: ومن أبرزها: (تاريخ مكة) للاستاذ أحمد السباعي، (مكة في القرن الرابع عشر الهجري) للأستاذ محمد حسن رفيع، (التاريخ المفصل للكعبة قبل الاسلام) للأستاذ عبد القدوس الأنصاري، (مكة المكرمة في شذرات الذهب للغزاوي) اختيار وتحقيق الدكتور عبد العزيز الغامدي، والدكتور محمد السرياني، والأستاذ معراج مرزا، (اعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام) تحقيق اسماعيل أحمد اسماعيل حافظ، (صفحات من تاريخ مكة المكرمة) للمستشرق ك. سنوك هوروخرونيه، (دراسة عن مواقع المساجد في مكة المكرمة) للدكتور عبد العزيز الغامدي، (مكة المكرمة.. دراسة في التغير السكاني) للدكتور محمد السرياني.



ـ من اصدارات نادي مكة الأدبي.

ج ـ الكتب الأدبية: ومنها: (وداعاً أيها الشعر) للأستاذ أحمد محمد جمال، (قاتلة الشيطان) للأستاذ محمد عبد الله مليباري، (الشاعر المحسن) للأستاذ ابراهيم فوده، (المتنبي شاعر العرب) للأستاذ عبد الله بوقس، (أضواء على الأدب والأدباء في جازان) للأستاذ محمد أحمد العقيلي، (دراسات في أدب الدعوة الاسلامية) للدكتور محمود زيني، (أثر الاسلام في شعر

الفرزدق) للدكتور مصطفى عبد الواحد، (الفقيه الشاعر) للأستاذ عبد الله الشباط، (العقل اللغوي) لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، (القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي٠٠ حياته من شعره) للأستاذ حجاب بن يحيى الحازمي، (حول الحكمة في الشعر العربي) للدكتور عبد الله باقازي، (الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي) للدكتور محمد الحارثي، (عروض الورقة) تحقيق الدكتور صالح بدوي٠

د ـ كتب ثقافية منوعة: ومنها: (المقال والمرحلة) للأستاذ حامد مطاوع، (من معالم التنمية العمرانية بالمملكة) للدكتور خالد العنقري، (التعليم في المملكة العربية السعودية) للدكتور عبد الله الزيد، (اطلالة علي نهايةالعالم الجنوبي) للأستاذ محمد بن ناصر العبودي، (أصول الاعلام الحديث وتطبيقاته) للأستاذ ابراهيم سرسيق، (نظرات اسلامية في الصحة) للدكتور مدحت الشافعي، (رحلة العمر) للأستاذ محمد عبد الحميد مرداد، (المدرب والتدريب الرياضي) للدكتور مصطفى زيدان٠

وقد بدأ النادي اعتباراً من عام (١٤١٥هـ) باصدار دورية بعنوان (البلد الأمين)٠

ـ حفل تكريم الاستاذ ابراهيم فودة٠

سادسا: نشاط المكتبة:

لنادي مكة الثقافي الأدبي مكتبة باسم صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، تضم أكثر من عشرين ألف كتاب، ويزيد عدد العناوين فيها عن سبعة آلاف عنوان، في مختلف العلوم والمعارف، اضافة الى الكتب الدراسية المقررة على المراحل المختلفة، ومجموعة من المخطوطات المصورة،٠٠ ومعظم الدوريات الصادرة في المملكة وخارجها٠٠ وتضم كذلك ركناً خاصا بكتب وقصص الأطفال٠٠ وركناً خاصاً باصدارات الأندية الأدبية٠٠ ويتم تزويدها باستمرار بكل جديد ومفيد٠٠ وهي تفتح أبوابها على فترتين صباحية ومسائية، ويبلغ عدد مرتاديها ما يقرب من (٤٠٠٠) مرتاد في كل سنة، وتتولى بيع اصدارات نادي

اصدارات النادي تجاوزت التسعين٠

مكة بسعر رمزي، وكذلك توزيع هذه الاصدارات للأفراد والمؤسسات كهدايا وتبادل.

سابعا: النشاط المسرحي:

في النادي (شعبة للنشاط المسرحي) قامت بتنظيم ثلاث دورات في الثقافة المسرحية استفاد منها أكثر من مائة شاب من الموهوبين في فن المسرح، تأليفاً وتمثيلا واخراجاً.. كما أقام النادي عدة حفلات مسرحية على مسرحه الموسوم باسم الأديب الراحل أحمد السباعي، وشارك في حفلات مقامة خارج النادي.

ثامنا: المشاركات العامة:

ويشارك نادي مكة في المناسبات المختلفة، وأسابيع التوعية التي تقام في كل عام كأسبوع الصحة، والمساجد، والمرور، والشجرة، وغيرها.

كبار الضيوف المشاركين في نشاطات النادي:

يمتاز (نادي مكة الثقافي الأدبي) باستضافته لكبار الشخصيات، ورجالات العلم والفكر والأدب، من داخل المملكة وخارجها.

وممن شرّف النادي من أصحاب السمو الملكي الأمراء:

الأمير عبد الله الفيصل، الأمير نايف بن عبد العزيز، الأمير ماجد بن عبد العزيز، الأمير محمد الفيصل، الأمير أحمد بن عبد العزيز، الأمير سعود بن عبد المحسن، الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز.

وكذلك فإن لأصحاب السماحة والفضيلة العلماء حظاً وافراً في نشاطات النادي، وفي مقدمتهم: الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ محمد صالح العثيمين، الشيخ على الطنطاوي، الشيخ محمد الغزالي، الدكتور محمد الحبيب بن الخوجه، الشيخ سيد سابق، الدكتور صالح بن حميد، الشيخ أبو الحسن الندوي، الشيخ يوسف القرضاوي، الشيخ صالح التويجري، الشيخ محمد قطب، الشيخ أبو بكر الجزائري، الشيخ أحمد ديدات، الدكتور محمد أديب الصالح.

وممن استضافهم النادي من أصحاب المعالي الوزراء وكبار الشخصيات: الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع، الدكتور محمد عبده يماني، الدكتور خالد العنقري، الدكتور محمد عبد اللطيف الملحم، الدكتور ابراهيم العواجي، الدكتور حمود البدر، الدكتور أحمد محمد علي، الفريق هاشم عبد الرحمن.

ولقد كان لأعلام الفكر والأدب في المملكة وخارجها مشاركات في نشاطات النادي ومن أبرزهم:

الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، الأستاذ محمد علي السنوسي، الأستاذ محمد حسين زيدان، الأستاذ عبد العزيز الرفاعي، الأستاذ حسين سرحان، الأستاذ صالح محمد جمال، الأستاذ أحمد محمد جمال، الأستاذ محمد عبد الله مليباري، الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري (رحمهم الله جميعاً).

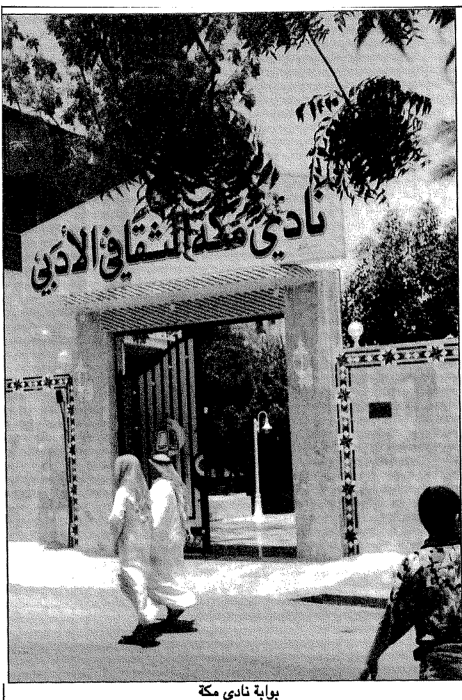
وكذلك: الشيخ حمد الجاسر، الأستاذ عبد الله بلخير، الأستاذ حسين عرب، الدكتور معروف الدواليبي، الشيخ عثمان الصالح، الأستاذ محمد حسن فقي، الأستاذ عبد الله بن خميس، الأستاذ عبد العزيز الرويشد، الأستاذ

محمد علي مغربي، الأستاذ محمد أحمد العقيلي، الأستاذ حسن القرشي، الأستاذ عزيز ضياء، الأستاذ عبد الله بن ادريس، الدكتور محمد سعد آل حسين، الدكتور مصطفى محمود، الدكتور حسين مؤنس، الدكتور محمد مصطفى هدارة، الاستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، الاستاذ أبو تراب الظاهري.

ضيوف مكة المكرمة .. ضيوف النادي:

وضيوف مكة المكرمة، وهم من مختلف أرجاء العالم الاسلامي، هم ضيوف النادي، حيث يحاول النادي استقطاب أبرز الأعلام من هؤلاء في محاضرات وأمسيات وحفلات تكريم.

وقد شارك في النشاط المنبري للنادي علماء ومفكرون وأدباء من: دول الخليج العربي ومن: مصر، سوريا، السودان، الأردن، لبنان، العراق، اليمن، تونس ، المغرب، الجزائر، موريتانيا، الهند، باكستان، تركيا ويوغسلافيا.



بوابة نادي مكة

ذلك هو (نادي مكة الثقافي الأدبي) الذي يدلف مع العام الهجري الجاري (١٤١٨هـ) الى العقد الخامس من عمره، مؤكداً استمرار الدور الأصيل والهام الذي قام به خلال العقود الماضية، على دروب الثقافة والفكر والأدب، محلياً وعربياً وإسلامياً.

الخلل المنهجي في ك

على مدى سبع دراسات سابقة، وهذه الأخيرة، تناول الأستاذ الدكتور محمد عمارة بعض آراء وأفكار ومعتقدات الدكتور نصر أبو زيد الواردة في كتبه بالدراسة والمناقشة والنقد الموضوعي، موضحاً من خلال ذلك الاخطاء الفكرية والدينية التي وردت في تلك الكتابات، منبها إلى خطورة تلك الآراء على مستوى الفكر الإسلامي والمعتقد الديني.

والمنهل، إذ ينشر هذه الدراسات وأمثالها يبغي من ورائها الوصول إلى الحقيقة، وتبيان الحق، والحق أحق أن يُتّبع، والمناقشة الموضوعية الهادئة هي التي توصل إلى الحقيقة، ومن المناقشة ينبثق النور كما يقال.

وللأستاذ الدكتور محمد عمارة نسوق الشكر موصولا ..

والمنهل يسعد بكل رأي موضوعي يبغي الحق ويسعى إليه.. ونثبت هنا في آخر هذه الدراسة أرقام الأعداد التي نشرت فيها مجموعة هذه الدراسات.

■ المنهل ■

أفكار مثيرة للجدل (٨-٨)

بقلم المفكر الاسلامي:
أ.د. محمد عمارة

في كتابات الدكتور نصر أبو زيد ، مباهاة بامتلاكه ناصية المنهجيات الحديثة والعلمية والمعاصرة في قراءة النصوص وتحليلها.. والماركسيون - بلسان الأستاذ محمود أمين العالم - يقولون: «إنه أحسن من يحلّل النص».. والمرء يلمس هذه المباهاة، أكثر ما يلمسها، عندما يكون المقام مقام هجوم الدكتور نصر على خصومه ومنتقديه، الذين يرميهم بأنهم أبناء ثقافة الجمود والتقليد والتعصب والانغلاق وضيق الأفق، والحفظ دون فهم، وعطن التكرار، والوعظ، والإعادة دون إفادة.. ثقافة العوز الفكري والعقلي، والتوقير الزائف للتراث، فهم الوارث الكسول لهذا التراث.. بل ويصف هؤلاء الخصوم والمنتقدين بالوقاحة الفكرية والسفالة الأكاديمية والجهل الفاجر والمركب، الذي بلغ مرتبة الآفات العقلية التى لا تجدى معها سوى المصحات

كتابات نصر أبو زيد

النفسية[١]؟؟.. بينما يملك هو ناصية المناهج العلمية الحديثة والمعاصرة في التعامل مع التراث وفي تحليل النصوص وقراءتها.

لكن المرء يدهش عندما يرى كم الأخطاء المنهجية التى وقع فيها الدكتور نصر، حتى بمعايير المنطلقات الفكرية التى ينطلق منها، أى الخطأ في المنهجيات التى تعارف عليها الباحثون والعلماء من مختلف العقائد والفلسفات والديانات والحضارات، وذلك من مثل منهجية تعريف الباحث بمراده ومفهومه للمصطلح الذي يستخدمه، وخاصة إذا اختلفت مفاهيمه ومعانيه باختلاف العلوم والثقافات والفلسفات.

وحتى لا نطيل، فسنكتفى - في الإشارة إلى هذا الخلل المنهجي في كتابات الدكتور نصر - بخمس وقفات أمام خمسة مصطلحات شاع استخدامه لها فيما قدم من كتابات.

أ - مصطلح الأيديولوجية:

في سنة ١٩٩٢م صدرت الطبعة الأولى لكتاب الدكتور نصر [الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية].. وعلى امتداد صفحات الكتاب، لم يعرّف قارئه بمصطلح «الأيديولوجية» الذي وضعه عنوانا لكتابه - والذي أكثر من استخدامه - دون تعريف أيضا - في أغلب كتبه وكتاباته.. وذلك على الرغم من أن هذا المصطلح هو من المصطلحات التي تختلف، بل وتتناقض، مفاهيمها باختلاف الفلاسفة والفلسفات، والمنظرين والتيارات الفكرية، وبتمايز العلوم التي يستخدم فيها هذا المصطلح، ***وذلك لاختلاف التركيز، في منطلقات الذين يستخدمونه، على المفاهيم «الواقعية» أو المفاهيم «المعيارية» أو الموازنة بينهما معا.***

فالأيديولوجية لها معنى محايد - أو أقرب إلى الحياد - وذلك عندما تُعرّف بأنها «نسق من المعتقدات والمفاهيم (واقعية ومعيارية) تسعى إلى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة من خلال منظور يوجه ويبسط الاختيارات السياسية والاجتماعية للأفراد والجماعات».

- ولها مفهوم ثان، يرى فيها «نظام الأفكار التى تقوم بمهمة التبريرات المنطقية والفلسفية لنماذج السلوك والاتجاهات والأهداف وأوضاع الحياة العامة السائدة».

- وهي عند البعض «آلية تفسيرية تسعى إلى التوصل للتفسير الشامل لكافة مجالات الواقع، من خلال تطبيق فكرة معينة».

- وهي عند كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م) وفردريك أنجلز [١٨٢٠ - ١٨٩٥م] «صورة من الوعي الزائف، وأفكار مضللة، وأوهام ليس لها وجود حقيقي، كما أنها تقف في مواجهة النظريات العلمية».

- وهناك من يرى الأيديولوجية «حقائق صادقة، ومذاهب ثابتة».

- وهناك من يراها «صيغا فلسفية أو نظرية يمكن أن تتوافق مع كل تغيير في الظروف الاجتماعية والسياسية»٠

- وهناك من يراها جزءا من «البناء الفوقي» يعكس العلاقات الاقتصادية ، وقد تكون علمية - تعبر عن وعي صادق - أو غير علمية - تعبر عن وعي زائف٠

- كما تختلف المواقف منها باختلاف العلوم التى تستخدم مصطلحها - الواحد - ففي علم الاجتماع حديث عن «نهايتها»٠٠ وفي علم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الديني وعلم اجتماع المعرفة، يتزايد استخدام مصطلحها٠٠ الخ٠٠٠ الخ[٢]٠

هكذا تتعدد، بل وتتناقض، مفاهيم ومعاني مصطلح «الأيديولوجية»٠٠ ومع كل ذلك، فالدكتور نصر أبو زيد لا يعرّفنا بمفهومه ومراده ومعناه المختار لهذا المصطلح، الذي جعله عنوانا لأحد كتبه٠٠

فإذا بحثنا في كتاباته الأخرى وجدناه هو ذاته لا يستخدم هذا المصطلح لمعنى محدد ولا لمفهوم واحد!٠

فهو في سنة ١٩٨٧م: يصف الاسلام بأنه أيديولوجية٠٠ «فالنص - أي القرآن - الذي يخاطب محمدا، ويستجيب لهمومه - التي هي هموم الواقع - يتجاوز موقف الاستجابة السلبى إلى محاولة صياغة واقع جديد، صياغة الأيديولوجية التى طال البحث عنها في «دين ابراهيم»[٣]!٠

وفي سنة ١٩٩٣م يطلق على العقيده الدينية مصطلح الأيديولوجية٠٠ «فالنصوص الدينية تطرح العقيدة (= الأيديولوجية) الجديدة[٤]»٠

وفي ذات التاريخ، وذات الدراسة، يصف الأيديولوجية بأنها «الأفكار» المسبقة التى تحرك الخطاب في توجهه لتأويل النص٠٠ «الأيديولوجيا أي الأفكار والرؤى المسبقة، التى تحرك الخطاب في توجهه لتأويل النص[٥]»٠

وفي سنة ١٩٩٥م يرى الأيديولوجية «منظورا»، بالمعنى الاجتماعي لا الديني «وكلمة أيديولوجية» أصبحت كلمة عربية بعد أن تم تعريبها٠٠ وهى تعنى «المنظور» الذي يحدد للإنسان معايير الصواب والخطأ، والثواب والعقاب، والمحرم والمحلل، بالمعنى الاجتماعي لا الديني، أي المسموح به المرغوب والممنوع المعيب - بكل ما يتداخل في بنية هذا المنظور ويشكله من أهواء ومصالح ورغبات محكومة بقوانين الوجود الاجتماعي[٦]»٠

وهكذا يحار المرء مع هذا «اللامنهج» بل الخلل المنهجي! عند الدكتور نصر أبو زيد٠٠ فهو لا يترجم لمفهومه والمعنى الذى يقصده من المصطلح - الأيديولوجية - حتى ولو جعله عنوانا لأحد كتبه؟! - في الوقت الذى تتضارب وتتناقض فيه مفاهيم هذا المصطلح باختلاف العلماء وتنوع العلوم - فإذا تتبعنا استخدامه لهذا المصطلح وجدناه هو ذاته متناقضا في استخدامه له٠٠ فمرة نجد الأيديولوجية هي العقيدة الدينية٠٠ ومرة نجدها مطلق الأفكار المسبقة٠٠ ومرة أخرى نجدها «المنظور» بالمعنى الاجتماعي لا الديني؟!٠

وهذا واحد من نماذج الخلل المنهجي عند الدكتور نصر أبو زيد٠

ب ـ مصطلح الوسطية:

والنموذج الثاني، للخلل المنهجي، المتمثل في عدم التعريف بالمراد من المصطلح ـ الذي تتعدد مفاهيمه ومعانيه ـ في كتابات الدكتور نصر ـ هو مصطلح «الوسطية» الذي جعله ـ هو الآخر ـ عنوانا لكتابه عن الإمام الشافعي ـ (الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) ـ

فللوسطية معان عدة، متمايزة، بل ومتناقضة.. فللعامة والسوقة مفهوم للوسطية، يعني: عدم التحديد، وإمساك العصا من منتصفها، تميعا، وانعداما في الطعم واللون والرائحة؟!.

وللفلسفة الأرسطية مفهوم للوسطية، يراها نقطة رياضية ثابتة بين طرفين، ومغايرة لهما «فالوسط Middle ما كان على مسافة متعادلة بين طرفين، يقول أرسطو [٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م] الفضيلة وسط بين حدّين[٧]».

أما في الإسلام، فالوسطية جامعة، أي أنها ليست موقفا مغايرا للطرفين، وإنما جامعة لعناصر الحق والعدل والخير والصواب منهما وفيهما، فهي موقف ثالث، بين طرفي الإفراط والتفريط، لكنه مؤلف من ما يمكن تأليفه من عناصر الطرفين..

فالكرم: وسط بين الشحّ وبين الإسراف، لكنه جامع لعطاء المسرف ولتدبير الشحيح!.. والشجاعة: وسط بين الجبن وبين التهور، لكنها جامعة لإقدام المتهور ولحسابات الجبان!.. والإنفاق الاسلامي: وسط بين «غلّ اليد» وبين «بسطها كل البسط»، لكنه جامع لعناصر الاعتدال والتوازن من الحدين والطرفين.

لكن الدكتور نصر، الذى يستخدم مصطلح الوسطية ـ حتى ليجعله عنوانا لأحد كتبه ـ لا يعرّفنا بمراده من وراء هذا الاستخدام.. فإذا تحسسنا مراده وجدناه يستخدمه بمعنى «الأيديولوجية» ـ تلك التى استخدمها دون تعريفها.. والتى تضاربت مقاصده من وراء استخدامها؟!.. فهو يعتبر الوسطية مصطلحا ذا «بُعْد أيديولوجي» وليست «سمة جوهرية وأصيلة من سمات الفكر الاسلامي والثقافة العربية»[٨].. واستخدامه لمصطلحها في عنوان كتابه عن الشافعى يجعلها أيديولوجية، بالمعنى السلبي للأيديولوجية.. بينما يراها المسلمون، انطلاقا من القرآن الكريم «جعلا إلهيا» أراده الله، سبحانه وتعالى، لهذه الأمة: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}[٩].. ويعرّفها الرسول {صلى الله عليه وسلم}، بأنها العدل الذي يجمع عناصر الحق من طرفي القضية، فيقيم بهذه الوسطية الجامعة الميزان والتوازن في مختلف الميادين ـ الفكرية والعملية ـ فـ «الوسط: العدل، جعلناكم أمة وسطا»[١٠].

وهذا هو المعنى الذى عناه الإمام محمد عبده ـ وهو يتحدث عن وسطية الاسلام ـ عندما قال: «ظهر الاسلام، لا روحيا مجرداً، ولا جسدانيا جامدا، بل إنسانيا وسطا بين ذلك ، آخذا من القبيلين بنصيب»[١١].

هكذا نجد «اللامنهج» في استخدام الدكتور نصر لمصطلح الوسطية.. فإذا أراد بها مرادا، خالف فيه وبه ما أراد الله ورسوله وعلماء الإسلام!.

جـ ـ مصطلح النصّ :

أما مصطلح «النص» الذي تخصص الدكتور نصر أبو زيد في دراسته وتدريسه.. والذي جعله عنوانا لأكبر كتبه (مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن] فلم يكن الرجل جاهلا بمعناه الاصطلاحي في تراثنا الأصولي.. ولكنه آثر استخدامه ـ وهو يبحث في التراث ويكتب في الاسلاميات ويتحدث عن القرآن والحديث ـ آثر استخدام هذا المصطلح في غير المعنى الذي اشتهر للتعبير عنه في تراث الإسلام.

فالنص ـ في المشهور عند الأصوليين ـ ليس مطلق العبارة.. وإنما العبارة التي يدل ظاهر لفظها على ما فيها من المعاني والأحكام، دون أن تحتمل شيئا آخر، فهو لا يتطرق إليه احتمال أصلا، على قرب ولا على بعد، كالخمسة، مثلا، فإنه نص في معناه.. لا يحتمل تأويلا، ولا يحتمل إلا معنى واحدا[١٢] ـ ولذلك يقال فيه: هذا «نصٌّ في كذا».

ولذلك «قالوا بنُدْرَة النصوص»[١٣].

يعرف الدكتور نصر ذلك، ويقول: «لم يكن القدماء يشيرون إلى القرآن والحديث باسم النصوص.. بل كانوا يستخدمون دوال أخرى مثل الكتاب والتأويل والقرآن ـ للقرآن ـ ومثل الحديث والآثار والسنة ـ لنصوص الحديث ـ وكانوا يعنون بالنص جزءا ضئيلا من الوحي، لا يحتمل أدنى قدر من تعدد المعنى.. إنه ـ بلغة الإمام الشافعي ـ ما يكون مستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير».. ومالا ينطبق عليه وصف الوضوح الدلالي، الذى لا يحتاج معه إلى تفسير، فليس نصا».

لكن الدكتور نصر، الذي يعرف ذلك، ويحكيه.. رأيناه ـ بعد أن كان يسمي القرآن قرآنا، والحديث النبوي حديثا.. يستخدم منذ النصف الثاني من عقد الثمانينيات ـ تاريخ تأليفه كتابه (مفهوم النص) ـ يستخدم مصطلح «النص» للدلالة على عموم آيات القرآن وأحاديث السنة النبوية!.

أما لماذا هذا الخروج عن المنهج العربي والاسلامي في مفهوم النص، فلا حجة إلا قوله: «كما نفعل في اللغة المعاصرة»! ونحن نسأل: هل أصبح «للنص» معنى واحدا فيما سماه الدكتور نصر «اللغة المعاصرة»؟!.. أم أن لهذا المصطلح مفاهيم اصطلاحية متعددة بتعدد العلوم والفنون التى يستخدم فيها؟.

فهو في الدراسات الأدبية يطلق على مجمل العمل الأدبي: نص القصيدة.. ونص المسرحية.. ونص الرواية.. ونص القصة.. بينما لا يزال معناه في العلم الديني هو ذات المعنى الذى اشتهر واستقر عند الأصوليين «ما لا يحتمل إلا معنى واحدا.. وما لا يحتمل التأويل».. فأين المنهجية في الخروج على المنهج المتعارف عليه، دون جديد تعارف عليه المحدثون.. بل دون جديد على الإطلاق!.

د ـ مصطلح الحاكمية :

وإذا كان استخدام المصطلح دون تعريف بالمراد منه.. أو استخدامه في غير المراد منه، خللا منهجيا.. فإن استخدام المصطلح، مع تشويه المراد منه عيب قد

يتجاوز مجرد الخلل المنهجي، إلى «سوء النية» في هذا الاستخدام!.. وهذا هو ما صنعه الدكتور نصر مع مصطلح «الحاكمية الإلهية».

فهو يعتبر أن رد الظواهر الطبيعية والاجتماعية إلى الفاعل الأول والعلة الأولى - أي الله سبحانه وتعالى - حاكمية إلهية تلغي فاعلية الإنسان، ودور العقل الانساني والخبرة والتجربة الإنسانية.. مع أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} الذى قال لنا: «أنتم أعلم بشئون دنياكم»[١٥] هو ذاته الذى بلّغنا قول الله سبحانه وتعالى: {قل إن الأمر كله لله}[١٦]، ففاعلية الإنسان، فيما هو مقدور للإنسان، لا تعني نفي الاعتقاد بأن الله هو الفاعل الأول من وراء الانسان، وفوق الإنسان .. فهو مسبب الأسباب، والعلة الأولى لكل الأسباب ومُسبَّباتها.

لكن الدكتور نصر يشوه مفهوم مصطلح الحاكمية - ليشن عليه هجوما قاسيا - فيقول: «إن رد الظواهر كلها (طبيعية واجتماعية) إلى علة أولى أو مبدأ أول، من شأنه أن يقود بالضرورة إلى (الحاكمية» الإلهية، بوصفها مقابلا - ونقيضا - لحاكمية البشر.. فمبدأ الحاكمية، يرد كل شيء إلى الله، ويلغي فاعلية الانسان»[١٧].

ولا ندري من أين جاء بمفهوم الحاكمية الإلهية الذي هو نقيض لحاكمية البشر، ويلغي فاعلية الإنسان؟!.. ولو كان الرجل طالب علم، وقرأ عبارة ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦هـ/ ٩٩٤ - ١٠٦٤م) التى يقول فيها: «إن من حكم الله أن يجعل الحكم لغير الله»!.. لعلم أن حاكمية الله، في الاجتماع البشري تقيمها حاكمية الإنسان - لكنه الإنسان الخليفة، الذى يراعى بنود عهد وعقد الاستخلاف - الشريعة الإلهية - فتتسق حاكميته مع حاكمية الله، بل ويكون هو المُقيم للحاكمية الإلهية!.

ولا يقف الخلل المنهجي، عند الدكتور نصر، إزاء مصطلح الحاكمية، عند هذا الحد.. بل يذهب فيدّعي على العلامة أبو الأعلى المودودى (١٣٢١ - ١٣٩٩هـ/ ١٩٠٣ - ١٩٧٩م) والشهيد سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦هـ/ ١٩٠٦ - ١٩٦٦م) فينسب إليهم - وخاصة للمودودي - ما لم يقصد إليه ولم يقله في الحاكمية ومفهومها.. فيقول: «إن مفهوم «الحاكمية» الذى طرحه لأول مرة أبو الأعلى المودودي.. ثم نقله عنه سيد قطب.. هو المفهوم الذى يلغى من فهم الاسلام تلك المناطق الدنيوية التى تركها للعقل والخبرة والتجربة في قول النبي {صلى الله عليه وسلم} «أنتم أدرى بشئون دنياكم»[١٨].

فأين هي «المنهجية» في الادعاء على المودودي بما لم يقله، بل بما قال نقيضه؟.. وأين هي «المنهجية» في الحديث عن العلماء دون قراءة ما كتبه هؤلاء العلماء.. أو الاكتفاء بقراءة «غير بريئة» لنص «منتزع بوحشية» من سياقه، مع إهدار هذا السياق؟!.

إن مفهوم الحاكمية الإلهية عند المودودي، يعنى «السلطة العليا والمطلقة.. سلطة الفعّال لما يريد، والذى لا يُسأل عما يفعل»[١٩].. وهي سلطة سيادية لا يمكن أن تكون - عند كل المتدينين إلا لله .. وتلك هي الحاكمية الالهية التى جرد المودودي منها سائر البشر، فقال: «إن أي شخص أو جماعة يدعى لنفسه أو لغيره حاكمية كلية أو

جزئية.. هو ولا ريب سادر في الإفك والزور والبهتان المبين»[٢٠].

والذين يقرأون المودودي كاملا، غير مجتزأ، يدركون أنه لم يقم تناقضا بين هذه الحاكمية الإلهية - سيادة الفعال لما يريد - وبين نيابة الأمة عن الله، وحاكمية الشعب المضبوطة بحدود الله ومباديء الشريعة وأحكامها ومقاصدها.. وفي هذا المعنى يقول المودودي: «إن الاسلام أقر نيابة الشعب واستخلافه عن الله في ظل سيادة الله وحاكميته.. ولقد خُول في هذه الحكومة للمسلمين حاكمية شعبية مقيدة.. وما لم يرد فيه نص - وهو المجال الأوسع - فلأهل الحل والعقد أن يجتهدوا في سن الأنظمة التى تحقق مصلحة الأمة بالمشورة المتبادلة.. على أن تكون منسجمة مع الإطار العام لأسس الشريعة»[٢١].

فهل من يتحدث عن حاكمية شعبية مقيدة بحدود الله هو الذي يلغي فاعلية الإنسان وحاكمية البشر؟!.. وأكثر من ذلك، فلقد دعا المودودي الى «حاكمية شعبية - بشرية» حتى فيما وردت فيه نصوص قطعية، وذلك:

١ - لتعبير الأحكام أو تأويلها أو تفسيرها.

٢ - وللقياس على هذه الأحكام.

٣ - وللاجتهاد في فهم أصول الشريعة العامة وقواعدها وتطبيقها في قضايا جديدة لا توجد لها النظائر والأشباه في الشريعة.

٤ - والاستحسان، بوضع ضوابط وقوانين جديدة في دائرة المباحث غير المحدودة على حسب الحاجات[٢٢]..

فالمودودي يقول بالحاكمية البشرية والشعبية، ولا ينقضها.. ويمد نطاقها إلى ما جاءت فيه نصوص قطعية.. بل ويقول «بالاستحسان» الذى يحتفى به الدكتور نصر أبو زيد، باعتباره قمة العقلانية في التعامل مع النصوص!.. فمن أين جاء، إذن، بدعواه أن المودودي قد ألقى دور العقل والخبرة والتجربة فى دنيا الناس؟!.

وهل هذه هى المنهجية الحديثة والمعاصرة والعلمية، في التعامل مع المصطلحات.. ومع العلماء الذين استخدموا هذه المصطلحات؟!.

هـ - مصطلح التأويل :

وعلى كثرة حديث الدكتور نصر أبو زيد عن «التأويل» بل وجعله عنوانا لأطروحته للدكتوراة (فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي) وتضمينه في عنوان كتاب آخر (إشكاليات القراءة وآليات التأويل).. فإنه لم يشر - ولو مرة واحدة - في جميع كتاباته - التي قرأنا كتبها ومقالاتها - لم يشر إلى المعنى الاصطلاحي لمصطلح التأويل، كما حدده وضبطه وفصل قوانينه - في نظرية متكاملة - فلاسفة الإسلام.

فأبو الوليد ابن رشد - الحفيد (٥٢٠ - ٥٩٥هـ/ ١١٢٦ - ١١٩٨م) يعرّف التأويل، ويشير إلى ضوابطه، فيقول: ***«إنه إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوّز من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التى عُدّت في تعريف أصناف الكلام المجازي»[٢٣].***

فهو يعرّف التأويل، ويشير إلى عدد من أهم شروطه في لغة العرب.

والإمام الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١١١م) يحدد «مراتب الوجود» الخمسة، التى لا يخرج عنها التأويل، فإذا خرج عنها لم يعد تأويلا للإخبار عن الموجود، الذى جاء به الدين، بل يصبح تكذيبا بهذا الموجود.. وهي مراتب:

١ ـ الوجود الذاتي:

أي الحقيقي، الثابت خارج العقل، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة، فيسمى أخذه إدراكا.. كوجود السموات والأرض والحيوان والنبات.

٢ ـ والوجود الحسي:

الذي يتمثل في القوة الباصرة من العين، مما لا وجود له خارج العين، فيكون موجودا في الحس، ويختص به الحاس.. وذلك مثل ما يشاهده النائم، أو المريض المتيقظ الذى تتمثل له صورة لا وجود لها خارج حسه.

٣ ـ الوجود الخيالي:

مثل صور المحسوسات إذا غابت عن حسك، فاخترعت لها صورة في خيالك، فيكون وجودها في الخيال.

٤ ـ الوجود العقلي:

في الأشياء التي لها روح وحقيقة ومعنى، فيتلقى العقل معنى الشيء دون أن يثبت صورته في خيال أو حس خارج.. كاليد، إذا أثبتنا معناها، وهو القدرة، دون صورتها المحسوسة أو المتخيلة.

٥ ـ الوجود الشبهي:

للأشياء غير الموجودة، لا بصورتها ولا بحقيقتها، لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل.. وإنما يكون الموجود شبيها لها في خاصة من خواصها وصفة من صفاتها.

ومراتب الوجود هذه، التي هي درجات التأويلات، إذا نزّل الانسان ما جاء به الوحي وأخبر به الرسول {صلى الله عليه وسلم} على أيّ درجة من درجاتها ومرتبة من مراتبها، فهو من المصدّقين.. وذلك شريطة قيام البرهان على استحالة الظاهر ـ أي الوجود الذاتي ـ وشريطة أن يصعد التأويل هذه المراتب والدرجات على هذا الترتيب، لأن الأول ـ الوجود الذاتي ـ متضمن لما بعده، وكذلك حال الثاني مع ما بعده، ثم الثالث، ثم الرابع، ثم الخامس[٢٤].

تلك هي «النظرية الاسلامية» في التأويل، كما ضبطها فلاسفة الاسلام.

وهذه الضوابط والشروط والمراتب ـ التى تحدث عنها ابن رشد والغزالي ـ هي التي أجمل الحديث عنها الشريف الجرجاني (٧٤٠ ـ ٨١٦هـ/ ١٣٤٠ ـ ١٤١٣م) عندما اشترط في المعنى المجازى الذي ينقل التأويل إليه اللفظ، أن يكون «موافقا للكتاب والسنة»، ***فقال، فى تعريفه للتأويل: إنه «صرف اللفظ عن معناه الظاهر، إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذى يراه موافقا بالكتاب والسنة»[٢٥].***

فهو، في الدين، له ضوابطه «الفكرية» إلى جانب ضوابطه «اللغوية».. وفي هذا التأويل، وله، أبدع فلاسفة الإسلام نظرية

مضبوطة قوانينها، معلومة مراتب وأولويات درجات التأويل فيها.

ومع كل ذلك.. ورغما عنه.. يتجاهل الدكتور نصر أبو زيد - الذي خاض في التأويل في جميع كتاباته - يتجاهل جميع ذلك.. وتتردد مفاهيمه عن التأويل بين مفهومين لا علاقة لأي منهما بقوانين التأويل في العربية التي يكتب بها، ولا في الإسلام، الذي يبحث فيه!.. فيحدثنا كيف كان يتبنى - في مرحلة من مراحل تطوره كباحث «المفهوم الشائع في فكرنا الديني والفلسفي المعاصر، والذي يرى التأويل جهدا عقليا ذاتيا لإخضاع النص الديني لتصورات المفسر ومفاهيمه وأفكاره».

ولم يقل لنا الدكتور نصر، على من يعود الضمير - «نا» في «فكرنا الديني والفلسفي المعاصر».. ذلك أن جعل التأويل «جهدا عقليا ذاتيا لإخضاع النص الديني لتصورات المفسر ومفاهيمه وأفكاره» - هكذا، دون ضوابط لغوية وفكرية - لم يقل به عاقل ينتمي إلى لغتنا العربية، ويفقه - فضلا عن أن يؤمن - بدين الاسلام!.

ثم يحدثنا الدكتور نصر عن تخلِّيه - في مرحلة تالية - عن هذا المفهوم للتأويل، وتبنيه لمفهوم «العلاقة الجدلية القائمة على التفاعل المتبادل» بين النص وبين المفسر له.. هكذا، أيضا، دون ضوابط من اللغة ومن ثوابت الفكر لهذه العلاقة وهذا التفاعل بين المفسر والنص موضوع التأويل[٢٦].

وأخيرا، وليس آخرا، يعود الدكتور نصر، فيتجاوز هذين المفهومين للتأويل - وذلك بعد أن حصل على الدكتوراه بناء على استخدامه للمفهوم الثاني في دراسته عن ابن عربي - يعود فيتجاوز هذين المفهومين، داعيا «إلى معاودة قراءة ابن عربي من منظور مغاير لقراءتنا السابقة له.. فلقد وقع باحثو ابن عربي، ومنهم كاتب هذه الدراسة (أي الدكتور نصر) في شرك القراءة الاستنباطية الذاتية. الأمر الذي يستدعى أن نتوقف هنا - مرة أخرى - أمام تأويل ابن عربي للقرآن، في محاولة لاكتشاف ما لم تكتشفه قراءتنا السابقة»[٢٧].

فإذا كان الدكتور نصر قد أنجز ما أنجز من مشروعه الفكري، معتمدا على التأويل، الذى هو «قراءة استنباطية ذاتية» وعلاقة ثنائية حرة بين المفسر والنص، غير مضبوطة بقوانين لغوية وفكرية، فإن هذه القراءة هي بالتأكيد، كما يسميها هو، وليس نحن، في نص اقتبسه ليعبر به عن موقفه: «قراءة غير بريئة»؟!.. وبعبارته هو، فإنه «انطلاقا من الوعي بهذه العلاقة الجدلية بين الباحث وموضوعه، لابد من التسليم - مع «لوى آلتوسير» بأنه «لا توجد ثمة قراءة بريئة»[٢٨].

هكذا نصل إلى قمة العبثية عندما نحرر القراءة والتأويل من الضوابط اللغوية والفكرية، فتتعدد المفاهيم - حتى في الوحي الديني - بتعدد القراء.. ونباهي ببراءة كل القراءات للوحى الدينى من الموضوعية والمشترك الذي تعارف عليه الوضع اللغوي - فهو «معنى» طويت صفحته لحساب «المغزى»، و«حقيقة» حل محلها «المجاز» وتحرر هذه القراءات من قوانين التأويل وثوابت الفكر، إلى آخر ما يؤلف بين الأمم، مما تتمايز به وفيه الأنساق الفكرية، والعقائد

الدينية، والمذاهب الفلسفية والثقافات والحضارات.

إنه مشروع قائم على التأويل، دون أن تكون لدى صاحبه أية ضوابط لهذا التأويل؟!.. بل ودون أن يلتفت فيه إلى التعريف الاصطلاحي للتأويل في تراثنا الذي يبحث فيه؟!.

فهل هذه هي المنهجية العلمية والحديثة والمعاصرة في التعامل مع المصطلحات.. وخاصة عندما تمثل هذه المصطلحات القواعد التي يقوم عليها المشروع الفكري لمن يشتغل بالفكر؟!.

وهل نستغرب بعد ذلك:

* أن يصبح التفسير الماركسي للإسلام هو «الإجتهاد الاسلامي المعاصر»؟!.

* وأن تصبح «قلة العلم» و«سوء الفهم والنية» و«خلل المنهجية» هي شروط ومقومات المجتهدين المعاصرين؟!.

الهوامش:

(١) (التفكير في زمن التكفير) ص ١٢١ ـ ١٢٧، ١٥٨ ـ ٢٣٠.

(٢) انظر: (قاموس علم الاجتماع) د. محمد عاطف غيث ـ طبعة القاهرة ١٩٧٩م. و(الموسوعة الفلسفية) وضع مجموعة من العلماء السوفييت ـ بإشراف: م. روزنتال، ب. يودين. ترجمة سمير كرم. طبعة بيروت ١٩٧٤م.

(٣) (مفهوم النص) ص ٧٩.

(٤) مجلة (القاهرة) إهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني ـ يناير ١٩٩٣م.

(٥) المرجع السابق. نفس الدراسة.

(٦) التفكير في زمن التكفير ـ ص ١٣٠.

(٧) (المعجم الفلسفي) وضع مجمع اللغة العربية ـ طبعة القاهرة ١٩٧٩م.

(٨) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ٦.

(٩) البقرة/ ١٤٣.

(١٠) رواه الإمام أحمد.

(١١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ ٣ ص ٢٤٢.

(١٢) (التعريفات) للجرجاني ـ طبعة القاهرة ١٩٣٨م.

والتهانوي (كشاف اصطلاحات الفنون) طبعة الهند ١٨٩١م.

(١٣) مفهوم النص ص ٢٠٤.

(١٤) نقد الخطاب الديني ص ٨٧، ٨٨.

(١٥) رواه مسلم وابن ماجة والإمام أحمد.

(١٦) آل عمران: ١٥٤.

(١٧) نقد الخطاب الديني ص٣٣.

(١٨) التفكير في زمن التكفير ص ١٥٣.

(١٩) تدوين الدستور الإسلامي ص ٢٥١، ٢٥٣. ترجمة: محمد عاصم الحداد. طبعة بيروت ١٩٦٩م.

(٢٠) الحكومة الإسلامية ص ٧٠، ٧٣. ترجمة: احمد إدريس. طبعة القاهرة ١٩٧٧م.

(٢١) نظرية الإسلام السياسية ص ٣٤، ٣٥، ترجمة: خليل حسن الإصلاحي ـ طبعة بيروت ١٩٦٩م. والاسلام والمدينة الحديثة ص ٣٦، ٤٠ ـ طبعة القاهرة ١٩٧٨م.

(٢٢) القانون الاسلامي وطرق تنفيذه في باكستان ص ١٧٣ ـ ١٧٥، ترجمة: محمد عاصم الحداد، طبعة بيروت ١٩٦٩م.

(٢٣) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٢، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة ١٩٨٣م.

(٢٤) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص ٤ ـ ١١ ، طبعة القاهرة ١٩٠٧م.

(٢٥) التعريفات.

(٢٦) فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي ص ٥ ، ٦ .

(٢٧) مجلة (الهلال) محاولة لقراءة المسكوت عنه في خطاب ابن عربي ـ مايو ١٩٩٢م.

(٢٨) إشكاليات القراءة وآليات التأويل ص ٢٢٨.

** ارقام الاعداد التي نشرت فيها دراسات الدكتور محمد عمارة الخاصة بموضوع الدكتور نصر أبو زيد.

١ ـ د. نصر أبو زيد والتفسير الماركسي للاسلام (١ ـ ٨). جمادى الأولى والآخرة ١٤١٧هـ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٩٦م، ع ٥٣٥.

٢ ـ د. نصر أبو زيد والرؤية المادية للقرآن الكريم (٢ ـ ٨) رجب ـ شعبان ١٤١٧هـ ـ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٦م ، ع ٥٣٦.

٣ ـ د. نصر أبو زيد وتاريخية معاني وأحكام القرآن الكريم (٣ ـ ٨) رمضان ١٤١٧هـ ـ يناير ١٩٩٧م ع ٥٣٧.

٤ ـ د. نصر أبو زيد والتفسير المادي للنبوة والوحي والعقيدة والشريعة (٤ ـ ٨) ذو الحجة ١٤١٧هـ/ ابريل ١٩٩٧م ، ع ٥٣٩.

٥ ـ نماذج من الجهالة في كتابات نصر أبو زيد (٥ ـ ٨) عدد المحرم ١٤١٨هـ/ مايو ١٩٩٧م ، ع ٥٤٠.

٦ ـ الامام الشافعي عند نصر ابو زيد (٦ ـ ٨) عدد صفر ١٤١٨هـ/ يونية ١٩٩٧م، ع ٥٤١.

٧ ـ حجة الاسلام الامام الغزالي عند نصر ابو زيد (٧ ـ ٨) عدد الربيعان ١٤١٨هـ/ يوليو اغسطس ١٩٩٧م ، ع ٥٤٢.

الجنـ



يفصل القصص النبوي في تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها ونورها وما يتصل بذلك مما يراود خواطر المسلم، ولذلك كانت توجه الأسئلة إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فيجيب أصحابه بما علمه الله ـ تبارك وتعالى.

روى الإمام احمد[١] عن أبي مدلة مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول: (قلنا يارسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد. قال: لو تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر الله لهم، قال: قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها[٢] المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم، الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم، تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السموات، ويقول الرب {وعزَّتي وجلالي لأنْصُرَنَّك ولو بعد حين}. وفي رواية عن ابن عمر قال: (سئل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن الجنة فقال: من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا ييأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفني شبابه، قيل يارسول الله كيف بناؤها؟ قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها مسك أذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران.

وفي قصة عن أنس بن مالك قال: (كان أبو ذر يحدث أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[٣] اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك) وعنه أيضا: أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة[٤] بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صدق).

وجاء في قصة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (أرض الجنة بيضاء، عرصتها صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل، فيها أنهار مطردة، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم، فيتعارفون، فيبعث الله ريح الرحمة، فتهيج عليهم ريح المسك، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنا وطيبا

ـة ونعيمها (٤)

فتقول: لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة، وأنا بك الآن أشد اعجابا).

وروي ابن أبي الدنيا[٥] عن أبي هريرة موقوفا قال: حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ودرجها الياقوت واللؤلؤ، قال: وكنا نحدث أن رضراض أنهارها اللؤلؤ وترابها الزعفران.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (خلق الله جنة عدن بيده، ودلّى[٦] فيها ثمارها، وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل).

وفي رواية قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (خلق الله جنة عدْن بيده، لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء، ملاطها مسك، حشيشها الزعفران، حصباؤها اللؤلؤ، ترابها العنبر، ثم قال لها انطقي، قالت: قد أفلح المؤمنون، فقال الله - عز وجل - وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل، ثم تلا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (ومن يوق شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون).

ونقل القرطبي[٧] عن الترمذي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لقيت ابراهيم - عليه السلام - ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرىء أمتك منّي السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

بقلم:
أ.د. عبد الباسط
احمد على حمودة
- مصر -

وقصص كثيرة تتحدث عن رائحة الجنة وطيبها منها: (وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) وفي أخرى: (وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا) وجاء أيضا (وأن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة).

وما حول الجنة يسمى ربض وهى تشبه ضواحي المدينة، وفي بعض المعاجم الربض كل ما تأوى إليه وتستريح من أم وزوج وبنت وقرابة وبيت وغيره. وفي القصص النبوي روى النسائي عن فضالة بن عبيد قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (أنا زعيم - والزعيم الحميل - لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت له في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا، ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت). قال عمر بن عبد العزيز والزهدي والكلبي ومجاهد: مؤمنو الجن في رُبُض ورحاب حول الجنة وليسوا فيها.

وأما ما جاء من القصص النبوي عن نور الجنة وبياضها فعن ابن عباس[٨] أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (خلق الله الجنة بيضاء، وأحب الزي إلى الله البياض

فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم، ثم أمر برعاء الشاء فجمعت فقال من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء، فجاءته امرأة فقالت: يارسول الله إني اتخذت غنما سودا فلا أراها تنمو، قال: عفري) وقوله (عفري) أي بَيِّضي.

وعن عطاء عن ابن عباس يرفعه: (إن الله خلق الجنة بيضاء، وإن أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم).

وروى البخاري عن عبد ربه الحنفي عن خاله الزميل بن السماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة، بعد ما كف بصره - فقال: (يا ابن عباس ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قلت: فما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التى تكون فيها قبل طلوع الشمس، فذلك نورها، إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير).

ومما يدل على شدة الأنوار في الجنة ما رُوي عن ابن عمر عن النبي {صلى الله عليه وسلم}[٩]: (والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود من الجنة مسيرة ألف عام).

قال ابن كثير[١٠]: ثبت في الصحيحين عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه، أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (جنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم - عز وجل - إلا رداء الكبرياء، على وجهه، في جنة عدن) وعنه أيضا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين) وعن أنس وأبى فلاته معاً مُرْسلا[١١]، (ليس هنالك - يعني في الجنة - ليل، إنما هو ضوء ونور، يرد الغدو على الرواح، والرواح على الغدو، وتأتيهم طرف الهدايا من الله المواقيت الصلاة التى كانوا يصلون فيها في الدنيا، وتسلم عليهم الملائكة).

في الجنة أنهار وسحب وأمطار وجبال وأودية

يتجلى للباحث المنصف والقارىء المتأمل مكانة السنة ومنزلتها في التشريع الإسلامي وبخاصة في شرح وبيان القرآن الكريم وتوضيح مقاصده. يتبين بوضوح مدى شناعة وجريمة أولئك الذين ينكرون السنة بزعم أن القرآن لا يحتاج إليها، لأنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أرشد إليها. وهذا جحود ومغالطة يأباها الواقع الذي يلمسه كل المشتغلين بالدراسات القرآنية والسنة المطهرة.

ولا نريد أن نستطرد في ذلك ولكن نعرض موقف القرآن في بيان أنهار الجنة، وهو بيان يؤدي الغرض المقصود والفائدة المرجوة في جو السياق والخطاب، وهنا تأتي السُّنة فتزيد الأمر توضيحا وشرحا وتفصيلا كما سنرى في قول الله تعالى: (مثل الجنة التي وُعدَ المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى).

وهنا نقف على مكانة السنة المطهرة ودور القصص النبوي في بيان هذه الأنهار، وذلك ما يعتمد عليه أهل التفسير والمشتغلين بالتأويل[١٢]، روي عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار

بعد) وفي قصة عن يزيد بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (هذه الأنهار تشخب من جنة عدن في جوبة ثم تصدع بعد أنهارا) وفي رواية: (إذا سألتم الله - تعالى - فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن).

وفي قصة أن لقيط بن عامر خرج وافدا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، قلت: يارسول الله فعلى ما تطلع من الجنة؟ قال {صلى الله عليه وسلم}: (على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من خمر ما بها صراع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة لعَمْرُ إلهك ما تعلمون خيرا من مثله، وأزواج مطهرة) قلت: يارسول الله أولنا فيها أزواج مصلحات؟ قال: (الصالحات للصالحين، تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذوا بكم، غير أن لا توالد).

وروي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض، والله إنها لتجري سائحة على وجه الأرض، حافتها قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر.

ويذكر القرطبي[١٣] من القصص النبوي ما يزيد الأمر وضوحا، ويعطي المؤمن صورة جلية كأنه يعاين الخبر عيانا بيانا، فيروى أن أنهار الجنة تجرى في غير أخدود، منضبطة بالقدرة.

ويروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (أنهار في الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال مسك).

ومن القصص الذي يتصل بأنهار الجنة ما روى عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (أربعة جبال من جبال الجنة، وأربعة أنهار من أنهار الجنة، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة، قيل: فمن الأجبل؟ قال: جبل أحد، يحبنا ونحبه، والطور: جبل من جبال الجنة، ولبنان: جبل من جبال الجنة، والجودي: جبل من جبال الجنة، والأنهار: النيل، والفرات، وسيحان، وجيحان. والملاحم: بدر ، وأحد، والخندق، وخيبر).

وعن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف عن أبيه عن جده قال: غزونا مع النبي {صلى الله عليه وسلم} أول غزوة غزاها الأبواء، حتى إذا كنا بالروحاء نزل بعرق الظبية فصلى بهم، ثم قال: (هل تدرون ما اسم هذا الجبل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال هذا خصيب جبل من جبال الجنة، اللهم فبارك فيه وبارك لأهله وقال للروحاء: هذه سجاسج واد من أودية الجنة، لقد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبيا، ولقد مر موسى - عليه السلام - عليه عباءتان قطونيتان على ناقة ورد في سبعين ألفا من بنى إسرائيل، حتى جاء البيت العتيق).

وعن حكيم بن معاوية، عن أبيه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن في الجنة بحر الماء، وبحر اللبن، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تنشق الأنهار بعد ذلك).

وجاء في البخاري من طريق شريك عن أنس - رضي الله عنه - في حديث الإسراء، (فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى في السماء؛ فإذا هو بنهر آخر، عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا

يا جبريل؟ قال: هذا الذي [illegible] لك ربك).

وأورد الإمام مسلم في صحيحه[١٤] من قصة الإسراء حدث نبي الله {صلى الله عليه وسلم} (أنه رأى أربعة أنهار، يخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت يا جبريل ما هذه الأنهار؟ فقال: أما النهران الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات).

وفي قصص نبوي يفصل نزول الأنهار في الأرض، ومنابعها في الجنة، وما تكون عليه هذه الأنهار عند نهاية الدنيا، مما يحتاج إلى نظر وتأمل فيما يحدث في زماننا هذا من قضايا المياه في الشرق الإسلامي.

فعن ابن عباس[١٥] ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (أنزل الله ـ عز وجل ـ إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون، وهو نهر في الهند ـ وجيحون، وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهر العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة، في أسفل درجة من درجاتها، على جناحي جبريل ـ عليه السلام ـ فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس، في أصناف معايشهم وذلك قوله ـ جل ثناؤه ـ {وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض} فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج، أرسل الله جبريل، رفع من الأرض القرآن، والعلم، وجميع الأنهار الخمسة، فيرفع ذلك إلى السماء، فذلك قوله ـ تعالى ـ {وإنا على ذهاب به لقادرون} فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض، فقد أهلها خيري الدنيا والدين).

وروى عن المسعودي قال: (مد الفرات على عهد ابن مسعود، فكره الناس مده فقال ابن مسعود: لا تكرهوا مده، فإنه سيأتي زمان يلتمس فيه طست مملوء من ماء فلا يوجد، وذلك حين يرجع كل ماء إلى عنصره، فيكون بقية الماء والعيون بالشام).

قال الإمام شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية[١٦]: (وقد تكرر في القرآن الكريم في عدة مواضع قوله تعالى: {جنات تجرى من تحتها الأنهار} وفي موضع: (تجرى تحتها الأنهار) وفي موضع: (تجري من تحتهم الأنهار) وهذا يدل على أمور؛ أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقة. الثاني: أنها جارية لا واقفة. الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم، كما هو المعهود في أنهار الدنيا. فإن أنهار الجنة وإن جرت في غير أخدود فهي تحت القصور والمنازل والغرف، وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها.

ونقل ابن القيم أن هناك أنهار أخرى بعيدة عن القصور والغرف والمنازل، فعن عبد الله بن وهب[١٧] حدثنا سعيد بن أبي أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهري أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (إن في الجنة نهرا يقال له البيدخ[١٨]، عليه قباب من ياقوت، تحته جوار، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيتصفحون تلك الجواري، فإذا أُعْجِبَ رَجُلٌ منهم بجارية مس معصمها فتتبعه).

وفي الجنة عيون كثيرة للماء تستخدم في الشراب وفي غير ذلك كما جاء في قوله تعالى: {إن المتقين في جنات وعيون} وقوله: {إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يُفَجِّرُونَها تفجيرا} وقال تعالى: {فيهما عينان تجريان} وقال

أيضا: {فيهما عينان نضاختان} ومعنى نضاختان فوارتان بالمادتين العطريَّتين أو فوارتان بالماء لا تنقطعان.

وروى عن أنس، رضي الله عنه، قال: نضاختان بالمسك والعنبر، ينضخان[١٩] على دور الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا[٢٠].

ونقل القرطبي في التذكرة قصة عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}«: (أربع عيون في الجنة: عينان تجريان من تحت العرش، إحداهما التي ذكرها الله: (يفجرونها تفجيرا) والأخرى: (نضاختان) من فوق العرش، إحداهما ذكرها الله سلسبيلا، والأخرى التسنيم).

وفي الجنة سحب تنزل أمطارا بما لذ وطاب مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهذا من زيادة النعيم والتكريم لأهل الجنة حين يتزاورون على المطايا والنجب، وفي هذه الزيارة يرون ما أخفي لهم من قرة أعين. فعن أيوب بن بشير[٢١] عن شفيع بن مانع أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله، فيأتيهم مثل السحابة، فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، فيقولون امطرى علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية، فتنسف كثبانا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقها، وفي رءوسهم، ولكل رجل منهم جمة، على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام، وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله أما لك فينا من حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحبك فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أو ما تعلم أن الله - تعالى - قال: {فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون} فيقول: بلى وربي، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم).

ومن أنهار الجنة نهر بارق على باب الجنة روى ابن عباس[٢٢] - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (الشهداء على بارق نهر على باب الجنة في قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا).

ومن أعظم أنهار الجنة وأشهرها نهر الكوثر الذى أعطاه الله لنبيه محمد {صلى الله عليه وسلم} روى أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أعطيت الكوثر، فإذا نهر يجرى على وجه الأرض، حافتاه قباب اللؤلؤ، ليس مسقوفا - فضربت بيدي إلى تربته، فإذا ترابه مسك أذفر، وحصباؤه اللؤلؤ) وجاء في وصفه أنه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، ترده طيور أعناقها مثل أعناق الجزور وأكلها أنعم منها، وآنيته كعدد النجوم[٢٣].

طعام أهل الجنة وشرابهم وآنيتهم:

فاضت السنة المطهرة بالقصص عن طعام وشراب أهل الجنة وآنيتهم، وكيفية الأكل والشرب وأنواع المأكولات والمشروبات، كل هذا

في أسلوب بليغ، وتصوير رائع يكشف عن خصائص جوامع الكلم التى أوتيها محمد {صلى الله عليه وسلم}.

ومن هنا نحاول أن ننظم وننسق هذا الكم الكبير من القصص الذى جاء في هذا المقام ونبدأ بقصة مشوقة ومثيرة من عدة وجوه: منها أنها جاءت في قالب الحوار بين حبر من أحبار اليهود وبين رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، ومنها أن الأسئلة موجهة على جهة التحدى والاختبار، الأمر الذى لفت نظر الصحابة وأثارهم أحيانا، ومنها وهو الأهم أن الأسئلة التى وجهت وإجاباتها من الأمور الغيبية التى لا يقدر عليها البشر العاديون.

نقل ابن قيم الجوزية[٢٤] عن مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: (كنت قائما عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يارسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذى سماه أهله، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: إن اسمى محمد الذي سماني به أهلى، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أينفعك شيء إن حدثتك؟ فقال: أسمع بأذنى، فنكت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعود معه فقال: سل. فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أول الناس إجازة[٢٥] يوم القيامة؟ قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد النون[٢٦]، قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها قال: فما شرابهم؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلا، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمعك بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل مَنيّ المرأة أذكرا بإذن الله تعالى، وإن علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله تعالى، قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله - عز وجل - به).

وتوضح قصة أخرى القصة السابقة ورواها البخارى عن أنس - رضي الله عنه - قال: (سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة وهو في أرض يخترف[٢٧]، فأتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفا، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية: {قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله} أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت انثى، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يارسول الله، إن

اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال: أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟ فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، فقال: هذا الذي كنت أخاف يارسول الله).

وروي أن كعبا قال: (إن الله - عز وجل - يقول لأهل الجنة ادخلوها، إن لكل ضيف جزورا وإني أجزركم اليوم، فيأتى بثور وحوت فيجزر لأهل الجنة).

وجاء في القصص النبوي عن جابر - رضي الله عنه - قال[٢٨]: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (يأكل أهل الجنة ويشربون، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء[٢٩] كريح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس).

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة فيجيء الإبريق فيقع في يده فيشرب، ثم يعود إلى مكانه)

وكان اليهود يعترضون على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويشككون في حديثه عن الجنة وأهلها وعن كثرة الطعام والشراب، وكثرة الأزواج والخدم، وسعة العطاء والملك في الجنة، وقد يكون هذا الاعتراض اختبارا ومراجعة لما في كتبهم، وقد يرى بعضهم أن الضيبيات ومنها الجنة ونحوها تعطيهم الفرصة في بذر بذور الشك في قلوب المسلمين، ولكن نرى في القصص النبوي ما يجلى الأمر ويبدد الشك، ويعطى الدليل على هذه الحقائق، وأن النبي {صلى الله عليه وسلم} مخبر عنها من قبَل الله تعالى.

وفي قصة رواها زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: (جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: نعم، والذى نفس محمد بيده، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع، قال: فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة، وليس في الجنة أذى؟ قال: تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك، فيضمر بطنه).

وفي الطبراني باسناد صحيح ولفظه في إحدى رواياته قال: (بينما نحن عند النبي {صلى الله عليه وسلم} إذ أقبل رجل من اليهود، يقال له ثعلبة بن الحارث، فقال: السلام عليك يا محمد، فقال: وعليكم، فقال اليهودي: تزعم أن في الجنة طعاما وشرابا وأزواجا؟ فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} نعم، تؤمن بشجرة المسك؟ قال: نعم، قال: وتجدها في كتابكم؟ قال: نعم، قال: فإن البول والجنابة عرق يسيل من تحت ذوائبهم[٣٠] إلى أقدامهم).

وجاء في القصص النبوي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - يرفعه قال: إن أسفل أهل الجنة أجمعين، من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم، مع كل خادم صحفتان، واحدة من فضة وواحدة من ذهب، في كل صحفة لون ليس في الأخرى مثلها، يأكل من آخره كما يأكل من أوله، يجد لآخره من اللذة والطعم مالا يجد لأوله، ثم يكون فوق ذلك برشح مسك وجشاء مسك لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن أدنى أهل الجنة منزلة إن له لسبع درجات، وهو على السادسة وفوقه السابعة، إن له لثلاثمائة خادم، وَيُغْدَى عليه كل يوم ويراح بثلاثمائة صحفة - ولا أعلمه إلا قال من ذهب - في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، ومن الأشربة ثلاثمائة إناء، في كل إناء لون ليس في الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يارب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء).

وفي الجنة طير يأكله أهل الجنة كما جاء في القرآن الكريم {ولحم طير مما يشتهون} وتتولى السنة المطهرة التفسير والتوضيح لهذا الطير، وذلك يكشف من مكانة السنة والحاجة إليها كما يكشف القصص النبوي في هذا المجال وفي غيره عن إعجاز النبوة، من حيث الإخبار عن الغيبيات، وعن الإعجاز في البيان النبوي في تفصيل حقائق ودقائق ما في الجنة من ألوان المأكولات والمشروبات، الأمر الذى يشهد لمحمد {صلى الله عليه وسلم} بالرسالة الخاتمة. والواقع أن ما جاء في القصص النبوي عن صفات طير الجنة، وكيفية أكله، مما سنراه يجعل القارىء على يقين بأن البشرية منذ خلقها الله لم تر ولم تسمع ولم يخطر على قلبها مثل هذه المخلوقات لولا أنها جاءت في هدي النبي {صلى الله عليه وسلم}.

ففي القصص النبوي عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «إن طير الجنة كأمثال البخت، ترعى في شجر الجنة، فقال أبو بكر: يارسول الله، إن هذه لطير ناعمة، فقال: أكلتُها أنعم منها، قالها ثلاثا، وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها» وسئل النبي {صلى الله عليه وسلم} ما الكوثر؟ قال: ذاك نهر أعطانيه الله، يعني في الجنة، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر[٣١]، قال عمر: إن هذه لناعمة، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أكلتها أنعم منها.

وتحكي لنا قصة كيف يصل الطير إلى أهل الجنة فيروى عبد الله بن مسعود[٣٢] - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه، فيجيء مشويا بين يديك). وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الطير من طيور الجنة، فيقع في يده منفلقا نضجا) وعن ميمونة - رضي الله عنها - أنها سمعت النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: «إن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيجيء مثل البختيّ حتى يقع على خوانه[٣٣] لم يصبه دخان ولم تمسه نار، فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير».

وتصف قصة نبوية طير الجنة بوصف لا يمكن أن يخطر بخيال بشر، لولا أنه حقيقة في الجنة عرفت عن طريق القصص النبوي، فعن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «إن في الجنة طائرا له سبعون ألف ريشة، يجيء فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة، فينتفض فيقع من كل ريشة لون أبيض من الثلج، وألين من الزبد، وألذ من الشهد، ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير».

ونقل القرطبي[٣٤] عن الثعلبي من حديث أبي الدرداء أن النبي {صلى الله عليه

وسلم} قال: «إن في الجنة طيرا مثل أعناق البخت، تصطف على يد ولي الله، فيقول أحدها: يا ولي الله رعيت في مروج الجنة تحت العرش، شربت من عيون التسنيم، فكل مني، لا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها، فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منه ما أراد، فإذا شبع تجمع عظام الطير فيطير يرعى في الجنة حيث شاء فقال عمر: يا نبي الله، إنها لناعمة، قال: أكلها أنعم».

ونقل صاحب كتاب حادي الأرواح[٣٥] عن بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: (إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئا إلا أُمْطِرُوا).

ونقل ابن كثير[٣٦] عن الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود، في قوله ـ تعالى: {يُسْقَونَ من رحيق مختوم ختامه مسك} قال: الرحيق الخمر، مختوم: يجدون عاقبتها ريح المسك.

وقال سفيان بن عطاء بن السايب، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: {ومزاجه من تسنيم} قال: هو أشرف شراب أهل الجنة، يشربه المقربون صرفا، ويمزج لأهل اليمين.

وثبت في الصحيحين عن حذيفة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا في صحافها، فإنها لهم فى الدنيا، ولكم في الآخرة) وفي التذكرة عن النسائى عن أبى هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة، ومن شرب من آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة) ثم قال: (لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة).

الهوامش :

(١) حادي الأرواح ص ١٧٢.
(٢) الملاط: الطين.
(٣) الجنابذ: جمع جنبذة وهي القبة.
(٤) الدرمكة: الخبز الصافي.
(٥) الترغيب والترهيب جـ٤ ص ٥١٢.
(٦) جعلها قريبة.
(٧) التذكرة ص ٥٦٨.
(٨) حادي الأرواح ص ١٧٦.
(٩) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١١١.
(١٠) النهاية في الفتن جـ٢ ص ٢٦٨.
(١١) منتخب الكنز جـ ٦ ص ١١٣.
(١٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٧٦.
(١٣) التذكرة ص ٥٢٣.
(١٤) جـ ١ ص ٣١٨.
(١٥) التذكرة ص ٥٢٤ وحادي الأرواح ص ٢٢٣.
(١٦) حادي الأرواح ص ٢١٧.
(١٧) ص ٢٢٣.
(١٨) البيدخ: العظيم أو البادن السمين.
(١٩) يرشان.
(٢٠) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٥١٨.
(٢١) حادي الأرواح ص ٣١٣.
(٢٢) النهاية في الفتن جـ٢ ص ٢٩٧.
(٢٣) سبق أن تكلمنا عليه عند القصص عن الحوض.
(٢٤) حادي الأرواح ص ١٩٥.
(٢٥) عبورا ومرورا.
(٢٦) كبد الحوت.
(٢٧) يخترف: يجني الثمر من بستان النخل.
(٢٨) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٥٢٤.
(٢٩) هو صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع.
(٣٠) الذؤابة: الضفيرة من الشعر.
(٣١) الجزر: الإبل، والبخت: الإبل الخراسانية.
(٣٢) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٥٢٧.
(٣٣) الخوان: ما يوضع عليه الطعام عند الأكل.
(٣٤) التذكرة ص ٥٦٤.
(٣٥) ص ٣١٢.
(٣٦) النهاية في الفتن جـ٢ ص ٣١٩.

بكائية إلى سوق عربية مشتركة



شعر: أ. د.
كمال إسماعيل
- مصر -

كـــوني أيا ســوقُ عُكاظيـــة
أو أنت فُسطاطيـــة في هناءْ
لا شـــرقُ أوسطيـــة، شنهـــا
الغـربُ على شرق شـديد العناءْ
تسـألُ عنك الدارُ في صـحنهـا
تحصُرُ مـا تدري، ومالا تشاءْ؟
ورأس مــــال الحيِّ مُستطلعٌ
والبـيعُ يُلقى سـمعـهُ للشـراءْ
والمصـرفيُّ اشـتـاق، عند الرِّبا
أن تُسفـري، بالوجـه ، بالأتقياءْ

* * *

والرِّبحُ يسـتـفـسـرُ عن أهله
كــمــا يناديهم أحـرُّ النداءْ
وصـوتهُ ينفـذ منْ مـعـقل
ولوْ عليـه ضـربوا بالخـبـاءْ
تُهـاجـرُ التـمـرة من غـصنهـا
والقـمـحُ منْ قـشـرته، من لحـاءْ
وتتْرُكُ الألبـــانُ حُلابَهـــا
وضـرعـهـا في بقـر ، أو بشـاءْ
وتقـصـد المؤمن في لهـفـة
إليـــه تبكى، وتطيل البكاء
فــمـا الذي يجـعل مـخطوية
للحرْف ، لا زينة ، لا كـهـرباءْ؟
هـل قـلّة الأدمـع فــي أعـين
الرزق ، وهذى قـشـرة من دمـاءْ؟
وهـذه قـنـطـرة مـن نـدى
وهـذه مـن نـسـج مـلـح ومـــاء
هل إنّها إجـهـاشـةٌ ؟ أنت ذي
مـبـحـوحـة منهـا لقرن السـمـاءْ؟
هـل رقـعـة المنديل ، وهـي التى
كادت تُصيبُ الكعب ، لولا الحياء
أمْ صـيـغـة للصـوت نفَّاذة
والصـوت عفـريت ، سليلُ الهـواءْ؟

* * *

بدونك الرُّقـعـة عُصـفـورة
في خـاطر النَّسْر ، وذهن الجـرَاءْ
وحـانةُ (للسَّبت) مـفـفـورة
لا سـوق الاثنين ، أو الأربعـاء
تزوَّدى للفـهـم ، لا تخـجلى
لا تفعلي ، لا تجلسي القرفصاءْ
فـقـد يكونُ الطيُّ ، لا حكمـة
فـيـه ، ولا يرقـد فـيـه ابتـلاءْ

* * *

لنسـأل القـوم الذين اهتـدى
السُّوق لهم ، ولتسـمعي في جلاءْ

* * *

لا لـوم لـو نـســأل آثارهـم
وننطقُ الذكرى، ونُجلي الخفـاء

فـقـد يفـيـد الغـابرُ المنقـضي
وتصلح الجـمـرة للاصطلاءْ
وينقل الأوّل للمـقـتـفي
مـا يوقف الآجال في الانتـهـاء

* * *

هناك بابٌ منه قـد أقـبلوا
من يثـرب ، تقـاطروا من حـراءْ
وفـارسٌ بُغـيـتـهم دارُها
ومـصرٌ والشّام مـحطُّ الرّجـاء
وهُمْ أقـلُّ الـنّاس فـي عُدّة
وأكـثـرُ الناس بيـوم اللقـاء
وكـسـرة الخـبـز لهـا وثبـة
من نجلهم ، حتى البعيد الإخاءْ
وكـفـة السلعـة مـغـزولة
لوجـهـة الشـرعـة ، لا للغـلاء
والجـارُ للجـار نصـيـر ، ومـا
من جـيـرة إلا عليـهـا لواء
والماء مـوصـول ، ومـاعُونُهُ
للطّبِّ ، للجـبـر ، لرسم الدّواء
والسـعى للدنيـا له أجـرُه
كـالكدِّ للأخـرى ، نظيـر ، سـواءْ
وألفـة السّبق دواليـبـهـا
منصـوصـة ، فوق ذراع الفضـاء

* * *

وهـان كـسـرى لفـقـيـر بهم
والفـقـر قـد يهـدم بيت الثـراء
وعرْش كسـرى اهتزَّ من تحـتهم
مـيـزانهُ، مـيـزابهُ ، والبنـاء
والشّام إذ طارده قـيـصـر
قـد طارد القـيصـر حـتى الفناء
وتمت الدنيـا بـأركـانهـا
بالعـدل ، والعـفّة ، لا الكبـريـاء

وأوسع اللهُ لهـا رزقـهـا
ببـيـت مـال عُمَريٍّ القـضـاءْ
ودارت الأرض بـنـا دورة
غـربيّة ، ثُمَّ انقـضـى هؤلاءْ

* * *

ومـن تُرى أحـسنَ حظا إذنْ
أنت أم الطيـر الرحـيب الإناء
والنّحْل باليـعسـوب يجني ، ومـا
أقـفل عنه الزّهرُ عَيْنَ الرّضـاء
والروض يعْشـوشبُ حـتى نرى
عليـه مـثل المنّ بعض الغـشـاء
ولست للرّوْض مـثـيـلا ، ولو
أتيت للرّوض ، ولوذاك جـاء

* * *

هـا أنت للأضـداد مـرصـودة
راسـفـة فـيـهـا رُسوف الإمـاء
هل كـان من جـد لدى الملتـقى
أسلف ذنبـاً ، أو حـفـيـد أسـاء؟؟
أو صـاحب قـدْ أدمن الذّمّ ، قـدْ
خـاض إلى الناس بحـارَ الهـجاءْ
وأنت منْ لحـمـتـه قـبـضـة
طالبـهـا الدّيْنُ بهـذا الأداء

* * *

اللـهُ في رحـمـتـه واسع
قـد وزن الوزر ، وقـاس الجـزاء
فـأرسل الإفطار من فـيـضـه
إلى شظاياك ، وسـاق العـشـاء
والثّوب ، كي يسـتـر مـا فـرّقتْ
يدان ، قـدْ وزّع فـيك الكسـاء
والخـيـط والإبـرة كي تـرْتُقي
مـا شتَّ منهُ ، كي تلُمِّي الرِّداء

نظرية الخيال:

الفيلسوف محي الدين بن عربي ونظريات الخيال المعاصر

بقلم: د. شريف مفلح
- سوريا -

يتكيء النقاد العرب المعاصرون أثناء حديثهم عن الخيال على نظرية «كولردج» ويعودون اليها كثيرا، خصوصا في أفضل شروحها عند «ريتشاردز» بحيث لا يخلو كتاب نقدي عربي يتطرق إلى موضوع الخيال من اشارات اليها.

وبمقدار التركيز على كتابات الأب الحقيقي لنظرية الخيال الحديثة، يتجاهل النقاد الاضافات الكبرى التي قدمها مفكر وشاعر عربي يجوز لنا أن نعتبره، بدون مبالغات، من أكبر المساهمين في صياغة نظرية الخيال بشكلها المعروف في النقد الغربي، بحيث يستغرب الباحث مواطن الشبه الكبيرة والكثيرة بين ما كان يقدمه محي الدين بن عربي قبل عدة قرون وبين ما جاء به «كولردج» و«رامبو» و«بودلير» واصحاب فكرة الخيال الاجمالي كـ «كلودبرنارد» و«باستير» وغير ذلك من النظريات المعروفة في القرنين الاخيرين.

دراسات الخيال:

قبل أن نوغل في هذا البحث الشائك، يفضل أن نلاحظ أن هناك اشكالية لغوية أولية في دراسات الخيال بالعربية، فمن المعروف أن كلمة Imagination التي تم اشتقاقها من الاصل اللاتيني Imagintion لا علاقة لها بالمصطلح اليوناني الذي استخدمه العرب للاشارة إلى الخيال وهو كلمة phantasia التي نقلها الفيلسوف الكندي، وعممها بشكل مبكر من ازدهار حركة الترجمة فخلط التوهم بالتخيل، ولم يتحرج من جاء بعده من استخدامها للدلالة علي المعنيين.

والاكثر غرابة، من اضافات محي الدين بن عربي الجديدة إلى نظرية الخيال جرأته على إذاعتها في عصر كثرت فيه الكوابح الدينية والاخلاقية وضيق خلاله

** الخيال عند ابن عربي ساهم كثيرا في صياغة نظرية الخيال الحديثة

المتكلمون والفلاسفة مجال الابداع، وربما كان محي الدين بن عربي مهيئا اكثر من غيره للقيام بذلك الدور، فهو أجرأ من انتقد الفلاسفة والفقهاء.

معارك فلسفية :

{الذين ينكرون موهبة الخيال يجحدون قدرة الله} بهذا السلاح الضخم المرعب دخل محي الدين بن عربي المعركة ضد الفلاسفة والفقهاء، وتطرف في فهم الخيال إلى درجة قرر معها أن صاحب الكشف يستطيع أن يرى في المداد الذي في الدواة جميع ما فيه من الحروف والكلمات. وهذا النوع من الشطحات الخيالية لن نجده إلا عند رامبو في وقت لاحق، لكنه كان ضروريا ومقنعاً على ما يبدو، فلكي تزرع فكرة ما في أرض معادية، لابد أن تبالغ فيها. فإذا اقتنع الناس بنصف ما تقوله، أو صدقوه، ربحت المعركة، ولن يضيرك أن تتخلى عن النصف الآخر ما دامت الأمور تسير في الاتجاه المرسوم. والصعوبة الكبرى في فهم الخيال عند محي الدين بن عربي تتمثل في تخليص الفن من الدين، وهي مهمة شاقة، لا سيما إذا علمنا أن الشاعر المتصوف لم يكن يجيد التفريق بين ما يصدر عنه عن طريق التفكير وما يصدر عنه عن طريق الالهام.

ابن عربي ونظرية الخيال :

بعض جوانب نظرية الخيال عند محي الدين بن عربي لا يمكن بحثها على أنها نشاط انساني لإحدى الملكات البشرية المعروفة، لأنه يخلق لنا فكرة في غاية التضليل يسميها «الاسراء الروحاني» ويربطها بالقدرة الالهية وقد صادفت مشكلة التفريق بين الميتافيزيقي والارضي عند ابن عربي العلامة الفرنسي «هنري كوربان» فعالجها في كتابه الهام «الخيال الخالق في تصوف ابن عربي». كما صادفت المشكلة نفسها الدكتور محمود قاسم الذي وضع كتابا في مذهب ابن عربي درس فيه المسألة من منظور مختلف، إن لم نقل معاكسا، ففي الوقت الذي قرر فيه كوربان أن يبدأ في الميتافيزيقي وصولا إلى الانساني اختار الدكتور قاسم أن يبدأ من الانساني.

الخيال من القوى المعنوية التي تنمو بنمو الانسان

على صعيد منهجي بحت، لا أرى ما يمنع من تبني الاتجاهين والتوحيد بينهما، لأن موضوع الخيال له جذره الحسي المرتبط بالارض، وللصور والمعارف الانسانية امتداداتها وتجلياتها الغامضة التي لا يمكن للعقل البشري أن يفهم بعضها، لارتباطها بالمعارف الحدسية

والكشوفات الروحية. ومن هنا يصبح الجمع بين منهج «كوربان» ومنهج الدكتور «قاسم» ضروريا لرسم الصورة الكلية للخيال عند المفكر والشاعر الذي صرف حياته في تطور نظرية الخيال، وقدره حق قدره، فاعتبره في القمة من سلم المعارف الانسانية، وتحسر على الحكماء والفلاسفة الذين أهملوا دراسة الخيال فنقصهم علم شموخ هذه المرتبة على سائر المراتب.

وقد بدأ محي الدين بن عربي تطويره لمفهوم الخيال، على طريقة الشعراء الرومانسيين في القرن التاسع عشر في مرحلتهم التي سبقت إقامة العلاقة اللاشعرية بين الشعر والعلم على يد البرناسيين. فأقام القطيعة مع العقل، وشكك بطرقه وأساليبه، فلا هو قادر على الكشف عن طاقات الروح، ولا هو يصلح لتمهيد طريق الايمان، ولا هو مؤهل للحكم على التجارب الوجدانية. وقد ذهب محي الدين بن عربي في ثورته ضد العقل ومبالغته في الاعلاء من شأن الخيال إلى حد التشكيك بأن يكون العقل صالحا لتحصيل المعرفة: «ومن لا يعرف مرتبة الخيال، فلا معرفة له جملة. وهذا الركن من المعرفة إذا لم يحصل للعارفين فما عندهم من المعرفة رائحة».

ونميل إلى الظن أن ابن عربي قد وقف هذا الموقف أيضا ليضع حاجزا واضحا بين علوم الظاهر وعلوم الباطن. فما دام العقل هو طريقة أهل الظاهر في الوصول إلى الحقيقة، فلابد أن يكون لأهل الباطن وسيلتهم. وقد وقع خياره بذكاء شديد على الخيال ليوازنه بقدسية مبدأ العقل عند أهل الظاهر:

لفؤادي أو فؤاد من له
مثل ما لي من شروط العلما
صفة قدسية علوية
أعلمت أن لصدقي قدما
فاصرف الخاطر عن ظاهرها
واطلب الباطن حتى تعلما

ابن عربي والخيال:

اعتقد محي الدين بن عربي أن الخيال من القوى المعنوية التي تنمو بنمو الانسان، وأعطاه نور الوسيط بين عالم الحس وعالم الغيب. وترك له المجال مفتوحا ليضيف إلى قوته وطاقاته على الدوام، فجميع القوى المعنوية كالعقل والذاكرة والحافظة تولد مكتملة إلا قوة الخيال التي تبدأ صغيرة محدودة، ثم تكبر وتتطور كلما تقدم العمر وزادت التجارب.

الخيال نور تدرك به التجليات

وحين جاء محي الدين بن عربي إلى توصيف الخيال تابع إخوان الصفا في الاعتقاد بطبيعة النورانية «الخيال أحق باسم النور من جميع المخلوقات النورية، فنوره لا يشبه الانوار، وبه تدرك التجليات، وهو نور عين الخيال لا نور عين الحس»، ونظرا لهذه الطبيعة النورانية نفى ابن عربي عن الخيال إمكانية الخطأ، لأنه ليس مصدرا للأحكام، وإذا كانت هناك اخطاء فمن الواجب أن ننسبها إلى العقل الذي هو مصدر الحكم والتمييز وهو مصدر القصور في الوقت ذاته.

وعلى هذا الصعيد يجب ألا يغيب عن بالنا أن أوجه اللقاء بين الصوفية العربية

** شطحات ابن عربي خلطت بين الخيال والوهم.
** العالم المرئي ليس سوى مخزن للصور والاشارات .. والخيال يعطيها قيمتها

والرومانسية الغربية كمصانع بشرية كبرى للاحلام ومزارع رائعة لتجريب عمل الخيال قد سمحت بتطوير نظرية الخيال في اتجاه مواز عند الطرفين. لقد فرق محي الدين بن عربي بين الادراك الخيالي، والادراك الحسي، ووضع الادراك الخيالي في مرتبة أعلى وأقام الفروق بين ما ندركه بعين الحس وما ندركه بالخيال، واستطاع أن يفرق بطريقة فريدة بين خيال المبدعين وخيال المجانين والموسوسين، ولكنه لم ينج هو نفسه من ممارسة خيالات المهلوسين Hallucination فقد زعم ذات مرة أنه أسرى به الخيال ليشاهد العرش.

شطحات وهلوسات:

هذه الشطحات كلها، قد تجد تفسيرها عند يونغ الذي يعيد أمثالها إلى الرموز التي تمس وتراً خاصاً في الذهنية السامية. والحقيقة أن هذه الشطحات بالذات تمنعنا من القول بأن ابن عربي كان يفرق بين الخيال والوهم كما فعلت النظريات الحديثة.

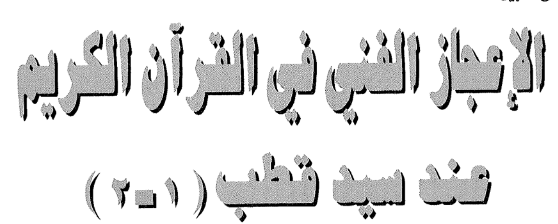
بجانب هذه الشطحات التي لا تجد تفسيرها السهل عند العاقلين قدم محي الدين بن عربي مجموعة أفكار ذات قيمة استثنائية، فآمن بأن الخيال يعمل أثناء النوم. وشبه النفس التي تطلع على ما خزنته من الصور الخيالية أثناء النوم كالملوك الذين يدخلون خزائنهم في أوقات فراغهم ليعيدوا اكتشاف ما فيها. ويذكرنا هذا المنحنى بناقد الرمزية «تندال» الذي ذهب إلى الاقرار بأن العالم المرئي ليس سوى مخزن للصور والاشارات التي تظل بحاجة إلى من يكتشفها إلى أن يأتي الخيال ويهيىء لها مكانها ويضفي عليها قيمتها.

إن الانجاز الكبير الذي قدمه محي الدين بن عربي يتمثل في ابتكار علم الضربة أو الرمية أو النظرة. ويقصد به الحدس الخيالي الذي يسطع دون سابق انذار ليكشف حقائق الاشياء الغامضة في لمحة عين، والى هذا العلم بالذات يدين المبدع والمخترع بانجازاته. ففي لحظة من اللحظات يتوقف العقل، وتصبح المعرفة الحدسية، عن طريق الرمية هي الوسيلة الوحيدة للكشف، ويصبح الحدس الخيالي الذي يمكن أن نعتبره عنوان العبقرية، والقاسم المشترك بين الشعراء والعلماء هو الطريق الوحيد لإنجاز الأعمال الموصوفة بالجدة والابتكار.

وقد مهد علم الرمية عند ابن عربي لتطوير نظريات الحدس الخيالي، لا سيما عند «بودلير» و«رامبو» اللذين نستطيع أن نجد بقليل من التدقيق جذور كشوفاتهما في الشطحات الابن عربية التي أهملنا دراسة تأثيرها على نظرية الخيال الغربية المعاصرة التي تدين لشاعرنا ومفكرنا العربي بعمودها الفقري.

اتجهت الدراسات حول الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم في منتصف القرن الرابع عشر الهجري إلى حقل الأدب والنقد، وكان المسوغ لذلك أن القرآن الكريم إذا كان كتاب عقيدة وشريعة، فهو أيضا نص أدبي رفيع، يحتل المكانة الأولى في الأدب العربي، ويعتلي ذروة النثر الفني في أسمى صيغة تعبيرية محكمة.

وإذا كان القرآن الكريم قد خلع على اللغة العربية سمة الخلود باستعمال موادها اللغوية، فإنه أيضاً قد خلد الأدب العربي بهذه النصوص البيانية المحكمة التي تناولها في شتى الأغراض والمقاصد، مدللا بها على صدق دعوته إلى الناس، فهو المعجمُ الفني للأداء الأسلوبي - إن صح هذا التعبير - الذي لم تعرف العربية أسمى منه في استعمال تراكيبها، وطرائق تعبيرها.



الإعجاز الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب (١-٢)

وقد حاولت هذه الجهود أن تأخذ في دراسة النص القرآني بمنهج التحليل الفني الذي يطبّق على فنون الأدب، للكشف عما يتمتع به النص القرآني من إشباع فني، ودقة في التصوير، وإحكام في الأداء، وإبداع في الإيقاع، وتنسيق في المعاني وترابط فكري، واتحاد نفسي، وجمال في التركيب كله.

والفن إذا أضيف الى القول، فإنه يعني المهارة والإبداع، والقدرة على صياغة الكلام بطريقة تؤدي إلى جذب السامع، وإقناعه بإثارة كل ما فيه من حواس ومدركات لإحداث الاستجابة المطلوبة، وقد أخذ ذلك في القرآن جانب الإعجاز[١].

ودراسة أسلوب القرآن وطريقة الأداء فيه هي محور الدراسة الفنية التي تحاول الكشف عن ذلك الذي بهر العرب، وأثار نفوسهم عند تلقيه، حتى انتهوا آخر الأمر إليه منصاعين لبيانه، يسمعون فيطيعون.

ولعل سيد قطب[٢] هو رائد هذا الاتجاه في الدراسة، حيث كان أول من كتب في التصوير الفني، ومشاهد القيامة في القرآن، وكان المنهج الفني الذي نهجه في ذلك يعتمد على أسس بلاغية أسهم في بنائها كثير من البلاغيين العرب القدماء.

ويرى الدكتور مصطفى ناصف أن الدراسات الفنية الحديثة للقرآن الكريم تعد امتداداً طبيعياً لفكرة النظم، التي ركز دعائمها عبد القاهر الجرجاني[٣] وقد سبقها تحسس فني عند العرب، تلمس معالمه عند كثير من الكتاب

بقلم: د. أحمد أحمد غريب
- الرياض -

والنقاد كالجاحظ وابن قتيبة، والمبرد، وعلي بن عبد العزيز الجرجاني، والآمدي، وأن هؤلاء نزعوا إلى طريقة التوضيح دون كشف التأثير في أغلب الأحيان، وكشف التأثير يعتمد على الذوق والعمق في تحليل النصوص[٤].

تأثره بنظرية النظم:

ويلاحظ أن سيد قطب قد تأثر بالسابقين عند تطبيقه المنهج الفني لإظهار إعجاز القرآن من هذه الناحية، وممن تأثر بهم على وجه الخصوص: عبد القاهر الجرجاني صاحب دلائل الإعجاز ومحمود بن عمر الزمخشري صاحب تفسير الكشاف (ت ٥٣٨هـ) ولعل منهج سيد قطب في ذلك يعد شرحاً معاصراً لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، فالمعروف أن للنظم عند عبد القاهر معنيين: معنى لغوي، وهو ضمّ الشيء إلى الشيء كيفما جاء واتفق، ويسميه أيضاً بالنظم في الحروف، وهو يعني توالي النطق دون مراعاة ما يرسم بمقتضى العقل الذي يطلب التحري في النظم[٥] ثم المعنى الذي يسميه بنظم الكلم، وهو غير المفهوم اللغوي، وحقيقته أنك تقتفي في نظم الكلم آثار المعاني، وفي ترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، أي التناسق في الدلالة، والتلاقي في المعاني على الوجه الذي يقتضيه العقل[٦].

ويُشبه الجرجاني الكلمة المفردة بالفضة أو الذهب الخام، وهي لا تعطي على هذه الهيئة سواراً أو خاتماً إلا بعد عملية السبك، وكذلك الكلمة المفردة التي هي عبارة عن أسماء وأفعال وحروف، لا تكون كلاما أو شعراً من غير أن يَحْدُثَ فيها النظم[٧].

وعلى ذلك فالنظم عند الجرجاني هو التعبير، الفني لا اللغوي على وجه الخصوص، ومن ثم حاول سيد قطب أن يجمع تلك الخصائص التي تميز بها التعبير القرآني في أدائه المعجز وأرجعها إلى (التصوير) الذي يجسد العبارة القرآنية، ويبرزها في حضور دائم، ويمنحها حياة متجددة لا تخلق على الرد.

ويرى سيد قطب أن السمة الأولى للتعبير القرآني هي اتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية، وإبرازها في صورة حسية، والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية والحوادث الماضية، والقصص والنماذج الإنسانية، كأنها كلها حاضرة شاخصة بالتخييل الحسي[٨].

وقد نعى سيد قطب على القدماء أنهم طمسوا معالم هذا الجمال الفني في رسم الصورة للمعاني المتناولة عند تعرضهم لبلاغة الآيات القرآنية وأنهم شوهوا هذا الجمال بمحاولة تلمس القواعد والتقنينات التي يُخضعُون لها الآيات بلاغياً.

يقول سيد قطب: ففي تعبير جميل كهذا التعبير: {ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم}[٩].

هذا التعبير الذى يرسم صورة حية للخزي في يوم القيامة، ويصور هؤلاء المجرمين شخوصاً قائمة يتملاها الخيال، وتكاد تبصرها العين لشدة وضوحها وتسجيل هيئتها «ناكسوا رءوسهم» وعند من؟ «عند ربهم» .. فيخيل للسامع أنها حاضرة لا متخيلة.. هذه الصورة لا تساوي عند باحث في البلاغة إلا أن يقول: وأصل الخطاب أن يكون لمعيَّن، وقد يُتْرك لغير مُعَيَّن، كما تقول: فلان لئيم إن أكرمته أهانك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، فلا تريد مخاطباً بعينه، بل تريد إن أكرم وأحسن إليه، فتخرجه في صورة الخطاب ليفيد العموم، أي أن سوء معاملته غير مختص بواحد دون واحد، وهو في القرآن كثير كقوله تعالى: {ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم} أخرج في صورة الخطاب لمَّا أريد العموم للقصد إلى تفظيع حالهم، وأنها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاؤها، فلا تختص بها رؤية راء، بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل في هذا الخطاب ، ثم يقول سيد قطب: «وبهذا تُطوى الصورة الفنية الحية، وتنتهي إلى أن تكون تفظيعها لحالهم التي تناهت في الظهور»[١٠]، ومنه وضعهم هاتين الآيتين تحت قاعدة: التعبير عن المستقبل بلفظ المضي، تنبيها على تحقق وقوعه، وأن ما هو للوقوع كالواقع، والآيتان هما قوله تعالى: {ونُفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله} (سورة الزمر آية ٢٨) وقوله تعالى: {ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، قالوا إن الله حرّمهما على الكافرين} (الأعراف/ ٥٠).

الأداة المفضلة في أسلوب القرآن:

وطريقة القرآن الكريم في تصوير المعاني والأغراض والمقاصد في صورة شاخصة حاضرة مُحسّة، يراها سيد قطب الأداة المفضلة في أسلوب

القرآن، والقاعدة الأولى للبيان فيه، وهي الطريقة التي يتناول بها جميع الأغراض، وهي الخصيصة التي لا يخطئها الباحث في جميع أجزاء الكلام[١١] وحد الإعجاز فيها أنها تنقل المعاني والحالات النفسية في صورتها الذهنية التجريدية إلى هيئة تشخيصية حية نابضة.

فالمعاني في الصورة الذهنية التجريدية تخاطب الذهن والوعي، وتصل إليها مجردة من ظلالها الجميلة، وفي الهيئة التشخيصية تخاطب الحسّ والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ شتى، من الحواس بالتخييل والإيقاع، ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأضواء والأصداء ويكون الذهن واحداً من منافذها الكثيرة الى النفس، لا منفذها الوحيد.

إعجاز في الموضوع والأداء:

وإذا كان سيد قطب يرى أن الإعجاز القرآني متحقق في القرآن بصورة مطلقة في كل ما جاء به من تشريع، وهدي ونظم، وقوانين، وأصول .. فهو يرجع هذا الإعجاز كله إلى النظم والأسلوب، والتعبير والأداء، الذي جاء في أعلى قمم الجمال الفني، وعلى ذلك فالإعجاز عنده يتمثل في نوعين: إعجاز في الموضوع، وإعجاز في الأداء[١٢] «فالذين يدركون بلاغة هذه اللغة، ويتذوقون الجمال الفني فيها، يدركون أن هذا النسق من القول لا يستطيعه إنسان، وكذلك الذين يدرسون النظم الاجتماعية والأصول التشريعية، ويدرسون النظام الذي جاء به القرآن، يدركون أن النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار والتقلبات في يسر ومؤونة .. كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشري واحد، ومثلهم الذين يدرسون النفس الإنسانية، ووسائل الوصول إلى التأثير فيها وتوجيهها، ثم يدرسون وسائل القرآن وأساليبه .. فليس هو إعجاز اللفظ والتعبير وأسلوب الأداء وحده، ولكنه الإعجاز المطلق الذي يلمسه الخبراء في هذا وفي النظم والتشريعات، والنفسيات، وما إليها .. والذين زاولوا فن التعبير، والذين لهم بصر بالأداء الفني، يدركون أكثر من غيرهم مدى ما في الأداء القرآني من إعجاز في هذا الجانب[١٣].

أمثلة حية:

وقد ضرب سيد قطب أمثلة للمعاني التي تناولها القرآن الكريم في صورتها الذهنية التجريدية، وفي صورتها التشخيصية التي رسمها القرآن لها تدليلا على أن التصوير هو القاعدة الأصيلة في التعبير القرآني.

فمعنى النفور الشديد من دعوة الإيمان يُنقل إليك في صورته *الذهنية التجريدية هكذا: إنهم لينفرون* أشد النفور من دعوة الإيمان، فيتملى الذهن وحده معنى النفور في برود وسكون، ثم يُنْقَل إليك في هذه الصورة العجيبة في الآية الكريمة: {فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُرٌ مُسْتنفرة، فَرَّت من قَسْوَرَة} (سورة المدثر/ ٤٩ ـ ٥١). فتشترك مع الذهن حاسة النظر، وملكة الخيال، وانفعال السخرية، وشعور الجمال.. السخرية من هؤلاء الذين يفرون كما تفر حُمُر الوحش من الأسد، لا لشيء *إلا لأنهم يدعون إلى الإيمان، والجمال الذي* يرتسم في حركة الصورة حينما يتملاها الخيال في إطار من الطبيعة تشرد فيه هذه الحُمُر يتبعها «قسورة» المرهوب، فللتعبير هنا ظلال حوله تزيد من مساحته النفسية ـ إن صح هذا التعبير[١٤].

ويرى سيد قطب أن المعاني الذهنية والحالات المعنوية في القرآن الكريم لم تستبدل بها صور فحسب، ولكن اختيرت لها صور حية، وقيست بمقاييس حية، ومرت خلال وسط حي.

فهول الساعة العظيم يُصوِّر في ذهول المرضعات عما أرضعن، وتخلي الحاملات عن حملهن، وترنح السكارى وما هم بسكارى، ويقاس بمدى فعل الهول في هذه النفوس الآدمية لا بالألفاظ والأوصاف التجريدية، أو يُصوَّر في فرار المرء من أخيه وأمه وأبيه وفصيلته التي تؤويه، حيث يكون لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه، فهو يقاس بأثره في النفس الإنسانية لا بالمقاييس الأخرى الوصفية[١٥].

وهو يرى أن القرآن الكريم كما يصور المعاني المجردة الذهنية يصور أيضاً الحالات النفسية والمعنوية، فعندما يريد أن يكشف عن حال أولئك الذين يهيئ الله لهم المعرفة فيفرون منها كأن لم تهيأ لهم أبداً، ثم يعيشون بعد ذلك هابطين تطاردهم أنفسهم وأهواؤهم بما عملوا وبما جهلوا، فلا هم استراحوا بالغفلة، ولا هم استراحوا بالمعرفة، يرسم

لهم هذه الهيئة: {واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث}[١٦]. يقول سيد قطب: وفي الصورة تحقير وتقذير - وذلك غرض ديني لا شأن لنا به هنا - ولكنها - من الوجهة الفنية - صورة شاخصة فيها الحركة الدائبة، وهي صورة معهودة، فهي في تثبيت المعنى المراد بها أشد وأقوى، وهكذا يلتقي الغرض الديني بالغرض الفني، كالشأن في جميع الصور التي يرسمها القرآن[١٧]. ويرى سيد قطب أن القرآن يتبع هذه القاعدة في تصوير المعاني حتى عند القَصِّ عن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وابنه إسماعيل عند بناء الكعبة حيث يقول جل شأنه: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربَّنا تقبَّل منّا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مُسْلمِيْن لك ومن ذُرِّيتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم}[١٨].. حيث يقول سيد قطب: لقد انتهى الدعاء، وانتهى المشهد، وسدل الستار.. وهنا حركة عجيبة في الانتقال من الخبر الى الدعاء، وهي التي أحيت المشهد، وردته حاضراً، فالخبر: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يدعوان هذا الدعاء الطويل.. وكم في الانتقال هنا من الحكاية إلى الدعاء من إعجاز زمني بارز، يزيد وضوحاً لو فرضت استمرار الحكاية، ورأيت كم كانت الصورة تنقص لو قيل: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يقولان ربنا.. إنها في هذه الصورة حكاية، وفي الصورة القرآنية حياة.. وهذا هو الفارق الكبير، إن الحياة في النص القرآني لتثب متحركة حاضرة، وسر الحركة كله في حذف لفظة واحدة، وهذا هو الإعجاز[١٩].

وفي الحلقة القادمة بإذن الله نتابع جوانب هذا الإعجاز الفني عبر آيات هذا القرآن العظيم وصدق الله العظيم: {أم يقولون تقوَّله، بل لا يؤمنون، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين} (سورة الطور الأيتان ٣٣ - ٣٤).

- للدراسة صلة -

الهوامش:

(١) جاء في لسان العرب (مادة فَنَّ): والرجل يفن الكلام أي يشتق في فن بعد فن، وافتن الرجل في حديثه وخطبته: جاء بالأفانين، وافتن: أخذ في فنون من القول، وانظر في ذلك أيضاً: سيد قطب (التصوير الفني في القرآن) ط ٦ - القاهرة دار الشروق ١٩٨٠م ص ٢٠٤ وما بعدها، وكذا محمد قطب (منهج الفن الإسلامي) دار الشروق - بيروت ص ١٨، والدكتور/ عبد الحميد يونس (الأسس الفنية للنقد الأدبي) القاهرة - مطبعة المعرفة ١٩٦٦م ص ١١.

(٢) سيد قطب إبراهيم، من مواليد قرية (موشا) من أعمال محافظة أسيوط بصعيد مصر، ولد عام ١٩٠٦م، وتخرج في كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٣٣م، وعمل بوزارة التربية والتعليم التي أرسلته عام ١٩٤٤م في بعثة للدراسات العليا بأمريكا، ومن مؤلفاته: في ظلال القرآن، والتصوير الفني في القرآن، ومعالم في الطريق، والعدالة الاجتماعية في الإسلام، توفي عام ١٩٦٥م، انظر عبد الباقي حسين: سيد قطب حياته وأدبه، ط (المنصورة - دار الوفاء طبعة ١٩٨٦م) ص ١٧.

(٣) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، من علماء البلاغة في القرن الخامس الهجري، توفي سنة ٤٧١هـ، ومن مؤلفاته: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة.

(٤) د. مصطفى ناصف، الصورة الأدبية (دار مصر للطباعة والنشر ١٩٥٨م) ص ٨٣.

(٥) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق الشيخ محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا - الطبعة السادسة (القاهرة - مكتبة صبيح ١٩٦٠م) ص ٥٧.

(٦) المرجع السابق ص ٣٥.

(٧) المرجع السابق ص ٤٩، ٣٠٢.

(٨) سيد قطب: النقد الأدبي - أصوله ومناهجه - (الطبعة الخامسة - دار الشروق).

(٩) سورة السجدة آية ١٢.

(١٠) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ط ٦ (القاهرة - دار الشروق ١٩٨٠م) ص ٢٦ - ٢٧.

(١١) المرجع السابق ص ٥٩.

(١٢) في ظلال القرآن ط ١٣ (القاهرة - دار الشروق ١٩٨٧م) المجلد الثالث جـ٨ ص ١٤٢١، وانظر كذلك نفس المرجع جـ٧ ص ١٠٤٠، وص ١٠٩٣.

(١٣) المرجع السابق مجلد ٣ ص ٢٧٨٥.

(١٤) التصوير الفني في القرآن ص ١٩٥.

(١٥) المرجع السابق ص ٢٠٠.

(١٦) سورة الأعراف الآية ١٧٦، وانظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثالث جـ ٨ ص ١٣٩٦.

(١٧) التصوير الفني في القرآن ص ٣٩.

(١٨) سورة البقرة الآيتان ١٢٧ - ١٢٨.

(١٩) التصوير الفني في القرآن ص ٤٨ - ٤٩.

شعراء من التراث (٣):

عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٥٣هـ)

هو ابن الخليفة الأول، وكان اسمه في أول الأمر عبد العزي، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام سماه عبد الرحمن، والمؤمنون يذكرون أن له صحبة بالرسول، ولم يهاجر مع أبيه، وإنما ظل بمكانه، ثم كان خروجه قبل الفتح مع فتية من قريش، وقيل: بل كان إسلامه في يوم «الفتح» والمعروف أنه اشترك في الحروب الإسلامية المبكرة، فقد كان أحد الرماة، ومما يروى عنه، أن محكم اليمامة وقف على ثغرة يحميها من المسلمين، فما كان منه إلا أن رماه، ومن هنا فتح مجالا للمسلمين وكان النصر[١]، وكان يلقب ابن أبي عتيق، شهد بدرا وأحدا كافرا ثم أسلم.

ومن المواقف التي تحفظ له أنه أخذ موقفا من بيعة «يزيد» فحين دعا مروان إلى هذه البيعة وقف عبد الرحمن مغاضبا، وقال: إنما تريدون أن تجعلوها كسروية أو هرقلية[٢].

بقلم:
أ.د. عبده بدوي
كلية الآداب - جامعة الكويت

كما قيل عنه: لم نجرّبْ عليه كذبة قط، وأنه هو الذي كان يأتي بالطعام وأخبار قريش إلى الغار تلك الليالي الثلاث[٣].

وقد حدث أن استهام بليلى بنت الجودي بن عدي بن عمرو بن أبي عمر الغساني أحد ملوك الشام وكان أن قال فيها:

تذكرت ليلى - والسماوة دونها
وما لابنة الجودي ليلى وما ليا
وأنّي تعاطى قلبه حارثية
تحل ببُصْرَى أو تحل الجوابيا
وكيف يلاقيها، بلى، ولعلها
إذا الناس حجوا قابلا أن تلاقيا

كما قال:

يا ابنة الجودي قلبي كئيبُ
مُستهامٌ عندها ما ينيبُ
ولقد لاموا، فقلت: دعُوها
إن من تنهون عنه حبيبُ
إنما أبْلى عظامي وجسمي
حبُّها.. والحبُّ شيء عجيبُ

والسبب في هذا الحب، أنه كان في زيارة لبلاد الشام فرآها فأعجب بها، وهو نفسه يقول: والله ما رأيتها قط إلا ليلة في بيت المقدس في جَوَار ونساء يتهادين، فإذا عثرت إحداهن قالت: يا ابنة الجودي، وإذا حلفت إحداهن حلفتْ بابنة الجودي، وقد وصل هذا الأمر عمر بن الخطاب، فكتب إلى صاحب الثغر الذي هي فيه: إذا

فتح الله عليكم دمشق فقد غنمت عبد الرحمن بن أبي بكر «ليلى بنت الجودي»، فلما فتح الله عليهم غَنَّموه إياها، ولقد خاطبته السيدة عائشة فيما يصنع بها فيقول: يا أُخَيَّة دعيني ، فوالله لكأني أرشف من ثناياها حَبَّ الرمان، فلما فتح الله عز وجل على المسلمين، وقتلوا أباها، وأصابوها، قال المسلمون لأبي بكر: يا خليفة رسول الله أعط هذه الجارية عبد الرحمن، فقال أبو بكر:

أكلّكم على هذا؟ وحين قالوا: نعم، أعطاه إيَّاها، والمعروف أنها عاشت مترفة، فما كانت تذهبُ إلى مكان إلا وكانت البسط تفرش لها، وفي الوقت نفسه، كان يرمي بين يديها برمانتين من ذهب، تتلهى بهما في طريقها، ولقد قيل أن عبد الرحمن ما كان يخرج من عندها ثم يرجع إلا ويرى في عينيها أثر البكاء، وفي يوم قال لها: ما يبكيك؟ اختاري فعالا أيها شئت فعلت بك: إما أن أعتقك وأتزوجك، فتقول: لا أشتهيه، ثم يقول: وإن شئت رددتك على قومك، فتقول: لا أريد، فيقول: وإن أحببت رددتك على المسلمين، فترد: لا أريد، وحين قال فاخبريني ما يُبْكيك قالت: أبكي للمُلْك في يوم البؤس، وقد كان معنى هذا أنها حزينة على هزيمة أبيها وقتله، ولقد قيل لعبد الرحمن: يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلى فافرطت، وأبغضت ليلى فأفرطت، فإما أن تنصفها، وإما أن تجهزها إلى أهلها. فما كان منه إلا أن جهزها إلى أهلها.. وهكذا عادت إلى ملك أبيها بعد أن ضاع على يد المسلمين، وقد ظل ذكرها يجري على لسان عبد الرحمن فهو القائل:

فإما أن تُصبحي بعد اقتراب
بسلع، أو ثنيات الوداع
فلمْ ألفظك من شبع، ولكن
لأقضي حاجة النفس الشعاع
كأن جوانح الأضلاع مني
بُعَيْد النوم مُبطنة اليراع

ونحسب أن ذكرها ظل يلاحقه حين مات بجبل يقع بالقرب من مكة، وكان أن حُمل فدفن بمكة المكرمة، وقدمت السيدة عائشة فوقفت على قبره، وقالت متمثلة بهذين البيتين:

وكنا كندمانَيْ جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا
فلمَّا تفرقنا، كأني ومالكا
لطول اجتماع لم نَبتْ ليلة معا

ثم قالت: أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت، ولو شهدتك لزرتك.

وهكذا كانت قصة عشق شريفة مازال لها صدى في التاريخ، فقد شغل بفتاة جميلة، وتمناها لنفسه، وتمناها المسلمون له، قبل أن تفتح بلاد أهلها، وقد شاء الله أن تفتح هذه البلاد، وأن تكون من نصيبه، وأن يكون كريما معها حين رآها متعلقة بوطنها، وبأسرتها.

الهوامش :

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٨.

(٢) أحداث التاريخ الإسلامي. عبد السلام الترمانيني ١/٤٢٩ ط٢، الكويت، ويقال: إن معاوية بعث إليه بمائة ألف درهم فردها.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق. د. عمر عبد السلام التدمري ص ٤٠ ، ٥٠ ، ٢٩٦ ، دار الكتاب العربي.

(٤) التعازي والمراثي للمبرد. تحقيق محمد الديباجي ص ١٤٧ ط٢، وقد كانت أمه وأم عائشة هي أم رومان بنت بنت عمرو بن عامر من بني مالك.

على مدى أربع حلقات سابقة سعدنا بهذه الدراسة والقراءة القيمة من الأستاذ الشاعر احمد سالم باعطب لكتاب الدكتور عبد المحسن القحطاني (بين معيارية العروض وايقاعية الشعر) وهذه الحلقة الخامسة والأخيرة لهذه القراءة .
والمنهل إذ يشكر الأستاذ باعطب والدكتور القحطاني على هذا الجهد العلمي القيم، فإنه يفتح الباب للحوار العلمي الحر.. تعقيباً أو تعليقاً..

من المناقشة ينبثق النور:

مع الدكتور عبد المحسن القحطاني في كتيبه بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر (٥-٥)

بقلم:
أحمد سالم باعطب
- جدة -

في هذه الحلقة (الأخيرة) سأتناول الحديث عن الفصل الثاني من كتاب الدكتور عبد المحسن الموسوم بـ «بين معيارية العروض وايقاعية الشعر» وهذا الفصل يمثل بحثا تناول قصيدة عبيد بن الأبرص البائية التي مطلعها:

أقفر من أهله ملحوب ... فالقطبيَّاتُ فالذنوب

وقد حاول الكاتب جاهدا في هذا الفصل أن يضع بين أيدي القراء آراء النقاد القدامى والمحدثين الذين تناولوا هذه القصيدة بمناقشة غير متأنية تمخضت عنها أحكام عجلى، لأنها بنيت على أساس اختيار مطلع القصيدة كنموذج لها، وأصدروا على ضوء ما توصلوا إليه أحكاما جائرة أبعدتها عن دائرة الشعر كما فهمه المستنبطون لقواعده وبحوره في العصر العباسي، وعلى رأس أولئك الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وشرح الدكتور القحطاني الطريق الذي سلكه عندما أدرك اختلاف العروضيين حول انتماء تلك القصيدة لبحر من البحور، فقال في بداية الصفحة الثامنة بعد المئة: «بدأ البحث بموقف النقاد منها، وموقف العروضيين كذلك، وإيراد آرائهم، ووقف عند اختلاف «العروض» و«الضرب» في القصيدة، وهذا سر عدم قبولها للتقسيم العروضي».

وكأني بالدكتور هنا قد وضع أصبعه على مكمن الداء الذي سبب اختلاف النقاد والعروضيين وهو اختلاف أعاريض أبياتها وضروبها الأمر الذي جعل من غير الممكن قبولها للتقسيم العروضي المتعارف عليه.

وقبل أن يخوض في مناقشة الآراء المتباينة تحدث عن القيمة الأدبية للقصيدة عند بعض النقاد

القدامى والمحدثين ولنقرأ ما كتبه الدكتور حول ذلك في منتصف الصفحة الثامنة بعد المائة حيث جاء قوله: «هي أشهر قصيدة لعبيد حيث وضعها التبريزي (ت ٥٠٢) «إحدى المعلقات العشر» بل إن ابن قتيبة (ت ٢٧٦) يجعلها إحدى المعلقات السبع وقال بها الدكتور حسين نصار.

أما أبو زيد القرشي (ت ١٧٠هـ) فقد صدر بها المجمهرات.

ثم عرج الدكتور على ذكر النقاد والعروضيين الذين شهروا أسلحتهم لتمزيق تلك القصيدة التى لم ترتكب إثما إلا أنها جاءت تحمل على صدرها أبياتا تباينت تفعيلاتها ولم تدخل جميعها في نسق واحد. بحيث يمكن ادراجها تحت لواء بحر معين، وقد بلغ عدد الذين ذكرهم الدكتور اثنين وعشرين ما بين عروضي وناقد، تسعة منهم من القدامى، وثلاثة عشر من المحدثين، وقد اختلفت عباراتهم حول القصيدة من حيث الصياغة اللفظية لارائهم أما المعنى العام حول موقفهم من القصيدة فمتفق عليه، الأمر الذي جعل الدكتور عبد المحسن يقول في بداية الصفحة الثالثة عشرة بعد المائة «والتبريزي الذي جعلها من المعلقات العشر لم يناقش، وإنما أورد ما قاله الأخفش عن «الرَّمل» من غير أن يشير إلى المصدر الذي استقى منه، وكأنها معلومة أصبحت مشاعة بين العروضيين».

وفي هذه العبارة دليل على أن النقاد القدامى يتداولون المعلومة بحيث يستغني الباحث بالمعلومة منذ قراءتها للمرة الأولى، ولقد أشرت في مقال لي نشر بالملحق الأربعائي لجريدة المدينة بتاريخ ١٤١٧/٣/٢٠هـ إلى أن أولئك النقاد والعروضيين يتناقلون الأبيات التي يستشهدون بها على أوزان بحور الشعر، وأغلب تلك الأبيات لا يعرف قائلوها.

ولا أجد داعيا أو بالأصح سببا يدفعني لأن أورد جميع الآراء التي حشدها الدكتور في كتابه، ولكنني سأحاول أن ألقي الضوء على فقرات مما ورد في تعليق الدكتور القحطاني على آراء النقاد المختلفة، ومن ذلك قوله في الصفحة الرابعة والعشرين بعد المائة بالسطر السابع ما نصه: «فأصبح مخلع البسيط صورة من صور مجزوئه، وهي أن يكون ضربه مقطوعا ممنوعا من الطي وأورد ابن عبد ربه شاهدا لذلك:

أصبحتُ والشيب قد علاني
يدعو حثيثا إلى الخضاب

والذي يؤخذ على هذا القول أن ابن عبد ربه عندما أورد هذا البيت في الصفحة (٤٥٠) من الجزء الخامس من العقد الفريد إنما أورده شاهداً لتمثيل العروض الثالثة وضربها وقد حددها ابن عبد ربه بقوله: «العروض المقطوعة الممنوعة من الطي وضربها مثلها»، في حين أن البيت يمثل العروض المقطوعة المخبونة وضربها مثلها، ولم يشر إلى أنَّ هذا الوزن هو الذي يسمى مخلعا أو مخلع البسيط أما البيت الذي يمثل العروض المقطوعة والضرب المقطوع كما جاء في أكثر من كتاب هو:

ما هيَّج الشوقُ من أطلال
أضحت قفارا كوحي الواحي
مستفعلن فاعلن مفعولن
مستفعلن فاعلن مفعولن

ويعني ذلك أن تأتي العروض مقطوعة والضرب كذلك أما البيت الذي أورده ابن عبد ربه فإن عروضه جاءت على وزن فعولن وكذلك ضربه.

وإذا تصفح القارىء الصفحة الخامسة والعشرين بعد المائة من كتاب الدكتور عبد المحسن لوجد في السطر السابع ما يلي: «وهذا هو مخلع البسيط الذي بدأ يبرز بحراً مستقلا، من القرن السادس الهجري حينما أشار إليه ابن القطاع المتوفى سنة ٥١٥هـ.

ويؤخذ على هذا القول مأخذان:

الأول: هو زعمه أن مخلع البسيط بدأ يبرز بحرا مستقلا، وهذا الزعم سبق للدكتور أن أشار إليه في الصفحة الرابعة والعشرين بعد المئة في السطر

الرابع قبل الأخير حيث يقول: «لذا فإنَّ المخلع في القرون الأولى نوع من البسيط، لم يلتفت إليه العروضيون على أنه بحر مستقل».

والمأخذ هنا هو عدم وجود من يقول: إن المخلع بحر مستقل خرج عن دائرة البسيط بل هو وزن من أوزان البسيط مثله في ذلك مثل المرفل والمذال في الكامل والمتدارك والمشعث في الخفيف والمجتث والمسبَّغ في الرمل.

المأخذ الثاني: هو قول الدكتور: «إن مخلع البسيط بدأ يبرز من القرن السادس الهجري حينما أشار إليه ابن القطاع».

وفي هذا القول ظلم كبير يتمثل في إعطاء من لا يستحق حق من يستحق، فالذي يستحق الاشادة به والتعريف بفضله هو ابن حماد الجوهري الذي سبق موته موت ابن القطاع بمئة وعشرين سنة تقريبا فهو الذي أظهر مخلع البسيط وتحدث عنه وعن زحافاته وأجاز في عروضه بعد قطعها وخبنها الحذف. ولنقرأ قول الجوهري في الصفحة الخامسة والستين السطر الثالث قبل الأخير من كتابه «عروض الورقة» تحقيق الدكتور صالح جمال بدوي حيث يقول: «ويجوز فيه التخليع - أي يجوز في مجزوء البسيط التخليع - وهو قطع مستفعلن في العروض والضرب أي حذف النون من الوتد المجموع «عِلُنْ» وتسكين اللام بحيث تصير «مُسْتَفْعِلْ» فتنقلب إلى «مفعولن» في كل من العروض والضرب فيسمى البيت حينئذ مخلعا وبيته:

ما هيج الشوقُ من أطلال
أضحتْ قفاراً كوحي الواحي
مستفعلن فاعلن مفعولن
مستفعلن فاعلن مفعولن

ثم أردف الجوهري يقول: ويجوز في المخلع خبن «مفعولن» أي حذف الحرف الثاني الساكن وهو الفاء في العروض والضرب فينقل إلى فعولن واستشهد بالبيت التالي:

أصبحت والشيب قد علاني
يدعو حثيثاً إلى الخضاب

وهذا البيت هو الذي أشار إليه الدكتور عبد المحسن في الصفحة ١٢٤ من كتابه على أنه يمثل صورة من مخلع البسيط الضرب فيه مقطوع ممنوع من الطي وهذا خطأ كما أشرت إليه فيما سبق.

ويواصل الجوهري تجديده فيقول: «ويجوز في عروضه» أي عروض المخلع المقطوعة المخبونة الحذف أي حذف السبب الخفيف وهو «لن» من فعولن ويبقى «فعو» فتنقلب إلى «فعل» وشاهده من قصيدة سلمى بن أبي ربيعة:

والبيض يرفلن كالدُّمى
في الريط والمذهب المصون

وما ذكره الدكتور القحطاني عن ابن القطاع لا يبلغ من ابداع الجوهري مكانا مميزا، ولنقرأ ما جاء في كتاب «البارع» لابن القطاع في السطر الأول من صفحة (١١٤) حيث يقول:

الضرب السادس: مجزوء مقطوع وعروضه مثله، ويسمى «مخلَّعا» لأنه نقص وتدا عروضه وضربه، فصارا كأنهما يدان خلعتا.

وفي قول ابن القطاع «الضرب السادس: مجزوء مقطوع وعروضه مثله، دليل صريح على أن المخلع هو الضرب السادس من ضروب بحر البسيط واكتفى بعد ذلك بذكر الشاهد وهو:

ما هيَّج الشوقُ من أطلال
أضحت قفاراً كوحي الواحي

ولم يعرج على خبن «مفعولن» في حالة وقوعها عروضا وضربا، غير أنه في الصفحة (١١٧) بالسطر الرابع قال: «وشذَّ عن العرب في عروضه الثالثة حذفها بعد الحذف والقطع، شاهده:

إنَّ شواء ونشوة
وخبب البازل الأمون

وهذا البيت هو مطلع قصيدة سلمى بن ربيعة التي استشهد الجوهري بأحد أبياتها عند حديثه عن حذف العروض المقطوعة المخبونه وضربها

مثلها والبيت هو:

والبـــــيض يَرْفُلْنَ كـــــالدُّمى
فـــي الـــرَّيط والمـــذْهب المصُون
مُسْتَفْعِلُن فـــــاعلن فـــعـــو
مُسْتــفــعلن فــاعلن فـــعـــولن

ولو تم اجراء تقطيع وزني للبيت الذي أورده ابن القطاع وهو:

إنْ شـــــواء ونشـــــوة
وخَبَبَ البـــازل الأمـــون - لجـــاء -
مُسْتـــعلُن فــــاعلن فـــعـــو
مُتـــعلُنْ فـــاعلن فـــعـــولن

وبالمقارنة نجد أن تفعيلات حشو البيت الذي استشهد به الجوهري جميعها سالمة، بينما تفعيلة الابتداء في صدر بيت ابن القطاع مخبونة وتفعيلة ابتداء عجزه مخبولة وهذا يدل على حسن اختيار الناقد أو العروضي للأبيات الشعرية التي يستشهد بها لتأسيس قاعدة ما.

ولم يسبق الجوهري أحد في الحديث عن «المخلع» إلا صاحب «الجامع في العروض والقوافي» أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي المتوفى عام ٣٤٢هـ حيث قال في الصفحة العاشرة بعد المئة وبعد أن أورد شاهد الضرب السادس من ضروب البسيط وهو المقطوع وعروضه مقطوعة والبيت هو:

مـــــا هيج الشــــوقُ من أطلال
أضـــحت قـــفـــارا كـــوحي الوادي
مــســتــفــعلن فــاعلن مــفــعــولن
مــســتــفــعلن فــاعلن مــفــعــولن

قال العروضي: «اذا ذهبت الفاء من الضرب والعروض فهو المخلع». أي اذا حذفت الفاء من «مفعولن» الأولى والثانية يسمى البيت مخلعاً ويعنى بذلك حينما يصبح الضرب والعروض على وزن «فعولن» يمكن أن يطلق عليه تسمية «مخلع» وهذا يخالف رأي الجوهري الذي يقول: «إن الضرب السادس من ضروب البسيط وهو المقطوع ذو العروض المقطوعة هو المخلع». وأما ما جاء به الجوهري بعد ذلك من خبن الضرب والعروض لينقلب كل منهما من «مفعولن إلى فعولن» فذلك جواز من الجوهري كذلك أجاز الجوهري حذف فعولن «العروض» لتصبح «فعو».

وقد وافق ابن القطاع الجوهري فيما ذهب اليه حول الضرب السادس ولكنه لم يتعرض لخبن «مفعولن» في العروض والضرب. وعندما تحدث عن حذف «فعولن» العروض. ذكر ابن القطاع أن مجيء عروض (فعو) ضمن أوزان البسيط أمر شذ عن العرب.

ويتضح من كل ما سبق أن خير من عالج «مخلع البسيط» من الأقدمين هو أبو نصر سليمان بن حماد الجوهري، ولقد اعترف الدكتور عبد المحسن بفضل الجوهري في هذا المجال في الفصل الأول من كتابه عند معالجته قصيدة «سلْمى بن ربيعة» حيث قال في الصفحة السابعة والأربعين: «والجوهري أكثر العروضيين إنصافا لهذه القصيدة وأشباهها إذ لم يحكم عليها بالشذوذ ولا بالندرة، وإنما بالجواز المطلق ولكنه في الفصل الثاني يسلب الجوهري حقه ويمنحه لابن القطاع حيث ينسب بروز المخلع لابن القطاع. وقد أوضحت أن ابن القطاع لم يبرز المخلع بحرا مستقلا ولم يقل ذلك.

تقطيع أبيات القصيدة عروضيا:

قام الدكتور القحطاني بتقطيع أبيات القصيدة بعد أن وضحت أمام عينيه آراء النقاد والعروضيين حول هذه القصيدة حتى يدرك القاسم المشترك بينها حسب التفعيلات المختلفة، ومدى ملاءمة هذه الأبيات ومطابقتها للمنطوق العروضي أي «التقطيع الشعري» للوقوف على التفعيلات التي تتمخض عن ذلك.

كان مجموع أبيات القصيدة خمسين بيتا حسب ما هو مثبت بديوان عبيد بن الأبرص تحقيق

الدكتور حسين نصار غير أن أبيات القصيدة في ديوان الشاعر اصدار دار صادر وتقديم الأستاذ كرم البستاني فقد بلغت خمسة وأربعين بيتا، والأبيات الخمسة التي يزيد بها الديوان الذي حققه الدكتور نصار هي:

بيتان أشار الدكتور الباحث إلى أن الديوان انفرد بهما وهما: البيت الحادي والعشرون ونصه:

فقد يعودن حبيباً شانيء

ويرجعن شانئا حبيبُ

والبيت الثامن والعشرون ونصه:

بل إن تكن قد عرتني كَبْرَة

والشيب شين لمن يشيبُ

وهناك بيت ثالث لم يذكر الباحث أنه تكرر عجزه مرتين إحداهما بالبيت (٤٧) ونصَّه:

فـــأدركــتــه فطرَّحــتــه

والصــيــد من تحــتــهــا مكروب

والثانية بالبيت ٤٩ ونصه:

فـــعـــاودته فـــرفـــعـــتـــه

والصــيــد من تحــتــهــا مكروب

أما البيت الرابع الذي لم يرد في قصيدة الشاعر عبيد البائية والمنشورة في ديوانه اصدار دار صادر فهو:

بـالـلـه يُدركُ كـل خـــيـــر

والقـــول في بعـــضــه تلبـــيب

وكذلك البيت الخامس ونصه:

والـلـه لـيـس لـه شـــريـك

عَلام مـــا أخـــفـت القـلـوب

مرئيات الباحث بعد تقطيع أبيات القصيدة:

بعد أن انتهى الدكتور عبد المحسن من تقطيع أبيات القصيدة قال مبينا رأيه فيما توصل إليه: «يتبين بعد هذا التقطيع أن واحدا وأربعين بيتا جاءت في جميع المصادر مراوحة بين مجزوء البسيط ومخلعه وقد ناقش البحث اشتراكها في ايقاع واحد.

وهناك تسعة أبيات من القصيدة جاءت في بعض الروايات غير متسقة مع ايقاعها السابق، وسيحاول البحث دراسة ذلك. والابيات التسعة التي أشار اليها الدكتور هي: (٤ و١٢، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٣٤، ٣٥، ٤٣، ٤٩) حسب تسلسلها في التقطيع الشعري لأبيات القصيدة بأكملها. وقد أثمرت محاولته عن التوصل إلى التوفيق بين روايات البيت الواحد حسب وروده في المصادر المختلفة لمعرفة المستقيم وزنا منها، ويمكن القول بصفة عامة أن الدكتور قد حالفه الصواب في معالجة ثمانية أبيات منها أما البيت التاسع وهو الذي يحمل رقم ٤٣ حسب تسلسله فقد شاب معالجة الدكتور له شيء من الخلط والبيت هو:

أ ـ فنفــضـت ريشـــهـــا ســـريعـــا

وهـي مـن نـهـــضـــة قـــريب

مـــتـــعـلن فـــاعلن فـــعـــولن

مـــتـــعـلن فـــاعلن فـــعـــولن

«جمهرة أشعار العرب» لابن الخطاب.

ب ـ فنفـــضـت ريشـــهـــا وولَّتْ

فـــذاك من نـهـــضـــة قـــريب

مـــتـــعـلن فـــاعلن فـــعـــولن

مـــتـــفـــعـلن فـــاعلن فـــعـــولن

«شرح المعلقات العشر» للتبريزي.

ج ـ فنفـــضـت ريشـــهـــا وولَّت

وهـي مـن نـهـــضـــة قـــريب

مـــتـــعـلن فـــاعلن فـــعـــولن

مـــتـــعـلن فـــاعلن فـــعـــولن

«شعراء النصرانية قبل الاسلام» لويس شيخو

د ـ فنفـــضـت ريشـــهـــا وانتـــفـــضـت

وهـي مـن نـهـــضـــة قـــريب

مـــتـــعـلن فـــاعلن مـــســـتـــعـلن

مـــتـــعـلن فـــاعلن فـــعـــولن

«ديوان عبيد تحقيق» د. نصار

هـ ـ فنشـــرت ريشـــهـــا فـــانتـــفـــضـت

ولم تطر نـهـــضـــهـــا قـــريب

مـــتـــعـلن فـــاعلن مـــســـتـــعـلن

مــــتـــفـــعلن فـــاعلن فـــعـــولن
«رواية أخرى للتبريزي»
و- فنفـضت من ريشــهـا وانتـفـضت
وهـي مـن نـهـــضـــة قـــريـب
مـتـعلن مـسـتـفـعلن مـسـتـعلن
مـــتـــعلن فــــاعلن فـــعـــولن
«ديوان عبيد إصدار دار صادر»

وقد علّق الدكتور بعد تقطيع البيت وفقا لنقله من المصادر المختلفة بقوله: في (ب) و (هـ) يستقيم الوزن، وجل الروايات يستقيم الوزن في صدرها، أما العجز برواية (أ، جـ ، د، و)٠ وهي من نهضة قريب، فاذا شددت الياء من «وهيّ» فإنه يستقيم الوزن٠

أما رواية «د» فإنّ الصدر يؤول إلى رجز إذ فيه زيادة «من» قبل «ريشـهـا» وبحذف «من» يتسق الوزن ويكتمل المعنى»٠

غير أن هذا الكلام يحتاج إلى إعادة نظر، ولقد قمت بتقطيع البيت حسب الروايات التي ذكرها الدكتور فتبين لي كما هو أن الروايات الثلاث الأول (أ ، ب ، جـ) جميعها تنتمي إلى مخلع البسيط ذى العروض المقطوعة المخبونة وضربها كذلك، وأما الروايات الثلاث الأخر فإن (د، هـ) ينتمي صدرا بيتيهما إلى مجزوء البسيط ذي العروض المطوية، أما عجزاهما فينتميان إلى مخلع البسيط ذي الضرب المقطوع المخبون، وأما رواية (و) فإن صدر البيت ينتسب إلى بحر الرجز ذي العروض المطوية أما عجزه فينسب إلى مخلع البسيط، ولو حذفت «من» التي في صدر البيت قبل كلمة «ريشـهـا» لأصبح الشطر من مجزوء البسيط ذي العروض المطوية٠

خلاصة الدراسة:

لقد أصدر الدكتور عبد المحسن القحطاني حكمه النقدي على قصيدة عبيد بن الأبرص بعد أن قام بمعالجة أبياتها بيتا بيتا مستخدما كل الوسائل اللغوية والعروضية والموسيقية رسما ونطقا فقال في نهاية الدراسة بالصفحة ١٦٥ «فالقصيدة عمودية الوزن، حافظت على عدد تفعيلات تتكرر في كل بيت، سداسية التفاعيل٠

والقافية فيها حافظت على مكانها كسادس «تفعيلة» وحافظ عليها عبيد محافظة ايقاعية أو مقطعية صوتية «عولن»، وكذلك على حرف الروي «الباء» المضمومة مسبوقة بردف تارة «واو» حذو ما قبلها ضمة وأخرى «ياء» حذو ما قبلها كسرة٠

الختام:

في ختام هذه المناقشة التي تمت بيني وبين كتاب الدكتور القحطاني وما تمخضت عنها من تعليقات لا تعدو أن تكون استفسارات تتطلب الوقوف على الحقيقة٠ وللدكتور عبد المحسن شكري وتقديرى على إتاحته لي هذه الفرصة الممتعة التي خلوت بفضلها مع كتابه الذي أهداه إلي وأغراني بقراءته، فقضيت معه أياما وليالي سعيدة قارئا ودارسا، وتلميذا يبحث عن معلومة يزداد بها علما٠

ولو لم أجن من قراءة هذا الكتاب إلا مصاحبة الدكتور والإبحار معه في بحور عدة على سفن التحمت ألواحها بالتفكير العميق، وأحكمت دسرها بالدراسة الجادة، وارتفعت صواريها معلنة للقارىء أننا أمة لم يخب وهجها ولن، ورفرفت أعلامها تترجم انجازات أبنائها - سفن يقودها ربابنة مهرة - يحسنون الغوص في البحور - لو لم أجن الا ذلك - لكفاني شرفا٠

لقد أعادني الدكتور عبد المحسن بن فراج القحطاني إلى حلقات البحث والتحصيل، والتنقيب في بطون الكتب للوقوف على ما خفيت معرفته، وتجديد ما بدأ الصدأ يفرش عليه غطاءه فجزاه الله خيرا٠



قضية (*البناء الفني*) قضية حساسة بما هي جوهر الحركة الإبداعية في كل الأنواع الأدبية على السواء: شعراً، وقصا، ودرامة، وغير أولئك من ضروب البوح الفنيّ الذى يغطى مساحات نوعية هائلة بالفعل.

و(البناء الفني) ـ بما هو تضامن جميع عناصر النَّصِّ لإقامة تشكيل جمالي يحمل رؤية جمالية معينة مشكل نقدى حقيقي تنبع إشكاليته من كونه كلَّ العمل الإبداعي ومفردات هذا الكل معاً، إلى جانب الكيفية الإبداعية التى تمارس الخلق والتشكيل من جانب المبدع، والكيفية القرائية التى تمارس التفسير والتأويل من جانب المتلقى، إذا لم نمعن في التجزيىء فنفصل بين الألوان والريشة التى ملأتها بحساسية الإيحاء والتناغم والدهشة والإمتاع.

القصيدة الشعرية مثلا، يمكن أن يتردد بناؤها الفني بين الغنائية، والقصصية، والدرامية.. والبناء الغنائيُّ يمكن أن يكون بناء تراكميا يحشد أبياتاً من وراء أبيات ينوع بها عليها أو ينتقل بها عنها.. وأن يكون بناء مقطعيا سواء كانت هذه المقاطع متناظرة أو متعاكسة، أو مترافدة.. ويمكن أن تنحنى القصيدة الشعرية على بنية تحتية تختلج في أعماق النص حتى تصير مجرد بنية سطحية مجانبة لا تقبل التأويل أو حتى المغامرة معها إلى أبعد من سطوحها الظاهرة.

وإذا كانت القصيدة قد بنيت بناء قصصيا فيمكن أن يكون بناؤها القصصي بناء حكائيا مطردا.. أو بناء متقاطعاً يعتمد المفاجأة وتداخل الأزمنة والأمكنة والشخوص والوقائع والعلاقات.. ويمكن أن يغطى القصُّ كل المساحة الشعرية في القصيدة، أو يشكل مجرد إيماضات مرحلية فيها ولابد بالطبع أن يتضمن كل فعل من هذه الأفعال الفنية غائيته الوظيفية، وإلا، صار عبثا واضطرابا.. ويمكن أن يكون القصُّ مجرد قص خيالى، أو واقعى، أو قصا ناهضا على استلهام قيم تراثية وتوظيف هذه القيم توظيفاً إسقاطيا يعرّى دمامة الواقع، أو دمامة الموروث على السواء.. وتوظيف التراث ذاته وضعية بنائية متفاوتة، فهل وظف على مستوى الرمز؟ أو على مستوى المعادل؟ أو على مستوى الإسقاط؟ أو على المستوى المرآويّ العاكس؟.

وإذا كانت القصيدة قد بنيت بناء دراميا، فهل هذا البناء الدرامي قائم على تقنية المقدمة والأزمة والحلّ والشخوص ووحدة الزمان والمكان والفعل؟ أو أنه قائم على مجرد تحاور الأصوات داخل نسيج القصيدة؟ وهل للأصوات المتحاورة حضور فاعل وحقيقي؟ أو أنه مجرد حضور شبحى يفترضه الشاعر؟ وهل يجسّد الشخوص في القصيدة ذات البناء الدرامي بطولات عادية وأحداثا عادية؟ أو أنهم شخوص مثاليون يرسمون

بقلم: د. محمد أحمد العزب
ـ المنصورة ـ

** البناء الفني، تشكيل جمالي تتضامن فيه جميع عناصر النص.

أفقا، ويطرحون احتمالا؟.

وفي البناء الشعري القصصي والدرامي معاً، هل يطّرد الفعل القصصي والدراميّ أو ينعكس ليعمل من خلال التناقض والمفارقة والعوْد الدائم من لحظة البدء وإلى لحظة البدء، ليشوش اطراد الفعل والبطل والإطار الزماني ضمن تصميم فني متقصد وغير عشوائي؟

وفيهما معاً يبحث عن باعث هذا الفعل وجوهره - ومردوده أيضا، هل هو تجسيد لمأساة الإنسان البطل؟ أو هو تجسيد لأزمة الإنسان الشاعر؟ أو هو تجسيد لمطلق مأساه الإنسان بلا تحديد؟.

وفى الأنواع الثلاثة: الغنائي والقصصي والدرامي، يتأمل المتلقي: هل تم هذا البناء أو ذاك من خلال الإفضاء المباشر أو من خلال سياقات صورية؟ وما نوعية هذه الصور؟ هل هي تقليدية أو تفجرية؟ هل هي مستقلة أو متعاضدة؟ هل هي حسية أو تجريدية؟ هل هي تراكمية أو جدلية؟ هل هي تزيينية أو عالم معادل؟.

على أن وضعيات أخرى هائلة يمكن أن تشكل نوعية (البناء الفني) في القصيدة الشعرية فقد تصبح السخرية المرة، أو التظاهر بالفرح المأساوي، أو تعمية الداخل في الخارج، أو تجسيد المضمر في المظهر، تقنيات بنائية في كل الأنواع.

وقد يجرفنا مصطلح (الأنواع) إلى التساؤل عن طبيعة هذه الأنواع في مثل هذا الشعر: هل احتفظ (النوع) بنقائه فظل الغنائي غنائيا وحسب؟ والقصصي قصصيا وحسب؟ والدرامي دراميا وحسب؟ أو أن النوع صار (غنائيا قصصيا) و(غنائيا دراميا) و(قصصيا غنائيا) و(دراميا قصصيا)، إلى آخر هذه التقليبات النوعية المتكثرة؟ ثم يجرفنا المصطلح إلى قضية أكثر حساسية، وهي قضية الأنواع وكيف تتقارض ملامحها الفنية؟ هل يذيب هذا التقارض حدود الأنواع، أو يمس جوهر خصوصيتها؟ أو أن الأنواع شمول ينطوي بالضرورة على (أصناف) أدبية، وهي المساحة التي تشكل خصوصية الطرح الفردي الذي يتميز فيه وبه فنان عن فنان، وأسلوب عن أسلوب، وموقف عن موقف؟.

** توظيف التراث وضعية بنائية متفاوتة.

** الخيال، تنظيم لعناصر العمل الفني في ايقاعية وتناغم.

وقد نتساءل: ماذا عن موقف كل نوع من هذه الأنواع حيال قضية (التحويل الأدبي)؟ إن التحويل الأدبي يتم على مستويين: تحويل الواقعي إلى جمالي، وتحويل الجمالي إلى واقعي .. فكيف نركز على خصوصية الفن ونحن نجادل الواقع والذات والتراث؟ كيف نتناص مع هذه الأضلاع المتعددة دون أن نفقد صلابة الأرض التي نقف عليها؟ كيف نعي بداهة اليقين بأن المادة ليست ذات مدلول أحاديّ لأنها صائرة باستمرار، ومن ثم متعددة المداليل، سواء أكانت واقعا أو لغة، بينما يطالب الفن بأن يكون ماهو، عبر الثبات التاريخي للغة ذلك الذي يتحداه؟.

إن عناصر النص تتحول وفق معيارها الخاص وليس وفق معايير التحوّل في الطبيعة، فالإيقاع مثلا يصير غير ما هو في علاقته بالصورة، أو ديناميته معها، إذا هو أقام علاقة

جديدة بينه وبين القناع، أو الخيال، أو المفارقة، أو ما شئنا من هذه التقنيات.

وتدخل في هذا الجدل حول طبيعة (البناء الفني) محاور (الأغراض - والمعنى - والدلالة - والصورة - والموقف - والرؤية - والتأويل - والغياب - والحضور - والعلاقات - واللغة - والمجاز - والاستعارة - والكناية - والمفارقة - والقناع - والاسطورة - والرمز - والإسقاط - والتضمين - والتناص - والشفرة - والإشارة - والعلاقة - والتفكيك - والشعرية - والقيمة) ... إلى آخر ما هناك من محاور تُشكل في النهاية مفردات (البناء الفني)، وتشكل هذا البناء ذاته على أنحاء متعددة ربما بتعدد هذه المصطلحات وأضعاف هذه المصطلحات. لأن الإبداع إمكانية مفتوحة دائما، ويجب أن تظل مفتوحة أبدا لتستوعب مزيدا من التجريب والتشكيل وتطوير هندسة البناءات!.

إذا عدنا إلى حديث (البناء الفني) في القديم نجد النقد اليوناني قد أنجز فيه إنجازات محققة، ربما من خلال التصدى لنقد الأعمال الدرامية أساسا، وليس من خلال القصيدة الغنائية بالذات، ولكن حديث هذا النقد اليوناني عن الدراما لا يلغي تضمين القصيدة الغنائية في تضاعيف هذا الحديث، لأن المأساة ذاتها كانت شعراً في هذه المراحل، ومن هنا ينسحب التأصيل النقدي الذي قدمه أرسطو في كتابه عن الشعر على كل ألوان الإبداع.

يقول (أرسطو) محدداً لطبيعة (البناء الفني: (.. بعد أن أوضحنا الأجزاء التأليفية لننظر الآن ماذا يجب أن يكون عليه ترتيب الحوادث، لأن هذا هو نقطة البدء في المأساة وأهم صفة فيها. لقد قررنا أن المأساة محاكاة فعل تام، له مدى معلوم، لأن الشيء لا يمكن أن يكون تاما، دون أن يكون له مدى، والتام هو ماله بداية ووسط ونهاية، والبداية هي مالا يعقب بذاته وبالضرورة شيئاً آخر، ولكن بعده شيء آخر يوجد أو يحدث بالطبيعة نفسها، والنهاية على العكس من هذا، هي ما بذاته وبالطبيعة يعقب شيئا آخر، ضرورة أو في معظم الأحيان، ولكن ليس بعده شيء، والوسط هو ما بذاته يعقب شيئا آخر ويعقبه شيء آخر.

والخرافات إذن إنْ أجيد تأليفها، يجب ألا تبدأ أو ألا تنتهي عند نقطة أيا كانت تتخذ اتفاقا، بل يجب أن تتفق والمباديء التي أتينا على ذكرها).

كذلك الجميل، سواء أكان كائناً حيا أم شيئاً مكوناً من أجزاء، بالضرورة ينطوي على نظام يقوم بين أجزائه هذه، وله عظم يخضع لشروط معلومة، فالجمال يقوم على العظم والنظام، ولهذا فإن الكائن العضوي الحيّ إذا كان صغيراً جداً لا يمكن أن يكون جميلا، لأن إدراكنا يصبح غامضا، كأنه يقع في برهة لا يمكن إدراكها، كذلك إن كان عظيماً جداً، بأن كان طوله عشرة آلاف ميدان مثلا، إذ في هذه الحالة، لا يمكن أن يحيط به النظر، بل تند الوحدة أو المجموع عن نظر الناظر، فإذا ما تقرر هذا، فإنه كما أن الأجسام والأحياء يجب أن يكون لها عظم يمكن تناوله بالإدراك، فكذلك الأمر في الخرافات، يجب أن يكون لها من الامتداد ما تقوى الذاكرة على وعيه بسهولة).

ثم يشير أرسطو بعد ذلك إلى أن أجزاء الكُلِّ يجب أن تتضامن، وأن تكون بحيث إذا نقل أو بتر جزء انفرط عقد الكلّ وتزعزع، لأن ما يمكن أن يضاف أو ألا يضاف، دون نتيجة ملموسة، لا يكون جزءا من الكلّ.

وإذن (فالبناء الفني) كما يراه أرسطو يجب أن ينهض على أسس من التصميم، وخلق الفضاء الموائم، والاتساق العضوي، والوعي بطبيعته، وتحقيق أقصى النظام فيه، وإعمال النسبية العادلة في كمِّه وكيفه، والتحريض على تضامن أجزائه بحيث تخلق في النهاية كُلا أشمل من مجرد هذه الأجزاء.

** القصيدة في مجملها تمثل قيمة جمالية واحدة.

وفي العصر الحديث تناول النقد قضية (البناء الفني)، مؤكداً على أن البناء لم يعد فقط بناء (الدّراما)، ولكنه أصبح بناء (القصة) وبناء (القصيدة) وبناء (الرواية) كذلك ، ومن هنا تراحبت قاعدته لشموله هذه الأنواع، ليس ذلك فحسب، ولكن قاعدته تراحبت كذلك تحت ضغوط عوامل استفادته في (القصيدة) من تقنيات البناء الفني (للقصة) وأيضا (للمسرحية)، واستفادته في بناء (القصة) من تقنيات (المسرحية والقصيدة) واستفادته في بناء (المسرحية) من بناء (القصيدة والقصة).

كما أصبح الحديث عن (البناء الفني) لا يشمل فقط هندسة البناء ومعماره ومنظور الفنان الذي ينجز هذا البناء، ولكنه يشمل كل مفردات العمل الفني، من لغة، وصور، ومجازات، وعاطفة، وخيال، وموسيقى، وأقنعة، وتضمين.. إلى آخر ما هناك، بالطبع من خلال (الكيفية) التي يحقق بها الفنان عمله الفني، ولكن في حالة دمج هذه العناصر، والخروج منها بمزيج واحد جديد تماما.

أي أن (البناء الفني) لم يعد فحسب مجرد الوحدة العضوية التي يمكن أن تُوجد نوعا من التلاحم بين أجزاء العمل وأفكاره، ولكنه الوحدة القادرة على إذابة الأجزاء والأفكار والعواطف والإيقاع والصور في كل واحد بحيث يبدو هذا الكل جسداً متدامجا ومتناميا، يؤدي فيه كل جزء دوره في تنمية البناء وعضويته وتماسكه وينفتح فيه الكل على سائر هذه الأجزاء فيعطيها مع كل عمل إبداعي - مذاقا خاصا يحقق لها وله الفاعلية الجمالية المنشودة في الإبداع الجميل.

يرى (كولردج) أن (الخيال) هو وحده القادر على تنظيم هذا النثير من العواطف والأفكار والصور في القصيدة الواحدة، وتوظيفها جميعا فى أداء إيقاع متناغم ومتلاحم.

يقول (كولردج): «الخيال هو القوة التي بواسطتها تستطيع صورة معينة، أو إحساس واحد، أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس في القصيدة، فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر.. وهذه القوة التي هي أسمى الملكات الانسانية تتخذ أشكالا مختلفة منها العاطفي العنيف، ومنها الهادئ الساكن، ففي صور نشاطها الهادئة التي تبعث على المتعة فحسب، نجدها تخلق وحدة من الأشياء الكثيرة بينما نفتقد هذه الوحدة في وصف الرجل العادي الذى لا تتوافر لديه ملكة الخيال لهذه الأشياء، إذ نجده يصفها وصفاً بطيئاً بعض الشيء بأسلوب يخلو من العاطفة. وهذه الوحدة التي تحققها قوة الخيال إنما تشبه الوحدة التي تحققها الطبيعة ذاتها، التي هى أعظم الشعراء جميعا، فبينما نفتح أعيننا على منظر طبيعى منبسط أمامنا إنما نشعر بوحدة هذا المنظر).

ويتفق جميع النقاد الفلسفيين في كل العصور - كما يقول كولردج - مع الحكم النهائي الذي كونه الناس في جميع الأقطار على رفض أن تكون القصيدة سلسلة من الأبيات أو من الأسطر الموزونة التي يستأثر كلّ منها وحده بانتباه القارئ التام، وبذلك يفصل نفسه عن السياق، أو أن تكون تأليفا غير سوي يخلص القارئ سريعاً بالنتيجة العامة منه، ولا يجتذبه فيه أي جزء من الأجزاء التي يتألف منها.

ويرفض النقاد مبدأ (التفكك) في بناء القصيدة الشعرية، وأن تكون القصيدة مجموعاً مبدداً من أبيات متفرقة لا تؤلف بينها وحدة غير وحدة الوزن والقافية، لأن هذه الوحدة ليست بالوحدة المعنوية الصحيحة، إذ كانت القصائد ذات الأوزان والقوافى المتشابهة أكبر من أن تحصى، فإذا اعتبرنا التشابه في الأعاريض

وأحرف القافية وحدة معنوية جاز أن ننقل البيت من قصيدة إلى مثلها دون أن يخلّ ذلك بالمعنى أو الموضوع، وهو مالا يجوز.

ثم يحدد العقاد تصوره النهائي لهذه الوحدة العضوية التي تؤلف في العمل الشعري (بناءه الفني)، فيقول: «القصيدة ينبغى أن تكون عملاً فنياً تاماً يكْمُلُ فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه، والصورة بأجزائها، واللحن الموسيقي بأنغامه، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته، ولا يغنى عنه غيره في موضعه إلا كما تغنى الأذن عن العين، أو القدم عن الكفّ، أو القلب عن المعدة، أو هي كالبيت المقسم لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها، ولا قوام لفن بغير ذلك، حتى فنون الهمج، فأنت تراهم يلائمون بين ألوان الخرز وأقداره في تنسيق عقودهم وحليهم، ولا ينظمونه جزافا، إلا حيث تنزل بهم عماية الوحشية إلى حضيضها الأدنى، وليس دون ذلك غاية في الجهالة ودمامة الفطرة، ومتى طلبت هذه الوحدة المعنوية في الشعر فلم تجدها فاعلم أنه ألفاظ لا تنطوي على خاطر مطرد، أو شعور كامل الحياة، بل هو كأمشاج الجنين المُخدَّج بعضها شبيه ببعض، أو كأجزاء الخلايا الحيوية الدنيئة لا يتميز لها عضو، ولا تنقسم فيها وظائف وأجهزة، وكلما استغل الشيء في مرتبة الخلق صعب التمييز بين أجزائه، فالجماد كل ذرة منه شبيهة بأخواتها في اللون والتركيب، صالحة لأن تحلّ في أي مكان من البنية التي هي فيها).

ويضع العقاد أنواعا من الإبداع الشعري المتناثر الرؤى، موضع الاتهام، ويربط بينه وبين الانحطاط الحضاري بعامة، وبينه وبين الانحطاط الفني بشكل خاص، داعياً إلى النهوض من كبوة هذا الفهم الركيك لطبيعة البناء، حتى نستطيع أن نكتب القصيدة العالم الواحد المتجانس المتنامي، الذي يتدفق بالنبض وهندسة البناء:

يقول العقاد: (إنك كلما شارفت فترة من فترات الاضمحلال في الأدب ألفيت تشابها في الأسلوب والموضوع والمشرب، وتماثلا في روح الشعر وصياغته، فلا تستطيع مهما جهدت أن تسم القصائد بعناوين وأسماء ترتبط بمعناها وجوهرها، لما هو معروف من أن الأسماء تتبع السمات، والعناوين تلصق بالموضوعات، ورأيتهم يحسبون البيت من القصيدة جزءاً قائماً بنفسه، لا عضواً متصلا بسائر أعضائها، فيقولون: أفخر بيت، وأغزل بيت، وأشجع بيت، وهذا بيت القصيد، وواسطة العقد، كأن الأبيات في القصيدة حبات عقد تشترى كل منها بقيمتها، فلا يفقدها انفصالها عن سائر الحبات شيئا من جوهرها، وهذا أدل دليل على فقدان الخاطر المؤلف بين أبيات القصيدة، وتقطع النفس فيها وقصر الفكرة وجفاف السليقة، فكأنما القريحة التي تنظم هذا النظم ومضاتُ نور متقطمة، لا كوكباً صامداً متصلُ الأشعة يريك كل جانب، وينير لك كل زاوية وشعبة، أو كأنما هي ميدان قتال فيه ألف عين وألف ذراع وألف جمجمة، ولكن ليس فيه بنية واحدة حية، ولقد كان خيراً من ذلك جمجمة واحدة على أعضاء جسم فرد تسري فيها حياة.

وإذا كان ذلك كذلك فلا عجب أن ترى القصيدة من هذا الطراز كالرمل المهيل، لا يغيّر منه أن تجعل عاليهُ سافله، أو وسطه في قمته، لا كالبناء المقسم الذى ينبئك النظر إليه عن هندسته وسكانه ومزاياه).

وبهذه النزعة الجدالية المحكمة يؤسس العقاد لفهم صوابي معاصر لقضية (البناء الفني) لا يركن فيه إلى المطلقات من مثل قولهم (حسنة الألفاظ.. جيدة المعاني) ولا إلى هشيم النظرة العجلى التى لا تملك فلسفة فنية تصدر عنا في رؤيتها لقضية البناء، ومن ثم تصيب الرؤية

** الصدق النفسي في العمل الفني ضرورة في الابداع.

النقدية والرؤية الإبداعية بالعمى اللوني، الذى لا يفرق حتى بين الباده والمبحوث.

نلاحظ من مجمل تأملنا لقضية (البناء الفني) في النقد الحديث بالذات، أن الحديث لم يعد عن بناء القصيدة وحدها، وإنما عن بناءات كل الأنواع.. وأن هذه الأنواع بدأت تتقارض تقنيات أبنيتها فتنمي من خلال هذا الفعل رؤياتها وتشكيلاتها معاً.. وأن الحديث عن البناء لم يعد مجرد حديث عن الهندسة والمعمار والمنظور، بل أصبح يشمل كل مفردات العمل من خلال كيفية التناول ودمج العناصر، وإذابة الأجزاء في كل عضوي متنام جميل.

وسنلاحظ أيضا أن الفكر العربي الحديث ربما تأثر بروافد من الفكر الأوربي، وقد جسّد (كولردج) بنظريته في الخيال الفاعل رافداً مهماً من هذه الروافد، حيث رأى أن الخيال هو الملكة القادرة على تنظيم هذه العناصر وتوظيفها في أداء إيقاع متناغم ومتلاحم وأن هذه الملكه قد تتخذ شكلا عاطفيا عنيفا ، وقد تتخذ شكلا هادئا ساكنا، إلا أنها قادرة دائما على خلق الوحدة في التعدد، وبهذا الاقتدار الفني يتميز الفنان عن العادي .. كما يرى (كولردج) أن التركيز على عنصر من عناصر العملية الشعرية يصرف عن تأملها في كمالها الفني، كما أن التركيز على الفحوى النهائية يصرف عن جماليات الأجزاء المكونة، ويدعو إلى تعادل هذين القطبين حتى لا تختل الموازين.

ومع ذلك فقد فطن إلى الوحدة البنائية كثير ممن لم يتأثروا بالفكر النقدي الأوربي، من أمثال الشيخ حسين المرصفي، الذي نزع في رؤيته إلى البناء ووحدته عن حسّ ذاتي عربيّ خالص ، فنظر إلى الأبيات (كقيم جمالية) تؤلف في مجموعها (قيمة جمالية واحدة) ورفض - في بعض ما قال - أن (يتراخى البناء) بحيث يمكن أن نضع بيتا بين بيتين، أو أن نقدم ونؤخر، وهذه خطوة تقدمية تحسب لهذا الرجل بلا جدال.

ولكن الذين تأثروا بالفكر النقدي الأوربي كانوا أكثر كمًّا ووعياً والحق يقال، فقد تحدث (خليل مطران) في مقدمة ديوانه عن القصيدة التي لا ينظر الناظر فيها إلى البيت بمفرده ولكن ينظر إلى (جملتها) و(تركيبها) و(ترتيبها) في حالة نهوض الكل بأداء شعور معين أو وصف حالة معينة.

وأكد (شكرى) أن (البناء الفني) للقصيدة ينهض على عدد من الأسس من بينها: خلق الصلة الحميمة بين معنى البيت وموضوع القصيدة (لأن البيت جزء مكمل، ولا يصح أن يكون البيت شاذا خارجا عن مكانه من القصيدة، بعيداً عن موضوعها).. كما يرى أن الوحدة العضوية تحقق في القصيدة نوعا من التنامي والالتحام (من حيث أنها شيء فرد كامل لا من حيث أنها أبيات مستقلة).. كما يرى ضرورة إيجاد نوع من التعادل بين الفكر والعاطفة حتى لا يهتز البناء تحت إيقاع اهتزاز النسب بين الأضداد.

وقد تواترت الجهود في هذا الصدد، لتؤكد على قيم التلاحم والاتساق والكلية والمنظور وغير أولئك من قيم البناء.

ولكن الإبداع (الشعري بالذات) فجّر جديداً عطف بالمقولات النقدية في قضية (البناء الفني) صوب منحنى آخر، تغيرت من خلاله (لغة) القصيدة، و(عالم) القصيدة، و(بناء) القصيدة مروراً بصورها ومجازها وإيقاعها وكل هندسة بناءاتها الداخلية والخارجية على السواء. وقد عالجنا هذه التحولات فى بحوث لنا عن (طبيعة الشعر) و(المفارقة في الشعر العربي المعاصر) و(ظواهر التمرد في الشعر المعاصر) وغير ذلك كثير.



كثيرا ما يساء فهم هذين المصطلحين على الرغم من أهميتهما، فالواقعية في الدراما ليست (حقيقية) والتعبيرية ليست (غير حقيقية). فكلاهما شكل من أشكال الوهم الدرامي. ولكن التقنيات المستخدمة لاحداث هذا الوهم - أي الأساليب المتبعة - مختلفة اختلافاً كبيراً ، ولا يملك أي مؤلف مسرحي أن يخلط بين الإثنين.

والواقعية الدرامية في أبسط معانيها هي تقديم الجوانب المختلفة للمسرحية من ديكور وحدث وحوار بالشكل الذي نراه ونسمعه في واقع الحياة. وليس من الضروري أن نكون قد عرفنا أشخاصاً كأشخاص المسرحية من أجل أن نشعر بأن المسرحية واقعية. أما التعبيرية فهي في أساسها استخدام للتشويه على نحو متعمد ومغالى فيه.

الواقعية والتعبيرية في المسرح

بقلم:
د. زياد الحكيم
- لندن -

الواقعية الدرامية:

ينطبق التقليد الواقعي على المناظر والملابس والحوار والحدث كله. وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً فإننا نقول إنه عندما يقدم الكاتب المسرحي إلى جمهوره زنزانة سجن وممراً فإنه يشير بذلك إلى أن المسرحية ربما تكون واقعية. وعلى هذا الأساس فإن الجمهور يتوقع الملابس أن تكون مألوفة. علاوة على ذلك فإن الجمهور يبني افتراضات معينة تختص بالحوار والحدث. قد يدهش الجمهور لما تقوله أو تفعله شخصية من الشخصيات. ولكنه يفترض أن المسرحية (تعني شيئاً) وأنها تصور أنماطاً مختلفة من الشخصيات.

والأهم من ذلك هو أن الجمهور يتوقع أن تخضع المسرحية الواقعية لما اتفق على أنه القوانين الطبيعية للكون.

إن غرفة الجلوس الواقعية المستخدمة في كثير جداً من المسرحيات مؤلفة من ثلاثة جدران. ولكن غرفة كهذه في الحياة تعتبر غرفة غريبة الشكل. ونحن نعتبرها (واقعية) فقط لأننا قبلنا الوهم بأن المسرحية عرض للعالم المألوف لنا. وهذا في أساسه هو نفس العملية السيكولوجية التي نقبل بها لوحة واقعية في الوقت الذي ندرك فيه أنها مجرد عرض للأصباغ على سطح مستو.

وعلينا أن نذكر هنا أن الحوار أيضاً هو مجرد وهم للواقع. وكما أن علو صوت الممثل ووضوح كلماته هما ابتعاد واضح عن السلوك المنزلي العادي فإن أنماط الكلام ومادة الحديث

تخلق مجرد وهم لأحاديث حقيقية- وعلى سبيل المثال لاحظ رغبتنا في قبول (همسة الخشبة) كما لو كانت همسة حقيقية بالرغم من أن الجمهور في الصفوف الأخيرة يسمعها. أو لاحظ وضوح اللفظ في كلام شخصيات يفترض أن يكون لفظها غير واضح كما هو حال ويلي لومان في مسرحية (موت بائع) أو ستانلي كوالسكي في مسرحية (عربة اسمها اللذة). أو قارن وحدة الفكرة في الحوار خلال مشهد العشاء في مسرحية ميللر (منظر من الجسر)، مثلا، بفوضى الأفكار في أي عشاء حقيقي.

علاوة على المناظر أو الحوار فإن الفعل الدرامي الواقعي ليس في الحقيقة إلا وهماً لما يحدث في النشاط المحموم الذي نسميه الحياة. ففي معظم المسرحيات يجب أن نفهم من الخروج والدخول والحركة على الخشبة وحتى الايماءات البسيطة على أنها وسيلة للكشف عن الشخصية والفكرة بالرغم من أنها في الوقت ذاته تظهر طبيعية كما يظهر الفعل في الحياة الحقيقية.

**** الحوار في المسرح مجرد وهم للواقع.**

**** الواقعية جملة من الاوهام تحاكي أنماطاً مألوفة في حياتنا اليومية.**

الواقعية إذن جملة من الأوهام، ولكنها تحاكي أو تعكس أنماطاً مألوفة في حياتنا اليومية.

التعبيرية في الدراما:

تشير التعبيرية في الدراما إلى التشويه الذي نشاهده في القصص الخيالي، وهي تختلف عن التشويه الذي يستخدم في الدراما الواقعية في أنها غالباً ما تكون واضحة للعيان وصارخة. ويلاحظ الجمهور بسهولة هذا الابتعاد عن الأنماط الحقيقية الحياتية، وسرعان ما يجهز نفسه لنظام منطقي جديد.

في أغلب الأحيان، المناظر على الخشبة هي التي تشير إلى أن المسرحية ستكون تعبيرية. خذ مثلا مسرحية (آلة الجمع) للكاتب الأمريكي إلمر رايس، وبطلها مستر زيرو محاسب تشغل الأرقام تفكيره على مدار الساعة.

إن الديكور الذي وصفه الكاتب في نص المسرحية مكون من غرفة نوم على جدرانها عشرات الارقام الجاهزة للجمع والضرب والطرح والتقسيم. وهذه الأرقام ما هي إلا اسقاط لما يدور في رأس مستر زيرو. ومسرحية آرثر ميلر (موت بائع) مثلا مسرحية واقعية إلى حد كبير حول بائع عجوز يعيش فيما يوصف بأنه (نيويورك اليوم)، ولكن ثمة عدداً من التفصيلات التعبيرية في المسرحية بما في ذلك شخصية خيالية تعرف باسم العم بن. والعم بن هذا ضرب من الأسطورة العائلية عرف عنه أنه بنى ثروة في أفريقيا أو ألاسكا، ويبدو وكأنه يخرج من العدم، يقول أسطراً ثم يختفي بشكل غامض ، ومن الطبيعي أن يتحدث شخص عاقل مع شخص خيالي، وليس من الغريب جداً أن نسمح لهذا الحديث بأن يكون مسموعاً. عندما نشاهد العم بن واقفاً على الخشبة فعلا فإننا نقبل فرضية أننا في ذهن ويلي لومان بطل المسرحية وأننا نرى المشهد كما يراه.

الأسلوب نفسه بتوسع يغدو الأداة الرئيسية في مسرحية يونيسكو (الكراسي) هنا

الشخصيات الخيالية تفوق بعددها الشخصين المرئيين على الخشبة. ولو كانت هذه المسرحية واقعية لاعتبرناها دراسة سيكولوجية لشخصين مجنونين تماماً. ولكن منطق المسرحية يصر على أن نفهم المسرحية بصورة رمزية فقلعتهما في وسط البحر هي نوع من العزلة التي يشعر كثير من الناس العقلاء بأنهم يعيشون فيها. وأصدقاؤهما هم انعكاسات لحاجتهما وآمالهما وأوهامهما.

هذه الأمثلة للحوار التعبيري تتضمن بالضرورة الفعل التعبيري. ويلي لومان لا يشاهد نائماً في كرسي عندما يدخل العم بن إلى الخشبة لأن هذا ليس إيحاءاً حرفياً بحلم. إنه يقترب من العم بن ويخرج أبناؤه لملاقاته ببساطة لأن المشهد ليس حلماً.

التعبيرية إذن ليست فترة أدبية يجب دراستها كمرحلة متميزة للدراما. إنها أحد القطبين اللذين يزودان الكاتب بعدد وافر من التقنيات. والواقعية والتعبيرية مختلفتان اختلاف خبرة اليقظة وخبرة الحلم. وبعبارة فنية فإنهما مختلفتان اختلاف لوحات هوبر وويث عن لوحات بيكاسو وشاغال.

وبالرغم من اختلافهما فمن الخطا اعتبارهما مستقلتين تماماً. إن دخول العم بن في (موت بائع) هو وسيلة تعبيرية. ومع هذا فإن مشاهد كاملة من تلك المسرحية تعرض بصورة واقعية كما تعرض مسرحيات إبسن أو تشيخوف. ويختلف الكتاب المسرحيون في أسلوبهم من مسرحية إلى مسرحية، فمسرحية آرثر ميللر (بعد السقوط) تعبيرية جداً، ولكنه كتب فيما بعد مسرحية (الثمن) وهي عمل واقعي تماماً لا ينطوي على أثر للتشويه مهما يكن. ويجب أن يعتقد الكاتب المسرحي الممارس أن هاتين التقنيتين المختلفتين هما مجرد مدرستين تاريخيتين. إن كلا منهما تمثل على الخشبة اليوم تمثيلا رائعاً وإن الاعتراف بقيمة كل منهما يعطي الكاتب المسرحي عدداً أكبر من الخيارات.

مسرح العبث :

في التقليد التعبيري هناك عدد من (المدارس) مثل الدادوية والسريالية ومسرح الصدمة. ومعظمها ذو أهمية من وجهة نظر تاريخية فقط. على أن إحدى هذه المدارس كان لها تأثير في المسرح المعاصر بحيث أن كاتباً مسرحياً ممارساً لا يستطيع تجاهلها. هذه المدرسة هي مسرح العبث.

وبالرغم من أن الحركة تستعير كثيراً من الدادويين الذين كانوا يكسرون التقليد القديم للمسرحية المصنوعة جيداً قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها، فإن مسرح العبث بمعناه المحدد بدأ في الخمسينيات من القرن الحالي واستمر إلى اليوم.

هناك حوالي عشرين كاتباً مسرحياً ارتبطوا ارتباطاً مباشراً بالحركة. أشهرهم يوجين يونيسكو، وساموييل بيكيت، وهارولد بينتر، وإدوارد ألبي. أما جان جينيه وآرثر أداموف فهما في صف وحدهما. ولكن يجب ضمهما أيضاً إلى تقليد مسرح العبث.

يمكن تعريف الحركة ببساطة شديدة بأنها تتألف من رأيين فلسفيين وثلاث تقنيات درامية مستخدمة لتقديم هذين الرأيين. وهذه الخصائص الخمس موجودة في جميع مسرحيات العبث إلى درجة مدهشة.

أولا: هناك الرأي بأن الحياة عبث بمعنى أنه ليس لها هدف نهائي أو معنى نهائي. ومفهوم العبث كامن في أعمال الكتاب الوجوديين من

أمثال سارتر وكامو، وتأثيره في الدراما أكبر من تأثيره في القصة أو الشعر. وهو مفهوم يستبعد الايمان بالتقدم أو الكرامة البشرية أو النزعة الانسانية أو التطور التاريخي. إن الحياة تغدو عبثاً بهذا المعنى الخاص عندما لا يكون هناك أنماط لتوجيه أو تحديد مسار المرء وأفعاله.

لماذا لا ينتحر الانسان في مثل هذه الظروف؟ عالج كامو هذا السؤال بالتحديد في مقاله (أسطورة سيسيفوس). وبطريقة أو بأخرى فإن جميع الكتاب المسرحيين الذين يضمهم تقليد مسرح العبث فعلوا الشيء ذاته في أشكال درامية. إن المسرحيات لا تقدم حلولا ، إنها مجرد أفكار، وهي تستكشف ظاهرة أن يحاول المرء أن يعيش في عالم يفتقر إلى المعنى تماماً، في العادة يتم هذا من خلال استعارة مركزية ففي مسرحية يونيسكو (الكراسي) الحياة تشبه العيش في قلعة في وسط البحر على أمل وحيد هو اصطناع (رسالة) للعالم كحافز للعيش. وفي مسرحية بيكيت (نهاية اللعبة) الاستعارة هي غرفة في قبو حيث منظر العالم من خلال نوافذ صغيرة غير واضح. وفي مسرحية (بانتظار غودو) الحياة عبارة عن أمل طويل عقيم في أن أحداً سيصل. وفي مسرحية (النادل الأحمق) يستخدم هارولد بينتر غرفة في قبو كما في مسرحية (نهاية اللعبة) وحافز الانتظار كما في مسرحية (بانتظار غودو) ويضيف شيئاً من العنف في النهاية وهو عنف مربك وعديم المعنى وعبثي. وكل هذه المسرحيات تستخدم تعابير شاعرية شبيهة بالحلم لتصوير الألم والدعابة الساخرة بدون الاطمئنان إلى قيم مطلقة أو معنى مطلق.

والموقف الفلسفي الثاني لهؤلاء الكتاب المسرحيين هو النزعة المناهضة للعقلانية التي تنطوي عليها أعمالهم. فالعقل، في نظرهم، لن يحل أية مشكلة. وينظر هؤلاء الكتاب إلى محاولات اللجوء إلى العقل بأنها خداع للذات. لقد رفض الايمان بالفكر العقلاني الذي هيمن على القرن التاسع عشر إلى حد كبير، ورفض الأمل في التقدم الاجتماعي. إن التعلم عديم الجدوى في عالم لا مستقبل له. ويغدو الماضي نسخة شاحبة فقط للحاضر في التنبؤ بالصورة التي سيكون عليها المستقبل.

**** الواقعية والتعبيرية يمثلان الحلم واليقظة.**

**** المسرحيات لا تقدم حلولا، إنها مجرد أفكار.**

ليس من المستغرب والحال هذه أن نرى شخصيات مثل المدرس في مسرحية يونسكو (الدرس) الذي يغدو قاتلا، والخطيب في مسرحية (الكراسي) وهو الرجل الذي سينشر في العالم رسالة الحق والعدل يغدو رجلا أبله لا تعدو لغته كونها أصواتاً مبهمة. وفي مسرحية (نهاية اللعبة) يمضي الآباء والأمهات حياتهم في أوعية النفايات. ففي عالم يفتقر إلى المعنى فإن المدرسين والآباء والأمهات ورجال الكنيسة والمسنين هم أكثر الناس حماقة.

وإذا انتقلنا من الموقف الفلسفي إلى التقنية فإننا نرى أول ما نرى اعتماداً كبيراً على الأسلوب التعبيري. **إن كل مسرحية تقريباً تعتبر من مسرحيات العبث هي مسرحية خيالية، وفي الحقيقة هناك ميل إلى ايجاد مشهد خيالي يقوم بوظيفة استعارة أساسية للتعبير عن الفكرة**

الإيمائية للمسرحية، والمناظر عادة مستقلة عن الزمان والمكان، والحدث أيضاً غير منطقي، والحوار مملوء بمغالطات منطقية.

والخاصة الثانية للتقنية هي استخدام الدعابة المظلمة. وهي مظلمة بمعنى أن الموضوعات مثل القسوة والجريمة والانتحار غالباً ما تتحول إلى عناصر هزلية. ففي مسرحية يونيسكو (الكراسي) مثلا ينتحر الزوجان العجوزان بالقفز من إحدى نوافذ قلعتهما. إن نصف الجمهور تقريباً يشعر بالاشفاق عليهما في حين أن النصف الآخر يستجيب لانتحارهما بالضحك. فالفعل هو في الوقت ذاته تراجيدي وهزلي على نحو عبثي.

ومصدر الهزل في أمثلة أخرى هو عدم قدرة الأفراد على التفاهم فيما بينهم بوضوح. إن كلا من هارولد بنتر ويوجين يونيسكو يستخدمان أقوالا لا علاقة لها بالحديث وتجيب الشخصيات إجابة لا علاقة لها بالسؤال المطروح، ويجعلان شخصياتهما تردد عبارات لا معنى لها، ويوليان مشكلة الاتصال الانساني اهتماماً كبيراً. وتتمثل هذه المشكلة في عدم قدرتنا على الاصغاء بالشكل المطلوب وعلى التكلم بدقة وعلى إدراك عواطف الآخرين.

وتقوم الدعابة أحياناً بدور ساخر. فمسرحية يونيسكو (المغنية الصلعاء) في الواقع ما هي إلا مجموعة من المشاهد الهزلية غير المترابطة التي تسخر من مواقف الطبقات الوسطى، وبصورة أخص الطبقات الوسطى البريطانية ورسمياتها. وأكثر هذه المشاهد نجاحاً هو المشهد الذي يتحدث فيه رجل وامرأة حديثاً مهذباً ثم يكتشفان أنهما من ذات المدينة ومن ذات الشارع ومن ذات البيت. إنهما يكتشفان أخيراً أنهما زوج وزوجة.

**** مسرح العبث يقدم نوعاً من الحرية لا تعرف المنطق.**

إن سخرية ألبي الموجهة إلى الأم والأب في (صندوق الرمل) أكثر حدة في (الحلم الأمريكي) حيث تغالي الشخصيات باستخدام كليشيهات الطبقات الوسطى، وتتحول هذه الكليشيهات إلى تشويهات خيالية في أسلوب يماثل أسلوب يونيسكو. وسخرية بنتر أكثر حدة إذ يدرك الجمهور أنماطاً شخصية معينة وحالات اجتماعية معينة هزلية على نحو غريب من خلال التشويهات. هذا بالرغم أن عمله ليس مقصوداً به السخرية.

وليست جميع مسرحيات العبث هزلية. ولكن لما كانت أغلبية هذه المسرحيات مضحكة إلى حد ما ـ على الأقل بطريقة مشوهة ـ فإنها تشير إلى مشكلة خاصة في هذا النمط من المسرحيات. إن الافتقار إلى بنية درامية وهو ما يميز كثيراً جداً منها يجعل مسرحيات العبث بحاجة إلى تقنية بديلة ليواصل الجمهور اهتمامه، والهزل حل طبيعي.

ويعيد مارتن إسلين في كتابه (مسرح العبث) هذا العنصر الهزلي إلى الدراما الوسيطة وعروض المهرجين والبهلوانيين في العصر الوسيط. ويرى أيضاً تأثيرات من مصادر حديثة مثل المسرحيات القصيرة الهزلية التي تشتمل

على أغنيات ورقص وأفلام صامتة. وهذا واضح بشكل خاص في مسرحيات مثل (بانتظار غودو) حيث يتعين على الكاتب المسرحي أن يسلي جمهوره ساعتين ونصف بدون قصة.

والخاصة الثالثة لمسرحيات العبث هي الطبيعة الساكنة، فبدلا من تطوير حدث درامي نحو ذروة ما فإن هذه المسرحيات تدرس حالة أساسية واحدة دون أن تطورها، في مسرحية (الكراسي) مثلا يقيد يونيسكو نفسه بشخصيتين تعيشان في قلعتهما في وسط البحر. ولكنه يستكشف اهتمامات زوجين عجوزين تحت هذه الظروف. فهو يقدمهما أولا كشخصين متعاليين، ثم كشخصين يشبهان الأطفال في سلوكهما، وبعد ذلك كشخصين متواضعين ثم متبجحين، ثم كشخصين يملأهما تفاؤل مرضي في مواجهة عالم بلا معنى، إن المسرحية سلسلة من المقاطع الشعرية التي تعالج مشكلة الوجود الانساني.

ربما يكون هذا هو السبب في أن كثيراً جداً من المسرحيات المكتوبة وفق هذا التقليد أو المتأثرة به تلجأ إلى هزل غريب أو إلي وسيلة لصعق الجمهور مثل العنف والعري، **إن تجريد الدراما من حبكتها يزيل واحدة من التقنيات الأساسية للتأثير العاطفي ويضطر الكاتب المسرحي إلى إيجاد بديل لها.**

إن لمسرح العبث تأثيراً عظيماً على الفن المسرحي المعاصر، ولكنه لم يستول عليه استيلاء كاملا. فالمسرح الأسود الأمريكي نادراً ما يلجأ إلى أسلوب العبث لأن هناك معنى وعقيدة في الاحتجاج، وكثير من الكتاب المسرحيين البيض الأصغر سناً مثل لانفورد ويلسون يجدون قوة في الحبكات الدرامية الغريبة الواقعية، أي في الحياة عندما ينظر إليها من زوايا جديدة. حتى أن بعضاً من مؤسسي تقليد العبث قد ابتعدوا عنه أحياناً، فهذا إدوارد ألبي يخرج على التقليد إلى حد ما في مسرحية (صندوق الرمل) في أنه بنى حبكة (تؤدي إلى موت بطولي في التقليد القديم. وشخصية مؤثرة واقعية تحظى باحترامنا. وهو خارج مسرح العبث تماماً في مسرحيات مثل (موت بيسي سميث) وهي تصوير درامي لحدث تاريخي - الليلة التي توفيت فيها مغنية البلوز السوداء الشهيرة لأن مشفى أبيض لم يستقبلها للمعالجة.

وحتى يوجين يونيسكو خرج على الشكل الساكن في مسرحيته (خروج الملك)، وهي مسرحية خيالية عن تقبل الإنسان للقواعد الأخلاقية. وبالرغم من أن البيئة في المسرحية تعبيرية إلا أن الملك وحاشيته يمرون بسلسلة من الأحداث ذات بنية شبيهة بالمأساة الإليزابيثية.

مازالت الواقعية موجودة في المسرح المعاصر بمزاياها الكثيرة، فهي تستحوذ على خيال الجمهور، وإذا تم بناؤها بمهارة فإن لحبكتها تأثيراً درامياً في سلسلة من الذرى طوال العرض، وهي مفيدة في التعبير عن الهموم الأخلاقية والاجتماعية في عصرنا، وأسوأ ما في التقليد الواقعي هو انه يقدم للكاتب المبتديء فرصة للإفادة من الشخصيات الجاهزة والحوار المبتذل والموضوعات التقليدية.

أما التعبيرية من أي نوع - ومسرح العبث بشكل خاص - فإن لها ذات المزايا والصعوبات التي يتصف بها الشعر الحر. فهي تقدم نوعاً من الحرية يحتاج إليها كل فنان. ولكنها في الوقت نفسه تستبعد البنية التي يحتاج إليها كل فنان، والمشكلة هي أن لا يستطيع الكاتب أن يقدم حافزاً جديداً يُبْقي العمل متحركاً وحياً.

رشيد الذوادي اسم أدبي في تونس وفي البلاد العربية له اسهامات متعددة بين الدراسة والنقد والتراجم، وحضوره خارج الوطن، يتمثل خاصة في الانتساب لـ (رابطة الأدب الحديث في القاهرة) والاشتراك هناك في ندوات وكتب مع أعلام الفكر والقلم.
له من المؤلفات المطبوعة: (رحلة في الشعر التونسي ـ أحاديث في الأدب ـ اشارات أدبية ـ وجوه من بنزرت ـ أدباء تونسيون ـ عظماء بلادي ـ جماعة تحت السور).
وللغوص في ثنايا هذا الأديب كان هذا اللقاء.

حوار في الأفق:

لقاء مع الأديب التونسي رشيد الذوادي

*** المنهل:**

المعروف أنكم عالجتم الدراسة الأدبية والنقد، أيّ العوامل دعت للجمع بين اللونين.. وما هو اللون الذي تؤثرون الاهتمام به خاصة؟.

** المعروف أني عالجت (الدراسة والنقد) ولي اسهمات أيضا في التاريخ، وفي أدب الأطفال، وفي القضايا المستقبلية.

واللون الغالب على انتاجي هو الدراسة والنقد، كما ذكرتم، وكلاهما محبب إليّ.

في مجال الدراسات، قدمت الكثير من المداخلات، في مؤتمرات أدبية وفكرية منها (مهرجان العقاد) بالقاهرة سنة ١٩٨٤، والملتقى الدولي حول (حضارة العرب) الذي عُقدَ بوهران عام ١٩٩٣، وملتقى زكي مبارك بالقاهرة عام ١٩٨٥، والندوة العربية حول (الشرق أوسطية) وفي ندوة انعقدت بليبيا سنة ١٩٩٥، وفي ألفية التوحيدي بالقاهرة سنة ١٩٩٥، الخ..

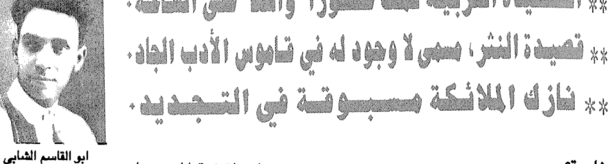
وفي مجال النقد: لي بعض الدراسات، وأنوى قريبا تقديم كتاب يحمل عنوان: «فصول في الأدب والنقد»، وقد كتبت تقديما له الدكتورة نعمات أحمد فؤاد.. وربما يطبع هذا الكتاب قريبا بالقاهرة، أنا شخصيا لا أفضل لونا على لون.

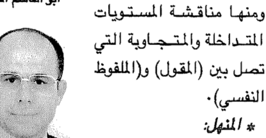
رشيد الذوادي.

*** المنهل:**

هل توجد مدرسة نقدية اليوم في تونس، وإن كانت ما هي الروافد التي تقف عندها قياسا لما يجرى من تجارب نقدية في العالم العربي

اجرى اللقاء:
محمد الصادق عبد اللطيف
ـ تونس ـ





ابو القاسم الشابى



عبد السلام المسدي

محمد العروسي المطوي

خاصة؟

** بالطبع بدأت تتشكل (مدرسة للنقد في تونس)، والنقد مع نهاية الستينيات أصبح أكثر التصاقا بالأجناس الأدبية.. والدوريات التونسية التي صدرت منذ سنة ١٩٥٥ هي من أهم المراجع للكتابات النقدية، وتعتبر الكتب التي صدرت في مجال النقد في تونس هي بداية لتأسيس هذه المدرسة ومن الأسماء المعروفة على الساحة العربية في مجال النقد أذكر: المنجي الشملي، ومحمد العروسي المطوى، وتوفيق بكاره، وأبو زيان السعدى وعبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي.

و(المدرسة التونسية في النقد) أخذت على عاتقها اشاعة المفاهيم النقدية الحديثة والاستغناء عن المقاربات التذوّقية والانطباعية بمقاربات تعتمد أدوات تحليلية مقتبسة من علم اللغة، وعلم الاجتماع، وعلم التحليل النفسي.

* *المنهل:*

أحيانا يطفو على الساحة النقدية، نقد سلبي على أحد الأعمال، ما هي وظيفة الناقد في رأيك؟..

** (الناقد) اتمثله (قواما).. عليه أن يعي عصره وأدواته، وأن يفتح (المستور) على أن خطورة دوره تكمن في تجاوز (الانطباعية)، والتركيز على محتوى الأعمال الابداعية، واستخدام كل الأدوات في التعامل مع (النص)، ومنها مناقشة المستويات المتداخلة والمتجاوية التي تصل بين (المقول) و(الملفوظ النفسي).

* *المنهل:*

توجد علاقة جدلية بين النقد والابداع؟ هل استفاد منهما الفكر المعاصر.. كيف ذلك؟.

** بالتأكيد هناك علاقة جدلية، والفكر العربي استفاد كثيرا من هذه العلاقة.. والابداع لابد وأن يسبق النقد و(عملية النقد) هي نفسها (ابداعا) وتشكل محطة هامة في مجال تأسيس (البنية الفكرية).

* *المنهل:*

باعتبارك واحدا من جيل الطليعة الأدبية في تونس اليوم، وقد عشت الحرية والابداع.. أين وصلت مسيرة الأدب التونسي الحديث، ومن هم في نظرك أعلام هذه المدرسة اليوم بعيدا عن الشابي وأترابه؟.

** جيل الطليعة الأدبية في تونس اليوم ممن تركوا آثارا هامة.. كثيرون منهم: محمد العروسي المطوى في (التوت المر)، والبشير بن سلامة في (عائشة) و(عادل) و(علي) ورشاد

الحمزاوى في (طرننو) وعز الدين المدني في جل مسرحياته، وكذلك حسن نصر ورضوان الكوني (في جملة أعمالهما القصصية) ونور الدين صمود كشاعر، والبشير المشرقي كشاعر أيضا والقائمة طويلة.

* *المنهل:* **(القصيدة النثرية هل لها حضور بهذا الحجم الذي تعيشه القصيدة العمودية على الساحة العربية؟..**

** الواقع أن القصيدة العربية الحديثة لازالت في مرحلة البحث عن نمط معين اذا كان لها أن تستقر في النهاية.. ونحن مضطرون في اطار التحويل الشعري المعاصر على أن نعترف بتعددية الأنماط الشعرية.. وبالطبع فالنتيجة تشير الى تعددية واسعة من نماذج (البنى) والقصيدة النثرية هي نمط من الأنماط على أنها في رأيي لا تملك الحضور الذي تعيشه القصيدة العمودية على الساحة العربية.

* *المنهل:*

ينعت جيل الشابي بأنه تجسيد للحيرة والقلق بين اللامبالاة والاحساس المر بالعبث وضرورة الالتزام.. ما هو رأيك؟

** صحيح، جيل الشابي الأدبي جسّد الحيرة، ورأينا هذه الحيرة متمثلة في شعر (أحمد المختار الوزير ومصطفى خريف) وفي خواطر محمد عبد الخالق البشروش، وفي انتاجات البعض من (جماعة تحت السور) وبالخصوص في انتاج الهادى العبيدى، وعلي الدوعاجي.

* *المنهل:*

الحداثة والمعاصرة .. هل لهما من تحديد انطلاقا من القول بأن الحداثة ستار للجهل بتراثنا، وهل هي تعني رفض القديم أم هي تعني أن تأخذ معولك وتهدم الكل لتبدأ من جديد؟.

** المعاجم العربية لم تقدم تفسيرا للحداثة الا باعتبارها نقيضا للقديم، لذلك تعدّدت الشروح لها، وكان فيها الكثير من تغليف التعبير.

وفي اعتقادي أن نازك الملائكة عندما نظمت قصيدة (الكوليرا)، والسيّاب عندما نظم قصيدة «هل كان حباً» لم يخطر ببالهما أن هناك بداية جديدة في تاريخ الفكر العربي على أن مواقف البعض أحدثت شروخا في أذهان الداعين لها ومفارقات أيضا.

والطريف حقا هو أنه حتى نازك الملائكة التي اعتبرت لمرحلة طويلة رائدة الحداثة تنقلب عليها الآراء وتتعرض لسخرية مرة من قبل أقطاب هذه الحركة.. نرى مثلا (أدونيس) في (فاتحة لنهايات القرن) يقول عنها: «إننا في شعر أبي تمام نرى حساسية حديثة ورؤيا فنية حديثة لا تتوفرّان عند نازك».. وأنواع الحداثة تنوعت، ومستوياتها تغيرت على أني أرى أن أحسن تعريف لها: (هي رؤيا جديدة تلامس البنى العميقة في المجتمع.

* *المنهل:*

شعر الشابي كيف احتفظ بشخصيته ووصل العالم في الوقت نفسه بالغا المستوى الانساني الذى يطمح اليه؟.

** لا جدال، الشابي شاعر متفرد وعبقري، وتأكدت شهرته بعد اتصاله بجماعة (أبوللو) وساعد على شهرة الشابي مضامين قصائده، والتيار الرومانسي أيضا.

* *المنهل:*

تأسست (القصيدة النثرية) على أنقاض تجربة الشعر الحرّ (غير العمودي) .. في رأيكم هل استطاعت قصيدة النثر فرض شخصيتها في العالم العربي اليوم، وأين يبدو ذلك من ناحية الشكل والمضمون؟.

** الشعر: هو (ديوان العرب) كما نعلم، والعرب مغرمون بـ (الايقاع)، ويخطىء من يظن

** النقد ابداع إلى جانب ابداع القصيدة.

** الأذن العربية فطرت على الترنيم والتنغيم وهي مقياس القصيدة.



د. نور الدين صمود





نازك الملائكة

أن الشعر العربي لم يعرف تجديدا على مستوى الأوزان والقوافي منذ القديم. ويذكر ابن رشيق في العمدة «أن أول من ألف الأوزان وجمع الأعاريض والضروب الخليل بن أحمد»، ويذكر المعرى أن قصيدة عبيد: (أقفر من أهلها ملحوب) وزنها يختلف عن الأوزان المعروفة والمتعارفة، يعنى هذا أن حركة التجديد متواصلة، وصاحب (الأغاني) نفسه حكى عن أبي العتاهية قائلا عنه انه اخترع أوزانا جديدة.

إن (القصيدة النثرية) هي قصيدة ذات ايقاع وخاصة عند جبران خليل جبران.. ولكن لا ننسى أن العرب اهتمامهم كان منصرفا الى (الايقاع)، و(الشعر غير العمودي) لا أعتقد أنه سيكتسب (الديمومة) و(الخلود) كقصائد الايقاع الخاضعة لنظام الأوزان، والأوزان تنسجم مع روح البيئة وتمنح الشعر صلاحية للغناء.

* المنهل:

شهد المغرب العربي نهضة فكرية وأدبية.. هل لكم أن تحددوا معالم هذه النهضة؟.

** صحيح المغرب العربي وخلال العشرينيات الأخيرة من هذا القرن شهد نهضة فكرية وأدبية، وتجلت هذه النهضة في الحفر عن المخزون من التراث وفي أعمال أدبية جريئة ومن أعلام هذه النهضة: عابد الجابرى وهشام جعيط، وعبد الكريم غلاب، والحبيب الجنحاني وسواهم.

*** المنهل:**

مدى اطلاعكم على الأدب المشرقي وخاصة السعودي منه؟.

** شخصيا أتابع الحركة الأدبية في المشرق العربي منذ الثلاثينيات وأنا معتز بها وفي السعودية هناك نهضة أدبية تتصفحها في دوريات المملكة كـ (المنهل والمجلة والدارة) و(القافلة) و(الفيصل) و(الخفجي) وأنا أعرف العديد من أدباء السعودية خاصة المرحوم (الطاهر الزمخشري) والمرحوم (عبد القدوس الانصاري) وحسن عبد الله القرشي وغازي القصيبي وعبد الفتاح أبو مدين وكذلك النوادي الأدبية وما تقوم به من نشاط فكري يرضي النفس ويزكيها خاصة لدى القراء من الوطن العربي.

والحركة الأدبية في السعودية اليوم تتصدر الطليعة في البلاد العربية بما تفرزه من انتاج وبما تساهم به من حضور ودعم للثقافة العربية، وهي رافد حي على وقعه تبني الثقافة السعودية التي تستمد معينها من نبع الثقافة العربية بمفهومها الشامل، وتطلعات الأدباء الى انتاج الحركة الأدبية في السعودية يجعلهم يتسابقون للمزيد من الارتواء من النبع الثقافي السعودي سواء في مجلاتها أو كتبها وصحفها أو اعلامها من شعراء ونقاد ودارسين، عليهم مسؤولية المحافظة على هذا الوقع لتطوير وتنظير المحتوى العام لكل ما يطرح من انتاج في الساحة العربية بوجه خاص.

مجلس الأمن الدولي وحق الڤيتو

تضم منظمة هيئة الأمم المتحدة U.N ـ كما هو معروف ـ ستة أجهزة هي: الجمعية العامة ـ مجلس الأمن ـ المجلس الاقتصادي والاجتماعي ـ مجلس الوصاية ـ الأمانة العامة ـ محكمة العدل الدولية. ومن أصل هذه الأجهزة الستة التي يختص كل منها بمهام محددة على ضوء ميثاق الهيئة لعام ١٩٤٥، فإن (مجلس الأمن (Security Council) يلعب دوراً مميزاً ليس لأنه الجهاز التنفيذي للهيئة فحسب، بل لأنه الجهاز الوحيد الذي يصدر قرارات ملزمة ويسهر على تنفيذها، وأما الأجهزة الأخرى فإن غالبية مقرراتها هي من نوع (التوصيات Recommanda-tions) التي لا تتمتع بصفة القرارات إلا بصورة استثنائية، ما عدا قرارات محكمة العدل الدولية التي تحتاج بدورها لدعم من مجلس الأمن في سبيل تنفيذها جبراً إذا لم تشأ الدولة أو الدول المعنية تنفيذها.

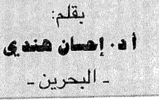
وقد كان مجلس الأمن يتكون في البدء (١٩٤٥ ـ ١٩٦٥) من أحد عشر عضوا: خمسة أعضاء دائمين هم الولايات الأمريكية وبريطانيا والاتحاد السوفياتي وفرنسا والصين، وستة أعضاء من الدول المؤقتة العضوية التي يتم انتخابها من قبل أعضاء (الجمعية العامة) لمدة سنتين.

وفي عام ١٩٦٥ تم تعديل الميثاق لتوسيع أعضاء المجلس بحيث أصبح عددهم ١٥ دولة، وقد بقي عدد الأعضاء الدائمين كما كان، بينما زاد عدد الأعضاء المؤقتين إلى عشر دول بدلا من ست، وبقيت مدة العضوية المؤقتة سنتين كما كانت عليه.

ويتم اختيار هؤلاء الأعضاء المؤقتين بشكل يمثلون ما أمكن بقاع العالم تمثيلا عادلا، وذلك على الشكل التالي: خمسة أعضاء من دول أفريقيا وآسيا (٣ من أفريقيا و٢ من آسيا أو بالعكس)، عضوان من دول أمريكا اللاتينية، عضو واحد من دول أوربا الشرقية، عضوان من دول أوربا الغربية وبقية أنحاء العالم (أوقيانوسية).

وفي بداية كل عام ميلادي تدخل خمس دول جديدة في عضوية مجلس الأمن بعد انتخابها من قبل الجمعية العامة.

والدولة التي تنتهي عضويتها في المجلس لا يجوز إعادة انتخابها مباشرة وذلك لئلا تصبح بمثابة الدولة الدائمة العضوية إذا اتفق أغلبية أعضاء الجمعية العامة على التجديد لها بشكل مستمر: فمثلا المملكة المغربية التي احتلت أحد المقاعد المخصصة للدول المؤقتة العضوية



في بداية عام ١٩٩٢م، كانت آخر مرة شغلت فيها مثل هذه العضوية هي في عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤م.

والغاية من تبديل نصف عدد الدول المؤقتة كل سنة بدلا من تبديلها جميعا في أول كل عامين، هي تأمين استمرار وجود الدول المؤقتة في المجلس، واكتساب الأعضاء الجدد بعض الخبرة من الأعضاء الذين سبقوهم لمدة سنة في العضوية ولازالوا في المجلس.

وأما الدول الخمس الدائمة العضوية في المجلس فهي دائمةالحضور فيه منذ انعقاد أولى جلساته عام ١٩٤٥م حتى اليوم.

وقد كان صك عصبة الأمم (وهي المنظمة الدولية التي كانت قائمة في جنيف قبل هيئة الأمم المتحدة) يقضي بأن الأعضاء الدائمين هم فرنسا وإيطاليا وبريطانيا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية (التي لم تحتل مقعدها بالفعل لأن مجلس الشيوخ الأمريكي لم يصادق على الانتساب للعصبة)، وكان يجيز إضافة أعضاء دائمين آخرين بموافقة الجمعية العامة (وهكذا تمت إضافة ألمانيا كعضو بعد ذلك)، وأما ميثاق هيئة الأمم المتحدة الحالية فلا يجيز إضافة أي أعضاء آخرين دائمين إلا إذا تم تعديل الميثاق كي يسمح بذلك علما بأن التعديل المطلوب يستوجب موافقة ثلثي أعضاء الجمعية العامة (١٢٢ من ١٨٣ دولة بالعدد الحالي)، وبشرط أن يكون الأعضاء الخمسة الدائمون حالياً (الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا ، بريطانيا، فرنسا، الصين) من الأعضاء الموافقين على التعديل.

وإذا كان من الممكن تدبير موافقة ثلثي أعضاء الجمعية العامة على التعديل، فإن إقناع الدول الخمس الدائمة العضوية بأن تكون من ضمن الموافقين هو أمر صعب وشبه مستحيل لأن هذه الدول الخمس التي تقود العالم عبر مجلس الأمن، لا تريد شركاء جداً لها في الغالب، ولكن الصعب قد يغدو ممكناً إذا تمكن المرشحون لدخول العضوية الدائمة من إقناع الأعضاء الدائمين الخمسة الحاليين، وقد يضطرون في سبيل ذلك للتلويح ببعض الصفقات الاقتصادية والسياسية، وخاصة بعد أن وافقت الجمعية العامة في دورتها الحالية على فكرة تعديل الميثاق في سبيل زيادة عدد أعضاء مجلس الأمن.

دولة واحدة تسفه رأي ١٤ دولة بحق الفيتو

والدول المرشحة لاحتلال العضوية الدائمة إلى جانب الأعضاء الدائمين الخمسة الحاليين - هي ألمانيا وإيطاليا واليابان ، على أساس أنها كانت لها عضوية دائمة في مجلس عصبة الأمم السابقة للهيئة (١٩٢٠ - ١٩٣٩)، والهند ونيجيريا والبرازيل وأوستراليا على أساس أن كلا منها هي الدولة الأكبر في القارة التي تمثلها.

وفي حال زيادة عدد أعضاء مجلس الأمن الدائمين فإن ذلك سيستتبع حتماً زيادة الأعضاء المؤقتين وتعديل النصاب الخاص باتخاذ القرارات، بل وإن البعض يتنبأ بالوصول إلى حل وسط يتم فيه إدخال خمس من الدول كأعضاء دائمي العضوية جدد، ولكن بدون أن يمنحوا حق الفيتو الذي سنتكلم عنه في نهاية هذا المقال.

وكل دولة من الدول الأعضاء في مجلس الأمن الحالي سواء أكانت من الدول الخمس الدائمة العضوية، أم من الدول العشر ذات العضوية المؤقتة، لها صوت واحد في المجلس، ولكن الأصوات ليست متساوية في التأثير كما سنشرح بعد قليل.

وتكون رئاسة المجلس بالتناوب الشهري بين الدول الأعضاء بحسب تسلسل أسمائها باللغة الإنجليزية وبما أن مدة العضوية للدول المؤقتة هي سنتان (٢٤ شهراً) وعدد الدول الأعضاء هو ١٥،

لذا فإن كل دولة مؤقتة العضوية تستلم رئاسة المجلس مرة على الأقل ومرتين على الأكثر خلال مدة عضويتها فيه.

ومجلس الأمن على عكس الجمعية العامة، هو مجلس دائم الانعقاد، يجتمع بناء على طلب من رئيسه بشكل دوري مرة على الأقل كل أربعة عشر يوماً في الظروف العادية، كما يمكن أن يُدعى المجلس إلى الاجتماع من قبل رئيسه بشكل مفاجيء في أي ساعة من ساعات الليل والنهار، وذلك بناء على طلب من أحد أعضاء المجلس الدائمين أو المؤقتين، أو طلب من الأمين العام للهيئة، أو بناء على شكوى رسمية تقدمت بها إحدى الدول الأعضاء في الهيئة إلى رئاسة المجلس.

ويحق للدول غير الأعضاء في المجلس حضور جلساته إذا كانت طرفاً في النزاع المعروض عليه، أو إذا كانت تتأثر بالقضية المعروضة عليه بشكل مباشر، ولكن في جميع الأحوال يحق لها عرض رأيها دون الاشتراك في التصويت.

ويتخذ المجلس قرارته جميعا (التي يتم تحضيرها غالباً عبر اجتماعات إيجابية على الأقل، من أصل أصوات الأعضاء الخمسة عشر (أي بنسبة ثلاثة أخماس)، ولكن يجب التمييز هنا بين (القضايا الإجرائية) و(القضايا الموضوعية).

في القضايا الإجرائية:

مثل إدراج مسألة معينة في جدول الاعمال أو حذفها منه، دعوة دولة غير عضو في المجلس للاشتراك في مناقشاته بدون حق التصويت، عقد اجتماعات دورية داخل المجلس أو خارجه، وقف أو تأجيل اجتماع معين .. تكون الأغلبية المطلوبة تسعة أصوات على الأقل من أصل خمسة عشر صوتاً بدون أي تمييز بين أصوات الدول الدائمة العضوية أو المؤقتة العضوية.

وفي القضايا الموضوعية:

مثل قبول دولة جديدة في عضوية الهيئة، تعيين أمين عام جديد، إنتخاب قضاة جدد لمحكمة العدل الدولية، إرسال قوات حفظ سلام إلى مكان معين في العالم، القيام بعمل تأديبي ضد دولة تهدد السلام والأمن الدوليين، تكون الأغلبية اللازمة هي تسعة أصوات بمن فيهم أصوات الدول الخمس الدائمة العضوية في المجلس.

مراجعة نظام الفيتو ضرورة ملحة

ومعنى هذا أنه إذا عارضت واحدة من هذه الدول الخمس مشروع قرار ما لعدم ملاءمته لمصلحتها الخاصة، أو لمصالح حلفائها، فإن هذا المشروع يسقط كأنه لم يكن حتى لو وافق عليه الأعضاء الأربعة عشر الباقون جميعا. ويسمى هذا الحق الممنوح للدول الخمس الكبرى الدائمة العضوية، بإبطال مشاريع القرارات التى لا تناسبها باسم (حق الڤيتو Veto) وهو ما يقابل بالعربية (حق النقض) لأنه ينقض مشروع القرار من أساسه.

وقد قبلت الدول الصغرى عند صياغة ميثاق هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ (وكان عددها ٤٦ دولة فقط) بمنح الدول الخمس الكبرى هذا الامتياز كمكافأة لها على دورها في الحرب العالمية الثانية ضد دول المحور، وذلك بعد تعهد مندوبي الدول المذكورة بعدم استخدام هذا الحق (الڤيتو) إلا ضمن أضيق الحدود، ولكن الدول الخمس الكبرى بدأت باستخدام هذا الحق على مستوى واسع، بل إنها أساءت استخدامه أحياناً، وهذا ما جعل الدول الصغرى تلجأ إلى بعض التدابير ومنها التالية:

١ - استصدرت قراراً من الجمعية العامة بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٤٩م يوصي الدول الدائمة العضوية في المجلس بعدم استخدام حق الڤيتو إلا ضمن حدود ضيقة.

٢ - تمكنت من إقرار قاعدة شبه عرفية في

مجلس الأمن وتقضي هذه القاعدة بأن غياب عضو دائم العضوية عن حضور الجلسات، أو حضوره ثم امتناعه عن التصويت، لا يعتبر بمثابة ممارسة منه لحق النقض (فيتو) ضد القرار الذي تمت الموافقة عليه حسب الأصول من بقية الدول الأعضاء، وذلك بالرغم من أن التفسير الحرفي للمادة ٢٧ من الميثاق يقود إلى مثل هذا الاستنتاج. وهكذا فإن غياب مندوب الاتحاد السوفياتي عن حضور جلسة القرار الخاص بالتدخل في كوريا عام ١٩٥٠ لم يحل دون متابعة المجلس لعمله واتخاذه قراراً خاصاً يبيح هذا التدخل. كما أن امتناع مندوب الصين الشعبية عن التصويت على القرار الخاص باستخدام القوة ضد العراق لحمله على الانسحاب من الكويت، في أواخر عام ١٩٩٠، لم يحل دون تبني هذا القرار واكتساب التدخل صفة الشرعية.

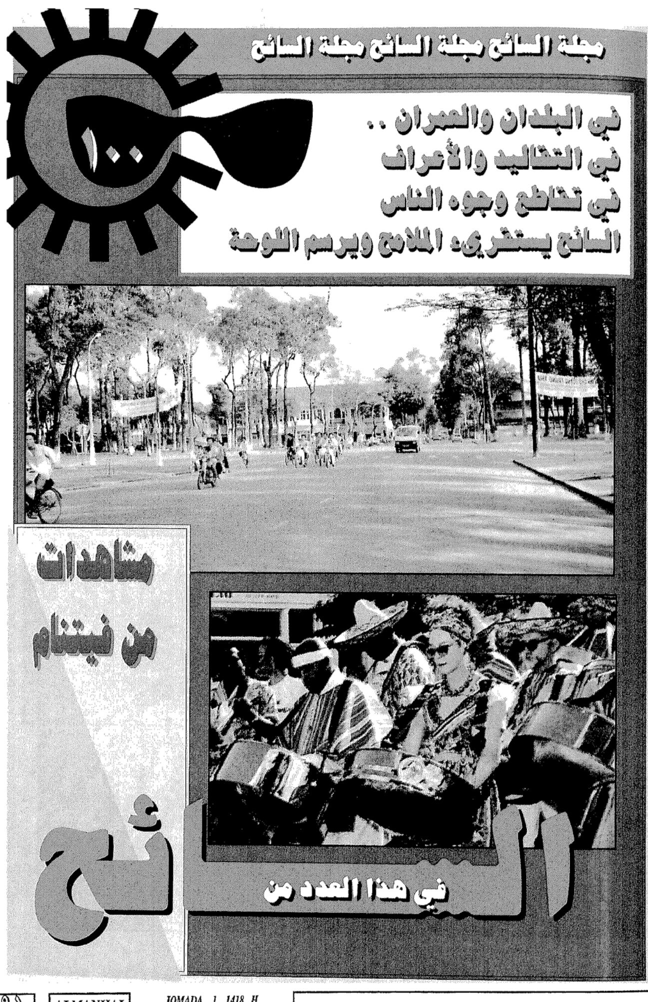
والحقيقة أن حق الفيتو يحمل من المساوىء أكثر بكثير مما يحمل من المحاسن: فإذا كان يُمكن - بشكل غير مباشر - من المحافظة على السلام أحياناً بتمكين دولة كبرى من الدول الخمس من تحقيق مصالحها عن طريق استخدام هذا الحق أو التلويح باستخدامه بدلا من اللجوء إلى القوة أو التلويح باستخدامها، فإن الفيتو يخرق قاعدة أساسية من القواعد التي قام عليها القانون الدولي وهي قاعدة (تساوي الدول من حيث الحقوق والواجبات). ويكفي في هذا المجال أن نعرف أن الدول ذات العضوية المؤقتة في مجلس الأمن تحتاج لسبعة أصوات منها للوقوف في وجه مشروع قرار والحيلولة دون إقراره (إذا وقفت سبع منها ضد المشروع لا يكفي عدد الأعضاء الباقين - وهو ثمانية - لإقراره حتى لو كان الأعضاء الخمسة الدائمون بين هؤلاء الثمانية)، بينما يكفي صوت دولة واحدة من الدول دائمة العضوية لإسقاط مشروع القرار وكأنه لم يكن إذا استخدم مندوب هذه الدولة في المجلس حق الفيتو.

وفيما يتعلق بطريقة التصويت فإنها تتم عن طريق رفع الأيدي بناء على سؤال يطرحه رئيس المجلس بالصيغ الثلاث التالية:

- من هي الدول الأعضاء الموافقة على القرار؟
- ومن هي الدول المعارضة للقرار؟.
- ومن هي الدول الممتنعة عن التصويت؟.

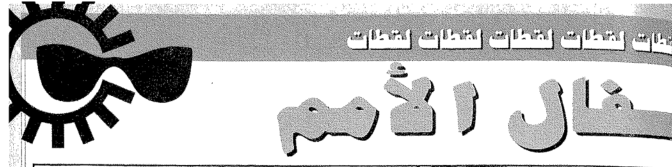
«الفيتو» أصبح سيفاً على رقاب الضعفاء

وفي حال سقوط مشروع القرار لعدم حيازته على عدد الأصوات المطلوبة (تسعة أصوات بمن فيهم أصوات الأعضاء الدائمين) أو لأن مندوبي إحدى الدول الدائمة العضوية استخدم حقه في الفيتو ضده، فإنه يعتبر كأنه لم يكن.. وأما في حالة إقراره فيعلنه رئيس المجلس كقرار رسمي لمجلس الأمن ويأخذ رقماً مسلسلا، وقد بلغ عدد القرارات التي تم اتخاذها في المجلس حتى تاريخ كتابة هذه السطور حوالي (٨٧٠) قراراً. وأهم هذه القرارات بالنسبة لنا نحن العرب القرار رقم ١٨١ القاضي بتقسيم فلسطين والقرار ٢٤٢ بشأن تسوية مشكلة الشرق الأوسط بعد حرب ١٩٦٧، والقرار ٣٣٨ حول الموضوع نفسه بعد حرب ١٩٧٣، والقرار ٤٢ الخاص بوجوب انسحاب اسرائيل من الجنوب اللبناني المحتل، والقرارات ٦٦٠ - ٦٧٨ الخاصة بردع العراق ووجوب انسحابه من الكويت.. ومن المفروض مبدئيا أن تتمتع جميع القرارات التي يصدرها مجلس الأمن بقوة إلزامية متساوية بحيث يستخدم المجلس سلطته المعنوية وقواته المادية إذا لزم الأمر (بموجب الفصل السابع من الميثاق) لتنفيذها جميعا، ولكن الواقع الدولي يثبت أن هذا التنفيذ مرهون بعلاقات القوى السائدة في المجتمع الدولي، بحيث أن بعضها ينفذ، وبعضها الآخر يبقى حبراً على الورق لا أكثر، كما هي الحال في القرارات الصادرة بخصوص حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى بلادهم على سبيل المثال لا الحصر.


مجلة السائح مجلة السائح مجلة السائح
١٠٠
في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقرىء الملامح ويرسم اللوحة
مشاهدات
من فيتنام
السائح
في هذا العدد من


لقطات لقطات لقطات لقطات لقطات لقطات لقطات لقطات لقطات


كرن



«المملكة التي لا تغيب عنها الشمس» .. هكذا كان اسم دولة بريطانيا، أيام امتداد مستعمراتها في كل الاتجاهات.. بريطانيا أو انجلترا، رحل اليها كثير من أبناء تلك المستعمرات وأصبحت لهم مكان اقامة دائمة.

هذه الشعوب الوافدة من كل الجنسيات واللغات والألوان، بل من كل الثقافات والتوجهات الحضارية شكلت لنفسها مهرجاناً سنوياً عرف باسم (كرنفال نوتينج هيل).. كرنفال يحضره اكثر من مليون شخص، فيه تعرض هذه الشعوب كل ألوان ثقافاتها واعرافها وتقاليدها، في الازياء، والالعاب والرقص والموسيقى.

هذا الكرنفال حقيقة يمكن أن نسميه (العالم بين يديك) فنون افريقيا وآسيا وأوروبا شرقها وغربها، فنون الكاريبي والباسيفك، فنون الهند والسند..

انه رقصة الأمم وفنون الامم..

وهذه الصور تغني عن الحرف..

***السياحة، قراءة ذكية للشعوب ، عاداتهم ، أعرافهم ، تقاليدهم ، في المسكن والملبس والمأكل.. في السلوك والمعاملات .. في الجماعات والافراد. في أديانهم وعقائدهم وطقوسهم .. كل ذلك يعطي صورة حقيقية عن طبائع البشر ومعطيات حياتهم.**

هذه حلقات متتالية للأستاذ العبودي، مشاهدات وقراءات وتأملات في شعب فيتنام.

غادرنا الفندق قبيل الخامسة فجراً بعد أن دفعنا الأجرة ٤٩ دولاراً لليلة الواحدة، ومثله في أوروبا بأكثر من ضعف هذا المبلغ مع أن معاملة أهله من عمال ومديرين من أرقى أنواع المعاملة وأسهلها، فعلى سبيل المثال عندما دفعنا المبلغ قبل الخروج لفتاة كانت قرب الصندوق لم تسألنا حتى السؤال التقليدي عما إذا كنا قد أخذنا شيئا من الثلاجة الصغيرة الموجودة في الغرفة، مع أن الوقت ليل لم يدخل فيه الغرفة أحد من عمال الفندق بعدنا.



وذكرت بهذه المناسبة بعض الفنادق في دول متخلفة وكيف يرسلون موظفاً يعد ما في الثلاجة رغم نفي النزيل أنه قد أخذ منها شيئاً.

ذهبنا إلى المطار للسفر إلى هانوي العاصمة فكان الأمر على مثل ذلك من السهولة واليسر أو أكثر منه ، فكانت السرعة في الاجراءات وعدم التعقيد إضافة إلى أنه زاد معنا وزن في الأمتعة فتجاوزوا عنه.

كما أن التفتيش من أجل الأمن كان يتسم بالضبط والسهولة فبطاقة الصعود إلى الطائرة مسجلة على الحاسب الآلي لابد أن تتأكد منها الموظفة ولكنها تفعل ذلك بسرعة، وكذلك تفتيش حقائب الأيدي والأبدان يتم بالكهرباء من عيون صغيرة فاحصة.

والشيء اللافت للنظر أكثر من غيره رخص البضائع المعروضة في قاعة المغادرة رخصاً لا يصدق، حتى الأقلام المستوردة يبيعونها فيها أرخص من سعرها عندنا، وهذا شيء لم أره في غير هذه البلاد، فمثلا شربنا كأساً من القهوة جاؤوا بالسكر لها في أكياس ورقية صغيرة



- أحد الميادين الكبيرة في هوشي منه أمام مبنى رئاسة الجمهورية.

معتادة، وتقاضوا قيمة الكأس ألف دونغ، أي أن الدولار الواحد فيه ١٤ كأساً من القهوة، أو بعبارة أوضح أن أربعة عشر شخصاً يستطيعون أن يشربوا كلهم القهوة بدولار واحد مع أنها في مقهاة المطار التي تكون غالية في العادة، بحيث يحتاج الشخص الواحد إلى دولارين لشرب مثل هذا الكأس.

ويسبب هذا الرخص المتناهي عندهم جرؤنا على القول بأن نقودهم فيها بركة عظيمة، إذ كان الواحد منا يصرف دولارات قليلة فيأخذ عوضاً عنها نقوداً من نقودهم تملأ جيوبه، ويظل ينفق منها زمناً يخيل فيها أنها أكثر مما كانت عليه.

وقد لاحظت في هذه البلاد الشيوعية شيئاً لم أره في غيرها من البلدان الشيوعية، وهو أن العاملين وبخاصة العاملات في المحلات العامة كالمطارات والفنادق يبتسمون للضيف الذي يتعامل معهم، وهو أمر معدوم في البلدان الشيوعية التي رأيتها كلها أو أكثرها سواء في أوروبا أو في آسيا وإفريقية.

وإذا أضيف إلى هذا الرخص في الأسعار وحُسن المعاملة من الناس، الأمن الجيد الموجود في البلاد كان ذلك مما يجعل هذه البلاد جنة للسائح الغريب الذي تجذبه المعرفة والإطلاع أكثر مما يجذبه الهوى والاستمتاع.

الى هانوي :

ليس ما يجمع بيننا وبين (هانوي) من دين أو عقيدة أو مبدأ، ولا ما يشدنا إليها من ثقافة مشتركة أو تاريخ مذكور أو رابطة لغوية، ولا حتى من مصالح مالية أو اقتصادية، ولا ما يقربنا إليها من دار أو جوار.

وكل هذه الأشياء تُقَرِّب وقد تورث الحب أو القرب، ولكن ذلك كله لا يمنعنا من أن نظهر مشاعرنا التي كوناها عن هذه المدينة الباسلة (هانوي) تحكم لها بما استحقت به أن تسمى (مدينة البطولات).

ـ صورة تجمع بين الاستاذ العبودي من اليمن والاستاذ مصطفى أبو شنب سفير جمهورية مصر العربية في هانوي.

حتى لو كان ما بيننا وبينها بغضاً من البغض فإنه لن يمنعنا من قول الحق الذي منه أنها (مدينة بطولات)، قال الله تعالى: {ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي}، ومعنى لا يجرمنكم. لا يمنعنكم. والشنآن: البغض، والعدل منه العدل بالقول وهو أن لا يمنعك لمن تبغضه عن أن تذكر ما يكون له من محاسن.

ونحن لا نبغض الشعب الفيتنامي. وإن كنا نبغض النظام الشيوعي الذي تسير عليه حكومته.

وعلى أية حال فإننا مثل غيرنا من المنصفين لا يسعنا إلا أن نقدر الشجاعة العظيمة التي أبداها هذا الشعب وهو يقاتل مدة أربعين سنة قوى تفوقه أموالا وعدداً وسلاحاً إلى أن انتصر عليها فهزمها شر هزيمة مما جعله مثلا للشعوب التي تكافح قوى أعظم منها عدداً وعدة.

ومما جعل عاصمته (هانوي) تعد بحق (مدينة البطولات).

ومن العادات الإنسانية أن الناس يتشوقون إلى رؤية أماكن الحوادث الكبيرة والوقائع المذكورة وحتى مواقع الانتصار في الحروب.. وذلك ما جعلني في شوق عظيم إلى رؤية مدينة هانوي..

من هوشي منه إلى هانوي :

ولو قلنا كما كان الناس يقولون قبل اتحاد فيتنام (من سايقون إلى هانوي) لكنا كمن يجمع بين النقيضين في السياسة والاتجاه، ذلك أن سايقون في ذلك الوقت كانت تمثل الطرف المعادي للشيوعية المتعاون مع الغرب ضدها إلى

درجة الحرب، وأن هانوي كانت تمثل الطرف الشيوعي المعادي للرأسمالية المتعاون مع الاتحاد السوفيتي ضدها إلى درجة الحرب.

ولكن الأمر مختلف الآن ففيتنام كلها أصبحت واحدة منذ سنين و(سايقون) نفضت عن نفسها لقب العاصمة، لتنفرد به (هانوي) منذ ذلك الحين. و(هانوي) نفسها صارت تبحث عن الأموال والأعمال عند أعدائها السالفين، والله أعلم بما في الغيب من السر الدفين.

غادرت طائرة الخطوط الجوية الفيتنامية مطار (هوشي منه) في السادسة و٣٧ دقيقة صباحا متأخرة عن موعد قيامها المحدد في الأصل بـ ٧ دقائق.

وهي من طراز توبوليف ١٣٤ الروسي النفاث مثل التي قدمنا عليها من بانكوك إلى هوشي منه. وهي مليئة بالركاب إلا أنها ليست كبيرة وإنما تشبه طائرة د.س.٩.

وحالما ارتفعت في الجو تجلت لنا طبيعة الأرض الفيتنامية الخصيبة الكثيرة المياه والأنهار والخلجان العديدة الداخلة في الأرض، ثم ارتفعت فصارت الشخوص على الأرض من ذلك الارتفاع تضمحل وتنماع كما تنماع الشخوص في ظلام الأحلام.

فجاءت المضيفات بالضيافة في علبة من اللدائن الصافية الجميلة فيها طعام الإفطار الجيد لولا أن جودتها قد شانتها شريحة حمراء من لحم الخنزير، وكان ختامه شاياً فيتنامياً يشبه الشاي الصيني في كونه لا يقربه سكر، ولونه بين الأخضر والأحمر.

وكان الطيران مريحاً هادئاً، وهذه صفة عرفتها من الطائرات السوفيتية في الرحلات الطويلة والقصيرة داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه.

في مطار هانوي :

تدنت الطائرة، وبدت المنطقة قبيل النزول تشبه منطقة (هوشي منه) من كثرة المياه، وتعدد الأنهار، إلا أن الريف فيها أقل تنظيماً فمثلا الطرق الريفية التي نراها من الطائرة هي ترابية بخلاف أكثر الطرق حول هوشي منه فإنها (ازفلتية).

وهناك فرق آخر وهو مياه الأنهار ومجامع المياه التي نراها الآن تبدو حمراء وكأنما هي مياه الفيضان رغم كون الفصل فصل جفاف وذلك ناشيء عن كون التربة الريفية التي تحف بالمياه طينية حمراء اللون.

وهذه بيوت الريف التي نراها من الطائرة هي أقل وجاهة، وأصغر حجماً، وأردأ منظراً من البيوت في ريف (هوشي منه).

والشيء الآخر الذي يشبه ريف (هوشي منه) هنا هو أحواض الأرز الكثيرة ما بين حصيد أصفر اللون وأخضر ريان الخضرة، وغارق في المياه لكونه في أول بذره.

وهذا يفسر كثرة إنتاج الأرز ورخصه رغم كونه الغذاء الرئيسي للشعب، ويتناوله الناس هنا ثلاث مرات في اليوم أي في الوجبات الثلاث.

والأشجار في الريف قليلة لأنهم قطعوا أكثرها، من أجل حقول الأرز، وبدت قرى ريفية أو تجمعات سكنية تبدو عليها الحاجة والفقر، ثم هبطت الطائرة في مطار (هوشي منه) في

الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين بتوقيت فيتنام كلها، وهذا يعني أن الطيران استمر ساعة وخمسين دقيقة.

كان الجو غائماً بارداً بالنسبة إلى جو (هوشي منه). بل إنه أبرد منه بكثير، والناس في المطار عليهم الملابس الثقيلة.

ويقع المطار في منطقة ريفية خالصة، خالية من المنازل بخلاف مطار هوشي منه الذي تقرب منه المنازل، بل إن محلة سكنية قديمة تقع بقربه تكاد تكون ملاصقة له.. أما مدرج المطار فإنه مربعات من الإسمنت المسلح لا يظهر عليها الزفت، وأما العشب والنبات البري حول المدارج فإنه أقل منه في (هوشي منه).

وعندما لامست قدمي أرض هذا المطار أرض البطولات التي أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية عليها وعلى ما حولها ملايين الأطنان من المتفجرات والمواد المهلكة حتى المحرمات الدولية ولم تلن لها قناة ولا انحنت لها هامة، قلت: إنها أرض تستحق الاحترام.

وقد سرنا إلى قاعة الوصول سيراً على الأقدام، فالمطار قديم وهو أيضاً صغير بالنسبة إلى مطار هوشي منه الواسع.

وحتى قاعة الوصول هي صغيرة ولم نمر بأية اجراءات لكون الرحلة داخلية وفيها سير متحرك واحد قصير، يشبه سيور الأمتعة في الهند.

بعد أن تسلمنا أمتعتنا تلفتنا حولنا نبحث عن مكتب للفنادق في قاعة الوصول فلم نجد إلا مكتباً صغيراً عليه رجل واقف مكتوباً عليه أنه مكتب للسياحة، فسألناه عن الفندق فلم يسرع إلى اخبارنا به، وإنما قال: أتريدون سيارة أجرة؟ فسألناه عن الأجرة إلى داخل المدينة فقال: هي خمسة وعشرون دولاراً.

ونظراً لكوننا لا نعرف المسافة إلى الفندق ولا الأجرة تركناه رغم إلحاحه، ووجدنا مكتباً لتأجير سيارات الأجرة وليس لتأجير سيارات (التاكسي) فلم نر هنا ولا في هوشي منه شيئاً منها، وعلى المكتب امرأة قالت: إن الأجرة عشرون دولاراً، وتبين أن الرجل في مكتب السياحة أراد أن يكسب منا خمسة دولارات وهي مبلغ ضخم في هذه البلاد بالنظر إلى قلة رواتبهم، وضعف دخولهم.

ولكن المرأة استمرت فترة تعمل لنا، فأحضرت أوراقاً من عدة صور كتبت عليها عقداً وقعناه نحن ووقعته هي، مع أننا لم نطلب ذلك، بل كنا مستعجلين رؤية مدينة هانوي.

وجدنا السيارة حافلة سياحية صغيرة جديدة من صنع ياباني وسائقها شاب فيتنامي أنيق اللباس، نظيف المظهر، وليس فيها أحد معنا، وتبين لنا أنهم لم يغبنونا الصفقة إذ المسافة من المطار إلى المدينة ٤٧ كيلو متراً وعشرون دولاراً لسيارة خاصة لهذه المسافة الطويلة ليست كثيرة على سياح أجانب.

في فيتنام الشمالية :

رغم توحد فيتنام ما بين شمالها وجنوبها فإن تقسيمها إلى شمال وجنوب يظل قائماً من حيث التعريف، لأنها بلاد ممتدة من الجنوب إلى الشمال، ولذلك صارت توجد فروق بين الشمال والجنوب وأهم ما يلحظه القادم الغريب مثلنا أن الجنوب أكثر عمارة وأحسن تخطيطاً وتنظيماً

وطرقه أجود ومنازله أرحب وحتى الزراعة فيه أرقى.



ـ ظاهرة الدراجات في شوارع هوشي منه.

إضافة إلى الجو الشبيه بالاستوائي في الجنوب والبارد في هذا الفصل الشتوي في الشمال، سرنا مع طريق ريفي غير جيد الزفلتة، ولا واسع العرض، فمررنا بعد مفارقة المطار بقليل بقرية ريفية تتألف منازلها من قسمين أحدهما قديم مبنى من الآجر ومسقف بالصفيح، والثاني حديث مبني من لبن الإسمنت وسقوفه من الصفيح أيضاً.

والجامع بين القسمين هو الضيق الشديد في مساحة البيوت حيث لا يكاد البيت الواحد يزيد عن غرفة واحدة، إلا أنه تكون له في بعض الأحيان مقدمة مسقوفة بعرضه لا تزيد في العادة على ثلاثة أمتار ولا يزيد عمقها على متر أو مترين.

ولاحظت أن المياه المستعملة المسماة بالمجاري تصب في قناة ومجرى للماء، يمر بالبيوت وتصب فيه فضلات كل بيت، ثم يذهب إلى أماكن منخفضة، مثلها في ذلك مثل معظم المدن والقرى الاستوائية المطيرة، غير المتطورة، حيث يكون أمام البيوت حتى في شوارع المدينة قنوات للمجاري تأتي الأمطار الغزيرة، فتساعد على تصريف ما قد يبقى فيها من فضلات، ويكون ذلك لها بمثابة الغسل، ولكنه غسل غير منق.. والمنطقة ريفية خالصة تحف بها مزارع الأرز وغيره من الخضروات.

أما السيارات التي تسير في طريق المطار هذا وهي تتجاوز المطار إلى غيره، فإنها كلها من سيارات العمل كالناقلات والحافلات، وسيارات الركوب الخاصة لا توجد أو لا تكاد توجد.

ومر الطريق فوق نهر صغير لم يذكر لنا السائق اسمه مع أنه يعرف قدراً من الإنكليزية، ولا شك في أن مرد ذلك إلى كونه لا يعتبر أن معرفته لهذا النهير ذات بال مع وجود الأنهار الكبيرة الضخمة في بلاده، ثم مررنا بمجمع آخر للبيوت الريفية وهي صغيرة وخيل إليَّ أن الناس

هنا أصغر أجساماً من اخـــوانهم في جنوب البلاد، وأن أولئك أكثر جمالا منهم ما عدا الألوان فالبياض هنا أغلب على الناس، إلا أنه تبين من ملاحظة أشكال الناس في المدينة فيما بعد أن مظاهر نقص التغذية هنا أكثر ظهوراً مما هي عليه في الجنوب.



ـ مجموعة من القوارب النيلية.

ثم مررنا بقرية أخرى أكثر ما فيها وضوحاً عدم النظافة في شوارعها، وفي ملابس أهلها، وبيوتها رديئـــة من ذلك أن مقدمات البيوت فيها من الخشب والقش.. وكل ذلك في طريق المطار الوحيد الموصل إليه الذي يراه الزوار والسياح من الأجانب وغيرهم.

برك الأسماك :

مما يميز البلدان المطيرة في كثير من بلدان العالم التي تأتي الأمطار إليها في مواعيد لا تكاد تتأخر عنها أنهم تكون لديهم برك يربون فيها الأسماك، وهي برك كالمستنقعات الطبيعية في الارض المعتادة، أي أنها لا تبنى لها ا لبرك بناء.

ويمنع ماءها من النفاد في أيام الجفاف كون الماء في جوف الأرض ثابتاً لا ينزل عن مقدار معين قريب من سطح الأرض.

وقد رأيت ذلك في جنوب فيتنام وهو هنا ظاهر يراه المرء من الطريق، ولا يعجب إذا كان مثلي يعرف أن غذاء القوم الرئيسي هنا هو من الأرز والسمك.

ثم مررنا فوق نهر كبير تجاوزه الطريق

فرأينا البضائع المعروضة للبيع على الطريق أكواماً من الفحم، وخشباً للوقود يباع في مقادير متفاوتة فهم قد قسموه إلى مقادير مختلفة. ثم وقعنا في ريف خالص خال من البيوت ولاحظنا على النساء القبعات الفيتنامية الشهيرة التي تبدو مقعرة قليلا كأنها غطاء الطبق وهي واسعة إلا أنها أضيق من قبعات التايلنديات التي تبدو متساوية غير مقعرة إلا موضع دخول الرأس في وسطها.

ومررنا بمصنع للآجر وهو الفخار، وكان المنتظر أن تتعدد مصانع الآجر هنا لوجود التربة الطينية التي تجلبها مياه الأنهار، ولصعوبة الحصول على الإسمنت في البلاد.

أما الطريق فإنه ضيق لا يكاد يتسع لمرور سيارتين متقابلتين فكانت السيارتان إذا تقابلتا لابد أن تهدىء إحداهما من سيرها كي تأمن الإصطدام.

ثم اجتاز الطريق قرية ريفية أخرى، لم أجد عند سائق السيارة استعداداً لكي يخبرني من أمرها بما لا أعرفه، لاحظت أن فيها عدداً من النساء اللاتي جلسن يبعن على الطريق بضاعة مزجاة من الخضروات أكثر ما فيها ظهوراً الكرنب ونحوه.

ولاحظت هنا أن أشجار (البامبو) كثيرة نامية، وهي أشجار ذات قضبان كالخيزران إلا أنها غليظة تستعمل في كثير من البلدان المطيرة مثل بنغلادش وبورما لبناء البيوت الخشبية، وهي لا تعمر طويلا، ولكنها سهلة التكيف.. ثم مر الطريق فوق جسر على نهر ثالث متوسط السعة يشق ريفا أخضر أكثر ما فيه هو المنظر المتكرر من حقول الأرز وبعض الخضروات.. كما تكررت رؤية البيوت الريفية التي تبين أنها هي البيوت الأكثر شيوعا في البلاد وهي المؤلفة من غرفة واحدة وتكون مسنمة السقف لتنزلق عنها مياه الأمطار.. ولاحظت كثرة الخضروات التي تعرض للبيع على الطريق وأغلبها من الفاصوليا والكرنب.

بلدة سالم :

وصلنا بلدة متوسطة الحجم ظننتها من ضواحي مدينة هانوي ثم تبين أنها بلدة مستقلة عندها جسر على نهر متوسط. وبيوتها رديئة المظهر جداً. وبيوتها القديمة من الخشب وكذلك مقدمات البيوت الحديثة، وقد رأينا أخشاباً مشقوقة كثيرة تباع من أجل أن تستعمل في بناء المنازل، وتبعد هذه البلدة عن هانوي ٧ كيلومترات.

وأما البيوت الحديثة في هذه البلدة فإنها من لبن الإسمنت ولكنها في صغرها مثل القديمة، وتكثر القدمات أمام البيوت فيرى المرء مقدمة لا تزيد مساحتها في المتوسط عن ستة أمتار أو ثمانية أمام البيت الذي هو غرفة واحدة في الأكثر، وقد يكون طبقتين على هذا الشكل.

وهذا طراز لهم في البناء قديم، فقد رأينا البيوت القديمة عندهم لها مقدمات أشبه بالمظلات أمامها ولا شك في أنها ضرورية لوقاية واجهة البيت من المطر الكثير ومن الشمس الحارقة في الصيف ولكن الشيء الغريب أن يكون البيت

نفسه من الآجر والإسمنت ومظلته التي أمامه من الخشب أو القش.

ورأينا أكوام الفاكهة معروضة للبيع في سوق هذه البلدة الذي هو طريق المطار إلى مدينة (هانوي) ومن أكثر الفواكه هنا ظهوراً الموز والمندرين وهو اليوسفي.

أما المواصلات هنا - فإنها الدراجات الهوائية المعتادة، وأما الدراجات النارية فإنها قليلة والمراد بذلك ما رأيناه في هذه البلدة التي تسبق العاصمة بسبعة كيلو مترات.

وقد رأيت هنا أشياء كثيرة ذكرتني بما رأيته في جنوب الصين منها: أشكال الناس على البعد وأحجامهم التي لا تبعد كثيراً عن أشكال الناس في جنوب الصين مثل أهل مدينة كانتون التي يسميها الصينيون (قوانغ تشو) إلا أن المرء إذا أمعن النظر من القرب فيهم وجد أنهم هنا أصغر أجساماً، وأقل وجاهة في عين الناظر الغريب. ومن ذلك كون الدراجات المعتادة هي أكثر المواصلات لسائر الناس، إلا أن المنازل في الصين جيدة المظهر واسعة المساحة خلاف ما هي عليه هنا.

والغريب أن لون التربة هنا ليس بهيجا فهو أغبر يميل إلى لون الرماد رغم مظهر التربة الطيني الذي يدل على الخصب، وكثرة الأنهار والمياه.

كما رأيت في أطراف البلدة أبنية متعددة الطوابق (عمارات) مما تبنيها الحكومات الشيوعية للإسكان العام ولكنها هنا صغيرة ومتطامنة، ولا ترقى إلى مثيلاتها في البلدان الشيوعية الأوروبية، ولا حتى في الصين الشيوعية.

واسم هذه البلدة (سالم)، ولا شك أنه لا علاقة له بالعربية، وإنما وافق لفظه هذا اللفظ العربي الأصيل، وقد ودعتنا هذه البلدة بشيئين:

أولها:

مستنقع من الماء في خارجها مما يلي هانوي.

الثاني:

بوابة عليها موظفون يتقاضون رسم المرور من الطريق إلى المدينة ومنها سيارتنا التي دفع سائقها الرسم وقدره ٣ آلاف دونغ ويساوي أقل قليلا من ربع دولار، وقال: هذا رسم لدخول المدينة.

مدينة هانوي:

قبيل الدخول إلى المدينة وصلنا نهراً ضخم المياه، بل ملتقى نهرين ضخمين قد ركبوا فوق مكان اقترانهما جسراً حديدياً ضخماً قوياً فيه مسارات للذاهب والآيب. وقد قدرت مياه النهر بمثل مياه النيل مع أنه النهر الخامس الذي رأيناه فيما بين المدينة والمطار إن لم تكن بعض هذه الأنهار فروعاً أو نهراً منحنياً متكرراً فلم يكن معنا من يخبرنا بحالها.

وعندما انحدرنا من هذا الجسر الذي كان مرفوعاً على النهر وقعنا بدون مقدمات في مدينة هانوي، ولم نمر بضاحية فيها كما هو المعتاد في المدن. وذلك لكونها ليست فيها منازل جديدة كما يكون في ضواحي المدن النامية، بسبب الحروب

التي استنزفت كل إمكانات حكومتها، وبسبب المذهب الشيوعي الذي لا يعطي فرصاً للاقتصاد الحر الذي يقوم به أهلها.

وصلنا وسطها بسرعة فهو قريب من طرفها فيما يلي هذا الطريق من هذه الجهة، وإلا فإن فيها ضواحي قديمة خارجة عن وسطها من جهات أخرى من المدينة.

توقف السائق عند فندق كان أهل المطار قد ذكروا لنا اسمه، فسألت موظفة في الاستقبال عن وجود غرفتين فيه، فقالت: لا يوجد، وكان المطر ينزل خفيفاً والجو بارداً.. وأعطتني الموظفة اسم فندق آخر هو (هاوبنه) فذهبنا إليه ونحن وجلون من ألا نجد فيه مكاناً إذ ماذا نفعل إذا كان الأمر كذلك. وكلمت امرأة فيه فترددت قليلا وقالت: لا توجد لدينا غرف خالية، ويمكن أن توجد في الثانية عشرة ظهرا، فقلت لها إننا غرباء ولا نعرف البلد ومن الصعب علينا البحث عن فندق آخر. فأخرجت إليّ قائمة تضم أسعار الغرف التي تتراوح من ٥٩ دولارا إلى ٢٨ دولاراً وهي ذات خمسة مستويات، وهذه عادة لهم جيدة، وهي أن يجعلوا الغرف في الفندق أنواعاً منوعة بحسب موقعها وما يحيط بها. فالتي تكون نافذتها على منظر مفتوح بسعر أعلى من التي تفتح نافذتها على ممر مغلق أو نحو ذلك مع أن الغرفتين تكونان في حجم واحد، ولكنها أخبرتنا أنه يمكن أن تجد لنا غرفتين بعد قليل من الغرف المتوسطة التي سعرها (٣٦) دولاراً فقبلنا شاكرين.

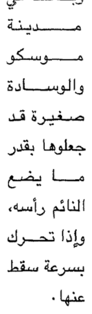
وقد أعطونا المفاتيح بسرعة فوجدنا الغرف في جزء ملحق بهذا الفندق قديم لم يجدد ولم يرمم مثل سائر ما في هذا الفندق، ولكن مجرد وجود غرفة في فندق ذي سمعة جيدة مثل هذا الفندق الذي يقع في وسط المدينة قريباً من مقار السفارات الأجنبية والأبنية المهمة في المدينة هو مكسب عاجل.

لقد رثيت لعاملين حملا أمتعتنا لأن المصعد واحد موجود في مكان قريب من الاستقبال ويحتاج الذهاب إلى الجناح الذي فيه غرفنا إلى السير مسافة طويلة على القدمين.

أما الغرف فإنها شيوعية لم تختلف بشيء عن الغرف الشيوعية التي عرفتها من قبل إن صح التعبير بأن للغرف مذاهب وهو صحيح بالنسبة إلى أهلها - فهي مهملة دون ترميم، فمثلا الحمام الداخلي للغرفة ليس فيه مقبض أصلا ومكان المقبض منه فراغ يدخل فيه الإنسان أصبعه من أجل جذب الباب، والباب الداخلي للغرفة الذي يفصل بين المدخل الذي بين الحمام وبين الغرفة يحك بالأرض ولا يغلق تماماً مما جعلنا نعاني من الهواء البارد الرطب الذي كان يتدفق والزجاج العلوي الذي في الباب الخارجي مكسور، ولم يُستبدل وخزانة الملابس لا تغلق، بل يصعب تحريك بابها، وفيه شقوق، وقد بعد عهده بالدهان.

وقد ذكرني هذا بفندق نزلت فيه منذ سنوات في بلد شيوعي آخر آنذاك، ولكنه في قارة أخرى هي القارة الإفريقية وهو موزمبيق. وقد ذكرت ذلك مع ما شاهدته هناك في كتاب (صلة الحديث عن إفريقية) المطبوع، والسرير أيضاً ضيق، ففي الغرفة سريران ولكن كل واحد منهما ضيق ذكرني بالأسرة في فنادق الاتحاد السوفيتي

وبخاصة في مدينة موسكو والوسادة صغيرة قد جعلوها بقدر ما يضع النائم رأسه، وإذا تحرك بسرعة سقط عنها.



- أحد شوارع هوشي منه.

ومن اللطيف المريح في هذه الغرف أنهم وضعوا مثلما يضع الصينيون في فنادقهم زمزمية وهي الوعاء الذي يحفظ الماء الحار، وبجانبه علبة فيها قليل من الشاي الفيتنامي الذي يشبه الصيني أيضاً في كونه ليس أسود ولا أخضر وإنما هو بين ذلك كما قدمت.

كما أن الغرفة فيها نعال سبتية (شبشب) تستعمل داخل الغرفة وفي الحمام، كما يفعل الصينيون أيضاً، وكذلك اليابانيون وكلهم لا تخلو فنادقهم من مثل هذه النعال بخلاف فنادق البلدان الأوربية التي لا يضعون مثل تلك النعال داخلها، رغم كون الجو بارداً في بلادهم، وإن كانت غرف الفنادق عندهم تكون مفروشة في الغالب.

وأزحت ستارة نافذة من الغرفة فوجدتها تطل على منازل سكنية هي شقق صغيرة في (عمارات) والدليل الظاهر على صغرها، وإن شئت الدقة قلت: ضيقها أنهم قد شغلوا شرفاتها بأغراضهم إضافة إلى الملابس المغسولة.

الى السفارة التايلندية :

لم نضع وقتاً في الفندق، بل بادرنا بالذهاب إلى السفارة التايلندية من أجل الحصول على سمة دخول إليها بعد الانتهاء من زيارة فيتنام ولاوس فاستأجرنا بوساطة الفندق سيارة طلبها الفندق، بالهاتف من مكتب سياحي، وذكر أن أجرتها لمدة ساعة ونصف ما يساوي دولاراً أميركياً واحداً والأجرة محددة بعملتهم وهي ١٣ ألف دونغ لهذه المدة فما أرخصها، وهي سيارة يابانية جديدة معها سائقها.

سارت السيارة في شوارع (هانوي) التي هي واسعة جيدة في وسط المدينة الذي فيه فندقنا وهو أفضل الشوارع تشجيراً من أطراف المدينة، وظني أن ذلك راجع إلى كونه خطط ونفذ في زمن الاستعمار الفرنسي، إلا أن أكثر الأرصفة مهملة، والإزفلت ليس بذاك.

والأغرب من ذلك وجود الغبار الذي لا تحتاج إزالته إلي سيارة ولا إلى نفقات طائلة،

حتى وصلنا السفارة التايلندية في حي خارج عن وسط المدينة يتألف من أبنية منفردة، متعددة الطبقات (عماير) بينها مساحات كبيرة من الفراغ المشجر بأشجار غير نضرة.

ولم نجد في السفارة أحداً من المراجعين وعندما اطلع القنصل على جوازي جاء إليّ بنفسه وأخذ يسألني بعبارات كلها مجاملة عن الغرض من الدخول إلى تايلند ولماذا لم آخذ السمة من السفارة التايلندية في المملكة العربية السعودية؟. فأخبرته بأن السبب في ذلك هو أنني لم أعرف بوجوب حصول السعوديين على سمة دخول مسبقة إلى تايلند، وإنما كنت في السابق أدخل دون حاجة إلى الحصول عليها، كما أخبرته أنني أريد سمة لأكثر من سفرة واحدة، لأنني سوف أنطلق من تايلند إلى كمبوديا، ثم أعود لأركب منها إلى المملكة العربية السعودية، وقد سارع فمنحني سمة دخول لعدة سفرات مع عبارات المجاملة والترحيب واستغرق ذلك أقل من ساعة، لذلك بقي في وقت سيارتنا التي استأجرناها بقية استعملناها في الذهاب إلى سفارة لاوس للحصول منها أيضاً على السمة فأخبرنا حارس فيها أنها مغلقة وسوف تفتح في الثانية ظهراً.

أهذا جزاء الأبطال؟

عندما يطل المرء برأسه خارجاً من باب الفندق الذي نسكن فيه، وهو فندق (هاوبنه) يرى عشرات العيون الفاحصة التي يتقافز أصحابها من مقاعدهم فوق عرباتهم الركشاوية يتسابقون إلى الشخص الخارج من الفندق كل يريده أن يركب معه في عربة الركشا. ولو كانوا يقودون سيارات من سيارات الأجرة لما استكثر المرء عليهم ذلك وهم الأبطال الذين هزموا أعتى قوة حربية مادية على وجه الأرض وهي القوة الأمريكية.

ولكن عرباتهم الركشاوية هي كما قدمت عربات تحرك بالأرجل فيلاقي صاحبها الذي يسيرها من ذلك عناء، كما أن عائدها قليل جداً.

وعندما اجتمعوا علينا وكادوا يختصمون، وهم لا يختصمون إلا إلى حد معين عند سرعة المبادرة للغريب الذي قد يركب معهم، ولا يصل بهم ذلك إلى الصراخ والمبالغة في الكلام، فضلا عن الصدام كان الإتفاق مع أحدهم على ثلاث آلاف (دونغ) أجرة لحمل الشخص الواحد منا إلى سفارة لاوس، وهذه الأجرة هي أقل من ربع دولار أمريكي.

سرنا راكبين على عربتين ركشاويتين تتباريان، كل أجرتهما أقل من نصف دولار، وقد اجتزنا شارعاً واسعاً من الحي الجيد أو الذي كان جيداً من هانوي وهو الذي يقع فيه فندقنا وهو واسع عريض الأرصفة. لكن أرصفته مهملة فيها الحفر والأشياء الكثيرة التي تحتاج إلى إصلاح.

وصلنا القنصلية اللاوسية فأصر (الركشاويان) أي صاحبا الركشا على أن ينتظرا عند باب القنصلية حتي ننتهي منها طمعاً في أن يعيدانا إلى الفندق مقابل نصف دولار تقريباً للإثنين. ووجدنا موظفة في القنصلية سألتني عما إذا لم يكن لديّ مانع من جعل السمة على جوازي، لأن (لاوس) تعتبر شيوعية، فقلت: لا مانع من ذلك.

وعدنا لنجد (الركشاويين) ينتظران وظفرا بما أرادا من نصف الدولار للإثنين لكل واحد منهما ربع دولار. ولكنني سألت نفسي قائلا: أهذا جزاء الأبطال، الذين ذاقوا الأهوال في الحرب والنزال، وصبروا صبر الجبال، حتى مرغوا أنوف الأمريكيين المتعالية في الأوحال. فخرجوا من فيتنام مذمومين مدحورين؟

ألا يحق لهذا الشعب الذي صبر وصابر أيام الجد والحرب أن يذوق طعم النصر، فتعمل حكومته على رفع مستواه في إحسان المسكن والملبس والمطعم والمشرب والعمل المشرف بدلا من أن يتراكضوا على تسلم السائح النازل في الفندق في عمل مرهق جزاؤه ربع دولار.

ولاحظنا من الجولة أن الحوانيت والمتاجر في المدينة هي كبيرة واسعة، ولكن البضائع التي فيها قليلة غير متنوعة، بل غير جيدة، ولكنها رخيصة جداً بالنسبة إلى الأسعار العالمية. وذلك بسبب ضعف الرواتب وقلة الدخول في البلاد كما تقدم.

وقد رأيت عجوزاً تبيع موزاً لذيذاً من الذي يسمى السكري، وهو يؤكل فاكهة طازجة وليس كالموز الكبير الذي منه أخضر يطبخ ويؤكل كذلك في بعض البلدان طعاماً رئيسياً كأوغندا وبعضه أصفر يصدر إلى بلادنا وأمثالها ويؤكل فاكهة طازجة.

فاشتريت من ذلك الموز السكري الذي يكون أغلى بكثير من الموز المعتاد حتى في البلاد التي تنتجه مثل هذه البلاد، وكان ما اشتريته ثمانية أصابع قطفت لتوها من شجرها بما يعادل ربع دولار أمريكي أو أقل قليلا من الريال السعودي.

كما رأيتهم عرضوا نبقاً كثيراً رخيصاً وهو ثمر السدر البستاني وهو كبير الحجم، لذيذ الطعم، وثمنه رخيص جداً، وهذا أوان إدراك ثمره..

ولاحظت قلة الطعام الذي يعرض على الأرصفة وتبيعه النساء في الغالب ويكون نزراً قليلا، وقد رأيت مثيلا له في سايقون وإن كان أقل مما عليه الأمر في تايلند.

والبلاد ندية كثيرة المياه حتى إن بعض البرك وتجمعات المياه التي تشبه البحيرات موجودة في عدة أحياء من التي رأيناها فيما قرب من قلب العاصمة.

وأما الميادين فإنها موجودة بكثرة وهي واسعة مثل شوارع المدينة التي يظهر أنها كانت فاخرة لأن الذين تولوا تخطيطها هم الفرنسيون عندما كانوا يستعمرون هذه البلاد، إلا أن كل قديم فيها باق على قدمه دون تجديد. ولم أر بيوتاً جديدة في العاصمة وإنما رأينا في أطرافها بعض البيوت التي تجدد وبخاصة ما كان قد خرب في زمن الحرب أو ما كان تجديده محدداً سهلا.

وبخاصة إذا عرفنا أن الضيق في البيوت هو الغالب على أهل هذه البلاد، فأكثر البيوت الشعبية العامة فيها تتألف من غرفة واحدة أمامها مقدمة ضيقة مسقوفة، ربما لا تتعدى مساحتها الأمتار الأربعة في المتوسط كما تقدم ذكره.

أنحن في الصين ؟:

هناك فروق ظاهرة ما بين الصينيين والفيتناميين. كما هي عليه الحال بالنسبة إلى جيران الصينيين الجنوبيين الآخرين من

التايلنديين والبورميين، وإن كان الطابع الصيني العام يكاد يجمع بينهم في كثير من الأشياء.

وعندما وصلنا إلى (هانوي) وشاهدنا طائفة من السكان فيها سألت نفسي حقاً عما إذا كنت في الصين؟ وعرفت بعد ذلك أن هناك أعداداً من ذوي الأصول الصينية في هذه المدينة، ولكنهم ليسوا من الكثرة بحيث يؤلفون نسبة مهمة من سكانها. إلا أن طائفة من السكان فيهم شبه ظاهر من ملامح الصينيين وإن لم يكونوا منهم. وحتى اللغة الفيتنامية لا علاقة لها باللغة الصينية، وإنما هي لغة مستقلة فإن الغريب الذي لا يعرفها إذا سمع الناس يتحدثون بها في هانوي وما حولها خيل إليه إذا كان مثلي قد قرع سمعه الحديث باللغة الصينية كثيراً لابد أن يسأل نفسه عما إذا كانت هذه هي اللغة الصينية.

وقد تحدثت كثيرا مع عارفين بالأمور من أهل البلاد، وحتى ممن يعرفون اللغة الصينية فكلهم أجاب بأن لا علاقة للغة فيتنام بلغة الصين، كما أن لا علاقة لشعب فيتنام بأهل الصين وإنما هو شعب ذو عنصر مستقل. وذلك كله رغم الشبه الظاهر، ورغم ما يقال عن تاريخ موغل في القدم كانت لشعب جنوب الصين علاقة بالشعوب التي تقطن الآن إلى الجنوب وإلى الغرب منه.

وهناك فارق يلاحظه الغريب الذي يأتي - مثلما أتينا - من الجنوب إلى الشمال وهو أن التجارة في الشمال أقل بكثير منها في الجنوب، والأخلاق وحسن المعاملة - في الشمال أفضل وأرقى من الجنوب.

ففي الجنوب المصلحة المادية هي الهدف دائماً، وفي الشمال الأمر مختلف.

ومصنوعاتهم رخيصة جداً فمثلا أشتريت أواني عشراً من الخشب المجدول المخروط المزين بنقوش كل إناء داخل الآخر حتى تصبح العشرة كأنها إناء كبير واحد بـ ٦٥ ألف دونغ أي أربعة دولارات وربع، وهذا منتهى الرخص. كما اشتريت (مجموعة شاي) من الفضة وهي صغيرة، وإنما تعرض في خزانة التحف ولا تستعمل فعلا للشاي بـ ١٠٠ ألف دونغ أي سبعة دولارات تقريباً.

والملاحظ أيضاً أن السائلين والمستجدين (الشحاذين) هم قليل في الشمال فمن النادر أن تجد من يسألك إذا راك غريباً على حين أنهم كثرة كاثرة في الجنوب، وبعضهم هناك يلحف ويلح في السؤال حتى يضجرك، ومجرد الظهور بمظهر الرجل الغربي، ونحن يعتبروننا من ذوي المظاهر الغربية كاف لجعل الشحاذين والمستجدين يلاحقونك ويؤذونك.

ولا شك في أن مرجع ذلك إلى قلة الأجانب الذين يأتون إلى هانوي بالنسبة إلى من يأتون منهم إلى (سايقون). والنساء في الشوارع موجودات بكثرة، وكذلك هن يركبن الدراجات كالرجال، إلا أن التزين والتبرج قليل.

وفي العودة مررنا بخطوط فيتنام الجوية وحجزنا منها إلى مدينة (فنتيان) عاصمة لاوس وعدنا نسير على أقدامنا مثقلين محبة في المشي واستجلاء أمر هذه المدينة الغريبة.

للرحلة صلة

العدل وما إليه

العـــدلُ والحقُّ قـــرينان لا يتـــأتى لأحـدهمـا وجـود من دون الآخـر، فـالأول عطاء وبذل، والثـاني أخـذ وتعـفف ، فـمن عدل أعطى وأقسط، ومن التزم سبيل الحق لم يأخذ أكثر مما هو له وإن قدر.

لا يدرك قـيـمـة العـدل إلا من ذاق مرارة الجور واكتوى بناره.

يقول أبو محمد ابن حزم في كتاب الأخلاق والسير: «العدلُ حصن يلجأ إليه كل خـائف وذلك أنك ترى الظالم إذا رأى من يريد ظلمه دعا إلى العدل وأنكر الظلم حينئذ وذمه، ولا ترى أحداً يذم العدل؛ فمن كان العدل في طبعه فهو ساكن في ذلك الحصن الحصين».

العدل قائم بذاته، مستغن بنفسه، لا يقيده مكان، ولا يطويه زمان، ولا يحيط به حدّ ، وأعلامه دائماً منشورة، وأنواره تملأ أرجاء الكون وإنما تعمى عن رؤيته قلوب الجائرين، وتكلُّ دونه أبصارُ الغافلين.

والظلم فـسـاد مـحض ينتـهي إلى التلاشي ويتبدد كدُخان النار.

العـــدل واحـــد في جـوهره، لا يتـجـزأ وإن تعـددّت مـراتبـه وتبـاينت مظاهره. ومراتب العدل ثلاث: عدلٌ مطلق، وعدلٌ جامع ، وعدل ذاتي.

فالعدل المطلق:

هو مـبدأ الحق كله والمساواة كلها، إذ به تقـوم الحـيـاة، وتتـلاقى أطراف الوجـود، وتنسـجم الأضـداد، وهو منة الخالق على مخلوقاته، عنه - تعالى - تصدر أنواره، وبقـدرته تقام موازينه، فإنه - عز وعلا - حرّم الظلم على نفسه، وأمر عباده بالعدل، وبصرهم بمواقعه، وبين لهم مآتيه ومآخذه.

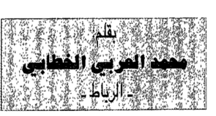
والعدل الجامع:

غايته تساوي الناس في التعايش، وعلامـتـه أن تستـقيم الأحكام، ويسـود الإنصـاف، وتطمـئن قلوب أصحـاب الحق وطلابه.

والعدل الذاتي:

قوامه أن يعدل المرء مع نفسه بأن يأخذ لها بقدر ما يعطي منها من غير تجاوز ولا إفراط ولا تفريط، فإن الظالم لنفسه، المنقاد لهواها حري بظلم غيره والتطاول عليه بالعدوان.

وعُدْلُ السلطان أولى بالرعاية وأخصُّ بالعناية،



كيف لا وحكمه نافذ في رقاب الناس، المحكوم لهم والمحكوم عليهم، فإنْ خالط حكمه هوى غالب، أو حيف مقصود، اضطربت موازين الحق، واختلّ نظام الاجتماع، وانفرط عقدُ الانسجام بين بني الإنسان.

الضمير الحرُّ هو بيت العدل ومنشأ سلطانه، فيه يحيا، وبقوته ينمو، وفي حماه يزدهر، فمن عدم الضمير انطفأ نوره، واختلّ ميزانه، ومات إحساسه، وضل سعيه، فهو لا يفرِّق بين الحق والباطل، ولا يميز الخير من الشر.

لا حرية من دون العدل، فكيف يدّعي الحرية من إذا قدر استبد، وإذا حكم جار، لا يراعي ذمة، ولا يحفظ عهداً، ولا يفي بوعد، ولا يعرف حدوداً يقف عندها، ولا شرائع يهتدي بها، فهو يتخبط في ظلام دامس؛ والظلم والظلام نابتان من جذر واحد، فهما صنوان.

العدل ليس من حظ كل الناس، فالدنيا صراعٌ دائم بين ظالم يطغى ويبطش، ومظلوم يئنّ وينتفض.

واسم العدل له قرائن تدور في فلكه، وتدلُّ عليه، فمنها: الإنصاف، والمساواة، والصدق والحلم، والعفة، والسماحة، والتواضع، والبذل، والإيثار، والجودُ والمروءة، والتواصل، والإحسان.

وللظلم أيضاً دلائل تفضي إليه، ومنها: الجور، والبغي ، والعدوان، والقهر، والطغيان، والحيف، والغبن، والعسف والبهتان، والزور، والزيف، والحسد، والكبر، والحقد، وقطعُ الأرحام.

يقول المتنبي:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

ولا معنى للشطر الثاني من هذا البيت إلا أن يفهم منه أنّ العلة التي تمنع الإنسان من ارتكاب الظلم هي استعداده النفسي والخلقي للتحرز من الظلم وتحري العدل في كل الأحوال.

سئل الظالم: فيما إصرارك على اقتراف الظلم وقد اجتمعت لك موجبات العدل وحوافزه: المالُ والجاهُ والنفوذ؟

فقال: إن هميّ الأكبر ينحصرُ في حفظ ما جمعته من مال وأدركته من جاه ونفوذ، ولا اعتبار عندي بالوسائل؛ وأما العدل الذي تتحدَّث عنه فهو محض حُلُم يتردّد في نفوس الضعفاء والمحرومين.

لقد نسي هذا الظالم المتعنت أنه لو عدل في بداية أمره لاستقامت سيرته، وبان فضله، واستراح ضميره، ولما وجد نفسه مدفوعاً إلى التوغل في أدغال الظلم الموحشة، فإنه لا جاه في الحقيقة ولا قوة إلا مع وجود العدل وشموله ودوامه؛ ومن طبيعة الأشياء أن الأعراض تندثر وتزول، والجواهر تدوم وتبقى على حالها. والظلم أخس الأعراض ، والعدلُ أنفسُ الجواهر.

ومضات:

الإنسان في حياته، بطولها أو قصرها يتقلب بين أجوائها، يعتلي به الفرح فيحمله في وجدانه نغماً جميلا، يطير به سماوات ما خطرت بباله، الفرح كل الفرح، بكل انواعه وطعومه..

والانسان ذاته يحيط به الحزن والألم والمكروه من كل جانب، يعتصر كيانه، ويهد وجدانه.. هنا في هذا الجو المتقلب يصطحب الانسان الكلمة، إنها الاداة الوحيدة التي ترسم تضاريس نفسه، وتنقل وجدانه، وتحكي عن أحاسيسه.

وما كل هذا، إلا ومضات خاطر خليّ.

نشيد وطني

بلادي إليك نشيد الوفاء
فمنك استقيتُ العُلا والإباء
ومنك تشربتُ حُبَّ الوطنْ
ومنك عرفتُ معاني الوفاء
شعارُك يحوي رموزاً تُضيء
ففيه اخضرار دليل النماء
وفيه البياضُ دليلُ السلام
لشعب أبي يُحبُ الإخاء
وسيفٌ يشير لحزم الوطن
وردع شديد لأي اعتداء
ونخلٌ مليء بحلو الثمّر
يؤكد دوماً لجود العطاء
ويزهو الشّعار بركن جليل
فنحنُ نُوحّدُ ربَّ السماء
ونشهد أن النبيّ الأمين
رسول وخاتمُ للأنبياء
بلادي فُديت بكلّ نفيس
وتبذلُ دونك أزكى الدّماء
لتبقي مناراً وفيك الشموخُ
بهاؤه دوماً يزيد بهاء
بلادي إليك نشيد الوفاء
فمنك استقيت العلا والإباء
ومنك تشربت حب الوطن
ومنك عرفت معاني الوفاء

سعد الرفاعي - ينبع -

ايقاعات العقد الثالث

«عندما يصل الشاعر إلى الثلاثين، ويقنع بهذا القدر من الحياة تتراقص التفاعيل في عينيه.. وتختلف الإيقاعات».

(١)

أتشبثُ بالعقد الثالثْ
وأمدُّ يديَّ إلى العقربْ
كي تقف الشوكة والمضربْ
هذي صوري
تحت السرير
وأنا المفتون بما كان
ماض في درب أجهلهُ
مُذْ أن ضيعت العنوان
ضاعت ساعات ربيع العمر
كأنَّ الموت - هنا - الآن
سبحان الله .. يموت الطفل ولم يلعبْ!

(٢)

ثلاثون عاماً على كتفيَّ
وما مرَّ دمع على وجنتيَّ
هو الحزن .. لم أبك فيه ، ولكنْ
ُلمحتُ بكاء القوافي عليَّ
أنا شاعرٌ غير مستسلم
لما كنتُ فيه ، وما كان فيَّ

(٣)

جرّبتُ في هذي الحياة ، من الأسى
ما بان منهُ على الجبينْ
وسمعتُ أجراساً يغلفها الأنينْ
في كلِّ عقد من سنين:
عقدٌ يمرُّ ولا يضرّ
وأخوه يزعم ما يسرّ
واليوم جئتُ إلى الأخيرْ
لثلاثة .. يا ويلتي: كيف المسير ، وما
المصير؟

(٤)

لقد مرَّ عمري ، ولم يبق عندي
سوى دمعتي ، والأماني ، وسهدي
إلهي أعنّي .. فمازلت طفلا
وإن شاب رأسي، وإن ذاب مهدي
لقد كان في قبضتي سيفُ أهلي
وقد بات في السيف أهلٌ لبعدي
فسيفي على الجفن يغفو وحيداً
فما قيمة السيف في جوف غمد؟
وفي القلب نارٌ ، ولكنَّ جسمي
ـ لشيخوخة ـ من رماد وبرد..!
أنا لستُ شيخاً .. ولكنَّ دربي
يشيخُ به الطفل، قبلي .. وبعدي

فيصل على اكرم ـ الرياض ـ

للحياة وجهان

أكتب اليك عن الحياة يا ولدي..

وأنا لست ممن ينظر الى الحياة بعين كلاء أو عوراء أو حولاء..

ولست أرى في الدنيا رأي المعري، فهي ليست عندي «أم دفر» كما وصفها وسمّاها.. وانما أُجلُّ الحياة وأُكْبِرُهَا فهي النافذة الوحيدة التي يطل منها المرء، فيرى قدرة الله في عظمة خلقه وجلال مخلوقاته.. إنها الوسيلة التي تتوسل بها نفخة الروح التي نفخها الله في أبينا آدم فهي لا تزال تحنّ دائما وأبداً الى العودة لمصدرها الأول الذي هو الله.

أنا انظر يا بني الى الحياة في وجهيها المشرق والمظلم، المفرح والمترح، الخيّر والشرير. فأراها لوحة ذات وجهين، كل منهما يكمل الآخر، ولا غنى لأحدهما عن الثاني، فهي كالسالب والموجب، كل منهما قوام الآخر، وكل منهما مرآة أخيه.

هذه فئة من الناس تستطيب الجيف، وتستمرىء لحوم الأموات، فهي لا تنفك تنهش منها مصبحة وممسية يأكل بعضها لحوم بعض دون تعفف أو تأفف أو مبالاة.

هؤلاء أناس يضعون آنوفهم في القاذورات، وقد أصيبوا بالزكام فلا يؤذيهم نتن ولا تدفعهم قاذورات. إنهم المتطفلون الذين يتدخلون بما لا يعنيهم ولا ينفعهم من قريب أو بعيد، وثمة فئة ثالثة أخذوا عن أبي جهل جهله، وعن فرعون فرعنته، وعن النمرود نمردته، هم حرّاص على مرافقة الأموات الى قبورهم يبتغون الأجر وينسون العبرة، كان

سائر الناس للفناء وهم وحدهم للبقاء. إنهم لا يرجون عبرة ولا أجراً، وإنما هم طلاب وجاهة واستعلاء على الناس.

وفئة أخرى رابعة ملأ قلوبها الحقد والحسد والبغضاء وكراهية الناس. إنهم حاقدون ويستترون بحقدهم وبغضهم ويزعمون أنهم محبون. وحاسدون فالحسد يأكل قلوبهم لأنهم يتمنون زوال النعمة عن الناس وأنعم الله كثيرة لا يحصيها عدّ ولا تنال منها جمرة الحسد.

وأخيراً وليس آخراً فئة خامسة ذات عقول مغلقة وقلوب مقفلة، تتحدث عن الماضي وكأنه يغني عن الحاضر والمستقبل. وتتمدح بالأموات وتهمل الأحياء. لهم أبصار وليس لديهم بصائر. ولهم آذان يسمعون بها ولا يفقهون. ضعفاء النفوس كلمة تقيمهم وأخرى تقعدهم، يتبعون كل ناعق ويحسبون كلّ صيحة عليهم..

إنهم أكثر الفئات عدداً، وأقلهم شأناً، وأكثرهم ضرراً. يمثلون سواد الأمة ويسمُونَها بميسم الضعف والتخلف.

بعد أن ملأنا الوجه القائم من لوحة الحياة فسوف نستعرض الوجه الآخر من هذه اللوحة إنه الوجه المشرق الذي يبرأ من الظلمة، والوجه الخيّر الذي لا يعرف الشرّ، والوجه الذي فيه السعادة والهناء وقد انتصرنا على البؤس والشقاء.

إنه الوجه الذي نجد فيه العالم وما أندر العلماء والوجه الذي يضم الأديب وسائر أرباب الفن الذين ينظرون الى الحياة ببصائرهم فيتجاوزون ظواهر الحياة الى بواطنها وقليل ما هم. وفيه المصلح الحق ونكاد نفتقد الى هذا النوع من المصلحين الذين يعملون للغير ويتجاوزون أنفسهم، إنهم الأولياء وقد عزت الولاية في هذا العصر. كل هؤلاء يا ولدي لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة ولا يملؤون من صفحة الحياة الا القليل، فهل يبقى وجه اللوحة المشرق فارغاً، وهل نقف عند هذا النذر اليسير ونقنع بالقليل..؟

كلا، فثمة من وجوه الخير ما يزيد ويفيض عن صفحة هذا الوجه من وجهي الحياة، فلدينا الأطفال وما أكثر الاطفال الذين يتراوحون بين صرخة الوضع وعهد الفطام، هؤلاء الذين تفتح لهم أبواب السماوات ويباركهم ملكوتها لأنهم مُبَرّؤون من كل حقد وغلّ، لم تلوثهم بعد سموم البيئة، ولم تفسد ضمائرهم رياح الوراثة ولم يكتسبوا سيئة بعد. ولدينا البهائم الرواتع في الحقول والحظائر يخدموننا دون مقابل ويعاشروننا دون أذى، وثمة أفواج العصافير تمتعنا بمنظرها تمنحنا بيضها والنحلة تهبنا عسلها والبقرة والغنم تهبنا حليبها، ولا تحسبن يا عزيزي أن وجه الحياة المشرق قد انتهى فلا يزال به وجود كبير يتسع للأشجار صغيرها وكبيرها، وللزرع غثها وسمينها، وللماء يجري جداول وأنهاراً وللهواء يحيي السعيد والشقي على السواء.. وللشمس تهدي نورها للكائنات دون تخصيص أو تمييز.

وفي اللوحة مكان للربيع بأوراقه وأزهاره، والصيف في بيادره وثماره، والخريف في نسائمه الوديعة وجوّه المعتدل، والشتاء في غيومه الكثيفة وأمطاره الغزيرة وخيراته الوفيرة.

قال لي بربك يا ولدي ألسنا جديرين أن نغمض أعيننا عن وجه الحياة القاتم، ونغفر للأشقياء شقاءهم حيال ما تمنحنا الحياة من وجوه السعادة وأضرب الهناء. ألسنا خليقين بأن نفتح قلوبنا للحياة فنبادلها بسمة ببسمة وحبا بحب ووفاء بوفاء..؟!

محمود درويشه - سوريا -

الظـــل

أظلـي أنت يـا دنيـــــا
من النيـــران تلحق بي؟
تحـــاذي خطوتي عـــمـــدا
وتتـــبـــعني بلا ســـبب
بلا مـلـل تـضـــيـــق به
فـــهل أحـــسـست بالتــعب؟

* * *

أبي نقص فـــتكملني
ظـــلال دونمــــا أرب؟
وترســمني كـمــا شــاءت
وتــزرع بــي مــن الــريــب
فــأصنع في الدجى مــأوى
لأهــرب مـنـك يـا هـربـي

* * *

أيـا دنيـــــا تـطاردنــي
كـــأني بعض مكتـــسب
أذا ألفـــيـــتني نغـمـــا
فـــإني ضـجـة الـصــخب
وإن أبصـــــرتــنـي ذاك
الـهـــدوء الحلو في أدبي
فــاني البـحــر مـضطربا
يؤجج ســـورة الـغـــضب
فـــمـــهـــلا انني ســيل
ولســت أمـــيـــل للـعب

* * *

دفنتك في صـــحـــاري
الموت يا ظلـي ولـم تـغب
نـفــــضت الرمـل فـي
حــزم ومــا باليت بالتــعب
فـــأنت على الثـــرى ظل
يلوك خـــرافـــة الحـــقب
ويمسح عن مناكـــبـــه
غـــبـــار مـــسـائه التـــرب
فـــمـــا عـــانيت من ضـجـر
ومـــا قـــاسـيت من سـغب
ورحت أراك منتـــبـــهـــا
كـــأنك عين مـــرتقب
أظلـي أنت يـا دنيـــــا
من النيـــران تلحق بي

عمار صبيح التميمي - ليبيا -

ترانيم الوداع المر

التاسع والعشرون من يوليو:

كانت صرخة المخاض يوم ولادتي ..

احتضار الزمن بين سعادة وشقاء، توأم .. الاول يشدو والآخر يستصرخ، أعياه، بكاء في ذات الليلة كان مشيه ومسماه.

التاسع والعشرون من يوليو:

آخر الاحتراق وأول البكاء!!

تختنق ارهاصات الليل وثرثرة النهار !!

نعش يهرول قبل أن يحمله التعساء

ايختار الولادة والموت في آن؟ !!

ايتشكل بين الزند والرصاص؟!

التاسع والعشرون من يوليو:

تهزمك لعبتك نفسها وتفترسك ابتسامتك

راديا!!

تحملني في الوجوه وتغتال قدماك الدروب ، زمن الخطى المحسوبة..

زمن لكل شيء فاتورة.. زمن الابتسامة الفاترة والمفقودة..

الحزن بقاؤك والفرح رحيلك !!

لا توزع رغيفا وحلوى على شفتى الكل في جيبه رصاصة، إن آثرت الصمت وهبت ابتسامة .. مزقوا اسمالك واعادوك مهاجرا الا من قميص، وقتك بالون لا تعي لحظة انفجاره، ويملك بوق النفخ الاخرون.. وما بين بؤس الخطى وابتساماتك الراقدة احضان الأمل .. تبقى ابتسامة يلفحها صقيع الارصفة والهواء البارد.

التاسع والعشرون من يوليو:

تمد عافيتك على خشبة مستطيلة تنشطر منتصف الشهر نصفين .. طلقة نافذة واخرى بطاقة برزت حروفها لتزين معصمك وجسدك المسجي، يقرأها المعزون يوم التكفين.

«اتيتني كضيف .. تعلمت أن اكرم الضيف .. تعلمت كيف اشقى .. وكيف استقبل طعنة الضيف»..

شهاب أمير بدر الدين - السودان -

أقصوصة :

درس في اللغة

١ - قبل الحكي:

تقول الأنباء إنهم يقاتلون ببسالة .. بالحجارة، وتقول الأنباء: إنهم يمارسون على الأرض رقصهم العصبي.. لكن، مالم تقله هذه الأنباء، أنهم يكتبون الشعر!

شعراً جاوزوا فيه بلاغة الحداثيين.. إنهم يفنون الموال الفلسطيني ، الذي تخترق نبراته وتموجاته الصوتية كل أساليب التضليل الصهيونية.

٢ - شيء من الحكي:

في الفصل كانوا ثلاثين أو يزيد، نظراتهم الحزينة تختزن مخاوف الآني والآتي . وخارج المدرسة، تبدو الحياة مفتعلة في جلّ مظاهرها .. في كل مؤسسة، علم بنجمة سداسية يرفرف .. وفي أسفل العلم، عسكري يمشي بخيلاء، وهو يدخن السيجارة..!

المدينة تعيش على إيقاع عسكري .. وفي الفصل، كان المعلم يستعد لإعطاء درس في اللغة.. وكان العنوان: المبتدأ والخبر .. ولأن جل المربين يركزون على ضرورة تنمية ملكة النقد والاستنباط، فقد سطر المعلم مثالا على اللوح: الحرية مطلب عربي. فالمثال معطى ليشتغل عليه الأطفال.. كلهم كانوا يركزون ويتأملون المثال.. رفعوا الأصابع.. فناول المعلم الكلمة لخالد - وهو أصغر زملائه - وقف في مكانه ليعرب الجملة:

- الحرية: ياأستاذ مبتدأ لم يبدأ بعد.

- مطلب: خبر يخبرك عنه من خبر محنة الاحتلال

- عربي: ممنوع من الصرف والمانع عروبته.

شعر المعلم بحرج، وخاطب تلميذه: يبدو أنك أخطأت الإعراب. من منكم يعيد الإعراب؟

وقف الأطفال جميعهم، وبصوت جماعي

كانوا يرددون:

- الحرية: مبتدأ لم يبدأ بعد

- مطلب: خبر يخبرك عنه من خبر محنة الاحتلال

- عـربي: ممنوع من الصرف والمانع عروبته.

ظلوا يرددون هذه الكلمات، وهم ينسحبون من الفصل.. وفي الشارع، كانوا يقذفون العدو بالحجارة، وبدمهم يورقون وطنا حرا قويا.

أحمد هيبة - المغرب -

شاطئ الحب

على شاطئ الحب شط (جليم)[*]
جلسنا بمخضلة من نسيمْ
أنا والحبيبة والبحرُ يرنو
ويبسمُ يشدو بصوت رخيمْ
ويلمعُ كالماس وجهُ المياه
ويسمو فينفض عنا الهمومْ
وهدهدة البحر دُفٌّ رقيقٌ
وشمسُ الشواطئ أمٌّ رؤومْ
ويصدحُ كورنيشنا لليالي
بأغنية من زمان قديمْ
على الرمل كنا وريحُ الروابي
تداعبُ دوح الجنان الكريمْ
نرددُ شوقاً نشيد الغرام
ونهفو على خفقات الأديم
وندخلُ في الصبح فردوس حب
وندفعُ بالشوق كلَّ الرسومْ
ونملاء كاساتنا بالتمني
ونثملُ في الشوق.. نعدو.. نهيمْ
على ضفة الشط نعدو سوياً
نراسلُ بالشوق كلَّ النجومْ
تعانقُ كفاي حباً يديك
وننزلُ بحر الهوى كي نعوم
غدا سوف يمضي قطارُ المصيف
فلا شيء عند الزمان يدومْ
ويحفظ قصتنا البحرُ دوماً
ليحكي حكاية حب عظيم

الامير كمال فرج - جده -

(*) أحد شواطيء الاسكندرية.

الأنفس التعبه

تخاصمُ أرواحنا بعضها
مراراً..
وتقسو مراراً..
فتخرجُ عن طورها ... تفترقْ

مساءاتنا..
تهيمُ بها هذه الأنفسُ التعبة
تثور ومن حزنها تحترقْ
وفي ثورة الحزن
شيء من الانعتاق
وشيء من البوح ... والإشتياق
إلى هدنة بين أرواحنا
فأرواحنا.. دائماً تفترق
تهيم بنا ثورة الشك تدنو
كسيف مُصلت فوق الرؤوس
فنفقدُ ... شيئاً من الودِّ بين النفوس

ونسرقُ أفراحنا..
كما يسرقُ الليلُ شيئا من النور

وتسكن سيعانها ديمةُ الحزن
تهدهدنا ... دائماً
فنطوي أعمارنا ... مسرعين
إلى حيث أعمارنا ..
تنعتقْ
وألحاننا ... كلها مفعمة بالأسى والأنين
نموتُ ...
وتُدفنُ في الأرض أجسادنا
وأرواحُنا ... معذبة من سياط السنين
سعد الحامدي الثقفي ـ الطائف ـ

قصة قصيرة:

يوم آخر

[وقد قال السيد الوزير رداً على سؤال وجه إليه من أحد اعضاء المجلس .. إنه بالانتاج ـ نستطيع الارتفاع بمستوى الفرد]ـ

ـ الشاي ..

وَضَعَتْ الكوبَ فوق المائدة .. وولتنى ظهرها .. أطحن الجبن والخبز بأضراسي ازيحهم بالشاي.. [وبالانتاج نرتقى بالمجتمع . و ..] اقفلت المذياع .. أكملت فطورى .. عادت لتقول..

ـ أسرع .. القطار سيفوتك..

دخلت في حذائى .. استعذت بالله وتوكلت .. تناولتنى السلالم، قالت في أثرى:

ـ مع السلامة .. لا تنس البرتقال..

أمد الخطى في طين الأرض اللازج.. أتفادى أطفال المدارس .. أصعد جسر قطار الضواحي .. تمنيت طويلا لو ارتقيت السلم الوظيفى وحصلت على مرتب يمكنني من تغيير هذه المواصلة السلحفاة.

تحسست جيبى، بقاعه بعض سجائرى.

شديداً كان زحام المحطة ـ حين ظهر القطار من بعيد. تحفز الناس ـ عندما جاء، حشرت نفسي بين اللحم والثياب والعرق.. أشرئبّ برأسى، استنشق هواء لا يخلو من دخان غريب الرائحة.. ترتج كتل اللحم مع ارتجاج العربات.. قرقعة العجلات . عليّ عمل من يوم أمس لم ينجز .. سمعت صوت المحصل مددت ذراعى لاستخرج ثمن التذكرة.. صرخت امرأة .. بكى طفل .. شخط رجل .. الجيب بعيد عن متناول يدى .. محشوراً كان .. تأوهت أمرأة .. رفعت أخرى سلة خضار فارغة إلى أعلى .. اسواق وسط المدينة أرخص.

تهادى القطار بين الظاهرية وسيدى جابر.. سادت القلاقل والغمغمة ـ تساؤلات ... ضيق .. تداخلت اصوات .. رويدا..

بدأ القطار في التوقف .. زأر الرجال في غضب .. توقف القطار تماما.. لا مواصلات أخرى بهذه المنطقة.. تحركت ابدان .. تذمرت النساء .. إختلطت اصوات .. تعلو .. وبعدين؟! كل يوم ؟! متى يطلع طوالى..؟ زفت .. يلعن .. خل بالك .. الأرض نفسها تعبانة.. المفروض يلغوا هذا الخط.. ها نحن هنا قاعدون .. فلنر آخرتها..؟ أتاخرنا .. يا عالم عيب .. ننزل وندفع القطار.. هأ هأ هأ ..

لعنت كل شيء، هبطت مع الهابطين ..
أبصرت القضبان الممتدة بطول الطريق قد زُرِعَتْ بالناس.. واقفون على مضض وصمت .. قاعدون على القضبان .. متقابلون ومتفرقون .. يتطلعون الى الفضاء المترامي آملين في تحرك القطار، يتمنون حدوث معجزة تهبط من أعلى تدفع العربات وتنقذهم من ضياع يوم آخر.. الوقت يمتطي التجاويف ، يلهب الاجساد بالقلق .. تناثرت آبدان آخرى عند الأودية المؤدية الى شارع أبي قير، ذلك البعيد

.. فكرت في أمكانية وجود موضع لقدم الآن فى آي أتوبيس .. ونصف أفراد المدينة ـ العاملين ـ تحملهم هذه القطارات كل صباح.. بقيت .. ولا بشير يبشر بقيامه.

ـ خذ يارجل .. أقعد ..

قالها رجل إلى جوارى، وناولنى صفحة من جريدة الصباح .. افترشتها مثله على القضيب وقعدت.

ـ نصف عمرنا يضيع في هذه المواصلات..

قدمت له سيجارة.. دخنا في صمت .. قال ..

ـ إجازاتى كلها انتهت هنا .. بين قطار معطل وحادثة.

ـ في المصلحة لا يرحمون المتأخرين..

ـ يجب ان تصلح الشبكة الحديد قضبانها..

ـ التذكرة اصبحت بشلن .. قلنا ماشي.

تعلقت سيدة بسياج الباب، مدت قدمها وهبطت .. أسرعت متباعدة وهي تحمل عمود طعام ـ نكست رأسى ـ تفحصت عموداً بدا نصفه من الجريدة التى تحتى، آتابع حروفه، كنت أفكر بالوقت نفسه. [وبارتقاء الانتاج وجودته..] انتهيت أمس من توصيل خطوط الوصلة الأولى من الكابل المعطل.. [يمكن التقدم وملاحقة الركب ومواكبة الدول المتقدمة، فلدينا من ..] إن لم ينته الكابل اليوم سأضطر للمساءلة.

ـ يبدو آنه لن يتحرك .. ويلزمونني بتعطيل مائة خط تليفوني.. [المهارات ما تدهش عقول العالم الأكثر تقدما..]

ـ يلعن .. وجودى في البيت غلط.. طوال النهار ـ أسكت ياولد .. اسكت يابنت .. (فلو ..) هات فلوس .. تعال ساعدنى .. كلام فارغ.. [فلو وضعنا تلك المهارات].. البالوعة مسدودة من أمس، انحشرت فيها خشبة .. قلت أسلكها حين أعود.: خذ ولع.. كان يقول، قدم سيجارة .. وسكت.

يوم آخر تصطلي فيه رؤوسنا تحت الشمس وندوخ ـ كان القطار النائم ... بعض الركاب .. غارقين كانوا في صمت غريب .. اشعلت لصديقي سيجارته ـ وهو يقول

ـ أرجع احسن إلى البيت .. وأسلك البالوعة..

قلت وانا أنهض خذنى معك .. وأردفت اقول..

ـ بكم كيلو البرتقال؟.. لم يرد .. وافترقنا ..

احمد محمد حميدة ـ مصر ـ

أعلام .. وأعمال:

الشاعر الناقد: ابن رشيق (المسيلي - القيرواني)

بقلم: **د. عمر بن قينة**
معهد اللغة العربية وآدابها
- جامعة الجزائر -

ولد الكاتب العربي الشاعر الناقد (ابن رشيق)، المسيلي مولدا، القيرواني دارا، سنة (٣٩٠هـ/ ٩٩٩م) في مدينة المحمدية التي صارت تسمى (المسيلة) في عهد الدولة الصنهاجية بالمغرب الأدنى (تونس) والأوسط (الجزائر) التي بدأ أمرها مع (زيري بن مناد الصنهاجي) سنة (٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) ثم ابنه (بلقين) سنة (٣٦١هـ/ ٩٧١م) حين ولاه عليها (المعز لدين الله الفاطمي) بعدما انتقل هذا إلى (مصر) بعد فتحها سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) وقد كان (بلقين) وأليا للفاطميين على المغرب الأوسط (الجزائر) وخلفه على الحكم حين وفاته سنة (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م) ابنه المنصور، وعند وفاة هذا تولي الحكم في (القيروان) ابنه باديس (٣٦٦هـ/ ٩٩٦م) الذي جعل صنهاجة الشرقية أو (المغرب الأدنى) تحت سلطته المباشرة، وأسند أمر صنهاجة الغربية (المغرب الأوسط) إلى عمه (حماد بن بلقين) مؤسس (قلعة بني حماد) عاصمة له، على بعد أكثر من خمسة وعشرين كيلومترا من (المسيلة) حيث أعلن استقلاله بالمنطقة، أي صنهاجة (الغربية) في سنة (٤٠٥هـ/ ١٠١٥م).

توفي (باديس) (٤٠٦هـ/ ١٠١٦م) وهو يحاصر عمه (حماد) في القلعة فخلفه ابنه (المعز) الذي انتهى معه (حماد) إلى «الصلح .. ليتفرغ هذا لمهام بناء الدولة الجديدة (الدولة الحمادية) التي انتقلت عاصمتها إلى بجاية نهائيا في عهد (المنصور بن الناصر) سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م»[١] ويتفرغ (المعز) للبناء في (صنهاجة الشرقية) متطلعا لمد نفوذه في (صقلية). في هذا المنعرج من الإنشطار في الدولة الصنهاجية انتقل ابن رشيق من (المحمدية) المسيلة، قرب قلعة (بني حماد) عاصمة صنهاجة الغربية إلى القيروان عاصمة صنهاجة الشرقية وعلى رأسها المعز بن باديس الذي أبرم الصلح مع حماد ووجه ولديه عبد الله وأيوبا إلى صقلية في سنة (٤١٧هـ/ ١٠٢٦م) للسيطرة عليها، بعدما باتت تحت الحكم الاسلامي منذ الدولة الاغلبية حين افتتحها زيادة الله الثالث الأغلبي (٣٩٠ - ٣٩٦هـ/ ٩٠٣ - ٩٠٩م) لكن

الخيانات لم تلبث حتى فعلت فعلها، فساعدت على هزيمة المسلمين في النهاية المتصارعين على الحكم أمام النورمانديين كما سهلت على هؤلاء اندثار الحكم الاسلامي أمامهم في صقلية، في عهد الكونت (روجاربن تانكر) الأول الذي «شمل العلوم العربية برعايته .. بحيث أن بلاطه في بلرم كان شرقيا أكثر منه غربيا»[٢]. فغنم النورمانديون الحكم، كما غنموا من الحضارة العربية الاسلامية، وحرصوا «على أن يأخذوا عن العرب نظامهم الإداري، ويقتبسوا العناصر الأساسية للثقافة الإسلامية في حياتهم .. الفكرية وفي فنهم أيضا .. بل أن فريدريك الثاني (١١٩٧هـ/ ١٩٢٠م) الذي خلف النورمانديين في حكم صقلية عني بتنمية هذا التراث إعجابا منه بعلوم العرب»[٣].

في هذا المنعرج الحافل بالأحداث السياسية، والحيوية الفكرية عاش (أبو علي الحسن بن رشيق) أيامه، بين هناء واضطراب، ولد في (المسيلة) حيث درس، وعلمه أبوه حرفة الصياغة التي كان يمتهنها ، وشرع يكتب الشعر، وفي السادسة عشرة من عمره تطلع إلى تكوين نفسه علميا وتنمية معارفه العلمية فانتقل سنة (٤٠٦هـ/ ١٠١٦م) من صنهاجة الغربية تحت حكم (حماد) إلى (صنهاجة الشرقية) تحت سلطة (المعز بن باديس) الذي منح (حمادا) استقلاله بصنهاجة الغربية، وعمل لضم صقلية ، ثم إعلان استقلاله عن الفاطميين في مصر ودعوته للعباسيين ، في عهد القائم بأمر الله سنة (٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م) مما عرضه لمتاعب جمة، ترتبت عن كيد الفاطميين له، انتقاما منه، ومن ابنه (تميم) أيضا، و(حماد) ذاته، فدفعوا القبائل الهلالية للإغارة على صنهاجة بأشكال مختلفة من الإغراء تسهيلا في الرحلة وتلويحاً بالمغانم، فكانت من آثار الحملة الهلالية الخراب الذي لحق (القيروان) عاصمة صنهاجة الشرقية سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) فنزح منها سكانها، وفر المعز نفسه إلى المهدية شرق القيروان على الساحل التي كانت تحت ولاية ابنه تميم. وهو المحيط المتأزم الذي عاشه (ابن رشيق) بكل آلامه، وانتهى به أخيرا الى الهجرة نحو (صقلية) وهي التي استقبلت ابن رشيق فارا في أثر صديقه الشاعر الناقد ابن شرف فوجدا نفسيهما في وضع لا يقل سوءا عن سابقه، فاقترح ابن شرف على ابن رشيق الهجرة إلى أندلس ملوك الطوائف التي أضاعته ، فأجابه:

مما يبغضني في أرض أندلس — سماع مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها — كالهر يحكي صولة الأسد

وهذا «مما يعكس طبيعة التمزق التي عمت ، فملأت النفوس يأسا وضيقا، وفرضت حذرا وحيطة، كما ترجم ذلك كلام (ابن شرف) في حديثه لابن رشيق:

إن ترمك الغربة في معشر — قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم — وارضهم ما دمت في أرضهم

وهو الإحساس الذي مارس ضغوطه بعد ذلك على (الشريف الإدريسي) صاحب نزهة المشتاق في صقلية التي خرجت من يد المسلمين، فقال في حيرة وألم وحسرة:

ليت شعري أين قبري — ضاع في الغربة عمري

... أما (ابن رشيق) فقد عثر على قبره في صقلية فمات في قرية مازرة بعيدا عن الأرض التي أنجبته وأحبها وكتب فيها آثاره المختلفة»[٤].

ولد في المسيلة ونشأ، واشتهر وألف في القيروان ولقي ربه في صقلية سنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) تاركا عدة آثار، في اللغة والأدب والنقد والتراجم أهمها أربعة أعمال، مجموعة:

١ ـ «قراضة الذهب»[٥] كتيب صغير الحجم، عني فيه بالسرقات الأدبية.

٢ ـ «أنموذج الزمان في شعراء القيروان»[٦].

٣ ـ «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده»[٧].

٤ ـ «ديوان ابن رشيق»[٨].

وإن كان (قراضة الذهب) مجاراة سريعة لما بات متداولا في نقد الشعر فان الأنموذج استمرار لتقليد علمي فكري سليم في حضارتنا العربية الإسلامية، ضمنه المؤلف تعاريف برجال شعر ممن عرفوا في القيروان على أيامه، بينهم النازحون إليها من مدينة المسيلة ذاتها، مع نماذج مختارة لهم، فكانوا مئة شخصية واسمه هو تمام المئة في نهاية الكتاب، بالصفحة (٤٣٩).

ولم يرد من بين قائمة الشعراء سوى امرأة واحدة هي (خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافري) المسماة (خدوج الرصفية) قال عنها يومئذ «هي شاعرة حاذقة مشهورة بذلك في شبيبتها، وقد أسنت الآن وكفت عن كثير من ذلك»[٩].

أما «العمدة» فهو عمل رزين غني بالأفكار، والآراء، والنظريات والنماذج النقدية والأدبية، عليه قامت شهرة ابن رشيق، فوصفه ابن خلدون نفسه في مجال النقد بالانفراد بهذه الصناعة التي «أعطاها حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله».

والكتاب يقع في مجلدين اثنين، حظي بتأني المؤلف في تصديه لقضايا الشعر، بما فيها (السرقات) التي لامسها في (القراضة) وإلى جانبها قضايا النثر، وأخبار الكتاب والشعراء، ووظيفة الشعر وأركانه، وألفاظه ومعانيه وعيوبه، فضلا عن الأبواب المعروفة: كأنواع البديع، والايجاز وحدود التشبيه، والرمز وسواه، زيادة عن موضوعات الشعر: وأعلامها: مثل النسيب، والرثاء، والفخر، والوعيد والاعتذار، فيتوقف عند أسماء معينة كثيرا، وعند أخرى قليلا.

فهو كتاب نقدي بلاغي، تاريخي أدبي يبقى أهم ما أنجز في النقد بالمغرب العربي القديم، لا تزال له أهميته وحيويته في النظرية الشعرية، خصوصا، وفي الدراسات النقدية والأدبية عموما في الوطن العربي.

في مجال الشعر كتب (ابن رشيق) في أهم الأغراض الشعرية، وقد شجعته حياة البلاط لدى المعز بن باديس الذي قربه إليه، وكان ثالث ثلاثة لهم صيتهم الشعري والنقدي في بلاط (المعز) إلى جانب ابن شرف وعبد الكريم النهشلي[١٠] كتب في أهم الأغراض وفي مقدمتها: المديح، والرثاء بشكل متميز، أهم ممدوحيه (المعز بن باديس):

معز الهدى لازال عهدك دانيا
وزينت الدنيا لنا بحياتكا

وحين توفي (المعز) في المهدية سنة (٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) بعد فراره إليها من الاجتياح الهلالي للقيروان (٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) رثاه بقصيدة يقول فيها عنه:

ما كان إلا حساما سلهُ قدر
على الذين بغوا في الأرض وانهمكوا
روح المعز وروح الشمس قد قبضا
فانظر بأي ضياء يصعد الفلك

.. كما كان شديد الألم لموت أصدقائه، من بينهم قاضي (المسيلة) الذي وصله خبر وفاته يوما، فقال:

يا شؤم طائر أخبار مبرحة
يطير قلبي لها من بين أضلاعي
مازلت أفزع من يأس إلى طمع
حتى تربع يأسي فوق أطماعي

.. وتتجسد قدرة ابن رشيق في هذا اللون بمطولته في رثاء القيروان بعد الخراب الذي سببه الاجتياح الهلالي، فهي من أجود ما كتب في رثاء المدن، تصويرا، وتعبيرا:

كم كان فيها من كرام سادة
بيض الوجوه شوامخ الايمان
علماء إن ساءلتهم كشفوا العمى
بفقاهة وفصاحة وبيان
كانت تعد القيروان بهم إذا
عد المنابر زهرة البلدان
وتجمعت فيها الفضائل كلها
وغدت محل الأمن والأمان

.. ثم يتحدث عن المحنة التي أصابت أهلها، والمسلمون صامتون، بل يتفرجون على المنكرات

يتعرض لها مسلمون آخرون في (القيروان):

والمسلمون مقسمون تنالهم
أيدي العصاة بذلة وهوان
خرجوا حفاة عائذين بربهم
من خوفهم ومصائب الألوان
هربوا بكل فطيمة ووليدة
وبكل أرملة وبكل حصان
والمسجد المعمور جامع عقبة
خرب المعاطن مظلم الأركان
قفر فما تغشاه بعد جماعة
لصلاة خمس، لا ولا لأذان
أعظم بتلك مصيبة ما تنجلي
حسراتها أو ينقضي الملوان

لقد كانت نكبة (القيروان) نكبة إنسانية حضارية، دفع الجميع فيها ثمن الأغراض السياسية الدنيئة وهي تسخر (الغوغاء) التي لا تعي ما تفعل، وكان هذا الثمن من حساب المعز وابن رشيق معا وقد لازم هذا الأخير الأول حتى لقي ربه في (المهدية) سنة (٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) فبقي ابن رشيق في قصر خلفه تميم لكن العلاقات سرعان ما ساءت بين الشاعر والأمير تميم حين بدأت جحافل الهلاليين تهدد المهدية نفسها، فأقبل ابن رشيق على تميم مهموما في مصلاه فجرا بما يهدد المهدية بعد القيروان فحياه الشاعر، مشجعا مهونا من خطر الأعداء، مخاطبا إياه:

تثبت لا يخامرك اضطراب
فقد خضعت لعزتك الرقاب

.. فاستاء الأمير من الشطر الأول، وانفعل: «ويلك متى عهدتني لا أتثبتُ، إذا لم تجئنا إلا بمثل هذا فمالك لا تسكت عنا؟.. فخرج ابن رشيق يومئذ من عنده على غير طريق، لا يعقل ما يطأ، ولا يدري إلى أين ينكفيء، وكانت وجهته إلى صقلية، وكان ابن شرف قد سبقه إليها»[١١].

وجد الشاعر نفسه مجبرا لركوب البحر، الذي قال فيه يوما:

خلقت طينا وماء البحر يتلفه
والقلب فيه نفور من مراكبه

* فبدا في ذلك وصافا جيدا أيضا:

ولقد ذكرتك في السفينة والردى
متوقع بتلاطم الأمواج
والجو يهطل والرياح عواصف
والليل مسود الذوائب داج

* انسحب ابن رشيق من المهدية إلى صقلية ليلقى ربه في أقل من سنتين تملأ الحسرة نفسه، وتقض الآلام مضجعه، ولسان حاله لا يفتأ يردد: «أشقى لعقلك أن تكون أديبا» يدق إحساسه بالأشياء الصغيرة، مثلما تعذبه قضايا أمته الكبيرة.

انتهى كما انتهت أجيال معاصرة، أو سابقة أو تالية له، لكن بقي العمل الفكري الذي عكس جهدا ضخما لواحد من أعلام الفكر العربي في الجناح الغربي من الوطن العربي، عكس موهبة فنية وفكرية وإرادة فذة في البحث والمعالجة والاستنباط والتحرير.

الهوامش:

(١) د. عمر بن قينة، أدب المغرب العربي قديما، ص ٥٧، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٩٤م.

(٢) د. فيليب حتّي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ج ٢، ط ٤، ص ٧٢٠، دار الكشاف للطباعة والتوزيع ١٩٦٥م.

(٣) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط:٣، ص ٢٤٩، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ١٩٦٥م.

(٤) د. عمر بن قينة، أدب المغرب العربي قديما، ص ٨٩ ـ ٩٠.

(٥) نشرته مطبعة (النهضة المصرية) ١٩٢٦.

(٦) آخر جمع وتحقيق علمي لهذا الكتاب قام به الأستاذان: محمد العروسي المطوي، وبشير البكوش، نشر بالاشتراك بين الجزائر (المؤسسة الوطنية للكتاب) وتونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٨٦.

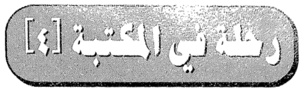
(٧) تحقيق وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط:٣، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ٣ سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

(٨) قام بجمعه الدكتور عبد الرحمن ياغي، سلسلة المكتبة المغربية، رقم ٣، دار الثقافة، بيروت، من دون تاريخ.

(٩) أنموذج الزمان، في شعراء القيروان، ص ١٢٣.

(١٠) د. بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص ٢٥، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١.

(١١) ابو البركات عبد العزيز الميمني، النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٩٤٣





بقلم: أ.د. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

كان لهذا الكتاب دويٌ هائل بين الكُتّاب حين صدوره، لأنه فاجأ القراء بما لم يكونوا يتوقعونه، فالمؤلف صديق جبران، وموضع سرّه ونجواه، والمنتظر منه في رأى المعترضين عليه أن يسبغ على صديقه حلّة زاهية من الثناء، وأن يتحدث عن مواقف إنسانية نبيلة جديرة بشاعر ملهم ومصور بارع وكاتب رقيق مجدد مثل جبران خليل جبران، وقد نسى هؤلاء أن ميخائيل لا يكتب عن أدب جبران، بل يتحدث عن حياته وقصة موته، وهو إذا اشتهر من قبل بتمجيد جبران، وبصداقته الحميمة فذلك شيء لا يدخل في حساب الترجمة الأمينة لحياة فنان مختلف الأهواء متضارب الميول، وأذكر أنى كتبت في مجلة الهلال بحثا تحت عنوان «حينما يكون المؤرخ صديقا للمترجم» تحدثت فيه عن واجب المؤرخ الصديق، وأيدت وجهة ميخائيل نعيمه فيما أمضاه من كشف لأسرار صاحبه، ما دام ملتزما الصدق دون تزيد أو افتعال، وقد رد عليّ قوم يخالفون وجهة نظرى في تأييد ميخائيل نعيمة، وينحون باللائمة عليّ ، وذلك سهل منتظر، ولكنهم يمتدون باللوم إلى المؤلف الكبير، ويصفونه بالعقوق ومنهم من تورط في تعليل واه لا يقوم على أساس فقال: ان ميخائيل نعيمه حسد جبران على مكانته في حياته وبعد وفاته بدليل أنه قال في مقدمة كتابه إنه حين عاد إلى الشرق بعد وفاة جبران بأيام وجد صديقه قد تحول إلى أسطورة لفرط إعجاب الناس



به، فهو في نظرهم ليس جبران الذى رافقه خمس عشرة سنة وخبر أحلامه وآلامه وبلا قوته وضعفه. وراقب جهاده العنيف مع نفسه، ولكنه في نظر محبيه نبيٌّ مثالي! وقد استمع ميخائيل إلى كثير من الأصدقاء يطالبونه بكتابة تاريخ لجبران، فتردد باديء ذى بدء ثم رأى أن يقتحم العباب ليقول كما يعتقد.

ونحن نعرف أن ميخائيل أعمق ثقافة من جبران، وأوسع اتجاها في أفقه الفكري، ونتاجه الحافل المتشعب يجعله أديب المهجر الأول، وأديب لبنان الأول دون نزاع، كما نعرف عنه روحانية شفافة تنزع به عن الدنايا وإنسانية رفيعة .. وإنسان بهذا الشعور لابد أن يكون قد كابد عنتا مرهقا في سبيل ما يريد أن يصدق في قوله، وقد عبر عن ذلك كله حين قال:

«إن في حياة كل إنسان أسراراً يكتمها عن الناس، وقد وقفت على بعض من أسرار جبران، وفاتنى منها الكثير، فهل يليق بى أن أبوح ولو ببعض البعض الذى أعرفه، وأنا إن كتمته فما معنى الذى أكتبه، أأخون نفسى والقاريء وجبران

بكتمان ما ليس مكتوماً فى سجل الحياة الكبرى، وإن يكن مستورا عن أعين الناس فأصور صورة لأوازن بين ظلالهـا وأنوارها لأرضى بعض من لا ذوق لهم في الفن، ولا رأى لهم في الحياة،وأجور على ذوقى وأدفن رأيى في التـراب، وإن أنا لم أكتمه فكيف لى أن أبوح به من غير أن أظهر في عين القارىء كما لو كنت أدين أخى بهفوات قد لا أكون بريئا منها»·

وإذن فلميخائيل مذهب فى كتابة الترجمة الإنسانية، يتلخص في أنه يجب أن تكون الترجمة صورة أمينة لواقع الحياة، كما أن له رأيا في الإنسان وكل إنسان، وهو أنه ليس مبرءا من النقائض، فلكل انسان انحداراته الهاوية وارتفاعاته السامية، ولا يعطى الكمال أحد، إنما المسألة نسبية فحسب، فحين تتغلب مظاهر السمو على مناحى الهبوط فالإنسان مجاهد مناضل، وحين تتسع هوة الهبوط فصاحبها ضعيف متخاذل، وهذا قياس لا يجادل فيه من خبر النفس البشرية وعرفها عن عيان، وقرأ عنها في القديم والحديث! والذى يؤكد إخلاص نعيمة في منهجه أنه كتب بعد أعوام طوال سيرة حياته، فألمّ بما تطرق إليه من نزوات الهبوط، وسجل ذلك على نفسه، وكأنه أمام محقق قضائي، وإذن فلا يلومه أحد إن حاسب صديقه بما حاسب به نفسه! لا سيما أن جبران في بعض قصصه قد اعترف ببعض نزواته، فهل يكون نعيمة ملكيا أكثر من الملك كما يقال!·

تعرض نعيمه لوصف الزلة الأولى التى وقع فيها جبران في صدر شبابه، وصدق في تصوير إحساسه الناقم بعد هذه الكبوة حين قال عن صديقه[١] «لكنه ما مشى بضع خطوات في الشارع حتى تحوَّل اللهيب في داخله إلى قشعريرة اشمئزاز وندم وراح يؤنب نفسه تأنيبا موجعاً·

هذه الزلة الأولى التى كشفها ميخائيل نعيمة! ومن الغريب أن الأستاذ الكبير فليكس فارس قد أنكرها لأنه صاحب جبران عدة شهور ولم يحدثه بها! كما لم يحدثه بالزلات الأخرى التي سردها نعيمه! والأستاذ فليكس أديب بارع حقا، ولكنه طيب القلب إلى حد مفرط ، لأنه كان يظن أن صحبة جبران في المهجر بضعة شهور تجعله حين يزوره في فترات متقطعة يفتح له كتابا يقرأ فيه جرائره، وإذا لم يفعل، فذلك دليل على أنه لم يقترف إثما!·

وقد نمضى مع هذا المنطق إلى نهايته من باب التسليم الجدلي فنقول: وماذا بعد الشهور القليلة التى ترك فيها صاحبه لسنوات طوال، أكان من الحتم عليه أن يراسله بخطابات عن وقائعه المستحدثة من بعد، وإذا لم يفعل ذلك، فمعناه أنه لم يقع في خطيئة ما؟!

وأسوأ زلة وقع فيها جبران زلته مع من تدعى (ميشلين) وهي فتاة شابة وصفها جبران ـ كما تحدث عنه نعيمه ـ بأنها ذات شعر أسود به لمعان يأسر العين ويكهرب اليدين إلى حد أن الناظر لولا قوانين الحشمة واللياقة لا يتمالك أن يمسه مكررا· وفي عينيها العسليتين الواسعتين كحل من النور الذي يبرز بالنهار من أحشاء الليل، ويسيل الليل من أجفان النهار، وفي بشرة وجهها الصافية حمرة الشقيق إذا تفشت في صفرة العاج، وفي ابتسامتها صفة الطفل وطهارته، وفي ضحكتها كركرة الجدول النقي الطروب، لكنها قلما تبتسم وقلما تضحك، كأن سنيها العشرين علمتها أن في كثرة الهرج تهلكة للجمال، وفي الرزانة أمنع حصن له»·

هذه الشابة الجميلة رآها جبران في مدرستها التي تعمل بها معلمة، ووقعت من نفسه موقعاً شديدا الارتجاف، وفي وصفها السالف ما ينبىء عن تحفظها وتماسكها، فهى لا تحب الهرج كى تحافظ على مكانتها، وتميل الى الرزانة لتكون حصنا مانعاً من السقوط! وقد صمم جبران على خديعتها، فأخذ يقرأ لها في الجلسات الأولى بعض عاطفياته التى تتحدث عن القبلة والعناق، ويلوح لها

بالزواج (القران) لتطمئن إلى سلوكه، وحديث الزواج إذا صادف آنسة مخلصة يقع من نفسها أطيب الموقع! فإذا وجدها مالت إلى حديثه أخذ يسحرها بما عبر عنه ميخائيل نعيمة في قوله[٢]:

«أنت لا تعرفين من أنت يا ميشلن، أما أنا فأعرف ، لقد عرفتك قبل أن ولدتك أمك، فقد كنت شوقا هاجعا في أعماق كياني قبل أن صرت كلمة مرتعشة من شفتي الحياة، وقد كنت حياة في عروقي قبل أن مشيت دماً ساخنا، في مفاصل الأرض، وكنت دقة علوية في قلبي قبل أن تكوني نبضا راقصاً في ساعد المسكونة، وما فصلتنا الحياة يوما إلا لتجمعنا. ولا جمعتنا إلا لتبصر نفسها كاملة بكمالنا، واحدة بوحدتنا، منذ ولدتُ وأنا أفتش عنك، ومنذ ولدت وأنت تفتشين عني، كل صوت خرج من صدرك حتى ساعة التقينا كان معناه، أين أنت يا خليلي؟ أين أنت، كل خطوة خطوتها حتى اليوم كانت لتدنيك مني، وما أهلك وما أهلي وما كل ما انتابنا من ألم ولذة، وما كل ما أكلناه وشربناه، وحلمنا به واشتهيناه غير حروف وكلمات تتألف منها مقدمة السفر السرّي الذي هو حبنا».

ماذا يرى القارىء في هذه الانتفاضيات العاطفية الصارخة؟ ألا تحس الشابة المسكينة ذات العشرين عاما فقط أن صاحبها صادق فيما رسم من أحاسيس جعلتها تائهة في محيط عاصف لا تعرف زعازعه الاستقرار، لقد وعدها بالزواج وكان هذا أقوى مفاتيح قلبها! وكم خدع هذا المفتاح عذارى سقطن في هوة الخسارة حين وثقن به، لقد اطمأنت إليه وأسلمته نفسها، ثم أخذت تسائله عن تمام القران رهبة من قول الناس! فأخذ يراوغها بمنطقه المترفع، منطق من يزعم لنفسه قيمة ممتازة ليست لسواه، فكان مما قال[٣]:

الناس: الناس: أنا أكره الناس، وسبيل الناس، وأكره من يحبهم ويسير في سبيلهم، هم كالدجاج لهم أجنحة ولكنهم لا يطيرون، وألسنة ولكنهم لا يغردون، ومخالب ولا يفتشون بها إلا على الديدان والأقذار هم لا يبيضون الا في أكنان تقاليدهم المظلمة، وأنظمتهم النتنة، أعطني ولو فرخ نسر واحد وخذي كل دجاج الأرض!

صعقت الفتاة لا محالة بهذا الرد، فاندفعت تقول: ولمن ترسم رسومك يا خليل أليس للناس؟ ولمن تنظم قصائدك يا خليل؟ أليس للناس، وبأقلام من تكتب وترسم يا خليل أليس بأقلام الناس؟ وخبز من تأكل يا خليل؟ أليس خبز الناس!

فانطلق يرد غاضبا: أنت منهم انت كذلك انهم الديدان والأكفان، وأنا كالنسر لا أرضى غير الفضاء ميدانا، فسبحان من جمع بين النسر والدجاج.

قالت في دهشة: اذن أنا غذاء لجسمك لا أكثر ولا أقل أنا مطية شهواتك، أنا ألعوبة في يدك وحبنا ليس الا فرخ الدجاجة، أنت لا تعرف إلا نفسك ! لقد أصبحت مضغة في أفواه بنات المدرسة ومعلماتها! تقرأ لي قصائدك ثم تؤنبني إذا لم أهتف إعجابا بكل مقطع! وتقول أنى من تراب!

هذه وصفحات على غرارها، نقلها ميخائيل، وطبيعي أن المراد هو الطابع العام للحوار الذي دار بين الاثنين، نقله جبران لصديقه بأية عبارة! وشاء ميخائيل أن يصوغه كما انطبع في نفسه، أى أنه ترجم ما سمعه في أسلوبه الخاص! ولن يكون هذا مأخذا، إنما المأخذ إذا كان ميخائيل قد اختلق حديث الحبيبين اختلاقا! ولكن الثابت أن علاقة ميشلين بجبران كانت مشتهرة، وأنه وعدها بالزواج وحين أحست بثقل الجنين في أحشائها توسلت إليه أن يعلن ارتباطهما في قران علني فأبى، أشار عليها بالاجهاض! هذا الثابت يجعل الحوار السابق شيئاً طبيعيا، وقد قال ناقدو ميخائيل نعيمة: ان جبران لم يدون الحديث في مذكرات وقعت في يد صاحبه فنقل عنها، ولكنه تخيل، وأنا أقول، ماذا تخيل؟ لقد تخيل ما يمكن أن يقال في خديعة تمت على مسرح الحياة محبوكة الأطراف، وقد تألم لإجبار المسكينة على

الإجهاض بعد أن سُدت أمامها السبل؟ فإذا أنكر المعترضون ما سجل ميخائيل من سؤال وجواب؟ فليتصوروا أيّ حوار أدى الى الغضب والإجهاض، وما يتخيلونه لن يفترق في شيء عما صوره ميخائيل نعيمه إلا في الألفاظ! لقد بذلت المسكينة دموعها الساخنة حين قالت[٤].

آه يا خليل أنا قانعة بأن أكون الحصير تحت رجليك، والغبار على حذائك، دعني أخدمك فأغسل ثيابك ، وأكنس غرفتك، وأعد قهوتك، وأطبخ لك غذاءك وعشاءك، ولكن لا تسلني أن أكون خطيئتك، فلم تسمع ما يرضي، فعادت تداوره من ناحية أخرى إذ تقول:

«لو درى أقاربك وأصحابك بأنك تساكن امرأة ليست زوجتك، أفما كانوا يقطعون عنك معونتهم؟ فيرد: لا لا : يستحيل أن يدروا ، فهم في بلاد ونحن في بلاد! وبعد حوار سجله المؤلف: وثبت مشيلين الى الباب شاهقة بدموعها، وانحدرت إلى الدرج بسرعة لم تر معها الدرجات ولا عرفت أين كانت تقع قدمها، ولا إلى أين كانت تقودها».

هذا بعض ما يتضمن كتاب ميخائيل عن صديقه، ولم أشأ أن أتعرض إلى علاقة ثالثة بامرأة عطفت عليه ورتبت له مبلغا شهريا يأكل منه: ثم علمت بانحداره، فأبت أن تقترن به، وكان مضطرا لذلك طمعاً في راتبه الشهرى الذى يناله منها عطفاً دون استحقاق!.

لقد حاول الكاتب الكبير الأستاذ فليكس فارس أن يدافع عن جبران، فكانت حجته القوية أن الرجل لم يحدثه عن ما ذكر نعيمه! مع أنه لم يصاحبه غير سبعة أشهر أقامها في المهجر معه ومع سواه، ولم يكن مختصا به، بل كان أديبا يزور أديبا، وبينهما من المجاملات ما يخلع على الزيارة المتعطفة طابع الاستحياء والتأدب، وقد أحس الأستاذ فليكس بضعف موقفه فقال في ردّه[٥] مخاطبا ميخائيل نعيمة.

«أيها الكاتب العبقرى، أيها المفكر اللبنانى الذي يجول في دمه شمم لبنان، أفما كان يجدر بك وأنت تكتب حياة علم من أعلام الأدب في الشرق، أن تستنير بما فيك من نور، وبما فيك من كرامة، أما خطر لك وأنت تكتب لنا هذه العيوب، بل هذه الجرائم سواء أكانت هذه الوقائع حقيقة أو خيالية أنك تسيء إلى الأدب العربي، وتسيء إلى الناشئة العربية التي تطلب من أرباب القلم أن يخلقوا لها المثل العليا لانتهاج سبيل العدل والنخوة والمروءة في الحياة».

وهو قول مثالي لا واقعي!

أما منهج الكتاب، فقد ارتاح إليه نفر من الناقدين، وأخذ عليه نفر آخر، أن المؤلف بدأ الكتاب بالخاتمة إذ وصف مرض جبران واحتضاره، وحين تحدث عن أسرته أحاط ميلاده بجو شعرى، حيث انطق الأم والقابلة والوالد بأقوال لا يظن أحد أن ميخائيل قد سمعها من أصحابها، بل لا يظن أحد أن الوليد الصغير كان يدرى عنها شيئا، حتى خرج بهذا الفصل عن كونه ترجمة لميلاد واقعي إلى كونه قصة خيالية، ولبعض الناقدين وجهة تميل الى هذا التصوير باعتباره خيالا يقرب من الحقيقة ولا يباعدها، وذلك معقول في قصة يبتدعها قصاص يبتكر أشخاصها من تأليفه، وليس بمنتظر في ترجمة إنسان يعرف الناس حياته، أو يريدون أن يعرفوها على وجه متحقق لا مخيل، هذا وقد أغفل المؤلف أدب جبران فلم يتعرض له بتحليل، ولم يحدد مكانته الرائدة في الأدب المهجرى، غير حدث عابر عن وصفه لكتاب (النبي) الذي ألفه جبران وتوضيح أثر الفيلسوف الألماني نيتشة في صاحبه، وليس هذا بشيء في جانب ما يقال أو ما ينتظر أن يقال في أديب رائد له ابتكاراته الذائعة. وقصصه الرائعة دون جدال.. ومهما كان من ملاحظة فكتاب نعيمة من طراز نادر في تأليفه وتصويره، ومجافاته للمجاملة والإغضاء.

الهوامش:

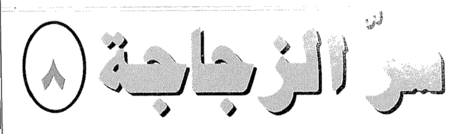
(١) جبران ص ٤٩ ط دار الهلال.

(٢) جبران ص ٨٣.

(٣) جبران ص ٨٤.

(٤) جبران ص ١٠٨.

(٥) رسالة المنبر للأستاذ فليكس فارس ص ١٧٦.



بقلم: د . عبد الرزاق فراج الصاعدي
الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة -

٢٠ - رحلة الضب:

خرجنا من المدينة في يوم غائم، واتجهنا شرقاً على طريق القصيم، وكنا خمسة كلهم أكبر مني وإن كنت أسن من بعضهم، وهم جميعاً يفوقونني علماً وفضلا، ويتفوقون عليّ في طرق اصطياد «الضب» ومعرفة أسراره، وكيفية ذبحه وسلخه وطبخه وأكله وهضمه.

أما أنا فكانت معرفتي في ذلك كله ضحلة، لا تغني في مثل هذه الرحلة المعدّ لها إعداداً جيداً، ولا تسعف في تعقب الطرائد من الصيد، وفي الكرّ والفرّ، ومع ذلك تعلمت لذة الصيد، فكنت أجدها كلما رأينا ضبا يرفع رأسه على باب جحره كطائرة الكونكورد لحظة الإقلاع، وكنت أحسها تحت لساني كلما رأيناه يلوي عكرته على باب جحره كعلامة الاستفهام أمام عيني طالب بليد، أو رأيناه يتسحب متثاقلا في مرتع خصيب وعينه على جحره، فأيقنت أنني أضعت شطراً كبيراً من عمري في الاصطياد في بطون الكتب، والبحث في الأوراق الصفراء، واستنشاق غبارها الخانق، والناس تصطاد الأرانب والضباب في سعة من الأرض الخضراء التي لا يدرك مداها، ولا تشبع الرئة من استنشاق هواها.

وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاثة أيام عدت منها بمعلومات عن الصيد جمة، وفوائد لا أحصيها، ومهارات متعددة، منها أنه أصبح بإمكاني أن أمسك بعكرة الضب بقبضة يدي وأرفعه وهو ميت طبعاً، وصرت آكله وهو مطبوخ طبعاً، ولكن نفسي لم تتمكن من استساغة طعمه، وهو عيب من عيوبها، أما أنا فعيبي أنني لم أكرهها على ذلك، فهي مدللة في مسألة الضب.

لا تهزءوا بنا - أيها القراء الكرام - فنحن وأنتم عرب، والعرب الخلّص هم حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وليسوا أكلة الشواريز وباعة الكواميخ، لقد كان أجدادنا يتفننون في صيد الضب وأكل لحمه وشحمه وبيضه الذي لم ينضج في بطنه، وكان الأعاجم في العراق يعيبونهم لذلك ويقول شاعرهم:

ومكْنُ الضِّباب طعام العُريب
ولا تشتهيه نفوس العجمْ

ومكن الضباب: بيضة، الواحدة: مكنة.

٢١ - خطابي إليك :

«قرأت مسائلك التي سألتني أجوبتها في رسالتك التي بدأت بها فشكوت فيها الزمان، واستبطأت بها الأخوان ، فوجدتك تشكو الداء القديم، والمرض العقيم، فانظر - حفظك الله - إلى كثرة الباكين حولك وتأسَّ، وانظر إلى الصابرين معك وتسلّ، فلعمر أبيك إنما تشكو إلى شاك، وتبكي عند باك، ففي كل حلق شجى، وفي كل عين قذى، وكل واحد يلتمس من أخيه مالا يجده أبداً عنده. ولو كان حدّ الصديق ما رسمه الحكماء حين قالوا: صديقك آخر هو أنت إلا أنه غيرك بالشخص - فهيهات منه، إني لأظن العنقاء المغرب والكبريت الأحمر أيسر مطلباً وأقرب وجوداً منه.

وبعد، فإني أرى لك إذا أحببت معايشة الناس ومخالطتهم، وآثرت لذة العمر وطيب الحياة، أن تسامح أخاك، وتغالط فيه نفسك، حتى تغضي له عن كل حق لك، وترى له عليك ما لا يراه لنفسه.

ولا تعوّد عشيرك وجليسك استماع شكواك، فيأنس به، ثم لا يشكيك، ولا تكثر عليه العتب، فيألفه، ثم لا يُعتبك.

ومن عرف طبع الزمان وأهله، وشيمه الدهر وبنيه لم يطمع في المحال، ولم يتعرض للممتنع، ولم ينتظر الصفو من معدن الكدر.

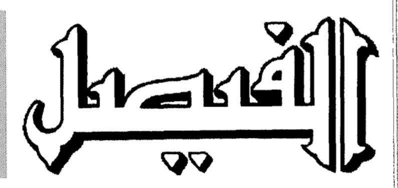
هذا ما قاله صاحب «الشوامل» مسكويه في القرن الخامس جواباً لخطاب صديقه صاحب «الهوامل» أبي حيّان التوحيدي الذي كان ناقماً على عصره، كثير الشكوى من الناس والزمان، فعاقبهم بإحراق كتبه.

فهل ثمة توحيدي آخر بيننا في هذا الزمان البديع؟
نعم . وهذا خطابي (إليك).

٢٢ - قرأت لك :

قال الشاعر:

والناس كالماء إن أرضاك ظاهره
فلا تفتش عن المكنون في الماء


الفيصل

البحث عن ذكاء أو حضارة خارج الأرض ما له وما عليه

بين شمولية الشعار وقوة الاستمرار

أوراق زوجية ابو عواد / ام عمرو

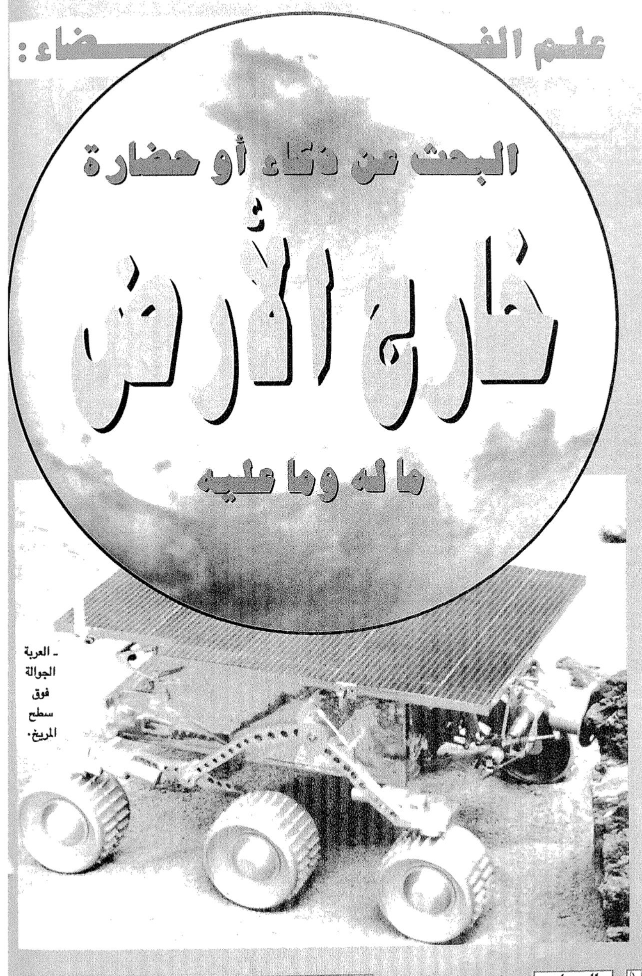
رسالة الى السيدة الجميلة

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها



البحث عن ذكاء أو حضارة خارج الأرض

ما له وما عليه



ـ العربة الجوالة فوق سطح المريخ.

جدول مشاريع استكشاف المريخ خلال عام ١٩٩٦م[*]:

اسم السفينة	وزنها	تاريخ الإطلاق	موعد الوصول المتوقع	وكالة الفضاء
Mars Global Surveyor (M G S)	١٠٦٠	١٩٩٦/١١/٦	أيلول (سبتمبر) ١٩٩٧	الأمريكية
Mars 96 (مريخ ٩٦)	٦١٨٠	١٩٩٦/١١/١٦	١٩٩٧/٩/١٢ (فشل المشروع)	الروسية
Pathfinder (باث فايندر)	٨٧٠	١٩٩٦/١٢/٢	١٩٩٧/٧/٤	الأمريكية

(*) فوبوس (يعني الخوف) هو إسم أحد قمري المريخ ويسمى القمر الثاني ديموس (يعني الهلع).

بقلم: أ.د.
شذى سلمان الدركزلي
جامعة درم / درم - المملكة المتحدة -

مُني المجتمع العلمي بفاجعة فضائية جديدة، حصلت في السادس عشر من تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٩٦م الماضي، بفشل سفينة الفضاء الروسية مريخ (٩٦) Mars 96 في آخر مرحلة من مراحل الإطلاق فلم تصل الى المدار المقرر لها وعادت، بعد يوم واحد من إطلاقها، الى الأرض محترقة في جوها، وغرق ما تبقى منها في المحيط الهادي بين ساحل تشيلي وجزيرة إيستر.

لقد استغرق الإعداد لهذه الرحلة عشر سنوات وتأخر سنتين عن موعد الإطلاق المقرر. وكلف هذا المشروع أكثر من ٣٠٠ مليون دولار أمريكي أسهمت وكالة الفضاء الروسية Russian Space Agency بمقدار ١٢٢ مليون دولار أمريكي بالإضافة الى ١٨٠ مليون دولار أمريكي أسهمت بها عشرون دولة أخرى. ولم تكن هذه الحادثة فريدة من نوعها لوكالة الفضاء الروسية فهي الرحلة الحادية عشرة من سلسلة مشاريع استكشاف كوكب المريخ الفاشلة.

وتأتي هذه الخسارة خلال مدة وجيزة بعد خسارة آريان (٥) Ariane 5 في الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٩٦م الماضي الذي فجر في سماء قرية كورو في غيانا الفرنسية بسبب انحرافه عن مساره المقرر بعد ٣٧ ثانية من إطلاقه. واستغرق الإعداد لمشروع آريان (٥)، من قبل وكالة الفضاء الاوربية ESA - European Space Agency، عشر سنوات أيضاً وكلف حوالي ٢٨٠ مليون جنيه استرليني. مشابها بذلك في مدة الإعداد وبكلفة أعلى من سفينة الفضاء مريخ (٩٦) الذي لحقه بنفس المصير. وكانت فاجعة بعض مراكز بحوث الفضاء مزدوجة بسبب إسهامهم في كلا المشروعين مثل مختبر مولارد لبحوث الفضاء البريطاني Mullard Space Science Laboratory.

لقد مُنيت العديد من الرحلات الفضائية الى المريخ بالفشل، مثل مشروع وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا)

لرصد المريخ بسفينة فضاء مراقب المريخ Mars Observer والتي فقد الإتصال بها عند اقترابها من المريخ في عام ١٩٩٣، ويُعتقد أنها أنفجرت عند وصولها الى مدارها المقرر حول المريخ. كما فقد الاتحاد السوفيتي (سابقاً) قمرين صناعيين هما فوبوس ١ وفوبوس ٢ أطلقا لدراسة قمر المريخ فوبوس ١ في تموز ١٩٨٨ وكانون ثاني ١٩٨٩ على التوالي، فقد الاتصال بالاول قبل أن يُرسل شيئا وفُقد الاتصال بالثاني بعد إرساله لبعض المعلومات.

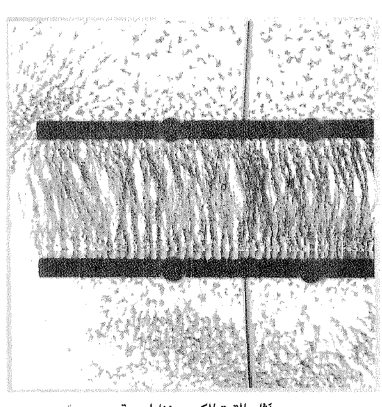
لقد أسهم التعاون العلمي في بحوث الفضاء بين دول العالم كافة الى تخفيف حمى التسابق الدولي القديم الذي كان بين ما يسمى بالمعسكرين الشرقي والغربي. فقد أسهمت عدة دول في مشروع سفينة الفضاء مريخ (٩٦) وهي إحدى ثلاث سفن تقرر إطلاقها في عام ١٩٩٦م لاستكشاف المريخ وكما هو مبين في الجدول التالي.

يُستغل موعد اقتراب الأرض والمريخ من بعضهما والذي يحصل كل ٧٨٠ يوماً (أي كل سنتين وخمسين يوماً) في إطلاق السفن الفضائية الخاصة بالمريخ، وموعد المقابلة بين الأرض والمريخ سيكون في ١٧ آذار (مارس) ١٩٩٧، حيث يصبح بُعده عن الارض ٩٧ مليون كيلومترا، ويليه في ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٩٩، حيث يصبح البعد ٨٥ مليون كيلومترا، ستكون مهمة السفينة الاولى MGS رصد المريخ من مدار حوله لمدة سنة مريخية واحدة (حوالى سنتين أرضية) أما مريخ (٩٦) فكان مقرراً لها رصد المريخ من مدار خارجي لدراسة مغناطيسية الكوكب وإرسال محطتين صغيرتين تستقران على الكوكب لاستكشاف سطحه وكمية المياه فيه. أما باث فايندر (باحث عن طريق) وهي أولى السفن التي ستصل الى المريخ لقصر مسارها ، فسترسل عربة (Lander) الى سطح المريخ، ولم يكن من المقرر جلب نماذج عميقة من تربة المريخ وسيكون ذلك مهمة مشاريع مستقبلية في حوالي عام ٢٠٠٦ أو ٢٠٠٨م.

بالرغم من التنبؤات الكثيرة بانهيار معظم بحوث الفضاء الروسية، بسبب المشاكل المالية التي تعاني منها روسيا، إلا أن الأمل كان كبيراِ في إنجاز مريخ (٩٦) لمهمتها. إن أهم أسباب فشل مريخ (٩٦)، بالإضافة الي ضخامتها، هو تقليل النفقات، فقد صرّح فازيلي موروز نائب المدير العلمي للمشروع، قبل أسبوعين من الإطلاق، بأنهم ألغوا بعض الفحوصات المهمة على بعض أجزاء السفينة بسبب شحّ المخصصات المالية، كما أن العاملين في المشروع كانوا يعملون على مدار الساعة في الأشهر الأخيرة لكي ينجزوا المشروع في الموعد الملائم للإطلاق بالرغم من عدم استلامهم لأجورهم منذ الصيف. ونفى يوري كوبتيف مدير وكالة الفضاء الروسية إمكانية الوكالة في إرسال أية سفنية أخرى الى المريخ قبل خمس سنوات. حيث تأخذ مشاريع فضائية مشتركة مع وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) الموقع الأول من أهتمام الوكالة الروسية. ولكن هناك من يعترض على اعتبار الحالة المالية سبباً للفشل ويقارن فشل مريخ (٩٦) مع فشل آريان (٥) قبل خمسة أشهر

ومراقب المريخ قبل ثلاث سنوات.

إن الإهتمام الكبير الذي حظيت به المشاريع الفضائية لاستكشاف المريخ مؤخراً يعود الى آب (أغسطس) ١٩٩٦م عندما أعلن فريق من الباحثين في مركز جونسون الفضائي في هوستون Johnson Space Center in Houston، التابع لوكالة الفضاء الامريكية (ناسا)، اكتشافهم لآثار مركبات عضوية في نيزك ALH 84001 من كوكب المريخ عاشت منذ بلايين السنين. لقد صاحب الإعلان الكثير من التشكيك والإعتراضات والقليل من التأييد من مجموعات علمية أخرى. وأسعد باحثي مركز جونسون مؤخراً تأييد باحثين بريطانيين لنتائجهم وإن كانت تلك السعادة ممزوجة بنوع من الحذر، فقد اعترض كولن بيللينجر من الجامعة المفتوحة بأن مجموعة بحثه سبقت باحثي ناسا، باكتشافها مركبات كاربونية في النيزك المرقم EETA 79001 من المريخ، بسنين وأعلن ذلك في مؤتمر لعلماء الفلك البريطانيين المختصين في البحث عن الحياة خارج الأرض عقد برعاية وزير العلم البريطاني في بداية شهر تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٩٦م. وتزامنت رحلات الفضاء الى المريخ مع أكتشاف الفلكيين وجود كواكب تحيط بنجوم تشبه شمسنا في مجرتنا درب التبانة.



آثار القوة الكهرومغناطيسية

إن طموح الانسان في البحث عن حياة خارج الأرض يصاحبه طموح أكبر في العثور على ذكاء أو حضارة خارج الأرض. وعندما نتوقع وجود حياة خارج الأرض فلم لا نتوقع وجود ذكاء وحضارة متطورة أيضا؟ لقد تلت بدء عصر الفضاء بفترة وجيزة فكرة البحث في الفضاء عن مثيل للانسان وحضارته والسعي للاتصال بهذه الحضارة أو الحضارات، بدأ المشروع في أوائل الستينيات واعتمد على إرسال إشارات راديوية الى اتجاهات محددة في الفضاء وتوقع الحصول على استجابة ما! وكان تطور وسائل علم الفلك الراديوي Radio Astronomy ومراصده المحفز الأول للباحثين الذين يأملون تعلم الكثير ممن يعتقدون بوجودهم «على البعد هناك في

الخارج».

علم الفلك الراديوي ومراصده :

يُعد هذا العلم ، وهو أحد فروع علم الفلك، من أحدث العلوم المعاصرة الذي يختص برصد الاشعة الكهرومغناطيسية المحددة بالمنطقة الراديوية، أي الاشعة ذات الطول الموجي الممتد بين سنتمتر واحد الى حوالي ٣٠متر. وهذا المدى من الاشعة يصل الى سطح الارض دون أن يتعرض الى امتصاص أو توهين، كما هو حال اقسام اخرى من الطيف الكهرومغناطيسي، لذلك يمكن رصده على سطح الارض بكل يسر. إلا أن المشكلة الاساسية التي تواجه رصد الاشعة الراديوية هي بخار الماء الموجود في الهواء والذي يؤثر على معامل انكسار الهواء ويؤدي الى تغيير الطول المؤثر لمسار الموجات الراديوية.

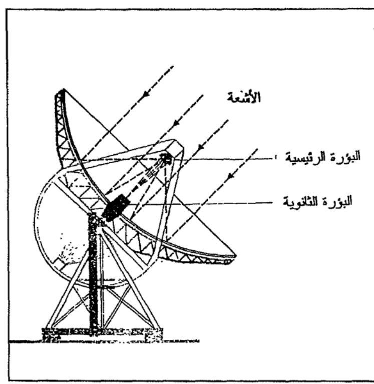
تطور هذا العلم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث تقدمت البحوث في تطوير الرادار الذي استخدم أثناء الحرب كما هو معروف لرصد الطائرات المعادية والاستعداد لها قبل وصولها الى اهدافها. وكان المهندس الامريكي كارل يانسكي (١٩٠٥ - ١٩٥٠) هو أول من اكتشف أشعة الفلك الراديوي في عام ١٩٣٢، عندما كان يعمل لشركة بيل للهاتف. كانت مهمة يانسكي هي إيجاد مصدر التداخل والضوضاء الناتجة في الخطوط الهاتفية لاتصالات عبر المحيط. وجد يانسكي أن الضوضاء الخلفي الذي يصاحب البث الراديوي في الموجات الراديوية القصيرة يتغير خلال اليوم ويصل أقصى مداه عندما تكون مجرة درب التبانة في سمت الرأس مباشرة فاستنتج أن مصدر «الضوضاء» هو من خارج الارض وفتح بذلك بوابة علم الفلك الراديوي.

يتم الرصد الراديوي باستخدام اللاقطات المشابهة للقطات الموجات التي تبثها محطات الاذاعة والتلفزيون المختلفة، أو ما يسمى بالايريل أو الانتينا أو الهوائي. وتكون لاقطات المراصد الراديوية على شكل أطباق مقعرة، (تشبه المرايا المقعرة في التلسكوبات) ويوجد في بؤرتها كاشف ملائم (مستلم راديوي) لتجميع الارصاد، كما في حالة مرآة التلسكوب البصري التي يتجمع الضوء في بؤرتها، ثم تنقل الارصاد الى الحاسوبات المخصصة لتحليل الارصاد، وهذا ما يسمى بالتلسكوب الراديوي كما في الشكل«١»، وكما في أنواع المراصد الفلكية الاخرى فإن زيادة حجم المرصد، بزيادة حجم الطبق للراديوي أو زيادة حجم التلسكوب للبصري، تعني رصداً أفضل. وتتسابق الدول الصناعية كعادتها في الحصول على قصب السبق في كونها تملك الاكبر.

وكانت الاطباق الكبيرة هي وسيلة تجميع الموجات الراديوية ورصدها، فطبق جامعة مانشستر المعدني في جورديل بانك في بريطانيا يصل قطره الى ٧٦ متراً ووزنه ٢٠٠٠ طن ويحرك بيُسر نحو الاتجاهات المختلفة في السماء. وقد أنجز في آب (أغسطس) عام ١٩٥٧ ليكون اعجوبة جديدة للعالم، مكلفاً ٨٥٠ ألف جنيه استرليني وهو مبلغ هائل في ذلك الوقت. واستمر يحمل

لقب «الاول» في العالم لمدة اربعة عشر عاماً حتى أنجز المرصد الراديوي الالماني، في اوائل عام ١٩٧١ في ايفلسبيرغ قرب بون، بقطر يصل الى ١٠٠ متر ويرصد الاطوال الموجبة الراديوية كلها ابتداء من سنتمتر واحد وكلف حينذاك ٣٤ مليون مارك ألماني.

وبنى الاستراليون مرصدهم لنصف الكرة الجنوبي، الذي افتتح في ٣١ اكتوبر ١٩٦١، بقطر ٦٤ متراً في باركز التي تبعد ٣٠٠ كيلومترا غرب مدينة سيدني في مقاطعة نيو ساوث ويلز الاسترالية. لقد ساهمت هيئات علمية استرالية في دعم المرصد فمنحت المرصد مبلغ ٨٠ ألف جنيه استرليني لبدء العمل الذي لم يتكامل الا بدعم مالى من الولايات المتحدة الامريكية وصل الى حوالي ٨٠٠ ألف دولار أمريكي لاكمال المشروع. وفي بورتريكو استُغلت حفرة طبيعية بقطر ٣٠٥ امتار غُلفت بشبكة من المعدن لتعمل كطبق راديوي ثابت. وأصبحت بذلك ومنذ عام ١٩٧٤ أكبر تلسكوب راديوي ثابت في العالم فثبوت موقعه يجعله محدوداً برصد ما هو فوق سمت الرأس فقط.



ـ مخطط لطبق تلسكوب راديوي حيث تسقط الأشعة على السطح الكروي للطبق وتنعكس متجمعة في البؤرة الرئيسية ثم تنعكس بواسطة مرآة الى البؤرة الثانوية.

البحث الراديوي عن الذكاء أو الحضارة خارج الأرض:

استغل علماء الفلك من الباحثين عن ذكاء خارج الأرض، المراصد الراديوية في محاولة التقاط موجات راديوية لسكان الكون من خارج الأرض. فكما تطورت العلوم على سطح الأرض واستغلت الأمواج الكهرومغناطيسية المختلفة لأغراض متعددة كذلك يعتقد الباحثون أن «سكان خارج الأرض» لابد وأنهم يستخدمون الأمواج الكهرومغناطيسية أيضاً، وعندما نريد إلتقاط الموجات المرسلة من محطة إذاعية معينة، ثبت برامجها بموجة محددة الطول الموجي، نقوم بتنغيم tunning جهاز الراديو (المستلم) ليلتقط الموجة المعنية. كذلك الأمر مع راصدي «الذكاء» أو «الحضارة» خارج الأرض. حيث تُنغم أجهزة الاستلام، في المراصد الراديوية، على موجة معينة ويوجه هوائي المرصد نحو موقع أو مواقع في السماء على أمل التقاط «بث» منتظم يشير الى وجود ما «هناك».

كان فيليب موريس أول من اقترح عام

١٩٥٩ البحث عن الحضارات خارج الأرض من خــــلال الطول الموجي الراديوي ٢١ سنتمتر (أو بتردد ١٫٤٢ جيغا٢ هيرتز) وهو خط طيف الهيدروجين H الانبعاثي. وبدأ البحث الفعلي منذ عام ١٩٧٢ ثم أضيفت أطوال موجية أخرى مثل ١٫٣ سنتمتر للماء (كان ذلك في عام ١٩٧٤) و ١٢٫٥ سنتمتر و ١٨ سنتمتر (أو بتردد ١٫٦٦٧ جيغا هيرتز) لبيروكسيد الهيدروجين (كان ذلك في عام ١٩٧٥). كما أن مدى الأطوال الموجية الخاصة بالماء والهيدروجين والبيروكسيد تقع ضمن منطقة قعر الضوضاء الكونية الراديوية، مما يسهل عملية كشفها لقلة تداخل أنواع الضوضاء الكونية الأخرى، ضمن الأطوال الموجية الراديوية الأخرى، معها. وسميت هذه المنطقة بفجوة الماء، كما في الشكل «٢». كما أن علماء الفلك الذين يبحثون عن الهيدروجين في مجرتنا نغموا مراصدهم أيضاً على الخط ٢١ سنتمتر. وهناك من بدأ باستخدام تردد ٢٠٣ جيغا هيرتز دون نجاح يذكر. أنظر الشكل «٢».

في عام ١٩٦٠ استخدم عالم الفلك الأمريكي فرانك دريك ، والرائد الأول للبحث عن الذكاء خارج الأرض، المرصد الراديوي القومي في غرب فرجينيا «للتنصت» على نجمتين شبيهتين بشمسنا هما تاوسيتي وأبسيلون أردياني دون نجاح ومنذ ذلك الوقت تمت أكثر من ٤٠ محاولة من قبل مراصد الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (سابقاً) دون نجاح. في عام ١٩٧٣ مثلا تم التنصت الى ٦٠٠ نجمة قريبة تشبه الشمس لمدة نصف ساعة لكل منها،

ومنذ عام ١٩٨٣ خصص المرصد الراديوي لجامعة هارفرد الأمريكية برامج حاسوبه المتطورة لمسح مدى واسع من الأطوال الموجبة الراديوية ولمساحة واسعة من السماء دون أن ينجح في تسجيل شيء لحد الآن.

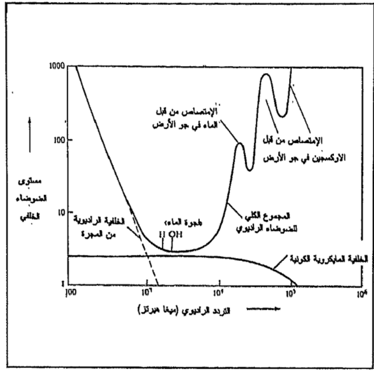
معادلة دريك لعدد الحضارات:

اقترح فرانك دريك، وأسهم معه بعد ذلك كارل ساغان ، معادلة خاصة لتخمين عدد الحضارات N في الكون وسُميت المعادلة بأسميهما واستحوذت على اهتمام الفلكيين منذ اقتراحها في أوائل الستينيات. تعتمد هذه المعادلة على ثمانية متغيرات لمواصفات كونية يمكن معرفة بعضها من الارصاد الفلكية ويمكن تخمين البقية وهي التي لا يتفق الفلكيون عليها بسبب قلة المعلومات المتوفرة عنها. والمعادلة هي: N = R fg fp ne fL fi fa L.

تمثل رموز المعادلة (من اليسار الى اليمين على التوالي): R* معدل ولادة نجم في المجرة في السنة، fg نسبة النجوم الشبيهة للشمس، fp نسبة النجوم التي لها منظومة كواكب، ne نسبة الكواكب الشبيهة بالارض في هذه المنظومة، f l نسبة الكواكب التي فيها حياة، f i نسبة الكواكب التي فيها حياة وتطور عليها ذكاء، fa نسبة حضارات الذكاء التي تطورت بتقانة عالية، L المعدل الزمني لعمر الحضارة بتقانة عالية. ويمكن تعيين بعض من هذه العوامل من الرصد الفلكي أما العوامل الأخرى فيمكن فقط تخمينها.

وهناك اقتراحات كثيرة حول قيم عوامل معادلة دريك؛ وساغان، أحدها يعتمد المقدار واحد في السنة (وآخر يعتبره عشرة) للمتغير الأول (R_*)، وقيمة ١ر٠ للمتغير الرابع (ne) وقيمة ١٠٠ سنة للمتغير الأخير (L) أما باقي المتغيرات الخمسة فيقدر لكل منها قيمة وحدة واحدة، ويؤدي ناتج الحساب حسب الاقتراح الأول الى الرقم ١٠، أو ١٠٠ حسب التخمين الثاني، بينما يعتقد دريك أن متوسط المقدار يصل الى ١٠٠٠٠ بينما يعتقد آخرون أنه واحد وهو الحضارة الأرضية الحالية والوحيدة في الكون ولا يوجد أي شيء خارج الأرض.

وسواء كان عدد الحضارات عشرة أم عشرة آلاف فلم يصل منها أي رد لحد الآن على الاشارات الراديوية التي ارسلت اليها وبأطول موجية مختلفة، وتختلف ردود الفعل على هذه الأبحاث فقد حذر أحد الفلكيين من إرسال هذه الإشارات خوفاً من الكشف عن «مخبئنا» في الكون على هذه الأرض فيشجع ذلك «الغرباء» على غزو الأرض، كما أن آخرين يقولون ساخرين أن هؤلاء «الغرباء» إن وجدوا، فلابد أنهم بعد مشاهدتهم لبرامج محطات التلفزيون المختلفة فروا مبتعدين عنا في هلع بسبب مشاهدتهم للعنف والحروب والجرائم والكوارث التي تعم الأرض كما يعرضها التلفزيون والتي هي من صنع يد الانسان.



ـ مخطط «فجوة الماء» وتقع بين ١٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ ميغا هيرتز حيث ينخفض مستوى الضوضاء الراديوي الخلفي لذلك يعتبر ملائما لاستغلاله في الرصد الراديوي للذكاء خارج الأرض.

مشروع البحث عن ذكاء خارج الأرض:

بدأ هذا المشروع الضخم في الثمانينيات باستخدام مرصد جامعة هارفرد الراديوي وسمي المشروع بأسم «البحث عن ذكاء خارج الأرض» (سيتي) واستحوذ المشروع على تفكير العديد من العلماء وأنشيء معهد خاص به في ماونت فيو في كاليفورنيا خصصت له الميزانيات المالية الضخمة من وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا).

وبسبب زيادة «تلوث» جو الأرض بالموجات الراديوية التي تبثها الأرض فقد اقترح الباحثون في (ستي) بناء مرصد راديوي على السطح البعيد للقمر! وكما يعد مشروع سايكلوبس٣ Progect Cyclops أحد المشاريع الضخمة المقترحة التي تتكون من أطباق استلام يتراوح عددها

بين ١٠٠٠ الى ٢٥٠٠ وقطر كل طبق منها ١٠٠ قدم (٣٠متر) تنتشر على مساحة دائرية قطرها ١٦ كيلومتر. ويمكن مسح السماء بكاملها بهذه المنظومة ولكن كلفتها العالية تمنع تحقيق هذا الحلم العلمي الباهظ الثمن.

وفي الثاني عشر من شهر تشرين أول (اكتوبر) عام ١٩٩٢ بدأت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) بأضخم برنامج علمي منتظم للبحث عن الذكاء خارج الأرض، يغطي جزءاً كبيراً من الطول الموجي الراديوي الملائم للاتصالات بين النجوم. ولكن بعد مرور سنة واحدة من ذلك قطع الكونغرس الأمريكي شريان المال عن المشروع ووأده في مهده، إلا أن حماس كبار الباحثين فيه، برئاسة فرانك دريك، لم يضعف وتمكن من الحصول على دعم مالي من القطاع الخاص بمقدار مليون دولار وتغير اسمه الى فينيكس (العنقاء)، ليرمز الى إحيائه بعد موته كما يحدث في اسطورة العنقاء، وانتقل من استخدام مرصد جامعة هارفارد الراديوي الى استخدام مرصد باركز الاسترالي. ففي شباط (فبراير) ١٩٩٥ بدأ رصد ٢٠٠ نجمة مشابهة للشمس وستكون بحوثه المستقبلية في ماونتين فيو في كاليفورنيا حيث معهد «البحث عن الذكاء خارج الأرض». إن آمال الباحثين التي تنتظر استجابة ما من خارج الأرض تعتمد على فكرة تشابه الحضارات الخارجية مع حضارة الأرض، ويؤمل أن يتم تبادل العلم والمعرفة بين الحضارات هذه.

الى أين ؟

إن كلا من فرعي البحث عن الحياة والذكاء (أو الحضارة) خارج الأرض، أو البحث الحياتي (البايولوجي) والبحث الراديوي، يتطلبان المخصصات المالية الكبيرة التي لا تتحمل ميزانيتها إلا الدول الغنية، أو باشتراك دول على تحمل الكلف العالية المطلوبة للتقانة العالية. ويعد أهم محفز على الاستمرار بالبحث عن الحياة أو الذكاء خارج الأرض، وصرف بلايين الدولارات عليه، هو التغير الكبير الذي يأمل العلماء أنه سيطرا على حياة الأنسان على سطح الأرض عند اكتشاف ذلك وما سيؤديه من طفرة كبيرة نحو تقانة راقية عند تبادلها مع هؤلاء «الغرباء».

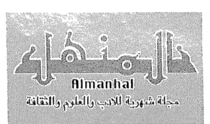
أن صرف مئات البلايين سنوياً على تطوير الأسلحة الفتاكة بأنواعها العديدة يُعد مبرراً كافياً لصرف واحد بالألف منها على بحوث الفضاء هذه. وفي هذا يشير فرانك دريك في رسالة الى مجلة ساينس (علم) الأمريكية، التي نشرت نقاشات حول جدوى الصرف على مثل هذه البحوث، الى أن كلفة المشروع هي عشرة ملايين دولار في السنة أي ما يعادل خمسة سنتات للشخص الواحد في أمريكا (عدد سكانها حوالي ٢٠٠مليون). ويشير دانيل غولدن مدير وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) كذلك الى مصاريف الأمريكيين على الكحول والمخدرات والفساد التي تقدر بالبلايين سنوياً ويقارنها بميزانية ناسا والتي تقل عن ٢٥ر٠٪ من مجموع الدخل الأمريكي العام. وهناك من يستند الى الفوائد الجانبية التي تنتج من

أبحاث الفضاء، حيث تطورت الكثير من الأجهزة الدقيقة والصغيرة الحجم للإستخدام في رحلات الفضاء والتي تم استغلالها بنجاح في الطب للتشخيص والعلاج بصورة فاعلة بالإضافة الى الإستخدامات التطبيقية والصناعية الأخرى.

وكان اكتشاف وجود مواد حيوية في نيزك مريخي في شهر آب (أغسطس) عام ١٩٩٦م سبباً لتغير سياسة الانفاق على الرحلات الفضائية الى المريخ لتسريع إجراء المزيد من البحوث عن حياة خارج الأرض، وهو أمر غير اعتيادي لبحوث لا يوجد لها تطبيق عملي مباشر أما البحث عن ذكاء خارج الأرض فلايزال يعاني من شح الدعم المالي اللازم بسبب عدم الحصول لحد الآن على أية استجابة «منهم هناك»، وليس غريباً أن طالبي المنح المالية من الحكومات لإجراء البحوث، في كافة فروع المعرفة، يجدون المبرر المثالي لقضيتهم، فالباحثون في أسباب الامراض الخبيثة والمزمنة يعتبرون بحوثهم التي تهدف الى تحسين صحة البشر وحياتهم وإيجاد حلول لأمراض البشر على سطح هذه الأرض أفضل وأهم من محاولة البحث عن حياة في عوالم أخرى أو إثبات أن المريخ ليس «عظمة يابسة» وأنه يحتوى على الماء تحت ٥٠٠ متر من سطحه. كما لا مفر من التساؤل: هل يهم العاملين في وكالة الفضاء الروسية، والذين لم يستلموا رواتبهم لعدة شهور، وبعد خسارة مشروع (مريخ ٩٦) بملايينه الثلاثمائة إن كانت هناك حياة أم لا؟.

إن مؤيدي فكرة وجود حياة وذكاء خارج الأرض يعتمدون تاريخ العلوم لدعم رأيهم. فقد كان كوبرنيكوس (١٤٧٣ - ١٥٤٣م) قبل أربعة قرون ونصف أول من قال بأن الأرض ليست مركز المنظومة الشمسية وأنها تدور حول الشمس مخالفاً بذلك الرأى المعاكس السائد في عصره والذي كانت تعتقده الكنيسة وتُحرم تغييره، ثم عرفنا بأن شمسنا ليست نجمة فريدة في الكون وإنما نجمة اعتيادية من نجوم المجرة، ومجرتنا ليست سوى واحدة من بلايين المجرات التي تزخر بأنواع النجوم والمنظومات الشمسية. وهكذا فان المستقبل سيثبت أن وجود حياة وذكاء ليس مقتصراً على الأرض فقط.

ولكن السؤال المحير هو ان إنسان الأرض نجح نجاحاً باهراً في تدمير بيئة أرضه فاستنزف مصادر الطاقة وملأ فضاءها وجوها وأرضها وبحرها بالملوثات والنفايات والأمراض والأوبئة وبلايين الأطنان من المواد النووية الحربية، كما نجح في استغلال التقانة المتطورة التي وصل إليها في اضطهاد وقتل وتشريد الملايين من البشر ولأسباب عديدة، بدلا من استغلال التقانة المتطورة لمنفعة البشرية وحل مشاكلها الصحية والمعيشية. فهل سينجو هؤلاء «الغرباء» المساكين من عدوانية إنسان الأرض وظلمه إن وقعوا بيده؟ أم هل سيفلح «الغرباء» في تخفيف غلواء العدوانية البشرية؟ أم أنهم لا يقلون شراً أو عدوانية عن إنسان الأرض؟ إن الخوف من المجهول أصعب بكثير من الخوف من المعلوم.



بين شمولية الشعار وقوة الاستمرار

كانت مجلة «المنهل» من أوائل المجلات العربية التي تَفَتَّح وعيي الأدبي عليها، حتى غدت بحق منهلا أتزود منه بخير زاد، وأعتز بإضافتها كل شهر إلى مكتبتي وعاء علمياً وثقافيا متجدداً. والحديث عن أصالة مجلة ما وقوتها لابد له من ركائز يتأسس عليها الرأي، وإلا فإنه لن يتجاوز حدود المجاملة العابرة، والإجابة غير المدروسة على استفتاءات مكرورة، إذ لابد لتلك الركائز أن تتولد في نفس القارئ عبر الزمن، حتى تشكل دافعاً للكتابة، ومن هنا تجيء كتابتي اليوم عن عنوية «المنهل» هذا، وتدفقه السلس إلى عقول القراء في مختلف الأقطار العربية، فبعد عقود طويلة من صداقة «المنهل» قارئة أولا وكاتبة ثانيا ودارسة ثالثا، أجدني مأخوذة بمتابعة هذه المجلة انطلاقا من المرتكزات الآتية:

أولا:

إن الشعار الذي انطلقت منه «المنهل» أنها: مجلة تخدم الأدب والثقافة والعلم» أو مجلة للآداب والعلوم والثقافة، ثم مجلة العرب الأدبية وهو شعار شامل لمختلف المناحي الفكرية، وبين النهج الجاد الذي ترمي إليه منذ البدء، لكن الشعارات في العادة مهما بلغت من الشمول فإنها لا تشيد بناء متينا، ومهما بلغت من القوة فإنها لن تخترق جدران النفس والعقل ما لم يكن المضمون ناطقا بفحوى الشعار، وما لم يثبت الزمن توافق الشعار مع الموضوعات المطروحة عبر المجلة في مختلف مراحل مسيرتها، فكم من مجلة طلعت علينا ببريق الشعارات والورق المصقول والألوان الزاهية والأسماء الكبيرة.. لكنها ما تلبث أن تنطفيء جذوتها ويخبو بريقها، بمجرد أن يكتشف وعي القارىء وحصافة الناقد تلك الوجبات الغثة التي تمرر عبر زخرفة المائدة، ويقف على ما فيها من أفكار دخيلة وانحراف عن جادة الحق، حتى لتتحول إلى ساحة لطرح الغريب باسم الأصالة والترهات باسم الحداثة. أقول هذا وبين يدي «المنهل» كواحدة من قليل من المجلات التي بقيت محافظة على أصالة الطرح وتنوعه وشموليته عبر مسيرتها، فكانت بحق مجلة ثقافة وأدب، بعيدة عن الإسفاف والموارية.

ثانيا:

إن الناظر في مضامين أعداد المجلة عبر مسيرتها، يجدها مجلة جامعة تكاد تكون مدرسة في كل المجالات التي تطرحها: التراث والأدب الحديث (بشعره ونثره) والتاريخ واللغة والاجتماع، إلى جانب العدد السنوي الخاص والسنوي المتخصص منها، دون أن تنسى هويتها وهوية مؤسسها الأديب الرائد (عبد القدوس الأنصاري) الأديب العالم الموسوعي المعرفة، فحفلت بما يكشف عن الوجه الحضاري والنهضوي للمملكة العربية السعودية، في مختلف مناحي الحياة.

ثالثا:

تشكل المنهل في ما بين دفتي غلافها، عدداً من المجلات نخص بالذكر منها: العلوم، والسائح، وهن، وأتوقف هنا قليلا عند «هن»، هذه الصفحات التي خصصت للمرأة تنفث من قلمها ما تشاء في مختلف الموضوعات الأدبية والثقافية، خلافاً لما نجده في كثير من المجلات التي تقصر «هن» على شئون المنزل والأزياء وكثير من الأمور المتغيرة والطارئة، وحينما كتبت «للمنهل» منذ حوالي اثني عشر عاماً، منذ ذلك الوقت كنت قد سعدت بمجلة تنظر إلى المرأة من خلال وعيها وفكرها وثقافتها وعلمها، لا من خلال وجودها الأنثوي فقط.

رابعا:

إن من يتابع المجلات الثقافية ويتواصل معها عن طريق الكتابة يلفته ما يتمتع به القائمون على «المنهل» خصوصاً (والمجلات الثقافية في المملكة العربية السعودية عموماً) من ذوق رفيع وحرص على التواصل مع كتابهم علاقة قائمة على احترام الكاتب وتقديره، لا لشخصه بل للمادة التي تحفل بها المجلة، فإن رفضتها رفضتها برفق وإن قبلتها قبلتها بترحيب، دون أن تقصر جل همها على الأسماء الكبيرة المعروفة، ولذلك تجد في العدد الواحد من المجلة تنوعاً في مستويات الكتاب ومن مختلف أقطار الوطن العربي، إلى جانب تنوع الموضوعات وجودتها وحسن تنظيمها.

لكل ذلك أجدني اليوم أحفل (دون دعوة أو تذكير) بذكرى تأسيس «المنهل» وعلى شفتي كلمة حق وددت أن لا أبخل بها نحو مجلة لم تبخل عليّ يوماً.

بقلم: مريم جبر
كلية البنات بنجران

شمولية النفس المؤمنة

جميل أن يكون كل منا قادراً على أن يسطر بقلمه ما يجول في خاطره من أفكار عن الحياة والكون، أو يتخذ من الكتابة وسيلة تفريغ لما يعتلج داخله من صراعات وتخبطات فرضتها عليه الظروف في بيئته .. فيصيغ تلك الاحساسات في أي أساليب التعبير شاء شعرا ، نثرا، أو قصة أو حتى نادرة يتندر بها فتمتلىء المجالس سرورا بها أو تستكشف الحكمة بين طياتها.

ولكن الأجمل أن تتسع هذه النفس الواحدة لتشمل كل خلق يدور فلكه بدوران الكون الفسيح، فلا ينظم الانسان مع نفسه فحسب بل انه يتخذ منها مجهرا يرى خلاله خفايا ما يحيط به ليبعث تعابيره بعد ذلك رسل محبة ورحمة لتصل الى كل الكون فما كتب ليخاطب العام فانه لابد وسيصل الى قلوب ذلك العام. قد يبدو هذا الأمر عسيرا باديء ذي بدء على من لا يزال طفلا في إمساك القلم ولكن ما نلفت اليه النظر ليتملاه كل ذي روح طموحة وعقل نيّر، أن احدى اعجازات النفس البشرية قدرتها على التفوق في النمو على الجسد اذ قد تبلغ من العظم والكبر ما يعجز الجسد معه عن اللحاق بها، فكم رأينا أناسا في سير الحياة كانت لهم نفوس عظيمة تركوا للبشرية ميراثا متناقلا في الوقت الذي لم يعد لأجسادهم ذكر حسي في الوجود الا ما كان من ذرات تحملها الرّياح المرسلة لتثيرها غبارا عبر طول الكون الفسيح. ولا شك أن النفس لا تكبر وتعظم الا يوم يوجد المنهاج التربوي والتخطيط الممتاز الذي يرعاها ويكبح جماحها ويستعلي بها عن الدنايا من الأمور والأهواء ويصقلها لتطلع على الكون بعين بلورية ترى خلالها مالا يراه غيرها فتستسهل ما استوعر منه الجاهلون وتستلين ما استصعبه المترفون فتكون كما جاء في الأثر (صحبوا الدنيا بأجساد معلقة أرواحها بالملأ الأعلى).. ولكن كيف السبيل الى نفس سامية؟؟.

هنا تكمن إحدى قبسات الروعة في أسلوب القرآن الكريم فلقد استطاع القرآن أن يخاطب البشر جميعا ويحاكي كلا وفق ميوله النفسية وتكوين مجتمعه فلان تتفكر أن كتابا واحدا استغرقت قراءته أربعة عشر قرنا من الزمان ومازالت مستمرة بأسلوب واحد وجهه الى العقول في جاهليتها الطفولية بكل بساطة العقلية البشرية وسخافة أسلوب معيشتها ثم على نفس الدرجة من القوة يخاطب عقولا جالت في السماوات والأرض وسابقت الزمن تطورا واختراعا وتعقيدا في طرائق الحياة؟!! إن تدبراً بسيطاً لذلك ليشعرنا بعظمة القرآن وكفالته بأن يكون الأسلوب الوحيد الناجع في التربية العقلية والنفسية فمن يعيش في ظلال القرآن يتنفس عبير آياته ليحس بأنه مسؤول عن الدنيا كلها لا عن نفسه فحسب، بل إن أسلوبه لينبهنا الى أمر آخر وهو أنه مهما تطور بنو الانسان وبلغوا من تقدم فان ثمة غريزة مشتركة داخلهم تساوى في الاستجابة إليها العربيُّ والعجميُّ، العالم والأمي ، الصغير والكبير وهذا بلا شك يدفعنا الى البحث عن هذه الغريزة وإيقاعاتها من نظم القرآن وكيف جمع البشر عليها ليمكننا أولا من تكوين أدب عالمي راق لا يتحرج منه ذو العفاف ولا يستغلق فهمه على عقول العامة، وثانيا أن نتمكن من زرع السلام الحقيقي بين الأمم والدول والشعوب إذا أردنا حقاً أن نحيا في دنيا من الطهارة والسمو العدالة.

قال تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم).

غادة عبد الله العمودي

- جدة -

زفاف

وفاء جابر عبد الحليم
- الاسكندرية -

حـــــــبـــــــيب روحـي ..
صـــادروا اشـــتـــيــاقي اليك ..
وباقـــة ورد اعـــددتهـــا من رياض قلبي ..
ودهشــــــتي المنتــــقــــاه..
صـــــادروا فــــرحــــتى البكر بك ..
وضــــحكة نفــــسي الغــــريبــــة ..
وهذا المكان الجريء المريح الذى اختـرته لنا باقصى المدينة..
وفنجـان شـاى تعـودت أن احـتسـيـه بقـربك ..
صـــادروا كل شيء حين همـــمت بتـــرحـــالى اليك ..
وفـكـوا الحـــــقـــــــائـب ..
نثـــــروا بوجــــه الريح شــــرائط حــــبك ..
صــــوتك ذاك الجـــريح المراوغ في عــــمق روحي ..
ومـــســــحـــوا جـــواز الســــفــــر ..
حـــــــددوا امـــنيــــــاتـــي ..
تراك رأيت تناثر لحـــمى الذى وزعـــوه على القـــوم ..
فـــصـــاروا شـــحـــومـــا ترهل فـــيـــهـــا الوهن ..
تراك انتـــقـــيت مكانا قـــصـــيـــا لتـــعـــبـــد روحي ..
تراك همـــست باســـمى مـــا بين السكون وبين العـــدم ..
وهلا اعـــترفت بجـــرمك حين عـــشـــقت امـــام الجنود..
فـــــضــــت من القـــلب اه ..
انا يا حـــبـــيـــبى الذى قـــيـــدوه على متن ســـيف..
رفـــضـت مـــصـــادرة اشـــتـــيـــاقى ..
وبــحـــت بـــســــــرى الــدفـين..
وقـلـت احــــــبك للعـــــالمين..
نـزفت الدمـــــاء على كل رأس ..
واختــرت أن ازف الى أحلى
ســـيـف.

قصة قصيرة

تأملات صامتة

امتدت السماء أمامه زرقاء، وكان السحاب يمتد خلال زرقتها أصابع بيضاء نحيلة كأنما تشير إلى شيء ما، وهناك بعيداً مقابل هذه الأصابع كانت أولى نجيمات المساء تبرق بضوء ضعيف منهك.

ندت عنه تنهيدة، ثم استدار إلى داخل الغرفة ونظر فيها يتأمل مكوناتها .. ووقع نظره على المكتبة الكبيرة غير المنسقة التي تغطي الجدران الأربعة للغرفة. ولمعت في ذهنه فكرة قديمة لطالما خالجت نفسه واختلطت بدمه والتصقت بنفسه .. كان دائما يحلم بأن يكون كاتباً عظيماً مشهوراً ، وقد كانت له موهبة لا بأس بها، عمل في شبابه على «صقلها» - كما يقولون - بالقراءة والإطلاع. ولكن الحياة أبت أن تضيف إلى صفوف الأدباء أديباً آخر، وكشفت ابتسامته التي نمت على شفتين مغضبتين عن فم كاد يخلو من الأسنان.

جال بناظريه في أثاث غرفته القديم وجلس على كرسي كان كلما تحرك أصدر موسيقى نشازا من عظامه المفككة. أخذ يحدث نفسه «لكم جمع هذا الأثاث مشاهد من حياتي .. لقد جلس عليه ابنائي واحداً تلو الآخر .. رآهم أطفالا يصبغونه بأيديهم الملونة بكل ما تصل اليه ايديهم ورآهم طلابا في المدارس والجامعات ثم اساتذة ومهندسين وأزواجاً وزوجات .. وها هو قد حرم الآن رؤيتهم الا بين كل فترة واخرى».

أصوات الضجيج القادمة من الطريق اليه عبر نافذته ذكرته بضجيج اسرته واطفاله عندما كان يعود اليهم من سفر .. وكل منهم يرحب بمقدمه وتتسابق الأيدي الصغيرة لتلمسه وتقبله ويسمعهم يصرخون دفعة واحدة والفرحة ترقص في أعينهم «حمداً لله على السلامة يا أبي .. ماذا أحضرت لنا هذه المرة يا أبي».

وتدور عيناه في أرجاء الغرفة المبعثرة تبحث عن صور أبنائه وبناته ويبتسم بحنان، ولكن ما تلبث أن تختفى هذه الابتسامة عندما يرى صورة لابنائه يحيطون بوالدتهم رفيقة دربه الطويل، لقد تركته ورحلت منذ سنين «ترى أهي سعيدة الآن؟ .. ليتها تعود لتأخذني معها إلى عالمها».

لقد مرت عليه في هذه الأرض سنون طويلة كأنها دهور، سنون علمته أن يتنازل عن أحلامه، حلماً وراء الآخر ويرضى بما يقدمه له الواقع. علمته الا يفكر الا فيما يصلح لابنائه ويساعده على تحسين وضعه ليؤمِّن لهم حياة كريمة شريفة.

قام وعاد إلى نافذته الصغيرة، المنفذ الوحيد لعالمه الصغير الخاص على العالم الخارجي الكبير . أخذ يتأمل الطريق امامه .. كان في الطريق أصناف كثيرة من الناس يسيرون بسرعة وفي كل اتجاه دون أن ينظروا إلى ما حولهم، يسيرون وكأنهم آلات وضعت في كامل قوتها وتعبئتها.

ولفت نظره شاب صغير كان يرتكز إلى الحائط المهدم ويتأمل السائرين في الطريق «ترى فيما كان يفكر؟ ليس في عمره الربيعي الصغير أي خبرة لديه تساعده على قراءة الوجوه ولكنه يبدو وكأنه يبحث عن شيء ما فيها».

وطالت وقفة الشاب فلما لم يجد ما يبحث عنه أخذ يسير على مهل وقد ركز عينيه على الرصيف الذي يسير عليه، وكان بين الفينة والأخرى يرفع رأسه لينظر في وجوه الناس لدقائق ثم يعود ليركز عينيه على الرصيف.

قال لنفسه وهو يودع الشاب بنظراته .. «ما اكثر ما سيصاب به هذا الشاب من خيبة الأمل في هذه الدنيا. وربما يكون ممن لا يحتملون رؤية احلامهم تضيع امام اعينهم فيموتون صغاراً إما بأيديهم أو بالقهر والكمد.

وأزاح عينيه عن الطريق الذي بدأ يخيم عليه السكون ورفع رأسه إلى السماء التي سكنها الليل بنجومه وهلاله الصغير الدقيق المعلق فوق الجبال البعيدة التي يسكنها غموض الليل وظلمته.

وقال محدثاً نفسه: «لقد حان الوقت .. عليَّ أن أذهب» أسدل الستار على النافذة وانحنى ببطء فتناول معطفه القديم الذي يحمل على كتفيه ذكرى سنوات العمر الطويلة كصاحبه. وسار الى الباب.. فتحه وخطى إلى الخارج .. ثم اغلقه خلفه . كان يتصرف بآلية دقيقة، إعتاد عليها طوال حياته، ووقف على أول الطريق الذي كان يمتد امامه كأنما يستحثه على السير وهو يمسح الدموع التي اغرورقت بها عيناه ولا يدري لها سبباً، ولن يتعب نفسه في تفسيرها.

مها فوزي الشعراوي
- مكة المكرمة -

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

٨٩٠ـ أبو عواد:

لن اســـمح لك بمنعي من ممارسة أحلامي باغتيالك لها على المدرج.. حـتى لو كـان أبوك القـمـر وأمك الشـمس وأهلك كل المجرّه.

٨٩٠ـ أم عمرو:

لا يسـتطيع أحـد أن يمنع احـداً من ممارسـة احـلامـه. الأحلام ملك خالص لصاحبها لا يشاركه فيها احد ولا يأخذها منه احد إلا اذا سمح له بذلك.

٨٩١ـ أبو عواد:

هكذا أنا بالفطرة .. أقـدس الروابط العـائليـة قـبل الحـيـاة الزوجـيــة.. فـهل أنا زوج فاشل؟!

٨٩١ـ أم عمرو:

الذين يقـدسـون الروابط العـائلية يكونون غالباً ازواجاً ناجحين لأنهم تدربوا جيداً على احـتـرام المرأة وتقـديرهـا مع امهاتهم واخواتهم.

٨٩٢ـ أبو عواد:

ان الزوجـة التى تحـاصـر زوجـهـا بالمشاكل والقلق وتثير من حـوله المتـاعب لا تسـتـأهل منه مـجرد ابتسـامـة صـارخـة النفاق.

٨٩٢ـ أم عمرو:

الزوجة التى تحاصر زوجـهـا بالمشاكل والقلق غالباً مـا تكون انسانة خـائفـة وغيـر مطمـئنه وهي كـثيـراً مـا تسـعى لكسـر حـاجز الصـمت أو البـعد بهـذه الطريقة الخاطئة.

٨٩٣ـ أبو عواد:

ان أفضل الأدوار التي يتقبل فـيـهـا الرجل المرأة هي المرحلة التي تكون فـيـهـا أظافـرها قـصـيـرة وتكون في مـرحلة التخطيط للوصول للغاية الخبيثة .. وبوصـولـهـا للـهـدف أو اعـتـقـادها بأنهـا وصلت إليـه تكشف أمـام الزوج عن وقـاحـة سنوات طويلة من العـشـرة المخدوعة.

٨٩٣ـ أم عمرو:

لا اعتقد اننا نعيش في غابة حتى نصف المرأة بأن اظافرها قـصـيـرة أو طويلة أو نصف اهدافـهـا بالخـبث وسلوكـهـا بالوقـاحـة. الكلمـة نور وبعض الكلمـات قـبـور وعندمـا نصل لاستخدام مثل هذه القبور نكون قد دفنا الزواج منذ زمن بعيد.

٨٩٤ـ أبو عواد:

سأغدق عليك في كل شيء ما استطعت إلى ذلك سبيلا.. إلا في دفء عـواطفي وصـدق مـشـاعـري فـتلك لا أظنك تستحقينها.

٨٩٤ـ أم عمرو:

الذين يحـتـفظون بدفء عواطفـهم وصـدق مـشـاعرهم بالداخل تتكون عليـهم طبـقـات من الجليد سرعان مـا تتـراكم .. فلا يصبحون قـادرين على الإحـسـاس بأى مـشـاعـر دفء تأتيهم من الخارج.

٨٩٥ـ أبو عواد:

دخلت حـيـاتي غـريبـة .. وسـتـخـرجين منهـا غـريبـة .. هكذا أنت أيتها العبيطة.

٨٩٥ـ أم عمرو:

غـالبـا يدور في ذهن هذه الغريبـة عبارة الغربة خـير من رفيق السوء، فقط زوجها الذكى لا يدرك مـا يدور في عـقـلهـا العبيط!.

٨٩٦ـ أبو عواد:

لا يهمني الكلام المعسول .. ولا انـحـنـاءات الـدجـل .. ولا ولولات المرجفين.. انني أعرفك جيدا .. فأنت حيّة تبن .. نعم حـيّة تبن .. ولكنـي سـأعـرف كـيـف أجـعـلك تموتـين بنفس التـرياق الذي أزهقت به أرواح الأبرياء.

٨٩٦ـ أم عمرو:

حتى حيّات التبن لا تستحق الموت فالحية لا تهاجم إلا دفاعاً عن نفسها حتى انهم ينصحون السائرين في الغابات بإحداث

صوت اثناء السير حتى تفسح الحيات الطريق لطرزان.

٨٩٧ـ أبو عواد:

القيمة في المبادىء .. في التربية .. في الفهم في الأصول يا بنت الأصول .. جميع مجوهراتك أناقتك مكياجك كلها في نظري عملة ساقطة لا قيمة لها في نظري.

٨٩٧ـ أم عمرو:

لم ترتد المرأة المجوهرات ولم تهتم بالمكياج كمكمل لشخصيتها إلا في الزمن الذى حرمت فيه نعمة التعليم ومنعت من النمو الحقيقي ولكل من لا زال يرى المرأة دمية جميلة اقول بالنيابة عن بنات جنسي من النساء:

عداي لهم فضل عليَّ ومنة
فلا قطع الرحمن عنّى الأعاديا
هموا بحثوا عن زلتى فاجتنبتها
وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

٨٩٨ـ أبو عواد:

تكتسب المرأة قوة جاذبيتها بقدرتها على التأثير الفاعل على الرجل بهذه الجاذبية.. وتلك مقوماتها تبدو صعبة على كثير من النساء .. وإلا فبماذا تفسرين المشاكل الزوجية وهروب الأزواج وحوادث الطلاق؟!

٨٩٨ـ أم عمرو:

المشاكل الزوجية وحوادث الطلاق لها اسباب عديدة من اهمها سوء اختيار الزوج وانعدام ثقته بنفسه حتى انه يتصور نفسه محوراً تدور في فلكه الأسرة وليس عموداً قويا تستند عليه وتحتمي به انه يريد أن يصنع من نفسه مركزاً للجاذبية فتتحدد جاذبية من حوله بقدرته على التأثير عليه! ماذا اقول؟ كل فقاعه تنتفخ اكثر من طاقتها لابد لها أن تتلاشى.

٨٩٩ـ أبو عواد:

«كوني له أمة يكن لك خادماً» .. لو تحقق الأول لتحقق الثاني .. ولكن المرأة تريد جواب الشرط ونتيجته دون فعله وأسبابه..!!

٨٩٩ـ أم عمرو:

انتهى عصر العبيد والساده لم يعد هناك اماء ولا خدم. لكن بعض الرجال مازال يعيش كالسلحفاة التى تخاف اخراج رأسها من صدفتها لذا تظل واقفة مكانها لا تتقدم. ربما يكون على النساء ان يتوقفوا ويحملوا هذه السلاحف وينقلوها إلى الجهة المقابلة ثم يتركوها هناك لعلها تشعر بالأمان وتخرج رأسها وتسير مع الزمن.

٩٠٠ـ أبو عواد:

كانت المرأة فيما مضى تسهم قولا وعملا بشراكة حقيقية في الحياة الزوجية تعمل سويا مع زوجها في الحقل وكسب الرزق أما اليوم فعملها وصيفة للتسريحه وحبيسة المطبخ والمسكن.. أعني الزوج.. أشفق عليها وأحضر لها خدامة.. وسائقاً .. أنها سيدة بكل المعاني!!

٩٠٠ـ أم عمرو:

مازالت النساء في كل مكان تشارك في الحقل والمدرسة والمستشفى وحتى التى كرست حياتها لأولادها تشارك مشاركة بالغة في حياة اسرتها ومجتمعها وكثيرات لم يعدن قادرات على تحمل كل ما يناط بهن من اعباء حتى احتجن للمساعده.

٩٠١ـ أبو عواد:

انا لا أريد منك يا زوجتي العزيزة لبن العصافير ولا بناء أهرامات الجيزة.. فقط أريد طاعتك لي في غير معصية كما أمرت بذلك أن كنت حقا مسلمة!!

٩٠١ـ أم عمرو:

الطاعة شيء والإنصياع شيء آخر. الطاعة يلزمها الإقناع وهو يأتى نتيجة للتفاهم بين طرفين يتبادلان الثقة والإحترام.

رسالة إلى الحبيبة

من ابن خفاجة الأندلسي

محمد عبد الواحد حجازى
مصر

* هو أبو إسحق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة.
* شاعر شرقي الأندلس ..
* أشهر وصّافي الطبيعة بالأندلس.
* كان قليل التكسب بشعره.
* توفى سنة ٥٣٣هـ.

حبيبتي هنيد :

كتبت وقلبي في يديك أسير
يقيم كما شاء الهوى ويسير
وفي كل حين من هواك وأدمعي
بكل مكان روضة وغدير

رسالتي إليك مع أحد أصدقائي من العاملين بمملكة سرقسطه بالأندلس.. أنت يا أمنيتى ورجائي .. أنت، يا من أحببتك وأصفيتك أنضر الود، وذوبت من صفو روحي ما أسقيتك به على الوصال يدوم فلا تقطعه أسباب البعاد وأراجيف الحساد .. الذين لم يفتروا يوماً واحداً، بل ساعة واحدة، بل لحظة واحدة عن حبنا. فافتروا الأقاصيص للإيقاع بينى وبينك لأنهم يكرهون أن تسعدى بحبك وأسعد بحبى .. ويالها من حرب ظلت مستعرة متقدة حتى فوجئت بنبأ رحيلك إلى سرقسطة.

أجل، كانت مفاجأة لى، أذهلتني وأفقدتني رشدى لبضع سويعات أظلمت خلالها الدنيا في ناظرى واحتوانى سأم ضار كرهت فيه الكون، وكرهت فيه الناس والحياة. وأكثر من هذا كرهت أن أقرأ عن عاشقين، كرهت أن اسمع عن محبين .. كرهت أن أقرأ شيئا في الحب أو أن أسمع شيئا عن الحب.

ورويداً رويدا ثبت إلى رشدى وعدت إلى وعيى، أدرك وأعقل وأتعقل. ولكن في انفعال نفسى كاد يصدع قلبي، إنه انفعال الحنين إلى التى وهبتنى أحلى أيام شبابى.. وإنه الحنين إلى أجمل بقاع الدنيا طرا، إلى الأندلس.. فما أجمل هذا التلاقى وما أغربه: الجمال يهاجر إلى الجمال

كانت سفرتك المفاجئة الى سرقسطة باعثا لحنينى إلى الأندلس. وليس في الدنيا أحب إليَّ منها.. هى الدنيا بل هى

جنة الخلد، فهلا نقلت إلى أهلها تحياتى؟ هلا نقلت إليهم أشواقى واعترافاتى:

يا أهل أندلس لله دركم
ماء وظل وأنهار وأشجار
ماجنة الخلد إلا في دياركم
ولو تخيرت هذا كنت أختار

الأندلس عندي - وأنت تعرفين - هي الحسن الذى يشرح الصدور، والموسيقى التى تبعث أحلى الأشواق في نفس المحزون فإذا هو متفائل بهج.. وهى الروح الذى يحيى الحياة خضرة وظلا وريفا ونسماً شفيفا .. يشوقنى، يشوقنى يا حبيبة روحى أن أنعم برُبَى الأندلس.

إن للجنة في الأندلس
مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب
ودجى ظلمتها من لعس
فإذا ما هبت الريح صبا
صحت وأشواقى إلى الأندلس

حبيبتي هنيد:

إن غرامك القديم زاد من شوقى إلى وطنى، زاد من حبى إلى وطنى.. أغاريد الطير قي الأيك تهيج أشجاني، وأصداء الريح بين الأشجار والأغصان تستدر مدامعى، وخرير المياه في الجداول يستجيش خيالى .. لشد ما أتمنى أن أعود إلى الأندلس كى نجدد العهد؛ عهد الوصال:

أجبت وقد نادى الغرام فأسمعا
عشية غنانى الحمام فرجعا
فقلت ولى دمع ترقرق فانهمي
يسيل وصبر قد وهى وتضعضعا
ألا هل إلى أرض الجزيرة أوبة
فأسكن أنفاساً وأهدأ مضجعا
وأغدو بواديها وقد نضح الندى
معاطف هاتيك الربا ثم أقشعا

فلا تسلى إذن يا حبيبة روحي، وشوق أحلامى، وعطر أيامى كيف أقضى ليلى .. إنه ليس كليل الناس، وكيف أمضى نهارى .. إنه ليس كنهار الناس.. ليلى هم مقيم ، ونهارى عذاب أليم.

يارب ليل بته
وكأنه من وحف شعرك
تنهل مزنة دمعتي
فيه وينذى نور ذكرك
أتبعت فيه وقد بكيـ
ـت عقيق خدك در ثغرك

حبيبتي هنيد، يا منية الروح:

هلا تعطفت عليَّ فأذنت لخيالك أن يزورنى في إحدى لياليَّ التى آوى فيها إلى مضجعى ريث يبزغ نور الفجر؟

هلا تعطفت عليَّ فأذنت لخيالك أن يزورني فأسأله عن أحوالك وماذا فعلت الأيام معك؟ هل تأذنين، أم أن البعاد قد جعلك ضنينة حتى بطيف خيالك؟

ماذا عليك وقد نأيت ديارا
لو طاف بي ذاك الخيال فزارا؟
ونظمت من قبل بصفحة جيده
عقدا وقد لبس العناق شعارا
فيم التعلل في هواك وقد طوى
مني الضنى وبك النوى أسرارا
ولربما مَنَّ النسيم بنفحة
تندى على كبد تنوب أوارا
وسألت فيك الليل عن سنة الكرى
حتى أجابني الصباح سرارا
وسحبت أردان الظلام على السرى
طولا ومزقت النيول عثارا

... من أطرف ما سمعت بعد رحيلك إلى سرقسطة أن قالت لي إحدى صديقاتك - وكنت تثقين في رجاحة عقلها وصواب حكمها - أنك كنت تشكين مني كثيرا لأنني كنتُ أختلق الذرائع لمجافاتك ومخاصمتك. وما ذاك إلا لشغفي بحسناء أخفيت اسمها.. أدهشتني تلك القصة ولم أصدقها وقلت لنفسي: أحقاً كانت هنيد تشكوني لسبب لم أقترفه وذنب لم آته أو أفكر فيه:

يامنية النفس حسبي من تشكيك
أني أصاب وكف الدهر ترميك
وكيف أغفى بليل تسهرين به
أو أستسيغ شراباً ليس يرويك
هنيد أوجعت قلبا قد أقمت به
ما بال طرفي وما يدريك يبكيك

حبيبتي هنيد يا منية الروح:

إياك إياك يا حبيبتي أن تفتحي قلبك الغض الرهيف لعواصف القلق والشك .. وإياك، إياك أن تأذني لخيالك أن يتسمع لتخرصات أولئك الذين لا يهمهم سوى أن يروا نار الإفك تحرق أواصر الحب بين الناس، ولا يهمهم سوى أن يروا شظايا الاحتراب والشقاق متبادلة بين المخلصين الأوداء .. كيف أخاتلك؟ وكيف أضمر لك الغدر والهجران؟

يا بانة تهتز فينانة
وروضة تنفح معطارا
لله أعطافك من خوطة
وحبذا نورك نوارا
علقت طرفا فاتنا فاترا
منك وغرّا منك غرارا
وجه به من بدع الحسن ما
يقيم للعشاق أعذارا
تخفق أحشائي به لوحة
وتنثر الأعين نوارا

وهل تصدقين ما تقوّله عليّ بعض المزيفين من أنني كنت أفضل عليك الشابة عُفيراء؟ وأنني طالما سهرت عندها بين

فيوض القمر المتواثبة بين مغانى الرياض القريبة من بيتها نتحاكى ونتسامر ونتبادل عبارات الشوق والتهيام؟ هل تصدقين ذلك يا حبيبتى؟.

أجل، قلت فيها غزلا، ولكنه كان مجرد إعجاب بشىء جميل كأى شيء جميل .. ألا يهيم المرء بجمال الزهور؟ ألا يهيم المرء بجمال الطيور وهي تنطلق في الرياض مشقشقة في نزوة طروبة.. لهذا فإننى اعترف بأننى تغنيت بجمال عفيراء .. وأعترف بأنها سبتنى وأرقت جفنى وأضنت فؤادى .. ولكنه كان مجرد امتداح للجمال فحسب. ولهذا فإننى أسوق إليك ما قلته فيها حتى يكون اعترافا كاملا. ولك أن تحكى على حبى لك بما تشائين.. قلت فيها:

أرقت لذكرى منزل شط نازح
كلفت بأنفاس الشمال له شما
فقلت لبرق يصدع الليل لامح
ألا حى عنا ذلك الربع والرسما
وأبلغ قطين الدار أنى أحبه
على النأى حبا لو جزانى به جما
وأقرىء عفيراء السلام وقل لها
ألا هل أرى ذاك السها قمرا تما

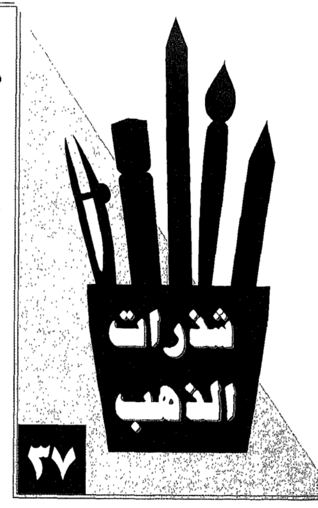
حبيبتي هند يامنية الروح: خير ما أختم به رسالتي أننى أهديك صورتين، صورة شبابك بل صورة شباب حبنا، والأخرى صورة التقائنا يوما على غير موعد. وما أحلاهما معا.. فالأولى كانت قولى لك:

يا مترفا يمشى الهوينا غرة
ويهز أعطاف القضيب المورق
جمعت نؤابته ونور جبينه
بين الدجنة والصباح المشرق
هل كان عندك أن عندى لوعة
ينبو له طرف السنان الأزرق
طالت مراقبة الخيال وبونه
رعى الدجى فمتى أنام فنلتقى
ما بين نحر بالدموع مقلد
فرحا وجيد بالعناق مطوق

أما الأخرى فإنها تتمثل في قولي - ولعلك لا تنكرينها:

لقد زار من أهوى على غير موعد
فعاينت بدر التم ذاك التلاقيا
وعاتبته والعتب يحلو حديثه
وقد بلغت روحى لديه التراقيا
فلما اجتمعنا قلت من فرحى به
من الشعر بيتا والدموع سواقيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

تلك هي رسالتي إليك يا حبيبتي أرجو أن تبلغك وأن تكتبى إليَّ بما يطمئننى عليك.



الشعر بدعة، وأن لكل شاعر مكانته ووضعه وامتيازه في عالم الشعر، فلما توجهت الدعوة لإقامة ذلك المهرجان لشوقي، أخذ الهراوى يحرض أصدقاءه من الشعراء على مقاطعة المهرجان، وعلى عدم مبايعة شوقي بلقب الإمارة، وكان يعمل مع حافظ ابراهيم في دار الكتب فتحدث معه في هذا الشأن، كما تحدث مع الشيخ محمد عبد المطلب، وفي ليلة اجتمعوا مع لفيف كبير من أصدقاء الهراوي وحافظ، ودار حديث صاخب عن هذه المبايعة، واستخفهم التهكم على شوقى فأخذ حافظ ابراهيم ينشد قوله:

شال وانخبط .. وادعى العبط

معارضا قول شوقي:

مال واحتجب ... وادعى الغضب

وفي اجتماع قال: أنشد الهراوي أصحابه هذا القول وهو من وزن جديد في الشعر (فاعلن مستفعلن)

إن شوقى شاعر ... كلنا أجلّه

غير أنّا معشر ... ليس يرضى ذلّه

وهي جمهورية ... لا ترى محلّه

ولكن حافظاً قال إنه سيشترك فى حفلة المبايعة، فغضب الهراوى وسأله: أين ما اتفقنا عليه؟ قال فى ابتسام: أنا رجل جبان، لا أستطيع أن أتخلف،

٢١٩ إمارة شوقي:

كان الذائع أن الذين عارضوا إمارة شوقى لشعراء العالم العربى هم المجددون فقط وفي طليعتهم عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازني، ولكن المحافظين ممن ينهجون نهج شوقي، وكلهم ينتمى إلى ما يسمى بمدرسة البعث التى تزعمها البارودي، هؤلاء المحافظون كانوا يرفضون هذه الإمارة كغيرهم وقد تحدث عنهم صديقهم الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف فقال: «إن الشاعر المعروف الأستاذ محمد الهراوى كان يرى أن لقب إمارة

د. أبو هسام ـ المنصورة ـ

وفي المهرجان قام حافظ فأنشد قصيدة رنانة قال فيها:

أمير القوافي قد أتيتُ مبايعا
وهذي وفود الشرق قد بايعت معي!

وظل موضع عتاب زملائه المعترضين

(إمارة أخرى)

وحين انضم الدكتور طه حسين إلى الوفد المصرى كان حذراً هياباً من مناقشة كاتب الوفد الأول الأستاذ عباس محمود العقاد، فجعل يسترضيه بكل ما يمكن التوسل به، وقد أتيحت له الفرصة حين أصدر العقاد ديوان (وحي الأربعين) وواجه عاصفة نقدية تزعمها الكاتب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، حين ذلك هتف طه حسين بمبايعة العقاد أميرا للشعر، في حفلة تكريمة للعقاد، وفي مقال تال بمجلة الرسالة وكان مما قاله طه حسين: إنى لا أومن في هذا العصر الحديث بشاعر كما أؤمن بالعقاد، اؤمن به وحده، لأنى أجد عند العقاد مالا أجد عند غيره من الشعراء، فضعوا لواء الشعر في يد العقاد، وقولوا للأدباء والشعراء اسرعوا واستظلوا بهذا اللواء، فقد رفعه لكم صاحبه».

وما كاد رأى طه يذيع، حتى تناوله المعارضون تهكما وسخرية، وكان من أوجع ما قيل، ما نظمه الشاعر الأستاذ محمد حسن النجمي حيث قال من قصيدة هازئة:

خدع الأعمى البصيرْ
إنه لهوٌ كبيرْ
أضحك الأطفال منه
إذ دعاه بالأمير
أصبح الشعر شعيرا
فاطرحوه للحمير

٢٢٠ (جماعة الهراوي):

وإذا كانت جماعة الهراوي لم تصبر على إمارة شوقي، وهو من أبرز شعراء عصره، وأسيرهم شعراً، وأبعدهم صيتاً فإنها بالطبع تستنكر أشد الاستنكار مبايعة العقاد، وتورط طه حسين فيما لجأ اليه، ورأت أن ترد على هذه الإمارة بمبايعة أمير نساخ في دار الكتب، ينظم الشعر ولا يقرض بيتا صحيحا، بلى ولا يستطيع قراءته، ولكنه يشغل نفسه بما يضحك، ودار الكتب حينئذ تحفل بالشعراء الهازئين بإمارة العقاد، وبادعاء هذا النساخ مالا يحسن، ومنهم الهراوي وأحمد الزين وأحمد رامي وأحمد محفوظ، وكلهم موظفون بدار الكتب، فرأوا أن يقيموا حفلة مبايعة لحسين البرنس النساخ، وحددوا لها الموعد، وأعلنوا عن مهرجان يقام للبيعة يتحدث فيه أكثر من عشرة شعراء، كلهم شاعر نابه مجيد! وترامى الأصدقاء والأدباء على مشاهدة المحفل، حيث أجلسوا أمير الشعر

حسين البرنس في الصدر، وتقدم كل شاعر بقصيدته يلقيها بين يدى المحتفل به، ثم نشرت القصائد جميعها في الصحف اليومية، فكانت ردا لا يحتاج إلى إيضاح، ورأى الاستاذ محمد الأسمر أن يجمع هذه القصائد في ديوانه، بعد أن ذكر المناسبة الفكاهية، فأمتع القراء بما لم يستطيعوا الرجوع اليه في الصحف اليومية لبعد العهد، وسننقل بعضا مما قيل:

أ ـ من قصيدة حسين شفيق المصري:

يا حماة القريض حول البرنس
أصبح الشعر دولة ذات كرسي
وهل الحكم والإدارة إلا
لبرنس يضحي برأي ويمسي
يقرض الشعر مثلما يقرض الفأ
رحبالا قد فُتلت من دمقس
أيها الشاعر الكبير رضينا
ك أميرا ، فكنه ، تفديك نفسي

ب ـ من قصيدة عبد الجواد رمضان:

دعتك وقد توافر طالبوها
وهل يحوى العلا إلا بنوها
أمير الشعر أنت وإن تغالى
وأسرف في الدعاية مدعوها
جياع تاجروا باسم القوافي
وقد ربحوا الحياة وأخسروها
سأحمى عرشها وأنود عنها
زعانف للرذيلة سخروها
وهل خُلقت جلالتها لغيرى
وشعرى أمها وأنا أبوها

جـ من قصيدة سيد ابراهيم:

إذا تفضلت يا أميرى
فاقبل إذن هذه الإماره
وانهض بأعبائها فخورا
وامنع عن الفن كل غاره
فالشعر في مصر يا أميرى
مستفعلن فاعل فعول
فكن أميرا على القوافي
فالناس ليست لهم عقول

د ـ من قصيدة محمد الهراوي:

الى العرش فاصعد وامض بالأمر واقطع
وَمُرْ وانْهَ وامْنحْ ما بدا لك وامنع
وصرِّفْ أمور الشعر في الأمة التي
تميت رجال الشعر فيها ولا تعى
فأنت أمير الشعر غير منازع
وكل أمير غير شخصك مدّعى

هـ ـ من قصيدة أحمد الكاشف:

يا من يدبر سلطانا ومملكة
وليس فيها له بيت ولا نشب
من لي بسدتك العليا أقبلها
ودون سدّتك الأستار والحجب
لم يجدنى الجد في قول وفي عمل
وقد لعبت عسى يجديني اللعب
إمارة الشعر خذها يا حسين فقد
أتى يبايعك الإخوان والصحب

و ـ من قصيدة محمد الأسمر:

يا أمـيـر الشـعـراء
أنـت أولـى بـالـلـواء
سـيـدى فلتـهـنأ اليـو
م بمـلـك الأدبـاء
امـرؤ القـيـس على با
بـك بـعـض الأمـنـاء
وأبـو الـطـيـب فـي الـدو
لـة بـعـض الـوزراء
والمـعـرى لدى السـدّ
ة يحـبـو للعـلاء
دولة ليس بـهـا الا
كـبـار الكبـراء

ولغـيـر هؤلاء شـعـر من هذا الطراز، نتجاوزه اكتفاء بما تقدم، وكله مدون في ديوان محمد الأسمر.

٢٢١ (تعليق حسن القاياتي):

السيد حسن القاياتي شاعر موهوب، ذو جزالة وأسر وابتكار، وقد اشترك في مبايعة البرنس ببيتين معبرين عن تهكمه المرير، وأذكر أننا كنا في مجلسه بالسكريه، وجاءت ذكرى هذه المبايعة فقلت للسيد: إن إقامة الحفل التهكمى سلب لا إيجاب، فهو مواجهة لم تسفر عن نقد يحدد أسباب المعارضة، وأولى بالموقف مقالات هادفة تتعرض لشعر العقاد بالنقد، إذا كنتم تستطيعون نقده الموضوعي! فضحك السيد، وقال أصارحك يا أخى أننا لم نكن نستطيع، لأن العقاد يحتل جريدة يومية كبيرة، وله فيها أكثر من عشرة تلاميذ يسلطهم على معارضيه بالحق والباطل، وطه حسين يحتل جريدة يومية مماثلة، وله فيها أكثر من عشرة تلاميذ يسلطهم على معارضيه بالحق والباطل! لقد كان في استطاعتنا أن نواجه العقاد وحده أو نواجه طه وحده مع العسر الشديد في هذه المواجهة، أما أن نواجههما معاً ووراءهما الحشد الجرار من المرتزقة فسنخسر، لقد اقتحم مصطفى صادق الرافعى الميدان، وهاجم الإمارة المدعاة بأسلوبه التهكمي، ولكن الرافعى هو الرافعى، وله أيضا تلاميذه الذين يؤمنون بزعامته ويردون كيد خصومه؟! ثم سكت القاياتى وهو يقول: ذلك اعتذار فحسب، وأنا ألمس ما به من تقصير، فهل ننتقل الى موضوع جديد؟ على أنى أعلم أن العقاد يبادلنى المودة، وقد تحدث عنى بالخير، فكيف أشن حربا لا نهاية لها! أما البيتان اللذان أنشدهما السيد حسن القاياتى في حفلة المبايعة التى ذكرنا طرفا مما قيل فيها فهما:

يا حـسين ياعـزيزى يا أمـيـرى
يا أمـيـر الشـعـر في اللب الغـرير
سـد كـمـا سـاد صـرير شـدمّـا
أمّر الأقـلام فـي وادى الزئـيـر

من الاسطورة الى التصوير

اتحدث هنا عن فن القصة القصيرة، ومرجعه غربي على الأرجح ، فمازال المبتدئون ينهلون من اقاصيص شارل تودياي وروائع بول موردان والانجليزي ايدجار بو والروسي تشيخوف والأمريكية كاترين مانسفيلد والأسباني سرفانتز كاتب «الأقاصيص المثالية» التي اصدرها عام ١٦١٣، مترجمة أو غير مترجمة، مبتدئون من الغرب أو الشرق، ولست هنا بصدد البحث عن مرجع هذا الفن، اين نشأ ومتى، ولكن بودي أن اتحدث عن امرين هامين وانا اقوم هنا بالكتابة عن هذا الفن الجميل.

اما الأول فهو اهتمام القصة القصيرة «منذ نشأتها الاولى» بالحكايات الشعبية والخرافات، ويبدو ذلك واضحا من خلال كثير من الاعمال الشهيرة في الغرب والشرق على حد سواء، فقد عرفنا نحن شخصية «شهرزاد» من خلال حكايات الف ليلة وليلة، وعرف المغرب العربي شخصية «الفراوى» التي عرفت اولا من خلال التقاليد الشعبية في تونس وعرف اهل مصر «الحكواتي» ومن خلاله شاعت الاقاصيص والاساطير الخرافية.

وتعتمد هذه الحكايات اعتمادا كليا على «السرد» المرتجل، وهو سرد يرتبط بالتلقائية الساذجة اثناء رسم احداث الحكاية، ويبدو واضحا ان هذه «التلقائية الساذجة» التي ارتبطت بها الخرافة متوفرة بشكل «اغزر» في الرواية، وانها لم تتوفر في القصة القصيرة الا بقدر محدود، اي انها لم تكن متفشية في «الاحداث» القصيرة مثلما تفشت في اي حدث مطول، ودلائل ذلك كثيرة في اعمال غربية وشرقية، فالفصول الاخيرة من رواية تولستوي «الحرب والسلام» عجّت بكثير من الزيادات التي ربما هي الى «الثرثرة» اقرب منها الى تجسيد احداث الرواية، بمعنى آخر فانها تكاد تكون «ثرثرة خرافية، ابعدتها عن عضويتها من بقية فصول الرواية، وهنا تصح المقولة الفرنسية النقدية التي تؤكد «أن الرواية بالنسبة الى القصة القصيرة كالعالم بالنسبة الى ما في العالم».

وهي مقولة صائبة دون شك يوضحها الشاعر الفرنسي الكبير في كتابه الشهير (الفن الرومانطيقي) فيقول: «ان الرواية لا يهددها اي خطر ولا يلحق بها اي مكروه سوى حريتها التي لا حدود لها ولا نهاية، اما القصة التي هي اكثر



بقلم:
محمد
حمد الصويغ

كثافة وايجازا من الرواية فانها تتمتع بالمكاسب السردية التي لا توفرها سوى الضغوطات والقيود».
هذا يعني ان الاساطير والخرافات متوفرة بشكل اعمق في الرواية التي تعتمد على «تطويل» الحدث ولا تعتمد على اختصاره، وهذه نظرية عقلانية كما ارى، فحرية «السرد» تتوفر في الرواية بشكل اغزر، بينما كاتب القصة القصيرة لا يهمه ذلك، وانما يهمه الدخول مباشرة في الحدث دون مقدمات أن دون «لف او دوران» اي دون التوقف طويلا امام تفاصيل الاحداث التي يرى انها «غير ضرورية» للوصول الى نهاية القصة، بمعنى ان كاتب القصة القصيرة لابد أن يكون «متزنا» في عرضه للحدث.

أما القصة القصيرة فقد «انتقلت» في عصرنا الحاضر الى مرحلة «تصوير» الاحداث بشكل تلقائي وسريع، أي انها انتقلت الى مرحلة عدم اهتمامها بالحدث من خلال تأزماته الدرامية التقليدية الى مرحلة اهتمامها «بتصوير» الحدث من خلال الحياة اليومية المشهودة الملموسة، ولعل اقاصيص الامريكية كاترين مانسفيلد أو تشيخوف تكون برهانا على هذه النقلة.

في اقاصيص مانسفيلد نكاد نشعر ببراعتها المتفوقة في رسم دقائق الاشياء، وهي تسير على نفس الخطى التى سار عليها تشيخوف حينما عمد الى تبيان ما تعانيه شخصياته من عذابات حياتية «باختصار شديد» دون أن يسدل على هذا «التبيان» كثيرا من الالفاظ المطولة التي قد تزج باعماله في احضان «المبالغة» ومن ثم في احضان «الاسطورة» كما كان الوضع قائما قبل هذه المرحلة الانتقالية.

ولذلك فان اصحاب هذه «النقلة» عمدوا الى تصوير «الواقع» كما هو دون تلفيق، اي بالاعتماد على «تبسيط» الامور لا الاعتماد على تعقيدها، بل أن كاترين مانسفيلد التي تأثرت بشكل مباشر باعمال شيخوف ترى أن كاتب الرواية قد يكون «كاذبا» حينما يزج بعمله في «المبالغة» والابتعاد عن الحياة، ولهذا توخت البساطة فيما كتبته من اقاصيص وابتعدت عن التزويق والمبالغة والاطناب في سرد احداثها.

واحسب ان هذه الطريقة «الانتقالية» تعتمد اعتمادا كبيرا على تصوير الحدث كما شاهده الكاتب بام عينه «المجردة» لا بحسه الخيالي، اضافة الى ان اصحاب هذه الطريقة لا يلجأون عادة الى «المحاسن الاسلوبية» ان جاز القول لسرد افكارهم وانما يلجأون الى الاساليب «الشائعة» في مجتمعاتهم، فالفكرة والاسلوب يستمدان عناصرهما من الواقع المعاش.

واختصار الحدث في القصة القصيرة قد لا يدع مجالا كما ارى لمزيد من المبالغة او التخيل، فيصح القول اذن بان «الرواة» اكثر تخيلا وافراطا في المبالغة من كتاب القصة القصيرة، ورغم ذلك فاننا لا نستطيع ان نجرد كثيرا من الاعمال الروائية الناجحة من «النقلة» النوعية التي حدثت في الاساليب القصصية، فرغم انها تعتمد على الاطناب في «السرد» واطالة الوقفة امام الحدث، الا اننا لا نستطيع القول في الوقت ذاته انها غير مستمدة من الواقع.

ويبرز امامي هذا السؤال الهام وانا اقوم بمعالجة هذه المسألة:
. هل بامكاننا مزج الاسطورة بالتصوير في اعمالنا الروائية الحديثة؟ ورغم انني طرحت السؤال بهذه الصيغة التقريرية العفوية الا انني لا املك اجابة شافية عليه.

أنا العب في الحديقة

إعاقة طفل

كل الأطفال ..

يجرون ... يمرحون ...

ترى .. هل أستعيد عافيتي ؟؟؟

(الجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين)

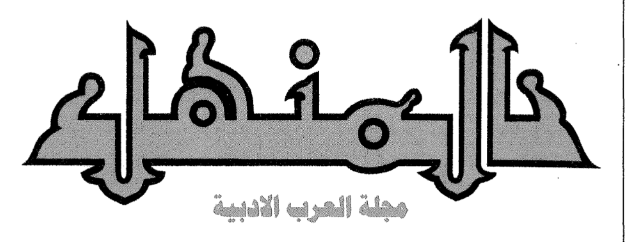
مع تحيات دارة



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢٩٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣

D.BY ALAA

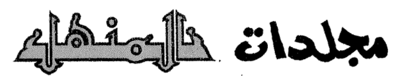


مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣

مجلدات 

المجموعة الكاملة ١٣٥٥ - ١٤١٦ هجرية

(٧٢) مجلدا فاخرا متوفرة في الألوان " الأزرق - البني - والأسود "
للاستفسار الإتصال بإدارة العلاقات العامة بالمجلة ت : ٦٤٣٢١٢٤



يمتد حتى نهاية هذا العام

السادة دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

بعد اطلاعي على شروط الاشتراك السنوي في مجلتكم (المنهل) والعرض الخاص أرغب في الآتي

☐ اشتراك سنوي (١٥٠) ريالا .
☐ (٣) سنوات (٤٦٠) ريالا مع الإصدارات .
☐ (٥) سنوات (٦٠٠) ريالا وكتاب شذرات الذهب.

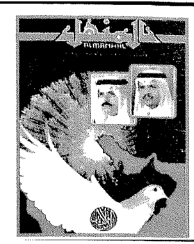
وأرفق لكم طيه قيمة الاشتراك حسب ما هو موضح بالقسيمة.

☐ (أ) شيك ☐ (ب) حوالة بنكية

مبلغ ☐ رقم ☐ بتاريخ ☐

الاسم:............ العنوان:............
القطر:............ المدينة:............ المنطقة:............ شارع:............
بناية رقم:............ شقة رقم:............ ص.ب:............ رمز بريدي............
تليفون :............ فاكس :............ تلكس:............

فضلا تعنون الشيكات أو التحويلات باسم (مجلة المنهل)



الأمن والأمان

شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م

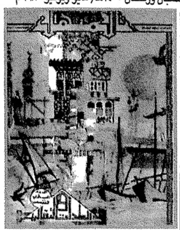


الثقافة العربية

شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م

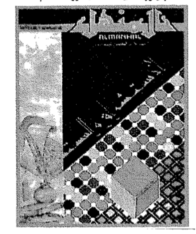
الأثر والآثار

رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م



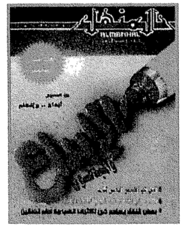
العادات والتقاليد

رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م



الاستشراق والمستشرقون

رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م



الابداع والبدعون

شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري

شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٢ م



اللغة العربية .. آفاق مستقبلية

شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٣ م



النقد والنقاد

شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م

من اعدادنا السنوية المتخصصة

في العدد القادم:

* الحديث وتدوين السنة

ـ د٠ عبد الحميد التمسماني٠

* عمادة التنوير ٠٠ وطه حسين

ـ الأستاذ أنور الجندي٠

* الانترنيت ٠٠ صديق أم عدو

ـ أ٠د٠ شذى الدركزلي٠

* في الانتماء الثقافي

ـ أ٠د٠ محمد عمارة٠

*** (فضلا عن) بين (أبو عبد الرحمن الظاهري ٠٠ وابو عبد الرحمن السالمي)٠**

* رحلة في الذاكرة

ـ أ٠د٠ محمد رجب البيومي٠

* الأنصاري في ذكراه٠٠

* الإعلام في المنظومة الإسلامية

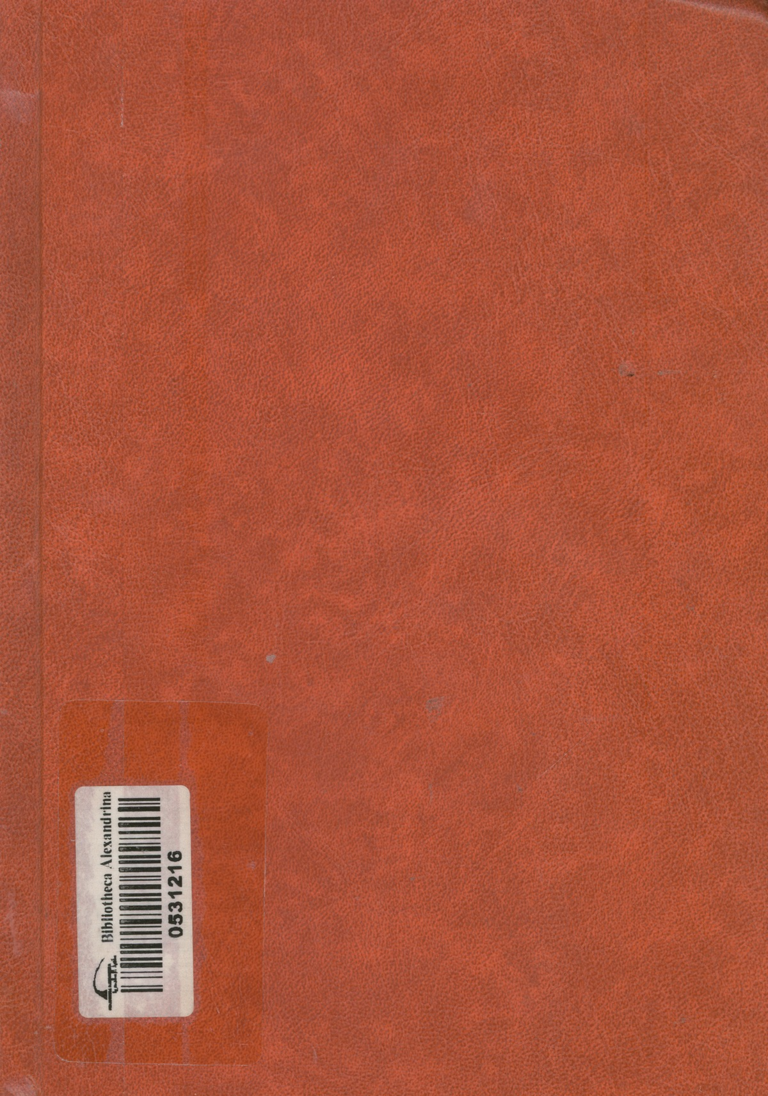
ـ د٠ عبد السلام بنهروال٠

* أعلام وأعمال

ـ د٠ عمر بن قينة٠

** مجلتك المنهل ترحب بك قارئا ٠٠ وكاتباً ٠


نحن نؤمن أن البنك هو أكثر من مجرد مكان تحفظ فيه أموالك
يجب على البنك أيضاً أن يقدم لك النصح فيما يتعلق بإدارة هذه الأموال
نحن في البنك السعودي الأمريكي نعتقد أن أفضل طريقة للقيام بذلك هي معرفة ماذا يدور في ذهن العميل، ما هي احتياجاته، خططه وطموحاته، وبعد ذلك تقديم النصيحة المناسبة له.
وبما أن النصيحة المناسبة لا تأتي إلا من الشخص المناسب، فإننا نولي أهمية قصوى لاختيار موظفينا وتدريبهم على أفضل وجه لكي يكونوا خبراء في إدارة الأموال بكل ما في الكلمة من معنى.
إذاً كن على ثقة أنك ستحصل دائماً على النصيحة السليمة التي تأخذ في الإعتبار خصوصيتك وسريّة أعمالك، إن هدفنا في البنك السعودي الأمريكي هو أن نوفّر لك الطمأنينة والأمان لأموالك.
Saudi American Bank
البنك السعودي الامريكي
خدمات بنكية عالية المستوى
قبل أن نبدأ بادارة أموالك
يهمنا جداً أن نبدأ بمعرفة تطلعاتك.


Bibliotheca Alexandrina
05331216